

حاشیہ

العالم بالله تعالى المنصور له

أحمد بن محمد الصاوي المالضي الخنلوي

4-1721-1145

علی

نفسه الى الدنيا

لذباء بين العظيمين احب لان المحلى واحب لال السيوطنى

مِنْ مَّا لَدَىٰ نَحَالٍ أَنبِئْ

الفرآن الشك كنتم مفسووم بالشك والكمال

الحجّة الرابع

شیرینک: لطیف مستطیل "پانی بھوسی" واپلا، اچھ
 کلا وچھو، کستوری، شہ سوہ، شامی

حاشية

العارف بالله تعالى المفوز

أحمد بن محمد الصاوي المالضي الخلوتي

١١٧٥ - ١٢٤١ هـ

على

نفسية الجلالين

للإمامين العظيمين الجلال المحلى والجلال السيوطي

رحمهما الله تعالى آمين

القرآن الكريم مضبوط بالشكل الكامل

الجزء الرابع

الطبعة الأخيرة راجع تصحيحها
فضيلة الشيخ علي محمد الضباع
شيخ القراء والمقاري بالديار المصرية

مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده

١٣٦٠ / ١٩٤١ / ٨٧٦

وتسمى سورة المؤمن لقوله
في أنثائها - وقال رجل
مؤمن - وسورة الطول
لافتتاحها به في أوصاف
الباري تعالى . واعلم أنه
ورد في فضل الحواميم
أحاديث كثيرة : منها قوله
صلى الله عليه وسلم
« الحواميم ديباج القرآن »
ومنها « لكل شيء ثمرة وإن
ثمرة القرآن ذوات حم هن
روضات حسان محضات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(سورة غافر مكية)

إلا «الذين يجادلون» الآيتين، خمس وثمانون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . حَمَّ) الله أعلم بمراده به (تَنْزِيلُ الْكِتَابِ) القرآن مبتدأ
(مِنْ اللَّهِ) خبره (الْعَزِيزِ) في ملكه (الْعَلِيمِ) بخلقهِ (غَافِرِ الذَّنْبِ) للمؤمنين (وَقَابِلِ
التَّوْبِ) لهم مصدر (شَدِيدِ الْعِقَابِ) للكافرين أى مشدده (ذِي الطَّوْلِ) أى الإنعام
الواسع وهو موصوف على الدوام بكل من هذه الصفات فإضافة المشتق منها للتعريف كالأخيرة
(لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرُ) المرجع ،

(ما يجادل)

متجاورات من أحب أن يرتع في رياض الجنة فليقرأ الحواميم «ومنها» مثل الحواميم

في القرآن كمثّل الخبرات في الثياب ، «ومنها» لكل شيء لباب ولباب القرآن الحواميم «ومنها» الحواميم سبع وأبواب النار سبع
جهنم والحطمة ولظى والسعير وسقر والهاوية والجحيم ، فكل حم يوم القيامة تقف على باب من هذه الأبواب فتقول : لا يدخل النار من
كان يؤمن بي ويقرؤني فتحصل أنه يقال حواميم وآل حم وذوات حم خلافا لمن أنكر الأول (قوله مكية) أى وكذا بقية
الحواميم (قوله إلا الذين يجادلون الخ) الصواب أن يقول إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم
إلا كبر الآيتين وأول الآية الثانية لحاق السموات والأرض الآية لأن هاتين الآيتين هما المدينتان خلافا لما يوهمه المفسر
(قوله خمس وثمانون) وقيل ثنتان وثمانون (قوله حم) بسكون الميم في قراءة العامة وقرئ شذوذا بضم الميم وفتحها
وكسرهما . فالأول على أنه خبر لمحذوف . والثاني على أنه مفعول لمحذوف ومنع من الصرف للعلمية والتأنيث أو شبه العجمة .
والثالث على أنه مبنى على الكسر مبتدأ خبره محذوف أى هذا محله مثلا (قوله الله أعلم بمراده) تقدم أن هذا القول في مثل
هذا الموضع أسلم وقيل اسم من أسماء الله تعالى وقيل مفاتيح خزائنه ، وقيل اسم الله الأعظم وقيل مفاتيح السور ، وقيل كل
حرف منه يشير إلى كل اسم من أسمائه تعالى مبدوء بذلك الحرف فالحاء افتتاح اسمه حميد وحليم وحكيم وهكذا والميم افتتاح
اسمه مالك ومجيد ومنان ، وهكذا لما روى «أن أعرابيا سأل النبي صلى الله عليه وسلم ما حم فأننا لانع، فها في لساننا ؟ فقال
النبي صلى الله عليه وسلم بده أسماء وفواتح سور» (قوله العزيز) في مكة أشار إلى أنه من عز بمعنى فخر وغاب (قوله غافر
الذنب) أى ماحيه من الصحف . واعلم أن غافر وغفار وغفور صيغ نسب على الصحيح لأن أوصافه تعالى لا تفاوت فيها
بخلاف أوصاف الحوادث (قوله وقابل التوب) أتى بالواو إشارة إلى أنه تعالى يجمع للمؤمنين بين محو الذنوب وقبول التوبة
فلا تلازم بين الوصفين بل بينهما تغاير إذ يمكن محو الذنوب من غير توبة ويمكن قبول التوبة في بعض الذنوب دون بعض
(قوله مصدر) وقيل جمع توبة كدوم ودومة (قوله للكافرين) أى وأما العصاة وإن عوقبوا فلا يعاملهم الله بالشدة
(قوله أى الإنعام الواسع) وقيل الطول بالفتح لأن ، وقيل هو الغنى والسعة وكلها ترجع لما قال المفسر (قوله وهو موصوف
على الدوام الخ) هذه العبارة جواب عما يقال إن الصفات الثلاثة التي هي غافر وقابل وشديد مشتقات وإضافة المشتق لاتفيده
تعريفا فكيف وقعت صفات المعرفة التي هي لفظ الجلالة . فأجاب المفسر بأن محل ذلك ما لم يقصد بالمشتق الدوام
والإتعرف بالإضافة ونظيره ما قيل في مالك يوم الدين . وأجيب أيضا بأن السكّن إبدال وهو لا يشترط فيه التبعية في
التعريف (قوله لا إله إلا هو) يصح أن يكون حالا لأن الجمل بعد المعارف أحوال ويصح أن يكون مستأنفا (قوله إليه
المصير) أى فيجازى كل أحد بعمله .

(قوله ما يجادل في آيات الله) أى فى إبطالها والظعن فيها وهذا هو الجدال الذموم وأما الجدال فى نصر آيات الله بالحجج القاطعة لدى هو وظيفة الأنبياء ومن على قدمهم فهو مدح ومنه قوله تعالى - وجادلهم بالتي هي أحسن - (قوله فلا يفررك تلبهم الخ) الفاء واقعة فى جواب شرط مقدر تقديره إذا علمت أنهم كفار فلا تحزن ولا يفررك إيمانهم فانهم مأخوذون عن قريب وهذا تسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله كذبت قباهم) أى قبل أهل مكة وهو تسلية له صلى الله عليه وسلم أيضا (قوله من بعدهم) أى من بعد قوم نوح (قوله ليأخذوه) أى يتمكنوا من إصابته بما أرادوه به (قوله أى هو واقع موقعه) أى فهو عدل منه سبحانه وتعالى (قوله كذلك) أى كما وقع للأهم السابقة (قوله حقت كلمت ربك) أى وجبت وثبتت . والمعنى مثل ما وقع وحصل للكاذبين قبل هؤلاء ، يحصل لهؤلاء فى الآخرة وإكرامهم فى الدنيا بالنعم إنما هو بركتك يا محمد (قوله بدل من كلمة) أى بدل كل من كل إن أريد بلفظ الكلمة خصوص قوله أنهم أصحاب النار أو بدل اشتغال إن فسرت الكلمة بقوله لأملأن جهنم الخ ولا شك أن الكلمة بهذا المعنى مشتملة على قوله أنهم أصحاب النار (قوله الذين يحملون العرش مبتدأ) أى الاسم الوصول مبتدأ ويحملون صلته وقوله ومن حوله اسم الوصول معطوف على الوصول قبله وحوله صلته والتقدير والذين حوله وليس معطوفا على الضمير فى يحملون لايهامه أن من حوله حامل أيضا . واعلم أن حملة العرش أعلى طبقات الملائكة وأولهم وجودا وهم فى الدنيا أربعة وفى يوم القيامة ثمانية . ورد أن لكل ملك منهم وجه (٣) رجل ووجه أسد ووجه ثور

ووجه نسر وكل وجه من الأربعة يسأل الله الرزق لذلك الجنس ، ولكل واحد منهم أربعة أجنحة جناحان على وجهه مخافة أن ينظر إلى العرش فيتصدع وجناحان يصفى بهما فى الهواء . يروى أن أقدمهم فى تخوم الأرض السفلى والأرضون والسّموات إلى حوزهم

(مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ) (إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا) من أهل مكة (فَلَا يَفْرُرُكَ تَقَالِبُهُمْ فِي الْبِلَادِ) للمعاش سالمين فإن عاقبتهم النار (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ) كعاد وثمود وغيرهما (مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ) يقتلوه (وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا) يزيلوا (بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ) بالعقاب (فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ) لهم أى هو واقع موقعه (وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ) أى لأملأن جهنم الآية (عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ) بدل من كلمت (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ) مبتدأ (وَمَنْ حَوْلَهُ) عطوف عليه (يُسَبِّحُونَ) خبره (بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) ملاسین للحمد: أى يقولون سبحانه الله ومحمده (وَيُؤْمِنُونَ بِهِ) تعالى ببصائرهم: أى يصدقون بوحدانيته (وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا) ،

وردهم من خرق العرش وهم خشوع لا يرفعون أطرافهم وهم أشد خوفا من أهل السابعة وأهلها أشد خوفا من أهل السادسة وهكذا ، والعرش جوهرة خضراء وهو من أعظم المخلوقات خلقا ويكسى كل يوم ألف لون من النور (قوله ومن حوله) أى وهم الكروبيون سادات الملائكة . قال وهب : إن حول العرش سبعون ألف صنف من الملائكة صف خلف صف يطوفون بالعرش يقبل هؤلاء ويدبر هؤلاء يكبر فريق ويهمل فريق ، ومن وراء هؤلاء سبعون ألف صف قيام أيديهم إلى أعناقهم واضعين لها على عواتقهم فاذا سمعوا تكبير أولئك وتهليلهم رفعوا أصواتهم فقالوا : سبحانك اللهم وبحمدك ما أعظمك وأجلك أنت الله لا إله غيرك والخلق كلها إليك راجعون ومن وراء هؤلاء مائة صف من الملائكة قد وضعوا اليدين على اليسرى ليس منهم أحد إلا يسبح بتسبيح لا يسبحه الآخرايين جناحى أحدهم ثلثمائة عام وما بين شحمة أذن أحدهم إلى عاتقه أربع مائة (قوله أى يقولون سبحانه الله وبحمده) أى لما ورد أن حملة العرش يكونون يوم القيامة ثمانية أربع مائة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على علمك وحلمك ، وأربعة يقولون : سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك (قوله ببصائرهم) جواب عما يقال إن وصفهم بالتسبيح يغنى عن وصفهم بالإيمان فما فائدة ذكره عقبه . فأجاب بأن التسبيح من وظائف اللسان والإيمان من وظائف القلب فأفاد فائدة لم تكن فى الأول فذكره للاعتناء بشأنه (قوله ويستغفرون الذين آمنوا) أى يطلبون المغفرة لهم ، وحكمة طلبهم المغفرة لهم أنهم تكلموا فى بنى آدم حيث قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ، فلما وقع منهم ذلك أمرهم الله بالاستغفار لهم جبرا لما وقع منهم ، ففيه تنبيه على

أَنْ مِنْ تَكْلَامٍ فِي غَيْرِهِ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَهُ (قوله يقولون) أَيْ فِي كَيْفِيَةِ الْإِسْتِغْفَارِ لَهُمْ وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ الْمَقْدَرَةُ حَالٍ مِنْ ضَمِيرٍ يَسْتَغْفِرُونَ (قوله ربنا وسعت كل شيء الخ) قَدِمَ هَذَا بَيْنَ يَدَيِ الدَّعَاءِ تَوَاطُؤُهُ لِهَ لِلإِشَارَةِ إِلَى أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلإِنْسَانِ أَنْ يَدْعُو اللَّهَ تَعَالَى وَهُوَ مُوقِنٌ بِالإِجَابَةِ وَلَا يَتَرَدَّدُ فِي الدَّعَاءِ فَانْه مَانِعٌ مِنَ الإِجَابَةِ (قوله رحمة وعلماء) قَدِمَ الرَّحْمَةُ عَلَى الْعِلْمِ لِأَنَّ الْمَقَامَ لِلدَّعَاءِ وَالرَّحْمَةُ مَقْصُودَةٌ فِيهِ بِالذَّاتِ وَإِلَّا فَالْعِلْمُ سَابِقٌ عَلَيْهَا (قوله من الشرك) أَيْ وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِمْ ذُنُوبٌ (قوله واتبعوا سبيلك) أَيْ بِأَنْ آمَنُوا (قوله وقهم عذاب الجحيم) أَيْ اجْعَلْ يَنْفُسَهُمْ وَبَيْنَهُ وَقَابَةَ تَمْنَعُهُمْ مِنْهُ بِأَنْ تَوْفَقَهُمْ لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ (قوله ومن صلح من آبائهم الخ) أَيْ بِأَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ الْكُفْرِ فَيَدْخُلُ فِيهِ أَهْلُ الْفِتْرَةِ وَالْجَنُونَ (قوله وأزواجهم) أَيْ زَوْجَاتِهِمْ لَمَّا وَرَدَ إِذَا دَخَلَ الْمُؤْمِنُ الْجَنَّةَ قَالَ أَيْنَ أَبِي أَيْنَ أُمِّي أَيْنَ وَلَدِي أَيْنَ زَوْجَتِي؟ فَيَقَالُ إِنَّهُمْ لَمْ يَعْمَلُوا عَمَلَكُمْ، فَيَقُولُ: إِنِّي كُنْتُ أَهْمَلُ لِي وَلَهُمْ، فَيَقَالُ أَدْخُلُوهُمْ، فَإِذَا اجْتَمَعَ بِأَهْلِهِ فِي الْجَنَّةِ كَانَ أَكْمَلُ لِمَسْرُورِهِ وَلِقْدَانِهِ (قوله في وأدخلهم) أَيْ وَهُوَ أَوْلَى لِأَنَّهُ (٤) يَصْبِرُ الدَّعَاءُ لَهُمْ بِالدَّخُولِ صَرِيحًا بِخِلَافِهِ عَلَى وَعْدَتِهِمْ فَانْه ضَمْنِي (قوله وقهم

يَقُولُونَ) رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا (أَيْ وَسِعَ رَحْمَتُكَ كُلَّ شَيْءٍ وَعِلْمُكَ كُلَّ شَيْءٍ) (فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا) مِنَ الشَّرْكِ (وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ) دِينَ الْإِسْلَامِ (وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ) النَّارِ (رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ) إِقَامَةً (الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ) عَطْفٌ عَلَى هُمْ فِي وَأَدْخَلَهُمْ أَوْ فِي وَعْدَتِهِمْ (مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) فِي صَنْعِهِ (وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ) أَيْ عَذَابَهَا (وَمَنْ تَقَى السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ) يَوْمَ الْقِيَامَةِ (فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ مَنْ قَبْلَ الْمَلَائِكَةِ وَهُمْ يَمْقَتُونَ أَنْفُسَهُمْ عِنْدَ دُخُولِهِمْ النَّارِ (كَلَّمْتُ اللَّهَ) إِيَّاكُمْ (أَكْذَبُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ) فِي الدُّنْيَا (إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ) قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ (إِمَاتَيْنِ) (وَأَخَيَّرْنَا اثْنَتَيْنِ) إِحْيَاءَ تَيْنِ لِأَنَّهُمْ نَطَفَا أَمْوَاتٌ فَأَحْيَاوَاهُمْ أَمِيتُوهُمْ أَحْيَاوَاللَّبِثَ (فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا) بِكُفْرِنَا بِالْبَيْتِ (فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ) مِنَ النَّارِ وَالرَّجُوعِ إِلَى الدُّنْيَا لِنَطِيعَ رَبَّنَا (مِنْ سَبِيلٍ) طَرِيقٌ؟ وَجَوَابُهُمْ لَا (ذَلِكُمْ) أَيْ الْعَذَابُ الَّذِي أَتَمَّ فِيهِ (بِأَنَّهُ) أَيْ بِسَبَبِ أَنَّهُ فِي الدُّنْيَا (إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَخُدَّه كَفَرْتُمْ) بِتَوْحِيدِهِ (وَإِنْ يُشْرِكْ بِهِ) يَجْعَلُ لَهُ شَرِيكَ (تُؤْمِنُونَ) تَصَدَّقُوا بِالْإِشْرَاقِ (فَالْحُكْمُ) فِي تَعْذِيبِكُمْ (لِلَّهِ الْعَلِيِّ) عَلَى خَلْقِهِ (الْكَبِيرِ) الْعَظِيمِ (هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ) دَلَائِلُ تَوْحِيدِهِ (وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا) بِالْمَطَرِ (وَمَا يَتَذَكَّرُ) يَتَعَطَّ (إِلَّا مَنْ يَنْزِيبُ) يَرْجِعُ عَنِ الشَّرْكِ (فَادْعُوا اللَّهَ) اعْبُدُوهُ

السَّيِّئَاتِ) الضَّمِيرُ رَاجِعٌ لِلْآبَاءِ وَالْأَزْوَاجِ وَالذُّرِّيَّةِ (قوله يومئذ) التَّنْوِينُ عَوَاضٌ عَنْ جُمْلَةٍ مَأْخُودَةٍ مِنَ السِّيَاقِ وَالتَّقْدِيرُ يَوْمٌ إِذَا تَدَخَّلَ مِنْ تَشَاءِ الْجَنَّةِ وَمِنْ تَشَاءِ النَّارِ وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ (قوله وذلك) أَيْ مَا ذَكَرَ مِنَ الرَّحْمَةِ وَوَقَابَةِ السَّيِّئَاتِ (قوله إن الذين كفروا) شُرُوعٌ فِي ذِكْرِ أَحْوَالِ الْكُفَرَاءِ بَعْدَ وَقُولِهِمُ النَّارَ إِثْرِيَانِ أَنَّهُمْ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ (قوله وهم يَمْقَتُونَ أَنْفُسَهُمْ) أَيْ يَبْغِضُونَهَا وَيُظْهِرُونَ ذَلِكَ عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ فَيَقُولُ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ لِنَفْسِهِ: مَقْتُكَ يَا نَفْسِي، فَتَقُولُ

المَلَائِكَةُ لَهُمْ وَهُمْ فِي النَّارِ: لَقِيَ اللَّهُ إِيَّاكُمْ إِذْ أَتَمَّ فِي الدُّنْيَا وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكُمْ الرُّسُلَ فَلَمْ تُؤْمِنُوا أَشَدَّ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ (قوله لَمَقْتُ اللَّهَ) أَيْ بَغِضُهُ وَالْمَرَادُ لِأَنَّهُ هُوَ الْإِتْقَامُ وَالتَّعْذِيبُ لِأَنَّ حَقِيقَتَهُ مَحَالَةٌ فِي حَقِّهِ تَعَالَى (قوله لأنهم نطفوا أَمْوَاتٌ) كَذَا فِي بَعْضِ النُّسخِ بِنَصْبِ نَظْفَا عَلَى الْحَالِ وَالْمُنَاسِبُ أَنْ يَقُولَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا أَوْ خَلَقُوا نَظْفَا فَالْإِمَانَةُ إِعْدَامُ الْحَيَاةِ ابْتِدَاءً أَوْ بَعْدَ سَبْقِ الْحَيَاةِ (قوله ذلكم) مَبْتَدَأٌ وَبِأَنَّهُ خَبَرُهُ وَالضَّمِيرُ لِلشَّأْنِ (قوله فَاَلْحُكْمُ) اللَّهُ هَذَا مِنْ جُمْلَةٍ مَا يُقَالُ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ فِي تَعْذِيبِكُمْ وَأَمَّا قَوْلُهُ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَكَلَامٌ مُسْتَأْنَفٌ مُنْقَطِعٌ عَمَّا قَبْلَهُ وَيَصِحُّ أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ تَمًّا بِقَوْلِهِ وَإِنْ يُشْرِكْ بِهِ تَوْفُقُهُ وَقَوْلُهُ فَاَلْحُكْمُ اللَّهُ تَفْرِيعٌ عَلَى مَا نَقَّهْتُمْ كَأَنَّهُ قَالَ إِذَا عَلِمْتُمْ أَنَّ الْحَاقَّ فَرِيقَانِ مُؤْمِنُونَ وَكَفَّارٌ فَلَا تَعْتَرِضُوا قَانَ الْحُكْمِ اللَّهُ أَيْ الْقَضَاءُ بِأَنْ هُوَ لَاحِقٌ لِلْجَنَّةِ وَهُوَ لَاحِقٌ لِلنَّارِ وَحَدُّهُ الْمَوْصُوفُ بِكَوْنِهِ بِرَبِّهَا آيَاتِهِ فَيَعْتَبَرُ مَنْ يَشَاءُ فَيَهْتَدِي وَيَكْذِبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ فَيُضِلُّ (قوله وينزل لكم) أَيْ مِنْ أَجَالِكُمْ (قوله بالمطر) أَيْ بِسَبَبِهِ فَإِنَّ الْمَاءَ سَبَبٌ فِي جَمِيعِ الْأَرْزَاقِ كَمَا هُوَ مُشَاهَدٌ (قوله فادعوا الله) يُطْلَقُ الدَّعَاءُ عَلَى الطَّلَبِ حَقِيقَةً وَلَيْسَ مُرَادًا هُنَا بِاجْتِمَاعِ بَقَرِيَّةٍ مَأْقِبِلِهِ وَمَا بَعْدَهُ

وعلى العبادة مجازا كما هنا من باب تسمية الكل باسم جزئه لأن الدعاء جزء من أجزاء العبادة ، وصميت العبادة دعاء لأنه أعظم أجزائها لما في الحديث «الدعاء مخ العبادة» (قوله مخاصين) حال من فاعل ادعوا وأشار بذلك إلى أن الإنسان مأمور بالعبادة ظاهرا وبإخلاص قلبه من أنواع الشك والشرك الأكبر والأصغر فقوله من الشرك عام في الشرك الأكبر وهو الكفر والأصغر وهو الرياء (قوله ولو كره الكافرون) مبالغة فيما قبله أى عبدوه وأخلصوا له قلوبكم هذا إذا رضى الكافرون بذلك بل ولو كرهوا أو قاتلوكم وما نعوكم من عبادته (قوله أى الله عظيم الصفات) أشار بذلك إلى أن رفيع صفة مشبهة خبر لمحذوف أى هو منزّه في صفاته عن كل نقص ، وقوله أو رافع أشار به إلى أن فعيل صيغة مبالغة محولة عن اسم الفاعل (قوله يلقى الروح) أى الوحي ، سمي بذلك لأنه يسرى في القلوب كسريان الروح في الجسد ولذا كان لا يطرأ على النبي النسيان (قوله من أمره) بيان للروح أو حال منه أى قوله وقيل المراد بالأمر القضاء (قوله الملقى عليه) هو فاعل الانذار وهو كناية عن الموصول في قوله على من يشاء والمفعول الأول محذوف قدره المفسر بقوله الناس والمفعول الثانى هو قوله يوم التلاق (قوله يحذف الياء) أى وصلا ووقفا وقوله وثباتها أى وصلا ووقفا أو وصلا فقط فالقراءات ثلاث سبعيات (قوله لتلاق أهل السماء) علة لتسميته يوم التلاق (قوله يوم هم بارزون) بدل من يوم التلاق بدل كل من كل (٥) ويكتب يوم هنا وفي الداريات

في قوله : يوم هم على النار يفتنون منفصلا لأن هم مرفوع بالابتداء فيها فالمناسب القطع وأما في غير هذين المحلين نحو يومهم الذى يوعدون ، يومهم الذى فيه يصعقون فيكتب موصولا لأن هم مجرور فالمناسب وصله (قوله خارجون من قبورهم) أى ظاهرون لا يستترون بشىء لكون الأرض إذ ذاك قاعا صفصفا لما في الحديث «يحشرون حفاة عراة غرلا» (قوله لا يخفى

(مُخْصِيْنَ لَهُ الدِّينَ) من الشرك (وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) إخلاصكم منه (رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ) أى الله عظيم الصفات ، أو رافع درجات المؤمنين في الجنة (ذُو الْعَرْشِ) خالقه (بِذِي الرُّوحِ) الوحي (مِنْ أَمْرِهِ) أى قوله (قَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ) يخوف الملقى عليه الناس (يَوْمَ التَّلَاقِ) يحذف الياء وإثباتها يوم القيامة لتلاق أهل السماء والأرض والعايد والمعبود والظالم والمظلوم فيه (يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ) خارجون من قبورهم (لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ) لِمَنْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ؟ يقوله تعالى ويحيب نفسه (لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ) أى خلقه (الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) يحاسب جميع الخلق في قدر نصف نهار من أيام الدنيا لحديث بذلك (وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ) يوم القيامة من أزف الرحيل قرب (إِذِ الْقُلُوبُ) ترتفع خوفاً (لَدَى) عند (الْحَنَاجِرِ كَاطِمِينَ) ممتثلين غمّا حال من القلوب عوملت بالجمع بالياء والنون معاملة أصحابها (مَا لِلظَّالِمِينَ ،

على الله منهم شىء) الحكمة في تخصيص ذلك اليوم مع أن الله لا يخفى عليه شىء في سائر الأيام أنهم كانوا يتوهمون في الدنيا أنهم إذا استتروا بالحيطان مثلا لا يراهم الله وفي هذا اليوم لا يتوهمون هذا التوهم (قوله لمن الملك اليوم) هذه حكاية لما يقع من السؤال والجواب حينئذ وهو كلام مستأنف واقع في جواب سؤال مقدر كأنه قيل ماذا يكون حينئذ فقيل يقال لمن الملك الخ (قوله يقوله تعالى) قيل في القيامة كما ورد «يحشر الناس على أرض بيضاء مثل الفضة لم يعص الله عليها فيؤمر مناد ينادى لمن الملك اليوم فيقول العباد مؤمنهم وكافرهم لله الواحد القهار» فيقول المؤمنون هذا الجواب سرورا ولذا ويقوله الكافرون غمّا وانقيادا وخضوعا ، وقيل بين النفختين حين تنفخ جميع الخلائق ويبقى الله وحده فلا يرى غير نفسه فيقول لمن الملك اليوم فيجيب نفسه بعد أربعين سنة لله الواحد القهار لأنه بقى وحده وقهر خلقه (قوله اليوم تجزى كل نفس الخ) إما من تمة الجواب أو الحكاية ما يقوله الله تعالى عقب جواب الخلق (قوله لا ظلم اليوم) لانا فيه للجنس ظلم اسمها واليوم خبرها (قوله في قدر نصف نهار) أى ولا يشغله حساب أحد عن أحد بل كل إنسان يرى أنه هو المحاسب (قوله من أزف الرحيل) من باب تعب أى دنا وقرب (قوله إذ القلوب) بدل من يوم الآزفة والقلوب مبتدأ خبره لدى الحناجر وهو متعلق بمحذوف قدره يقوله ترتفع (قوله الحناجر) جمع حنجور كالحقوم وزنا ومعنى ، أو جمع حنجرة .

(قوله من حميم) من زائدة في المبتدأ (قوله ولا شفيع يطاع) أي يؤذن له في الشفاعة فيقبل (قوله إذ لا شفيع لهم أصلاً) أي لا مطاع ولا غيره (قوله أي لو شفيعوا الخ) تفسير للمفهوم على الوجه الثاني (قوله يعلم خائنة الأعين) خبر رابع عن المبتدأ الذي أخبر عنه برفيع وما بعده والاضافة على معنى من أي الخائنة من الأعين (قوله بمسارقتها النظر إلى محرم) ومن جملة ذلك الرجل ينظر إلى المرأة فإذا نظر إليه أصحابه غض بصره فإذا رأى منهم غفلة تدسس بالنظر فإذا نظر إليه أصحابه غض بصره (قوله وما تخفى الصدور) أي عن العباد من خبر وشر (قوله أي كفار مكة) تفسير للواو في يدعون (قوله بالياء والتاء) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله لا يتقضون بشيء) من باب التهكم بهم إذ الجهاد لا يوصف بقضاء ولا بغيرة (قوله إن الله هو السميع البصير) وعيد لهم على أفعالهم وأقوالهم أي فيجازيكم بها (قوله أولم يسيروا في الأرض) لما بالغ في تخويف الكفار بأحوال الآخرة أردفه بتخويفهم بأحوال الدنيا فقال أولم يسيروا الخ وقوله كيف كان عاقبة الخ كيف خبر كان مقدم وعاقبة اسمها والجملة في محل نصب على المفعولية وقوله كانوا الخ جواب كيف والواو اسم كان والضمير للفصل وأشد خبرها (قوله فينظروا) ويجوز أن يكون منصوباً في جواب الاستفهام (٦) وأن يكون مجزوماً نسقاً على ما قبله (قوله عاقبة الذين كانوا من قبلهم) أي حال

من قبلهم من الأمم المكذبة
لرسولهم كعاد ونود
وأضرابهم (قوله وفي قراءة
منكم) أي بالالتفات من
الغيبة إلى الخطاب (قوله
وآثاراً في الأرض) عطف
على قوة (قوله من مصانع)
أي أما كن في الأرض
تخزن فيها اللبأ كالصهاريج
(قوله وما كان لهم الخ)
لهم خبر كان مقدم وواق
اسمها مؤخر على زيادة من
ومن الله متعلق بواق
ومن فيه ابتدائية ومفعول
واق محذوف قدره بقوله
عذابه وكان للاستمرار

من حميم) محب (ولا شفيع يطاع) لا مفهوم للوصف إذ لا شفيع لهم أصلاً فما لنا من شافعين ، أوله
مفهوم بناء على زعمهم أن لهم شفعاء : أي لو شفيعوا فرضاً لم يقبلوا (يعلم) أي الله (خائنة الأعين)
بمسارقتها النظر إلى محرم (وما تخفى الصدور) القلوب (والله يقضي بالحق والذين يدعون)
يعبدون : أي كفار مكة بالياء والتاء (من دونه) وهم الأصنام (لا يتقضون بشيء) فكيف
يكونون شركاء لله (إن الله هو السميع) لأقوالهم (البصير) بأفعالهم (أولم يسيروا
في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم)
وفي قراءة منكم (قوة وآثاراً في الأرض) من مصانع وقصور (فأخذهم الله) أهلكهم
(بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق) عذابه (ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم
بالبينات) بالمعجزات الظاهرات (فكفروا فأخذهم الله إنه قوي شديد العقاب . ولقد
أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين) برهان بين ظاهر (إلى فرعون وهامان وقارون
فقالوا) هو (ساحر كذاب . فلما جاءهم بالحق) بالصدق (من عندنا قالوا اقتلوا أبناء
الذين آمنوا معه وأسحقوا) ،

من قبلهم من الأمم المكذبة
لرسولهم كعاد ونود
وأضرابهم (قوله وفي قراءة
منكم) أي بالالتفات من
الغيبة إلى الخطاب (قوله
وآثاراً في الأرض) عطف
على قوة (قوله من مصانع)
أي أما كن في الأرض
تخزن فيها اللبأ كالصهاريج
(قوله وما كان لهم الخ)
لهم خبر كان مقدم وواق
اسمها مؤخر على زيادة من
ومن الله متعلق بواق
ومن فيه ابتدائية ومفعول
واق محذوف قدره بقوله
عذابه وكان للاستمرار

استبقوا

أي ليس لهم واق أبداً (قوله ذلك) أي أخذهم بسبب أنهم كانت الخ (قوله ولقد

أرسلنا موسى الخ) شروع في ذكر قصة موسى مع فرعون وحكمة تكرارها وغيرها تسليته صلى الله عليه وسلم وزيادة في الاحتجاج
على من كفر من أمته (قوله وسلطان مبين) قيل المراد به نفس الآيات فالعطف مرادف وإنما التغاير باعتبار العنوانين وقيل المراد به
بعض الآيات وهو العصا واليد وحيث أن يكون من عطف الخاص على العام والنكتة الاعتناء بهما (قوله إلى فرعون وهامان وقارون)
حصرهم بالذكر لأنهم الرؤساء فان فرعون كان ملكاً وهامان وزيره وقارون صاحب الأموال والكنوز وإنما جمعه الله معهما لأنه
شاركهما في الكفر والتكذيب في آخر الأمر وإن آمن أولاً فان فعله آخر ادل على أنه مطبوع على الكفر كإبليس (قوله فقالوا)
نسبة القول لقارون باعتبار آخر الأمر (قوله هو ساحر) أشار بذلك إلى أن ساحر خبر المحذوف وكذاب عطف على ساحر والمعنى
ساحر فيما أظهر من المعجزات كذاب فيما ادعاه أنه من عند الله (قوله قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا الخ) أي أعبدوا عليهم ما كنتم
تفعلونه بهم فهذا القتل غير القتل الأول لأن فرعون بعد ولادة موسى أمسك عن قتل الأولاد فلما بعث الله موسى وعجز عن معارضة
أعداء القتل في الأولاد ليجتمع الناس من الأيمان وثلاثاً بكثر جمعهم فيكيده فأرسل الله عليهم أنواع العذاب كالضفادع والقمل والهم
والطوفان إلى أن خرجوا من مصر فأغرقهم الله تعالى وجعل كيدهم في نحورهم .

(قوله استبقوا نسائهم) أي بناتهم للخدمة (قوله هلاك) أي ضاع و بطلان لا يفي عنهم شيئا (قوله لأنهم كانوا يكفونه عن قتله) في حكمة منهم له عن قتله وجوه : أولها أن المانع له من قتله الرجل المؤمن الآتي ذكره فكان صاحب مير فرعون وكان يتحيل في منع فرعون من قتله . ثانيها أنهم منعوه من قتله احتقاراً له فكانوا يتولون إله ساحر ضعيف فإن قتلته قالت الداس إنهم قتلوه لعجزهم عن معارضته . ثالثها خوفهم على فرعون لأنهم كانوا يعلمون أنه إن تعرض لموسى بسوء أخذ حالاً رابعها يشتغل عنهم بمخاصمة موسى لأن شأن الملوك إذا لم يجدوا ما يشتغلون به تعرضوا لرعاياهم (قوله وليدع ربه) اللام للأمر وهو أمرنا عجيز في زعم فرعون (قوله فتتبعونه) المناسب أن يحذف النون (قوله وفي قراءة أو الخ) تحصل أن القراآت أربع سبعيات رفع الفساد ونصبه مع الواو أو أو (قوله وقال موسى إني عذت) بادغام الدال في التاء وإظهارها قراءتان سبعيتان (قوله من كل متكبر) لم يسم فرعون بل ذكره في ضمن المتكبرين لتعميم الاستعادة والتقبيح على فرعون أنه متكبر متجبر (قوله وقال رجل مؤمن) لما التجأ موسى إلى مولاه تعالى قبض له من يخاصم عنه هذا المعين (٧) قال ابن عباس : لم يكن من آل فرعون مؤمن غيره

وغير امرأة فرعون وغير المؤمنين الذي قال لموسى إن اللاء يأترون بك ليقتلوك الخ، وفي الحديث «الصديقون حبيب النجار مؤمن آل يس ومؤمن آل فرعون الذي قال أنقلون رجلاً أن يقول ربي الله والثالث أبو بكر الصديق وهو أفضلهم» وكان اسم الرجل حزقيل وقيل شمعان بفتح المعجمة بوزن سامان (قوله قيل هو ابن عمه) وقيل كان من بني إسرائيل يكتنم لإيمانه من آل فرعون (قوله أي لأن يقول الخ) أي لأجل هذا القول من غير

استبقوا (نسائهم) وما كيد الكافرين (إلا في ضلال) هلاك (وقال فرعون ذروني أقتل موسى) لأنهم كانوا يكفونه عن قتله (وليدع ربه) لينعمه مني (إني أخاف أن يبدل دينكم) من عبادتكم إياي فتتبعونه (وأن يظهر في الأرض الفساد) من قتل وغيره ، وفي قراءة أو ، وفي أخرى بفتح الياء والهاء وضم الدال (وقال موسى) لقومه وقد سمع ذلك (إني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب) وقال رجل مؤمن من آل فرعون قيل هو ابن عمه (يكنتم إيماناً أئقن أن رجلاً أن) أي لأن (يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات) المعجزات الظاهرات (من ربكم وإن يك كاذباً فعليه كذبه) أي ضرر كذبه (وإن يك صادقاً يصيبكم بما الذي يعدكم) به من العذاب عاجلاً (إن الله لا يهدي من هو مسرف) مشرك (كذاب) مفتر (يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين) غالبين حال (في الأرض) أرض مصر (فمن ينصروننا من بأس الله) عذابه إن قتلتم أوليائه (إن جاءنا) أي لناصر لنا (قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى) أي ما أشير عليكم إلا بما أشير به على نفسي وهو قتل موسى (وما أهدى لكم إلا سبيل الرشاد) طريق الصواب (وقال الذي آمن يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب) أي يوم حزب بعد حزب (مثل داب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم) مثل بدل من مثل قبله : أي مثل جزاء ،

تأمل وتفكر (قوله وقد جاءكم بالبينات) الجملة حالية من فاعل يقول (قوله بعض الذي يعدكم) أي إن لم يصيبكم كله فلا أقل من أن يصيبكم بعضه إن تعرضتم له بسوء (قوله إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب) هذا من الكلام الموجه إلى موسى وفرعون فالأول معناه أن الله هدى موسى إلى الاتيان بالمعجزات ومن كان كذلك فلا يكون مسرفاً كذاباً فموسى ليس بمسرف ولا كذاب والثاني معناه أن فرعون مسرف في عزمه على قتل موسى كذاب في ادعائه الألوهية وحينئذ فالله لا يهدي من هذا وصفه (قوله يا قوم لكم الملك الخ) أي فلا تفسدوا أمركم ولا تعرضوا لبأس الله بقتل هذا الرجل (قوله حال) أي من الضمير في لكم (قوله قال فرعون) أي بعد أن سمع تلك النصيحة ولم يقبلها (قوله أي ما أشير عليكم إلا بما أشير به على نفسي) أي فلا أظهر لكم أمراً أو كنتم عنكم غيره (قوله وما أهدى لكم إلا سبيل الرشاد) أي ما أدعوكم إلا إلى طريق الهدى (قوله أي يوم حزب بعد حزب) أشار بذلك إلى أن قوله يوم الأحزاب مفرد في معنى الجمع أي أيامها (قوله أي مثل جزاء الخ) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف .

(قوله عادة) تفسير الدأب . والمعنى جزاء الأمر الذي اعتادوه واستمروا عليه وهو كفرهم (قوله وما الله يريد ظلماً للعباد) أى فلا يعاقبهم بغير ذنب (قوله ويا قوم إني خائف عليكم الخ) لما خوفهم بالعذاب الدنيوى شرع يخوفهم بالعذاب الآخروى (قوله بحذف الياء) أى فى الوصل والوقف وقوله وإثباتها أى فى الوصل والوقف فالقراءات أربع سبعيات وهذا فى اللفظ وأما فى الخط فمحذوفة لاغير (قوله وغير ذلك) من جملته أن ينادى ألا إن فلانا سعد سعادة لايشقى بعدها أبداً ، وفلانا شقى شقاوة لايسعد بعدها أبداً ، وأن ينادى حين يذبح الموت : يا أهل الجنة خلود بلاموت ، ويا أهل النار خلود بلاموت ، وأن ينادى المؤمن : هاؤم اقرءوا كتابيه ، وينادى الكافر : ياليتنى لم أوت كتابيه ، وأن ينادى بعض الظالمين بعضاً بالويل والثبور ، فهذه الأمور كلها تقع فى هذا اليوم (قوله مدبرين عن موقف الحساب إلى النار) أى لأنهم إذا سمعوا زفير النار أدبروا هاربين فلا يأتون قطرا من الأقطار إلا وجدوا الملائكة صفوفاً فيرجعوا إلى مكانهم (قوله مالكم من الله) الجملة حالية وقوله من عاصم مبتداً ومن زائدة ومن الله متعلق بعاصم (قوله فماله من هادى) باثبات الياء وحذفها فى الوقف ، بحذفها فى الوصل مع حذفها (٨) فى الخط على كل حال (قوله واقد جاءكم يوسف الخ) المتبادر أنه من كلام

الرجل المؤمن وقيل من كلام موسى (قوله عمر إلى زمن موسى) هذا القول لم يوافقه عليه أحد من المفسرين لأن بين يوسف وموسى أربعمئة سنة فالصواب أن يقول عمر إلى زمن فرعون فان فرعون أدركه وعمر إلى أن أدرك موسى وعمر بوزن فرح ونصر وضرب وهو لازم ويتعدى بالتضعيف (قوله أو يوسف ابن إبراهيم) أى فيوسف هذا سبط يوسف بن يعقوب أرسله الله إلى

عادة من كفر قبلكم من تعذيبهم فى الدنيا (وما الله يريد ظلماً للعباد) ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد (بحذف الياء وإثباتها : أى يوم القيامة يكثر فيه بداء أصحاب الجنة أصحاب النار وبالعكس والنداء بالسعادة لأهلها وبالشقاوة لأهلها وغير ذلك (يوم تؤولون مدبرين) عن موقف الحساب إلى النار (ما لكم من الله) أى من عذابه (من عاصم) مانع (ومن يضل الله فماله من هادى . ولقد جاءكم يوسف من قبل) أى من قبل موسى وهو يوسف بن يعقوب فى قول عمر إلى زمن موسى ، أو يوسف بن إبراهيم بن يوسف ابن يعقوب فى قول (بالبينات) بالمعجزات الظاهرات (فما زلتم فى شك بما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم) من غير برهان (أن يبعث الله من بعده رسولا) أى فلن تزالوا كافرين بيوسف وغيره (كذلك) أى مثل إضلالكم (يضل الله من هو مشرف) مشرك (مرتاب) شك فيما شهدت به البينات (الذين يجادلون فى آيات الله) معجزاته مبتدأ (بغير سلطان) برهان (أنتم كبر) جدالهم خبر المبتدأ (مقتاً عند الله وعند الذين آمنوا كذلك) أى مثل إضلالهم (يطبع) يختم (الله) بالاضلال (على كل قلب متكبر جبار) بتقوين قلب ودونه ومتى تكبر القلب تكبر صاحبه وبالعكس وكل على القراءتين لعموم الضلال جميع القلب لا لعموم القلوب

(وقال)

القبط فأقام فيهم عشرين سنة نبيا (قوله فما زلتم فى شك) أى فما زالت أصولكم

(قوله أى فلن تزالوا كافرين بيوسف وغيره) أى بهذا دفعا لما يتبادر من ظاهر الآية أنهم كانوا مؤمنين بيوسف وندموا على فراقه بل كانوا كفارا به وانقيادهم له خوفا من سطوته بهم وطمعاً فى جاهه الدنيوى (قوله الذين يجادلون الخ) من كلام الرجل المؤمن وقيل ابتداء كلام من الله تعالى (قوله أناهم) صفة لسلطان (قوله خبر المبتدأ) هذا أحسن الأعراب فى هذا المقام وقوله مقتاً تمييز محوّل عن الفاعل أى كبر مقت جدالهم وعند ظرف لكبر ومقت الله إياهم سخطه وإزال العذاب بهم (قوله مثل إضلالهم) المناسب أن يقول مثل ذلك الطبع (قوله بتقوين قلب ودونه) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله ومتى تكبر القلب الخ) أشار بذلك إلى التوفيق بين القراءتين لأنه يلزم من انصاف القلب بالكبر انصاف الشخص به لأن القلب سلطان الأعضاء ففى فساد فسدت (قوله لعموم الضلال جميع القلب) أى جميع أجزائه فلم يبق فيه محل يقبل الهدى وهذا على خلاف القاعدة فى كل فان قاعدتها أنها إذا دخلت على نكرة مفردة أو مجموعة أو معرفة مجموعة تكون لعموم الأفراد ، وإذا دخلت على معرفة مفردة تكون لعموم الأجزاء ، وهذا قد دخلت على النكرة المفردة فكان حقها أن تكون لعموم الأفراد ،

وإنما أريد هذا المعنى وإن كان مخالفا للقاعدة للبالغة في وصول الضلال لقلوبهم ونسكنه منها (قوله وقال فرعون) أى معرضا عن كلام المؤمن (قوله بناء عاليا) أى مفردا طويلا ضخما وتقدمت قصته في سورة القصص (قوله طرقها) أى أبوابها الموصلة إليها وحكمة التكرار في أسباب التفتيح والتعظيم أن الشيء إذا أبهم ثم وضح كان أدخل في تعظيم شأنه (قوله عطفًا على أبلغ) أى فيكون داخلًا في حيز الترجى (قوله وبالنصب جوابا لابن) أى فهو منصوب بأن مضمرة بعد الفاء كقوله : يا ناق سبرى عنقا فسيحا إلى سليمان فستريحنا

وقيل إنه منصوب في جواب الترجى والقراءتان سبعيتان (قوله إلى إله موسى) أى أنظر إليه وأطاع على حاله (قوله تمويهها) أى تليسا وتخليطا على قومه وإلا فهو يعرف ويعتقد أن موسى صادق في جميع ما قاله (قوله وكذلك) أى مثل ذلك التزيين (قوله بفتح الصاد وضمها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله وقال الذى آمن) هو الرجل المؤمن وقيل المراد به موسى عليه السلام (قوله اتبعون) أى امثلوا ما أمركم به (قوله بإثبات الياء وحذفها) أى وهما سبعيتان وهذا في اللفظ وأما في الخط فهي محذوفة لا غير لأنها من يأت الزوائد (قوله تمتع يزول) أى تمتع قليل يسير لا بقاء له (قوله دار القرار) أى الثبات (٩) ولا تحوّل عنها (قوله من عمل

سنة) أى ولم يتب منها (قوله وهو مؤمن) الجملة حالية (قوله بضم الياء الخ) أى وهما سبعيتان (قوله يرزقون فيها بغير حساب) أى وما ورد من أن الحسنة بعشر أمثالها فهذا في ابتداء الأمر عند المحاسبة على الأعمال فإذا تم الحساب تفضل الله على عباده بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (قوله بلا تبعة) أى فزق أهل الجنة لا يتوقف على دفع

(وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَآمَانُ ابْنِ لِى صَرْحًا) ببناء عاليا (أَعْلَى أَبْلَغُ الْأَسْبَابِ. أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ) طرقها الموصلة إليها (فَأَطْلِعْ) بالرفع عطفًا على أبلغ وبالنصب جوابا لابن (إِلَى إِلَهٍ مُّوسَى وَإِنِّى لَأَظُنُّهُ) أى موسى (كَاذِبًا) فى أن له إلهًا غيرى قال فرعون ذلك تمويهًا (وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِّفِرْعَوْنَ سُوءِ عَمَلِهِ وَصَدٌّ عَنِ السَّبِيلِ) طريق الهدى بفتح الصاد وضمها (وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ) خسار (وَقَالَ الَّذِى آمَنَ يَأْقُومُ أَتَبْعُونَ) أى بإثبات الياء وحذفها (أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ) تقدم (يَأْقُومُ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ) تمتع يزول (وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِىَ دَارُ الْقَرَارِ. مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ) بضم الياء وفتح الخاء وبالعكس (يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ) رزقا واسعا بلا تبعة (وَيَأْقُومُ مَالِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِى إِلَى النَّارِ. تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِى بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ) الغالب على أمره (الْغَفَّارِ) لمن تاب (لَا جَرَمَ) حقا (أَتَمَّا تَدْعُونَنِى إِلَيْهِ) لأعبده (لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ) أى استجابة دعوة (فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَّرَدَّنَا) مرجعنا (إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُشْرِكِينَ) الكافرين (هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ. فَسَمِّدْ كُرُورًا) إذا عاينتم العذاب ،

من بل يتنعمون نعيمًا خاليا من العلل صفا من السكدر جعلنا الله من أهل الجنة بمنه وكرمه (قوله ويأقوم مالى أدعوكم الخ) أى بالواو في النداء الأول والثالث لأنه كلام مستقل مستأنف وتركها من الثانى لأنه من تعلقات الكلام الأول والعطف يقتضى المفارقة وقوله مالى أى أى شيء ثبت لى فما مبتدأ والجار والمجرور خبر عنه وقوله أدعوكم حال والاستفهام للتعجب ومحط العجب هو قوله وتدعوننى إلى النار كأنه قال اذهب من هذه الحال أدعوكم إلى النجاة والخير وتدعوننى إلى النار والشر (قوله تدعوننى لأكفر الخ) هذا بدل من قوله تدعوننى الأول بدل مفصل من مجمل (قوله ما ليس لى به) أى بوجوده والمراد نى العلوم من أصله (قوله وأنا أدعوكم) راجع لقوله أدعوكم إلى النجاة (قوله إلى العزيز الغفار) أى إلى عبادته وامتنال أوامره واجتثاب نواهيته (قوله لا جرم) لانا فيه وجرم فعل ماض بمعنى حق وقوله أتما تدعوننى فاعله والمعنى حق ووجب عدم استجابة دعوة الهتك (قوله حقا) مفعول محذوف دل عليه لاجرم والمعنى حق ماتدعوننى إليه حقا وهى كلمة فى الأصل بمنزلة لا بد ثم تحوّل إلى معنى القسم (قوله أتما تدعوننى) ما اسم موصول لحقها أن فصل من الثون وإنما وصلت بها تبعا للصنف (قوله أى استجابة دعوة) أى لاشفاعة لها دنيا ولا أخرى ، وقيل المعنى [٢ - صاوى - رابع]

ليست له دعوة إلى عبادته لأن الأصنام لا تدعى الربوبية ولا تدعو إلى عبادة نفسها وفي الآخرة تنبرأ من عبادها (قوله ما أقول لكم) أي من النصيحة (قوله لما توعدوه) أي ففر هاربا إلى جبل فأرسل فرعون خلفه ألفا ليقتلوه فوجدوه يصلي والوحوش صفوف حوله فأكلت السباع بعضهم ورجع بعضهم هاربا فقتله فرعون (قوله فوقاه الله سيئات ما مكروا) أي شدائد مكروهم وقد نجى الله تعالى ذاك الرجل مع موسى من الفرق أيضا (قوله قومهم معه) أي ولم يصرح به لأنه أولى منهم بذلك (قوله ثم النار) أتى ثم إشارة إلى أنه كلام مستأنف والنار مبتدأ وجملة يعرضون عليها خبره ، والمعنى تعرض أرواحهم من حين موتهم إلى قيام الساعة على النار لما روى « إن أرواح الكفار في جوف طير سود تغدو على جهنم وتروح كل يوم مرتين فذلك عرضها » (قوله و يوم تقوم الساعة) إما معمول لادخلوا أو لمحذوف تقديره يقال لهم يوم تقوم الساعة ادخلوا وعليه درج المفسر (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعة أيضا فعلى القراءة الأولى يكون المنادى على حذف ياء النداء وعلى الثانية يكون مفعولا لادخلوا (قوله) (١٠) عذاب جهنم) تفسير للأشد فانه أشد مما كانوا فيه لأن ذاك عرض وهذا

(مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفْوَضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ) قَالَ ذَلِكَ لَمَّا تَوَعَّدُوهُ بِخَالَفَتِهِ دِينَهُمْ (فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا) بِهِ مِنَ الْقَتْلِ (وَخَاقٍ) نَزَلَ (بِآلِ فِرْعَوْنَ) قَوْمِهِ مَعَهُ (سُوهُ الْعَذَابِ) الْفَرْقُ ، ثُمَّ (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا) يُحْرَقُونَ بِهَا (غُدُوًّا وَعَشِيًّا) صَبَاحًا وَمَسَاءً (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ) يُقَالُ (ادْخُلُوا) يَا (آلَ فِرْعَوْنَ) وَفِي قِرَاءَةِ الْهَمْزَةِ وَكَسْرِ الْخَاءِ أَمْرٌ لِلْمَلَائِكَةِ (أَشَدَّ الْعَذَابِ) عَذَابُ جَهَنَّمَ (وَ) اذْكَرُ (إِذْ يَتَحَاجُّونَ) يَتَخَاصَمُ الْكُفَّارُ (فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ الَّذِينَ أَسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا) جَمْعُ تَابِعٍ (فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ) دَافِعُونَ (عَنَّا نَصِيبًا) جِزَاءً (مِنَ النَّارِ) قَالَ الَّذِينَ أَسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ) فَادْخُلِ الْمُؤْمِنِينَ الْجَنَّةَ وَالْكَافِرِينَ النَّارَ (وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخِزْنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا) أَيِ قَدَرِ يَوْمٍ (مِنَ الْعَذَابِ) قَالُوا (أَيِ الْخِزْنَةِ نَهَكَ) أَوْ لَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ) بِالْمُعْجَزَاتِ الظَّاهِرَاتِ (قَالُوا بَلَى) أَيِ فَكْفَرُوا بِهِمْ (قَالُوا قَادُّوْهُمْ) أَنْتُمْ فَإِنَّا لَا نَشْفَعُ لَكَافِرٍ قَالَ تَعَالَى (وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ) انعدام (إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ) يَقُومُ الْأَشْهَادُ) جَمْعُ شَاهِدٍ وَهُمْ الْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ لِلرُّسُلِ بِالْبَلَاغِ وَعَلَى الْكُفَّارِ بِالتَّكْذِيبِ (يَوْمَ لَا يَنْفَعُ)

دخول واستيطان (قوله فيقول الضعفاء) تفصيل للتخاصم (قوله جمع تابع) تخدم وخادم (قوله دافعون) أشار بذلك إلى أن مغنون مضمن معنى دافعون فنصب نصيبا ، ويصح أن يضمن معنى حاملون ومن النار صفة لنصيبا (قوله إنا كل فيها) أي فلو استطعنا لدفعنا عن أنفسنا فكيف ندفع عنكم (قوله إن الله قد حكم بين العباد) أي فلا ينبغي أحد عن أحد شيئا (قوله وقال الذين في النار) أي من الضعفاء والمستكبرين جميعا حين حصل لهم اليأس من تحمل

بعضهم عن بعض (قوله لخزنة جهنم) أتى بالظاهر في محل الضمير تقييحا عليهم أو لبيان معاهم فيها (قوله يوما من العذاب) أي يخاف عنا شيئا من العذاب في يوم وقوله أي قدر يوم أشار بذلك إلى أنه لا في الآخرة ليل ولا نهار (قوله قالوا أولم تَكُنْ تَأْتِيكُمْ الْحُجَّةُ) المقصود من ذلك إلزامهم الحجة والتوبيخ على كفرهم (قوله قالوا) آتونا فكذبناهم ونقدمهم قبل الدخول ينكرون وبعده يقررون (قوله فانا لانشفع لكافر) أي لتختم خلوده في النار فالشفع لاتفيد شيئا (قوله انعدام) أي من الإجابة (قوله إنا لننصر رسنا) أي بالحجة والظفر على الأعداء وإن وقع لهم بعض امتناع فالعبرة بالعواقب وغالب الأمر (قوله و يوم يقوم الأشهاد) معطوف على قوله في الحياة الدنيا والمعنى ننصرهم في الدنيا والآخرة (جمع شاهد) أي ويصح أن يكون جمع شهيد قال تعالى - فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد - (قوله وهم الملائكة) أي والأولاد المؤمنون أما الملائكة فهم الكرام الكاتبون يشهدون بما شاهدوا وأما الأنبياء فانهم يحضرون يوم القيامة يشهدون على وأما المؤمنون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فمشهد على إلى الأبد يوم القيامة (قوله يوم لا ينفع) بدل من يوم الأول

(قوله بالياء والتاء) أى فهما سبعيتان (قوله لو اعتذروا) جواب عما قبل مقتضى الآية أنهم يذكرون أعذارهم إلا أنها لا تنفعهم وحيث يكون بينها وبين الآية الأخرى وهى ولا يؤذن لهم فيعتذرون تضاف فأجاب بأن معنى لو اعتذروا فرضا لا تنفعهم معذرتهم فهذه الآية على سبيل الفرض والتقدير (قوله ولقد آتينا موسى الهدى) هذا مرتب على قوله إنا لننصر رسالنا ولذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد فهذا من النصر الدنيوى الموصل للنصر الآخرى (قوله من بعد موسى) أى إلى نزول عيسى فكانه الله الانجيل ناسخا لبعض أحكام التوراة (قوله الكتاب) لم يعبر عنه في جانب بنى إسرائيل بالهدى كما عبر في جانب موسى إشارة إلى أنه لم يكن هدى لجميعهم بل هدى لمن آمن وصدق ووبال لمن طغى وكفر (قوله هاديا) أشار بذلك إلى أن هدى حال من الكتاب وكذا قوله وذكري (قوله فاصبر إن وعد الله حق) هذا نتيجة ما قبله أى إذا علمت أن الله ناصر لرسله في الدنيا والآخرة فاصبر حتى يأتيك النصر من ربك (قوله واستغفر لذنبك) أى اطلب المغفرة من ربك لذنبك والمقصود من هذا الأمر تعليم الأمة ذلك وإلا فرسول الله صلى الله عليه وسلم معصوم من الذنوب جميعا صغائر أو كبار قبل النبوة وبعدها على التحقيق لجميع الأنبياء وإلى هذا أشار المفسر بقوله ليستن بك (١١) أى يقتدى بك وأجيب أيضا

أن الكلام على حذف مضاف والتقدير واستغفر لذنب أمتك وإنا أضيف الذنب له لأنه شفيع لهم وأمرهم متعلق به فإذا لم يسع في غفرانه في الدنيا أتعبه في الآخرة قال تعالى - عزيز عليه ما عنتم - وكل هذا تشریف لهذه الأمة الحميدة فقد تشرفت بأمر: منها أن نبيا مأمورا بالاستغفار لها، ومنها صلاة الله وملائكته عليها وغير ذلك. وأجيب أيضا بأن المراد بالذنب خلاف الأولى وسمى

بالياء والتاء (الظالمين مَعذِرَتُهُمْ) عذرهم لو اعتذروا (وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ) أى العبد من الرحمة (وَلَهُمُ سُوءُ الدَّارِ) الآخرة: أى شدة عذابها (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى) التوراة والمعجزات (وَأَوْزَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ) من بعد موسى (الْكِتَابَ) التوراة (هُدًى) هاديا (وَذِكْرَى) لأولى الأبواب (تذكرة لأصحاب العقول) (فَاصْبِرْ) يا محمد (إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ) بنصر أوليائه (حَقٌّ) وأنت ومن اتبعك منهم (وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْبِكَ) ليستن بك (وَسَبِّحْ) صل متلبسا (بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ) وهو من بعد الزوال (وَالْإِبْكَارِ) الصلوات الخمس (إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ) القرآن (بِغَيْرِ سُلْطَانٍ) برهان (آتِيَهُمْ إِنْ) ما (فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ) تكبر وطمع أن يعلموا عليك (مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَمِذْ) من شرهم (بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ) لأقوالهم (الْبَصِيرُ) بأحوالهم، ونزل في منكرى البعث (خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) ابتداء (أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ) مرة ثانية وهى الإعادة (وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ) أى كفار مكة (لَا يَعْلَمُونَ) ذلك فهم كالأعمى ومن يعلمه كالبصير (وَمَا يَسْتَوِى الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ) لا (الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) وهو المحسن (وَلَا الْمُسِيءُ)،

ذنباً بالنسبة لمقامه من باب حسنات الأبرار سيئات القربين (قوله صل) إنما فسر التسبيح بالصلاة لقريظة قوله بعد بالعشى والابكار (قوله وهو من بعد الزوال) أى وفيه أربع صلوات الظهر والعصر والمغرب والعشاء وقوله والابكار أى وهو من الفجر إلى الزوال وفيه صلاة واحدة وهى الصبح فلذلك قال الصلوات الخمس (قوله إن الذين يجادلون في آيات الله بغير الحق) يعلن لتفصيل أن جدالهم ناشئ من الحقد الذى فى صدورهم وفيما تقدم بين عاقبة جدالهم وما أعد لهم فى نظيره (قوله بغير سلطان أنام) وصف كاشف إذ تستحيل المجادلة فى آيات الله بسلطان (قوله إن فى صدورهم) خبر إن (قوله ما هم بباليغ) هذا وعد حسن من الله تعالى بأن التكبر لا يبلغ ما أمله بكبره وإنما يجعل كيداً فى نحره (قوله فاستعذ بالله) أى تحصن بالله من كيدهم والتجىء إليه فى دفع مكرهم (قوله إنه هو السميع البصير) تعليل لما قبله (قوله خلق السموات الخ) أى سبعا طباقا على هذا الوجه الشاهد (قوله ابتداء) أى من غير سبق مثال (قوله أكبر) أى أعظم بحسب العادة وإلا فالكل بالنسبة إليه تعالى لا تفاوت فيه بين الصغير والكبير بدءا وإعادة (قوله ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أى والأقل يعلمه وهو من آمن (قوله فهم كالأعمى الخ) هذا نتيجة ما قبله وهو دخول على قوله وما يستوى الأعمى الخ (قوله ولا الذين آمنوا الخ) راجع للبصير وقوله ولا المسيء راجع لقوله الأعمى على سبيل اللف والنشر المشوش وهو من أنواع البلاغة.

(قوله فيه زيادة لا) أى للتوكيد لطول الكلام بالصلة (قوله قليلا ما يتذكرون) قليلا صفة لموصوف محذوف مفعول مطلق أى يتذكرون تذكرا قليلا وما زائدة لتوكيد القلة (قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أى تذكرم قليلا) هكذا بالنصب على الحال والخبر محذوف والتقدير يحصل حال كونه قليلا (قوله لا ريب فيها) أى لوضوح الأدلة على حصولها (قوله ولكن أكثر الناس لا يؤمنون بها) أى جحدا وعنادا والأقل يؤمنون لقيام الدليل العقلى والشرعى على أنه تعالى قادر على كل شيء وأخبر على السنة رسوله أنه كما بدأنا يعيدنا فلو جوز تخلفه للزم إما كذب خبره تعالى أو عجزه وكلاهما محال تنزه الله عنه (قوله وقال ربكم ادعوني أستجب لكم) الدعاء فى الأصل السؤال والتضرع إلى الله تعالى فى الحوائج الدنيوية والأخروية الجليلة والحقيرة ، ومنه ماورد « ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى فى شسع نعله إذا انقطع » وقوله أستجب لكم أى أجيبكم فيما طلبتم لما ورد « إذا قال العبد يا رب قال الله لبيك يا عبد » . إن قلت إن قوله أستجب لكم وعد بالإجابة ووعد لا يتخلف مع أنه مشاهد أن الإنسان قد يدعو ولا يستجاب له . أجيب بأن الدعاء له شروط فإذا تخلف بعضها تخلفت الإجابة : منها إقبال العبد بقلبه على الله وقت الدعاء بحيث لا يحصل فى قلبه غير ربه وأن لا يكون لمفاسد وأن لا يكون فيه قطيعة رحم وأن لا يستعجل الإجابة وأن يكون موقنا بها فإذا كان الدعاء بهذه الشروط كان حقيقا بالإجابة فاما أن يعجلها له وإما أن يؤخرها له فالإجابة على مراده تعالى وحينئذ فالذى ينبغي للإنسان أن يدعو الله تعالى ويفوض له الأمر فى الإجابة (١٢) ولذا ورد « مامن رجل يدعو الله تعالى بدعاء إلا استجيب له فاما أن

فيه زيادة لا (قَلِيلًا مَا يَتَذَكَّرُونَ) يتعظون بالياء والتاء أى تذكرم قليلا جداً (إِنَّ السَّاعَةَ لَأَتِيَةٌ لَا رَيْبَ شَكٍّ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ) بها (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) أى أعبدوني أثبتكم بقرينة ما بعده (إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ فِيْ فِتْنَةٍ يَخْضَوْنَ) بفتح الياء وضم الخاء وبالعكس (جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) صاغرين (اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا) إسناد الإبصار إليه مجازى لأنه يبصر فيه (إِنَّ اللَّهَ أَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ) الله فلا يؤمنون .

يعجل له فى الدنيا وإما أن يؤخر له فى الآخرة وإما أن يكفر عنه من ذنوبه بقدر مادها ما لم يدع باسم أو قطيعة رحم أو يستعجل قالوا يا رسول الله وكيف يستعجل ؟ قال يقول دعوت فما استجاب لى والدعاء من خصائص هذه الأمة لما حكى عن

كعب الأحبار قل : أعطيت هذه الأمة ثلاثا لم تعطهن أمة قباهم إلا نبى كان إذا أرسل نبى قبل له أنت شاهد على أمتك ، وقال تعالى لهذه الأمة - تكونوا شهداء على الناس - وكان يقال للنبي لبس عليك فى الدين من حرج ، وقال تعالى لهذه الأمة - وما جعل عليكم فى الدين من حرج - وكان يقال للنبي ادعنى أستجب لك ، وقال لهذه الأمة - ادعوني أستجب لكم - وقد يطلق الدعاء على مطلق العبادة مجازا من إطلاق الخاص وإرادة العام وهما تفسيران للدعاء هنا مشى المفسر على الثانى وعبر عنها بالدعاء إشارة إلى أن المقصود من العبادة الدل والخضوع والفقر والمسكنة والدعاء مشعر بذلك (قوله بقرينة ما بعده) أى وهو قوله إن الذين يستكبرون عن عبادى الخ فتحصل أن فى الآية تفسيرين أحدهما حقيقة والثانى مجاز اختار المفسر الثانى لوجود القرينة ويصح إرادة الحقيقة لأنهم الأصل (قوله بفتح الياء وضم الخاء) أى والقراءتان سبعيتان (قوله صاغرين) أى أذلاء فمن أنف واستكبر فى الدنيا لبس ثوب الذل فى الآخرة ، ومن تواضع وتذل فى الدنيا لبس ثوب العز والفخر فى الآخرة ، فباب الذل والانكسار من أعظم الأبواب الموصلة إلى الله تعالى لما حكى عن سيدى أحمد الرفاعى أنه قال : طرقت الأبواب الموصلة إلى الله تعالى فوجدت مزدحمة إلا باب الذل والانكسار . وورد أن داود سأل ربه فقال : ياربنا كيف الوصول إليك ؟ قال يا داود خل نفسك وتعال (قوله الله الذى جعل لكم الليل الخ) هذا من جملة الأدلة على باهر قدرته كأنه قال لا يليق منكم أن تنزكوا عباد من هذه أفعاله (قوله مجازى) أى على من إسناد الشيء إلى زمانه (قوله لذو فضل) أى جود وإحسان (قوله ولكن أكثر الناس) أى وهم الكفار وكان حقا على الناس جميعهم أن يشكروا الله تعالى ويوحّدوه .

(قوله ذلكم) الإشارة مبتدأ والله وربكم وخالق كل شيء ولا إله إلا هو أخبار أربعة له (قوله فأني تؤفكون) من الأفك بفتح الهمزة وهو الصرف أو ما الإفك بالكسر فهو الكذب (قوله كذلك يؤفك الخ) هذه تسليية له صلى الله عليه وسلم ، وللعنى لا تحزن يا محمد فلا خصوصية لأمتك بل من قبلهم كذلك (قوله أفك الدين) بضم الهمزة فعل ماض مبني للمجهول ، وأشار بذلك إلى أن المضارع بمعنى الماضي وأتى به مضارعاً استحضاراً للصورة الغريبة (قوله الله الذي جعل لكم الأرض قراراً) هذا من جملة أدلة توحيده (قوله قراراً) أى محل قرار أى سكون مع كونها في غابة الثقل لا تمسك لها إلا قدرة الله تعالى (قوله فأحسن صوركم) أى صوركم أحسن تصوير حيث جعلكم منتصبين القائمة بآدى البشرية متناسين الأعضاء تمشون على رجلين وجعل محل الواجهة من أعلى ومحل الأقدار من أسفل فسبحان الحكيم العليم (قوله ورزقكم من الطيبات) أى المثلذات ملبسا ومطعما ومركبا (قوله ذلكم) أى الفاعل لذلك كله واسم الإشارة مبتدأ والله وربكم خبران له (قوله هو الحي) أى الحياة الذاتية التي لا فناء لها ولا انقضاء (قوله اعبدوه) تقدم أنه أحد تفسيرين ويصح إرادة الآخر وهو السؤال والنصرع ، والمعنى إذا علمتم أن الله مالك الملك المتصرف فيه دون غيره فاسألوه في جميع ما تحتاجون لأن خير الدنيا والآخرة عنده دون غيره (قوله محاصن) حال وقوله الدين مفعول للمخلصين والمعنى غير مشركين غيره لا ظاهراً ولا باطناً (قوله الحمد لله رب العالمين) يحتمل أنه من كلام العباد فهو مقول لقول (١٣) محذوف حال والمعنى قائلين ذلك لما ورد عن ابن عباس

«من قال لا إله إلا الله ، فليقل على أثرها الحمد لله رب العالمين» فهو إشارة إلى أن العبد لا يؤجر على الحمد ولا يعتد به شكوراً إلا إذا كان موحداً ، وأما الكافر فعمله يذهب هباء منثوراً ، ويحتمل أنه مستأنف من كلامه تعالى تعليلاً لعباده كيفية الحمد (قوله قل إني نهيت الخ) أمر الله تعالى نبيه

(ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنى تُؤْفَكُونَ) فكيف تصرفون عن الإيمان مع قيام البرهان (كَذَلِكَ يُؤْفَكُ) أى مثل أفك هؤلاء أفك (الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ) معجزاته (يَجْحَدُونَ) اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً (سَقْفًا) وَهَوَّزَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ . هُوَ الْحَىُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ) أعبدوه (مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) من الشرك (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) قُلْ إِنى نُهَيْتُ أَنْ أُعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ) تعبدون (مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنى الْبَيِّنَاتُ) دلائل التوحيد (مِنْ رَبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ . هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ) بخلق أبيكم آدم منه (ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ) منى (ثُمَّ مِنْ عِلْقَةٍ) دم غليظ (ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا) بمعنى أطفالا (ثُمَّ) يبيقيكم (لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ) تكامل قوتكم من الثلاثين سنة إلى الأربعين (ثُمَّ لَتَكُونُوا شُيُوخًا) بضم الشين وكسرهما (وَمِنْكُمْ مَنْ يَتُوفى مِنْ قَبْلُ) أى قبل الأشد والشيخوخة ،

أن يخاطب قومه بذلك زجراً لهم حيث استمروا على عبادة غير الله بعد ظهور الأدلة العقلية والنقلية (قوله لما جاءنى) أى حين جاءنى (قوله دلائل التوحيد) الأدلة العقلية والنقلية (قوله وأمرت أن أسلم الخ) إمامن الاسلام بمعنى الانقياد أو بمعنى الخلوص وعلى كل فالمفعول محذوف تقديره على الأول أسلم أمرى له وعلى الثانى أخاص قلبى من عبادة غيره تعالى (قوله هو الذى خلقكم من تراب الخ) لما ذكر فيما تقدم من جملة أدلة توحيده أربعة أشياء من دلائل الآفاق وهى الليل والنهار والأرض والسماء وثلاثة من دلائل الأنفس وهى التصوير وحسن الصورة ورزق الطيبات ذكرها كيفية خلق الأنفس ابتداءً وانتهاءً (قوله بخلق أبيكم آدم الخ) أى فالكلام على حذف مضاف ويصح إبقاء الكلام على ظاهره باعتبار أن أصل النطفة الغذاء وهو ناشئ من التراب (قوله ثم من علقه) أى بعد مضى أربعين يوماً (قوله ثم يخرجكم طفلاً) أجل هنا فى المراتب وفصلها فى سورة المؤمنون فى قوله - ولقد خالقنا الإنسان من سلالة من طين - الخ أى فهنا حذف مرتبتين المضضة والعظم العارى عن اللحم (قوله بمعنى أطفالا) إنما أوله بالجمع لتحصل المطابقة بين الحال وصاحبها فإن طفلاً حال من الكاف فى يخرجكم فالحال مفردة لفظاً جمع معنى لأن لفظ الطفل يقع على الذكر والمؤنث والمفرد والجمع ، ومن ذلك قوله تعالى - أوالطفل الذين لم يظهروا - (قوله ثم يبيقيكم لتباغوا) أشار بذلك إلى أن قوله لتباغوا متعلق بمحذوف وهو معطوف على قوله يخرجكم (قوله ثم لتكونوا) معطوف على لتباغوا (قوله بضم الشين وكسرهما) أى فهما قراءتان سبعيتان .

(قوله فعل ذلك بكم لتعيشوا) قدره إشارة إلى أن قوله ولتباغوا معطوف على محذوف وهما علتان والمعلوم مانقده من الأفعال الصادرة منه تعالى (قوله وقتنا محدودا) أي وهو وقت الموت (قوله ولعلكم تعقلون) معطوف على قوله لتباغوا ويصح أن يكون معطوفا على محذوف تقديره فعل ذلك لتتدبروا ولعلكم تعقلون (قوله هو الذي يحيي ويميت) هذا نتيجة ما قبله وقوله فإذا قضى أمرا مرتب على مانقده والمعنى من ثبت أن هذه أفعاله علم أنه لا يعسر عليه شيء ولا يتوقف إلا على تعالى إرادته به (قوله بضم النون) أي على أنه خبر لمبتدأ محذوف أي فهو يكون (قوله وفتحها) أي فهو منصوب بأن مضمرة وجوبا بعد فاء السببية الواقعة في جواب الأمر والقراءتان سبعيتان (قوله عقب الإرادة التي هي معنى القول المذكور) والأوضح أن يقول وهذا القول المذكور كناية عن سرعة الإيجاد فالمعنى إن أراد إيجاد شيء وجد سريعا من غير توقف على شيء وإلا فكلام المفسر يقتضي أن معنى الآية فإذا أراد إيجاد شيء فأنما يريد إيجادها فيوجد وهذا لا معنى له (قوله ألم تر إلى الذين يجادلون الخ) هذا تعجب من أحوالهم الشنيعة (١٤) وبيان لعاقبة أمرهم (قوله الذين كذبوا) إما بدل من الموصول قبله فهو

فعل ذلك بكم لتعيشوا (وَلْتَبَاغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى) وقتنا محدودا (وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) دلائل التوحيد فتؤمنون (هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قُضِيَ أَمْرًا) أراد إيجاد شيء (فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) بضم النون وفتحها بتقدير أن: أي يوجد عقب الإرادة التي هي معنى القول المذكور (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ) القرآن (أَنَّى) كيف (يُضْرَفُونَ) عن الإيمان (الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ) القرآن (وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا) من التوحيد والبعث وهم كفار مكة (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) عقوبة تكذيبهم (إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ) إذ بمعنى إذا (وَالسَّلَاسِلُ) عطف على الأغلال فتكون في الأعناق أو مبتدأ خبره محذوف أي في أرجلهم أو خبره (يُسْحَبُونَ) أي يجرون بها (فِي الْحَمِيمِ) أي جهنم (ثُمَّ فِي النَّارِ يَسْجَرُونَ) يوقدون (ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ) تبكيثا (أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ) مِنْ دُونِ اللَّهِ) معه وهي الأصنام (قَالُوا ضَلُّوا) غابوا (عَنَّا) فلا تراهم (بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا) أنكروا عبادتهم إياها ثم أحضرت قال تعالى: إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم: أي وقودها (كَذَلِكَ) أي مثل إضلال هؤلاء المكذبين (يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ) ويقال لهم أيضا (ذَلِكَ) العذاب (بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ) من الإشراك وإنكار البعث (وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ) تتوسعون في المعاصي ،

في محل جر أو في محل نصب أو رفع على الهمزة (قوله من التوحيد) أي وسائر الكتب والشرائع (قوله إذ بمعنى إذا) جواب عما يقال إن سوف للاستقبال وإذا للماضي وحينئذ فلا يصح تعلق الماضي بالمستقبل فأجاب بأنها مستعملة في الاستقبال مجازا والسوغ الإشارة إلى أن هذا الأمر محقق وواقع (قوله عطف على الأغلال) أي وقوله في أعناقهم خبر عنهما (قوله أو مبتدأ الخ) أي وجملة يسحبون حال من الضمير المستكن في الظرف أو مستأنفة واقعة

في جواب سؤال مقدر كأنه قيل فساد حالهم وقيل يسحبون في الحميم (قوله أو خبره يسحبون) (ادخلوا) أي وعليه ذال رابط محذوف قدره بقوله بها فتحصل أن المعنى أن الأغلال والسلاسل تكون في أعناقهم ويسحبون في جهنم على وجوههم وهذا على الاعرابين الأولين وعلى الثالث فالمعنى أن الأغلال في أعناقهم والسلاسل في أرجلهم ويسحبون في جهنم وكل صحيح (قوله أي جهنم) وقيل الحميم الحار (قوله يسحبون) أي يعذبون بأنواع العذاب (قوله ثم قيل لهم) التعبير بالماضي لتحقق الوقوع (قوله أين ما كنتم) ترسم أين مفصولة من ما (قوله وهي الأصنام) تفسير لما (قوله بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا) هذا في أول الأمر يتبرءون من عبادة الأصنام لرجاء أنه ينفعهم فهو إضراب عن قوله ضلوا عنا وهذا قبل أن تقرن بهم آلهتهم (قوله ثم أحضرت) جواب عما يقال إن حمل الآية على هذا الوجه يخالف قوله تعالى إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون فأجاب بأنهم أولا أضل عنهم آلهتهم ويتبرءون ثم تحضر وتقرن بهم (قوله ويقال لهم أيضا) أي توسعوا (قوله تتوسعون في المعاصي) أي تظهرون السرور في الدنيا بالمعصية وكثرة المال وضياعه في المحرمات فالمرح شدة الفرح وهو وإن كان ذما في الكفار يجر بذيله على كل من توسع في معاصي الله فله من هذا الوعيد نصيب .

(قوله ادخلوا أبواب جهنم) عطف على قوله ذلكم الخ داخل في حيز القول المقدّر (قوله فبئس متوى المتكبرين) لم يقل فبئس مدخل المتكبرين لأن الدخول لا يدوم وإنما يدوم المتوى ولذا خصه بالدم (قوله فاصبر إن وعد الله حق) هذا تسليّة من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ووعد حسن بالتصرّله على أعدائه (قوله بعذابهم) أى وسعى وعدا بالنظر لكونه نصرا للنبي فهو في الحقيقة وعد ووعد (قوله فيه) خبر مقدم وإن الشرطية مبتدأ مؤخر وقوله مدغمة حال من إن ولم يذكر المدغم فيه وهو ما الزائدة وقوله تؤكد معنى الشرط أى التعليق بقوله أول الفعل حال من ما الزائدة والمعنى حال كونها واقعة في أول فعل الشرط وقوله والنون تؤكد أى تؤكد الفعل لحذف المؤكد بالفتح وقوله آخره حال من النون أى حال كونها واقعة في آخر الفعل فتحصل أن هنا مؤكدين بالكسر وهما ما والنون ومؤكدين بالفتح وهما التعليق وفعل الشرط (قوله بعض الذى نعدهم) مفعول نرينك الثانى والكاف مفعول أول (قوله وجواب الشرط) أى الأول (قوله أو تتوفينك) عطف على قوله نرينك (قوله فالجواب المذكور للمعطوف فط) أى ولا يصح أن يكون جوابا عن الأول لأن من العاوم أن جواب الشرط مسبب عن فعله ولا يحسن أن يكون انتقام الله منهم فى الآخرة مسببا عن رؤية النبي صلى الله عليه وسلم تعذيبهم فى الدنيا وفى الحقيقة قوله فإلينا يرجعون دليل الجواب والجواب محذوف أيضا والتقدير فلا يفوتهم (قوله واقد أرسلنا رسلا من

(١٥)

قبلك الخ) هذا تسليّة له صلى الله عليه وسلم كأن الله تعالى يقول له إنا قد أرسلنا قبلك رسلا وآتيناهم معجزات وجادلهم قومهم وصبروا على أذاهم فتأسّ بهم وقوله رسلا المراد بهم ما يشمل الأنبياء (قوله منهم من قصصنا عليك) أى ذكرنا لك قصصهم وأخبارهم فى القرآن وهم خمسة وعشرون (قوله ومنهم من لم نقصص عليك) أى لم نذكر لك قصصهم فى القرآن تخفيفا

(أَدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى) مَأْوًى (الْمُتَكَبِّرِينَ . فَاصْبِرْ . إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ) بعذابهم (حَقٌّ فَإِمَّا نُرَبِّيكَ) فيه إن الشرطية مدغمة وما زائدة تؤكد معنى الشرط أول الفعل والنون تؤكد آخره (بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ) به من العذاب فى حياتك وجواب الشرط محذوف : أى فذاك (أَوْ نَتُوفِّيَنَّكَ) قبل تعذيبهم (فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ) فنعذبهم أشد العذاب فالجواب المذكور للمعطوف فقط (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ) روى أنه تعالى بعث ثمانية آلاف نبي أربعة آلاف من بنى إسرائيل ، وأربعة آلاف من سائر الناس (وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ) منهم (أَنْ يَأْتِيََ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) لأنهم عبيد مربوبون (فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ) بنزول العذاب على الكفار (قُضِيَ) بين الرسل ومكذبيها (بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ) أى ظهر القضاء والخسران للناس وهم خاسرون فى كل وقت قبل ذلك (اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ) قيل الإبل خاصة هنا والظاهر والبقر والغنم ،

ورحمة بأمّتك لئلا يعجزوا عن حفظه وبهذا التقدير مدح مقدّم يتوهم أن النبي صلى الله عليه وسلم مساو لأمته فى عدم علم ماعدا الحسة والعشرين فتحصل أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يخرج من الدنيا حق علم جميع الأنبياء تفصيلا كيف لا وهم مخلوقون منه وصلوا خلفه ليلة الاسراء فى بيت المقدس ولكنه من العلم المكتوم وإنما ترك بيان قصصهم للأمة رحمة بهم فلم يكلفهم إلا بما يطيقون (قوله روى) فى عبارة غيره قيل والصحيح ما روى عن أبي ذر قال «قلت يا رسول الله كم عدّة الأنبياء قال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا الرسل من ذلك ثمانمائة وخمسة عشر جمعا غفيرا» (قوله وما كان لرسول) أى ماصح وما استقام (قوله إلا بإذن الله) أى بإرادته (قوله مربوبون) أى مملوكون والمملوك لا يستطيع أن يأتي بأمر إلا بإذن سيده وهذا رد على قریش حيث قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل لنا الصفا ذهباً وغير ذلك مما تقدم تفصيله فى سورة الاسراء (قوله فإذا جاء أمر الله) أى حكمه وقضاؤه والمعنى ظهر وبرز حكمه بنزول العذاب بهم (قوله وخسر هنالك المبطلون) الحكمة فى ختم هذه الآية بالمبطلون وختم السورة بالكافرون أنه ذكر هنا الحق فكان مقابله بالباطل أنسب وهناك ذكر الإيمان فكان مقابله بالكفر أنسب (قوله أى ظهر القضاء الخ) دفع بذلك ما يقال إنهم خاسرون من قبل يوم القيامة فأجاب بأن المراد ظهر الأمر الذى كان مخفيا (قوله قيل الإبل خاصة) أى لأنها هى التى يوجد فيها جميع المنافع الآتية .

(قوله لتركبوا منها الخ) هذه الآية نظير قوله تعالى في النحل والأنعام خلقها لكم فيها دفء الآية (قوله وعليها في البر الخ) أفرد الخ عما قبله لكونه مزية عظيمة وقرن بينها وبين الفلك لما بينهما من شدة المناسبة حتى سميت الابل سفائن البر وعبر بالاستعلاء هنا في جانب الفلك وفي قصة نوح عبر بالظرفية حيث قال تعالى: وقال اركبوا فيها لما قيل إن سفينة نوح كانت مغطاة فظاهرها كباطنها فالخاق مظروفون فيها وما عداها فالشأن فيها أنها غير مغطاة فالخلق على ظاهرها (قوله فأى آيات الله الخ) أى منصوب بتذكرون قدم لكونه له صدر الكلام (قوله وتذكروا أى أشهر من تأنيثه) أى فلم يقل أية آيات الله وذلك لأن التفرقة في الأسماء الجامدة بين المؤنث والمذكر غريب وهى فى أى أغرب لابهامها (قوله أفلم يسيروا) الهمزة داخلية على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير أعجزوا فلم يسيروا الخ والاستفهام إنكارى وتقدم نظيره غير مرة (قوله كانوا أكثر

منهم) كلام مستأنف مبين لمبدأ أحوالهم وتوقعها (قوله وآثارا) عطف على قوة (قوله من مصانع) أى أما كن تخزن فيها المياه كالصهاريج (قوله والقصور) أى الأماكن المرتفعة (قوله فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) ما الأولى نافية أو استفهامية والثانية موصولة أو مصدرية (قوله فرح استهزاء) أى سخرية حيث لم يأخذه بالقبول ويبتلوا أمر الله ويحجبوا نواهيته يدل على هذا المعنى قوله: وحق بهم ما كانوا به يستهزمون (قوله أى العذاب) أى فكانوا يعدونهم به لو لم يؤمنوا فيستهزئون بالعذاب الموعود به قال

(لَتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ . وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ) من الدر والنسل والوبر والصوف (وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ) هى حمل الأثقال إلى البلاد (وَعَلَيْهَا) فى البر (وَعَلَى الْفُلْكِ) السفن فى البحر (تُحْمَلُونَ . وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ) الدالة على وحدانيته (تُنْكِرُونَ) استفهام توبيخ ، وتذكير أى أشهر من تأنيثه (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ) من مصانع وقصور (فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ . فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ) المعجزات الظاهرات (فَرِحُوا) أى الكفار (بِمَا عِنْدَهُمْ) أى الرسل (مِنْ الْعِلْمِ) فرح استهزاء وضحك منكرين له (وَحَاقَ) نزل (بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) أى العذاب (فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا) أى شدة عذابنا (قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ . فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ) نصبه على المصدر بفعل مقدر من لفظه (الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ) فى الأمم أن لا ينفعهم الإيمان وقت نزول العذاب (وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ) تبين خسرانهم لكل أحد وهم خاسرون فى كل وقت قبل ذلك .

(سورة حم السجدة)

مكية ثلاث وخمسون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . حَمْدَ) الله أعلم بمراده به (تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) مبتدأ (كِتَابٌ) خبره (فُصِّلَتْ آيَاتُهُ) ،

بينت

تعالى حكاية عن أهل مكة : وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك الآية (قوله المما رأوا بأسناء) أى فى الدنيا (قوله بفعل مقدر من لفظه) أى والتقدير سن الله تعالى بهم سنة من قبلهم (قوله التى قد خلت) أى مضت وسبقت (قوله وخسر هنالك الكافرون) أى وقت رؤيتهم العذاب (قوله تبين خسرانهم) أى ظهر ما كان خافيا وهو جواب عن سؤال مقدر كالذى قبله .

[سورة فصات] مبتدأ وثلاث وخمسون آية خبر أول ومكية خبر ثان وتسمى أيضا سورة حم السجدة وسورة المصاييح وسورة السجدة (قوله الله أعلم بمراده به) تقدم غير مرة أن هذا القول أسلم (قوله من الرحمن الرحيم) خص هذين اليمين إشارة إلى أن نزول القرآن من أكبر النعم ولا شك أن النعم من مظهر تجلى الرحمة فالقرآن نعمة باقية إلى يوم القيامة (قوله مبتدأ) أى وسوغ الابتداء به عمله فى الجار والمجرور بعده على حد : ورغبة فى الخبر خبر (قوله كتاب خبره) أى وفصلت آياته نعت للخبر .

(قوله بينت بالأحكام) أي صبرت ووضعت لفظاً ومعنى فاللفظ في أعلى طبقات البلاغة معجز لجميع الخلق ، والمعنى كالوعيد والوعيد والقصاص والأحكام وغير ذلك من المعاني الخفية ، فإذا تأملت في القرآن تجد بعض آياته متعلقاً بذات الله وصفاته بعضها متعلقاً بمجائب خلقه من السموات والأرض وما فيها ، وبعضها متعلقاً بالمواعظ والنصائح وغير ذلك . قال البوصيري في ذلك المعنى : فلا تعد ولا تحصى عجائبها ولا تأسى على الإكثار بالسأم

(قوله حال من كتاب) أي كل من قرأنا وعربياً فتكون حلاً مؤسدة ويصح أن يكون الحال لفظ قرأنا وعربياً بصفته (قوله بصفته) أي الكتاب ، والمعنى أن السؤج لمجيء الحال منه مع كونه نكرة وصفته بما بعده (قوله متعلق بفصلت) أي والمعنى بينت ووضعت لهؤلاء (قوله يفهمون ذلك) أي تفاصيل آياته (قوله وهم العرب) أي إنما خصوا بالذكر لأنهم يفهمونها بلا واسطة لكون القرآن نزل بلغتهم ، وأما غيرهم فلا يفهم القرآن إلا بواسطة (قوله صفة قرأنا) ويصح أن يكون حالين من كتاب وهذا على قراءة الجمهور وقرئ بالرفع شذوذاً على أنه خبر لمحذوف أي هو بشر وندبر أو نعت لكتاب (قوله فأعرض أكثرهم) أي تكبروا وضنادوا واستفيد منه أن الأقل لم يعرض بل خضع وانقاد وآمن وذلك كأي بصر وأضرابه (قوله وقالوا) معطوف على فأعرض وقوله قلوبنا في أكنة جمع كنان وهو ما يجعل فيه السهام ويسمى جعبة بفتح الجيم ويجمع على جباب (قوله مما تدعوننا إليه) ما واقعة على التوحيد والفعل مرفوع بضمه مقترنة على الواو والفاعل مستتر تقديره أنت ونامفعوله (قوله وفي آذاننا وقر) شبهوا أسماعهم بآذان فيها (١٧) صمم من حيث إنها تمج الحق ولا تميل إلى استماعه (قوله ومن بيننا وبينك حجاب) من لا ابتداء الغاية ، والمعنى أن الحجاب ناشئ من جهتنا فلا نستطيع التوصل لما عندك والحجاب ناشئ من جهتك فلا نستطيع التوصل لما عندنا فنحن معذورون

بينت بالأحكام والقصص والمواعظ (قُرْآنًا عَرَبِيًّا) حال من كتاب بصفته (لِقَوْمٍ) متعلق بفصلت (يَعْلَمُونَ) يفهمون ذلك وهم العرب (شيراً) صفة قرأنا (وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ) سماع قبول (وَقَالُوا) للنبي (قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ) أغطية (مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ) ثقل (وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ) خلاف في الدين (فَاعْمَلْ) على دينك (إِنَّا عَامِلُونَ) على ديننا (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ) بالآيمان والطاعة (وَأَسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ) كلة عذاب (لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ) تأكيد (كَافِرُونَ)

في عدم اتباعك لوجود المانع من جهتها ومن جهتك (قوله خلاف) أي مخالفة في الدين (قوله فاعمل على دينك) أي استمر عليه وقوله : إِنَّا عَامِلُونَ أي مستمرون على ديننا (قوله قل إنما أنا بشر مثلكم) هذا رد لما زعموا من الحجاب كأنه قال دعواكم الحجاب باطل لا أصل لها لأنني بشر من جنسكم تعرفون حالى وطبى وأعرف حالكم وطبعكم فليست مغايراً حتى يكون بيني وبينكم حجاب وتباين واستبداع لكم إلى شئ لا تقبله العقول والأسماع بل أنا داع لكم إلى توحيد خالقكم وموجدكم الذى قامت عليه الأدلة العقلية والنقلية (قوله فاستقيموا إليه) ضمنه معنى توجهوا فعداه ما إلى (قوله واستغفروه) أي مما أنتم عليه من سوء العقيدة وفيه إشارة إلى أن الاستقامة لا تتم إلا بالاستغفار والندم على ماضى بحيث يكره أن يعود للكفر كما يكره الوقوع في النار (قوله وويل للمشركين) مبتدأ وخبره وسوغ الابتداء به قصد الدعاء (قوله الذين لا يؤتون الزكاة) إنما خصت منع الزكاة وقرنه بالكفر بالآخرة لأن المال أخو الروح فإذا بذله الإنسان في سبيل الله كان دليلاً على قوته وثباته في الدين قال تعالى : ومن الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتاً من أنفسهم الخ أي يثبتون أنفسهم ، ولذا كان صلى الله عليه وسلم يؤلف حديث العهد بالإيمان بالمال ، وقائل أبو بكر ماني الزكاة بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ، ففي هذه الآية تخويف وتحذير للمؤمنين من منع الزكاة وتحضيض على أدائها ، وقال ابن عباس : هم الذين لا يقولون لا إله إلا الله وهي زكاة الأنفس ، والمعنى لا يظهرون أنفسهم من الشرك بالتوحيد . فان قلت على تفسير الجمهور بشكل بأن الآية مكية والزكاة فرضت بالمدينة فلم يكن هناك أمر بالزكاة حتى يذم مانعها . والجواب أن المراد بالزكاة صرف المال في مرضى الله تعالى .

(قوله إن الدين آمنوا وعملوا الصالحات الخ) ذكر تعالى وعبد المؤمنين إثر وعيد المشركين جريا على عادته سبحانه وتعالى في كتابه (قوله غير ممنون مقطوع) أي بل هو دائم مستمر بدوام الله ، وهذا أحد تفاسير في هذه الآية ، وقيل غير منقوص ، وقيل غير ممنون به عليهم فلا يعتد بالله ولا ملائكته عليهم النعم في الجنة ويطالبهم بشكرها لانتطاع التكليف بالموت ، وأيضا نفوس أهل الجنة مطهرة فلا تزال تشكر الله تعالى وإن كان غير مطلوب منهم تقديرا وفرحا بنعم الله تعالى ولأن الجنة دار ضيافة مولانا تعالى والكريم لا يعتد نعمه على أضيافه (قوله قل أن أنكم) قدم الاستفهام على التأكيد لأن له صدر الكلام وهو استفهام إنكار وتشنيع وإن واللام لتأكيد الإنكار ، والمعنى أنتم تعلمون أنه لا شريك له في العالم العلوي والسفلي فكيف تجعلون له شريكا ٢١ (قوله) وإدخال ألف الخ (المناسب أن يقول وتركه لأن القراءات السبعية هنا أربع لا اثنتان كما يوحى كلامه (قوله في يومين) قال ابن عباس : إن الله سبحانه وتعالى خلق يوما فسماه يوم الأحد ثم خلق ثانيا فسماه الاثنين ثم خلق ثالثا فسماه الثلاثاء ثم خلق رابعا فسماه الأربعاء ثم خلق خامسا فسماه الخميس ، خلق الأرض يوم الأحد والاثنين ، وخلق الجبال يوم الثلاثاء وخلق مواضع الأنهار والشجر والقرى يوم الأربعاء ، وخلق الطير والوحوش والسباع والحوام والآفات يوم الخميس ، وخلق الإنسان يوم الجمعة ، وفرغ من الخلق يوم السبت ، وهذا هو الصحيح وقد مشى عليه المفسر ، وقيل إن مبدأ الخلق السبت (قوله وتعملون له أندادا) عطف على تكفرون عطف سبب على مسبب (قوله ذلك رب العالمين) اسم الإشارة عائد على الموصول وآتى بالخطاب مفردا إشارة إلى أن المخاطب (١٨) فرد غير معين (قوله وجمع الخ) جواب عما يقال إنه اسم جنس

إِنَّ الدِّينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (مَقْطُوعٌ) (قُلْ أَتِنَكُم) بِتَحْقِيقِ
الهمزة الثانية وتسهيلا وإدخال ألف بينها بوجهيها وبين الأولى (لَتَكْفُرُنَّ بِالَّذِي خَلَقَ
الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ) (الأحد والاثنين) (وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا) شركاء (ذَلِكَ رَبُّ)
مَالِكِ (الْعَالَمِينَ) جمع عالم وهو ماسوي الله وجمع لاختلاف أنواعه بالياء والنون تغليبا للعقلاء
(وَجَعَلَ) مستأنف ولا يجوز عطفه على صلة الذي للفصل الأجنبي (فِيهَا رَوَامِي) جبالا
نوابت (مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا) بكثرة المياه والزروع والضروع (وَقَدَّرَ) قسم (فِيهَا
أَقْوَاتَهَا) للناس والبهائم (فِي) تمام (أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ) أي الجعل وما ذكر معه ،

إلى صدق على كل ماسوي
الله والجمع لا بد أن يكون
له أفراد ثلاثة فأكثر .
فأجاب بأنه جمع باعتبار
أنواعه (قوله بالياء
والنون) إشارة لسؤال
آخر فلو آتى بالواو لكان
أوضح . وحاصل هذا
السؤال أن هذا الجمع
خاص بالعقلاء والعالم
غالبه غير عاقل . فأجاب

بقوله تغليبا الخ (قوله مستأنف الخ) هذه العبارة في بعض النسخ

وهي معترضة بأنه لا محذور في الفصل بين المتعاطفين بالجمع المعترضة ولا يقال إنه وقع بين أجزاء صلة الموصول لأنه يقال الموصول
قد استوفى صلاته ويغتفر في التابع ما لا يغتفر في المتبوع ، فالأولى إسقاط هذه العبارة كما هو في بعض النسخ وقوله للفصل أي
وهو قوله : وتعملون الخ فإنه معطوف على تكفرون فليس من أجزاء الصلة (قوله من فوقها) الحكمة في قوله من فوقها أنه
تعالى لو جعل لها روامي من تحتها لتوهم أنها هي التي أمسكتها عن النزول ، فجعل الله الجبال فوقها ليعلم الإنسان أن الأرض
وما عليها محسكة بقدرته الله تعالى (قوله وقدر فيها أقواتها) قال محمد بن كعب : قدر الأقوات قبل أن يخلق الخلق والأبدان
فخص كل قوت بقدر من الأقطار ، وأضاف القوت إلى الأرض لكونه متولدا منها وناشئا فيها وذلك أنه تعالى جعل كل بلدة
معدة لنوع من الأشياء المطاوعة حتى إن أهل هذه البلدة يحتاجون إلى الأشياء الموجودة في تلك البلد وهكذا فصار ذلك سببا
لرغبة الناس في التجارة واكتساب الأموال وجميع ما خلقه الله لا ينقص عن حاجة المحتاجين ولوزادت الخلق أضعافا ، وإنما
ينقص توصل بعضهم إليه فلا يجد له ما يكفيه وفي الأرض أضعاف كفايته (قوله في تمام أربعة أيام) أشار بذلك إلى أن
الكلام على حذف مضاف دفعا لما يتوهم أن الأيام ثمانية يومان في خلق الأرض وأربعة في خلق الأقوات ويومان في خلق
السموات فينافي قوله تعالى : ولقد خالقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ، والحكمة في تقديره هذه
المدة مع أنه تعالى قادر على خلق كل في قدر لمة تعليم العباد التمهيد والتؤدة والتأني في الأمور والبعد من العجلة .

(قوله في يوم الثلاثاء) بفتح الثاء وضمها (قوله للثلاثين) متعلق بسواء . والمعنى مستوية للثلاثين : أى جواب السائلين فيها سواء لا يتغير لسائل بزيادة ولا نقص (قوله قصد إلى السماء) أى أراد . والمعنى تعلقت إرادته بخلق السموات (قوله وهي دخان) المراد به بخار الماء وذلك أن العرش كان على الماء قبل خلق السموات والأرض ، ثم أحدث الله في ذلك الماء اضطراباً فأزبد وارتفع فخرج منه دخان فارتفع وعلا فخلق منه السموات ، وأما الزبد فبقى على وجه الماء فخلق منه اليبوسة وأحدث منه الأرض (قوله فقال لها الخ) اختلف في قول الله للأرض والسموات وجوابهما له فغلب هو حقيقة وأجابناه بلسان اللقال ولا مانع منه لأن القادر لا يجزئه شيء فخلق فيهما الحياة والعقل والكلام وتكلمتا ، ويؤيده ما روى أنه نطق من الأرض موضع الكعبة ونطق من السماء بخدائها فوضع الله فيهما حرمة ، وقيل إن معنى القول في حق الله تعالى ظهور تأثير قدرته وكلامها كتابة عن الطاعة والانقياد (قوله فيه تغليب الذكر العاقل) أى حيث جمعوا جمعه (قوله فتظاهرن) تفصيل لتكوين السماء (قوله أى صيرها سبع سموات) أشار بذلك إلى أن قضى مضمناً معنى صير فسبع مفعول به (قوله وفيها خلق آدم) ظاهره أن آدم خلق في نفس اليوم الذي خلقت فيه السموات وهو خلاف المشهور (١٩) من أن بين خلق آدم وخلقها

في يوم الثلاثاء والأربعاء (سواء) منصوب على المصدر أى استوت الأربعة استواء لا تزيد ولا تنقص (لِلثَلَاثِينَ) عن خلق الأرض بما فيها (ثُمَّ أَسْتَوَى) قصد (إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ) بخار مرتفع (فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اأُنْتِيَا) إلى مرادى منكما (طَوْعاً أَوْ كَرْهاً) في موضع الحال أى طائعتين أو مكرهتين (قَالَتَا أَتَيْنَا) بمن فينا (طَائِعِينَ) فيه تغليب المذكر العاقل ، أو نزلتا لخطابهما منزلته (فَقَضَيْنَا) الضمير يرجع إلى السماء لأنها في معنى الجمع الآيلة إليه أى صيرها (سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ) الخميس والجمعة فرغ منها في آخر ساعة منه وفيها خلق آدم ولذلك لم يقل ، هنا سواء ووافق ما هنا آيات : خلق السموات والأرض في ستة أيام (وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا) الذى أمر به من فيها من الطاعة والعبادة (وَزَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ) بنجوم (وَحِفْظاً) منصوب بفعله المقدّر أى حفظناها من استراق الشياطين السمع بالشهب (ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ) فى ملكه (الْعَلِيمِ) بخلقها (فَإِنْ أَعْرَضُوا) أى كفار مكة عن الإيمان بعد هذا البيان ،

أوفى من السنين . وأجيب بأن المراد أنه خلق في مثل ذلك اليوم كما تقول ولد محمد يوم الاثنين وتوفي يوم الاثنين (قوله ووافق ما هنا الخ) أى بتقدير المضاف السابق والمشهور أن الأيام الستة بقدر أيام الدنيا وقيل كل يوم منها بقدر ألف سنة من أيام الدنيا فتكون الستة الأيام بقدر الستة الآلاف سنة . إن قلت إن اليوم عبارة عن الليل والنهار وذلك يحصل بطول الشمس وغروبها

وقبل خلق السموات لا يعقل حصول اليوم فضلاً عن تسميته بالأحد ونحوه . أجيب بأن الله تعالى قدر مقداراً خلق فيه الأرض وسماها الأحد والثلاثين ومقداراً خلق فيه الأقوات وسماها الثلاثاء والأربعاء وهكذا فالتسمية للمقادير التى خلقت فيها تلك الأشياء . بقى شيء آخر وهو أن ما هنا يقتضى أن الأرض خلقت قبل السموات فيخالف آية النازلت المفيدة أن الأرض خلقت بعد السموات قال تعالى أنتم أشد خلقاً أم السماء بناها إلى أن قال والأرض بعد ذلك دحاها . وأجيب بأن الله تعالى خلق الأرض أولاً في يومين كروية ثم خلق بعدها السماء ثم بعد خلق السماء دحا الأرض وبسطها فخلق الجميع في ستة أيام والدحى بعد ذلك فلا تفاوض ، واستشكل ذلك الرازي وأجاب عنه بما لا طائل تحته (قوله وأوحى فى كل سماء أمرها) الوحي كناية عن التكوين (قوله الذى أمر به من فيها الخ) وقيل المعنى خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها وأفلاكها وخلق في كل سماء خلقها من الملائكة والخلق الذى فيها من البعائر وجبال البرد والثلج (قوله بفعله المقدّر) أى وهو معطوف على زينا (قوله ذلك) أى المذكور بتفاصيله (قوله فإن أعرضوا) مرتب على قوله فيما تقدم قل أنتم لتكفرون الخ . والمعنى بين يا محمد لقومك طريق الرشاد وأظهر لهم الحجج القاطعة الدالة على ذلك فإن أعرضوا بعد إقامة الحجج وبيان الهدى خوفهم بعذاب مثل عذاب من تقدمهم من الأمم لأنه جرت عادة الله تعالى أن لا يعذب أمة إلا بعد طلوع شمس الحق لهم وإعراضهم

عنه وفي قوله أعرضوا التفات من خطابهم بقوله أنذركم إلى الغيبة إشارة إلى أنهم كما أعرضوا جوزوا بالأعراض والالتفات من خطابهم لأن الخطاب شأن من يرجى إقباله وهم ليسوا كذلك (قوله فقل أنذرتكم) عبر بالماضى إشارة إلى تحققه وحصوله (قوله صاعقة) هي في الأصل الصيحة التي يحصل بها الهلاك أو قطعة نار تنزل من السماء معها رعد شديد ، والمراد هنا العذاب المهلك وقرئ شذوذا صعقة بغير ألف مع سكون العين في الوضعين وقوله مثل صاعقة عاد وثمود التشبيه في مطلق الهلاك وإن كان هلاك عاد وثمود عاما وهلاك هذه الأمة خاص ببعض أفرادهم فهو تشبيه جزئي بكلي وبهذا اندفع ما قد يقال إن العذاب العام لا يأتي لهذه الأمة لما ورد في الأحاديث الصحيحة من أمن الأمة من ذلك . وأجيب أيضا بأنه لا يلزم من التخويف الحصول بالفعل ، وحينئذ فالمعنى أتم ارتكبتكم أمورا تستحقون عليها ما نزل بعاد وثمود (قوله إذ جاءتهم) ظرف لصاعقة الثانية . والمعنى صعقتهم وقت مجيء رسلهم إليهم والضمير في جاءتهم عائد على عاد وثمود ، وقوله الرسل ، المراد بهم هود وصالح ومن قبلهما من الرسل وهم نوح وإدريس وشيث وآدم لكن مجيء هود وصالح لهاتين القبيلتين حقيقى ومجىء من قبلهما لهاتين القبيلتين باعتبار اللازم لأن كل رسول قد جاء بالتوحيد وتكذيب واحد تكذيب للجميع (قوله أى مقبلين عليهم) أى وهم هود وصالح وقوله ومدبرين عنهم أى وهم الرسل الذين تقدموا على هود وصالح وهو لف ونشر مرتب (قوله ألا تعبدوا إلح) يصح أن تكون أن مخففة (٢٠) من الثقيلة واسمها ضمير الشأن أو مصدرية أو تفسيرية وكلام المفسر

(فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ) خَوْفَتُكُمْ (صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ) أى عذابا يهلككم مثل الذى أهلككم (إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ) أى مقبلين عليهم ومدبرين عنهم فكفروا كما سيأتى والإهلاك فى زمنه فقط (أَنْ) أى بأن (لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ) علينا (مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ) على زعمكم (كَافِرُونَ . فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا) لما خوفوا بالعذاب (مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً) أى لا أحد ، كان واحدا يقلع الصخرة العظيمة من الجبل يجعلها حيث يشاء (أَوْ لِمَ يَرَوْنَ) يعلموا (أَنَّ اللَّهَ الَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا) المعجزات (يَجْحَدُونَ . فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا) باردة شديدة الصوت بلا مطر (فِي أَيَّامٍ نَحِشَاتٍ) بكسر الحاء وسكونها : مشثومات عليهم ،

يشير للعنيين الأولين حيث قدر الباء ولا ناهية فى الأوجه الثلاثة ويصح أن تكون نافية أيضا فى الوجه الثانى والفعل منصوب بأن حذف منه النون للناسب ولا النافية لاتمنع همل أن فى الفعل (قوله قالوا) أى عاد وثمود لهود وصالح (قوله لو شاء ربنا) أى إنزال ملائكته بالرسالة فمفعول شاء محذوف . والمعنى لو شاء

(لنذيقهم

ر بنا إرسال رسول لجعله ملكا لا بشرا ، وهذا

توصل منهم لانكار الرسالة لزعمهم أنها لا تكون للبشر (قوله على زعمكم) أى وإلا فهم ينكرون رسالتهم (قوله فأما عاد فاستكبروا فى الأرض) أى تعظموا على أهلها واستعلاوا فيها وهذا شروع فى حكاية ما يخص كل طائفة من القبائح والعذاب بعد الاجمال فى كفرهم (قوله من أشد منا قوة) أى فنحن نقدر على دفع العذاب عن أنفسنا بقوتنا . قال ابن عباس : إن أطولهم كان مائة ذراع وأقصرهم كان ستين ذراعا (قوله يجعلها) أى يضعها حيث شاء (قوله أولم يروا إلح) هذه الجملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه والتقدير يقولون ذلك ولم يروا (قوله وكانوا بآياتنا ينجحون) ضمنه معنى يكفرون فعدها بالباء وهو معطوف على قوله فاستكبروا (قوله صرصر) من الصر وهو البرد أو من الصرير وهو التصويت بشدة والمفسر جمع بينهما (قوله بكسر الحاء وسكونها) أى فهما قراءتان سبعيتان قيل هما صفة مشبهة والسكون للتخفيف كآشر وفرح ، وقيل إنه بالسكون مصدر وصف به (قوله مشثومات) أى غير مباركات من الشؤم ضد اليمن ، وهو تفسير لكل من القراءتين وكانت آخر شوال صبح الأرباء إلى غروب الأرباء التى تليها ، وذلك سبع ليال وثمانية أيام حسوما . قال ابن عباس : ما ذهب قوم إلا فى يوم الأرباء .

(قوله عذاب الخزي) أي العذاب الخزي فهو من إضافة الوصف لصفته وقوله الدل وصف به العذاب مبالغة وإلا فحقه أن يوصف به أصحاب العذاب (قوله وأما نمود فهديناهم) شروع في ذكر أحوال الطائفة الثانية (قوله بينا لهم طريق الهدى) أي فالمراد بالهداية الدلالة لا الوصول بالفعل (قوله على الهدى) أي الإيمان (قوله المهين) أي الموقع في الإهانة والدل (قوله بما كانوا يكسبون) أي من الكفر وتكذيب نبيهم (قوله ونجينا الذين آمنوا) أي مع صالح وكانوا أربعة آلاف وتقدم في الأعراف أنه نجا من كان مع هود قال تعالى - فأنجيناه والذين آمنوا معه برحمة منا - وكانوا أربعة آلاف أيضا كما تقدم لنا في سورة هود (قوله واذكر يوم يحشر) يوم ظرف معمول المحذوف قدره المفسر بقوله اذكر (قوله بالياء) أي مع فتح الشين ورفع أعداء على أنه نائب فاعل (قوله وفتح الهمزة) أي من أعداء على أنه مفعول والفاعل على كل هو الله تعالى والقراءتان سبعيتان (قوله أعداء الله) المراد بهم كل من كان من أهل الجلود في النار مطلقا من أول الزمان لآخره (قوله إلى النار) المراد موقف الحساب وإنما عبر عنه بالنار لأنها عاقبة حشرهم (قوله يساقون) وفسره البيضاوي بحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا ولا ينافي ما قاله المفسر فإن المراد يساق آخرهم ليأحق أولهم فيحصل الاجتماع والازدحام حتى يكون على القدم ألف قدم (قوله زائدة) أي للتأكييد وإنما أكدته لأنهم ينكرون مضمون الكلام (قوله شهد عليهم سمعهم الخ) أي بأن (٢١) يخلق الله فيها النطق والفهم والادراك كاللسان فتقر بما

نعماته من المعاصي حقيقة وهو التحقيق ، وقيل النطق كناية عن ظهور المعاصي على تلك الجوارح كظهور التوبة على فروج الزنا ونحو ذلك ، وقيل النطق من غير فهم ولا إدراك ، عن أنس بن مالك قال « كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال ماتدرون مم أضحك ؟ قلنا الله ورسوله أعلم قال من مخاطبة العبد ربه فيقول يارب ألم تجزني من الظلم

(لِنَذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ) (الدل) (فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى) أشد (وَهُمْ لَا يَنْصَرُونَ) (بمعنهم) (وَأَمَّا نُمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ) بينا لهم طريق الهدى (فَأَسْتَجَبُوا لَعَمْرِي) اختاروا الكفر (عَلَى الْهَدَى) فَأَخَذَتْهُمُ صَادِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ (المهين) (بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (وَنَجَّيْنَا) مِنْهَا (الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا بَتَقُونَ) (اللَّهُ) (وَ) (اذْكَر) (يَوْمَ يُحْشَرُ) بالياء والنون المفتوحة وضم الشين وفتح الهمزة (أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ) يساقون (حَتَّى إِذَا مَا) زائدة (جَاءَهَا) شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . قَالُوا لَوْلَا جُلُودُهُمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ) أي أراد الله (أَنَّهُ خَلَقَ كُفْرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) قيل هو من كلام الجلود ، وقيل هو من كلام الله تعالى كالذي بعده وموقعه قريب مما قبله بأن القادر على إنشائكم ابتداء وإعادةكم بعد الموت أحياء قادر على إنطاق جلودكم وأعضائكم (وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ) عن ارتكابكم الفواحش من (أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ) لأنكم لم توقنوا بالبعث (وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ) ،

فيقول بلى قال فيقول فاني لا أجيز اليوم على نفسي إلا شاهدا مني قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وبالكرام الكاتبين البررة عليك شهودا قال فيختم على فيه ويقال لأركانه انطق فتنتطق بأعماله ، ثم يخلى بينه وبينها فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل « (قوله وجلودهم) المراد بها مطلق الجوارح فيكون من عطف العام على الخاص ، وقيل المراد بالجلود خصوص الفروج ويكون التعبير عنها بالجلود من باب الكناية ويكون هذا في شهادة الزنا وحينئذ فالآية فيها الوعيد الشديد على إتيان الزنا والأقرب الأول (قوله وقالوا لجلودهم) أي توبيخا وتعجبا من هذا الأمر الغريب (قوله قالوا أنطقنا الله الخ) أي جوابا لهم واعتذارا عما صدر منهم (قوله ترجعون) أي تردون إليه بالبعث وعبر بالمضارع مع أن المقالة بعد الرجوع بالفعل لأن المراد بالرجوع البعث وما يترتب عليه من العذاب الدائم والعذاب مستقبل بالنسبة لمقاتلتهم (قوله قيل هو) أي قوله وهو خلقكم الخ (قوله كالذي بعده) أي وهو قوله وما كنتم تستترون (قوله وموقعه) أي مناسبتة قوله وهو خلقكم ووجه مناسبتة له في المعنى أنه يقربه من العقول من حيث إن القادر على الإبداء والاعادة قادر على إنطاقها (قوله وما كنتم تستترون) أي تستخفون من هؤلاء الشهود وهو لا يكون إلا بترك الفعل بالكسبية لأنها ملازمة للإنسان في حركاته وسكناته (قوله من أن يشهد) أشار بذلك إلى أن قوله أن يشهد في محل نصب بنزع

الحافض ويصح أن يكون مفعولا لأجله والتقدير مخافة أن يشهد الخ (قوله عند استتاركم) أي من الناس (قوله أن الله لا يعلم كثيرا) المراد به ما أخفوه عن الناس من الأعمال فظنوا أن علم الله مساو لعلم الخلق فكل ما ستره عن الناس لا يعلمه الله (قوله وذلكم ظنكم الخ) اعلم أن الظن قسمان حسن وقبيح فالحسن أن يظن العبد المؤمن بالله عز وجل الرحمة والاحسان والخير، وفي الحديث «أنا عند ظن عبدي بي» والقبيح أن يظن بالله نقصا في ذاته أو صفاته أو أفعاله (قوله فأصبحتم من الخاسرين) نتيجة ما قبله (قوله فإن يصبروا فالنار مثوى لهم) إن قلت إن النار مأوى لهم صبروا أولا، فما وجه التقييد بالصبر؟ أجيب بأن في الآية حذفاً والتقدير فإن يصبروا أو لا يصبروا فالنار مثوى لهم وإنما حذف المقابل للعلم به لأنه إذا كانت لهم النار مع الصبر فهي لهم مع عدمه بالأولى، بخلاف الدنيا فإن الإنسان مع الصبر ربما تخف مصيبته أو يعوض خيرا ومع عدمه يزداد فيها ويغضب الله عليه (قوله أي الرضا) وقيل العصبى الرجوع إلى ما يحبون (قوله المرضيين) أي المرضي عليهم (قوله وقيضنا لهم) أي لكفار مكة ومعنى سببنا هيأنا وبعثنا والمعنى سببنا لهم قرناء يلزمونهم ويستولون عليهم استيلاء القبيض وهو قشر البيض على البيض (قوله فزبنوا لهم) أي القبايح (قوله ما بين أيديهم من أمر الدنيا الخ) (٢٢) وقيل ما بين أيديهم من أمر الآخرة وما خلفهم من أمر الدنيا. قال القشيري:

إذا أراد الله بعبد سوءا قبض له إخوان سوءا وقرناء سوءا يحملونه على المخالفات ويدعونه إليها ومن ذلك الشيطان وأثر منه النفس وبلس القرين يدعو اليوم إلى ما فيه الهلاك ويشهد عليه غدا، وإذا أراد الله بعبد خيرا قبض له قرناء خيرا يعينونه على الطاعة ويحمونه عابها ويدعونه إليها، وفي الحديث «إذا أراد الله بعبد شرا قبض له قبل موته شيطانا

عند استتاركم (أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون. وذلكم) مبتدأ (ظنكم) بدل منه (الذي ظننتم بربكم) نعت والخبر (أزداكم) أي أهلككم (فأصبحتم من الخاسرين. فإن يصبروا) على العذاب (فالنار مثوى) مأوى (لهم وإن يستمبوا) يطلبوا العتبي أي الرضا (فأههم من المعتبين) المرضيين (وقيضنا) سببنا (لهم قرناء) من الشياطين (فزبنوا لهم ما بين أيديهم) من أمر الدنيا واتباع الشهوات (وما خافهم) من أمر الآخرة بقولهم لا بعث ولا حساب (وحق عليهم القول) بالعذاب وهو لأملأن جهنم الآية (في) جملة (أثم قد خلت) هلك (من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين. وقال الذين كفروا) عند قراءة النبي صلى الله عليه وسلم (لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه) انموا باللفظ ونحوه وصيحوا في زمن قراءته (لعلكم تغلبون) فيسكت عن القراءة، قال الله تعالى فيهم (فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون)،

أي

فلا يرى حسنا إلا قبجه عنده ولا قبيحا إلا حسنه عنده» وعن

عائشة قالت «إذا أراد الله بالوالمى خيرا جعل له وزير صدق إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه، وإذا أراد غير ذلك جعل له وزير سوء إن نسي لم يذكره وإن ذكر لم يعنه» وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما بعث الله من نبي ولا استخاف من خائفة إلا كانت له بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عايه وبطانة تأمره بالشرو وتحضه عايه والمعصوم من عصمه الله تعالى (قوله وحق عليهم القول) أي ثبت وتحقق (قوله في ثم) حال من الضمير في عليهم والمعنى كائنين في جملة أثم (قوله قد خلت) صفة لأثم (قوله هلك) المناسب أن يقول مضت (قوله إنهم كانوا خاسرين) تعليل لاستحقاقهم العذاب (قوله وقال الذين كفروا) أي من كفار مكة وإنما قالوا ذلك لأنه لما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ يستميل القلوب بقراءته فيصنئ إليها المؤمن والكافر يخافوا أن يتبعه الناس (قوله والغوا فيه) اللغو الكلام الذي لا فائدة فيه وهو بفتح الغين في قراءة العامة من أنى كفرح وقرى شذوذا بضم الغين من لغا يلفو كدعا يدعو ومنه حديث «أنصت فقد لغوت» (قوله باللفظ) بسكون الغين وفتحها وهو كلام فيه جلبة واختلاط (قوله لعلكم تغلبون) أي في القول فإذا غلبتموه سكت لأنه لم يكن مأمورا حينئذ بقتالهم (قوله قال تعالى فيهم) أي في شأنهم (قوله الذين كفروا) أي استمروا على الكفر وماتوا عليه.

(قوله أى أقبح جزاء عملهم) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف دفعا لما قد يتوهم أنهم يجوزون بنفس عملهم الذى عملوه فى الدنيا كالكفر مثلا والمعنى أن المستزئنين برسول الله يجازون بأقبح جزاء أعمالهم وفى هذه الآية وعيد لكل من يفعل لا يخطئ فى حال قراءة القرآن ويشوش على القارىء ويخلط عليه فإنه حرام باجماع إن لم يقصد إبطال النفع بالقرآن كراهة فيه ، وإلا فهو كافر (قوله ذلك) أى المذكور من الأمرين كما قال المفسر (قوله بتحقيق الهمزة الثانية) أى الكائنة أول أعداء والقراءتان سبعيتان (قوله عطف بيان) هذا أحد أوجه فى إعرابها ويصح أن يكون بدلا من جزاء ورد بأن البدل يصح حلوله للبدل منه محله وهنا لا يصح لأنه يصير التقدير ذلك النار ويصح أن يكون مبتدأ ولهم فيها دار الخلد خبره ويصح أن يكون خبر مبتدأ محذوف (قوله لهم فيها دار الخلد) فى الكلام تجريد وهو أن ينتزع من أمر ذى صفة أصرا آخر موافقا له فى تلك الصفة على سبيل المبالغة فقد انتزع من النار دارا أخرى سماها دار الخلد ، والمعنى أن الدار نفسها هو الخلد (قوله منصوب على المصدر بفعله المتأخر) والتقدير يجوزون جزاء (قوله بآياتنا) الباء إمامازائدة أو ضمن يجحدون معنى يكفرون فعداء بالباء (قوله فى النار) حال من فاعل قال (قوله أرنا) أصله أرئينا فالراء فاء الكامة والهمزة الثانية عينها والياء لامها حذفت الياء لبناء الفعل على حذفها ونقل حركة الهمزة (٢٣) لسا كن قبلها فسقطت الهمزة

وصار وزنه افنا وهى بصرية تعدت بالهمزة للمفعول الثانى الذى هو الاسم الموصول ومفعولها الأول الضمير . والمعنى صيرنا رائيين بأبصارنا الخ (قوله من الجن والانس) أى لأن الشيطان على قسمين جنى وإنسى كما قال تعالى - وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن - وقدم الجن لأنهم أصل الضلال (قوله سنا الكفر والقتل)

أى أقبح جزاء عملهم (ذلك) العذاب الشديد وأسوأ الجزاء (جزاء أعداء الله) بتحقيق الهمزة الثانية وإبدالها واوا (النار) عطف بيان للجزاء المخبر به عن ذلك (لهم فيها دار الخلد) أى إقامة لانتقال منها (جزاء) منصوب على المصدر بفعله المقدّر (بما كانوا بآياتنا) القرآن (يجحدون . وقال الذين كفروا) فى النار (ربنا أرنا الذين أضلانا من الجن والإنس) أى إبليس وقايل سنا الكفر والقتل (نجهلهم ما تحت أقدامنا) فى النار (ليعكونا من الأسفلين) أى أشد عذابا منا (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) على التوحيد وغيره مما وجب عليهم (تنزل عليهم الملائكة) عند الموت (أن) بأن (لا تخافوا) من الموت وما بعده (ولا تحزنوا) على ما خلقتهم من أهل وولد فنحن نخلفكم فيه (وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون . نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا) أى نعمتكم فيها (وفى الآخرة) أى نكون معكم فيها حتى تدخلوا الجنة

لف ونشر مراتب فقايل قتل أخاه هابيل فهو أول من سن القتل وإبليس أول من كفر بالله (قوله نجعلهم ما تحت أقدامنا) أى إما حقيقة فيكونان أشد عذابا منا فتشتفى قلوبنا أو هو كناية عن كونهم فى الدرك الأسفل (قوله ليعكونا من الأسفلين) أى فى دركات النار (قوله إن الذين قالوا ربنا الله الخ) شروع فى بيان حال المؤمنين إثر بيان وعيد الكافرين ، والمعنى قالوا ربنا الله اعترافا بربوبيته وإقرارا بوحدانيته (قوله ثم استقاموا) أى ظاهرا وباطنا بأن فعلوا المأمورات واجتنبوا المنهيات وداموا على ذلك إلى الممات . قال عمر بن الخطاب : الاستقامة أن تستقيم على الأمر والنهى ولا تزوغ زوجان الثعالب قال ابن عباس نزلت هذه الآية فى أبى بكر الصديق (قوله عند الموت) أى أو عند الخروج من القبر ولا مانع من الجمع والمراد ملائكة الرحمة تأنيبهم بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف والحزن (قوله أن لا تخافوا) أن مخافة من الثقلية أو مصدرية أو مفسرة وكلام المفسر يحتمل المعنيين الأولين ، والخوف غم يلحق النفس لتوقع مكروه فى المستقبل ، والحزن غم يلحقها لدوات نفع فى الماضى (قوله وأبشروا بالجنة) أى وهى دار الكرامة التى فيها من النعيم الدائم والسرور ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (قوله أن كنتم توعدون) أى فى الكتب المنزلة على ألسنة الرسل (قوله نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا الخ) يحتمل أن يكون هذا من كلام الله تعالى وهو ولى المؤمنين ومولاهم ويحتمل أن يكون من كلام الملائكة . والمعنى كنا أولياؤكم فى الدنيا ونكون معكم فى الآخرة فلا تفارقكم حتى تدخلوا الجنة .

(قوله ماتدعون) من الدعاء بمعنى الطلب وهو أهم من الأول والمعنى لكم كل ماتشبهون وكل ماتطلبون ولولم يكن مشهياً كالرب العلية والفضائل السنية (قوله منصوب بجعل مقدراً) ويصح أن يكون حالا من قوله ماتدعون (قوله من اغفور رحيم) متعلق بتدعون أو صفة لنزلا وخص هذين الوصفين دون شديد العقاب مثلاً إشارة إلى مزيد السرور لهم وإكرامهم وأنه تعالى يعاملهم بالمغفرة والرحمة ويتجلى لهم بأوصاف الجمال دون أوصاف الجلال (قوله ومن أحسن قولاً الخ) قيل نزلت هذه الآية في رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه هو الذي جمع تلك الأوصاف لأن الداعين إلى الله تعالى أقسام ، فمنهم الداعون إلى الله بالتوحيد قولاً كالأشعري والماتريدي ومن تبعهما إلى يوم القيامة وفعلاً كالمجاهدين ، ومنهم الداعون إلى الله تعالى بالأحكام الشرعية كالائمة الأربعة ومن على قدمهم ، ومنهم الداعون إلى الله تعالى بزوال الحجب السكينة على القلوب لمشاهدة علام الغيوب بحيث يكون دائماً في حضرة الله ليس في قلبه سواء كالجنيد وأضرابه من الصوفية أهل الحقيقة ، ومنهم من يدعو إلى الله تعالى بالاعلام بأداء الفرائض كالمؤذنين ، وهذه الأقسام مجوعة في النبي عليه الصلاة والسلام متفرقة في أصحابه ، ثم انتقلت منهم إلى من بعدهم وهكذا إلى يوم القيامة لقوله في الحديث الشريف « لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك » (قوله بالتوحيد) أي وفروعه وإمما خصه لأنه رأس الأمور وأساسها (قوله وعمل صالحاً) أي امثل أوامر ربه واجتنب نواهيه وحيث كان داعياً إلى الله مع اتصافه بالعمل الصالح كان قوله مقبولا ويؤثر في القلوب ، وأما من كان بخلاف ذلك فلا يكون قوله مقبولا ولا يؤثر في القلوب ولا ينبغي صحبته . قال العارف : لاتصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله ، وقال بعضهم : أنتهى الاناس ولا تنتهى متى تلحق القوم بالكعب وياحجر السن أما تستحي (٢٤) نسق الحديد ولا تقطع فمن لم يؤثر كلامه في نفسه فلا يؤثر في غيره

(وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ) تطلبون (زُلاً) رزقا مهياً منصوب بجعل مقدراً (من غفور رحيم) أي الله (ومن أحسن قولاً) أي لا أحد أحسن قولاً (يؤمن دعاً إلى الله) بالتوحيد (وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين) ولا تستوى الحسنة ولا السيئة (في جزئياتهما لأن بعضهما فوق بعض) (أدفع) السيئة (بالتى) أي بالخصلة التي (هي أحسن) كالغضب بالصبر والجهل بالحلم والإساءة بالعفو (فإذا الذي بينك وبينه عداوة

بالأولى . قال بعضهم :
يأبى الرجل المعلم غيره
هلا لنفسك كان ذا التعليم
نصف الدواء لدى السقام
وذى الضنا
كما يصح به وأنت
سقيم

أبدأ بنفسك فانها عن غيرها فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يسمع ماتقول ويشقى بالقول منك وينفع التعليم
لاتنه عن خاق وتأتى مثله عار عليك إذا فعلت عظيم
وبالجملة فالدعوة إلى الله لاتنفع إلا من قاب ناصح وأعظم الداعين إلى الله تعالى الأولياء المسلكون الذين يوصون الخلق إلى طريق الحق وهم موجودون في كل زمن غير أنه لا يجتمع بهم ولا يعرفهم إلا من لحظه الله تعالى بفضله كما قال بعض العارفين : الأولياء عرائس محذرة ولا يرى العرائس المجرمون نفعا الله بهم أجمعين (قوله وقال إنني من المسلمين) أي تحذراً بنعمة ربه وفرحاً بالإسلام (قوله ولا السيئة) يحتمل أن لازائدة للتوكيد لأن الاستواء لا يكون من واحد بل من اثنين كأنه قال لاتستوى الحسنة مع السيئة بل الحسنة خير والسيئة شر ويحتمل أن لأصالية ، والمعنى لاتستوى مراتب الحسنات بل بعضها أعلى من بعض ولا تستوى مراتب السيئات بل بعضها أعلى من بعض فأعلى الناس من ارتكب أعلى الحسنات ، وأدنى الناس من ارتكب أعلى السيئات وهذا مامشى عليه المفسر (قوله ادفع بالقى هي أحسن) أي حيث فعلت معك سيئة ادفعها بحسنة هي أحسن (قوله كالغضب بالصبر الخ) أي أعلى المراتب أن تعطى من حرملك ، وتصل من قطعك ، وتعفو عمن ظلمك ، وقد كان هذا خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله فإذا الذي بينك وبينه عداوة الخ) إذا فجائية ظرف للمعنى التشبيهية فعاملها معنوى مؤخر واغتفر تأخير عاملها المعنوى لأنه يغتفر في الظروف ما لا يغتفر في غيرها والذي مبتدأ وبينك خبر مقدم وعداوة مبتدأ مؤخر والجملة صلة الموصول وكأنه الخ خبر لموصول والمعنى فإذا فعلت مع عدوك ما ذكر فاجأك في الحضرة انقلابه وصيرورته مشابهاً في المحبة للصديق الذي لم تسبق منه عداوة .

(قوله كأنه ولي حميم) الحميم يطلق على الماء الحار وعلى القريب الذي تهتم لأمره وهو المراد هنا (قوله فيصير عدوك كالصديق القريب) هذا تفسير لمعنى الولي الحميم، فالولي القريب، والحميم القريب الصديق فهو أخص من الولي. قال بعضهم في وصفه: إن أخاك الحق من كان معك ومن بصر نفسه لينفعك

ومن إذا ريب الزمان صدعك شئت فيك شمله ليجمعك (قوله في محبته) هذا هو وجه الشبه (قوله إذا فعلت ذلك) أى الإحسان للعدو (قوله التى هى أحسن) الأوضح أن يقول وهى مقابلة الإساءة بالإحسان (قوله تولب عظيم) وقيل المراد بالحظ الحاق الحسن وكمال النفس (قوله وإما ينزغنك الخ) المراد بالنزغ الوسوسة، والمعنى وإن يوسوس لك الشيطان بترك ما أمرت به فاستعذ بالله أى اطلب التحصن من شره، ومن جملة وسوسته الغضب فانه ربما يحمله على ارتكاب منهي عنه فإذا حصل عنده فليدفعه بالاستعاذة فان لم يزل فليدفعه بالسكون ثم بالجأوس إن كان قائماً ثم بالاضجاع إن كان جالساً فان لم يزل بعد ذلك ذهب من المكان الذى هو به (قوله إنه هو السميع العليم) تعليل لما قبله وفى هذه الآية دليل على استعمال التعوذات فى الصباح والمساء لأن الانسان بينهما لا يخلو من نزغات شيطانية، ولذلك ورد فى الأحاديث وفى كلام العارفين كثرة التعوذ فى هذين الوقتين فتدبر (قوله ومن آياته) (٢٥) خبر مقدم والليل وما عطف عليه

مبتدأ مؤخر والمعنى ومن دلائل قدرته وانفراده بالالوهية الليل الخ أى ظهور كل من هذه الأربع (قوله لا تسجدوا للشمس ولا للقمر) خصهما بالذكر لأن الكفار عبدهما من دون الله (قوله أى الآيات الأربع) وإنما عبر عنها بضمير الاناث مع أن غالبها مذكر والعادة تغليب المذكر لا أنعكس نظراً للفظ الآيات فان مفردة آية وهو مؤنث

كأنه ولي حميم) أى فيصير عدوك كالصديق القريب فى محبته إذا فعلت ذلك فالذى مبتدأ وكأنه الخبر وإذا ظرف لمعنى التشبيه (وَمَا يُلْقَاهَا) أى يوتى الخصلة التى هى أحسن (إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا أَذْوَحَظٍ) ثواب (عظيم) وإما) فيه إدغام نون إن الشرطية فى ما الزائدة (يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ) أى يصرفك عن الخصلة وغيرها من الخير صارف (فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ) جواب الشرط وجواب الأمر محذوف أى يدفعه عنك (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ) للقول (الْعَلِيمُ) بالفعل (وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ) أى الآيات الأربع (إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا) عن السجود لله وحده (فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ) أى فالملائكة (يُسَبِّحُونَ) يصلون (أَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْخَمُونَ) لا يملون (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْتَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً) يابسة لانبثاب فيها (فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ) تحركت (وَرَبَّتْ) انتفخت وعلت (إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ)،

(قوله إن كنتم إياه تعبدون) أى تفردونه بالعبادة فتركوا عبادة غيره (قوله فان استكبروا) أى تكبروا وعاندوا حيث جعلوا ما به الهدى والدلالة على توحيد الله إلهام معبودا (قوله فالذين عند ربك) علة لجواب الشرط المحذوف والتقدير فلا تنعدم العبادة لأن الذين الخ والعندية عندية مكانة وشرف لا مكان فهو كما تقول عند الملك من الجند كذا وكذا (قوله يسبحون له بالليل والنهار) هذا من مجازاة الكفار وإلا فلو ترك جميع الخلق عبادته لم ينقص من ملكه شيء لما فى الحديث «يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكى شيئاً» (قوله ومن آياته) خبر مقدم وأن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر مبتدأ مؤخر والتقدير ومن آياته رؤيتك الأرض الخ (قوله يابسة) أى فالأرض الخاشعة هى الفبراء التى ليس بها نبات استعبر لها حال الخاشع وهو الذل والتناصر (قوله اهتزت وربت) أى تحركت حركة عظيمة شديدة بسرعة وارتفع ترابها وعلا فالآية باقية على أصلها خلافاً لمن قال إنه فيها قلبا والتقدير ربت واهتزت (قوله لمحي الموتى) أى يبعثهم (قوله إن الذين يلحدون فى آياتنا) أى يميلون عن الاستقامة فى الدين ويطعنون فى آياتنا بالتحريف واللفو والأشكاذيب.

(قوله من ألد و لحد) أشار بذلك إلى أن هنا قراءتين سبعيتين وهما ضم الياء وكسر الحاء من ألد ر باعيا وفتح الياء والحاء من لحد ثلاثيا من باب نفع ، والاحاد الميل والعدول ومنه اللحد في القبر لأنه أميل إلى ناحية منه (قوله فنجازيهم) أى بأعمالهم (قوله أم من يأتى آمنا) عدل عن مقتضى الظاهر حيث لم يقل أم من يدخل الجنة تصريحاً بحصول الأمن لهم وانتفاء الخوف عنهم (قوله تهديد لهم) أى للكفار وزيادة مسرة المؤمنين (قوله إن الدين كفروا الخ) خبر إن محذوف قدره المفسر بقوله نجازيهم وهو أحد أعاريب وهو أمهلها ، وقيل إنه جملة لا يأتية الباطل الخ والعائد محذوف ، والتقدير لا يأتية الباطل منهم ، والمعنى لا يبلغون مرادهم فيه بل هو محذوف منهم ، وقيل إن الخبر قوله ما يقال لك الخ والعائد محذوف ، والتقدير ما يقال لك فى شأنهم ، وقيل غير ذلك (قوله لما جاءهم) ظرف لقوله : كفروا (قوله وإنه لكتاب عزيز) الجملة حالية من الذكر ، والمعنى كفروا بالقرآن حين جاءهم ، والحال أنه كتاب يرد المعارض ويقهره . قال البوصيرى :

كم جدات كلمات الله من جدل فيه وكم خصم البرهان من خصم

(قوله منيع) فعيل بمعنى فاعل : أى مانع المعارض عن الخوض فيه ويصح أن يفسر العزيز بعديم المثال (قوله أى ليس قبله كتاب يكذبه الخ) أى لا يتطرق (٢٦) إليه الباطل من جهة من الجهات بل جميع ما فيه صدق مطابق للواقع

من ألد و لحد (فى آياتنا) القرآن بالكذب (لا يخفون علينا) فنجازيهم (أفن يلقى فى النار خير أم من يأتى آمنا يوم القيامة أعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير) تهديد لهم (إن الذين كفروا بالذکر) القرآن (لما جاءهم) فنجازيهم (وإنه لكتاب عزيز) منيع (لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه) أى ليس قبله كتاب يكذبه ولا بعده (تنزيل من حكيم حميد) أى الله الحمود فى أمره (ما يقال لك) من الكذب (إلا) مثل (ما قد قيل للرسل من قبلك إن ربك لذو مغفرة) للمؤمنين (وذو عقاب أليم) للكافرين (ولوه جعانه) أى الذكر (قرآنا أعجميا لقالوا لولا هلا (فصلت) بينت (آياته) حتى نفهمها (أ) قرآن (أعجمي) (و) نبي (عربى) (استفهام) إنكار منهم بتحقيق الهمزة الثانية وقلبها ألفا بإشباع ودونه (قل هو الذى آمنوا هدى) من الضلالة (وشفاء) من الجهل (والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر) ثقل فلا يسمعون (وهو عاينهم عى) فلا يفهمونه (أولئك ينادون من مكان بعيد) أى هم كالننادى من مكان بعيد لا يسمع ولا يفهم ما ينادى به ،

ليس بعده كتاب أصلا وليس قبله ما يقدح فيه وفى كلام المفسراف ونشر مشوش فتقوله ليس قبله راجع للخاق ، وقوله ولا بعده راجع لما بين يديه (قوله من حكيم) الحكيم هو الذى يضع الشئ فى محله (قوله ما يقال لك الخ) شروع فى نسايته صلى الله عليه وسلم على ما يصيبه من أذى الكفار (قوله من التكذيب) أى من أجل حصوله ووقوعه (قوله إن ربك لذو مغفرة)

(الخ) هذا هو المقول ، والمعنى ما ينادى لك من أجل حصول التكذيب ووقوعه منهم إلا قولا (ولقد مثل ما قيل للرسل من قبلك وهو إن ربك لذو مغفرة الخ) (قوله ولوجعلناه قرآنا أعجميا) لقولهم هلا نزل القرآن بلغة العجم (قوله لقالوا لولا فصلت آياته) أى بلسان نفهمه وهو لسان العرب ، وقوله أعجمي الخ جملة مستقلة عن جملة مقولهم ، والمعنى أنهم طلبوا أولا نزوله بلغة العجم فرد الله عليهم بقوله - وقالوا لولا فصلت آياته - أى جاءت بلغة العرب وأخبر الله تعالى أنه لوجاهم بلغة العجم لادعوا التنافى بين كونه بلغة العجم وكون الجائى به عربيا ورضهم بذلك إنكار كون القرآن من عند الله على أى حال والأعجم يقال للكلام الذى لا يفهم وللتكلم به والياء للبالغة فى الوصف كأحمرى وأعجمي خبر محذوف قدره المفسر بقوله أقرآن الخ وكذا قوله وعربى (قوله بتحقيق الهمزة الثانية) أى من غير ألف بينهما وقوله وقلبها ألفا : أى ممدودة مدا لازما وهاتان قراءتان ، وقوله بإشباع ودونه سبق قلم منه ، والصواب أن يقول وتسهيل الثانية بإشباع ودونه فالإشباع هو إدخال ألف بين الحقيقة والسهولة وعدمه هو ترا الإشباع وبقيت قراءة خامسة سبعة أيضا وهى إسقاط الهمزة الأولى (قوله قل هو الذى آمنوا) أى صدقوا به وأذعنوا له (قوله وشفاء من الجهل) أى ومن الأمراض الحسية والمعنوية الظاهرية والباطنية (قوله والذين لا يؤمنون) مبتدأ وفى آذانهم خبر مقدم وقرصبت أخر الجملة خبر المبتدأ الأول (قوله فلا يسمعون) أى لوج د الحجاب على قلوبهم فلا يوفقون لانباهه (قوله أى هم كالننادى الخ)

أى فالكلام فيه استعارة تمثيلية حيث شبه حالهم في عدم قبول الواعظ وإعراضهم عن القرآن ومافيه بحال من ينادى من مكان بعيد والجامع عدم الفهم في كل (قوله ولقد آتينا موسى الكتاب) كلام مستأنف سبق لبيان أن الاختلاف في شأن الكتب عادة قديمة غير مختص بقومك وهو نسيئة له صلى الله عليه وسلم ، والمعنى لا تحزن على اختلاف قومك في كتابك فقد اختلف من قبلهم في كتابهم (قوله لقضى بينهم) أى همل لهم العذاب في الدنيا (قوله لى شك منه) أى من أجل المخالفة ، وقوله مررب : أى مورت شكاً آخر (قوله فلنفسه عمل) أشار بذلك إلى أن الجار والمجرور متعلق بمحذوف ويصح أن يكون خبراً المحذوف . أى فعله الصالح لنفسه ، والجملة على كل حال جواب الشرط إن جعلت من شرطية أو خبر لها إن جعلت موصولة وكذا يقال في الجملة بعدها (قوله أى بذى ظلم) جواب عما يقال إن الآية لم تنف أصل الظلم ، فأجاب بأن ظلام صيغة نسبة لامبالغة والمعنى ليس بمنسوب للظلم كتمار وخباز : أى منسوب للتمر والخبز . إن قلت إن الظلم مستحيل على الله تعالى عقلاً لأنه التصرف في ملك الغير ولا ملك له مد معه فكيف يتصور إثباته حق يحتاج لنفيه . أجيب بأن المراد بالظلم المنفى في الآية تعذيب المطيع لاحقيقة الظلم وإنما سماه ظلماً نفلاً منه وإحساناً كأن الله تعالى يقول لأدخل أحدا النار من غير ذنب فإن فعلت ذلك كنت ظالماً وهو مستحيل على حد كتب ربكم على نفسه الرحمة فتدبر (قوله إليه يرد علم الساعة) أى الله يرد علم جواب السؤال عن الساعة وهذه الآية بمعنى قوله تعالى - قل إنما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها (٢٧) - إلا هو - فالعنى تعيين وقت مجيئها لا يعلمه إلا الله تعالى

وتقدم ذلك عند قوله إن الله عنده علم الساعة (قوله لا يعلمه غيره) أخذ الحصر من تقديم الجار والمجرور والمعنى لا يفيد علمه غيره تعالى فلا ينافى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يخرج من الدنيا حتى اطلع على ما كان وما يكون وما هو كائن ومن جملة وقت الساعة ولكن أمر بكتانه

(وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ) التوراة (فَاخْتَلَفَ فِيهِ) بالتصديق والتكذيب كالقرآن (وَلَوْ لَا كَلِمَةُ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ) بتأخير الحساب والجزاء للمخلوق إلى يوم القيامة (لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ) في الدنيا فيما اختلفوا فيه (وَإِنَّهُمْ) أى المكذبين به (لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ) موقع في الريبة (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ) عمل (وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا) أى فضرر إساءته على نفسه (وَمَارُّكَ بِظُلَامٍ لَّامٍ) أى بذى ظلم لقوله تعالى : إن الله لا يظلم مثقال ذرة (إِلَيْهِ يُرْدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ) متى تكون لا يعلمه غيره (وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَةٍ) وفي قراءة ثمرات (مِنْ أَكْمَامِهَا) أوعيتها جمع كم بكسر الكاف إلا يعلمه (وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ) وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ قَالُوا آذْنَاكَ) أعلمناك الآن (مَا مِنْنا مِنْ شَهِيدٍ) أى شاهد بأن لك شريكاً (وَضَلَّ) غاب (عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ) يعبدون (مِنْ قَبْلُ) في الدنيا من الأصنام (وَوَظَنُوا) أيقنوا (مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ) مهرب من العذاب والنفي في الموضعين معلق عن العمل

فلا يفيد السائل عنه شيئاً (قوله من ثمرة) المراد الجنس ، وقوله في قراءة : أى وهى سبعة أيضاً والجمع ظاهر (قوله جمع كم بكسر الكاف) أى وهو ما يغطى الثمرة من النور والزهر ويجمع أيضاً على أكمة وكام وأما ما يغطى اليد من القميص فبالضم وجمعه أكمام ، وقيل ما يغطى الثمرة بالضم والكسر وما يغطى اليد بالضم فقط (قوله وما تحمل من أنثى ولا تضع الح) أى يعلم قدر أيام الحمل وساعاته وكونه ذكراً أو أنثى واحداً أو متعدداً وغير ذلك ويعلم وقت وضعه ومكانه (قوله إلا بعلمه) استثناء مفرغ من عموم الأحوال ، والتقدير وما يحدث شئ من خروج ثمرة أو حمل حامل أو وضعها إلا ملتبساً بعلمه فقد حذف من الأولين لدلالة الثالث عليه . إن قلت قد يعلم ذلك بعض الخلق من أصحاب الكشف وبعض الكهنة والنجمين . أجيب بأن صاحب الكشف علمه بإلهام من الله تعالى لبعض جزئيات فقط ، وأما الكهنة والنجمون فعلمهم مستند لأموطنية قد تصيب والغالب عليها الخطأ (قوله أين شركائى) أى بزعمكم وفيه تفرع وتهكم به (قوله قالوا) أى يقولون وعبر بالماضى لتحقق الوقوع (قوله الآن) أشار بذلك إلى أن المراد الإنشاء لا الإخبار عما سبق فالجملة خبرية لفظاً إنشائية معنى ويصح أن يراد الإخبار لتزليلهم علمه تعالى بحالهم منزلة إعلامهم به فأخبروا وقالوا آذناك (قوله وضل عنهم ما كانوا يدعون) أى غاب نفهم عنهم فلا يشفعون لهم ولا ينصرونهم وهذا في المحشر وأما في النار فيجمعون معهم (قوله من محيص) أى فرار ومهرب من النار (قوله والنفي) أى وهو ما ، وقوله في الموضعين : أى وهما مامنا ومالمهم (قوله معلق عن العمل) التعليق لإبطال العمل لفظاً لا محلاً والعامل المعلق هو

أذن وظن (قوله وجملة النفي) أي في الموضعين (قوله سدت مسد المفعولين) أي الأول والثاني لظنوا والثالث لأذنا فإنه يتعدى لثلاثة كأعلم وأرى والمفعول الأول الكاف (قوله لا يسأم الإنسان) المراد به جنس الكافر كما يأتي في المفسر (قوله من دعاء الخير) المصدر مضاف لمفعوله (قوله وغيرها) أي كالولد ونحوه من خير الدنيا (قوله فيثوس قنوط) خبران لمبتدأ محذوف : أي فهو ، قيل اليأس والقنوط مترادفان وجمع بينهما للتأكيد ، وقيل اليأس قطع الرجاء من رحمة الله والقنوط إظهار آثاره على ظاهر البدن ويطلق اليأس على العلم كما في قوله تعالى - أفلم يأتى الذين آمنوا - وليس من باب فهم وقنط من باب جلس ودخل وطرب (قوله وما بعده) أي وهو قوله : ولئن أذقناه إلى قوله : للحسن ، وأما قوله : فلننبئن الخ تصريح في الكافرين لا يحتاج للتنبيه عليه (قوله ليقولن هذا لي) جواب القسم وجواب الشرط محذوف لسد جواب القسم مسد للقاعدة المذكورة في قول ابن مالك : واحذف لذي اجتماع شرط وقسم جواب ما أخرت فهو ملتزم (قوله أي بعمل) أي بمالي من الفضل والعمل والشجاعة والتدبير (قوله وما أظن الساعة قائمة) أي تقوم (قوله ولئن رجعت إلى ربي) أي كقول الرسل على فرض صدقهم وقد أكدت هذه الجملة بأمور زيادة في التعت : منها القسم وإن وتقديم الظرف والجار والمجرور (قوله فلننبئن الذين كفروا) جواب أول الكافر ولئن (٢٨) رجعت الخ (قوله الجفيس) أي من حيث هو مسلماً أو كافراً ولكنه مشكل بالنسبة

للكافر فإنه تقدم أنه عند مس الشر كان يثوسا قنوطاً وهناً أفاد أنه ذودعاء عريض فيقتضى أنه راج فصل بين الآيتين التناقض . وأجيب بأنه يمكن حمل ما تقدم على أناس دون آخرين أو على الكل لكن الأوقات مختلفة فبعض الأوقات يكونون آيسين وبعض الأوقات يكونون راجين (قوله وناء بجانبه) بتقديم الألف على الهمزة بوزن قال ، وقوله وفي قراءة :

وجملة النفي سدت مسد المفعولين (لا يسأم الإنسان من دعاء الخير) أي لا يزال يسأل ربه المال والصحة وغيرها (وإن مسه الشر) الفقر والشدة (فيثوس قنوط) من رحمة الله وهذا وما بعده في الكافرين (ولئن) لام قسم (أذقناه) آتيناه (رحمة) غنى وصحة (من بعد ضراء) شدة وبلاء (مسته ليموتن هذا لي) أي بعمل (وما أظن الساعة قائمة) (ولئن) لام قسم (رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسن) أي الجنة (فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ) شديد واللام في الفعلين لام قسم (وإذا أنمنا على الإنسان) الجنس (أعرض) عن الشكر (وناء بجانبه) ثنى عطفه متبجراً ، وفي قراءة بتقديم الهمزة (وإذا مسه الشر فذودعاء عريض) كثير (قل أرايتم إن كان) أي القرآن (من عند الله) كما قال النبي (ثم كفرتهم بمر من) أي لا أحد (أضل ممن هو في شقاق) خلاف (بعيد) عن الحق أوقع هذا موقع منكم بياناً لحالهم (سنريهم آياتنا في الآفاق) أقطار السموات والأرض من النيرات والنبات والأشجار (وفي أنفسهم)

للكافر فإنه تقدم أنه عند مس الشر كان يثوسا قنوطاً وهناً أفاد أنه ذودعاء عريض فيقتضى أنه راج فصل بين الآيتين التناقض . وأجيب بأنه يمكن حمل ما تقدم على أناس دون آخرين أو على الكل لكن الأوقات مختلفة فبعض الأوقات يكونون آيسين وبعض الأوقات يكونون راجين (قوله وناء بجانبه) بتقديم الألف على الهمزة بوزن قال ، وقوله وفي قراءة :

أي وهي سمية أيضاً ، وقوله بتقديم الهمزة : أي على الألف بوزن رمى والنون مقدمة على كليهما (قوله فذودعاء عريض) أي فهو ذودعاء (قوله كثير) أشار بذلك إلى أن العرض يطلق على الكثرة كالطول يقال أطال فلان الكلام وأعرض في الدعاء إذا أكثر (قوله قل أرايتم) رأى في الأصل عامية أو بصرية أطلق العلم أو البصار وأريد ما ينشأ عنه وهو الخبر ثم أطلق الاستفهام على العلم أو الإخبار وأريد منه طلب الاخبار ففيه مجازان (قوله كما قال النبي) المناسب إسقاطه (قوله أي لأحد) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري (قوله أوقع هذا) أي قوله : ممن هو في شقاق بعيد (قوله سنريهم آياتنا في الآفاق) الضمير عائد على كفار مكة ، والمعنى سنرى كفار مكة دلائل قدرتنا حال كونها في الآفاق جمع أفق كأعناق وعنق ويقال أفق بفتحين كعلم وأعلام (قوله من النيرات) أي الشمس والقمر والنجوم ، وقوله والأشجار والنبات : أي والرياح والأمطار والحيال والبحار وغير ذلك من العجائب العالوية والسفلية (قوله وفي أنفسهم) أي تحلقهم أولاً نطفائهم علقائهم مضغائهم عظامائهم بعد تمام مدتهم في البطون يخرجهم إلى فضاء الدنيا ضعفاً ثم يعطهم القوة شيئاً فشيئاً وهكذا . واستشكل ظاهر الآية بأن السين تدل على تخلص المضارع لاستقبال مع أنهم مشاهدون هذه الآيات في الحال . أجيب بأن الكلام على حذف مضاف ، والتقدير سنريهم عواقب آياتنا وأسرارها ففيه وعد للعبث ووعد لغيره لأن حكمة هذه الآيات النظر والتأمل والاعتبار فمن اعتبر بهذه الآيات فقد سعد ومن ترك

فقد شق (قوله من لطيف الصنعة و بديع الحكمة) من ذلك ما خلقه وأبدعه في نفس الانسان كالأكل والشرب يدخل من مكان واحد ويميز ذلك خارجا من مكانين مختلفين لا يختلط أحدهما بالآخر، والبصر فانه ينظر به من السماء إلى الأرض مسيرة خمسمائة عام والسمع فانه يفرق به بين الأصوات المختلفة وغير ذلك وهذا ما قرر به المفسر الآية . وهناك احتمالات أخر منها أن المراد بالآيات ما أخبرهم به النبي صلى الله عليه وسلم من الحوادث الآتية، والمراد بالآفاق فتح القرى له ولخلفائه من بعده الذي لم يتيسر مثله لأحد من خفاء الأرض قبلهم ، والمراد بأنفسهم فتح مكة وملسكهم وقد تحقق ذلك لرسول الله وخلفائه من بعده ، ومنها أن المراد بالآيات وقائع الأمم السابقة ، والمراد بأنفسهم ما حصل لهم يوم بدر من القتل والأسر ، ومنها غير ذلك (قوله أولم يكف بربك الخ) الهمة داخلة على محذوف و لو او عاطفة عليه والتقدير أتخزن على إنكارهم ومعارضتهم لك ولم يكفك ربك والاستفهام إنكارى والباء زائدة في الفاعل والمفعول محذوف تقديره يكذبك وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر بدل من الفاعل بدل كل من كل ، والمعنى أتخزن على كفرهم ولم يكذبك شهادة ربك لك وعليهم والمفسر قرر الآية بتقرير آخر والمؤدى واحد حيث جعل الآية إخبارا عن حالهم رعايه فالمعنى ألم يعتبروا ولم يكفهم شهادة ربك لك بالصدق وعليهم بالتكذيب (قوله لانكارهم البعث) أى بأستفهام ، والمعنى أن الدليل لنا دلى كونهم في شك من لقاء ربهم (٢٩) إنكارهم بأستفهام للبعث ولا

يقال إن عندهم جزما في قلوبهم بعدم البعث لأننا نقول لادليل لهم عليه حتى يحصل الجزم بالأوهام أو وساوس شيطانية والحجة القطعية إنما هي على البعث وهكذا سائر عقائد الكفر فتدبر (قوله ألا إنه بكل شيء محيط) نسبية له صلى الله عليه وسلم والمعنى لا تخزن على كفرهم فإن الله محيط بكل شيء فلا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات

من لطيف الصنعة و بديع الحكمة (حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ) أى القرآن (الْحَقُّ) المنزل من الله بالبعث والحساب والعقاب فيعاقبون على كفرهم به وبالجانى به (أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ) فاعل يكف (أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) بدل منه ، أى أولم يكفهم في صدقك أن ربك لا يغيب عنه شيء ما (أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيقَةٍ) شك (مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ) لانكارهم البعث (أَلَا إِنَّهُ) تعالى (بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ) علما وقدره فيجازيهم بكفرهم .

(سورة الشورى)

مكية إلا : قل لا أسألكم الآيات الأربع ، ثلاث وخمسون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . حَمْدُكَ) الله أعلم بمراده به (كَذَلِكَ) أى مثل ذلك الإيحاء . (يُوحَى إِلَيْكَ ، وَ) أوحى (إِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ) ،

ولا في الأرض ومن لازمه أنه يجازيهم فلذلك قال المفسر فيجزيهم .

[سورة الشورى] بالتعريف وتسمى أيضا سورة شورى من غير تعريف وسورة حم عسق وسورة عسق وسورة حم سق (قوله إلا قل لكم لا أسألكم عليه أجرا الخ) وقيل أول المدنى : ذلك الذى يبشر الله عباده وينتهى إلى عايم بذات الصدور ، وقيل فيها من المدنى أيضا قوله - والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون ، إلى قوله : من سبيل - (قوله حم عسق) أجمع القراء على أن حم مفصولة من عسق في الخط وعلى أن كهيص متصلة ببعضها والحكمة في ذلك أن حم عسق فصلت لما قيل لانهما اسمان للسورة وأيضا ليطابق سائر الحواميم (قوله أى مثل ذلك الإيحاء) أشار بذلك إلى أن الكاف في محل نصب على المفعولية المطلقة ، والمعنى يوحى إليك وإلى الذين من قبلك إيحاء مثل ذلك الإيحاء في المعنى لما ورد عن ابن عباس : ليس من نبي صاحب كتاب إلا وقد أوحى إليه حم عسق ، ووجه المشابهة أن الموحى به في الكل يرجع لأمر ثلاثة التوحيد والنبوة والبعث فهذا القدر مشترك بين القرآن وغيره من الكتب (قوله يوحى إليك) جمهور القراء على أنه بالياء مبنيًا للفاعل والله فاعله ، وقرأ ابن كثير بالبناء للمفعول ونائب الفاعل إما ضمير عائد على كذلك أو الجار والمجرور ، وقوله - الله العزيز الحكيم - فاعل بفعل محذوف كأنه قيل من يوحى ؟ فقيل يوحى الله نظير : يسبح له فيها بالفسد والآصال رجال وقرئ شذوذا بالنون مبنيًا للفاعل ولنظ الحلالة بدل من الضمير في نوحى الواقع فاعلا (قوله وأوحى إلى الذين من قبلك) أشار بذلك إلى أن يوحى مستعمل

في حقيقته ومجازه فهو مستعمل في المستقبل بالنظر لما لم ينزل عليه من القرآن حينئذ وفي الماضي بالنظر لما أنزل عليه بالفعل وبالنظر لما أنزل على الرسل السابقين (قوله فاعل الإيحاء) أي على قراءة الجمهور وأما على قراءة البناء للمفعول فهو فاعل بفعل محذوف وعلى قراءة النون فهو بدل من ضمير نوحى (قوله وهو العلى على خلقه) أي النزه عن صفات خلقه (قوله العظيم) أي المنفرد بالكبرياء والعظمة (قوله بالنون الخ) ظاهره أن القراءات أربع من ضرب اثنتين في اثنتين وليس كذلك بل هي ثلاثة فقط سبعيات لأن من قرأ تكاد بالتاء الفوقية يجوز في ينفطرن الوجهين ومن قرأ يكاد بالياء التحتية لا يقرأ ينفطرن إلا بالتاء مع التشديد (قوله أي تنشق كل واحدة) أي تسقط السابعة فوق السادسة والسادسة فوق الخامسة وهكذا إلى أن يسقط الجميع فوق الأرض فتتنشق الأرض وتخرّ الجبال هداً والتقبيد بالفوقية أبلغ في مزيد الهيبة والجلال (قوله فوق التي تليها) أشار بذلك إلى أن الضمير في فوقهن عائد على السموات ويصح عوده على فوق الكفار والمشركين أو على الأرضين لتقدم ذكر الأرض (قوله من عظمته تعالى) أي فالسموات تكاد تنشق وتخرّ خوفاً من الجلال الناشئ عن قولهم اتخذ الله ولداً يدل على ذلك ما تقدم في سورة صريم (قوله والملائكة يسبحون الخ) هذا كلام مستأنف سيق لبيان فضل بني آدم (قوله من المؤمنين) أي والمراد بالملائكة حملة العرش ومن حوله بدليل ما تقدم في غافر فحمل المطاق على المقيد ، وقيل المراد مطلق الملائكة ومن في الأرض العموم (٣٠) فيشمل جميع الحيوانات ، والمراد بالاستغفار طلب الأرزاق ودفع البلا

وكل صحيح ولذلك قال بعض العارفين : أنصح عباد الله لعباد الله الملائكة وأغشّ عباد الله لعباد الله الشياطين (قوله ألا إن الله الخ) ألا أداة استفتاح يؤتى بها لتأكيد ما بعدها وقد وصف سبحانه وتعالى نفسه بالمغفرة والرحمة وأكد ذلك بالألا الاستفاحية وإن الجملة الاسمية فضلاً

فاعل الإيحاء (العزيز) في ملكه (الحكيم) في صنعه (له ما في السموات وما في الأرض) ملكاً وخلقاً وعبيداً (وهو العلى) على خلقه (العظيم) الكبير (تكاد) بالتاء والياء (السموات ينفطرن) بالنون ، وفي قراءة بالتاء والتشديد (من فوقهن) أي تنشق كل واحدة فوق التي تليها من عظمة الله تعالى (والملائكة يسبحون بحمده ربهم) أي ملاسبحين للحمد (ويستغفرون لمن في الأرض) من المؤمنين (ألا إن الله هو الغفور) لأوليائه (الرحيم) بهم (والذين اتخذوا من دونه) أي الأصنام (أولياء ، الله حفيظ) محص (عليهم) ليجازيهم (وما أنت عليهم بوكيل) تحصل المطلوب منهم ما عليك إلا البلاغ (وكذلك مثل ذلك الإيحاء) (أوحينا إليك قرآناً عربياً لتنذر) تخوف (أم القرى ومن حولها) أي أهل مكة وسائر الناس (وتنذر) الناس (يوم الجمع) أي يوم القيامة تجمع فيه الخلائق

منه وإحساناً للإشارة إلى أن رحمته غلبت غضبه (قوله أي الأصنام) (لاريب) تفسير للمفعول الأول فهو محذوف والثاني هو قوله أولياء ، والمعنى والذين اتخذوا الأصنام آلهة معبودة فالتين : ما عبدتم ليقرّبونا إلى الله زلفى ، يدل عليه الآية الأخرى ، وأما الأولياء بمعنى المتولين خدمة ربهم وتولاهم بحبته ومعرفته فمحمب والتعاقب بهم من جملة طاعة الله لأنهم الوسيلة لنا إلى الله ورسوله وليست محبتنا لهم وتوسلنا بهم شركاً إلا إذا كانت على العباد كالسجود مثلاً واعتقاد أنهم يؤثرون بذواتهم في نفع أو ضرر خلافاً للخوارج المضالين المضلين حيث زعموا أن كل توسل إلى الله بأحد سواه فهو مشرك (قوله الله حفيظ) أي ضابط لهم ولأعمالهم فلا يغيب عنه شيء منها ولا يفلتون فهذه الآية توبيخ للكفار وتسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله وكذلك) يصح أن يكون مفعولاً مطلقاً لأوحينا وقر مفعول به والتقدير وأوحينا إليك قرآناً عربياً كذلك واسم الإشارة عائد على الإيحاء المتقدم في قوله - كذلك يوحى إليك الخ ، يصح أن يكون مفعولاً به وقرآناً حال والتقدير وأوحينا إليك مثل ذلك الإيحاء حال كونه قرآناً عربياً (قوله القرى) سميت بذلك لأنها أول بلد خلقها الله وشرفها ولذا بعث لها أصلاً الخاق وأشرفهم وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وآله (قوله ومن حولها) أي كل جهة فهو مبعوث لسائر أهل الأرض بل وأهل السماء وإنما اقتصر على الإنذار وإن كان مبعوثاً بالبشارة أيضاً لأنه في ذلك الوقت لم يكن محل للبشرى لأن الخلق في ذلك الوقت كفار (قوله يوم الجمع) هو المفعول الثاني والأول محذوف قدره المفسر بقوله الناس فكس الفعل الأول ، فإنه قد ذكر المفعول الأول وحذف الثاني تقديره الم

ففي الآية احتباك حيث حذف من كل نظير ما أثبتته في الآخر (قوله لا ريب فيه) حال من يوم الجمع (قوله فريق) إما مبتدأ في كل خبره الجار والمجرور بعده والمسوق للابتداء بالنكرة وقوعها في معرض التفصيل وهو الأولى أو مبتدأ خبره محذوف تقديره منهم أو خبر لمبتدأ محذوف أي هم (قوله في الجنة) المراد بها دار الثواب فتعم جميع الجنان وقوله وفريق في السعير المراد به دار العذاب بجميع طباقها ، فالجنة لمن لا يتصف بالكفر من الثقلين إنسا وجنا والنار لمن انصف بالكفر من المكافين إنسا وجنا (قوله ولو شاء الله) مفعول شاء محذوف تقديره جعلهم أمة واحدة ، والمعنى أن الأمر كله لله فلا يستل عما يفعل الحكمة سبقت بأن خاق جنة وخلق لها أهلا وخلق نارا وخلق لها أهلا (قوله وهو الاسلام) أي أو الكفر (قوله ولكن يدخل من يشاء في رحمته) أي فضله وإحسانه وهم فريق الجنة (قوله والظالمون) أي وهم فريق النار وهو مقابل قوله يدخل من يشاء في رحمته ، وكان مقتضى الظاهر أن يقال ويدخل من يشاء في غضبه وعدل عنه إلى ما ذكر إشارة إلى دفع توهم أن لهم شفعاء ونصبرا في الآخرة ، وأما دخولهم في الغضب فأمر معلوم لا يحتاج للنص عليه (قوله الكافرون) تفسير للظالمون فالمراد بالظالم الكفر ، وأما الظالمون بمعنى العصيان غير الكفر فلهم نصير يدفع عنهم العذاب لما في الحديث «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» (قوله التي للانتقال) أي من بيان المسبب لبيان السبب فاتخاذهم الأصنام آلهة سبب في دخولهم النار (قوله والهمزة للانكار) هذا أحد أوجه في أم المنقطعة وهو أنها تقدر ببل والهمزة وبصح تقديرها (٣١) ببل وحدها أو الهمزة وحدها

(قوله أي ليس المتخذون أولياء) أي فالنفي منصب على المفعول الثاني (قوله فالله هو الولي) أي المعبود بحق المتولى أمور الخلق والجملة المعرفة الطرفين تفيد الحصر فلا معبود بحق إلا الله تعالى . إن قلت مقتضى الحصر هنا أن لفظ الولي لا يتصف به المخلوق ومقتضى آية - ألا إن أولياء الله لا خوف

(لَا رَيْبَ) شك (فِيهِ ، فَرِيقٌ) منهم (فِي الْجَنَّةِ ، وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ) النار (وَأَوْشَاءَ اللَّهُ لَجَمَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً) أي على دين واحد وهو الاسلام (وَلَكِنْ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَةٍ وَالظَّالِمُونَ) الكافرون (مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) يدفع عنهم العذاب (أَمْ أَتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ) أي الأصنام (أَوْلِيَاءَ) أم منقطعة بمعنى بل التي للانتقال والهمزة للانكار : أي ليس المتخذون أولياء (فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ) أي الناصر للمؤمنين والفاء لجرد العطف (وَهُوَ يُخَيِّبُ الْأَمْنَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . وَمَا اخْتَلَفْتُمْ) مع الكفار (فِيهِ مِنْ شَيْءٍ) من الدين وغيره (فَحُكْمُهُ) مردود (إِلَى اللَّهِ) يوم القيامة يفصل بينكم قل لهم (ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) أرجع (فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) مبدعهما (جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا) حيث خلق حواء من ضلع آدم .

عليهم ولا هم يحزنون - أنه يتصف به المخلوق فكيف الجمع بينهما ؟ أجيب بأن معنى الولي هنا المعبود بحق وذلك لا يتصف به غيره تعالى ، وأما الولي في تلك الآية فمعناه المنعمك في طاعة الله تعالى المتولى الله أموره وتقدم ذلك (قوله والفاء لجرد العطف) أي عطف ما بعدها على ما قبلها ورد بذلك على الزمخشري القائل إن الفاء واقعة في جواب شرط مقدر : أي إن أرادوا وليا بحق فالله هو الولي . قال أبو حيان لا حاجة إلى هذا التقدير لتمام الكلام بدونه (قوله وما اختلفتم فيه من شيء) ما مبتدأ شرطية أو موصولة ومن شيء بيان لما وقوله فحكمه إلى الله خبر المبتدأ (قوله وغيره) أي كأمور الدنيا (قوله يفصل بينكم) أي فيدخل الحق الجنة والمبطل النار (قوله ذلكم) اسم الإشارة مبتدأ أخبر عنه بأخبار أولها لفظ الجلالة وآخرها شرع لكم من الدين (قوله عليه توكلت) أي فوضت أموري (قوله مبدعهما) أي هي غير مثال سابق (قوله جعل لكم من أنفسكم) أي جنسكم وقوله أزواجا : أي نساء (قوله حيث خلق حواء من ضلع آدم) أي اليسرى وهو تأم فلما استيقظ ورآها سكن ومال إليها ومد يده إليها ، فقالت الملائكة مه يا آدم ، قال لم وقد خلقها الله ؟ فقال حق تؤدّي مهرها ، قال وما مهرها ؟ قالوا حق تصلى على محمد ثلاث مرات . وفي رواية لما رام آدم القرب منها طلبت منه المهر ، فقال يارب وماذا أعطيتها ؟ فقال يا آدم صل على حبيبي محمد بن عبد الله عشرين مرة ، فلما فعل ما أمر به خطب الله له خطبة النكاح ثم قال : اتهدوا يا ملائكتي وحملته صرثي أني زوجت أمي حواء من عبيد آدم والضعاف بوزن عنب وحمل فالضاد مكسورة واللام إما مفتوحة أو ساكنة وفعله ضلع من باب تعب : اصوج ، ومن باب نفع : مال عن الحق .

(قوله ومن الأنعام أزواجا) أى أصنافا (قوله أى يكثركم بسببه) أشار بذلك إلى أن في السببية والضمير في فيه عائد على الجمل (قوله والضمير الأناسى) أى وهو الكاف في يذروكم (قوله بالتغليب) جواب عما يقال كيف جمع بين العاقل وغيره في ضمير واحد فكان مقتضى الظاهر أن يقال يذروكم ويذروها (قوله الكاف زائدة) أى لئلا كيد وهذا أحد أجوبة عن سؤال مقتدر وهو أن ظاهر الآية يؤهم ثبوت المثل له تعالى وهو محال لأنه يصير التقدير ليس مثل مثله شئ فنفي المماثلة عن مثله ثبت أن له مثلا ولا مثل له ، وأيضا يلزم عليه التناقض لأنه إذا كان له مثل فأمثله مثل وهو هو مع أن إثبات المثل له تعالى محال . فأجاب المفسر بأن الكاف زائدة والتقدير ليس مثله شئ . وهذا الجواب أسهل الأجوبة في هذا المقام . وأجيب أيضا بأن مثل زائدة وردت بأن زيادة الأسماء غير جائزة وأيضا يلزم عليه دخول الكاف على الضمير وهو لا يجوز إلا في الشعر . وأجيب أيضا بأن المثل بمعنى الصفة وحينئذ فالتقدير ليس مثل صفته شئ . وأجيب أيضا بأن الكاف أصلية والكلام من قبيل الكناية كقولهم مثلك لا يبخل وليس لأخى زيد أخ فنفي المماثلة عن المثل مبالغة في نفى عظمه هو لأن العرب تقيم المثل مقام النفس (قوله له مقابليد السموات والأرض) جمع مقلاد أو مقليد أو إقليد (قوله من المطر الخ) بيان للخزان وقوله وغيرهما أى كالجواهر المستخرجة من الأرض (قوله إنه بكل شئ عليم) تعليل لما قبله (قوله شرع لكم) الخطاب لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ، والمعنى بين لكم (٣٢) وجعل لكم دينا قويا واضحا تطابقت على صحته الأنبياء والرسل من

قبل وهو تفصيل لما أجمل أولا في قوله: كذلك يوحى إليك وإلى الذين من قبلك (قوله ما وصى به نوحا الخ) خص هؤلاء بالذكر لأنهم أكابر الأنبياء وأولوا العزم وأصحاب الشرائع المعظمة المستقلة المتجددة فكان كل من هؤلاء الرسل له شرع جديد ، وأما من عداهم من الرسل إنما

وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا ذُكُورًا وَإِنَّا نَا (يَذَرُوكُمْ) بِالْمَعْجَمَةِ يَخْلُقُكُمْ (فِيهِ) فِي الْجَمَلِ الْمَذْكُورِ: أَيْ يَكْثُرُكُمْ بِسَبَبِهِ بِالتَّوَالِدِ وَالضَّمِيرُ لِلْأَنَامِ وَالْأَنْعَامِ بِالتَّغْلِيْبِ (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) الْكَافُ زَائِدَةٌ لِأَنَّهُ تَعَالَى لَمْ يَمْثَلْ لَهُ (وَهُوَ السَّمِيعُ) لِمَا يَقَالُ (الْبَصِيرُ) لِمَا يَفْعَلُ (لَهُ) مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ (أَي مَفَاتِيحُ خَزَائِنِهَا مِنْ الْمَطَرِ وَالنَّبَاتِ وَغَيْرِهَا) (يَبْسُطُ الرِّزْقَ) يَوْسَعُهُ (لِمَنْ يَشَاءُ) امْتَحَانًا (وَيَقْدِرُ) يَضِيقُهُ لِمَنْ يَشَاءُ ابْتِلَاءً (إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمٌ) . شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا (هُوَ أَوَّلُ أَنْبِيَاءِ الشَّرِيعَةِ) (وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ) هَذَا هُوَ الْمَشْرُوعُ الْمَوْصَى بِهِ وَالْمَوْحَى إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ التَّوْحِيدُ (كَبُرَ) عَظُمَ (عَلَى) الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ (مِنَ التَّوْحِيدِ) ،

كان يبعث بتبليغ شرع من قبله فمن بين نوح وإبراهيم وهما هود وصالح بعثا بتبليغ شرع نوح (الله) ومن بين إبراهيم وموسى بعثوا بتبليغ شرع إبراهيم وكذا من بين موسى وعيسى بعثوا بتبليغ شرع موسى وإني لم يذكر من قبلهم لأنه لم يكن قبل نوح أحكام مشروعة ، لأن آدم كان شرعه التوحيد ومصالح المعاش ، واستمر ذلك الأمر إلى نوح فبعثه الله تعالى بتحريم الأمهات والبنات والأخوات ووظف عليه الواجبات وأوضح له الآداب والديانات ، ولم يزل ذلك الأمر يتناقل بالرسول ويتناقل بالأنبياء واحدا بعد واحد وشرعية إثر شرعية حتى ختمها الله بخير الملائكة على لسان أكرم الرسل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، فتبين بهذا أن شرعنا معشر الأمة المحمدية قد جمع جميع الشرائع المتقدمة (قوله هو أول أنبياء الشريعة) أى فهذا حكمة بدء بنوح وأيضا لتقدمه في الزمان (قوله والذي أوحينا إليك) أى بالاسم الموصول الذي هو أصل الموصولات وعبر في جانبه صلى الله عليه وسلم بالإيجاء تعظيما لشأنه وردا على المشركين المنكرين بعثته صلى الله عليه وسلم حيث قالوا: لست مرسلا (قوله أن أقيموا الدين) الأوضح أن تفسيرية بمعنى أى ويصح أن تكون مصدرية إما في محل رفع خبر لم حذف تقديره هو إقامة الدين أو في محل نصب بدل من مفعول شرع ، والمراد بإقامة الدين تعديل أركانه وحفظه والمواظبة عليه (قوله وهو التوحيد) بيان للمراد من الدين الذي اشترك فيه هؤلاء الرسل ، وأما قوله: والذي أوحينا إليك ، فهو أعم من ذلك فإن المراد به جميع الشريعة أصولا وفروعا وإنما اقتصر على التوحيد لأنه رأس الدين وأساسه (قوله كبر على المشركين) أى شق عابهم (قوله من التوحيد) اقتصر عليه لأنه عماد الدين والإله يدعوهم إليه عام يشمل جميع الأصول والفروع .

(قوله الله يحيى إليه) من الاجتهاد وهو اصطفاء الله العبد وثوقيته لما يرضاه وتخصيصه بالفيوضات الربانية (قوله من ينسب) ضمنه معنى يقبل أو يعيل فعداء بالي (قوله وما تفرقوا) الضمير عائدا على أهل الأديان المتقدمين من أول الزمان إلى آخره كما قال المفسر ، والمراد بأهل الأديان أمم الأنبياء المتقدمين كأمة نوح وأمة هود وأمة صالح وغيرهم ، وأخذ المفسر العموم من مجموع روايات عن ابن عباس وغيره في رواية عنه أن المراد بهم قریش ، والمراد بالعلم محمد دليله قوله تعالى : فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ، وقوله تعالى : فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفورا ، وفي رواية عنه أن المراد بهم أهل الكتاب بدليل قوله : وما تفرق الدين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة ، وفي رواية غيره أن المراد أمم الأنبياء المتقدمين (قوله العلم بالتوحيد) أى بأن قامت عليهم الحجج والبراهين من النبي المرسل إليهم (قوله بغيا مفعول لأجله) أى تفرقوا من أجل حصول البغى بينهم الذى هو الحسد والعناد فى الكفر (قوله بتأخير الجزاء) أى إلى يوم القيامة ، وأما الدنيا فليست دار جزاء لشقى ولا سعيد . إن قلت إن كفر الأمم الماضية قد نزل بهم أنواع من العذاب كالصيحة والحسف والسفخ وغير ذلك . أجيب بأنه ليس بجزاء بل هو علامة الجزاء والحزى (قوله أورتوا) فعل مبنى للمفعول والفاعل الله تعالى (قوله وهم اليهود والنصارى) تفسير للذين أورتوا الكتاب ، وحينئذ فالمراد بالكتاب التوراة والإنجيل والضمير (٣٣) فى بعدهم عائدا على أصولهم المتفرقين

فى الحق ، وقيل معنى من بعدهم من قبلهم ويكون الضمير حينئذ عائدا على مشركى مكة ، وقيل المراد بالذين أورتوا الكتاب مشركو العرب والمراد بالكتاب القرآن والضمير فى من بعدهم عائدا على اليهود والنصارى (قوله لى شك) المراد به هنا مطلق التردد والتعير (قوله موقع فى الريبة) أى الشبهات والضلالات (قوله فذلك) الجار والمجرور متعلق بادع والتقدير

(اللهُ يُحْيِي إِلَيْهِ) إِلَى التَّوْحِيدِ (مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ) يُقْبِلُ إِلَى طَاعَتِهِ (وَمَا تَفَرَّقُوا) أى أهل الأديان فى الدين بأن وحد بعض وكفر بعض (إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ) بِالتَّوْحِيدِ (بَغِيًّا) مِنَ الْكَافِرِينَ (بَيْنَهُمْ وَأَوَّلًا كَلِمَةً سَبَّحْتَ مِنْ رَبِّكَ) بِتَأْخِيرِ الْجَزَاءِ (إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى) يَوْمَ الْقِيَامَةِ (أَقْضَى بَيْنَهُمْ) بِعَذَابِ الْكَافِرِينَ فى الدُّنْيَا (وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِئُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ) وَهُمْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى (لَنِي شَكٌّ مِنْهُ) مِنْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (مُرِيبٌ) مَوْقِعٌ فى الرَيْبَةِ (فَلِذَلِكَ) التَّوْحِيدِ (فَادْعُ) يَا مُحَمَّدُ النَّاسَ (وَأَسْتَقِمَّ) عَلَيْهِ (كَمَا أَمَرْتُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ) فى تَرْكِهِ (وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأَمَرْتُ لِأَعْدِلَ) أى بِأَنْ أَعْدِلَ (بَيْنَكُمْ) فى الْحُكْمِ (اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ) فَكُلٌّ يُجَازَى بِعَمَلِهِ (لِأَحْجَةِ) خُصُومَةٍ (بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ) هَذَا قَبْلَ أَنْ يُؤْمَرَ بِالْجِهَادِ (اللَّهُ يُجَمِّعُ بَيْنَنَا) فى الْعَادِ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ (وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ) الْمَرْجِعُ (وَالَّذِينَ يَحْجُجُونَ فى) دِينِ (اللَّهِ) نَبِيهِ (مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُ) بِالْإِيمَانِ لظُهُورِ مُعْجَزَتِهِ وَهُمْ الْيَهُودُ (حُجَّتُهُمْ) ،

فادع الناس لذلك التوحيد الذى تقدم ذكره فى قوله : شرع لكم من الدين (قوله واستقم) الاستقامة لزوم النهج القويم (قوله كما أمرت) أى من تقوى الله حق تقائه وعبادته حق عبادته ومن هنا شاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « شيتنى هود وأخوانها » فسبب شيبه خوفه من عدم قيامه بما أمر به ولكن خفف الله عنه وعن أمته بقوله : فاتقوا الله ما استطعتم وقوله كما أمرت الكاف بمعنى مثل ، والمعنى استقم استقامة مثل الذى أمرت به أى موافقة له (قوله ولا تتبع أهواءهم) أى حيث قالوا اعبد آلهتنا سنة ونحن نعبد إلهك سنة (قوله من كتاب) بيان لما ، والمعنى آمنت بكل كتاب أنزله الله تعالى وهذه الآية بمعنى قوله تعالى : كل آمن بالله وملائكته وكتبه الخ (قوله أى بأن أعدل) أشار بذلك إلى أن اللام بمعنى الباء وأن المصدرية مقترنة والفعل منصوب بها (قوله فكل يجازى بعمله) أى من خير وشر (قوله هذا قبل أن يؤمر بالجهاد) أشار بذلك إلى أن هذه الآية منسوخة بقوله : قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الآية ، وقيل ليست منسوخة بل المراد من الآية أن الحق قد ظهر والحجج قامت فلم يبق إلا العناد وبعد العناد لأحجة ولا جدل (قوله وإليه المصير) أى فيجازى كل أحد بعمله من خير وشر (قوله والذين يحاجون فى الله) الكلام على حذف مضاف والمفعول محذوف كما أشار لذلك المفسر (قوله من بعد ما استجيب له) أى من بعد دخول الناس فى دينه وأجابوا دعوته فالسين والتاء زائدتان (قوله وهم اليهود) تفسير للموصول . [٥ - صاوى - رابع]

(قوله داحضة) من الادحاض وهو الازلاق ، يقال دحضت رجله أى زلقت والمراد هنا الأبطال (قوله ولهم عذاب شديد) أى فى الآخرة (قوله متعلق بأنزل) أى والباء للابسة (قوله والميزان العدل) أى ومسمى العدل ميزانا لأن الميزان يحصل به الانصاف والعدل فهو من تسمية المسبب باسم السبب وإنزاله الأمر به ، وقيل المراد بالميزان نفسه الذى يوزن به والمراد بإنزاله إنزال الالهام بعمله والأمر بالوزن به ، وقيل الميزان محمد صلى الله عليه وسلم يقضى بينكم بكتاب الله (قوله وما يدريك) الاستفهام إنكارى ، والمعنى لا سبب يوصلك للعلم بقربها إلا الوحي الذى ينزل عليك (قوله أى إتيانها قريب) قدر المضاف ليصح الاخبار بالمذكر عن المؤنث (قوله ولعلّ متعلق للفعل عن العمل) التعليق بإبطال العمل لفظا لا محلا بسبب توسط أداة لها صدر الكلام (قوله أو ما بعده سد مسد المفعولين) أى الثانى والثالث وأما الأول فهو الكاف ويتعين جعل أو بمنى الواو (قوله الذين لا يؤمنون بها) أى فلا يشفقون منها وقوله : والذين آمنوا مشفقون منها أى فلا يستعجلون بها فى الآلة احتباك حيث حذف من كل نظير ما أثبتته فى الآخر (قوله إنها الحق) أى كائنة وحاصلة لا محالة (قوله فى الساعة) أى فى إتيانها (قوله فى ضلال بعيد) أى عن الاهتداء (قوله الله لطيف بعباده) أى حفى بهم ، وقيل بار بهم ، وقيل رفيق بهم ، وقيل معناه لطيف بهم فى العرض والمحاسبة ، وقيل يلطف بهم فى الرزق من وجهين : أحدهما أنه جعل رزقك من الطيبات . والثانى أنه لم يدفعه إليك مرة واحدة فتبذره (٣٤) وقيل اللطيف من إذا لجأ إليه أحد من عباده قبله وأقبل عليه

دَاحِضَةٌ (باطلة) (عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ) اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ (القرآن) (بِالْحَقِّ) متعلق بأنزل (وَالْمِيزَانَ) العدل (وَمَا يُدْرِيكَ) يعلمك (لَعَلَّ السَّاعَةَ) أى إتيانها (قريب) (ولعلّ متعلق للفعل عن العمل أو ما بعده سد مسد المفعولين) (يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا) يقولون متى تأتى ظننا منهم أنها غير آتية (وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ) خائفون (مِنْهَا وَيَعْمَلُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُبَادِلُونَ (فِي السَّاعَةِ) - فى ضلال بعيد . الله لطيف بعباده) برّهم وفاجرهم حيث لم يهلكهم جوع بمعاصيهم (يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ) من كل منهم ما يشاء (وهو القوي) على مراده (العزيز) الغالب على أمره (مَنْ كَانَ يُرِيدُ) بعمله (حَرْثَ الْآخِرَةِ) أى كسبها وهو الثواب (تَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ) بالتضعيف فيه الحسنة إلى العشرة وأكثر ،

وفى الحديث « إن الله تعالى يطاع على القبور الدوارس فيقول الله عز وجل : أحقت آثارهم واضمحل صورهم وبقى عليهم العذاب وأنا اللطيف وأنا أرحم الراحمين خففوا عنهم » ، وقيل اللطيف الذى ينشر من عباده المناقب ويستر عليهم المثالب ، ومنه حديث « يا من أظهر الجميل وستر

القبيع » ، وقيل هو الذى يقبل القليل ويبذل الجزيل ، وقيل هو الذى يجبر الكسير ويسر العسير ، وقيل هو الذى لا يخاف إلا عدله ولا يرجى إلا فضله ، وقيل هو الذى يعين على الخدمة ويكثر المدحة ، وقيل هو الذى لا يعاجل من عصاه ولا يخيب من رجاءه ، وقيل هو الذى لا يرد سائله ولا يؤيس آمله ، وقيل هو الذى يعفو عمن يهفو ، وقيل هو الذى يرحم من لا يرحم نفسه ، وقيل هو الذى أوقد فى أصرار العارفين من المشاهدة سراجا وجعل لهم الصراط المستقيم منها وأجزل لهم من سحاب برّ ماء ثجاجا . وبالجملة فهذا الاسم جامع لمعانى الأسماء الجمالية فينبغى للعاقل الأكثر من ذكره سيما إذا قصد بذكره رضا ربه فإن له السعادة دنیا وأخرى ويكفى هو مهما لما ورد « اعمل لوجه واحد يكفك كل الأوجه » (قوله من كل منهم) بيان لمن ، والمعنى أن الذى يشاء رزقه هو كل منهم (قوله من كان يريد حرث الآخرة الخ) الحرث فى الأصل إلقاء البذر فى الأرض و يطلق على الزرع الحاصل منه ثم استعمل فى ثمرات الأعمال وتناجها على سبيل الاستعارة حيث شبهت ثمرات الأعمال بالفلال الحاصلة من البذر بجامع حصول العمل والتعب فى كل فان من أتعب نفسه أيام البذر واشتغل بالحرث والزرع أراحها ووجد الثمرات أيام الحصاد فكذلك من أتعب نفسه فى الدنيا وعمل ابتغاء وجه ربه فإنه يجد ثمرات أعماله فى الآخرة ومنها هنا حديث « الدنيا مزرعة للآخرة » وهذه الآية عامة لبيان حال الخاص فى عمله لوجه الله والذى يطاب بعمله أعراف الدنيا ذكرها أو أنشئ لأن من من صيغ العموم وقوله بعمله المراد به خدمته فى الدنيا صلاة أو صوما أو غيرها كالسعى على العيال وحيلته فالمدار على النية الحسنة إذ بها تصير العادات عبادات (قوله الحسنة) منصوب بالمصدر الذى هو التضعيف .

(قوله ومن كان يريد حرث الدنيا الخ) أى بعمله وخدمته والمعنى من صرف نيته للدنيا وجعل عمله وخدمته لها نفعه ما قسم له منها وبعد ذلك ليس له فى الآخرة حظ ولا نصيب ، فالذى ينبغى للشخص أن يسعى فيما يرضى ربه و يقصد بعمله وجه خالقه وسيده يحصل له غنى الدنيا والآخرة . ومن معنى هذه الآية حديث «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه» وحديث «أوحى الله إلى الدنيا يادنيا من خدمتى فأخدميه ومن خدمك فاستخدميه» (قوله ما قسم له) مفعول نوته (قوله وما له فى الآخرة من نصيب) أى حظ فى النعيم . واعلم أن المقام فيه تفصيل فإن تجرد عمله للدنيا وقدم السعى فيها على الإيمان فهو محذوف فى النار وليس له فى الآخرة نعيم أصلاً وأما إن كان التفريط فيما عدا الإيمان كأن يرأى بعمله قصدا لطالب الدنيا فهو مسلم عاص نعيم فى الآخرة غير كامل (قوله أم لهم شركاء) قدرها المفسر بيل التى للانتقال من قصة إلى قصة وقدرها غيره بيل والهمزة لى للتوبيخ والتقرىع وهو متصل بقوله : شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا (قوله هم شياطينهم) أى الدين شاركهم فى الكفر العصيان (قوله شرعوا لهم) إسناد الشرع إلى الشياطين مجاز من الإسناد للسبب لأنها سبب إضلالهم (قوله لقضى بينهم) حكم بين الكفار والمؤمنين بأن يعذب الكفار ويثيب المؤمنين ولكن (٣٥) حكم الله وقضى فى سابق أزله

أن الثواب والعقاب يكونان يوم القيامة (قوله ترى الظالمين) خطاب لكل من تنأت منه الرؤية (قوله مشفقين حال) أى حال كونهم خائفين فى ذلك اليوم وهذا الخوف زيادة عذاب لهم وأما النجى فهو الخوف فى الدنيا من عذاب الله (قوله أن يجازوا عليها) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف أى من جزاء ما كسبوا (قوله لا محالة) أى أشفقوا أولم

(وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا) بلا تضعيف ما قسم له (وَمَالَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ . أَمْ) بل (لَهُمْ) لكفار مكة (شُرَكَاءُ) هم شياطينهم (شَرَعُوا) أى الشركاء (لَهُمْ) للكفار (مِنَ الدِّينِ) الفاسد (مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ) كالشرك وإنكار البعث (وَلَوْ لَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ) أى القضاء السابق بأن الجزاء فى يوم القيامة (لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ) وبين المؤمنين بالتعذيب لهم فى الدنيا (وَإِنَّ الظَّالِمِينَ) الكافرين (لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم (تَرَى الظَّالِمِينَ) يوم القيامة (مُشْفِقِينَ) خائفين (مِمَّا كَسَبُوا) فى الدنيا من السيئات أن يجازوا عليها (وَهُوَ) أى الجزاء عليها (وَأَقْعَبَهُمْ) يوم القيامة لا محالة (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ) أنزهها بالنسبة إلى من دونهم (لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ . ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ) من البشارة مخففاً ومثقلاً به (اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ) أى على تبليغ الرسالة (أَجْرًا إِلَّا الْمُوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) استثناء منقطع أى لكن أسألكم أن تودوا قرابتى التى هى قرابتكم أيضاً

أشفقوا (قوله والذين آمنوا) مبتدأ خبره فى روضات الجنات (قوله أنزهها بالنسبة إلى من دونهم) أى فروضة الجنة أعلاها أطيبها وفيه إشارة إلى أن الذين آمنوا ولم يعملوا الصالحات فى الجنة غير أنهم ليسوا فى الأعلى ولا فى الأطيب (قوله عند ربهم) عرف لبشامون والعنودية مجازية (قوله الفضل الكبير) أى الذى لا يوصف لأن الله تعالى بجلاله وعظمته وصفه بالكبر فمن الذى يستطيع أن يصفه من الحوادث (قوله ذلك) مبتدأ والذى يبشر خبره والعائد محذوف قدره للمفسر بقوله به حذف لجار فاقبل الضمير وهذا على الصحيح من أنها اسم موصول وأما على رأى يونس من أنها مصدرية فلا تحتاج إلى عائد والتقدير عنده ذلك تبشير الله عباده (قوله من البشارة) أى وهى الخبر السار (قوله مخففاً ومثقلاً) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله لا أسألكم عليه أجراً) أى قل يا محمد لأمتك لا أطالب منكم أجراً فى نظير تبليغى الرسالة وتبشيري إياكم ولا خصوصية له على الله عليه وسلم بذلك بل جميع الأنبياء لا يسألون الأجرة لأن سؤال الأجرة على الأمور الأخروية نقص فى حق غير الأنبياء أولى الأنبياء (قوله إلا المودة فى القربى) اختلف المفسرون فى معنى هذه الآية على ثلاثة أقوال : الأول من ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم كان وسط النسب من قریش ليس بطن من بطونهم إلا وقد ولده وكان له فيهم قرابة فقال الله عز وجل : لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى ، أى ما بينى وبينكم من القرابة ، والمعنى إن لم تتبعونى فاحفظوا حق القربى وصلوا

(قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله يجيبهم إلى ما يسألون) أشار بذلك إلى أن السين والتاء زائدتان والموصول مفعول به والفاعل ضمير يعود على الله تعالى (قوله لبغوا جميعهم) دفع بذلك ما يقال إن البنى حاصل بالفعل فكيف يصح اتفأؤه . فأجاب بأن اللازم المنتقى هو بنى جميعهم ، والملزوم بسط الرزق للجميع وإلا فبنى البعض و بسط الرزق للبعض حاصل في كل زمن (قوله أى طغوا في الأرض) أى لأن الله تعالى لوسوى في الرزق بين جميع عبادہ لامتنع كون البعض محتاجا للبعض ، وذلك يوجب خراب العالم وفساد نظامه فأفعال الله تعالى لا تخلو عن مصالح وإن لم يجب على الله فعلها فقد يعلم من حال عبد أنه لو ييسط عليه الرزق قاده ذلك إلى الفساد فيزوى عنه الدنيا مصلحة له ، ففي حديث أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى « إن من عبادى المؤمنين من يسألنى الباب من العبادة وإنى أعلم أنى لو أعطيته إياه لدخله العجب فأفسده ، وإن من عبادى المؤمنين من لا يصلحه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسده الغنى ، وإن من عبادى المؤمنين من لا يصلحه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسده الفقر ، وإن من عبادى المؤمنين من لا يصلحه إلا الغنى فلا تفقرنى برحمتك (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله فييسطها لبعض دون بعض) أى وييسطها للبعض أحيانا ويضييقها عليه أحيانا فلا يسأل عما يفعل (قوله إنه بعباده خير بصير) تعليل لما قبله . والمعنى أعلم بالبواطن (٣٧) والظواهر (قوله وهو الذى ينزل)

بالتخفيف والتشديد قراءتان سبعيتان (قوله من بعد ما قنطوا) العامة على فتح النون وقرى شذوذا بكسر النون ومضارعها بفتح النون وبه قرى في المتواتر فتحصل أنه في المضارع قرى بالوجهين قراءة سبعة وفي الماضي لم يقرأ في السبع إلا بالفتح والكسر قراءة شاذة

بالياء والتاء (وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) يجيبهم إلى ما يسألون (وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ . وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ) جميعهم (لَبَغَوْا) جميعهم أى طغوا (فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزِلُ) بالتخفيف والتشديد من الأرزاق (بِقَدَرِ مَا يَشَاءُ) فييسطها لبعض عبادہ دون بعض وينشأ عن البسط البغى (إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ . وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ) المطر (مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا) ينسو من نزوله (وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ) ييسط مطره (وَهُوَ الْوَلِيُّ) المحسن للمؤمنين (الْحَمِيدُ) المحمود عندهم (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ) خلق (مَا بَثَّ) فرق ونشر (فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ) هى ما يدب على الأرض من الناس وغيرهم (وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ) للحشر (إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ) فى الضمير تغليب العاقل على غيره (وَمَا أَصَابَكُمْ) خطاب للمؤمنين ،

وإن كان لغة فيه (قوله ييسط مطره) أشار بذلك إلى أن المطر سمي باسمين الغيث لأنه يغيث من الشدائد والرحمة لأنه رحمة وإحسان للخلق ويصح أن يراد بالرحمة البركات أى بركات الغيث ومنافعه فى كل شىء من السهل والجبل والنبات والحيوان وحينئذ فيكون عطفه على ما قبله من عطف السبب على السبب (قوله المحمود عندهم) أى وعند جميع المخلوقات ، وإنما خص المؤمنين تشريفا لهم (قوله ومن آياته) أى دلائل قدرته وعجائب وحدانيته (قوله خلق السموات والأرض) أى فأنهما بذاتهما وصفاتهما يدلان على انصاف خالقهما بالكلمات قال تعالى : أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها الآية (قوله وخلق ما بث) أشار بذلك إلى أن قوله وما بث معطوف على السموات مساط عليه خلق ويصح أن يكون فى محل رفع عطف على خلق (قوله هى ما يدب على الأرض) أشار بذلك إلى أن المراد فى أحدهما فهو من إطلاق المثنى على الفرد كما فى قوله تعالى : يخرج منهما الأواث والمرجان ، وإنما يخرجان من أحدهما وهو الملح ، وهذا أصم وأحسن مما قيل إن الآية باقية على ظاهرها ولا مانع من أن الله تعالى خلق حيوانات فى السموات يمشون فيها كمشى الانامى على الأرض لأن ذلك بعيد من الافهام لكونه على خلاف العرف العام (قوله إذا يشاء) متعلق بجمعهم وقدير خبر الضمير وعلى جمعهم متعلق بقدير والمعنى وهو قدير على جمعهم فى أى وقت شاء وهو معنى قوله تعالى : إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ففى أراد الله شيئا أبرزه بقدرته (قوله فى الضمير) أى وهو قوله على جمعهم ولو لم يرد التغليب لقال على جمعها (قوله خطاب للمؤمنين) أى وأما مصائب الكفار فى الدنيا فتعجيل لبعض العقاب لهم .

(قوله من مصيبة) بيان لما وقوله فيما كسبت أيديكم جواب الشرط إن جعلت ماشرطية أو خبر المبتدأ إن جعلت موصولة وقرنت بالفاء لما في المبتدأ من معنى الشرط وهذا على ثبوت الفاء ، وأما على قراءة حذفها فالأولى جعلها خبرا وما موصولة وجعلها ماشرطية يلزم عليه حذف الفاء في جوابه وهو شاذ والقراءتان سبعيتان (قوله ويعفوا عن كثير) من تمة قوله : فيما كسبت أيديكم . والمعنى أن الذنوب قسمان قسم تعجل العقوبة عليه في الدنيا بالمصائب وقسم يعفو عنه فلا يعاقب عليه بها وما يعفو عنه أكثر قال علي بن أبي طالب هذه الآية أرجى آية في كتاب الله عز وجل وإذا كان يكفر عن المصائب ويعفو عن كثير فأى شيء يبقى بعد كفرته وعفوه ، وقد روى هذا المعنى مرفوعا عنه رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال علي بن أبي طالب ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله حدثنا بها النبي صلى الله عليه وسلم : وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم الآية يا علي ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا فيما كسبت أيديكم والله أكرم من أن يثني عليكم العقوبة في الآخرة وما عفا عنه في الدنيا فإله أحلم من أن يعاقب به بعد عفوه ، وقال الحسن لما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم «ما من اختلاج عرق ولا خدش عود ولا نكتة حجر إلا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر» وقال الحسن دخلنا على عمران بن حصين فقال رجل لا بد أن أسألك عما أرى بك من الوجع ، فقال عمران يا أخى لا تفعل فوالله إني لأحب الوجع ، ومن أحبه كان أحب الناس إلى الله قال تعالى : وما أمّا بكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم فهذا مما كسبت يدي وعفوري عما بقي أكثر ، وقال عكرمة : ما من نكبة أصابت (٣٨) عبدا فما فوقها إلا بذنب لم يكن الله ليغفره إلا بها أو لنيل درجة لم يكن

ليوصله إليها إلا بها وروى أن رجلا قال لموسى يا موسى سل الله في حاجة يقضيها لي هو أعلم بها ففعل موسى فلما ترك إذا هو بالرجل قد مزق السبع لحمه وقتله فقال موسى يارب ما بال هذا فقال الله تعالى يا موسى انه سألني درجة علمت أنه لا يبلغها

(مِنْ مُصِيبَةٍ) بلية وشدة (فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ) أى كسبتكم من الذنوب ، وعبر بالأيدي لأن أكثر الأفعال تراول بها (وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ) منها فلا يجازى عليها وهو تعالى أكرم من أن يثني الجزاء في الآخرة وأما غير المذنبين فما يصيبهم في الدنيا لرفع درجاتهم في الآخرة (وَمَا أَنْتُمْ) يا مشركين (بِمُعْجِزِينَ) الله هربا (فِي الْأَرْضِ) فتفتوتونه (وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى غيره (مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) يدفع عذابه عنكم (وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ) السفن (فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ) كالجبال في العظم (إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ) يصرن (رَوَاكِدَ) ثوابت لا تجرى (عَلَى ظَهْرِهِ) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ

بعمله فأصعبته بما ترى لأجعله وسيلة له في نيل تلك الدرجة

(قوله وهو تعالى أكرم الخ) متعاق بقوله فيما كسبت أيديكم فكان المناسب تقديمه بلسقه (قوله من أن يثني الجزاء في الآخرة) أى من أن يعيد الجزاء بالعقوبة في الآخرة لأن الكريم لا يعاقب مرتين (قوله وأما غير المذنبين) أى كالأنبياء والأطفال والمجانين (قوله لرفع درجاتهم) وقيل في الأطفال إن مصائبهم لتكفير سيئات أبويهم وفي الحقيقة رفع درجات لهم وتكفير لأبائهم (قوله يا مشركين) كذا في النسخ التي بأيدينا . والصواب يا مشركون لأن المنادى يثنى على ما يرفع به وهو يرفع بالوعد (قوله بمعجزين الله) أى فآيات من عذابه (قوله ومن آياته) أى أدلة توحيده وعجائب قدرته (قوله الجوار) بحذف الياء خطأ لأنها من يآت الزوائد وإثباتها في اللفظ وصلا ووقفا وحذفها كذلك أربع قراءات سبعيات (قوله السفن) استشكل بأن ظاهر الآية يوم حذف الموصوف وإبقاء صفته مع أن الجرى ليس من الصفات الخاصة بالموصوف وهو السفن وحينئذ فلا يجوز حذفه لعدم علمه قال ابن مالك : وما من المنعوت والنعت عقل يجوز حذفه وفي النعت يقل أجيب بأن محل الامتناع إذا لم تجر الصفة مجرى الجوامد بأن تغلب عليها الاسم كالأبطال والبرق والأجرع وإلا جاز حذف الموصوف ولذلك فسر الجوار بالسفن ولم يقل أى السفن الجارية (قوله فيظللان) بفتح اللام في قراءة العامة من ظلل بكسرهما كعلم وقرى شدوذا فيظللان بكسر اللام من ظلل بفتحها كضرب (قوله أى يصرن) أشار بذلك إلى أن المراد من ظلل الصبرورة في ليل أو نهار ، وليس المراد معناها وهو إتصاف المظهر عنه بالخبر نهارا (قوله روا كد) جمع را كد يقال ركذ الماء ركودا من باب قعد سكن ويوصف به الريح والسفينة وكل شيء سكن بعد تحركه .

(قوله لكل صبار) أي كثير الصبر على البلاء عظيم الشكر على العطايا (قوله عطف على يسكن) أي فالعنى إن يشا يسكن الريح فيركدن أو يعصفها فيغرقن ولا مفهوم له بل قد يفرقها الله بسبب آخر كقطع لوح أو غير ذلك (قوله بعصف الريح بأهلين) أي اشتدادها وإنما قيد به وإن كانت أسباب الفرق كثيرة نظرا للنشأ والغالب (قوله أي أهلين) تفسير للواو في كسبو العائد على أهل السفن المعلوم من السياق (قوله ويعف عن كثير) قرأ العامة بالجزم عطا على جواب الشرط واستثنى كل بأنه يلزم عليه دخول العفو في خبر المشبهة مع أنه اخبار عن العفو من غير شرط المشبهة. وأجيب بأن الجزم من حيث الصورة الظاهرية لا من حيث المعنى وقرئ شذوذاو يعفو بالرفع والنصب أمراءة الرفع فهي محتملة لوجهين : الأول الاستئناف الثاني الميم وزيدت الواو للإشباع كزيادتها في من يتقى ويصبر وأما قراءة النصب فهي على إضمار أن بعد الواو قال ابن مالك : والفعل من بعد الجزاء إن يقترب بالفا أو الواو بثلاث قن وهذا نظير ما قيل في قوله

عالي - فيعفو لمن شاء - (قوله منها) أي الذنوب أو السفن (قوله بالرفع مستأنف) أي وهو يعلم وقوله بالنصب أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله لينتقم منهم) أي بالفرق وهو تعليل للاغراق (قوله فما أوتيتهم) ما الشرطية مفعول ثان لأوتيتهم والأول ضمير الخطابين به نائب الفاعل ومن شئ بيان لما وقوله فمتاع الحياة الدنيا جملة من مبتدأ وخبر جواب الشرط (٣٩)

(قوله من أثاث الدنيا) أي منافعها من مأكل ومشرب وملبس ومنسكح ومركب وغير ذلك واحده أثاث وقيل لا واحد له من لفظه (قوله ثم يزول) أخذ من قوله متاع لأن المتاع هو ما يتمتع به تمتعا ينتضى (قوله للذين آمنوا) أي اتصفوا بالإيمان وماتوا عليه (قوله وعلى ربهم يتوكلون) أي يعتقدون أن لا ملجأ لهم من الله إلا إليه ولا ضار ولا نافع سواه

لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) هو المؤمن يصبر في الشدة ويشكر في الرخاء (أَوْ يُوبِقُهُنَّ) عطف على يسكن أي يفرقهن بعصف الريح بأهلين (يَمَّا كَسَبُوا) أي أهلين من الذنوب (وَيَعْفُ مِنْ كَثِيرٍ) منها فلا يفرق أهله (وَيَعْلَمُ) بالرفع مستأنف وبالنصب معطوف على تعليل مقدر أي يفرقهم لينتقم منهم ويعلم (الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ حِصٍّ) مهرب من العذاب وجملة النفي سدت مسد مفعولي يعلم والنفي معلق عن العمل (فَمَا أُوْتِيتُمْ) خطاب للمؤمنين وغيرهم (مِنْ شَيْءٍ) من أثاث الدنيا (فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) يتمتع به فيها ثم يزول (وَمَا عِنْدَ اللَّهِ) من الثواب (خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) ويعطف عليه (وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كِبَاءَ الْإِنِّمِ وَالْفَوَاحِشِ) موجبات الحدود من عطف البعض على الكل (وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ) يتجاوزون (وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ) ،

والتوكل بهذا المعنى شرط في صحة الإيمان وأما إن أريد به تفويض الأمور إليه والاعتماد عليه في جميع ما ينزل بالشخص فليس شرطاً في صحته بل هو وصف كامل الإيمان وليس مراداً هنا لأن ما عند الله من الثواب يكون لعموم المؤمنين (قوله ويعطف عليه) أي على قوله للذين آمنوا (قوله يجتنبون كباء الإنم) هي كل ما ورد فيها حد أو وعيد (قوله من عطف البعض على الكل) مراده عطف الخاص على العام لأن من الكبراء ما فيه الوعيد ولا حد فيه كالغيبة والنيمة والعجب والرياء (قوله وإذا ما غضبوا إلخ) إذا ظرف منصوب ينفرون مجرد عن معنى الشرط وما صلة وهم مبتدأ وينفرون خبره والجملة معطوفة على الصلة والتقدير والذين يجتنبون وهم ينفرون عطف جملة اسمية على فعلية ويصح أن تكون إذا شرطية وما صلة وغضبوا فعل الشرط وهم تأكيد للواو وينفرون جواب الشرط وأما جعل هم ينفرون جملة من مبتدأ وخبر جواب الشرط فشاذ لخلوه من الفاء ولا ينبغي حمل التنزيل عليه والمعنى أن مكارم الأخلاق التجاوز والحلم عند حصول الغضب ولكن يشترط أن يكون الحلم غير محل بالمرودة ولا واجبا وإلا فالغضب مطلوب كما إذا انتهكت حرمة الله فالواجب الغضب لا الحلم وعليه قول الامام الشافعي : من استغضب ولم يغضب فهو حمار . وقال الشاعر :

إذا قيل حلم قل فالحلم موضع وحلم الفقه في غير موضعه جهل

وبالجملة فكل مقام له مقال (قوله والذين استجابوا لربهم) معطوف على الموصول المتقدم وهذه الآية نزلت في الأنصار دعاء

رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإيمان واستجابوا له ونقّب عليهم اثني عشر نفياً قبل الهجرة (قوله أجاوبه إلى مادعاهم الخ) أي على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشار المفسر إلى أن السنين والثناء زائدتان (قوله وأقاموا الصلاة) أي أدوها بشروطها وآدابها (قوله وأمرهم شورى بينهم) والشورى مصدر شاورته أي شاركته في الرأي كالبشرى وكانت الأنصار قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم إذا أرادوا أمراً تشاوروا فيه ثم عملوا عليه فمدحهم الله تعالى به وأمر صلى الله عليه وسلم بذلك قال تعالى - وشاورهم في الأمر - تأليفاً لقلوب أصحابه وذلك في الأمور الاجتهادية كالحروب ونحوها ولم يكن يشاورهم في الأحكام لأنها منزلة من عند الله تعالى وكانت الصحابة بعده صلى الله عليه وسلم يتشاورون في المهمات من أمور الدين والدنيا وأول ما تشاور فيه الصحابة الخلافة لأن النبي لم ينص عليها فوقع بينهم اختلاف، ثم اجتمعوا وتشاوروا فيه فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما تشاور فيه النبي لديننا فوافقوه على ذلك وبالجملة فالشورى أمرها عظيم قال الحسن ما تشاور قوم قط إلا هتدوا إلى أرشد أمورهم، وفي الحديث «إذا كان أمراً لكم خياركم وأغنياؤكم سمحاؤكم وأمركم شورى بينكم فظهر الأرض خير لكم من بطنها وإن كان أمراً لكم شراركم وأغنياؤكم» (٤٠) بخلاؤكم وأموركم إلى نساءكم فبطن الأرض خير لكم من ظهرها» (قوله

أجاوبه إلى مادعاهم إليه من التوحيد والعبادة (وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ) أداموها (وَأَمْرُهُمْ) الذي يبدو لهم (شُورَى بَيْنَهُمْ) يتشاورون فيه ولا يعجلون (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ) أعطيناهم (يُنْفِقُونَ) في طاعة الله ومن ذكر صنف (وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ) الظلم (هُمْ يَنْتَصِرُونَ) صنف أي ينتقمون ممن ظلمهم بمثل ظلمه كما قال تعالى (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا) سميت الثانية سيئة لمسابتها للأولى في الصورة، وهذا ظاهر فيما يقتضيه من الجراحات. قال بعضهم: وإذا قال له أخراك الله فيجيبه أخراك الله (فَنَنْعَمَ) عن ظلمه (وَأَصْلَحَ) الود بينه وبين المظلم عنه (فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ) أي إن الله يأجره لا محالة (إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) أي البادئين بالظلم فيترتب عليهم عقابه (وَلَمَنْ أَنْتَهَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ) أي ظلم الظالم إياه (فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ) مؤاخذه (إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ) يعلمون (فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ) بالمعاصي (أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم،

ومما رزقناهم ينفقون) أي في وجوه البر وكانوا يقدمون غيرهم عليهم قال تعالى في وصفهم - ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة - (قوله ومن ذكر صنف) أي المؤمنون المتقدمون فتحصل أن الله تعالى جعل المؤمنين صنفين: صنفاً يعفون عن ظلمهم وقد ذكروا الله تعالى في قوله - وإذا ما غضبوا هم يغفرون - وصنفاً ينتقمون من ظلمهم وقد ذكروا الله في قوله - والذين إذا

أصابهم البغي هم ينتصرون - (قوله هم ينتصرون) هذا في الإعراب كقوله - وإذا ما غضبوا هم يغفرون - سواء بسواء ويزيد هنا أنه يصح أن يكون هم توكيداً للضمير المنصوب في أصابهم وحينئذ ففيه الفصل بين المؤكّد والمؤكّد بالفاعل (قوله وهذا) أي قوله مثلها وقوله من الجراحات أي وغيرها من سائر الحقوق التي يمكن استيفائها (قوله قال بعضهم) مجاهد والسدي (قوله فمن عفا) الفاء للتفريع أي إذا كان الواجب في الجزاء رعاية المماثلة فالأولى العفو والإصلاح لتعذر المماثلة غالباً (قوله وأصاح الود بينه وبين المظلم عنه) أشار بذلك إلى أن الإصلاح من تمام العفو وفيه تحريض وحث على العفو فإن أمره عظيم وفيه تفويض الأمر إلى الله تعالى والله لا يخيب من فوض الأمر إليه (قوله أي البادئين بالظلم) أي الذين فعّلوا الظلم ابتداءً (قوله ولمن انتهز بعد ظلمه) اللام للابتداء ومن شرطية وجملة فأولئك الخ جواب الشرط أو موصولة مبتدأ وقوله فأولئك خبره ودخات الفاء لشبه الموصول بالشرط (قوله أي ظلم الظالم إياه) أشار بذلك إلى أن المصدر مضاف للمفعول وفي هذه الآية إشارة إلى أن المظالم أن يأخذ حقه من ظلمه بنفسه وهو جائز بشرط أن لا يزيد على حقه وأن يأمن من ولاة الأمور وأن يكون حقه ثابتاً (قوله فأولئك ما عليهم من سبيل) أي لأنهم فعلوا ما هو جائز لهم (قوله بغير الحق) قيد به إشارة إلى أن البغي قد يكون مصحوباً بالحق كما إذا أخذ حقه مع التجاوز فيه.

(قوله ولمن صبر الح) عطف على قوله : ولمن انتصر بعد ظلمه ، وحجته إنما السبيل الح اعتراض وكرر الصبر اهتماما به وترغيبا
 به وإشارة إلى أنه محمود العاقبة وهو أولى إن لم يترتب عليه مفسدة وإلا كان الانتصار أولى (قوله لمن عزم الأمور) أى من
 لأمر الله أى الله بها وأكد عليها (قوله ومن يضل الله) أى يمنعه عن الهدى (قوله وترى الظالمين) خطاب لكل من تنأت
 منه الرؤية وهي بصرية والجملة بعدها حال (قوله لما رأوا العذاب) عبر عنه بالماض إشارة لتحقيق الوقوع (قوله يعرضون عليها)
 مال وكذا قوله : خاشعين (قوله أى النار) أى المعلومة من دلالة العذاب عليها (قوله من الذل) متعاق بخاشعين : أى من أجل
 ذل (قوله مسارقة) أى يسارقون النظر إليها خوفا منها وذلا فى أنفسهم (قوله يوم القيامة) ظرف لحسروا والقول واقع فى الدنيا
 وظرف لذل فهو واقع يوم القيامة وعبر بالماض لتحقيق الوقوع (قوله بتخليدهم) (٤١) فى النار الح) لف ونشر

مرتب (قوله وما كان لهم)
 خبر مقدم ومن أولياء
 اسمها مؤخر ومن زائدة
 وينصرونهم صفة لأولياء
 (قوله استجيبوا ربكم)
 السين والتاء زائدتان كما
 أشار له المفسر بقوله :
 أجيبوه ، والمعنى أجيبوا
 داعى ربكم وأطيعوه فيما
 يأمركم به من التوحيد
 والعبادة (قوله من قبل
 أن يأتى يوم الح) أى
 أطيعوا فى الدنيا التى هى
 ظرف الأعمال والايان
 قبل أن يأتى يوم الحسرة
 والندامة فإنه إذا جاء لا يرد
 الله فيه وعيد للكافرين
 (قوله لا يرد) أشار بذلك
 إلى أن قوله من الله متعلق
 بمرء (قوله من ما جاء) أى
 مفر ومهرب (قوله إنكار
 لذنوبكم) أى لأنها مكتوبة

وَلَمَّنْ صَبَرَ فَلَمْ يَنْتَصِرْ (وَعَفَرَ) تَجَاوَزَ (إِنْ ذَلِكَ) الصَّبْرُ وَالتَّجَاوُزُ (لِمَنْ عَزَمَ الْأُمُورَ)
 أى معزوماتها بمعنى المطلوبات شرعا (وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ) أى أحد
 لهدايته بعد إضلال الله إياه (وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ)
 لى الدنيا (مِنْ سَبِيلٍ) طريق (وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا) أى النار (خَاشِعِينَ) خائفين
 تواضعين (مِنَ الذَّلِّ يَنْظُرُونَ) إليها (مِنْ طَرَفٍ خَفِيٍّ) ضعيف النظر مسارقة ومن
 تدائية أو بمعنى الباء (وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ
 الْقِيَامَةِ) بتخليدهم فى النار وعدم وصولهم إلى الحور المعدة لهم فى الجنة لو آمنوا والموصول خبر
 ن (أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ) الكافرين (فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ) دائم هو من مقول الله تعالى (وَمَا
 كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى غيره يدفع عذابه عنهم (وَمَنْ يُضِلِّ
 اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ) طريق إلى الحق فى الدنيا وإلى الجنة فى الآخرة (أُتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ)
 جيبوه بالتوحيد والعبادة (مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ) هو يوم القيامة (لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ)
 أى أنه إذا أتى به لا يرد (مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ) تلاجئون إليه (يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ)
 ككار لذنوبكم (فَإِنْ أَعْرَضُوا) عن الإجابة (فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ - حَفِظًا) تحفظ أعمالهم
 ن توافق المطلوب منهم (إِنْ) ما (عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ) وهذا قبل الأمر بالجهاد (وَإِنَّا إِذَا
 دَفَعْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً) نعمة كالغنى والصحة (فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ)
 ضمير للإنسان

مخافتكم أشهد بها الملائكة والجوارح ، والمراد إنكار نافع وإلا فالكفار أولا ينكرون الذنوب طمعا فى العقوب لما لم يجدوا
 ما يقرون ، وما قاله المفسر أوضح مما قاله غيره إن المراد بالنكير الناصر الذى ينصرهم لا غناء قوله من ملجأ عنه (قوله لما
 أرسلناك عليهم حفيظا) هذه الجملة تعليل للجواب المحذوف ، والتقدير فلا تحزن أو لا اعتبار عليك أولانا تكلف بشئ لأننا
 أرسلناك الح) (قوله بأن توافق) أى أعمالهم الصادرة منهم ، وقوله المطلوب منهم : أى الأعمال المطاوعة منهم كالإيمان والطاعة .
 لعمري لم نرسلناك لتخاف الهدى فى قلوبهم وتجعل أعمالهم موافقة للوجه الذى طلبناه منهم (قوله وهذا قبل الأمر بالجهاد) أصم
 شارة عائذ على الحصر ، والمعنى أن هذا الحصر منسوخ لأنه بعد الأمر بالجهاد عليه البلاغ والقتال (قوله وإنا إذا أذقنا
 ناس الح) الحكمة فى تصدير النعمة بأذا والبلاء بأن الإشارة إلى أن النعمة محقة الحصول بخلاف البلاء لأن رحمة الله تغلب
 غضبه (قوله فرح بها) أى فرح بطر وتكبر (قوله الضمير) أى فى نصيبهم [٦ - صاوى - رابع]

(قوله باعتبار الجنس) أى الاستغراق لجمعه باعتبار المعنى (قوله بما قدمت أيديهم) فى ذلك إشارة إلى أن المصيبة تكون بسبب كسب المعاصى والنعمة تكون بمحض فضل الله . قال تعالى - ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك - فالواجب على الإنسان إذا أعطاه الله نعمة أن يشكره عليها ويصرفها فيما يرضيه وإذا أصيب بمصيبة فليصبر عليها ويحمده عليها قلعلها تكون كفارة لما اقترفه (قوله لله ملك السموات والأرض) أى يتصرف فيهما كيف يشاء (قوله يخلق ما يشاء) أى من حيوانات وغيرها (قوله يهب) من وهب كوضع والمصدر وهب بالسكون الهاء وفتحها وهبة والاسم الوهب والموهبة بكسر الهاء فيهما وهو العطاء من غير مقابل ولا عوض (قوله لمن يشاء) أى الآباء والأمهات (قوله من الأولاد) متعلق بيهب لبيان لمن لأنها عبارة عن الآباء والأمهات (قوله إنا أنا) قدمتهن إشارة إلى أنه يفعل ما يشاء لا ما يشاؤه عباده فالآباء عايشاؤه هو ونكرهن لانحطاط رتبتهن عن الله كور ولذا عرف الله كور وقدمهم آخرا (قوله أى يجعلهم ذكرا وإنا أنا) أشار بذلك إلى أن ذكرا وإنا أنا مفعول ثان ليزوج ، والمعنى يجعل الأولاد ذكرا وإنا أنا حال كونهم مزدوجين (قوله ويجعل من يشاء عقيما) من واقعة على الرجل والمرأة فقوله فلا يلد : أى إذا كان امرأة ، وقوله ولا يولد له : أى إذا كان رجلا فالعقيم هو الذى لا يولد له ذكرا أو أنثى وفعله من باب فرح ونصر وكرم . وقال ابن عباس : يهب لمن يشاء إنا أنا يريد لوطا وشعيبا عليهما السلام لأنهما لم يكن لهما إلا البنات ويهب لمن يشاء الذكور يريد إبراهيم عليه السلام لأنه لم يكن له إلا الذكور أو يزوجهن ذكرا وإنا أنا يريد محمد صلى الله عليه وسلم فإنه كان له

(٤٢)

باعتبار الجنس (سَيِّئَةٌ) بلاء (بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيَهُمْ) أى قدموه ، وعبر بالأيدي لأن أكثر الأفعال تزاوُل بها (فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ) للنعمة (لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ) من الأولاد (إِنَّا وَإِنَّا) وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذكور. أَوْ يُزَوِّجُهُمْ) أى يجعلهم (ذُكْرَانًا وَإِنَّا) وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا) فلا يلد ولا يولد له (إِنَّهُ عَلِيمٌ) بما يخلق (قَدِيرٌ) على ما يشاء (وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا) أَنْ يُوْحَى إِلَيْهِ (وَحَيًّا) فى المنام أو بالإلهام (أَوْ) إِلَّا (مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ) بَأَنْ يَسْمَعَهُ كَلَامَهُ وَلَا يَرَاهُ كَمَا وَقَعَ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ (أَوْ) إِلَّا أَنْ (يُرْسِلَ رَسُولًا) ملكا كجبريل (فَيُوحِي) الرسول إلى المرسل إليه أى يكلمه (يَاذَنُهُ) أى الله (مَا يَشَاءُ) الله (إِنَّهُ عَلِيٌّ) عن صفات المحدثين (حَكِيمٌ) فى صنعه (وَكَذَلِكَ) أى

زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة ، ويجعل من يشاء عقيما يريد يحيى وعيسى عليهما السلام انتهى ولكن حمل الآية على العموم أولى لأن المراد بيان نفاذ قدرته تعالى فى الكائنات كيف يشاء (قوله أن يكلمه) أن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر اسم كان (قوله

إلا أن يوحى إليه وحيا) أشار بذلك إلى أن وحيا منصوب على الاستثناء المفرغ خلافا لمن قال إنه منقطع نظرا لظاهر اللفظ فإن الوحي ليس بتكليم والوحي الإشارة والرسالة والكتابة وكل ما ألقىته إلى غيبه ثم غلب استعماله فيما يلقى إلى الأنبياء (قوله فى المنام) أى فرؤيا الأنبياء حق وذلك لما وقع للخليل حين أمر بذبح ولعله لم ير المنام ولرسول الله حين رأى أنه يدخل مكة فصدق الله رؤياها ، وقوله أو بالإلهام : أى الالتقاء فى القلوب لا بواسطة ملك يقع الإلهام لغير الأنبياء كالأولياء غير أن إلهام الأولياء لا مانع من اختلاط الشيطان به لأنهم غير معصومين بخلاف الأنبياء فالإلهام محفوظ منه (قوله أو لإمام من وراء حجاب) أشار بذلك إلى أن من وراء حجاب معطوف على وحيا باعتبار متعلقه نقه إلا أن يوحى إليه أو يكلمه (قوله ولا يراه) أشار بذلك إلى أن المراد من الحجاب لازمه وهو عدم الرؤية والحجاب وصف لا وصف الرب (قوله كما وقع للسيد موسى) أى فى جميع مناجاته كما تقدم مفصلا (قوله أو يرسل رسولا) برفع وكذا يوحى ونصهما قراءتان سبعيتان فالرفع خبر لهذوف : أى هو يرسل والنصب على أنه معطوف على وحيا باضمار قال ابن مالك :

وإن على اسم خالص فعل عطف تنصبه أن ثابتا أو منحذف

(قوله كجبريل) أدخلت الكاف خبره كاسرافيل وملك الجبال فإن الله تعالى أرسل كلا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (إنه على عن صفات المحدثين) أى منزله ومقدس عنها (قوله حكيم فى صنعه) أى يضع الشئ فى محله .

(قوله أى مثل إيماننا إلى غيرك الخ) التشبيه في مطلق الإيماء والإرسال لأنه صلى الله عليه وسلم وقع له الكلام والرؤية
 بخلاف باقي الأنبياء فهو من تشبيه الأكل بالكامل ، بسابقة الكامل في الوجود فالخصر المتقدم بالنسبة للأنبياء غير نبينا صلى
 الله عليه وسلم فلا يقال إن الآية تدل على أن الوحي منحصر في هذه الثلاثة ولا يشمل الكلام مشافهة مع أنه وقع لرسول الله صلى
 الله عليه وسلم (قوله هو القرآن) هذا أحد تفاسير في الروح ، وقيل هو الرحمة ، وقيل الوحي ، وقيل الكتاب ، وقيل جبريل (قوله
 به تحيا القلوب) أى فشبّه القرآن بالروح من حيث إن كلاهما الحياة فالقرآن به حياة الأرواح والروح بها حياة الأشباح (قوله
 من أمرنا) من تبعية حال ، والمعنى حال كون هذا القرآن بعض ما نوحى إليك لأنه ورد أنه أعطى القرآن ومثله معه (قوله
 ما الكتاب) الكلام على حذف مضاف : أى جواب ما الكتاب ، والمعنى جواب هذا الاستفهام (قوله ولا الإيمان) إن قلت
 إن الأنبياء لم تحجب أرواحهم بدخولها في الأشباح عن التوحيد الأصلي الكائن في يوم ألت بر بكم بل بعض الأولياء كذلك
 فكيف يقال في حق نبينا عاياه الصلاة والسلام ولا الإيمان مع أنه كان يتعبد قبل البعثة وحاشاه أن يعبد الله مع جهله بمعبوده .
 أجاب المفسر بأن الكلام على حذف مضاف : أى شرائع الإيمان ومعامله كالصلاة والصوم والزكاة والطلاق والغسل من الجنابة
 وتحريم المحارم بالقرابة والصهر والمراد بالإيمان الاسلام (قوله والنفي معاق) (٤٣) صوابه الاستفهام لأنه متأخر
 عن النفي وهو المعاق للفعل

عن العمل لفظا (قوله
 أو ما بعده) أو بمعنى الواو
 (قوله نهدي به) صفة
 لنورا وصمى نورا لأن
 بالنور الاهتداء في الظلمات
 الحسية فكذا القرآن
 يهتدى به في الظلمات
 المعنوية ، والمراد الهداية
 الموصلة بدليل قوله من
 نشاء (قوله وإناك تهدي)
 أى تدل والمفعول محذوف
 أى كل مكاف فتحصل أن
 المعنى أنت يا محمد عليك

أى مثل إيماننا إلى غيرك من الرسل (أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ) يا محمد (رُوحًا) هو القرآن به تحيا
 القلوب (مِنْ أَمْرِنَا) الذى نوحى إليك (مَا كُنْتَ تَدْرِي) تعرف من قبل الوحي إليك
 (مَا الْكِتَابُ) القرآن (وَلَا الْإِيمَانُ) أى شرائعه ومعامله والنفي معاق للفعل عن العمل
 أو ما بعده سد مسد المفعولين (وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ) أى الروح أو الكتاب (نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ
 نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي) تدعو بالوحي إليك (إِلَى صِرَاطٍ) طريق (مُسْتَقِيمٍ) دين
 الاسلام (صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) ملكا وخلقا وعبيدا
 (أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ) ترجع .

(سورة الزخرف)

مكية ، وقيل لإقوله تعالى « واسأل من أرسلنا » الآية ، تسع وثمانون آية

البلاغ والدلالة وإقامة الحجج ونحن نخاف الهداية والتوفيق في قلب من نختاره من عبادنا (قوله دين الاسلام) أى وصمى طريقا
 لأنه يحصل به الوصول إلى المقصود كالطريق الحسى (قوله صراط الله) يدل من صراط الأول يدل معرفة من نكرة (قوله
 ألا إلى الله تصير الأمور) الأداة استفتاح يؤتى بها للاهتمام بما بعدها والجار والمجرور متعلق بتصير قدم للحصر وأتى بهذه الجملة
 عقب التي قبلها إشارة إلى أن كل شئ من الله وإلى الله فأفاد بالجملة الأولى أن جميع ما في السموات وما في الأرض مملوك له وناشئ
 منه وأفاد بالجملة الثانية أن جميع هذه الأشياء مرجعها إليه في كل ذرة ولحمة فلا غنى لها عنه تعالى والمراد من المضارع الدوام ،
 والمعنى شأنه رجوع الأمور إليه تعالى وإليه المراد حقيقة لأن الأمور متعلقة به في كل وقت فإذا علمت ذلك فكل شئ لا يستغنى
 عن الله تعالى طرفه عين . قال العارف الشاذلي : ولا تسكننا إلى أنفسنا طرفه عين ولا أقل من ذلك فإذا شاهد الإنسان ذلك أورثه
 مقام المراقبة ورؤية عجز نفسه واضطرارها وانقارها إلى مالكتها وفي ذلك فليتنافس المتنافسون [فائدة] قال سهل بن أبي الجعد
 احترق مصحف فلم يبق منه إلا قوله : ألا إلى الله تصير الأمور وغرق مصحف فأنجى كله إلا قوله : ألا إلى الله تصير الأمور انتهى .
 [سورة الزخرف] سميت باسم كلمة منها ، وهم قوله تعالى - وزخرفا - (قوله مكية) أى كلها حتى هذه الآية بناء على أن
 المراد سؤال نفس الرسل وكان ذلك ليلة الإسراء بيت المقدس فتكون مكية لكونها قبل الهجرة (قوله وقيل لإقوله تعالى
 واسأل من أرسلنا الخ) أى بناء على أن المعنى واسأل من أمم أرسلنا والمراد بهم اليهود والنصارى .

(قوله والكتاب المبين) هذا هو القسم به ، القسم عليه هو قوله - إنا جعلناه قرآنا عربيا - وهو من أنواع البلاغة حيث جعل المقسم والمقسم عليه من واحد كأن الله تعالى يقول : ليس عندى أعظم من كلامى حتى أقسم به (قوله أوجدنا الكتاب) أى صيرناه مقروءا أى مجموعا سوراً موصوفة بكونها عربية رحمة منا وتنزلاً لعبادنا لعجزهم عن شهود الوصف القائم بنا فحدثنا من حيث قيامه بالخلوقات وقدمه من حيث وصف الله به ، وقد تنزه وصفه عن الحروف والأصوات والجمع والتفريق فتدبر ودفع بذلك ما قيل إن ظاهر الآية يدل على حدوث القرآن من وجوه ثلاثة : الأول أنها تدل على أن القرآن مجعول والمجعول هو المصنوع والخالق . والثانى أنه وصفه بكونه قرآنا والمجموع بعضه لبعض مصنوع . والثالث وصفه بكونه عربياً والعربى ما كان بلغة العرب وذلك يدل على أنه مجعول . وأجاب الرازى أيضاً عن ذلك أن هذا الذى ذكرتموه حق لأنكم استدلتكم بهذه الوجوه على كون الحروف المتواليات والكلمات المتعاقبة محدثة وذلك معلوم بالضرورة وليس لكم منازع فيه (قوله وإنه مثبت الخ) أشار بذلك إلى أن الجار والمجرور خبر إن وقوله لعلّ خبر ثان ، واعتراض بأنه يلزم عليه تقديم الخبر الغير المقرون باللام على المقرون بها وفى جوازها خلاف فالأحسن أن الجار والمجرور متعلق بعلّى ولا يقال إن لام الابتداء لها صدر الكلام لأنه يقال محل ذلك فى غير باب إن كما قال ابن هشام فى مغنيه لأنهم فيه مؤخرة من تقديم ولهذا تسمى الزحلقة (قوله بدل) أى من الجار والمجرور وقوله عندنا تفسير للديننا (قوله لعلّى) (٤٤) أى رفيع الشأن على غيره من الكتب (قوله أفنضرب) الهمزة داخله على

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . حم) الله أعلم بمراة به (وَالْكِتَابِ) القرآن (الْمُبِينِ) المظهر طريق الهدى وه يحتاج إليه من الشريعة (إِنَّا جَعَلْنَاهُ) أوجدنا الكتاب (قُرْآنًا عَرَبِيًّا) بلغة العرب (لَعَلَّكُمْ) يا أهل مكة (تَعْقِلُونَ) تفهمون معانيه (وَإِنِّهٗ) مثبت (فِي أُمِّ الْكِتَابِ) أصل الكتب : أى اللوح المحفوظ (لَدَيْنَا) بدل : عندنا (لَعَلِّي) على الكتب قبله (حَكِيمٌ) ذو حكمة بالغة (أَفَنَضْرِبُ) نمسك (عَنْكُمْ) القرآن (صَفَحًا) إمساكا فلا تؤمرون ولا تهون لأجل (أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ) مشركين ؟ لا (وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ . وَمَا) كان (يَأْتِيهِمْ) أتاهم (مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ) كاستهزأ قومك بك ، وهذا تسلية له صلى الله عليه وسلم (فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ) من قومك (بَطْشًا) قوة (وَمَضَى) سبق فى الآيات (مَثَلُ الْأَوَّلِينَ) صفتهم فى الإهلاك فعاقبة قومك كذلك (وَإِنَّ) لام قسم (سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ) ،

محذوف والفاء عاطفة عليه تقديره أنهم ملكم فنضرب الخ والاستفهام إنكارى بدليل قول المفسر فى آخر العبارة لا ، والمعنى لأنهم ملكم برفع الوحى ومنع إنزال القرآن ونعجل الهلاك من أجل كونكم قوما مسرفين بل تم نورنا بجهنم الانزال لعبادنا ، ومن نكت فأننا ينكت على نفسه (قوله نمسك) أى عن إنزاله لكم (قوله صفحا) أشار

المفسر إلى أنه مفعول مطلق ملاق لعامله وهو نضرب فى المعنى (قوله لا تؤمرون ولا تهون) حذف أى بل تصيرون كالبهايم (قوله أن كنتم قوما مسرفين) بكسر الهمزة على أنها شرطية وفتحها على أنها تعليلية قراءتان سبعيتا لكن يرد على القراءة الأولى أن إن نفيد الشك مع أن إسرافهم محقق ، ويجب أن يأتى بها فى مقام التحقق قصدا لتجهيز الخطب بجهله كأنه متردد فى نبوت الشرط شك فيه (قوله وكم أرسلناكم) كم خبرية بمعنى عددا كثيرا مفعول مقدم لأرسى ومن نبي تمييز لها وفى الأولين متعلق بأرسلنا : أى فى الأمم الأولين (قوله أتاهم) أشار بذلك إلى أن المضارع بمعنى الماضى وعبر عنه بالمضارع استحضارا للصورة العجيبة (قوله من نبي) أى رسول بدليل قوله أرسلنا الخ (قوله وهذا تسلية له) قوله وكم أرسلنا ، والمعنى تسلّى يا محمد ولا تحزن فانه وقع للرسول قبلك ما وقع لك (قوله أشد منهم) صفة لموصوف محذوف مفعول لأهلكنا (قوله بطشا) تمييز : أى أهلكنا قوما أشد من قومك من جهة البطش وهو شدة الأخذ (قوله سألهم) فى الآيات أى فى القرآن غير مرة (قوله صفتهم فى الإهلاك) وإنما سمى مثلاً لغرابته ، فإن المثل فى الأصل كلام شبه مضمرة بغيره لغرابته (قوله وعاقبة قومك كذلك) أى الهلاك فاصبر على أذى قومك كما صبر من قبلك من الرسل على أذى قوم وفى هذه آيات تعليم للأمم أن يصبروا على من آذاهم لينالوا العز الأكبر تأسيًا بنبيهم (قوله لام قسم) أى وقوله ليقولوا جوابه وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه وهذا على القاعدة فى اجتماع الشرط والقسم من حذف جواب التأني

(قوله حذف منه نون الرفع) أى لتوالى النونات ثم حذفت الواو لالتقاء الساكنين ووجود الدليل عليها وهو الضمة (قوله خلقهن العزيز العليم) كثر الفعل للتوكيد وإلا فيكفى أن يقال العزيز العليم ، وهذا الجواب مطابق للسؤال من حيث عجزه ولو روى صدره لحي . بحجة ابتدائية بأن يقال هو العزيز العليم مثلاً (قوله آخر جوابهم) أى أن ما ذكر آخر جواب الكفار وأما قوله الذى جعل إلى قوله المتقاربون فهو من كلامه تعالى زيادة في توبيخهم على عدم التوحيد (قوله كلمهد للصبي) أى الفرش له أى ولو شاء لجعلها متحركة لا يثبت عليها شئ ولا يكن الارتفاع بها فمن رحمته أن جعل الأرض قارة مسطحة صالحة كنه (قوله وجعل لكم فيها سبلاً) أى بحيث تسلكون فيها إلى مقاصدكم ولو شاء لجعلها سدا ليس فيها طرق بحيث لا يمكنكم السير فيها كما في بعض الجبال (قوله أى بتدر حاجتكم) أى فليس بقليل فلا تنتفعون به ولا كثير فيضركم (قوله فأنشرونا) فى الكلام التفتت من الغيبة لتكلم (قوله تخرجون) أى فاقدر على إحياء الأرض بعد موتها بالماء قادر على إحياء الخلق بعد موتهم (قوله الأصناف) أى الأشكال والأنواع كالحلو والحامض والأبيض والأسود والذكر والأنثى (قوله وجعل لكم من ذلك) أى خلق لكم مواد السفن كالخشب وغيره ولهمكم صنعها وسيرها لكم فى البحر لتتفعلوا بها (قوله كالابل) إن قات إنه لم يبق شئ من الأنعام يركب سوى الابل فالكاف استوائية إلا أن يقال أراد بالأنعام ما يركب من الحيوان وهو الابل والخيول والبعال والحمر لأن الثام للامتثال بالركوب (قوله ما تركبون) مفعول (٤٥) لجعل ومن الفلك والأنعام

بيان له (قوله حذف العائد اختصاراً الخ) أى والمعنى جعل لكم من الفلك ما تركبون فيه ومن الأنعام ما تركبونها فهو مجرور فى الأول بنى منصوب فى الثانى بالفعل (قوله لتستقروا) على ظهوره (اللام للتعليل أو للعاقبة والصيرورة متعلقة بجعل (قوله ذكر الضمير) أى المضاف إليه وقوله وجمع الظهر : أى الذى هو المضاف وقوله

حذف منه نون الرفع لتوالى النونات وواو الضمير لالتقاء الساكنين (خلقهن العزيز العليم) آخر جوابهم : أى الله ذو العزة والعلم ، زاد تعالى (الذى جعل لكم الأرض مهاداً) فراشا كلمهد للصبي (وجعل لكم فيها سبلاً) طرفاً (ما لكم تهتدون) إلى مقاصدكم فى أسفاركم (والذى نزل من السماء ماء بقدر) أى بقدر حاجتكم إليه ولم ينزله طوفانا (فأنشرونا) أحيينا (بدر بلدة ميمناً كذلك) أى مثل هذا الإحياء (تخرجون) من قبوركم أحياء (والذى خلق الأزواج) الأصناف (كلها وجعل لكم من الفلك السفن) (والأنعام) كالابل (ما تركبون) حذف العائد اختصاراً وهو مجرور فى الأول : أى فيه منصوب فى الثانى (تستقروا) لتستقروا (على ظهوره) ذكر الضمير وجمع الظهر نظراً للفظ ما ومعناها (ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم علىه وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا مقرنين) مطيقين (وإننا إلى ربنا لمنقلبون) ،

نظر الناظر ما الخ لف وشر مرتب ، والمناسب أن يقول أفرد الضمير وجمع الظهر ولو روى معناه فيها لقل على ظهورها ولو روى لفظها لقل على ظهره (قوله ثم تذكروا) أى بقلوبكم (قوله إذا استويتم علىه) أى على ما تركبون ففيه مراعاة لفظ ما وكذا فى قوله سخر لنا هذا (قوله وتقولوا سبحان الذى الخ) أى تقولوا بألسنتكم لتجمعوا بين القلب واللسان (قوله هذا) أى الركوب من سفينة ودابة وظاهر الآية أنه يتول ذلك عند ركوب السفينة أو الدابة وهو الأولى ، وقال بعضهم إن هذا مخصوص بالدابة ، وأما السفينة فيقول فيها - بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم وما قدروا الله حق قدره - الآية ، وفى الحديث «كان صلى الله عليه وسلم إذا وضع رجله فى الركاب قال بسم الله فإذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذى سخر لنا هذا إلى قوله وإننا إلى ربنا لمتقاربون ، فإذا كان الإنسان يريد السفر زاد اللهم أنت صاحب السفر والخليفة فى الأهل والمال اللهم إني أعوذ بك من وعشاء السار وكتابة المقاب والحور بعد السكور وسوء المنظر فى الأهل والمال» ومعنى الحور بعد السكور الفرقة بعد الاجتماع ، وورد أن الإنسان إذا قرأ هذه الآية عند ركوب الدابة تقول الدابة بارك الله فيك من مؤمن خفت عن ظهري وأطعت ربك أنجح الله حاجتك فالذى ينبغى للإنسان أن لا يدع ذكر الله خصوصاً فى هذه المواطن فإنه معرض فيها للتلطف فيكم من راكب دابة عثرت به أو طاح عن ظهرها فهلاك وكم من راكب سفينة انكسرت به فغرق ، وحينئذ فقل قلبه إلى الله غير منفلت من قضائه فيكون مستعداً لقضاء الله باصلاح نفسه (قوله وما كنا له مقرنين) الجملة حالية وهو من الإقران أو القارنة

(قوله لمنصرفون) أى من الدنيا إلى دار البقاء فتذكر بالحمل على السفينة والدابة الحمل على الجنازة ، فالآية منبهة بالسير الدنيوى على السير الأخرى ففيه إشارة للرد على منكبرى البعث (قوله وجعلوا له الخ) هذا مرتبط بقوله : ولئن سألتهم لخلق والمعنى أنهم ينسبون الخالق لله تعالى ومع ذلك يعتقدون أن له شريكا فالمتصور التأمل في عقول هؤلاء الكفرة حيث لم يضبطوا أحوالهم (قوله لأن الولد جزء الوالد) أى لأنه خارج من محه وعظامه وهذا مناف لقولهم : خلقهن العزيز العليم لأن من شأن الوالد أن يكون مركبا والاله ليس بمركب بل هو واحد في ذاته وصفاته وأفعاله وشأن الخالق أن يكون خالفا لما خلقه والولد لا بد وأن يكون مماثلا لوالده لأنه جزء منه فتبين أن الولد على الله محال وتبين أن هؤلاء الكفرة حالهم متناقض غير مضبوط (قوله بين) أشار بهذا إلى أن مبين من أبان اللازم ويصح أن يقدر من أبان التعدى بمعنى مظهر الكفر (قوله بمعنى همزة الانكار) أى والتوبيخ والتقريع وتقدير ببل أو بها والهمزة فيها ثلاثة أوجه كما تقدم غير مرة (قوله لنفسه) متعلق باتخذ (قوله أخلصكم) أى خصكم (قوله اللازم) بالنصب نعت لقوله وأصفاكم المعطوف على اتخذ الواقع مقولا لقول محذوف فالعنى أنهم قالوا : الملائكة بنات الله مع كراهة نسبتها لأنفسهم ومحبة نسبة البنين لهم فلمزم منه أنهم قالوا

لنصرفون (وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا) حيث قالوا الملائكة بنات الله تعالى لأن الولد جزء الوالد والملائكة من عباد الله تعالى (إِنَّ الْإِنْسَانَ) القائل ماتقدم (لَكَفُورٌ مُّبِينٌ) بين ظاهر الكفر (أم) بمعنى همزة الإنكار والقول مقدر : أى أتقولون (اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ) لنفسه (وَأَصْفَاءَكُمْ) أخلصكم (بِالْبَنِينَ) اللازم من قولكم السابق فهو من جملة المفكر (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا) جعل له شبا بنسبة البنات إليه لأن الولد يشبه الوالد ، المعنى إذا أخبر أحدهم بالبن تولى له (ظَلَّ) صار (وَجْهُهُ مُسْوَدًّا) متغيرا تغير مقم (وَهُوَ كَظِيمٌ) ممتلئ غما فكيف ينسب البنات إليه ؟ تعالى عن ذلك (أو) همزة الإنكار وواو العطف بجملة أى يجعلون لله (مَنْ يَنْشَأُ فِي الْحُلِيِّ) الزينة (وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ) مظهر الحجة لضعفه عنها بالأنوثة (وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا) حضروا (خَلَقَهُمْ سَتَكْتُبُ شَهَادَتَهُمْ) بأنهم إناث (وَيُسْتَأْذَنُ) عنها في الآخرة فيترتب عليها العقاب (وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ) أى الملائكة فعبادتنا إياهم بمشيئته هو راض بها قال تعالى (مَا لَهُمْ بِذَلِكَ) المقول من الرضا بعبادتها (مِنْ عِلْمٍ)

والبنون لنا (قوله فهو من جملة المنكر) أى لعطفه على اتخذ الداخل عليه أم القى هى بمعنى همزة الإنكار (قوله وإذا بشر أحدهم الخ) كلام مستأنف تقرير لما قبله وزيادة توبيخ لهم وترق في الرد عليهم (قوله بما ضرب) ماموصولة واقعة على الأنثى بدليل الآية الأخرى وإذا بشر أحدهم بالأنثى وضرب بمعنى جعل والفعول الأول محذوف هو العائد : أى ضربه ومثلا هو المفعول الثانى

(قوله شباها) أشار بذلك إلى أن التمثيل بمعنى الشبه : أى المشابه وليس بمعنى الصفة (إن)

الغريبة (قوله وهو كظيم) الجملة حالية (قوله أو من ينشأ) قرأ العامة بفتح الياء وسكون النون من نشأ وبضم الياء وفتح النون وتشديد الشين مبنيا للمفعول أى برى قراءتان سبعيتان وقرى مشدودا ينشأ بضم الياء مخففا وينشأ كيقاقل مبنيا للمفعول (قوله همزة الإنكار الخ) أى أنها كلمتان لا كلمة واحدة هى أو القى للعطف فتحصل أن من معمولة المحذوف معطوف بواو العطف على محذوف والتقدير أيجترعون ويسبون الأدب ويجعلون من ينشأ الخ وقوله الزينة أى أن الأنثى تنزين في الزينة لنقصها إذ لو كانت فى نفسها لما احتاجت للزينة (قوله وهو في الخصام غير مبين) الجملة حالية والمعنى غير قادر على تقرير دعواه وإقامة الحجة لنقصان عقله وضعف رأيه ، فقلنا تكلمت امرأة تريد أن تتكلم بحجة لها إلا تكلمت بالحجة عليها (قوله مظهر الحجة) أشار بذلك إلى أنه من أبان التعدى وسابقا أفاد أنه من أبان اللازم وهما استعمالان (قوله وجعلوا الملائكة الخ) المراد بالجمل القول والحكم وهو بيان أنواع آخر من كفر ياتهم لأن نسبة الملائكة الذين هم أكمل العباد وأكرمهم على الله للأنوثة القى هى وصف خسة كفر ، ورد أنهم لما قالوا ذلك سألمهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما يدريكم أنها إناث قالوا سمعنا من آباءنا ونحن نشهد أنهم لم يكذبوا فنزل ستكتب شهادتهم ويستأذنون (قوله وقالوا لو شاء الرحمن الخ) مفعول شاء محذوف

أى عدم عبادة الملائكة ما عبدناهم ، وهذا استدلال منهم بنق مشبهة عدم العبادة على امتناع النهي عنها لزعمهم أن الشبهة متعده مع الرضا وهو فاسد لأن الله تعالى قد يريد ما لا يرضاه فهو بيان لنوع آخر من كفر ياتهم فتحصل أنهم كفروا بمقالات ثلاث : هذه وقولهم الملائكة بنات الله (قوله إن هم إلا بخرصون) قاله هنا بلفظ بخرصون وفي الجاثية بلفظ يظنون لأن ما هنا متصل بقوله : وجعلوا الملائكة الآيات أى قالوا الملائكة بنات الله وإن الله قد شاء عبادتنا إياهم وهذا كذب فناسبه بخرصون وما هناك متصل بخلطهم الصدق بالكذب لأن قولهم نموت ونحيا صدق وإنكارهم البعث وقولهم ما يهلكنا إلا الدهر كذب فناسبه يظنون (قوله أم آتيناهم كتابا من قبله) تنويع في الإنكار عليهم مرتبط بقوله : أشهدوا خلقهم (قوله أى لم يقع ذلك) أشار به إلى أن الحمزة للإنكار (قوله بل قالوا إنا وجدنا الخ) أى لم يأتوا بحجة عقلية ولا نقلية بل اعترفوا بأنه لا مستند لهم سوى تقليد آبائهم (قوله أمة) قرأ العامة بضم الحمزة بمعنى الطريقة والملة ، وقرئ شذوذا بكسرها بمعنى الطريقة أيضا وبالفتح المرة من الأم وهو القصد (قوله ماشون) أشار بتقدير هذا إلى أن الجار والمجرور خبر إن وعليه فيكون مهتدون خبرا ثانيا (قوله مهتدون) قاله هنا بلفظ مهتدون وفيما يأتى بلفظ مقتدون تفننا (قوله وكذلك) أى والأمر كما ذكر من عجزهم عن الحجة وتمسكهم بالتقليد وقوله وما أرسلنا استئناف مبين لذلك دال على

(٤٧)

أن التقليد فيما بينهم ضلال قديم ليس لأسلافهم أيضا مستند غيره وفيه نسبية لرسول الله (قوله إلا قال مترفوها) جمع مترف اسم مفعول وتفسير المفسر له باسم الفاعل تفسير باللازم (قوله مثل قول قومك) مفعول مطلق نعت مصدر محذوف أى قولا مثل قول قومك وقوله : إنا وجدنا مقول القول (قوله قل لهم) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم

(إِنْ) مَا (هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ) يكذبون فيه فيترتب عليهم العقاب به (أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ) أى القرآن بعبادة غير الله (فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ) أى لم يقع ذلك (بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ) ملة (وَإِنَّا) ماشون (عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ) بهم وكانوا يعبدون غير الله (وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا) متنعموها مثل قول قومك (إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ) ملة (وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ) متبعون (قُلْ) لهم (أ) تتبعون ذلك (وَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ) أنت ومن قبلك (كَافِرُونَ) قال تعالى تخويفا لهم (فَأَنقَضْنَا مِنْهُمْ) أى من المكذبين للرسول قبلك (فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) واذكر (إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ) أى برىء (مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي) خلقني (فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ) يرشدني لدينه (وَجَعَلَهَا) أى كلمة التوحيد المفهومة من قوله : إني ذاهب إلى ربي سيهدين (كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ) ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله (أَمْ آهَهُمْ)

أى قل لقومك يا محمد الخ (قوله بأهدى مما وجدتم الخ) أى بدين أهدى وأصوب مما وجدتم الخ أى من الضلالة التي ليست من الهداية في شيء والتعبير بالفضيل لأجل التنزل معهم وإرخاء العنان (قوله فانظر كيف كان عاقبة المكذبين) أى فلا تكثر بتكذيب قومك لك فإن عاقبتهم كغيرهم من المكذبين (قوله واذكر) قدره إشارة إلى أن الظرف معمول لمحذوف وسيأتى أن قوله : لعلمهم يرجعون متعلق بذلك المحذوف (قوله لأبيه) تقدم الخلاف في كونه أباه حقيقة أو عمه وتوجيه كل من القولين مفصلا (قوله براء) العامة على فتح الباء والراء بعدها ألف فهزمة مصدر وقع موقع الصفة وهي برىء فلا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث وقرئ شذوذا بضم الباء وكسرها بوزن طوال وكرام (قوله إلا الذي فطرني) يحتمل أن الاستثناء منقطع بناء على أنهم كانوا يشركون مع الله غيره وذلك أنهم كانوا يعبدون التمرود ويحتمل أن الإضافة بمعنى غير (قوله يرشدني لدينه) أى يدلني على أحكامه من صلاة وغيرها ودفع بذلك ما يقال إن الهداية حاصلة له الكونه مجبولا على التوحيد من ألت بربكم فكيف يعبر بالمضارع فضلا عن اقترانه بالسبب فأجاب بما ذكر نظير ما أجاب به عن قوله : ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان . وأجيب أيضا بأن السين زائدة والمضارع للدلالة على الاستمرار ، والمعنى يدلني على الهدى . وأجيب أيضا بأن المعنى سينبئني على الهداية (قوله أى كلمة التوحيد الخ) فسر للضمير البارز والضمير المستتر يعود على إبراهيم ، والمعنى أن إبراهيم وصى بهذه الكلمة عقبه قال تعالى : ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب

الآية (قوله أي أهل مكة) أشار بذلك إلى أن قوله : لعلمهم الخ متعلق بأذكر الذي قدره ، والمعنى اذكر يا محمد لقومك ماذا يحصل عندهم رجوع إلى دين إبراهيم (قوله بل تمتعت هؤلاء) إضراب انتقالي للتوبيخ والتقرير على ما حصل منهم من عدم الاتباع واسم الإشارة عائذ على المشركين الكافرين في زمنه صلى الله عليه وسلم (قوله ولم أعجلهم بالعقوبة) أي بل أعطيتهم نعمة عظيمة وحرما آمنا يجي إليه ثمرات كل شيء فلم يشكروا بل ازدادوا طغيانا فأمهلتهم ولم أعجل لهم الانتقام (قوله حتى جاءهم الحق) غاية المحذوف والتقدير بل تمتعت هؤلاء فاشتغلوا بذلك التمتع حتى جاءهم الحق (قوله وقالوا نولا نزل الخ) هذا من جملة شبههم الفاسدة التي بنوا عليها إنكار نبوته صلى الله عليه وسلم ، وذلك أنهم قالوا إن الرسالة منصب شريف لا يليق إلا برجل شريف وهذا صدق غير أنهم غلطوا في دعواهم أن الرجل الشريف هو الذي يكون كثير المال والجاه ومحمد ليس كذلك فلا تليق به رسالة الله وليس كذلك بل العبرة بتعظيم الله لا بالمال والجاه فليس كل عظيم المال والجاه معظما عند الله تعالى (قوله من أية منهما) أي من إحدى القريتين (قوله أي الوليد بن المغيرة) أي وقد استمر كافرا حتى هلك (قوله وعروة بن مسعود) أي وقد هداه الله للإسلام فأسلم وحسن إسلامه ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يشبه عيسى ابن مريم (٤٨) عليه السلام به رضى الله تعالى عنه (قوله أنهم يقسمون) الاستفهام

أي أهل مكة (يَرَجُونَ) عما هم عليه إلى دين إبراهيم أبيهم (بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ) المشركين (وَأَبَاءَهُمْ) ولم أعجلهم بالعقوبة (حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ) القرآن (وَرَسُولٌ مُبِينٌ) مظهر لهم الأحكام الشرعية وهو محمد صلى الله عليه وسلم (وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ) القرآن (قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ . وَقَالُوا لَوْلَا) هلا (نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ) من أية منهما (عَظِيمٍ) أي الوليد بن المغيرة بمكة أو عروة بن مسعود الثقفي بالطائف (أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ) النبوة ؟ (نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) فجعلنا بعضهم غنيا وبعضهم فقيرا (وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ) بالغنى (فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ الْغَنَى (بَعْضًا) الفقير (سُخْرِيًّا) مسخرًا في العمل له بالأجرة والياء للنسب وقوى بكسر السين (وَرَحْمَتُ رَبِّكَ) أي الجنة (خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) في الدنيا (وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً) على الكفر (لَجَعَلْنَاهُمْ لَكُفْرًا بِالرَّحْمَنِ لِيُؤْمِنُوا بِهِمْ) ،

إنكارى وتعجب من حالهم وتحكمهم (قوله رحمت ربك) رسم بالتاء المحرورة هنا وفي قوله تعالى فيما يأتي ورحمت ربك اتباعا لرسم المصحف وهذان موضعان ترسم فيها بالتاء المحرورة. ثالثها في البقرة : أولئك يرجون رحمت الله . رابعها في الأعراف : إن رحمت الله قريب من المحسنين . خامسها في هود : رحمت الله وبركاته عليكم . سادسها في مريم : رحمت

ربك . سابعها في الروم : فانظر إلى أثر رحمت الله وماعداها يرسم بالهاء والقرآن في تلك المواضع السبعة في الوقف طريقان فمنهم من يقف بالهاء كسائر الهاءات الداخلة على الأسماء كفاطمة وقائمة ، ومنهم من يقف بالتاء تغايبا لجانب الرسم (قوله نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا) أي جعلنا هذا غنيا وهذا فقيرا وهذا مالكا وهذا مملوكا وهذا قويا وهذا ضعيفا لاستقامة نظام العالم لا للدلالة على سعادة وشقاوة (قوله ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) اللام للتعامل أي إن القصد من جعل الناس متفاوتين في الرزق لينتفع بعضهم ببعض ولو كانوا سواء في جميع الأحوال لم يتخذ أحد أحدا فيفضي إلى خراب العالم وفساد نظامه (قوله والياء للنسب) أي نسبته للسخرية وهي العمل بالأجرة ، إذا علمت ذلك فقول المفسر بالأجرة تقييد بالنظر لصحة التعليل ويصح أن يكون من السخرية التي هي بمعنى الاستهزاء ، والمعنى ليستهزئ الغنى بالفقر وهليه فتكون اللام للعاقبة والصبرورة (قوله وقوى بكسر السين) أي قراءة شاذة هنا جريا على عادته في التعبير عن الشاذ بقوى وعن السبي بوفى قراءة . وأما ما في المؤمنين وفس فكسر السين فيهما قراءة سبعية ففرق بين ما هنا وما في السورين المتقدمتين (قوله خير مما يجمعون) أي والعظيم من حازها وهو النبي صلى الله عليه وسلم ومن تبعه لا من حاز الكثير من المال (قوله ولولا أن يكون الناس الخ) الكلام على حذف مضاف أي ولولا خوف أن يكون الناس الخ كما أشار له المفسر فيما يأتي

والأوضح أن يقول لولا رغبة الناس في الكفر إذا رأوا الكفار في سعة وتنعم لهم لنا الخ لأنه تعالى لا يوصف بالحوف ففرق الله الدنيا بين المؤمنين والكافرين على حسب ما قدره لهم في الأزل . إن قات لم لم يوسع الدنيا على المسلمين حتى يصبر ذلك سببا لاجتماع الناس على الاسلام فالجواب لأن الناس حينئذ يجتمعون على الاسلام لطاب الدنيا وهو إيمان المنافقين لما قدره الله تعالى خير لأن كل من دخل الإيمان فأنما يقصد رضا الله فقط (قوله بدل من لمن) أي بدل اشتغال (قوله و بضمهما جمعا) أي على وزن رهن جمع رهن فهما قراءتان سبعيتان (قوله ومارج) جمع معرج بفتح الميم وكسرهما وهو السلم (قوله وجعلنا لهم سررا) أشار بذلك إلى أن سررا معهم ولحذوف معطوف على قوله جعلنا لمن يكفر بالرحمن عطف حمل (قوله وزخرفا) ذهباً وقيل الزخرف الزينة (قوله مخففة من الثقيلة) أي مهمة لوجود اللام في خبرها (قوله والآخرة عند ربك للمتقين) أي أن الجنة تكون لكل واحد . قال كعب وجدت في بعض كتب الله المنزلة لولا أن يحزن عبدي المؤمن لكات رأس عبدي الكافر بالأكليل ولا يتصدع ولا يذبض منه عرق لوجع أي لا يتحرك ، وفي الحديث «الدنيا سجن للمؤمن وجنة الكافر» ، وورد لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ماسق الكافر منها شربة ماء قال البقاعي ولا يبعد أن يكون ما صار إليه الفسقة والجبارة من زخرفة الأبنية وتذهيب السقوف وغيرها من مبادئ الفتنة بأن يكون الناس أمة واحدة في الكفر قرب الساعة حتى لا تقوم الساعة على من يقول الله أو في زمن الدجال لأن من يبقى إذ ذاك (٤٩) على الحق في غاية القلة بحيث

أنه لا عدد له في جانب الكفرة لأن كلام الملوك لا يخلو عن حقيقة وإن خرج مخرج الشرط فكيف بملك الملوك سبحانه انتهى (قوله ومن يعش) من العشا وهو الاعراض والتغافل ويطلق على ضعف البصر وفعله عشا يعشو كدعا يدعو (قوله يعرض) أي يتعام ويتغافل وهذه الآية بمعنى قوله تعالى ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا (قوله عن ذكر الرحمن)

بدل من لمن (سَقَفًا) بفتح السين وسكون القاف وبضمهما جمعا (مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجٍ) كالدرج من فضة (عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ) يعلون إلى السطح (وَلِيُؤْتِيَهُمْ أَبْوَابًا) من فضة (و) جعلنا لهم (سُرُرًا) من فضة جمع سرير (عَلَيْهَا يَتَكَبَّشُونَ . وَزُخْرُفًا) ذهباً ، المعنى لولا خوف الكفر على المؤمن من إعطاء الكافر ما ذكر لأعطيناه ذلك لقلة حظ الدنيا عندنا وعدم حظه في الآخرة في النعيم (وإن) مخففة من الثقيلة (كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا) بالتخفيف فما زائدة وبالتشديد بمعنى إلا فإن نافية (مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) يتمتع به فيها ثم يزول (وَالْآخِرَةُ) الجنة (عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ . وَمَنْ يَعِشْ) يعرض (عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ) أي القرآن (نُقِضَ) نسب (لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ) لا يفارقه (وَالْإِنْسُ) أي الشياطين (لَيَكْذِبُوهُمْ) أي العاشين (عَنِ السَّبِيلِ) أي طريق الهدى (وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ) في الجمع رعاية معنى من (حَتَّى إِذَا جَاءَنَا) العاشي بقرينه يوم القيامة (قَالَ) له (يَا) للتنبيه (أَيَّتَ يَدْنِي وَيَدْنِكَ)

أضاف الذكر إلى هذا الاسم إشارة إلى أن الكافر باعراضه عن القرآن سد على نفسه باب الرحمة ولو اتبعه لعنته الرحمة (قوله نقض) جواب الشرط وفعله قوله يعش مجزوم بحذف الواو والضمة دليل عليها (قوله فهو له قرين) أي في الدنيا بأن يمنعه من الحلال ويحمله على فعل الحرام وينهاه عن الطاعة ويأمره بالمعصية أو في الآخرة إذا قام من قبره لما ورد «إذا قام الكافر من قبره شفع شيطان لا يزال معه حتى يدخله النار» ، وإن المؤمن ليشفع بملك حتى يقض الله بين خلقه ، والأولى العموم (قوله وإينهم) جمع الضمير مراعاة لمعنى شيطان كما أفرد أولا في قوله فهو مراعاة للفظه (قوله ويحسبون أنهم مهتدون) الجملة حالية أي يعتقدون أنهم على هدى وهو بمعنى قوله تعالى ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون (قوله في الجمع) أي في المواضع الثلاثة الأول أي ليصدونهم ويحسبون أنهم وقوله رعاية معنى من أي بعد أن روى لفظها في ثلاثة أيضا الضمير المستتر في يعش والضميران المجروران باللام في نقض له فهو له ، ومسيأتي مراعاة لفظها في موضعين المستتر في جاء وقال ثم مراعاة معناها في ثلاثة مواضع وإن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم (قوله حتى إذا جاءنا) بالافراد والتثنية قراءتان سبعيتان فعل الأولى فاعل جاء ضمير مستتر يعود على العاشي وعلى الثانية ضمير التثنية (قوله بقرينه) أي مع قرينه (قوله بالتنبيه)

(قوله بعد المشرقين) اسم لبيت مؤخر وفيه تغليب المشرق على المغرب (قوله أى مثل ما بين المشرق والمغرب) أى فى أنهما لا يجتمعان ولا يقر بان منه لأنهما ضدان (قوله أنت) هو المخصوص بالدم (قوله قال تعالى) الماضى بمعنى المضارع لأن هذا القول يحصل فى الآخرة (قوله أى العاشين) تفسير للكاف وقوله تمنىكم وندمكم تفسير للضمير المستتر فهو إشارة إلى أنه فاعل ينفع وهو معلوم من السياق دل عليه قوله يالىت بينى وبينك الخ وبعضهم قال إن الفاعل هو أنكم وما فى حيزها والتقدير ولن ينفعكم اليوم اشتراككم فى العذاب وآتى بهذا دفعا لما قد يتوهم من أن عموم المصيبة يهونها كصائب الدنيا فانها إذا عمت هانت بل فى الآخرة عمومها موجب لعظمها وهولها (قوله أى تبين لكم) أى الآن فى الآخرة ودفع بذلك ما يقال إن الظلم وقع فى الدنيا واليوم عبارة عن يوم القيامة وإذ بدل من اليوم فكيف يبدل الماضى من الحال فأجاب بأن المراد تبين الظلم وظهوره وذلك يكون يوم القيامة (قوله وإذ بدل من اليوم) أى بدل كل من كل . إن قلت لن ينفعكم عامل فى اليوم وإذمع أنه مستقبل اليوم ظرف حالى وإذ ظرف ماض فكيف يعمل المستقبل فى الحال والماضى . أجيب بأن عمله فى الحال من حيث إنه قريب من الاستقبال وتقدم أن الماضى (٥٠) مؤول بالحال (قوله أفأنت تسمع الصم) الاستفهام إنكارى بمعنى النفى أى

بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ) أى مثل بعد ما بين المشرق والمغرب (فَبُئِسَ الْقَرْيُنُ) أنت لى قال تعالى (وَلَنْ يَنْفَعَكَ يَوْمَ) أى العاشين تمنىكم وندمكم (الْيَوْمَ إِذ ظَلَمْتُمْ) أى تبين لكم ظلمكم بالإشراك فى الدنيا (أَنْكُمْ) مع قرنائكم (فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ) علة بتقدير اللام لعدم النفع وإذ بدل من اليوم (أَفَأَنْتَ تَسْمَعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) بين ؟ أى فهم لا يؤمنون (فَأَيُّكُمْ) فيه إدغام نون إن الشرطية فى ما الزائدة (نَذْهَبَنَّ بِكَ) بأن نمتك قبل تعذيبهم (فَأَيُّكُمْ مُنْتَقِمُونَ) فى الآخرة (أَوْ تُرِيْفُكَ) فى حياتك (الَّذِي وَعَدْنَاَهُمْ) به من العذاب (فَأَيُّكُمْ عَلَيْهِمْ) على عذابهم (مُقْتَدِرُونَ) قادرون (فَأَسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ) أى القرآن (إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ) طريق (مُسْتَقِيمٍ) وإنه لَذِكْرٌ) لشرف (لَكَ وَلِقَوْمِكَ) لنزوله بلغتهم (وَسَوْفَ تَسْأَلُونَ) عن القيام بحقه (وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ) أى غيره (آلِهَةً يُعْبَدُونَ) قيل هو على ظاهره بأن جمع له الرسل ليلة الاسراء وقيل المراد أم من أى أهل الكتابين ولم يسأل على واحد من القولين لأن المراد من الأمر بالسؤال التقرير لمشركى قريش أنه لم يأت رسول من الله ولا كتاب بعبادة غير الله ،

أنت لاتسمعهم كما أشار له المفسر وهذه الآية نزلت لما كان يجتهد فى دعائهم وهم لايزدادون إلا نصيبا على الكفر (قوله ومن كان فى ضلال مبين) عطف على العمى ويكفى فى العطف تغاير العنوان وإلا فالأوصاف الثلاثة مجتمعة فى كل كافر (قوله بأن نمتك قبل تعذيبهم) أى نقبضك إلينا قبل انتقامنا منهم (قوله فانا عليهم مقتدرون) أى فلا يعجزوننا وقد وقع بهم العذاب على يده فى الدنيا وعلى أيدى أتباعه بعد

موته إلى يوم القيامة ولعذاب الآخرة أشد (قوله فاستمسك) أى دم على الاستمسك (قوله إنك الخ) تعليل للأمر بالاستمسك (قوله ولقومك) أى قريش خصوصا ولغيرهم عموما فهو شرف لكل من تبعه وهذا الآية نظير قوله تعالى لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم (قوله من رسلنا) بيان لمن (قوله أجعلنا من دون الرحمن الخ) أى حكم بعبادة الأوثان وأنزلنا ذلك فى كتبنا (قوله قيل هو على ظاهره) أى من غير تقدير فهو مأمور بسؤال المرسلين أنفسهم وهذا على أن الآية مكينة (قوله بأن جمع له الرسل الخ) جواب عما يقال إنه متأخر فى البعث عن الرسل فكيف يؤمر بسؤال من لم يبعث (قوله وقيل المراد أم الخ) أى فالكلام على حذف مضاف والمعنى أسأل أم من أرسلنا وقوله أى أهل الكتابين تفسير لأمم وهذا على أن الآية مدنية لأن أهل الكتابين إنما كانوا فى المدينة (قوله ولم يسأل على واحد من القولين) هذا أحد قولين قال ابن عباس وابن زيد لما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وهو مسجد بيت المقدس بعث الله له آدم وحواء من المرسلين وجبريل مع النبي صلى الله عليه وسلم فأذن جبريل عليه الصلاة والسلام وأقام الصلاة ثم قال يا محمد قدم فصل برى فصار رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له جبريل سل يا محمد من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون

فقال صلى الله عليه وسلم قد اكتفيت « والذول الآخر لعن ابن عباس » أنهم صلوا خلفه صلى الله عليه وسلم سبعة صفوف الرسولون ثلاثة صفوف والنبيون أربعة صفوف وكان يلى ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم إبراهيم الخليل وعلى يمينه إسماعيل وعلى يساره إسحق ثم موسى ثم سائر المرسلين فصلى بهم ركعتين فلما انقضى قام فقال إن ربى أوحى إلى أن أسألكم هل أرسل أحدا منكم بدعوة إلى عبادة غير الله تعالى فقالوا يا محمد إنا نشهد أنا أرسلنا أجمعين بدعوة واحدة أن لا إله إلا الله وأن ما يعبدون من دونه باطل وأنت خاتم النبيين وسيد المرسلين قد استبان ذلك بامامتك إيانا وأنه لانبى بعدك إلى يوم القيامة إلا عيسى ابن مريم فإنه مأمور أن يقبع أثرك « (قوله ولقد أرسلنا موسى الخ) الحكمة في ذكر تلك القصة والتي بعدها عقب ما تقدم من مقالات الكفار تسليته صلى الله عليه وسلم فإن موسى وعيسى وقع لهما من قومهما ما وقع لمحمد صلى الله عليه وسلم من قومه من التعبير بقله المال والجاه (قوله بآياتنا) أى معجزاتنا النسخ والباء للملابسة (قوله فقال إني رسول رب العالمين) فى القصة اختصار قد بين فى سورة طه والنقص . والمعنى فقال إني رسول رب العالمين لتؤمن به وترسل مى بنى إسرائيل (قوله فلما جاءهم بآياتنا) مرتب على مقدر أى فطلبوا منه آية تدل على صدقه يدل عليه ما تقدم فى الأعراف قال إن كنت جئت بآية فأت بها الخ (قوله إذا هم منها يضحكون) إذا فجائية . والمعنى حين جاءهم (٥١) بالآيات فاجأوا المحمى بها بالضحك

والسخرية من غير تأمل ولا تفكر (قوله والجراد) أى والقمل والضفادع والدم كل واحدة تكث سبعة أيام عليهم فيستجيرون بموسى فيدعون الله تعالى فيكشفه عنهم فيمكثون بين كل واحدة والأخرى شهرا ويعودون لما كانوا عليه من الطغيان ثم أرسل الله عليهم السنين المجذبة فاستجاروا ثم عادوا للطغيان ثم دعا الله فكشفت عنهم ثم دعا عليهم بالطمس فطمست

(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ) (قَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا) الدالة على رسالته (إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ) وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ الْعَذَابِ كَالطُّوفَانِ وَهُوَ مَاءٌ دَخَلَ بِيوتهم ووصل إلى حلق الجالسين سبعة أيام والجراد (إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا) قربتها التي قبلها (وَأَخَذْنَا هُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) عن الكفر (رَقَالُوا) لموسى لما رأوا العذاب (يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ) أى العالم الكامل لأن السحر عندهم علم عظيم (أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عِندَكَ) من كشف العذاب عنا إن آمنا (إِنَّا لَمُهْتَدُونَ) أى يؤمنون (فَلَمَّا كَشَفْنَا) بدعاء موسى (عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ) ينتقضون عهدهم ويصرون على كفرهم (وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ) افتخاراً (بِى قَوْمِي قَالَ يَاقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ) أى من النيل (تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِي) أى تحت قصورى (أَفَلَا تُبْصِرُونَ) عظمتى (أَمْ) تبصرون؟ وحينئذ (أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا) أى موسى (الَّذِي هُوَ مَهِينٌ) ضعيف حقير ،

أموالهم فعزموا على قتل موسى وقومه فانتقم الله منهم بالغرق (قوله إلا هى أكبر من أختها) الجملة صفة لآية . والمعنى إلاهى بالغة الغاية فى الإعجاز بحيث يظن الناظر فيها أنها أكبر من غيرها (قوله لعلمهم يرجعون) أى عما هم عليه من الكفر (قوله لأن السحر عندهم علم عظيم) أى فقصدا بذلك تعظيمه لانقصه . إن قات إن الله تعالى قال فى سورة الأعراف حكاية عنهم قالوا يا موسى ادع لنا ربك الخ فهذا يقتضى أنهم نادوه باسمه ، وهذا صريح فى أنهم نادوه بآيها الساحر فكيف الجمع بينهما . أجيى بأن الخطاب تعدد وإنما لم يلزمهم على ذلك رجاء أن يؤمنوا واستقصارا لعقولهم (قوله من كشف العذاب) بيان لما (قوله إننا لمهتدون) أى إن كشف العذاب عنا (قوله إذا هم ينكثون) أى فى كل مرة من مرات العذاب (قوله ونادى فرعون) أى بنفسه أو بمناديه (قوله وهذه الأنهار الخ) معطوف على ملك مصر وجملة تجرى حال من اسم الإشارة (قوله أفلا تبصرون) مفعوله محذوف قدره المفسر بقوله عظمتى (قوله أم تبصرون) أشار بذلك إلى أن أم متصلة معادلة للهمزة مطلوب بها التعيين والمعادل محذوف ، واعترض بأن المعادل لا يحذف بعد أم إلا إن كان بعدها لانحو أنقوم أم لا أى أم لا تقوم . وأجيى بأن هذا غالب لا مطرد (قوله وحينئذ) أشار بذلك إلى أن قوله أنا خير الخ مسبب عن المعادل المحذوف (قوله حقير) أى لانه يخدم نفسه وليس له ملك ولا نفاذ أمر .

(قوله ولا يكاد يبين) الجملة إما عطف على جملة هو مهين أو حال أو مستأنفة (قوله للثغته) بضم اللام وهي تصيير الرائحة غينا أو لاما أو السين ثاء (قوله التي تناولها في صفه) أي حين لطم فرعون على وجهه فاغتم لذلك وأراد قتله فمنعته زوجته وقالت له إنه صغير لا يعرف التمرة من الجمرة فألقى له بجر وجر فأراد أخذ التمرة فحول جبريل يده فأخذ الجمرة فأثرت في لسانه وقد حمله الله حين أرسله وإعما وصفه فرعون بها الآن استصحابا لما كان يعرف منه (قوله فلولا ألقى عليه) أي من عند مرسله الذي يدعى أنه الملك حقيقة (قوله استفز فرعون قومه) المعنى استخف فرعون عقول قومه فألقى عليهم تلك الشبه الواهية التي أثبت بها ألوهية نفسه وكذب موسى فأطاعوه (قوله فلما آسفونا) أصله أسفونا بهم مرتين أبدلت الثانية ألفا (قوله أغضبونا) أي حيث بالغوا في العناد والعصيان (قوله فانتقمنا منهم) أي عاقبناهم (قوله فأغرقناهم أجمعين) تفسير للانتقام وقد أهلكوا بجنس ما تكبروا به ففيه إشارة إلى أن (٥٢) من اقتخر بشيء وتعزز به غير الله أهلك به (قوله ومثلا

(وَلَا يَكَادُ يُبَيِّنُ) يظهر كلامه للثغته بالجمرة التي تناولها في صفه (فَلَوْلَا) هلا (أَلْقَى عَلَيْهِ) إن كان صادقا (أَسَاوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ) جمع أسورة كأغربة جمع سوار كعاداتهم فيمن يسودونه أن يلبسوه أسورة ذهب ويطوقوه طوق ذهب (أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ) متتابعين يشهدون بصدقه (فَاسْتَخَفَّ) استفز فرعون (قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ) فيما يريد من تكذيب موسى (إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ . فَلَمَّا آسَفُونَا) أغضبونا (أَنقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ . فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَافًا) جمع سالف كخادم وخدم أي سابقين عبرة (وَمَثَلًا لِّلآخِرِينَ) بخدم يتمثلون بحالهم فلا يقدمون على مثل أفعالهم (وَلَمَّا ضُرِبَ) جعل (ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا) حين نزل قوله تعالى : إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ، فقال المشركون رضينا أن تكون آلهتنا مع عيسى لأنه عبد من دون الله (إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ) أي المشركون (مِنْهُ) من المثل (يَصْدُقُونَ) يضحكون فرحا بما سمعوا (وَقَالُوا أَلَهْتْنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ) أي عيسى فترضى أن تكون آلهتنا معه (مَاضِرْبُهُ) أي المثل (لَا إِلَهَ إِلَّا جَدَلًا) خصومة بالباطل لعلهم أن ما لغير العاقل فلا يتناول عيسى عليه السلام (بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَبِيرُونَ) شديدو الخصومة (إِنْ) ما (هُوَ) عيسى (إِلَّا عَبْدٌ أُنْعَمْنَا عَلَيْهِ) بالنبي (وَجَعَلْنَاهُ) بوجوده من غير أب (مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ) أي كالمثل لغرابته يستدل به على قدرة الله تعالى على ما يشاء (وَلَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ مِنْكُمْ) ،

معطوف على صافا والمراد بالآخرين المتأخرون في الزمان وهي الأمة الحمدية (قوله ولما ضرب ابن مريم مثلا) سبب نزولها أنه لما نزل قوله تعالى : إنكم وما تعبدون من دون الله آية قال عبد الله بن الزبيري وكان قبل أن يسلم أهذا لنا ولآلهتنا أم لجميع الأمم فقال رسول الله هو لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم فقال قد خصمتك ورب الكعبة أليست النصراني يعبدون المسيح واليهود يعبدون عزيزا وبنو مليح يعبدون الملائكة فإن كان هؤلاء في النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم

بدلهم فسكت انتظارا للوحي فظنوا أنه ألزم الحجة فضحكوا وارتفعت أصواتهم إذا علمت ذلك تعلم الاقتصار الواقع من المفسر في القصة (قوله إذا قومك) إذا جفائية . والمعنى فاجأ ضرب المثل صدودهم وفرحهم (قوله يصدون) بضم الصاد وكسر من باب ضرب ورد قراءتان سبعيتان (قوله فرحا بما سمعوا) أي أن محمد اصاب مغلوبا بهذا الجدل (قوله وقالوا ألهتنا خير أم هـ) تفصيل لجدالهم . والمعنى أنهم قالوا ألهتنا خير عندك أم عيسى فإن كان في النار فلتكن آلهتنا معه وقوله ألهتنا بتحقق الهمزتين أو تسهيل الثانية بغير إدخال ألف بينهما فهما قراءتان سبعيتان فقط وقرئ شذذا بهمزة واحدة بعدها ألف على الخبر (قوله فترضى أن تكون الخ) هذان فرع على الشق الثاني (قوله إلا جدلا) مفعول من أجله أي لأجل الجدل والمراء (قوله لعلهم أن ما) أي الواقعة في قوله تعالى إنكم وما تعبدون وعلمهم ذلك لكون القرآن نزل بلغتهم ولغة العرب أن ما تكون لغير العاقل و لعاقل (قوله إن هو إلا عبد) رد عليهم والمعنى ما عيسى إلا عبد مكرم منعم عليه بالنبوة لا إله ولا ابن إله (قوله بوجوده من غير أب) أي فهو نظير آدم في خلقه من غير أبوين (قوله ولو نشاء لجعلنا منكم) خطاب لقرش والمعنى أننا أغنياء عنكم وعن عبادتكم

قلوا نشاء لأهلكناكم وجعلنا بدلکم ملائكة يعبدونی فی الأرض (قوله بدلکم) أى فهو نظیر قوله تعالى - أرضیتهم بالحياة الدنیا من الآخرة - وقول الشاعر :

جارية لم تأكل المرققا ولم تذق من البقول الفستقا
وبصح أن تكون من تبعیضیة ، والمعنى لو نشاء لجعلنا بعضكم ملائكة یخلفونكم فیها بأن یحوّل بعضكم إلى صورة الملائكة
أوبد بعضكم ملائكة (قوله وإنه اعلم) أى نزوله علامة على قرب الساعة فالكلام على حذف مضاف واللام بمعنى على (قوله
واتبعون) أى امتثلوا ما أمركم به (قوله ولا یصدنكم الشیطان) معطوف على اتبعون فهو مقول القول وقيل من كلام الله تعالى
والله اتبعوا یا عبادی هدی أرسولی ولا یصدنكم الشیطان الخ (قوله ولما جاء عیسی) أى أرسل ابنی اسرائیل (قوله ولأیین
لكم) معطوف على قوله بالحكمة أى وجئتكم لأیین ولم یرك العاطف إشارة إلى أنه متعلق بما قبله إشعارا بالاهتمام بالقلة حتى
جعل كانه كلام برأسه (قوله بعض الذى یختلفون فیه) أى فبین لهم أمر الدین وهو بعض ما یختلفون فیه لأن اختلافهم فی أمر
الدین ونكسبات الدنیا والأنبیاء بعثوا لبيان الدین لا لصنائع الدنیا فانها تؤخذ (٥٣) عن أهلها ، وفى الحديث

« أنتم أعلم بأمر دنیاكم »
(قوله فاتقوا الله وأطیعون)
أى فیما أبلغه عنه (قوله
فاختاف الأحزاب من بینهم)
أى تفرقوا من بین من
بعث إلیهم من اليهود
والنصارى (قوله أهو
الله) هذه مقالة فرقة من
النصارى تسمى الیعتوبیة
(قوله أو ابن الله) هذا
قول فرقة منهم أيضا تسمى
المرقوسیة (قوله أو ثالث
ثلاثة) هذا قول فرقة منهم
أیضا تسمى الماسکانیة
وقالت فرقة إنه عبد الله
ورسوله وإنما كفرت
ببعثة محمد صلى الله
عليه وسلم ، وقالت

بدلكم (ملائكة فی الأرض یخلفون) بأن نهلككم (وإنه) أى عیسی (اعلم الساعة)
تلم بنزوله (فلا تمترن بها) أى تشكن فیها حذف منه نون الرفع للجزم وواو الضمیر لالتقاء
الساكنین (و) قل لهم (أتبعون) على التوحید (هذا) الذى أمركم به (صراط) طریق
(مستقیم) ولا یصدنكم (بصرفكم عن دین الله) الشیطان إنه لكم عدو مبین
بین العداوة (ولما جاء عیسی بالبینات) بالمعجزات والشرائع (قال قد جئتكم بالحكمة)
بالنبوة وشرائع الانجیل (ولأیین لكم بعض الذى یختلفون فیه) من أحكام التوراة
من أمر الدین وغيره فبین لهم أمر الدین (فاتقوا الله وأطیعون إن الله هو ربی وربكم
فاعبدوه هذا صراط) طریق (مستقیم) فاختلف الأحزاب من یدنیهم فی عیسی أهو
الله أو ابن الله أو ثالث ثلاثة (فویل) كلمة عذاب (للذین ظلموا) كفروا بما قالوه
فی عیسی (من عذاب یوم أریهم مؤلم) هل یظنون) أى كفار مكة أى ما ینتظرون (إلا
الساعة أن تأتيهم) بدل من الساعة (بفتة) فجأة (وهم لا یشعرون) بوقت مجئها قبله
(الأخلاء) على المعصیة فی الدنیا (یومئذ) یوم القيامة متعلق بقوله (بعضهم لبعض عدو
إلا المتقین) المتحابین فی الله على طاعته فانهم أصدقاء ویقال لهم (یا عباد لا خوف علیكم
الیوم ولا أنتم تحزنون) الذین آمنوا) نعمت لعبادی (بآیاتنا) القرآن ،

اليهود إنه ليس بنی فانه ابن زنا لعنهم الله (قوله كلمة عذاب) أى كلمة معناها العذاب وهو مبتدأ وقوله للذین ظلموا
خبره (قوله أى كفار مكة) هذا توعدهم بالعذاب إثر بیان فرحهم بجعل المسيح مثلا (قوله وهم لا یشعرون) الجملة
حالية (قوله على المعصیة) أى وعلى فیكون الاستثناء منقطعا ویصح أن المراد بالأخلاء الأحاب مطلقا فیكون الاستثناء
متصلا (قوله متعلق بقوله بعضهم) أى والفصل بالمبتدأ لا یضر (قوله فانهم أصدقاء) أى ویشفعون لبعضهم ویتوددون كما
كانوا فی الدنیا (قوله ویقال لهم) أى تشریفا وتطییبا لقولهم ورد أنه ینادى مناد فی العرصات : یا عبادی لاخوف علیكم
الیوم فیرفع أهل العرصة رموسهم ، فیقول المنادى الذین آمنوا بآیاتنا وكانوا مسلمین فینكس أهل الأديان رموسهم غیر
المسلمین (قوله یا عبادی) الاضافة للتشريف والتكريم والیاء إما ساكنة أو مفتوحة أو محذوفة ثلاث قراآت سبعیات وقد
ناداهم الله تعالى بأربعة أمور : الأول نفي الخوف ، والثانى نفي الحزن ، والثالث الأمر بدخول الجنة ، والرابع البشارة
بالسرور فی قوله تحبسون (قوله لاخوف علیكم) بالرفع والتنوین فی قراءة العامة وهو مبتدأ وعلیكم خبره وقرئ شذوذا
بالضم أو الفتح دون تنوین .

(قوله وكانوا مسلمين) أى مخلصين فى أمر الدين (قوله زوجاتكم) أى المؤمنات (قوله نسرون) أى يظهر أثره على وجوههم (قوله بقصاع) جمع قصعة وهى الاناء الذى يشبع العشرة وأكبر منها الجفنة والصفحة ما يشبع الخمسة والمأكلة ما يشبع الرجل أو الثلاثة ورد أنه يطوف على أدنى أهل الجنة منزلة سبعون ألف غلام بسبعين ألف صحيفة من ذهب يغدى عليه بها فى واحدة منها لون ليس لى صاحبها يأكل من آخرها كما يأكل من أولها ويجد طعم آخرها كما يجد طعم أولها لا يشبه بعضه براح عليه بمثلها ويطوف على أرفعهم درجة كل يوم سبعمائة ألف غلام مع كل غلام صحيفة من ذهب فيها لون من الطيب ليس فى صاحبها يأكل من آخرها كما يأكل من أولها ويجد طعم آخرها كما يجد طعم أولها لا يشبه بعضه بعضا (قوله كوب) أى كعود وأعواد (قوله لاعروة له) أى ليس له محل يمسك منه (قوله ليشرب الشارب من حيث شاء) أى لأن الله تمنع من بعض الجهات ، وروى أنهم يؤتون بالطعام والشراب فإذا كان فى آخر ذلك أتوا بالشراب الطهور فتضمروا بطونهم وتفيض عرقا من جلودهم أطيب من ريح المسك قال تعالى - وسقاهم ربهم شرابا طهورا - (قوله وفيها) الجنة (قوله ما تشبهه الأنفس) أى من الأشياء المعقولة والسموعة والمنظورة والمهوسة والمذوقة والشمومة . روى «أن رسول الله قال: يا رسول الله أفى الجنة خيل فانى أحب الخيل؟ فقال إن يدخلك الله الجنة فلا نشاء أن تركب فرسا من ياقوتة حمراء فتبكي فى أى الجنة شئت إلا فعلت ، فقال أعرابى يا رسول الله أفى الجنة إبل فانى أحب الإبل ، فقال يا أعرابى إن أدنى الله الجنة أصبت فيها ما اشتئت نفسك ولدت عينك » وتشبهى بهاء واحدة واثنين

(٥٤)

الياء قراءتان سبعيتان (قوله تلذذا) أى فطعامها وشرابها لا عن عطش (قوله نظرا) أى وأعظمه النظر إلى وجهه الله الكريم (قوله وتلك الجنة) مبتدأ وخبر وفيه التفات من الغيبة إلى الخطاب تشرىفها وتعظيما لقدرها ولم يقل وتلك الجنة ليكون مناسبا

(وَكَانُوا مُسْلِمِينَ . أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ) مبتدأ (وَأَزْوَاجُكُمْ) زوجاتكم (تُحْبَرُونَ) تسرون وتكرمون خبر المبتدأ (يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ) بقصاع (مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ) كوب ، وهو إناء لا عروة له ليشرب الشارب من حيث شاء (وَفِيهَا مَا تَشْتَهُى الْأَنْفُسُ تَلَذُّا) (وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ) نظرا (وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) . وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ . لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا) أى بعضها (تَأْكُلُونَ) وكل ما يؤكل بخير بدله (إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ . لَا يُفْتَرُونَ) يخفف (عَنْهُمْ) وهم فيه مبلسوا ساكتون سكوت يأس (وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ . وَنَادَوْا يَا مَالِكُ) خازن النار ،

(ليقضى)

لقوله أورثتموها إشارة إلى أن كل واحد من أهل الجنة مخاطب بالاستقلال (قوله أورثتموها بما كنتم تعملون) أى أعطيتهموها بسبب عملكم وهذا زيادة فى الإكرام الجنة حيث لم يقل أورثتموها من فضلى وإن كانت فى الحقيقة من فضله تعالى . قال ابن عباس: خافى الله لكل نفس جنة قال الكافر برث نار المسلم والمسلم برث جنة الكافر (قوله يخلف بدله) أى لأنها على صفة الماء النابع لا وخدمتهائى* إلاخاف فى الحال مثله (قوله إن المجرمين الخ) لما ذكر وعد المؤمنين الحسن بالجنة وما فيها شرع فى ذكر وعيد الكافرين السي* وما فيها على حكم عادته سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز والمراد بالمجرمين الكفار لك كرمهم فى مقابلة المؤمنين (قوله لا يفترعون) الجلة حالية وكذا ما بعدها والفتور السكون يقال من فتر الماء سكن حره (قوله ساكتون) أى فالابلاس السكوت و على السكون يقال أباس سكت وسكن (قوله سكوت يأس) أى من رحمة الله تعالى . إن قلت إن مقتضى ما هنا أنهم يسكنون فى النار ومقتضى ما يأتى فى قوله ونادوا يا مالِك الآية أنهم يستغيثون ويتسكمون لفصل الثنائى بين الموضعين : أجيب بأن يسكتون تارة ويستغيثون أخرى فأحوالهم مختلفة (قوله ولسكن كانوا هم الظالمين) العامة على نصب الظالمين خبرا لهم وهم ضمير فصل وقرئ* شدوذا الظالمون بالرفع على أن هم ضمير منفصل مبتدأ والظالمون خبره والجملة خبر كان (قوله ونادوا) التعبير بالماضى لتحقيق الحصول (قوله هو خازن النار) أى كبير خزنتها ومجلسه وسط النار وقبها جسور تمر ملائكة العذاب فهو يرى أقصاها كما يرى أدناها .

قوله ليقض علينا ربك (اللام للدعاء ويقض مجزوم بحذف الياء ، والمعنى سل ربك أن يعطينا فهو من قضى عليه إذا أماته
قوله ليعطينا) أى لتستريح مما نحن فيه (قوله بعد ألف سنة) هذا أحد أقوال ، وقيل بعد مائة سنة ، وقيل بعد أربعين سنة
السنة ثلاثمائة وستون يوما واليوم كأف سنة مما تعدون (قوله مقيمون في العذاب دائما) أى لا مفر لكم منه بموت ولا غيره
قوله لقد جئناكم بالحج) يحتمل أنه من كلام الله تعالى خطاب لأهل مكة عموما مبين لسبب مكث الكفار في النار وهو ما مشى
عليه المفسر وقوله - ولكن أكثركم للحق كارهون - أى وأما أقاكم فهو مؤمن يحب الحق ويحتمل أنه من كلام مالك لأهل
نار جار مجرى العلة كأنه قال إنكم ما كنون لأننا جئناكم بالحج ويكون معنى أكثركم كلكم (قوله كارهون) أى لما فيه من
نزع الشهوات فكراهتكم له من أجل كونه مخالفا لهواكم وشهواتكم (قوله أم أبرموا أمرا) الإبرام في الأصل القتل المحكم يقال
برم الحبل إذا ألقن قتله نائيا وأما قتله أولا فيسمى سحلا ثم أطلق على مطلق الاتقان والإحكام وأم منقطعة تفسر ببل والهمزة
هوا انتقال من توبيخ أهل النار إلى توبيخ الكفار على بعض ما حصل منهم في الدنيا (قوله في كيد محمد) أى كاذ كره في قوله
مالي - وإذ عكركم الذين كفروا ليشبكوك - الآية (قوله أم يحسبون) أم منقطعة (٥٥) تفسر ببل وهمزة الانكار

(قوله ورسلا الح) الجملة
حالة وقوله يكتبون ذلك:
أى سرهم ونجواهم (قوله
قل إن كان للرحمن ولد)
أى إن صح وثبت ذلك
يرهان صحيح فأنا أول
من يعظم ذلك الولد
ويعبده (قوله لكن ثبت
أن لا ولده) أشار بذلك
إلى أنه قياس استثنائي وقد
استثنى فيه نقيض المقدم
بقوله لكن ثبت الح فأتيج
نقيض التالى وهو قوله
فاتتفت عبادته وإيضاحه
أنه علق العبادة بكيونة
الولد وهى محالة فى نفسها
فكان العلق بها محالا

(لَيْتَ نَحْنُ عَلَيْنَا رَبُّكَ) ليعطينا (قَالَ) بعد ألف سنة (إِنْ كُنْتُمْ مَا كُنْتُمْ) مقيمون
في العذاب دائما قال تعالى (لَقَدْ جِئْنَاكُمْ) أى أهل مكة (بِالْحَقِّ) على لسان الرسول
(وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ) أم أبرموا) أى كفار مكة أحكموا (أمرًا) في كيد
محمد النبي (فَأَنَّا مُبْرِمُونَ) محكمون كيدنا في إهلاكهم (أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ
وَنَجْوَاهُمْ) ما يسرون إلى غيرهم وما يجهرون به بينهم (بَلَى) نسمع ذلك (وَرُسُلَنَا) الحفظة
(لَتَنُيْمُ) عندهم (يَكْتُبُونَ) ذلك (قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ) فرضا (فَأَنَّا أَوَّلُ
الْعَابِدِينَ) للولد لكن ثبت أن لا ولده تعالى فانفتت عبادته (سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ) الكرسي (عَمَّا يَصِفُونَ) يقولون من الكذب بنسبة الولد
إليه (فَذَرَهُمْ يَخْضُوا) فى باطلهم (وَيَلْمِبُوا) فى دنياهم (حَتَّى يُبْلَقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي
يُوعَدُونَ) فيه العذاب وهو يوم القيامة (وَهُوَ الَّذِي) هو (فِي السَّمَاءِ إِلَهُ) بتحقيق الهمزتين
وإسقاط الأولى وتسهيلها كالياء : أى معبود (وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُ) وكل من الظرفين متعلق
بما بعده (وَهُوَ الْحَكِيمُ) فى تدبير خلقه (الْعَالِمُ) بمصالحهم (وَتَبَارَكَ) تعظم (الَّذِي لَهُ مُلْكُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ) متى تقوم (وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ) بالياء والتاء

ثانها حصل نفيها على أبلغ الوجوه وأقواها (قوله الكرسي) المناسب إبقاء الآية على ظاهرها لأن من المعلوم أن العرش غير الكرسي
قوله العذاب) مذهب ثلثان ليوعدون وفيه متعلق بالعذاب (قوله وهو يوم القيامة) المناسب أن يقول يوم موتهم لأن خوضهم
لهم إنما ينتهى يوم الموت (قوله وهو الذى هو فى السماء الح) قدر الضمير إشارة إلى أن العائد محذوف وهو مبتدأ وإله
جبره وفى السماء متعلق باله ، وإنما حذف المبتدأ لدلالة المعنى عليه ولطول الصلة بالمعمول نظير قولك ما أنا بالذى قاتل لك سوءا
لا يصح أن يكون الجار والمجرور خبرا مقدما وإله مبتدأ مؤخر لثلا تعرى الجملة عن رابط نظير جاء الذى فى الدار زيد (قوله
تحقيق الهمزتين الح) أى همزة سماء وهمزة إله وذكر المفسر هنا ثلاث قراءات وفى الحقيقة هى سبع سبعيات التحقيق وهى
ألف واحدة وإسقاط الهمزة الأولى وتسهيلها مع القصير فى سماء بقدر ألف والمد بقدر ألفين وتسهيل الثانية وإبدالها ياء مع
قصير لا غير (قوله متعلق بما بعده) أى وهو إله لأنه بمعنى معبود ، والتقدير وهو معبود فى السماء ومعبود فى الأرض ولا شك
أن العابد فى السماء غير العابد فى الأرض والمعبود واحد ودفع بذلك ما يتوهم من ظاهر الآية أن الاله متعدد لأن النكرة إذا
عبدت كانت غيرا (قوله وعنده علم الساعة) أى علم وقت قيامها (قوله والتاء) أى فهو التفات من الغيبة للخطاب للنهي بد

والثَّابِتُ (قوله ولا يملك الدين الخ) الاسم الموصول فاعل يملك وهو إما عبارة عن مطلق المعبودات غير الله فيكون الاستثناء متصلاً وهو ما تقتضيه عبارة المفسر أو عن خصوص الأصنام فيكون منقطعاً (قوله أي الكفار) تفسير للواو في يدعون (قوله لأحد) قلره إشارة إلى أن مفعول الشفاعة محذوف (قوله وهم يعلمون) الضمير عائد على من والجمع باعتبار معناها (قوله وأن سألهم) أي العابدين مع ادعاء الشريك (قوله ليقولن الله) جواب القسم وجواب الشرط محذوف على القاعدة (قوله أي قول محمد النبي) تفسير لكل من المضاف والمضاف إليه ، وقوله ونصبه على المصدر : أي فالقول والقيـل والمقالة كلها مصادر بمعنى واحد وفي قراءة سبعية أيضاً بالجر إما عطفاً على الساعة أو أن الواو للقسم والجواب إما محذوف ، والتقدير لأفعلن بهن ما أريد أو مذكور وهو قوله : إن هؤلاء قوم لا يؤمنون (قوله وقل سلام) خبر لمحذوف : أي شأني سلام : أي ذو سلامة منكم ومنى فهو تباعد وتبرؤ منهم فليس في الآية مشروعية السلام على الكفار (قوله وهذا قبل أن يؤمر بقتالهم) أي فالآية منسوخة ويحتمل أن المراد الكف عن مقابلتهم بالكلام فلا نسخ فيها .

[سورة الدخان مكية] أي (٥٦) كلها وهو المعتمد (قوله الآية) أي إلى قوله عائدون، وورد في فضل هذه السورة

(وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ) يعبدون : أي الكفار (مِنْ دُونِهِ) أي الله (الشَّفَاعَةُ) لأحد (إِلَّا مَنْ شَرِهَ بِالْحَقِّ) أي قال لا إله إلا الله (وَهُمْ يَعْلَمُونَ) بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم وهم عيسى وعزير والملائكة فإنهم يشفعون للمؤمنين (وَلَنْ) لام قسم (سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) حذف منه نون الرفع وواو الصير (فَأَنِّي يُؤْفَكُونَ) يصرفون عن عبادة الله (وَقِيلَ) أي قول محمد النبي ونصبه على المصدر بفعله المقدر أي وقال (يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ) قال تعالى (فَاصْفَحْ) فأعرض (عَنَّهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ) منكم وهذا قبل أن يؤمر بقتالهم (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) بالياء والتاء تهديد لهم ،

(سورة الدخان)

مكية، وقيل إلا «إنا كاشفوا العذاب» الآية، وهي ست أو سبع

أو تسع وخمسون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . حَمْدُ) الله أعلم بمراده به (وَالكِتَابِ) القرآن (الْمُبِينِ) المظهر الحلال من الحرام (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ) هي ليلة القدر ،

وحديث يسّ القدي تقدم لنا وهو «إن لكل شيء قلباً وقلب القرآن يسّ من قرأها يريد بها وجه الله تعالى غفر الله له» إلى آخره وحديث سورة الواقعة وهو «من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً» (قوله والكتاب) الواو للقسم والكتاب مقسم به وجواب القسم هو قوله : إنا أنزلناه الخ ، وأما قوله إنا كنا منذرين فهو تعليل للجواب وهو أحسن من جعل الجواب قوله : إنا كنا منذرين، وقوله : إنا أنزلناه جملة معترضة بين القسم وجوابه (قوله القرآن) هذا أحد أقوال في تفسير الكتاب وهو أنفواها ، وعليه فقد أقسم بالقرآن أنه أنزل القرآن في ليلة مباركة وهذا من أبلغ الكلام الدال على غاية تعظيم القرآن كما تقول للعظيم أنشف بك لك ، وفي الحديث «أعوذ برضاك من سخطك وبغضوك من عقوبتك وبك منك» ، وقيل المراد بالكتاب الكتب المنزلة على الأنبياء والضمير في أنزلناه عائد على القرآن المفهوم من السياق وقيل المراد به اللوح المحفوظ ، وقوله أنزلناه : أي أنزلنا بعض ما فيه وهو القرآن (قوله هي ليلة القدر) هذا قول قتادة وابن زيد وأكثر المفسرين ، ووجه بأمور منها قوله تعالى - إنا أنزلناه في ليلة القدر - فيجب أن تكون الليلة المباركة هي المسماة بليلة القدر لأن خير ما فسرته بالوارد ، ومنها قوله تعالى - شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن - فقوله تعالى هنا - إنا أنزلناه

أحاديث منها قوله صلى الله عليه وسلم «من قرأ الدخان ليلة الجمعة أصبح مغفوراً له وزوج من الخور العين» ومنها قوله صلى الله عليه وسلم «من قرأ الدخان ليلة الجمعة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك» ومنها قوله صلى الله عليه وسلم «من قرأ حم الدخان ليلة الجمعة أو يوم الجمعة بنى الله له بيتاً في الجنة» قال بعض العلماء ما ذكره البيضاوي من الأحاديث الواردة في فضل السور متكاملاً فيها إلا أحاديث «سورة الدخان

في ليلة مباركة - يحتمل أن تكون هذه الليلة المباركة في رمضان فثبت أنها ليلة القدر ، ومنها قوله تعالى في صفة ليلة القدر - نزل
 الملائكة وروح فيها بأذن ربهم من كل أمر - وقال هنا - فيها يفرق كل أمر حكيم - وقال هنا - رحمة من ربك - وقال في
 ليلة القدر - سلام هي حتى مطلع الفجر وإذا تقاربت لأوصاف وجب القول بأن إحدى الليلتين هي الأخرى وهذه أدلة ظاهرة
 واضحة على أنها ليلة القدر وهو المتمد ، وسميت ليلة القدر لأن الله تعالى يقدر فيها ما يشاء من أمره إلى مثلها من السنة القابلة من
 أمر الموت والأجل والرزق ويسلم ذلك إلى مدبرات الأمور وهم إسماعيل وميكائيل وعزرائيل وجبريل عليهم السلام ، وقيل يبدأ
 في استنساخ ذلك من اللوح المحفوظ من ليلة النصف من شعبان ويقع الفراغ في ليلة القدر فتدفع نسخة الأرزاق إلى ميكائيل
 ونسخة الحروب إلى جبريل وكذلك الزلازل والصواعق والحذف ونسخة الأعمال إلى إسماعيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم
 ونسخة المصائب إلى ملك الموت (قوله أول ليلة النصف من شعبان) هو قول عكرمة وطائفة ، ووجه بأمور : منها أن ليلة النصف من
 شعبان لها أربعة أسماء : الليلة المباركة وليلة البراءة وليلة الرحمة وليلة الصك ، ومنها فضل العبادة فيها لما ورد « من صلى فيها مائة
 ركعة أرسل الله تعالى إليه مائة ملك ثلاثون يشيرونه بالجنة وثلاثون يؤمنونه من هذاب النار وثلاثون يدفعون عنه آفات الدنيا
 عشرة يدفعون عنه مكاييد الشيطان » ومنها نزول الرحمة فيها لما في الحديث « إن الله يرحم أمي هذه الليلة بعدد شعر أغنام بني
 كلب » ومنها حصول المغفرة فيها لما في الحديث « إن الله يغفر لجميع المسلمين في تلك الليلة إلا الكاهن والساحر ومدمن الخمر وعاق
 لحيه والعصر على الزنا » ومنها « إن الله تعالى أعطى رسوله في هذه الليلة تمام (٥٧) الشفاعة في أمته » وذلك أنه

سأل ليلة الثالث عشر من
 شعبان في أمته فأعطى
 الثلث منها ثم سأل ليلة
 الرابع عشر فأعطى
 الثلثين ثم سأل ليلة
 الخامس عشر فأعطى
 الجميع إلا من شرد عن الله
 شرود البعير (قوله نزل
 فيها) أي جملة ومعنى إنزاله
 من اللوح المحفوظ إلى

أول ليلة النصف من شعبان نزل فيها من أم الكتاب من السماء السابعة إلى السماء الدنيا
 (إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ) مخوفين به (فِيهَا) أي في ليلة القدر ، أو ليلة النصف من شعبان
 (يَفْرُقُ) يفصل (كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) محكم من الأرزاق والآجال وغيرها التي تكون في السنة
 إلى مثل تلك الليلة (أَمْرًا) فرقا (مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ) الرسل محمداً ومن قبله
 (رَحْمَةً) رافة بالمرسل إليهم (مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ) لأقوالهم (الْعَلِيمُ) لأفعالهم
 (رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا) برفع رب خبر ثالث وبجوه بدل من ربك (إِنْ
 كُنْتُمْ) يا أهل مكة (مُؤْمِنِينَ) بأنه تعالى رب السموات والأرض ،

سماء الدنيا أن جبريل أملاه منه على ملائكة سماء الدنيا فكتبوه في صحف وكانت عندهم في محل من تلك السماء يسمى بيت
 مزة ، ثم نجمته الملائكة المذكورون على جبريل في عشرين سنة ينزل بها على النبي صلى الله عليه وسلم بحسب الوقائع والحوادث
 قوله (إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ) المراد من كان الاستمرار والدوام : أي شأنا وعادتنا الإنذار والتخويف وهذه الجملة علة للإنزال وكونه
 ليلة مباركة ، والمعنى إنما أنزلناه في ليلة مباركة لأن شأنا الإنذار ، وهذا القرآن عظيم أنزل في ليلة مباركة شأنه أن يخاف منه
 قوله (فيها يفرق) هذه الجملة إمام ستائفة أوصاف لليلة وما بينهما اعتراض (قوله يفصل) أي يبين ويظهر للملائكة الموكلين بالتصرف
 قوله محكم) أي مبتم لاتصريفه ولا تبديل (قوله فرقا) أشار بذلك إلى أن أمرا منصوب على المصدرية بفعل ملاقيه في المعنى كقمت
 وفا وجاست قعودا ويصح أن يكون حالا من فاعل أنزلناه ، والتقدير أنزلناه حال كوننا أمرا منصوب على المصدرية بفعل ملاقيه في المعنى كقمت
 لكونه مأمورا به ويصح أن يكون مفعولا لأجله وعامله أنزلناه ، والتقدير أنزلناه لأمر الخلق : أي شأنهم بمعنى أن فيه مصالح دينهم
 نياهم ، قال تعالى - ما فرطنا في الكتاب من شيء - (قوله من عندنا) صفة لأمرنا (قوله إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ) جملة مستأنفة قصد بها
 ن حكمه الإنزال في ليلة مباركة وكونه أمرا (قوله رحمة) مفعول لأجله والعامل فيه إما أنزلناه وإما أمرا وإمام منذرين وإما يفرق
 ما مرسلين وهو الأقرب ويصح أن يكون منصوبا بفعل محذوف : أي رحمتهم رحمة ويصح أن يكون حالا من ضمير مرسلين أي
 ي رحمة ويصح أن يكون بدلا من أمرا (قوله من ربك) متعلق برحمة وفيه التفات من التكلم للقبيلة لمزيد الإيهاب والترغيب
 رهاب للكفار والترغيب للمؤمنين (قوله إنه هو السميع العليم) تعليل لما قبله وإن حرف توكيد ونصب والهاء اسمها وهو ضمير فصل
 والسميع خبر أول والعليم خبر ثان وقوله رب خبر ثالث كما قال المفسر ففيه إشارة لهذا الإعراب

(قوله فأيقنوا) قدره إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف والجملة الشرطية معترضة بين الأخبار فان قوله لا إله إلا هو خبر راب (قوله ربكم ورب آبائكم) بالرفع في قراءة العامة على أنه بدل أو بيان أو نعت لرب السموات والأرض في قراءة من رفعه وقرئ شذوذا بالجذر والنصب فالأول على أنه نعت لرب السموات في قراءة من جره والثاني على المدح (قوله بل هم في شك) إضراب عن محذوف ، والمعنى فليسوا موقنين بل هم في شك وقوله يلعبون حال أي حال كونهم يلعبون بظواهرهم من الأقوال والأفعال والمراد بلعبهم انهما في الفاني وإعراضهم عن الباقي قال تعالى - إنما الحياة الدنيا لعب - (قوله فقال اللهم أعني عليهم بسبع) أي سنين ، هذا مفرع على محذوف أشار له المفسر بقوله استهزاء أي فلما استهزءوا به وكثر عنادهم دعا عليهم بقوله اللهم أعني عليهم أي على هدايتهم وفي الحقيقة هو دعاء لهم لأن من شأن النفوس أنها إذا شعث وكثر عليها الحزن تكبرت وطففت وبغت فإذا جاعلت واشتد بها الألم ذلت وصغرت ورجعت للحق ، لما ورد أن الله تعالى لما خلق النفس قال لها من أنا ؟ قالت له أنت أنت وأنا أنا فألقاها في بحر الجوع فذلت وقالت أنت الله لا إله غيرك ، ومن هنا كانت تربية العارفين نفوسهم بالجوع (قوله قال تعالى) أي إجابة لدعوته ، واختلف هل حصل ذلك والنبي صلى الله عليه وسلم في مكة أو بعد هجرته إلى المدينة وهو الراجح (قوله يوم تأبى السماء) مفعول به وعامله فارتقب (قوله بدخان) الدخان بوزن غراب وجبل ورمال : الغبار والجمع أدخنة ودواخن ودواخي والتلاوة بوزن غراب (قوله) (٥٨) فأجذبت الأرض) أشار بذلك إلى أنه حصل مطلوبه فيهم بالفعل (قوله كهن

فأيقنوا بأن محمداً رسوله (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ) (قوله بل هم في شك) من البعث (يَلْعَبُونَ) استهزاء بك يا محمد ، فقال اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف ، قال تعالى (فَارْتَقِبْ) لهم (يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ) فأجذبت الأرض واشتد بهم الجوع إلى أن رأوا من شدته كهيئة الدخان بين السماء والأرض (يَفْشَى النَّاسَ) فقالوا (هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ) رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ) مصدقون نبيك ، قال تعالى (أَنِّي لَهُمُ الذِّكْرَى) أي لا ينفعهم الإيمان عند نزول العذاب (وَنَزَلَ عَذَابُهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ) بين الرسالة (ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ) أي يعلمه القرآن بشراً مُجْنُونٌ . إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ) أي الجوع عنكم زمناً (قَلِيلًا) فكشف عنهم (إِنَّكُمْ عَائِدُونَ) إلى كفركم فعادوا إليه ، اذكر (يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى) هو يوم بدر (إِنَّا مُنْتَقِمُونَ)

الدخان) أشار بذلك إلى أنه ليس المراد حقيقة الدخان بل رأوا شيئاً يشبهه من ضعف أبصارهم وهو قول ابن عباس ومقاتل ومجاهد وابن مسعود فلما اشتد الأمر عليهم جاءه أبو سفيان فقال : يا محمد جئت تأمر بصلوة الرحم وإن قومك قد هلكوا فادع الله أن يكشف عنهم فدعاهم بالمطرفة

واستمر عليهم سبعة أيام حتى تضرروا من كثرة جفاء أبو سفيان وطلب منه أن يدعو برفعه فدعا فارتفع وقال ابن عمر وأبو هريرة وزيد بن علي والحسن إنه دخان حقيقة يظهر في العالم في آخر الزمان يكون علامة على قرب الساعة بعلامتين المشرق والمغرب وما بين السماء والأرض يمكث أربعين يوماً وليلة ، أما المؤمن فيصيبه كالزكام ، وأما الكافر فيصير كالسكران فيجلا جوفه ويخرج من منخره وأذنيه ودبره وتكون الأرض كلها كبيت أوقدت فيه النار (قوله يَفْشَى النَّاسَ) صفة ثانية لدخان والراد بهم قرين وأمثالهم على ما قاله المفسر وعلى القول الآخر يكون المراد بالناس جميع الموجودين في ذلك الوقت من المؤمنين والكفار (قوله إِنَّا مُؤْمِنُونَ) هذا وعد منهم بالإيمان وقد أخلفوه وليس المراد أنهم آمنوا حقيقة ثم ارتدوا (قوله) أي لا ينفعهم الإيمان الخ) الأوضح أن يقول : أي لا يوفون بما وعدوا من الإيمان عند كشف العذاب عنهم فهو استهزاء لايمانهم (قوله وقالوا معلم) أي قالوا في حق النبي عليه السلام تارة إنه يعلمه غلام أعجمي وقالوا تارة إنه مجنون وتقدم في سورة النحل في قوله - إنما يعلمه بشر أن رجلا صمه جبر - وهو غلام عامر بن الحضرمي ورجلا صمه يسار كانا يصنعان السيوف بمكة ويقرا التوراة والإنجيل فكان النبي عليه السلام يدخل عليهما ويسمع ما يقرأانه ، فقال الكفار إنما يعلمه بشر فرد الله تعالى عنهما بقوله - لسان الذي يلحدون إليه أعجمي - الآية (قوله إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ) جواب عن قوله ربنا اكشف عنا العذاب (قوله) قليلا قيل إلى يوم بدر ، وقيل إلى ما بقي من أعمارهم (قوله فعادوا إليه) أي استمرروا عليه لأنه لم يوجد منهم من بالفعل (قوله اذكر يوم نبطش) أشار بذلك إلى أن يوم نبطش محذوف ، ويصح أن يكون بدلا من يوم تأتي .

(قوله بلونا) أى امتحننا ، والمعنى فعلنا بهم لئلا نحن باقبال النعم عليهم منا ومقابلتهم لها بالكفر والطغيان (قوله قبلهم) أى قبل قريش (قوله معه) أشار بذلك دة لما وهم من ظاهر الآية أن الابتلاء لخصوص قوم فرعون . فأجاب بأن المراد هو وقومه (قوله وجاءهم) هو من جملة المعنى بن با (قوله كريم على الله) أى عزيز عليه حيث اختصه بالرسالة والكلام وهذا قد لقول فرعون أم أنا خير من هذا الذى به مهيا كأنه قال : حاشا موسى من المهانة بل هو كريم عزيز على ربه (قوله أى أن) أشار بذلك إلى أن أن مصدرية ويصح أن تكون مفسرة وأن تكون مخففة من الثقيلة (قوله عباد الله) مثنى المفسر لئلا أن مفعول أدوا محذوف وعباد الله منادى وعلما فالمراد بعباد الله فرعون وقومه وقيل إن عباد الله مفعول لأدوا ، والمراد بهم بنو إسرائيل ومعنى تأديتهم إياهم إطلاقهم ، لأن الأوامر يشير إلى هذا قوله تعالى فى سورة الشعراء - أن أرسل معنا بنى إسرائيل - على كلا القولين فالخطاب فى أدوا لفرعون وقومه (قوله إني لكم رسول أمين) تعليل للأمر وقوله على ما أرسلت به متعلق أمين ، والمعنى مأمون على ما أرسلنى الله به لا أزيده ولا أنقص وذكر الأمانة بعد الرسالة وإن كانت تستلزمها إشارة إلى أنها صف شريف يفنى الاعتناء به (قوله وأن لا تعادوا على الله) عطف على قوله أن أدوا (قوله تتجبروا على الله) فسر العادوا تتجبر وفسره غيره بالتكبر والبغى والافتراء والتعاضام والاستكبار وكلها معان (٥٩) متقاربة (قوله إني آتيكم)

تعليل للنهى (قوله فتوعدهم بالرجم) ظاهره أنه حين قال إني آتيكم بسلطان مبين توعدهم بالرجم ولم يتموا مع أنه تقدم أن فرعون قال له فأت بها إن كنت من الصادقين ومكث بينهم مدة عظيمة وهو يأتهم بالمعجزات الباهرة ثم لما توعدهم دعا عليهم وحينئذ فيكون بين ما هنا وبين ما تقدم تناف فالجواب أن القصة ذكرت هنا جملة

سهم والبطش الأخذ بقوة (ولقد فتنا) بلونا (قبلهم قوم فرعون) معه (وجاءهم رسول) هو موسى عليه السلام (كريم) على الله تعالى (أن) أى بأن (أدوا إلى) ما أدعوك إليه من الإيمان أى أظهروا إيمانكم بالطاعة لى يا (عباد الله إني آتكم رسول أمين) على ما أرسلت به (وأن لا تعادوا) تتجبروا (على الله) بترك طاعته (إني آتيكم سلطانا) برهان مبين (بين على رسالتى فتوعدهم بالرجم فقال (وإني عذت بربى وربكم أن ترجون) الحجارة (وإن لم تؤمنوا إلى) تصدقونى (فاعتزلون) فاتركوا أذى فلم يتركوه (فدعا ربه) (أن) أى بأن (هؤلاء قوم مجرمون) مشركون ، فقال تعالى (فأمر) بقطع الهمة ووصاها (بعبادى) بنى إسرائيل (ليلا إنكم متبعون) يتبعكم فرعون وقومه (وأترك البحر) إذا قطعت أنت وأصحابك (رهوا) ساكنة منفرجا حتى يدخله القبط (إنهم جند مفرقون) فاطمان بذلك فأغرقوا (كم تركوا من جنات) بساتين (وعيون) تجرى (وزروع ومقام كريم) مجلس حسن .

فى ما تقدم ذكرت مبسوطه وذ لى الشئ مفصلا ثم مجملا أثبت فى النفس (قوله أن ترجون) الباء فيه وفى قوله فاعتزلون من هات الزوائد لا تثبت فى الرسم وأما فى اللفظ فيجوز إثباتها وحذفها حالة الوصل فقط وأما الوقف فيتعين حذفها (قوله وإن لم تؤمنوا إلى) اللام بمعنى الباء ويصح أن تكون لام العلة ، والمعنى إن لم تصدقونى ولم تؤمنوا بالله لأجل برهانى الخ (قوله أركوا أذى) أى لا تعرضوا لى بسوء (قوله فدعا ربه) عطف على مقدر قدره بقوله فلم يتركوه وقوله إن هؤلاء الخ تعريض لدعاء كأنه قال : فافعل ما يليق بهم وإن بفتح الهمة فى قراءة العامة وقرئ شذوذا بكسرهما على إضمار القول (قوله بقطع الهمة ووصاها) أى فهما قراءتان سبعيتان ولقنات جيدتان : الأولى من أمرى ، والثانية من سرى قال تعالى - سبحان الذى سرى عبده - وقال تعالى - والليل إذا يسر - والامراء السير ليلا وحينئذ فذكر الليل تأكيد بغير اللفظ (قوله إذا قطعتك وأصحابك) هذا تعليم لموسى بما يفعله فى سيره قبل أن يسير ، والمعنى إذا صرت بهم وتبعك العدو ووصلت إلى البحر وأمرناك بضربه ودخلتم فيه ونجوتهم منه فاتركه بحاله ولا تضربه بعصاك فيلتئم بل أبقه على حاله ليدخله فرعون وقومه فينطبق عليهم (قوله رهوا) حال من البحر وهو فى الأصل مصدر رها برهورها إما بمعنى سكن وإما بمعنى انفرج والمفسر جمع بينهما (قوله فاطمان بذلك) أى بقوله إنهم جند مفرقون والضمير فى اطمأن عائد على موسى (قوله كم تركوا من جنات) كم مفعول التركوا ، والمعنى تركوا أمورا كثيرة بينها بقوله من جنات الخ (قوله مجلس حسن) أى محافل مزيينة ومختلفة حسنة كما هو مشاهد

في منازل الملوك الآن (قوله متعة) أي أمور يتمتعون بها وينتفعون بها كالملايس والمراكب (قوله فاكهين) العامة بالآلاف وقرى شذوذا بغير ألف ومعنى الأولى ناعمين كما قال المفسر: أي متنعين ومعنى الثانية مستخفين ومستهنئين بنعمة الله (قوله خبر مبتدأ) أي والوقف على كذلك والجملة معترضة لتوكيد ما قبلها (قوله أي الأمر) أي وهو إهلاك فرعون وقومه (قوله وأورثناها) معطوف على كم تركوا ، والمعنى تركوا أمورا كثيرة وأورثنا تلك الأمور بني إسرائيل (قوله أي بني إسرائيل) فقد رجعوا إلى مصر بعد هلاك فرعون . إن قلت كيف قال الله تعالى - وأورثناها قوما آخرين - مع أنه تقدم أن أموالهم طمسوا ومسخت حجارة . قلت لعل أجواب أنها بعد غرقهم أعيدت كما كانت إكراما لبني إسرائيل حين رجعوا وجدوها كما كانت قبل الطمس (قوله فما بكت عليهم السماء والأرض) اختلف في البكاء فقيل حقيقة ، وعليه فقيل هو واقع من ذات السموات والأرض ويؤيده ما ورد «مامن مؤمن إلا وله في السماء بابان باب ينزل منه رزقه وباب يدخل منه كلامه وعمله فإذا مات فقد فيبكيان عليه وتلا- فما بكت عليهم السماء والأرض - ويؤيده أيضا قول مجاهد إن السماء والأرض ليبكيان على المؤمن أربعين صباحا قال أبو يحيى فعجبت من قوله ، فقال أنعجب وما للأرض لا تبكي على عبد يعمرها بالركوع والسجود وما للسماء لا تبكي على عبد كان لتكبيره وتسبيحه فيها دوى كدوى النحل ، وقيل على حذف مضاف أي أهل السموات والأرض ، وقيل بكاهما حمرة أطرافهما ويؤيده (٦٠) قول السدي لما قتل الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما بكت عليه السموات

(وَنِعْمَةً) متعة (كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ) ناعمين (كَذَلِكَ) خبر مبتدأ أي الأمر (وَأُورِثْنَاهَا) أي أموالهم (قَوْمًا آخَرِينَ) أي بني إسرائيل (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ) بخلاف المؤمنين يبكي عليهم بموتهم مصلاهم من الأرض ومصعد عملهم من السماء (وَمَا كَانَ مِنْ مُنْظَرٍ مِنْهُمْ) مؤخرين للتوبة (وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ) قتل الأبناء واستخذاء النساء (مِنْ فِرْعَوْنَ) قيل بدل من العذاب بتقدير مضاف أي عذاب ، وقيل حال من العذاب (إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ) وَلَقَدْ اخْتَرْنَاَهُمْ) أي بني إسرائيل (عَلَى عِلْمٍ) مِنَّا بِحَالِهِمْ (فَلَى الْعَالَمِينَ) أي على زمانهم أي العقلاء (وَأَتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ) نعمة ظاهرة من فوق البحر والمن والسلوى وغيرها (إِنْ هُوَ إِلَّا) أي كفار مكة (لِيَقُولُوا) (إِنْ هِيَ) ما الموتة التي بعدها الحياة (إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى) أي وهم نطف (وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ) بمبعوثين أحياء بعد الثانية ،

وبكاؤها حمرتها وقول محمد ابن سيرين أخبرونا أن الحمرة التي تكون مع الشفق لم تكن حتى قتل الحسين ابن علي رضي الله تعالى عنه . وقال سليمان القاضي مطر نادما يوم قتل الحسين وقيل إن البكاء كناية عن عدم الاكتراث وعدم المبالاة بهم (قوله ولقد نجينا بني إسرائيل) هذا من جملة تعداد النعم على بني إسرائيل والمقصود من

ذلك تسليته صلى الله عليه وسلم وتبشير به بأنه سينجيه وقومه المؤمنين من أيدي المشركين فأنهم لم يبلغوا في التجبر مثل فرعون وقومه (قوله وقيل حال من العذاب) أي متعلق بمحذوف ، والمعنى واقع من جهة فرعون (قوله من المسرفين) خبر ثان لكان ، والمعنى من المتجاوزين الحد (قوله على علم) على بمعنى مع وقوله على العالمين على بابها الاستعلاء فاختلاف معناها فينشئ جاز تعلقهما بعامل واحد وهو اخترانا (قوله بحالهم) أي بكونهم أهلا للاصطفاء لكونهم أكثر الأنبياء منهم (قوله أي على زمانهم) دفع بذلك ما يقال إن ظاهر الآية يدل على كون بني إسرائيل أفضل من كل العالمين مع أن أمة محمد أفضل منهم فدفع ذلك بأن المراد بالعالمين عالمو زمانهم فلا ينافي أن أمة محمد أفضل منهم (قوله العقلاء) المراد أن يقول الثقلين ، فإن من جملة العقلاء الملائكة وبنو إسرائيل ليسوا أفضل منهم (قوله من الآيات) بيان مقدم على المبدأ (قوله نعمة ظاهرة) هذا تفسير للبلاء فإن البلاء معناه الاختبار وهو يكون بالحن وبالنم هل يصبر أولا وهل يشكر أولا (قوله أي كفار مكة) إنما أشار إليهم بإشارة القريب تحقيرا لهم وازدراء بهم (قوله ليقولوا) أي جوابا لما قيل لهم إنكم توتون موتة تعقبها حياة دل عليه قوله تعالى - كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون كأنهم قالوا سلم لنا أن موتة تعقبها حياة لكن المراد بها الأولى وهي حال النطفة لا الثانية التي ينقض بها العمر فإنها لا تعقب حياة (قوله وما نحن بمُنْشَرِينَ) هذه الآية نظير قوله تعالى - إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين -

(قوله فأتوا بآياتنا) أى أحببهم لنا ليخبرونا بصدقكم (قوله أم خير) أى فى أمور الدنيا (قوله أم قوم نبع) هو نبع الحيرة أبو كرب ، واسمه أسعد وإليه نسب الأنصار بنى الحيرة بكسر الحاء بعدها مشناة تحتية فراء مهملة : مدينة بقرب الكوفة بنى صرقد وأراد غزو البيت وتخریب المدينة فأخبر بأنها مهاجر نبي اسمه أحمد فكف عنها وكسا البيت بالحبرة وكتب كتابا وأودعه عند أهل المدينة وكانوا يتوارثونه كإبراهيم عن كابر إلى أن هاجر النبي صلى الله عليه وسلم فدفعوه إليه يقال إن الكتاب عند أبى أيوب خالد بن زيد ، وفيه شهدت على أحمد أنه رسول من الله بارى النسم فلو مد عمرى إلى عمره لكنت أزيروا له وابن عم ، أما بعد : فأتى آمنت بك وبكتابك الذى ينزل عليك وأنا على دينك وسنتك وآمنت بربك ورب كل شيء وآمنت بكل ما جاء من ربك من شرائع الاسلام ، فان أدركتك فيها ونعمت ، وإن لم أدركك فاشفع لى ولا تنسى يوم القيامة فأتى من أمتك الأولين ، وبايعتك قبل مجيئك وأنا على ملتك وملة أبيك إبراهيم عليه السلام ، ثم ختم الكتاب بنسب عليه : الله الأمر من قبل ومن بعد ، وكتب على عنوانه : إلى محمد بن عبد الله نبي الله ورسوله خاتم النبيين ورسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم من تبع الأول ، وكان من اليوم الذى مات فيه تبع إلى اليوم الذى بعث فيه النبي صلى الله عليه وسلم ألف سنة لا يزيد ولا ينقص (قوله هو نبي أو رجل صالح) أو الحكاية (٦١) الخلاف فالقول الأول لابن عباس

والثانى لعائشة رضى الله عنهما ، وكان ملكا من الملوك وكان قومه كهانا وكان معهم قوم من أهل الكتاب فأمر الفريقين أن يقرب كل فريق منهم قربانا ففعلوا فتقبل الله قربان أهل الكتاب فأسلم (قوله والذين من قبلهم) عطف على قوم تبع وقوله أهلكناهم حال من المعطوف والمعطوف عليه (قوله وما خلقنا السموات والأرض الخ) هذا دليل على صحة الحشر

(فأتوا بآياتنا) أحياء (إن كنتم صادقين) أنا نبعت بعد موتنا : أى نحيا ، قال تعالى (أهم خير أم قوم تبع) هو نبي أو رجل صالح (والذين من قبلهم) من الأمم (أهلكناهم) يكفرهم والمعنى ليسوا أقوى منهم وأهلكوا (إنهم كانوا نجس مني وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق) أى محقين فى ذلك ليستدل به على قدرتنا ووحدانيتنا وغير ذلك (ولكن أكثرهم كفار مكة) (لا يعلمون) (إن يوم الفصل) يوم القيامة يفصل الله فيه بين العباد (ميقاتهم) (أجمعين) للعذاب الدائم (يوم لا يغني مولى عن مولى) بقرابة أو صداقة : أى لا يدفع عنه (شيئا) من العذاب (ولا هم ينصرون) يمنعون منه ويوم بدل من يوم الفصل (إلا من رحم الله) وهم المؤمنون فإنه يشفع بعضهم لبعض بإذن الله (إنه هو العزيز) الغالب فى انتقامه من الكفار (الرحيم) بالمؤمنين (إن شجرت الزقوم) هى من أخشب الشجر المر بتهامة يفتنها الله تعالى فى الجحيم (طعام الأئيم) أبى جهل وأصحابه ذوى الإثم الكبير (كألهما)

قوعه ، وذلك أن الله تعالى خلق النوع الانسانى وخلق له ما فى الأرض جميعا وكلفه بالإيمان والطاعة فأمن البعض وكفر بعض ، وحتم الله فى سابق أزل أن النعيم للمؤمن والعقاب للكافر وذلك لا يكون فى الدنيا لعدم الاعتداد بها خيفة لا بد من بعث لتجزى كل نفس بما كسبت (قوله وما بينهما) أى بين الجنسين (قوله حال) أى وهى لا يستغنى عنها (قوله أى يقين فى ذلك) أى لنا فيه حكمة وقد بينها المفسر بقوله ليستدل به الخ (قوله لا يعلمون) أى ليس عندهم علم بالحكمة (قوله إن يوم الفصل) الإضافة على معنى اللام (قوله ميقاتهم) أى مواعيدهم والمراد جميع الخاق (قوله للعذاب الدائم) للكفار والنعيم الدائم للمؤمنين (قوله يوم لا يغني مولى) المولى يطلق على المعتق بالكسر والفتح وابن العم والناصر والجار الخليف (قوله بقرابة) أى بسببها (قوله ولا هم ينصرون) الضمير للمولى وجمع باعتبار المعنى وهذه الجملة تؤكد لما قبلها لعمري لا ينصر المؤمن الكافر ولو كان بينهما علة من قرابة أو صداقة أو غيرها (قوله إلا من رحم الله) يصح أن يكون سائيا متصلا والمعنى لا يغني قريب عن قريب إلا المؤمنون فإنه يؤذن لهم فى الشفاعة فيشفعون لبعضهم وهو مأمضى عليه فسر ويصح أن يكون منقطعا أى ولكن من رحم الله لا ينالهم ما يحتاجون فيه إلى من ينفعهم من الخاقين (قوله إنه هو العزيز الخ) تعليل لما قبله (قوله إن شجرت الزقوم) ترسم شجرت بالتاء المجرورة فى هذا الموضع دون غيره من القرآن

ويوقف عليه بالهاء والهاء وأما غير هذا الموضع فترسم بالهاء ويوقف عليه بالهاء لا غير والزقوم يطلق على نبات بالبادية له زها
 باسمي الشكل طعام أهل النار ويطلق على شجر له ثمر كالتمر وله دهن عظيم المنافع عجيب الفعل في تحليل الرياح الباردة وأمراض
 البلغم وأوجاع المفاصل وعرق النسا والريح الساقطة في الورك يشرب زنة سبعة دراهم ثلاثة أيام وربما أقام الزمنى والمقعدين ويقال
 أصله الاهليلج الكابلي (قوله أى كدردى الزيت الأسود) هذا أحد معانى المهل ويطلق على القيقح والصديد والنحاس المذاب
 (قوله وبالتحتانية) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله حال من المهل) الأظهر أنه حال من طعام لأن المراد وصف الطعام
 المشبه بالمهل بالغليان لا وصف المهل لأنه لا يتصف بذلك (قوله كغلى الحميم) صفة لمصدر محذوف أى تغلى غليا مثل غلى الحليب
 (قوله بكسر التاء وضمها) أى فهما قراءتان سبعيتان من باب ضرب ونصر (قوله جروه بغلظة) أى أو اضربوه بالعصا
 وهى بفتحيتين العصا الضخمة من الحديد لها رأس (قوله ثم صبوا فوق رأسه) أى ليكون محيطا بجميع جسده (قوله من
 الحميم الذى الخ) أى فإذا صب عليه الحميم فقد صب عليه عذابه وشدة (قوله ويقال له ذق) الأمر للاهانة والتحقير (قوله
 إنك) بفتح الهمزة على معنى التعليل وكسرهما على الاستئناف المفيد للعلّة قراءتان سبعيتان ووصفه بهذين الوصفين ثلث
 والاستهزاء (قوله وقولك) تفسير لقوله بزعمك وقوله ما بين جبلها أى مكة (قوله ما كنتم به تمترون) الجمع باعتبار المعنى
 لأن المراد جنس الأئمة (قوله) (٦٢) إن المتقين فى مقام أمين) مقابل قوله إن شجرت الزقوم طعام الأئمة لأن

أى كدردى الزيت الأسود خبر ثان (يغلى فى البُطون) بالفوقانية خبر ثالث وبالتحتانية
 حال من المهل (كغلى الحميم) الماء الشديد الحرارة (خذه) يقال للزبانية خذوا الأئمة
 (فأعقأوه) بكسر التاء وضمها: جروه بغلظة وشدة (إلى سواء الحميم) وسط النار (ثم
 صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم) أى من الحميم الذى لا يفارقه العذاب فهو أبلغ من
 فى آية: يصب من فوق رؤوسهم الحميم، ويقال له (ذق) أى العذاب (إنك أنت العزيز
 الكريم) بزعمك وقولك ما بين جبلها أعز وأكرم منى، ويقال لهم (إن هذا) الذى ترون
 من العذاب (ما كنتم به تمترون) فيه تشكون (إن المتقين فى مقام) مجلس (أمين
 يؤمن فيه الخوف) فى جنات بساتين (وعيون، يلبسون من سندس وإستبرق) أى مارق
 من الديباج وما غلظ منه (متقابلين) حال: أى لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض لدوران الأسر
 بهم (كذلك) يقدر قبله الأمر (وزو جفاهم)،

جرت عادة الله تعالى فى
 كتابه أنه إذا ذكر
 أحوال أهل النار أتبعه
 بذكر أحوال الجنة وقواه
 المتقين أى الشرك بأن
 ماتوا على التوحيد وهذا
 أعم من أن يكونوا فى
 أعلى مراتب التقوى وهى
 تقوى الأغيار بأن لا يخطر
 الفير ببالهم أو أوسطها
 وهى تقوى المعاصى بفعل
 الطاعات أو أدناها وهى
 تقوى مجرد الشرك

بالإيمان (قوله فى مقام) بفتح الميم وضمها قراءتان سبعيتان فالفتح هو موضع القيام ومكانه
 والضم موضع الإقامة والمكث (قوله يؤمن فيه الخوف) أى من الخلق والخالق والمعنى نطمئن فيه النفس ولا تنزعج
 شىء أصلا فأهل الجنة آمنون من غضب الله ومن جميع ما يؤذى فى البدن والأهل والمال وآمنون من خطور الأعداء
 ببالهم (قوله فى جنات الخ) بدل من مقام وتقديمه عليه من باب تقديم التخلية على التحلية لأن الأمن من المخاوف تخل
 وكونهم فى جنات وعيون الخ تخلية (قوله وعيون) أى أنهار تجري تحت القصور (قوله يلبسون) خبر آخر لأن
 مستأنف (قوله أى مارق من الديباج الخ) لف ونشر مرتب والديباج هو الحرير. إن قلت كيف يكون لبس الغليظ من الحر
 نعيم فى الجنة مع أنه فى الدنيا ربما كان غير نعيم. أجيب بأن غليظ حرير الجنة ليس كغليظ حرير الدنيا بل هو أعلى على
 من غليظ حرير الدنيا ما يؤلف وينعم به كاقطيفة مثلا (قوله متقابلين) أى يواجه بعضهم بعضا ليحصل الانس لبعضهم بعض
 وهذا فى غير وقت النظر إلى وجه الله الكريم وأما عنده فينسون النعيم بل ومقابلة إخوانهم لكونه أعلى نعيم الجنة رتبة وم
 هنا قيل إن حكمة المقابلة فى خلق العلم والذكر فى الدنيا التشبه بجالس الجنة والانس بمقابلة الإخوان وحكمة الاصطفاف فى الصل
 وعدم المقابلة فيها التشبه بالنظر لوجه الله الكريم فى الجنة لأن فى الصلاة إقبالا بالسكينة على الله تعالى وقطعا للشواغل (قو
 أى لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض) أى لأن النظر للقاء مما يحزن ولا حزن فى الجنة (قوله يقدر قبله الأمر) أى فهو مبين
 وقوله كذلك خبره والجملة معترضة لتقرير ما قبلها (قوله وزو جفاهم) عطف على قوله يلبسون.

(قوله من التزويج) أى وهو جعل الشيء زوجاً والمعنى جعلهم اثنين اثنين فقوله أقرناهم مرادف له وليس المراد بالتزويج الانكاح بالمقد فانه لا قائل به (قوله عين) جمع عيناء وأصله عين بضم العين وسكون الياء فكسرت العين لتصح الياء (قوله نساء بيض) تفسير للحوور وقوله واسعات الأعين تفسير لعين وهذا على أن المراد بالحوور البياض مطلقاً وقيل الحور شدة بياض العين وشدة سوادها، واختلف هل الأفضل في الجنة نساء الدنيا أو الحور العين؟ والحق أن نساء الدنيا أفضل لما روى أن آدميات أفضل من الحور العين بسبعين ألف ضعف (قوله يدعون) حال من الهاء في زوجناهم (قوله لا يذوقون) حال من الضمير في آمنين (قوله قال بعضهم) هو الطبرى وبهذا اندفع ما قيل كيف قال في صفة أهل الجنة ذلك مع أنهم لم يذوقوه فيها أصلاً وهذا القول وإن كان يدفع الاشكال إلا أن مجيء إلا بمعنى بعد لم يرد وبعضهم يجعل الاستثناء منقطعاً والمعنى لكن الموتة الأولى قد ذوقوها (قوله منصوب بتفضل) أى على أنه مفعول مطلق (قوله الفوز العظيم) أى لأنه خلوص من السكاره وظفر بالمطلوب (قوله فأنما يسرناه بلسانك) هذا إجمال لما فصل في السورة كأنه قال ذكر قومك بهذا الكتاب المبين فاتنا مهلنا عليك تلاوته وتبليغه إليهم (قوله) (٦٣) لكنهم لا يؤمنون دخول على

قوله فارتقب (قوله فارتقب إنهم مرتقبون) أشار المفسر إلى أن مفعول كل محذوف قدر الأول بقوله هلاكهم والثاني بقوله هلاكك (قوله وهذا قبل نزول الأمر بجهادهم) أى فهو منسوخ لأن معنى ارتقب أمهلهم من غير قتال حتى يحكم الله بينك وبينهم .

من التزويج أقرناهم (بحور عين) نساء بيض واسعات الأعين حسانها (يدعون) يطلبون الخدم (فيها) أى الجنة أن يأتوا (بكل فاكهة) منها (آمنين) من انقطاعها ومضرتها ومن كل مخوف حال (لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى) أى التى فى الدنيا بعد حياتهم فيها، قال بعضهم إلا بمعنى بعد (ووقيم عذاب الجحيم) فضلاً) مصدر بمعنى تفضلاً منصوب بتفضل مقدراً (من ربك ذلك هو الفوز العظيم) فأنما يسرناه مهلنا القرآن (بلسانك) بلغتك لتفهمه العرب منك (لعلهم يتذكرون) يتمظون فيؤمنون لكنهم لا يؤمنون (فارتقب) انتظر هلاكهم (إنهم مرتقبون) هلاكك وهذا قبل نزول الأمر بجهادهم .

(سورة الجاثية)

مكية إلا «قل للذين آمنوا» الآية، وهى ست أو سبع وثلاثون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم . حم) الله أعلم بمراده به (تنزيل الكتاب) القرآن مبتدأ (من الله) خبره (العزيز) فى ملكه (الحكيم) فى صنعه (إن فى السموات والأرض) أى فى خلقهما (لآيات) دالة على قدرة الله ووحدا نيته تعالى (للمؤمنين) وفى خلقكم

(قوله مكية إلا قوله قل للذين آمنوا الخ) أى إلى قوله أيام الله وهو قول ابن عباس وقتادة قالا : إنها نزلت بالمدينة فى عمر ابن الخطاب رضى الله عنه عابه عبد الله بن أبى فآراد عمر قتله فنزلت وقيل مكية كلها حتى هذه الآية فانها نزلت فى عمر أيضا شتمه رجل فى مكة من الكفار فآراد قتله فنزلت ثم نسخت بآية الجهاد (قوله من الله خبره) أى متعلق بمحذوف تقديره كأن (قوله العزيز فى ملكه) أى الغالب على أمره (قوله الحكيم فى صنعه) أى الذى يضع الشيء فى محله فاقضت حكمته تعالى إزال أشرف الكتب وهو القرآن على أشرف العبيد وهو محمد صلى الله عليه وسلم (قوله إن فى السموات والأرض الخ) ذكر الله سبحانه وتعالى هنا من الدلائل ستة فى ثلاث فواصل وختم الأولى بالمؤمنين والثانية بيوقنون والثالثة ببيعقلون ووجه التباين أن الانسان إذا تأمل فى السموات والأرض وأنه لا بد لهما من صانع آمن وإذا نظر فى خلق نفسه ونحوها ازداد يقينا وإذا نظر فى سائر الحوادث كمل عقله واستحكم علمه (قوله أى فى خلقهما) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف يدل عليه التصريح به فى سورة البقرة فى قوله إن فى خلق السموات والأرض، وما فى سورة آل عمران إن فى خلق السموات والأرض (قوله لآيات للمؤمنين) بالنصب بالكسرة باتفاق القراء لأنه اسم إن وأما ما يأتى فى قوله آيات لقوم يوقنون

وآيات لقوم يعقلون ففيه قراءتان سبعيتان الرفع والنصب بالكسرة فالرفع على أن قوله في خلقكم خبر مقدم وآيات مبتدأ مؤخر والجملة معطوفة على جملة إن في السموات والنصب على أن آيات معطوف على آيات الأول الذي هو اسم إن وقوله وفي خلقكم معطوف على قوله في السموات والأرض الواقع خبرا لأن ففيه العطف على معمولي عامل واحد وهو جاز باتفاق (قوله وخلق ما يثبت) أشار بذلك إلى أنه معطوف على خلقكم المحرور بنى على حذف مضاف (قوله هي ما يدب) أى يتحرك (قوله واختلاف الليل والنهار) أشار المفسر إلى أن حرف الجر مقدر يؤيده القراءة الشاذة باثباته (قوله بعد موتها) أى يبسها (قوله وباردة وحارة) لف ونشر مشوش وترك الصبا والديبور فالرياح أربع (قوله تلك آيات الله) مبتدأ وخبر وجملة تتلوه حال (قوله الآيات المذكورة) أى هي السموات والأرض وما بعدهما (قوله متعلق بنتلو) أى على أنه عامل فيه مع كون حالا والباء للابسة (قوله أى (٦٤) لا يؤمنون) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى (قوله وفي قراءة) أى

أى فى خلق كل منكم من نطفة ثم علقه ثم مضغه إلى أن صار إنسانا (وَ) خلق (مَا يَبُثُّ) يفرّق فى الأرض (مِنْ دَابَّةٍ) هى ما يدب على الأرض من الناس وغيرهم (آيَاتُ لِقَاؤِ يَوْمِئِذٍ) بالبعث (وَ) فى (اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) ذهابهما ومجيئهما (وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ) مطر لأنه سبب الرزق (فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ) تقلبها مرة جنوبا ومرة شمالا وباردة وحارة (آيَاتُ لِقَاؤِ يَوْمِئِذٍ) الدليل فىؤمنون (تِلْكَ) الآيات المذكورة (آيَاتُ اللَّهِ) حججه الدالة على وحدانيته (نَتْلُوهَا) نقص (عَلَيْكَ بِالْحَقِّ) متعلق بنتلو (فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ) أى حديثه وهو القرآن (وَأَيَّاتِهِ) حججه (يُؤْمِنُونَ) أى كفار مكة أى لا يؤمنون وفى قراءة بالتاء (وَيْلٌ) كلمة عذاب (لَكَ) أَفَّاكٍ (كَذَابٍ) (أُثِيمٍ) كثير الإثم (يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ) القرآن (تَتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ عَلَى كُفْرِهِ) مُسْتَكْبِرًا متكبراً عن الإيمان (كَأَنَّ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشَّرَهُ بِكَذَابِ أَلِيمٍ) مؤلم (وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا) أى القرآن (شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا) أى مهزوما بها (أُولَئِكَ) أى الأفاكون (لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ) ذو إهانة (مِنْ دَرَأَتِهِمْ) أى أمامهم لأنهم فى الداء (جَهَنَّمَ) وَلَا يُفْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا من المال والفعال (شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى الأصنام (أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) هَذَا) أى القرآن (هُدًى) من الضلال (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ) حظ (مِنْ رِجْزٍ) أى عذاب (أَلِيمٌ) موجه

وهى سبعة أيضا (قوله كلمة عذاب) أى فيطلق على العذاب ويطلق على وادى جهنم (قوله كذاب) أى كثير الكذب على الله وعلى خلقه (قوله كثير الإثم) أى المعاصى (قوله يسمع آيات الله) إما مستأنف أحوال من الضمير فى أثيم (قوله تتلى عليه) حال من آيات الله (قوله ثم يصير على كفره) ثم للترتيب الرتبى، والمعنى أن إصراره على الكفر حاصل بعد تقرير الأدلة المذكورة وسماعه إياها (قوله كأن لم يسمعها) كأن مخنفة حذف منها ضمير الشأن والجملة إمام مستأنفة أحوال (قوله فبشره بعذاب أليم)

سماه بشارة تهكم بهم لأن البشارة هى الخبر السار (قوله وإذا علم من آياتنا شيئا) أى إذا بلغه شئ (الله) وعلم أنه من آياتنا اتخذها هزوا الخ وذلك نحو قوله فى الزقوم إنه الزبد والتمر وقوله فى خزنة جهنم إن كانوا تسعة عشر ألفاهم وحدى (قوله اتخذها هزوا) أنت الضمير مع أنه عائد على شيئا وهو مذكر مراعاة لغناه وهو الآية و يصح عوده على آيات (قوله أى الأفاكون) جمع باعتبار معنى الأفاك وراعى أولا لفظه فأفرد (قوله أى أمامهم) أشار بذلك إلى أن الوراها كايطلق الخائف يطلق على الإمام كالجون يستعمل فى الأبيض والأسود على سبيل الاشتراك (قوله ما كسبوا) ما إمام صدرية أى كسب أو موصولة أى الذى كسبوه ، وهذان الوجهان يجريان فى قوله ولما اتخذوا ، ومقتضى عبارة المفسر أنها فىهما موصولة حين قال فى الأول من المال والفعال وقال فى الثانى أى الأصنام (قوله هذا هدى) أى لمن أذعن له واتبعه وهم المؤمنون وبال وخسران على الكفار ، قال تعالى - ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا -

(قوله الله الذي سخر لكم البحر) أى حلوا وملحوا ، والمعنى ذلله وسهل لكم السير فيه بأن جعله أملس الظاهر مستويا شفافا
 عمل السفن ولا يمنع النوص فيه (قوله بإذنه) أى إرادته ومشيته ولو شاء لم تجر (قوله بالتجارة) أى والحج والغزو وغير
 ذلك من الصالح الدنيوية والدينية (قوله ولعلمكم شكرون) أى تصرفون النعم في مصارفها (قوله وغيره) أى كالملائكة
 قائمهم مسخرون لأهل الأرض يدبرون معاشهم وهذا سرّ قوله تعالى : ولقد كرمنا بني آدم الآية (قوله تأكيد) أى حال
 مؤكدة (قوله حال) أى من ما ويصح أن يكون صفة لجمعية ، والمعنى على الأول سخر لكم هذه الأشياء كائنة منه أى مخلوقة
 له وعلى الثاني جميعا كائنا منه تعالى (قوله يتفكرون) أى يتأملون في تلك الآيات (قوله قل للذين آمنوا يغفروا الخ) المراد
 بالغفر لهم تحمل أذاهم وعدم مقابلتهم بمثل ما فعلوا . واختلف في هذه الآية فقيل مدنية وعليه فسب نزولها كما قال ابن عباس
 أنهم كانوا في غزوة بني المصطلق نزلوا على بنى يثرب فقال له الرئيس فأرسل عبد الله بن أبي غلامه يستقي الماء فأبطأ عليه ، فلما
 أتاه قال له ما حبسك ؟ قال غلام عمر قد عد على طرف البحر فشارك أحدا يستقي حتى ملا قرب النبي صلى الله عليه وسلم وقرب أبى بكر
 فقال عبد الله مامثلنا ومثل هؤلاء إلا كما قيل : ممن كلبك يا كلك ، فبلغ ذلك عمر فاشتعل بسيفه يريد التوجه له فزلات
 هذه الآية ، وقيل مكية وعليه فسب نزولها كما قال مقاتل أن رجلا من بني غفار (٦٥) شتم عمر بمكة فهم عمر أن
 يبطش به فزلت ، أو كما

قل السدى إن ناسا من
 أصحاب رسول الله صلى
 الله عليه وسلم من أهل
 مكة كانوا في أذى كثير
 من المشركين قبل أن
 يؤمروا بالجهاد فشكوا
 ذلك لرسول الله صلى الله
 عليه وسلم فزلت وما
 ذكره الفسيفيه إشارة
 إلى هذا الأخير (قوله
 لا يرجون أيام الله) أى
 لا يتوقعون وقائمه من
 قولهم أيام العرب أى

(اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ) السفن (فِيهِ بِأَمْرِهِ) بإذنه (وَلِتَبْتَغُوا)
 تطلبوا بالتجارة (مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ : وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ) من شمس
 وقمر ونجوم وماء وغيره (وَمَا فِي الْأَرْضِ) من دابة وشجر ونبات وأنهار وغيره ، أى خلق
 ذلك لمنافعكم (جميعاً) تأكيد (مِنْهُ) حال أى سخرها كائنة منه تعالى (إِنَّ فِي ذَلِكَ
 لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْتَمِرُونَ) فيها فيؤمنون (قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ
 يَخَافُونَ) (أَيَّامَ اللَّهِ) وقائمه أى اغفروا للكفار ما وقع منهم من الأذى لكم وهذا قبل الأمر
 بجهادهم (لِيَجْزِيَ) أى الله وفي قراءة بالنون (قَوْمًا يَمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ) من الغفر للكفار
 أذاهم (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ) عمل (وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلِمَ إِنَّهُ أَسَاءَ) (ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ
 تُرْجَعُونَ) تصيرون فيجازى المصلح والمسيء . (وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ) التوراة
 (وَالْحُكْمَ) به بين الناس (وَالنَّبُوَّةَ) لموسى وهرون منهم (وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ) الحلالات

وقائهم وهذا مامشى عليه للفسر ، وقيل إن الرجاء باق على معناه الأصلي ، والمراد بالأيام مطلق الأوقات ، والمعنى لا يؤملون
 الأوقات التي جعل الله فيها نصر المؤمنين وثوابهم (قوله أى اغفروا للكفار) أشار بذلك إلى أن مقول القول محذوف دل عليه
 قوله يغفروا فهو محذوف لكونه جواب أمر محذوف والتقدير قل لهم اغفروا يغفروا (قوله وهذا قبل الأمر بجهادهم) أى فهو
 منسوخ بآية القتال وهذا على أنها مكية ، وأما على أنها مدنية فالكف عن المنافقين خوف أن يقول المشركون إن محمدا
 يقتل أصحابه حتى جاء الأذن بجهادهم ، وقيل إنها ليست منسوخة بل هي محمولة على ترك المنازعة والتجاوز فيما صدر عنهم من
 الكلام المؤذى (قوله ليجزى قوما) علة لما قبله والقوم هم المؤمنون وهو مامشى عليه المفسر ، وقيل الكافرون ، وقيل كل
 منهما فالتنكير إما للتعظيم أو التحقير أو التنويع (قوله وفي قراءة بالنون) أى وهي سبعة أيضا (قوله أذاهم) مفعول
 للفعل الواقع مصدرا (قوله من عمل صالحا فلنفسه) جملة مستأنفة لبيان كيفية الجزاء (قوله ولقد آتينا بني إسرائيل الخ)
 انصود من ذلك تسليته صلى الله عليه وسلم كأنه قال لا تحزن على كفر قومك فآتينا بني إسرائيل الكتاب والنعم العظيمة
 فلم يشكروا بل أصروا على الكفر (قوله التوراة) إنما اقتصر عليها لكونها تنفي عن غيرها من كتبهم ولا يفتي غيرها عنها
 فإن بها أحكام شرعهم وإلا في الحقيقة كتب بني إسرائيل ثلاثة التوراة والإنجيل والزابور (قوله والحكم) أى الفصل بين
 الخصوم وهذه نعم دينية وقوله : ورزقناهم من الطيبات نعم دنيوية فلم يشكروا عليها .

(قوله كالمَن والسلوى) أى فى أيام التيه (قوله العقلاء) تقدم مافيه وأن الأولى التعبير بالثقلين (قوله وآتيناهم) أى بنى إسرائيل فى التوراة ، والمعنى بينا لهم فيه أمر الشريعة وأمر محمد صلى الله عليه وسلم وأنهم يؤمنون به إن ظهر بينهم كما أشار له المفسر (قوله فما اختلفوا فى بعثته الخ) أى وقد كانوا قبل ذلك متفقين فلما جاءهم العلم والشرع فى كتابهم اختلفوا وكان مقتضاه أن يدوم لهم الاتفاق (قوله يقضى بينهم) أى بالموأخذة والمجازاة (قوله ثم جعلناك على شريعة) الكاف مفعول أول جعلنا وعلى شريعة هو المفعول الثانى ، والشريعة تطلق على مورد الناس من الماء وعلى المذهب والملة ، والمراد هنا ما شرعه الله لعباده من الدين ، معنى شريعة لأنه يقصد ويأجأ إليه كما يلجأ إلى الماء من العطش (قوله من الأمر) يطلق على مقابل النهى وعلى الشأن ويصح إرادة كل منهما هنا ، والمعنى ثم جعلناك على طريقة من الدين وهى ملة الاسلام التى كان عليها إبراهيم ولاشك أن الله تعالى لم يغير بين الشرائع فى التوحيد والى الكارم والمصالح (٦٦) وإنما التباير فى الفروع (قوله أهواء الدين لا يعلمون) أى وهم رؤساء قریش

كالمَن والسلوى (وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ) عالمى زمانهم العقلاء (وَأَتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ) أمر الدين من الحلال والحرام وبعثة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام (فَمَا اُخْتَلَفُوا) فى بعثته (إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَيِّنَاتٍ بَيْنَهُمْ) أى لبغى حدث بينهم حسداً له (إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) ثُمَّ جَعَلْنَاكَ (يَا مُحَمَّد) عَلَى شَرِيعَةٍ (مِنْ الْأَمْرِ) أمر الدين (فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) فى عبادة غير الله (إِنَّهُمْ لَنُغْنُوا) يدفعوا (عَنْكَ مِنَ اللَّهِ) من عذابه (شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ) الكافرين (بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِىُّ الْمُتَّقِينَ) المؤمنين (هَذَا) القرآن (بَصَائِرُ لِلنَّاسِ) معالم يتبصرون بها فى الأحكام والحدود (وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) بالبعث (أَمْ) بمعنى همزة الإنكار (حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا) اكتسبوا (السَّيِّئَاتِ) الكفر والمعاصى (أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً) خبر (نَحْيَاهُمْ وَمَمَّا لَهُمْ) مبتدأ ومعطوف والجملة بدل من الكاف والضميران للكفار ، المعنى أحسبوا أن نجعلهم فى الآخر فى خير كالمؤمنين أى فى رغد من العيش مساوٍ لعيشهم فى الدنيا حيث قالوا للمؤمنين اثنى بعثته لنعطى من الخير مثل ما تعطون ، قال تعالى على وفق إنكاره (سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) بالهمزة أى ليس الأمر كذلك فهم فى الآخرة فى العذاب على خلاف عيشهم فى الدنيا ، والمؤمنون فى الآخر فى الثواب بعملهم الصالحات فى الدنيا من الصلاة والزكاة والصيام وغير ذلك وما مصدرية ،

حيث قالوا ارجع إلى دين آبائك فانهم كانوا أفضل منك وأسنى (قوله إنهم لن يغنوا عنك) تعليل لما قبله وقوله وإن الظالمين عطف على ما قبله من تمة التعليل (قوله أولياء بعض) أى فى الدنيا ولا ولى لهم فى الآخرة يزيل عنهم العقاب (قوله والله ولى المتقين) أى فى الدنيا والآخرة لأنهم اتقوا الشرك (قوله هذا بصائر) مبتدأ وخبر وجمع الخبر باهتبار أن البتدأ مشاربه إلى ما تقدم من الآيات ولاشك أنه جمع (قوله معالم جمع معلم وهو فى الأصل الأثر الذى يستدل به على الطريق ، والمراد هنا أن

تلك الآيات تبصر الناس فى الأحكام وتدلهم عليها (قوله وهدى) أى من الضلالة (قوله ورحمة) أى إحسان (قوله لقوم يوقنون) أى يطلبون اليقين ، وأما الكفار فهو وبال وخسران عليهم (قوله أَمْ بمعنى همزة الإنكار) أى فهمى منقطة تقدر تارة بالهمزة وحدها أو ببل وحدها أو بهما معاً ، والمراد إنكار الحسبان أى الظن ، والمعنى لا ينبغي أن يكون والافالظن وقع بالفعل (قوله الذين اجتروحوا السيئات) فاعل حسب جملة أن نجعلهم الخ سادة مسد المفعولين ، والمراد بالاجترأح الاكتساب كما قال المفسر ومنه الجوارح قال الكلبي : الذين اجتروحوا السيئات هتبه وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن هتبه ، والذين آمنوا وعملوا الصالحات على وجهه وعبيدة بن الحرث رضى الله عنهم حين برزوا إليهم يوم بدر فقتلوه ، وقبل نزلت فى قوم من المشركين قالوا إنهم يعطون فى الآخرة خبراً مما يعطاه المؤمن كما أخبر الله عنهم فى قوله : ولئن رجعت إلى ربي إنى لآخذنهم منكم عذراً (قوله سواء خبر) أى على قراءة الرفع ، وقرأ بعض السبعة بالنصب على الحال (قوله والجملة) أى من المبتدأ وما (قوله بدل من الكاف) أى الداخلة على الموصول (قوله أى ليس الأمر كذلك) أشار بذلك إلى أن همزة الإنكار

وكان الناس للفسر تقديم هذا على قوله ساء ما يحكمون فانه مرتبط بما قبله . والمعنى أم حسبوا أن نجعلهم كائنين مثاهم مستويا بحياهم ومعاتهم كلا لا يستوون في شيء منها فان هؤلاء في عز الايمان والطاعة وشرفهما في الحيا وفي رحمة الله ورضوانه في الممات وأولئك في ذل الكفر والمعاصي وهوانهما في الحيا وفي لعنة الله والعذاب المخلد في الممات ، ولا يعتبر توسعة العيش في الدنيا فانها بحسب القسمة الأزلية للمؤمن والكافر ولكل دابة (قوله أى بنس حكما الخ) مقتضى هذا الحل أن ما عجز وحينئذ فالفاعل مستتر وهو ينافى كونها مصدرية لأنها في تلك الحالة تكون فاعلا فللمناسب لجعلها مصدرية أن يقول ساء الحكم حكمهم (قوله وخلق الله السموات الخ) من نعمة قوله أم حسب الدين اجترحوا السيئات الخ وهو كالدليل له كأنه قال لا يستوى المؤمن والكافر بدليل أن الله خلق السموات والأرض بالحق أى للعبر والاستدلال ولم يترك العباد سدى وجازى كل نفس بما كسبت فلا يستوى جزاء المؤمن بجزاء الكافر (قوله متعلق بخلق) أى على أنه حال من الفاعل أو المفعول (قوله ليدل على قدرته الخ) قدره إشارة إلى أن قوله ولتجزى عطف على علة محذوفة (قوله وهم) أى النفوس المدلول عليها بقوله كل نفس (قوله لا يظلمون) أى لا ينتص من ثواب المؤمن ولا يزداد في العذاب على ما يستحقه الكافر (قوله أخبرني) تقدم أن فيه مجازين حيث أطاق الرؤية وأراد الإخبار ثم أطلق الاستفهام على الإخبار وأراد الأمر به وقوله من اتخذ إلهه الخ مفعول أول لرأيت . والمعنى ترك متابعة الهدى إلى مطاوعة الهوى فسكانه (٦٧) يعبد (قوله من حجر) أى وغيره كالشمس والقمر من كل معبود غير الله عاقلا أو غير عاقل فالكفر هو العبادة بأن يتقرب إلى غيره كما يتقرب إليه . وأما زيارة الصالحين والأنبياء فليس من قبيل العبادة لهم بل هي من باب التسبب في نفع الغير لأن الترضى عن الأولياء والصلاة والسلام على الأنبياء دعاء للغير بذلك ولا شك أن ذلك الغير

أى بنس حكما حكمهم هذا (وَلَخَقَّ اللَّهُ السَّمَوَاتِ ، وَ) خلق (الْأَرْضَ بِالْحَقِّ) متعلق بخلق ليدل على قدرته ووحدانيته (وَلَتَجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) من المعاصي والطاعات فلا يساوى الكافر المؤمن (وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ . أَفَرَأَيْتَ) أخبرني (مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ) ما يهواه من حجر بعد حجر يراه أحسن (وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ) منه تعالى : أى علما بأنه من أهل الضلالة قبل خلقه (وَحَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ) فلم يسمع الهدى ولم يعقله (وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً) ظلمة فلم يبصر الهدى ويقدر هنا المفعول الثانى لرأيت أيهتدى (فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ) أى بعد إضلاله إياه أى لا يهتدى (أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) تتعظون فيه إدغام إحدى التامين في الذال (وَقَالُوا) أى منكرو البعث (مَا هِيَ) أى الحياة (إِلَّا حَيَاتُنَا) التى فى (الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا) أى يموت بعض ويمحيا بعض بأن يولدوا (وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ) أى مرور الزمان ، قال تعالى (وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ)

يقتفع به والمتسبب له مثله، لما ورد «إن الملك يقول له ولك مثل ذلك» فأل الأمر إلى أن زيارة الصالحين والتوسل بهم من جملة طاعة الله وصاحبها محبوب لله لأن أحب عباد الله إلى الله أنفعهم لعباده وصدق عليهم أنهم يصابون ما أمر الله به أن يوصل فليست معصية فضلا عن كونها شركا كما اعتقده ذوو الجهل المركب والعقيدة الزائفة (قوله أى علما بأنه من أهل الضلالة) أشار بذلك أن قوله على علم حال من الفاعل ويصح أن يكون حالا من المفعول . والمعنى أضله في حال كونه علما بالحق غير جاهل به فهو أشد قبحا (قوله غشاوة) بكسر الغين أو بفتحها مع سكون الشين وحذف الألف أو بالعين المهملة (قوله ويقدر هنا المفعول الثانى) أى وإنما حذف لدلالة فمن يهديه عليه ولا حاجة للتقدير إذ يصح أن تكون هي المفعول الثانى ، وقد وصفهم الله تعالى بأربعة أوصاف . الأول قوله اتخذ الخ . الثانى قوله وأضله الخ . الثالث قوله وختم الخ . الرابع قوله وجعل الخ فكل وصف منها مقتضى للضلالة فلا يمكن إيصال الهدى إليه بوجه من الوجوه (قوله إحدى التامين) أى الثانية (قوله أى الحياة) بيان لمرجع الضمير ويقال لهذا الضمير ضمير القصة (قوله أى يموت بعض الخ) دفع بذلك ما يقال إن قولهم نموت ونحيا فيه اعتراف بالحياة بعد الموت مع أنهم ينكرونها . ويجاب أيضا بأن الآية فيها تقديم وتأخير أى نحيا ونموت (قوله أى مرور الزمان) أى فمكان الجاهلية يقولون الدهر هو الذى يهلكنا وهو الذى يحينا ويميتنا ، ولذلك رد عليهم بقوله صلى الله عليه وسلم «كان أهل الجاهلية يقولون وما يهلكنا إلا الليل والنهار وهو الذى يحينا ويميتنا فيسبون الدهر

فقال تعالى يؤذني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقاب الليل والتهار . والحاصل أن فرقة من الكفار يسمون الدهرية ينسبون الفعل ضرا ونفعا للزمان فرد عليهم بما تقدم (قوله المقول) أي وهو قولهم ما هي إلا حياتنا الدنيا الخ (قوله واضحات) أي ظاهرات (قوله حال) أي من آياتنا (قوله ما كان حجتهم) بالنصب خبر كان ، وقوله إلا أن قالوا اسمها أي قولهم وتسميتها حجة على سبيل التهكم أو على حسب زعمهم (قوله ائتموا بآياتنا) أي الذين آمنوا قبلنا (قوله قل الله يحييكم) رد لقولهم وما يهلكنا إلا الدهر (قوله وهم) أي الأكثر وجمع باعتبار المعنى (قوله ولله ملك السموات والأرض) تعميم بعد تخصيص (قوله ويوم تقوم الساعة) ظرف لقوله يخسر وقوله يومئذ يدل من يوم قبله للتوكيد والتنوين في يومئذ عوض عن جملة مقدرة والتقدير يومئذ تقوم الساعة فهو يدل توكيدي (قوله أي يظهر خسراتهم) جواب عما يقال إن خسراتهم متحتم في الأزل (قوله وري كل أمة جاثية) رأي بصرية وكل مفعولها وجاثية حال ، واختلف هل الجثي خاص بالكفار وبما قال يحيى بن سلام ، وقيل عام للمؤمن والكافر انتظارا للحساب ويؤيده ماورد : إن في القيامة لساعة هي عشر سنين يخسر الناس فيها جثاة على ركبهم حتى إن إبراهيم عليه السلام ينادي : لا أسألك اليوم إلا نفسي ، وذلك لأن الحضرة في ذلك اليوم حضرة جلال فالجميع يعطونه حقه من الخوف والهيبة إلى أن يحصل التمييز ، والجثو وضع الركبتين بالأرض مع رفع الألب ونصب القدمين ويطاق على الجلوس (٦٨) على أطراف القدمين مع وضع الركب بالأرض ، وكل من العنيتين يد

المقول (من علم إن) ما (هم إلا يظنون . وإذا تئلى عليهم آياتنا) من القرآن الدالة على قدرتنا على البعث (يدينات) واضحات حال (ما كان حجتهم) إلا أن قالوا ائتموا بآياتنا أحياء (إن كنتم صادقين) أنا نبئت (قل الله يحييكم) حين كنتم نطفاً (ثم يميتكم ثم يحييكم) أحياء (إلى يوم القيامة لا ريب) شك (فيه ولكن أكثر الناس) وهم القائلون ما ذكر (لا يعلمون . والله ملك السموات والأرض ويوم تقوم الساعة) يبدل مفعول (يومئذ يخسر المبطلون) الكافرون أي يظهر خسراتهم بأن يصيروا إلى النار (وترى كل أمة) أي أهل دين (جاثية) على الركب أو مجتمعة (كل أمة تدعى إلى كتابها) كتاب أعمالها ويقال لهم (اليوم تجزون ما كنتم تعملون) أي جزاءه (هذا كتابنا) ديوان الحفظ (بخطوط) عاينكم بالحق إنا كنا نستنسخ) ثبت ونحفظ (ما كنتم تعملون) فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته (ذلك هو الفوز

على كونه مستوفزا غير مطمئن وقوله أو مجتمعة أو لحكاية الخلاف وقيل معناه متميزة وقيل خاضعة (قوله كل أمة) بالرفع في قراءة العامة مبتدأ وتدعى خبرها (قوله تدعى إلى كتابها) أضيف لهم الكتاب باعتبار أنه مشتمل على أعمالهم (قوله ويقال لهم) قلره إشارة إلى أن الجملة مقولة لقول محذوف

المبين

واليوم معمول لتجزون وما كنتم مفعوله الثاني ونائب الفاعل مفعول

أول (قوله هذا كتابنا) قيل من قول الله لهم ، وقيل من قول الملائكة لهم (قوله ينطق عليكم بالحق) أي يدل عليهم لأنهم يقرءونه فيذكرهم بما فعلوه لقوله تعالى - ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها (قوله إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) قيل معناه إن لله ملائكة مطهرين ينسخون من أم الكتاب في رمضان كل ما يكون من أعمال بني آدم في العام كله ويعرضونه على الحفظة كل خميس فيجدون ما كتبه الحفظة على بني آدم موافقا في أيديهم ، وقيل إن الملائكة الحفظة إذا رعت أعمال العباد إلى الله عز وجل أمر بأن يثبت عنده منها ما فيه ثواب أو عقاب ويسقط ما لا ثواب فيه ولا عقاب (قوله ثبت ونحفظ) أي فالمراد بالنسخ الإثبات والنقل إما من اللوح المحفوظ أو من الكتب كالمات (قوله فأما الذين آمنوا الخ) تفصيل لما أجمل في قوله اليوم تجزون ما كنتم تعملون (قوله فيدخلهم ربهم في رحمته) أي مع السابقين فلا ينافي أن المؤمن وإن لم يعمل الصالحات يدخل الجنة لكن لامع السابقين بل إما بالحساب أو بعد الشفاعة فلا يقال إن التقييد بالعمل الصالح يخرج من مات على الإيمان ولم يعمل صالحا (قوله جنته) أي فسر العام بالخاص لأن الجنة أثر الرحمة التي تستقر الخلائق فيها وتوصف بالدخول فيها دون غيرها من آثار الرحمة (الفوز) أي بلوغ الآمال والظفر بالمقصود .

(قوله للبين) أى الخالص من الشوائب (قوله فيقال لهم) قدره إشارة إلى أن جواب أما محذوف (قوله أفلم تكن آياتي الخ) الهمزة داخلية على محذوف والفاء عاطفة عليه : أى أتركتم الإيمان بالرسول فلم تكن الخ (قوله وإذا قيل إن وعد الله حق) هذا من جملة ما يقال لهم وحينئذ فيصير المعنى وكنتم إذا قيل لكم إن وعد الله حق الخ (قوله إن وعد الله حق) يكسر إن في قراءة العامة لحكايتها بالقول وقرئ شذوذاً بفتحها إجراء للقول مجرى الظن في لغة سليم (قوله بالرفع والنصب) أى فهما قراءتان سبعيتان فالرفع على الابتداء وجملة لا ريب فيها خبره والنصب عطفاً على اسم إن (قوله ما ندرى ما الساعة) هذا على سبيل الاستغراب والاستبعاد (قوله إن نظن إلا ظناً) إن قلت ما أجمع بين ما هنا وما تقدم في قوله - إن هي إلا حياتنا الدنيا - فإن ما تقدم أثبت أنهم جازمون بعدم البعث وهنا أفاد أنهم شاكون فيه ، ويمكن الجواب بأن الكفار لعالمهم افترقوا فرقتين فرقة جازمة بنى البعث وفرقة متحيرة فيه (قوله قال المبرد الخ) جواب عما يقال إن ظاهر الآية وقوع للمفعول الطاق استثناء مفرغاً مع أن المقرر في النحو أنه يجوز تفرغ العامل لما بعده من جميع المعمولات إلا المفعول المطابق فلا يقال ما ضربت إلا ضرباً بالاحاد مورد النفي والاثبات لأنه يصير في قوة (٦٩) ما ضربت إلا ضربت ولا فائدة في ذلك

فأجاب المفسر بأن الآية مؤولة بأن مورد النفي محذوف تقديره نحن ومورد الاثبات كونه يظن ظناً فكلمة إلا مؤخرة من تقديم والمعنى حصر أنفسهم في الظن ونفى ما عداه (قوله وما نحن بمستيقنين) مبالغة في نفى ما عدا الظن عنهم (قوله أى جزاؤها) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله تترككم في النار) أشار بذلك إلى أن المراد من النسيان الترك مجازاً لأن الترك

(المبين) البين الظاهر (وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا) فيقال لهم (أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي) أى القرآن (تَتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ) تكبرتم (وَكُنْتُمْ تُخْرِمُونَ) كافرين (وإذا قيل لكم أيها الكفار (إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ) بالبعث (حَقٌّ وَالسَّاعَةُ) بالرفع والنصب (لَأَرِيْبَ) شك (فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ) (إِنْ) ما (نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا) قال المبرد: أصله إن نحن إلا نظن ظناً (وَمَا نَحْنُ بِمُتَّقِينَ) أنها آتية (وَبَدَا) ظهر (لَهُمْ) في الآخرة (سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا) في الدنيا أى جزاؤها (وَحَاقَ) نزل (بِهِمْ) مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ) أى العذاب (وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنفَسُكُمْ) تترككم في النار (كَأَنَّمَا لِقَاءُ يَوْمِكُمْ هَذَا) أى تركتم العمل للقائه (وَمَا أَوَّاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ) مانعين منها (ذَلِكُمْ بِأَنكُمْ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ) القرآن (هُزُؤًا وَغَرَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا) حتى قلم لا بعث ولا حساب (فَالْيَوْمَ لَا يَخْرُجُونَ) بالبناء للفاعل والمفعول (مِنْهَا) من النار (وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ) أى لا يطلب منهم أن يرضوا ربهم بالتوبة والطاعة لأنها لا تنفع يومئذ (فَلِلَّهِ الْحَمْدُ) الوصف بالجليل على وفاء وعده في المكذبين (رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) خالق ما ذكر ، والعالم ماسوى الله وجمع لاختلاف أنواعه ، ورب بدل ،

مسبب عن النسيان فإن من نسي شيئاً تركه فسمى السبب باسم المسبب لاستحالة حقيقة النسيان عليه تعالى (قوله أى تركتم العمل لقائه) أشار بذلك إلى أنه من إضافة المصدر إلى ظرفه على حد مكر الليل ، وفي الكلام حذف قدره المفسر بقوله العمل والمعنى تركتم العمل للقائه الله في يومكم هذا ، ولا يصح أن يكون من إضافة المصدر لمفعوله لأن التوبيخ على نسيان ما في اليوم من الجزاء لا على نفس اليوم (قوله ذلکم) أى العذاب الدائم (قوله بأنكم اتخذتم الخ) أى بسبب اتخذكم (قوله فالיום لا يخرجون الخ) فيه التفات من الخطاب للغيبة ونكسته الإشارة إلى أنهم ساقطون عن رتبة الخطاب لموانهم (قوله بالبناء للفاعل والمفعول) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله لأنها لا تنفع يومئذ) أى ، وأما في الدنيا فالتوبة والطاعة نافعان ، فالذى ينبغي للعامل المبادرة لذلك قبل القوات (قوله على وفاء وعده في المكذبين) أى وللمؤمنين ، وإنما اقتصر على المكذبين دفعاً ، لما يتوهم أنه تعالى إنما يحمد على الفضل فأفاد أنه كما يحمد على الفضل يحمد على العدل ، لأن أوصافه تعالى جميلة (قوله ورب بدل) أى في المواضع الثلاثة ، وبصح أن يكون نصاً للفظ الجلالة .

(قوله وله الكبرياء) أى آثارها لأن وصف الكبرياء قائم بذاته تعالى وإنما تظهر آثارها في السموات والأرض من التصرف والقهر فتصرفه سبحانه وتعالى في السموات والأرض وما فيهما من آثار كبريائه سبحانه وتعالى لا يعلم قدره غيره ولا يبلغ الوصف صفته (قوله حال) ويصح أن يتعلق بنفس الكبرياء لأنه مصدر (قوله وهو العزيز الحكيم) أى الغالب الذى يضع الشئ في محله [سورة الأحقاف] سيأتى أن الأحقاف واد باليمن كانت فيه منازل عاد ، وقيل إنه جمع حقف وهو التل من الرمل ، ولا منافاة بين القولين إذ لا مانع من كون التلال في منازل عاد (قوله إلا قوله تعالى : قل أرأيتم الخ) أى بناء على أن الشاهد عبد الله بن سلام إذ لم يظهر منه التصديق بالقرآن إلا بالمدينة وأما على أن المراد به موسى عليه السلام فلا تكون مدنية (قوله الثلاث آيات) أى آخرها قوله : أساطير الأولين . وحينئذ جملة الآيات المستثنيات خمس (قوله وهى أربع أو خمس الخ) هذا الخلاف مبنى على أن تعد آية مستقلة أولا (قوله) (٧٠) الله أعلم بمراده به (تقدم غير مرة أن هذا القول هو الأسلم وهو طريقة السلف

في تفويض علم التشابه لله تعالى (قوله من الله) أى لم يخترعه من نفسه ولم ينقله من بشر ولا من جنى كما قال الكفار (قوله الحكيم في صنعه) أى الذى أنقن كل شئ (قوله إلا بالحق) هذا هو منصب النقي وهو صفة لمصدر محذوف كما قدره المفسر (قوله ليدل على قدرتنا ووحدايتنا) أى وباقي الصفات الكمالية وتنزهه عن النقائص لأن بالخلق يعرف الحق لأن كل صنعة تدل على وجود صانعها واتصافه بصفات الكمال (قوله وأجل مسمى) عطف على الحق والكلام على حذف مضاف : أى وإلا بتقدير أجل مسمى

(وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ) العظمة (فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) حال : أى كائنة فيهما (وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) تقدم .

(سورة الأحقاف)

مكية إلا قوله تعالى « قل أرأيتم إن كان من عند الله » الآية وإلا « فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل الآية » وإلا « ووصينا الإنسان بوالديه » الثلاث آيات وهى أربع أو خمس وثلاثون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . حَم) الله أعلم بمراده به (تَنْزِيلُ الْكِتَابِ) القرآن مبتدأ (مِنْ اللَّهِ) خبره (الْعَزِيزِ) فى ملكه (الْحَكِيمِ) فى صنعه (مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا) خلقا (بِالْحَقِّ) ليدل على قدرتنا ووحدايتنا (وَأَجَلٍ مُّسَمًّى) إلى فناءهما يوم القيامة (وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا) خوفوا به من العذاب (مُّعْرِضُونَ) قُلْ أَرَأَيْتُمْ (أَخْبِرُونِي) تعبدون (مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى الأصنام مفعول أول (أَرُونِي) أَخْبِرُونِي تَأْكِيد (مَاذَا خَلَقُوا) مفعول ثان (مِنَ الْأَرْضِ) بيان ما (أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ) مشاركة (فى) خلق (السَّمَوَاتِ) مع الله وأم بمعنى همزة الإنكار (أَتَتُونِي) بِكِتَابٍ) منزل (مِنْ قَبْلِ هَذَا) القرآن (أَوْ أَثَارَةٍ) بَقِيَّة (مِنْ عَمَلٍ) يُوْثِرُ عَنْ الْأَوَّلِينَ بِصَحَّةِ دَعْوَاكُمْ فِي عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ أَنَّهَا تَقْرَبُكُمْ إِلَى اللَّهِ ،

لأن الأجل نفسه متأخر عن الخلق وفيه رد على الفلاسفة القائلين بقديم العالم (قوله والذين كفروا) مبتدأ ومعرضون (إن) خبره وقوله عَمَّا أُنذِرُوا متعلق بمعرضون وما اسم موصول والعائد محذوف قدره المفسر بقوله به والأولى أن يقدر منصوبا لاختلاف الجار للموصول وللعائد بأن يقول خوفوه (قوله تَأْكِيد) أى لقوله أرأيتم (قوله مفعول ثان) أى أن الجملة الاستفهامية سدت مسددا المفعول الثانى (قوله بيان ما) أشار بذلك إلى أن ما اسم استفهام وذا اسم موصول خبرها وخلقوا صلة الموصول ويصح أن ماذا اسم استفهام مفعول لخلقوا (قوله بمعنى همزة الإنكار) أى وبل الاضربية فهى منقطعة (قوله اتئونى بكتاب) الأمر للتبكيك وفيه إشارة إلى نفي الدليل النقلى بعد الإشارة إلى نفي الدليل العقلى (قوله من قبل هذا) صفة لكتاب الجار والمجرور متعلق بمحذوف قدره المفسر خاص بقول منزل والمناسب أن يقدره عاما من مادة السكون (قوله أو أثارة) مصدر على وزن كفالة وقوله من علم صفة لأثارة وهى مشتقة من الأثر الذى هو الرواية والعلامة أو من أثرت الشئ أيثرة أثارة استخرجت بقيته ، والمضى اتئونى برواية أو علامة أو بقيه

من علم يؤثر عن الأنبياء والأصحاء (قوله إن كنتم صادقين) شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه : أي فانتوني (قوله ومن أضل) مبتدأ وخبر (قوله من لا يستجيب) من نكرة موصوفة بالجملة بعدها أو اسم موصول وما بعدها صاتها وهي معمولة ليدعوا ، والمعنى لا أحد أضل من شخص يعبد شيئاً لا يحببه أو الشيء الذي لا يحببه ولا ينفعه في الدنيا والآخرة (قوله إلى يوم القيامة) الغاية داخلية في المعنى وهو كناية عن عدم الاستجابة في الدنيا والآخرة (قوله وهم الأصنام) عبر عنهم بضمير العلقاء مجازاة لما يزعمه الكفار (قوله لأنهم جناد) أشار بذلك إلى أن المراد بالقفلة عدم الفهم (قوله وإذا حشر الناس) أي جمعوا بعد إخراجهم من القبور (قوله جاحدين) أي منكرين وهذا نظير قوله تعالى - وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون - (قوله حال) أي من آياتنا (قوله قال الدين كفروا) أظهر في مقام الاضرار لبيان وصفهم بالكفر ووصف الآيات بالحق وإلا فمقتضى الظاهر قالوا لها (قوله لما جاءهم) أي حين جاءهم (قوله طاهر) أي باهر لا يعارض إلا بمنزله (قوله أم يقولون الخ) ترق في الإنكار وانتقال إلى ما هو أشنع (قوله فرضاً) أي على سبيل الفرض والتقدير (قوله فلا تملكون) (قوله من الله شيئاً) أي فهو المتولى أموري ولا أحد يتدر على دفع ما أصاب منه غيره (قوله هو أعلم بما تفيضون فيه) أي تخوضون وتقدحون في القرآن بقولكم هو سحر وسحر وغير ذلك (قوله كفى به شهيداً بيني وبينكم) أي فيشهد لي بالصدق والبلاغ وعليكم بالكذب والانكار (قوله الرحيم به) المناسب أن يقول الرحيم بعباده ليحسن ترتيب قوله فلم يعاجلكم الخ عليه (قوله فلم يعاجلكم بالعقوبة) أي بل أمهلكم لتتوبوا وترجعوا عما أنتم عليه ففيه وعد حسن بالمفخرة للتائبين والرحمة

(إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فِي دَعْوَاكُمْ (وَمَنْ) اسْتَفْهَامٌ بِمَعْنَى النَّفْيِ : أَي لَا أَحَدٌ (أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا) يَعْبُدُ (مِنْ دُونِ اللَّهِ) أَي غَيْرِهِ (مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) وَهُمْ الْأَصْنَامُ لَا يَجِيبُونَ عَابِدِيهِمْ إِلَى شَيْءٍ يَسْأَلُونَهُ أَبَدًا (وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ) عِبَادَتِهِمْ (غَافِلُونَ) لِأَنَّهُمْ جَادُّ لَا يَحْقُلُونَ (وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا) أَي الْأَصْنَامُ (لَهُمْ) لِعَابِدِيهِمْ (أَعْدَاءُ وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ) بِعِبَادَةِ عَابِدِيهِمْ (كَافِرِينَ) جَاحِدِينَ (وَإِذَا نَتَلَى عَلَيْهِمْ) أَي أَهْلُ مَكَّةَ (آيَاتُنَا) الْقُرْآنَ (بَيِّنَاتٍ) ظَاهِرَاتٍ حَالٍ (قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا) مِنْهُمْ (لِإِحْقَاقِ) أَي الْقُرْآنَ (مَا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ) بَيْنَ ظَاهِرٍ (أَمْ) بِمَعْنَى بَلْ وَهَمَزَةُ الْإِنْكَارِ (يَقُولُونَ أَفْقَرَهُ) أَي الْقُرْآنَ (قُلْ إِنْ أَفْقَرَيْتُهُ) فَرْضًا (فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ) أَي مِنْ عَذَابِهِ (شَيْئًا) أَي لَا تَقْدِرُونَ عَلَى دَفْعِهِ عَنِّي إِذَا عَذَّبَنِي اللَّهُ (هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ) تَقُولُونَ فِي الْقُرْآنِ (كَفَى بِهِ) تَعَالَى (شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ) لِمَنْ تَابَ (الرَّحِيمُ) بِهِ فَلَمْ يَعْاجِلْكُمْ بِالْعُقُوبَةِ (قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا) بِدْعًا (مِنَ الرُّسُلِ) أَي أَوَّلَ مَرْسَلٍ قَدْ سَبَقَ قَبْلِي كَثِيرٌ مِنْهُمْ فَكَيْفَ تَكْذِبُونِي (وَمَا أَذْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ) فِي الدُّنْيَا أَخْرَجَ مِنْ بَلَدِي أَمْ أَقْتُلُ كَمَا فَعَلَ بِالْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي أَمْ تَرْمُونِي بِالْحِجَارَةِ أَمْ يَخْشَفُ بِكُمْ كَالْمُكَذِّبِينَ قَبْلَكُمْ (إِنْ) مَا (أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ) أَي الْقُرْآنَ وَلَا أَتَّبَعُ مِنْ عِنْدِي شَيْئًا ،

بجميع العباد إشارة إلى أن حلم الله ورحمته شاملة لهم مع عظم جرمهم (قوله بديعاً) أشار بذلك إلى أن بدعاً صفة كحق وحق وهو من الابتداع والاختراع ويصح أن يكون مصدراً على حذف مضاف : أي ذا بدع وقرئ شذوذاً بكسر الباء وفتح الدال جمع بدعة : أي ما كنت صاحب بدع وفتح الباء وكسر الدال وصف كحذر (قوله وما أدرى ما يفعل بي ولا بكم) ما استفهامية مبتدأ والجملة بعدها خبرها وهي معاقة لأدرى عن العمل فهي سادة مسددة مفعولها ، ولما نزلت هذه الآية فرح المشركون والمنافقون وقالوا كيف نتبع نبياً لا يدرى ما يفعل به ولا بنا وأنه لا فضل له علينا ولولاه أنه ابتدع الذي يقوله من تلقاء نفسه لأخبره الذي منه بما يفعله به فلنخت هذه الآية وأرغم الله أنف الكفار بنزول قوله تعالى - ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر - الآيات ، فقالت الصحابة هنيئاً لك يا رسول الله لقد بين الله لك ما يفعل بك فليت شعراً ما هو فاعل بنا ؟ فنزلت - ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار - الآية ونزلت - وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً - فهذه الآية نزلت في أوائل الإسلام قبل بيان مآل النبي والمؤمنين والكافرين وإلا لما خرج صلى الله عليه وسلم من الدنيا حتى أعلمه الله

في القرآن ما يحصل له وللمؤمنين والكافرين في الدنيا والآخرة إجمالاً وتفصيلاً (قوله وما أنا إلا نذير مبين) الحضر إضافي أي منذر عن الله لا مخترع من تلقاء نفسه فلا ينافي أنه بشير أيضاً (قوله ماذا حالكم) أشار بذلك إلى أن مفعولي رأيته محذوفان دلت عليهما الجملة (قوله جملة حالية) أي وكذا ما بعدها من الجمل الثلاث ويصح جعل الجمل الأربعة معطوفات على فعل الشرط فقول المفسر فيما يأتي بما عطف عليه يعني من الجمل الأربع فيه تليق ويمكن أن يجاب بأن المراد العطف اللغوي (قوله هو عبد الله بن سلام) وقيل الشاهد موسى وشهادته ما في التوراة من نعمته صلى الله عليه وسلم (قوله أي عليه) أشار بذلك إلى أن مثل صلة (قوله أستم ظالمين) المناسب للمفسر تقدير الفاء لأن الجملة التي فعلها جامد إذا وقعت جواباً للشرط لزمت الفاء (قوله وقال الذين كفروا الخ) هذا من جملة قبائح الكفار زعمها منهم أن عز الآخرة تابع لعز الدنيا ولم يعلموا أن رحم الله يخصص بها من يشاء ولا سيما من لم تكن الدنيا أكبر همه ومبلغ علمه ، ورد أن القائل ذلك جملة من العرب وهم بنو عامر وغطفان وأسد وأشجع لما أسلم جهينة ومزينة وأسلم وغفار (قوله أي في حقهم) أشار بذلك إلى أن اللام بمعنى في ويصح أن تبقى على بابها (قوله لو كان الإيمان الخ) أشار بذلك إلى أن الضمير في كان عائد على الإيمان ويصح عوده على القرآن أو على الرسول وكلها معان (٧٢) متلازمة (قوله ما سبقونا إليه) التفات من الخطاب إلى الغيبة وكان مقتضى الظاهر

(وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ) بين الإنذار (قُلْ أَرَأَيْتُمْ) أخبروني ماذا حالكم (إِنْ كَانَ) أي القرآن (مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ) جملة حالية (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ) هو عبد الله بن سلام (عَلَىٰ بَيْتِهِ) أي عليه أنه من عند الله (فَأَمِنَ) الشاهد (وَأَسْتَكْبَرْتُمْ) تكبرتم عن الإيمان وجواب الشرط بما عطف عليه أستم ظالمين ؟ دل عليه (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا (أَي فِي حَقِّهِمْ) (أَوْ كَانَ) (الإيمان خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا) أي القائلون (بِهِ) أي بالقرآن (فَسَيَمُولُونَ هَذَا) أي القرآن (إِفْكَ) كذب (قَدِيمٌ) وَمِنْ قَبْلِهِ (أَي الْقُرْآنَ) (كِتَابُ مُوسَى) أي التوراة (إِمَامًا وَرَحْمَةً) للمؤمنين به حالان (وَهَذَا) أي القرآن (كِتَابٌ مُصَدِّقٌ) للكتب قبله (لِسَانًا عَرَبِيًّا) حال من الصمير في مصدق (لِيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا) مشركي مكة (وَ) (بُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ) المؤمنين (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) على الطاعة (وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) .

ماسبة تمونا إليه والضمير في إليه عائد على ما عاد عليه ضمير كان (قوله) وإذ لم يهتدوا به (ظرف المحذوف تقديره زادوا طغياناً وليس قوله فسيقولون عاملاً فيه لأمرين وجود الفاء وكون الفعل مستقبلاً لأن ما بعد الفاء لا يعمل فيما قبلها وبين الماضي والمستقبل تضاد فإن الفعل مستقبل وإذ للماضي (قوله إفك قديم) أي من قول الأقدمين أتى به هو ونسبه إلى الله تعالى

فهو كقولهم أساطير الأولين (قوله ومن قبله) خبر مقدم وكتاب مبتدأ مؤخر والجملة حالية أو مستأنفة وهورد لقولهم هذا إفك قديم ، والمعنى لا يصح كونه إفكاً قديماً مع كونكم حلتم كتاب موسى ورجعتم إلى حكمه فإن القرآن مصدق لكتاب موسى وغيره وفيه قصص المتقدمين من الرسل وغيرهم والمتأخرين (قوله حالان) أي من كتاب موسى (قوله مصدق للكتب قبله) أي كتاب موسى وغيره من باقي الكتب السماوية (قوله حالان من الضمير في مصدق) ويصح أن يكون حالاً من كتاب وعربياً صفة للسانا (قوله لينذر) متعلق بمصدق (قوله وبشري المحسنين) أشار المفسر بتقدير الضمير إلى أنه خبر لمبتدأ محذوف والجملة حالية ويصح أن يكون معطوفاً على مصدق فهو مرفوع بصفة مقدرة منع من ظهورها التعذر أو منصوب عطف على محل قوله لينذر كأنه قال للإنذار والبشارة (قوله إن الذين قالوا ربنا الله) أي وحدوا ربهم ، وقوله ثم استقاموا الاستقامة هي العلم والعمل وأتى ثم إشارة إلى أن اعتبار العلم والعمل إنما يكون بعد التوحيد والدلالة على الاستمرار على الاستقامة فليس المراد حصول الاستقامة مدة ثم يرجع للخالفات (قوله فلا خوف عليهم) أي من وقت حضور الموت إلى ما لا نهاية له فيؤمنون من الفتنات وسؤال الملوك وعذاب القبر وهول الوقف والنار (قوله ولا هم يحزنون) أي على ما فاتهم في الدنيا .

(قوله أولئك أصحاب الجنة) أى هم بالأصالة (قوله حال) أى من ضمير أصحاب الجنة (قوله ووصينا الإنسان بوالديه) لما كان حق الوالدين مطلوباً بعد حق الله تعالى ذكر الوصية بهما إثر ما يتعاقب بحقوقه تعالى ومناسبة ذكر الوصية بالوالدين عقب ذكر صفات أهل الجنة وأهل النار لأن الإنسان يختلف حاله مع أبويه فقديراً فليكون ملحقاً بأهل الجنة وقديراً فليكون ملحقاً بأهل النار (قوله وفى قراءة) أى سبعة أيضاً (قوله أى أمرناه الخ) تفسير لكل من القراءتين (قوله فنصب إحساناً الخ) بيان لإعراب القراءتين على اللف والنشر المشوش والحسن والإحسان بمعنى واحد وهو جمال القول والفعل بأن يعظمهما ويقرهما قولاً وفعلًا (قوله حملته أمه الخ) علة لقوله وصينا ، واقتصر على ذكر الأم لأن حقها أعظم ولذلك قيل إن لها ثلثي الأجر (قوله كرها) بفتح الكاف وضمها قراءتان سبعتان ومعناها واحد (قوله أى على مشقة) أى فى أثناء الحمل إذ لا مشقة فى أوله (قوله وحمله) أى مدة حمله ، وقوله ثلاثون شهراً خبر قوله حمله على حذف مضاف (قوله إن حملت به ستة) أى من الشهور ، وقوله أرضعته الباقي : أى من الثلاثين وهو أربعة وعشرون أو أحد وعشرون ، قيل إن الآية عامة فى كل إنسان ، وقيل إنها خاصة بمن نزلت فى حقه وهو أبو بكر الصديق رضى الله عنه لما روى : أن أمه حملت به تسعة أشهر وأرضعته أحدًا وعشرين شهراً (قوله غاية الجملة مقدرة) أى معطوفة (٧٣) على قوله ووضعت أمه تسعة أشهر

(قوله أقله ثلاث وثلاثون سنة) أى لأن هذا الوقت هو الوقت الذى يكمل فيه بدن الإنسان (قوله الخ) أى وآخرها قوله : وإني من المساكين (قوله نزل) أى المذكور من قوله تعالى - ووصينا الإنسان - الخ وحاصل ذلك أن أبا بكر صاحب النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمان عشرة سنة والنبي صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة فى تجارة إلى الشام فنزلوا منزلاً فيه سدره فقعد

أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها) حال (جزاء) منصوب على المصدر بفعله المقدر أى يميزون (بما كانوا يعملون . ووصينا الإنسان بوالديه حسناً) وفى قراءة إحساناً . أى أمرناه أن يحسن إليهما فنصب إحساناً على المصدر بفعله المقدر ومثله حسناً (حماته أمه كرهاً ووضعت كرهاً) أى على مشقة (وحمله وفصاله) من الرضاع (ثلاثون شهراً) ستة أشهر أقل مدة الحمل والباقي أكثر مدة الرضاع ، وقيل إن حملت به ستة أو تسعة أرضعته الباقي (حتى) غاية الجملة مقدرة أى وعاش حتى (إذا بلغ أشده) هو كمال قوته وعقله ورأيه ، أقله ثلاث وثلاثون سنة أو ثلاثون (وبالغ أربعين سنة) أى تمامها وهو أكثر الأشد (قال رب) الخ نزل فى أبي بكر الصديق لما بلغ أربعين سنة بعد سنتين من مبعث النبي صلى الله عليه وسلم آمن به ثم آمن أبواه ثم ابنه عبد الرحمن وابن عبد الرحمن أبو عتيق (أوزعني) الهمني (أن أشكر نعمتك التي أنعمت بها) (على ولى والدنى) وهم التوحيد (وأن أعمل صالحاً ترضاه) فأعنت تسعة من المؤمنين يعذبون فى الله ، (وأصليح لي فى ذريتي)

النبي صلى الله عليه وسلم فى ظلها ومضى أبو بكر إلى راهب هناك فسأله عن الدين ، فقال له الراهب من الرجل الذى فى ظل السدره ؟ فقال هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، فقال الراهب هذا والله نبي وما استظل تحتها بعد عيسى أحد إلا هذا وهو نبي آخر الزمان ، فوقع فى قلب أبي بكر اليقين والتصديق وكان لا يفارق النبي صلى الله عليه وسلم فى سفر ولا حضر ، فلما بلغ رسول الله أربعين سنة وأكرمه الله تعالى بنبوته واختصه برسالاته آمن به أبو بكر الصديق رضى الله عنه وصدقته وهو ابن ثمان وثلاثين سنة ، فلما بلغ أربعين سنة دعاه ربه عز وجل فقال - رب أوزعني - الآية (قوله ثم آمن أبواه) أى أبوه عثمان بن عفان وعمرو ، وكنته أبو قحافة وأمهم أم الخير بنت صخر بن عمرو (قوله وابن عبد الرحمن) أى واسمه محمد ، وكاهم أدركوا النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يجتمع هذا لأحد من الصحابة غير أبي بكر وامرأة أبي بكر اسمها قتيلة بنت عبد العزى وامرأة أبيه اسمها قيسلة (قوله الهمني) أى رغبتى ووفقنى (قوله فأعنت تسعة) أى أفنداهم من أبدى الكفار وخاصهم من أذاهم فهو عتيق صوري ولم يرد شيئاً من الخير إلا أعانه الله عليه (قوله وأصليح لي فى ذريتي) أى اجعل الصلاح سارياً فيهم ، وعبر بنى إشارة إلى أنهم كالظرف للصالح لتمكنه منهم .

(قوله فكلهم مؤمنون) أى فالصلاح مقول بالتشكيك يتحقق بأصل الإيمان ويزيدون فيه على حسب مراتبهم (قوله أى قائلو هذا القول) أشار بذلك إلى أن العبارة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (قوله الذين يتقبل) هو ويتجاوز بالياء مبنيًا للمفعول أو بالنون مبنيًا للفاعل قراءتان سبعيتان وقرئ شذوذًا بالياء مبنيًا للفاعل (قوله بمعنى حسن) أشار بذلك إلى أن اسم التفضيل ليس على باب (قوله حال) أى من ضمير عنهم (قوله وعد الصدق) مصدر منصوب بفعله المقدر أى وعدم الله وعد الصدق (قوله الذى كانوا يوعدون) أى فى الدنيا على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله والذى قال لوالديه الخ) اسم الموصول معمول لمحذوف تقديره اذكر يا محمد لقومك الشخص الذى قال لوالديه الخ ويحتمل أنه مبتدأ خبره قوله أولئك الذين حق عليهم القول الخ والمراد منه الجنس لا شخص معين ولذا أخبر عنه بالجمع مراعاة لمعناه فهى واردة فى كل شخص كافر عاق لوالديه المسلمين وهذا هو الصحيح خلافاً لمن شذ وقال إن هذه الآية نزلت فى حق عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق قبل إسلامه فإنه كان من أفاضل الصحابة وخيارهم وقد كذبت الصديقة من قال ذلك ويرده أيضاً قوله تعالى أولئك الذين حق عليهم القول الخ (قوله وفى قراءة بالادغام) (٧٤) أى وهى سبعة أيضاً (قوله بكسر الفاء) أى مع التنوين وتركه وقوله وفتحها

أى من غير تنوين فالقراآت ثلاث سبعيات وهو مصدر أف يؤف أفا بمعنى تننا وقبحا أو هو اسم صوت يدل على أتضجر أو اسم فعل بمعنى أتضجر والمفسر أشار لاثنتين منها بقوله بمعنى مصدر وبقوله أتضجر منكما (قوله أى تننا) الـثـنـة التذارة والرائحة الكريهة وهو كناية عن عدم الرضا بفعلهما والتضجر منهما (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعة أيضاً (قوله أن أخرج) هذا هو الوعد به والباء محذوفة أى بأن

فكلهم مؤمنون (إِنِّي تَبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ . أُولَئِكَ) أى قائلو هذا القول أبو بكر وغيره (الَّذِينَ يَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنُ) بمعنى حسن (مَا عَمِلُوا وَبَتَّ جَاوِزُ عَنْ صَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ) حال : أى كائنين فى جنتهم (وَعَدَ الصَّدَقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ) فى قوله تعالى : وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات (وَالَّذِي قَالَ لَوَالِدَيْهِ) وفى قراءة بالادغام أريد به الجنس (أَفٍ) بكسر الفاء وفتحها بمعنى مصدر أى تننا وقبحا (لَكُمَا) أتضجر منكما (أَتَعِدَانِي) وفى قراءة بالادغام (أَنْ أُخْرِجَ) من القبر (وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ) الأمم (مِنْ قَبْلِي) ولم تخرج من القبور (وَهُمَا يَسْتَمِثَانِ اللَّهُ) يسألانه الغوث برجوعه ويقولان إن لم ترجع (وَبَلَاكَ) أى هلاكك بمعنى هلكت (آمِنُ) بالبعث (إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا) أى القول بالبعث (إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) أكاذيبهم (أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ) وجب (عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ) بالعذاب (فِي أَمْرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ . وَلِكُلِّ) من جنس المؤمن والكافر (دَرَجَاتٌ) فدرجات المؤمنين فى الجنة عالية ، ودرجات الكافرين فى النار سافلة ،

(ع)

أخرج وحذف الجار مع أن مطرد (قوله وقد خلت القرون من قبلى) الجملة حالية (قوله ولم تخرج من القبور) أى زعمنا منه أن الخروج من القبور لو كان صدقا لحصل قبل انقضاء الدنيا (قوله وهما يستغيثان الله) اعلم أن مادة الاستغاثة تتعدى بنفسها تارة وبالباء أخرى لكن لم ترد فى القرآن إلا متعدية بنفسها ، قال تعالى إذ تستغيثون ربكم ، وإن يستغيثوا يغاثوا ، فاستغاثه الذى من شيعته (قوله يسألانه الغوث) أى إغاثة ذلك الولد بتوفيقه للإسلام (قوله وبلاك) معمول، لمحذوف قدره المفسر بقوله ويقولون الخ وذلك المحذوف حال من فاعل يستغيثان ، والمعنى يستغيثان الله حال كونهما قاتلين وبلاك (قوله آمِنُ) أى صدق واعترف فهو فعل أمر (قوله إن وعد الله حق) جملة مستأنفة أو تعليل لما قبلها (قوله أكاذيبهم) أى اخترعوها من غير أن يكون لها أصل (قوله فى أم) حال من ضمير عليهم والمعنى ثبت عليهم القول فى عداد أم الخ (قوله إنهم كانوا خاسرين) أى كافرين ابتداء وانتهاء (قوله ولكل) خبر مقدم ودرجات مبتدأ مؤخر ، والمعنى لكل شخص من المؤمنين والكفار (قوله درجات) فى الكلام تغليب لأن مراتب أهل النار يقال لها هركات بالكاف لانالجيم أو تسمح حيث أطلق الدرجات وأراد المنازل مطلقا علوية أو سفلية .

(قوله مما عملوا) أى من أجل ما عملوا من خير وشئ (قوله وليوفهم) عطف على معلول والمعنى جازاهم بذلك ليوفهم (قوله أى جزاءها) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله ينقص للمؤمنين) أى من درجاتهم بل قد يزداد لهم فيها (قوله ويزاد للكفار) أى في درجاتهم بل قد يخفف عن بعضهم كأبي طالب وأبي لهب (قوله ويوم يعرض الخ) يوم معمول المحذوف قدره المفسر بقوله يقال لهم الخ والمعنى يقال لهم أذهبتم الخ وقت عرضهم على النار (قوله بأن تكشف لهم) أشار بذلك إلى أن الكلام فيه قلب والأصل ويوم تعرض النار على الذين كفروا أى يكشف لهم عنها وآتى به كذلك لأن عرض الشخص على النار أشد في إهاتته من عرض النار عليه لأن عرضه عليها يفيد أنه كالخطب المجهول للاحراق وإنما كان فيه قلب لأن تعرض عليه شأنه العلم والاطلاع والنار ليست كذلك وقيل المراد بالعرض العذاب وحينئذ فليس فيه قلب وقد أفاد هذا المعنى المفسر آخر بقوله ويعذبون بها (قوله يقال لهم) هذا المقدار عامل في جملة أذهبتم وناسب ليوم على الظرفية (قوله أذهبتم طيبتكم) أى ما قدر لكم من المستلزمات فقد استوفيتموه في الدنيا فلم يبق لكم حظ تأخذونه في الآخرة (قوله بهمزة الخ) أشار المفسر بحس قراآت التحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بألف بينهما على الوجهين وتركه وهمزة واحدة وأجمل في ذلك فقوله بهمزة هي إحدى القراآت الخمس وقوله وبهمزتين أى محقتين بغير مد بينهما ثانيتهما (٧٥) قوله وبهمزة ومدة المناسب وبهمزتين محقتين ومدة

(مِمَّا عَمِلُوا) أى المؤمنون من الطاعات والكافرون من المعاصي (وَلِيُوفِّيَهُمْ) أى الله وفي قراءة بالنون (أَعْمَالَهُمْ) أى جزاءها (وَهُمْ لَا يُظَاهَوْنَ) شيئاً ينقص للمؤمنين ويزاد للكفار (وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ) بأن تكشف لهم يقال لهم (أَذْهَبْتُمْ) بهمزة وبهمزتين وبهمزة ومدة وبهما وتسهيل الثانية (طَيِّبَاتِكُمْ) باشتغالكم ببلدكم (فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ) تمتعتم (بِهَا فَأَيَُّوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ) أى الهوان (بِمَا كُنْتُمْ تَكْبُرُونَ) تكبرون (فِي الْأَرْضِ خَيْرَ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ) به وتعذبون بها (وَأَذْكُرُوا أَخَا عَادٍ) هو هود عليه السلام (إِذْ أَخْبَدَ الشَّمَالُ) (أَنْذَرَ قَوْمَهُ) خوفهم (بِالْأَحْقَافِ) واد باليمن به منازلهم (وَقَدْ خَلَّتِ الْبُحُورُ) مضت الرسل (مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ) أى من قبل هود ومن بعده إلى أقوامهم (أَنْ) أى بأن قال (لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ) وجملة وقد خلت

ويصح أن تكون مصدرية أى بكونهم مستكبرين فاسقين والمراد بالاستكبار الفواحش الباطنية وبالفسق الفواحش الظاهرية (قوله ويعذبون بها) عطف على يعرض عطف تفسير فهو تفسير آخر للعرض فالمناسب تقديمه وعلى بمعنى الباء (قوله واذكر أخا عاد) أى في النسب لافي الدين لأن هوداً هو وقومه ينتسبون لعاد (قوله هو هود) أى ابن عبد الله بن رباح وتقدم ذكره تفصيلاً في سورة هود (قوله بدل اشتمال) أى فالمقصود ذكر قصته مع قومه للاعتبار بها (قوله بالأحقاف) حال من قومه أى أنذرهم والحال أنهم مقيمون بالأحقاف (قوله واد باليمن) أى فهو علم على الوادى لاجمع وقوله ومنازلهم تفسير آخر وعليه فهو جمع حقف وهو الرمل المستطيل وتقدم القولان في أول السورة وقيل إن الأحقاف جبل بالشام (قوله وقد خلت النذر) الواو اعتراضية والخالو بالنسبة لزمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وآتى بهذه الجملة لبيان أن إنذار هود لعاد وقع مثله للرسل المتقدمين عليه والمتأخرين عنه فلم يكن مختصاً بهود ويحتمل أن معنى قوله وقد خلت النذر الخ أى مضى لك ذكرهم في القرآن مراراً فلا حاجة للاعادة فهو ذكر لباقي القصص إجمالاً نظير قوله فيما تقدم وقد مضى مثل الأولين فتدبر (قوله أى من قبل هود الخ) لف ونشر مرتب والدين قبله أربعة آدم وشيث وإدريس ونوح والدين بعده كصالح وإبراهيم وإسماعيل وإسحق وسائر أنبياء بني إسرائيل (قوله إلى أقوامهم) متعلق بمضت لتضمنه معنى مرسلين (قوله أى بأن) أشار بذلك إلى أن ما مصدرية أو مخفية من الثقل والباء المقدره للتصوير

(قوله معترضة) أى بين الانذار ومعمولته (قوله إني أخاف) علة لقوله أن لا تعبدوا (قوله عظيم) بالجر صفة ليوم ووصف اليوم بالعظم لشدة هوله (قوله قالوا أجتئنا) أى جوابا لانذاره (قوله إن كنت من الصادقين) شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه (قوله إنما العلم عند الله) أى علم وقت إتيان العذاب عند الله فلا علم لى بوقته ولا مدخل لى فى استعجاله (قوله وأبلغكم ما أرسلت به إليكم) أى إن وظيفى تبليغكم لا الاتيان بالعذاب إذ ليس فى طاقى وأبلغكم بسكون الباء وتخفيف اللام وبفتحها وتشديد اللام مكسورة قراءتان سبعيتان (قوله ولكن) بسكون الياء وفتحها قراءتان سبعيتان (قوله أى ما العذاب) أشار بذلك إلى أن الضمير فى رأوه عائد على ما فى قوله ماتعدنا (قوله سحابا عرض) أى فالعارض هو السحاب الذى يعرض فى الأفق (قوله مستقبل أوديتهم) أى متوجها إليها والاضافة لفظية للتخفيف وكذا هى قوله ممطرنا ولذا وقع المضاف فى الوضعين صفة للنكرة وهى عارضا وعارض (قوله أى ممطر إيانا) أى يأتينا بالمطر (قوله قال تعالى) أشار بذلك إلى أن قوله بل هو الخ من كلامه تعالى (٧٦) ويصح أن يكون من كلام هود ردا لقولهم هذا عارض ممطرنا وهو الأول

معترضة (إني أخاف عليكم) إن عبدتم غير الله (عذاب يوم عظيم) قالوا أجتئنا لتأفكنا عن آلهتنا) لتصرفنا عن عبادتها (فأتينا بما تعدنا) من العذاب على عبادتها (إن كنت من الصادقين) فى أنه يأتينا (قال) هود (إنما العلم عند الله) هو الذى يعلم متى يأتىكم العذاب (وأبلغكم ما أرسلت به) إليكم (ولكن) أريكم قوما تجهلون (باستعجالكم العذاب) فلما رأوه (أى ما هو العذاب) عارضا (سحابا عرض فى أفق السماء) مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا (أى ممطر إيانا قال تعالى) (بل هو ما أستمعتم به) من العذاب (ريج) بدل من ما (فيها عذاب أليم) مؤلم (تدمر) تهلك (كل شئ) مرت عليه (بأمر ربها) بإرادته أى كل شئ أراد إهلاكه بها فأهلك رجلاهم ونساءهم وصغارهم وأموالهم بأن طارت بذلك بين السماء والأرض ومزقته ، وبقى هود ومن آمن معه (فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم كذلك) كما جزيانهم (تجزى القوم المجزىين) غيرهم (ولقد مكناهم فيما) فى الذى (إن) نافية أوزائدة (مكناكم) يا أهل مكة (فيه) من القوة والمال (وجعلنا لهم سمعا) بمعنى أسمعا (وأبصارا وأفئدة) قلوبا (فاستغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شئ) أى شيئا من الإغناء ومن زائدة (إذ)

(قوله بدل من ما) أى أو خبر لمحذوف : أى هى ريج (قوله فيها عذاب أليم) الجملة صفة لريج وكذا قوله تدمر (قوله أى كل شئ أراد إهلاكه بها) تفسير لقوله بأمر ربها (قوله فأهلك رجلاهم) قدر هذا اليعطف عليه قوله فأصبحوا الخ روى أن هودا لما أحس بالريج أخذ المؤمنين ووضعهم فى حظيرة وقيل خط حولهم خطا فكانت الريج لا تعدو الخط وجاءت الريج فأمالت الأحقاف على الكفرة فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام

يسمع لهم أنين ثم كشفت عنهم الرمل واحتملتهم فقتلتهم فى البحر (قوله وبقى هود) ومن آمن معه (أى وهم أربعة آلاف وكانت الريج تأتىهم لينة باردة طيبة والريج التى تصيب قومه شديدة عاصفة مهلكة وهى معجزة عظيمة لهود عليه السلام (قوله فأصبحوا) أى صاروا (قوله لا ترى إلا مساكنهم) بناء الخطاب ونصب المساكن وبياء الغيبة مبينا للفعول ورفع مساكن على أنه نائب الفاعل قراءتان سبعيتان ، والمعنى فصاروا لا يرى إلا أثر مساكنهم لأن الريج لم تبق منها إلا الآثار والمساكن معطلة (قوله كما جزيانهم) أى عادا (قوله ولقد مكناهم) أى عادا (قوله فى الذى) أشار به إلى أن ما موصولة (قوله نافية) أى بمعنى ما ولم يؤت بلفظها دفعا لثقل التكرار ويكون المعنى ولقد مكنا عادا فى الذى لم نمكنكم يا أهل مكة فيه (قوله أوزائدة) أى والمعنى ولقد مكنا عادا فى مثل الذى مكناكم فيه ويصح أن تكون شرطية وجوابها محذوف والتقدير ولقد مكناهم فى الذى إن مكناكم فيه طغيتم وغيتم وأوضحها أولها (قوله وجعلنا لهم سمعا الخ) أفرد السمع لأن ما يدرك به متحد وهو الصوت بخلاف ما بعده من الأبصار والأفئدة فإنه يدرك بهما أشياء كثيرة (قوله أى شيئا) أشاء بذلك إلى أن من شئ مفعول مطلق منصوب بفتحة مقدرة منع من ظهورها حركة حرف الجر الزائد .

(قوله معمولة لأغنى) أى لنفيه فان التعليل للنفي ، والمعنى اتقى نفع هذه الخواص عنهم لأنهم كانوا يجحدون الخ (قوله واقعد أهلكنما ماحولكم) الخطاب لأهل مكة (قوله من القرى) أى أهلها (قوله هلا) أشار بذلك إلى أن لولا تحضيضه (قوله ومفعول اتخذوا الخ) أى والمعنى فهدأ دفع عنهم العذاب الأصنام الذين اتخذوهم قربانا آلهة والمقصود توبيخهم (قوله وآلهة بدل منه) هذا أحد أعاريب ويصح أن يكون آلهة الثانى وقربانا حال أو مفعول من أجله (قوله بل ضلوا عنهم) إضراب انتقالي من نفي الدفع عنهم إلى غيبتها عنهم بالكناية ، والمعنى لم يحضروا عندهم فضلا عن كونهم يدفعون عنهم العذاب (قوله إفسكهم) قرأ العامة بكسر الهمزة وسكون الفاء مصدر أفك يأكفك إفسكا ، وقرئ شذوذا بفتح الهمزة وهو مصدر له أيضا وفتح الحاء فملا ماضيا (قوله وما مصدرية) أى وافترأوهم وهو الأحسن لتناسب المعطوفين (قوله أى فيه) أى حذف الجار فاقصص الضمير ثم حذف ولو قال أى يفترونه لكان أوضح (قوله وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن) أى اذكر يا محمد لقومك قصة صرفنا إليك نفرا من الجن ليقتربوا فان رسالتك عامة للانس والجن واللائكة وجميع الخلق ، لكن إرساله للانس والجن إرسال تكليف إجماعا ، وإرساله لللائكة قيل إرسال تكليف بما يليق بهم ، وقيل إرسال تشریف وإرساله لما عداهم من الحيوانات غير العاقلة والجمادات إرسال تشریف ورحمة (قوله نفرا) النفر (٧٧) بفتحين والنفر والنفر من

ثلاثة رجال إلى عشرة (قوله نصيبين) أى وهى قرية باليمن (قوله أو جن نينوى) بنون مكسورة فياء ساكنة فنون مضمومة ومفتوحة فواو فالف مقصورة هى قرية يونس عليه السلام قرب الموصل (قوله وكان صلى الله عليه وسلم ببطن نخل) الصواب أن يقول وكان ببطن نخلة لأنه هو الذى فى طريق الطائف ، وأما بطن نخل فهو المكان الذى صلى فيه صلاة الخوف وهو

معمولة لأغنى وأشربت معنى التعليل (كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ) حججه البينة (وَحَاقَ) نزل (بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) أى العذاب (وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى) أى من أهلها كشود وعاد وقوم لوط (وَصَرَفْنَا الْآيَاتِ) كررنا الحجج البينات (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ . نَلَوْا) هلا (نَصَرَهُمْ) بدفع العذاب عنهم (الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى غيره (قُرْبَانًا) متقربا بهم إلى الله (آلِهَةً) معه وهم الأصنام ومفعول اتخذ الأول ضمير محذوف يعود على الموصول أى هم وقربانا الثانى وآلهة بدل منه (بَلْ ضَلُّوا) غابوا (عَنْهُمْ) عند نزول العذاب (وَذَلِكَ) أى اتخذهم الأصنام آلهة قربانا (إِفْكُهُمْ) كذبهم (وَمَا كَانُوا يَفْقَهُونَ) يكذبون وما مصدرية أو موصولة والسائد محذوف أى فيه (وَ) اذكر (إِذْ صَرَفْنَا) أهلكنا (إِلَيْكَ نَفْرًا مِنْ الْجِنِّ) جن نصيبين باليمن أو جن نينوى وكانوا سبعة أو تسعة وكان صلى الله عليه وسلم ببطن نخل يصلى بأصحابه الفجر رواه الشيخان

على مرحلتين من المدينة (قوله يصلى بأصحابه النجى) فيه شئ إذ لم يثبت أنه كان معه من الصحابة إلا زيد بن حارثة وهذه الواقعة كانت قبل فرض الصلوات ، فالصواب أن يقول : كان يصلى فى جوف الليل وعبارة الواهب ثم خرج عليه السلام إلى الطائف بعد موت خديجة بثلاثة أشهر فى ليال بقين من شوال سنة عشر من النبوة لما له من قریش بعد موت أبى طالب وكان معه زيد بن حارثة فأقام به شهرا يدعو أشراف ثقيف إلى الله تعالى فلم يجيبوه وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونهم ولما انصرف عليه السلام عن أهل الطائف راجعا إلى مكة نزل نخلة وهو موضع على ليلة من مكة صرف الله إليه سبعة من جن نصيبين وكان عليه السلام قد قام فى جوف الليل يصلى الخ واعلم أن العلماء ذكروا فى سبب هذه الواقعة قولين : أحدهما أن الجن كانت تسترق السمع فلما رجموا ومنعوا من السماء حين بعث النبي قالوا ما هذا إلا لشئ حدث فى الأرض فذهبوا فيها يطلبون السبب وكان قد اتفق أن النبي صلى الله عليه وسلم فى الحادية عشرة من النبوة لما أيس من أهل مكة خرج إلى الطائف يدعوهم إلى الاسلام فلم يجيبوه فانصرف راجعا إلى مكة فقام ببطن نخل يقرأ القرآن فمر به نفر من جن نصيبين كان إبليس قد بعثهم يطلبون السبب الذى أوجب حراسة السماء بالرجم بالنهب فسمعوا القرآن فعرفوا أن ذلك هو السبب وعليه فلم يكن اجتماعه بالجن مقصودا للإرسال . ثانيها أن الله أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن ينذر الجن ويدعوهم إلى الله وينذر أعليهم القرآن فصرف الله إليه نفرا منهم يستمعون القرآن

و يندرون قومهم وذلك لأن الجن مكافون لهم الثواب وعليهم العقاب ويدخلون الجنة و يأكلون فيها و يشربون كالانس فاتهمض النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة وقال « إني أمرت أن أقرأ على الجن الليلة القرآن فأبكم يتبعني فأطرقوا فتبعه عبد الله بن مسعود قال عبد الله بن مسعود ولم يحضر معه أحد غيري قال فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة دخل النبي شعبا يقال له شعب الحجور وخط لي خطا وأمرني أن أجلس فيه وقال لي لا تخرج حتى أعود إليك فانطلق حتى وصل إليهم فافتتح القرآن فجاءت أرواح أمثال النور تهوى وسمعت لفظا شديدا حتى خفت على نبي الله وغشيتة أسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى لم أسمع صوته فطفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين ففرغ النبي منهم مع الفجر فانطلق إلي فقال لي قد نمت فقلت لا والله ولكني هممت أن آتي إليك لحوفي عليك فقال النبي صلى الله عليه وسلم له لو خرجت لم آمن عليك أن يتخطفك بعضهم فأولئك جن نصيبهم فقلت يا رسول الله سمعت لفظا شديدا فقال إن الجن اختصموا في قتل بينهم فتحا كحوا إلي فقضيت بينهم بالحق وكان عدد هؤلاء اثني عشر ألفا وروى عن أنس قال « كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وهو بظاهر المدينة إذ أقبل شيخ يتوكأ على عكازة فقال النبي صلى الله عليه وسلم إنها لنعمة جنى فقال الشيخ أجل يا رسول الله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم من أنت الجن أنت قال إني هام بن هيم بن لاقيس بن إبليس فقال له النبي كم أتى عليك من العمر فقال أكلت عمر الدنيا إلا القليل كنت حين قتل هابيل غلاما بن أعوام فكنت أشرف على الآكام وأصطاد الهام وأجعله بين الأنعام فقال النبي بئس العمل فقال يا رسول الله دعني من العتب فإني ممن آمن مع نوح عليه السلام وعانته في دعوته فبكي وأبكاني ، وقال والله إني لالنادمين وأعوذ بالله أن أكون من (٧٨) الجاهلين وأنت هودا فعانته في دعوته فبكي وأبكاني ، وقال والله

(يَسْمَعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا) أى قال بعضهم لبعض (أَنْصِتُوا) اصفوا لاستماع (فَلَمَّا قُضِيَ) فرغ من قراءته (وَلَوْ) رجموا (إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ) مخوفين قومهم بالهداية إن لم يؤمنوا وكانوا يهودا وقد أسلموا (قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا) هو القرآن (أَنْزَلَ مِنْ بَعْدِ مَوْسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ) أى تقدمه كالتوراة (يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ) الإسلام (وَالِى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ) أى طريقه (يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ) محمدا صلى الله عليه وسلم إلى الإيمان (وَأَمِنُوا بِهِ) ،

لن النادمين وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين ولقيت إبراهيم وآمنت به وكنت بينه وبين الأرض إذ رمى به في المنجنيق وكنت معه في النار إذ ألقى فيها وكنت مع يوسف إذ ألقى في الجب فسبقتة إلى قعره ولقيت

موسى بن عمران وكنت مع عيسى ابن مريم عليهما السلام فقال لي إن لقيت محمدا فاقراءه السلام (يعفر) قال أنس فقال النبي وعافيه السلام وعليك السلام يا هام ما حاجتك فقال إن موسى علمني التوراة وإن عيسى علمني الإنجيل فعلمني القرآن قال أنس فعلمه النبي صلى الله عليه وسلم سورة الواقعة وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت وقل بأيتها الكافرون وسورة الاخلاص والعودتين ولا منافاة بين هذه القصص فاعل الواقعة تعددت فاحداها كان فيها زيد بن حارثة والأخرى فيها عبد الله بن مسعود والأخرى كان فيها أنس بن مالك كما أن قراءة القرآن عليهم تعددت (قوله يستمعون القرآن) جمعه صرا لمعنى النفر ولوراعى لفظه لقال يستمع (قوله فلما حضروه) أى القرآن والرسول (قوله اصفوا) بكسر الهمزة وفتح الغين باب رمى أو بفتح الهمزة وضم الغين من الرباعي (قوله فلما قضى) بالبناء للفعول في قراءة العامة وقرئ شذوذا بالبناء للقاء فالأولى تؤيد عود الضمير على القرآن والثانية تؤيد عوده على الرسول (قوله ولوا إلى قومهم منذرين) أى بأمر الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه جعلهم رسلا إلى قومهم (قوله وكانوا يهودا) أى وقد أسلموا في هذه الواقعة وأسلم من قومهم حين رجموا إليهم وأنذر سبعون - وقال العلماء أن الجن فيهم اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الأصنام ، وفي مسلميهم مبتدعة ومن يقول بالحق وحق القرآن ونحو ذلك من المذاهب والبدع ، وروى أنهم أصناف ثلاثة منف لهم أجنحة يطربون بها وصنف على صورة الحية والكلاب وصنف يحلون ويظعنون ، واختلف في مؤمنى الجن فقليل لأثواب لهم إلا النجاة من النار وعليه أبو حنيفة والليث ونحوهم من النار يقال لهم كونوا ترابا وقال الأئمة الثلاثة يدخلون الجنة و يأكلون ويشربون ويتنعمون وقيل لأنهم يكونون من الجنة في ربض ورحاب وليسوا فيها (قوله كالتوراة) أى والانجيل والزبور وغيرها (قوله أى طريقه) أى الإسلام وهو الادة

طريقه الأهمال كالصلاة والصوم (قوله يغفر لكم) جواب الأمر (قوله ويجركم) أى يخلصكم وينجكم (قوله ومن لا يجب الخ) من شرطية وجوابها قوله فليس بمعجز الخ (قوله أولياء أولئك) هنا همتان مضمومتان من كلمتين وليس في القرآن محل لاجتماعهما غير هذا (قوله أولئك الخ) هذا آخر كلام الجن الذين سمعوا القرآن (قوله أولم يروا الخ) رجوع لتوجيه الكلام إلى أهل مكة وغيرهم بعد تقرير قصة الجن والهمزة داخله على محذوف والواو عاطفة عليه تقديره أتركوا التفكير ولم يروا (قوله لم يعجز عنه) أى لم يضعف ولم يتعب (قوله وزيدت الباء فيه الخ) جواب عما يقال إن الباء لا تزداد إلا في خبر ليس وما كما قال ابن الك (قوله ما وليس جربا الخبر) وإن للآيات (قوله لأن الكلام الخ) حاصل الجواب أنها واقعة في خبر ليس ولا (قوله بل) هى جواب النفي ويصير بها إثباتا بخلاف نعم فأنها تقرر ما قبلها نفيا أو إثباتا (قوله ويوم يعرض الذين كفروا الخ) هذا إشارة لبعض ما يحصل في يوم البعث من الأحوال إثر بيان إثباته وتقرره (قوله يقال لهم) قدره إشارة إلى أن يوم رفع المحذوف ولى أن قوله أليس هذا بالحق مقول لقول محذوف (قوله وربنا) الواو للقسم ، وإنما أكدوا كلامهم لقسم طمعا في الخلاص حيث اعترفوا بالحق (قوله بما كنتم تكفرون) (٧٩) أى بسبب كفركم (قوله فاصبر الخ)

هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم والصبر تلقى المكارة والشدائد بالرضا والتسليم (قوله كما صبر أولوا العزم) الكاف بمعنى مثل صفة المصدر محذوف وما مصدرية والتقدير صبرا مثل صبر أولى العزم (قوله فكلهم ذوو عزم) أى حزم وكمال وثبات وصبر على الشدائد وقوله وقيل هى للتبويض فى كلامه إشارة لقولين فى تفسير أولى العزم من جملة أقوال شق وقيل هم نجباء الرسل المذكورون فى سورة

يُنْفِرُ) الله (اَكُم مِّنْ ذُنُوبِكُمْ) أى بعضها لأن منها المظالم ولا تغفر إلا برضا أصحابه (وَيُجْزِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ) مؤلم (وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ) أى لا يعجز الله بالهرب منه فيفوته (وَلَيْسَ لَهُ) لمن لا يجب (مِّنْ دُونِهِ) أى الله (أَوْلِيَاءَ) أنصار يدفعون عنه العذاب (أُولَئِكَ) الذين لم يجيبوا (فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) بين ظاهر (أَوْ لَمْ يَرَوْا) يعلموا أى منكروا البعث (أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَغْنَمْ بِخَلْقِهِنَّ) لم يعجز عنه (بِقَادِرٍ) خبر أن وزيدت الباء فيه لأن الكلام فى قوة أليس الله بقادر (عَلَى أَنْ يُخْرِجَ الْأَمُوتَى بَلَى) هو قادر على إحياء الموتى (إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ) بأن يعذبوا بها يقال لهم (أَلَيْسَ هَذَا) التعذيب (بِالْحَقِّ) قَالُوا بَلَى وَرَبَّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ فَاصْبِرْ) على أذى قومك (كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ) ذوو الثبات والصبر على الشدائد (مِنَ الرُّسُلِ) قبلك فتكون ذا عزم ومن للبيان فكلهم ذوو عزم، وقيل للتبويض فليس منهم آدم لقوله تعالى : ولم نجد له عزما ، ولا يونس لقوله تعالى : ولا تكن كصاحب الحوت ،

لأنعام ثمانية عشر إبراهيم وإسحاق ويعقوب ونوح وداود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس وإسماعيل واليسع ويونس ولوط ، وقيل هم اثنا عشر نبيا أرسلوا إلى بنى إسرائيل بالشام فعصوهم فأوحى الله إلى الأنبياء أن يرسل عذابي إلى عصاة بنى إسرائيل فشق ذلك على المرسلين فأوحى الله إليهم اختاروا لأنفسكم إن شئتم أنزلت بكم العذاب وأتجبت بنى إسرائيل وإن شئتم نجيتهم وأنزلت العذاب يبنى إسرائيل فتشاوروا بينهم فاجتمع رأيهم على أن ينزل بهم العذاب وينجى الله بنى إسرائيل فأنجى الله بنى إسرائيل وأنزل العذاب بأولئك الرسل وذلك أنه سيطر عليهم ملوك الأرض فمنهم من نشر بالناشير ومنهم من سلخ جلدة رأسه ووجهه ومنهم من صلب على الحشب حتى مات ، ومنهم من أحرق بالنار ، وقيل أولوا العزم أربعة إبراهيم صبر على فقد نفسه وذبح ولده وموسى صبر على أذى قومه ووثنى بربه حين قال له قومه إنا لمدركون فقال كلا إن معى رب سيهدين وداود صبر على البكا من أجل خطيئته حتى نبت من دموعه الشجر فقعد تحت ظله وعيسى لم يضع يمينه على لبنه ، وقال إنها معبرة فاعبروها ولا تعمرونها فكان الله تعالى يقول لنبيه كن صادقا واثقا بربك مهتما بما سلف منك زاهدا فى الدنيا وقيل أولوا العزم خمسة نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وهو المعتمد لأنهم أصحاب الشرائع (قوله ولم نجد له عزما) أى تاما لأن إرادته أكله من الشجرة فلبت إرادته عدم الأكل منها والافسك نبي صاحب عزم غير

أنهم يتفاوتون فيه على حسب مراتبهم قال تعالى : تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض (قوله ولا تستعجل لهم) أى لأجل
والفعل حذف قدره المفسر بقوله نزول العذاب (قوله قيل كأنه ضجر الخ) المناسب حذف كأن في عبارة غيره (قوله
نازل بهم) أى ولو في الآخرة (قوله يوم يرون) ظرف لقوله لم يلبثوا الخ (قوله لطوله) تعليل لقوله لم يلبثوا مقدم عليه
(قوله إلا ساعة من نهار) أى لأن ما مضى عليهم من الزمان كأنهم لم يروه لانتضائه (قوله هذا القرآن بلاغ) أشار بذلك
أن قوله بلاغ خبر لم حذف (قوله تبليغ من الله إليكم) أى بلغكم الله إياه فآمنوا به أو المعنى موصل من عمل به وآمن
الدرجات العلى لما ورد « يقال له اقرأ وارق » ويؤنس في قبره وموصل من لم يعمل به إلى الدرجات السفلى (قوله فهل
إلا القوم الفاسقون) أى لا يكون الهلاك والدمار إلا للكافرين ، وأما من مات على الإيمان ولو عاصيا فهو فائز ولا يقال له هاهنا
وهذه الآية أرجى آية في القرآن إذ فيها تطميع في سعة فضل الله ورحمته .

فائدة — نقل القرطبي عن ابن عباس أن المرأة إذا تعرضت لضعفها كتبت هاتان الآيتان والكلماتان في صحيفة ثم تفصل وتقرأ
منها فأنها تدمر ريغا ، وهى : بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله العظيم الحليم الكريم سبحان الله رب السموات ورب الأرض
ورب العرش العظيم كأنهم يوم (٨٠) يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا

(وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ) أقومك نزول العذاب بهم قيل كأنه ضجر منهم فأحب نزول العذاب
بهم فأمر بالصبر وترك الاستعجال للعذاب فإنه نازل بهم لا محالة (كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ
مَا يُوعَدُونَ) من العذاب في الآخرة أطوله (لَمْ يَلْبَثُوا) في الدنيا في ظنهم (إِلَّا سَاعَةً)
نهار (هذا القرآن) تبليغ من الله إليكم (فهل) أى لا (يُهْلَكُ) عند رؤية العذاب
(إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ) أى الكافرون .

(سورة القتال)

مدينة إلا « وكأين من قرية » الآية أو مكية ، وهى ثمان أو تسع وثلاثون آية
(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . الَّذِينَ كَفَرُوا) من أهل مكة (وَصَدُّوا) غيرهم (عَنْ
سَبِيلِ اللَّهِ) أى الإيمان (أَضَلَّ) أحبط (أَعْمَاهُمْ) كإطعام الطعام وصلة الأرحام ف
يرون لها في الآخرة ثوابا ويجزون بها في الدنيا من فضله تعالى ،

إلا ساعة من نهار بلاغ
فهل يهلك إلا القوم
الفاسقون اه .

[سورة القتال]

وتسمى سورة محمد
صلى الله عليه وسلم لذكر
هذا الاسم فيها وسورة
الذين كفروا لبدؤها بهذا
اللفظ (قوله مدنية الخ)
هذا القول منقول عن
ابن عباس وقوله : إلا
وكأين الخ أى فأنها
نزلت بعد حجة الوداع
حين خرج من مكة
وجعل ينظر إلى البيت

وهو يبكى حزنا على فراقه وهذا مبنى على أن السكى
ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة وهو ضعيف ، والصحيح أن السكى ما نزل قبل الهجرة والمدنى ما نزل بعدها ولو بأرض مكة
أيضا بأنه في حجة الوداع خرج منها مختارا ولم يكن عنده حزن لكونها صارت دار إسلام ، وحينئذ فلا يظهر الوعيد
في الآية ، وقيل إنها نزلت لما خرج من مكة إلى الفار مهاجرا ، وعابه فكونها مكية ظاهرا وهو الصحيح وسيأتى أيضا
في تفسيرها (قوله أو مكية) هذا القول بالنظر غالبا وهو ضعيف (قوله ثمان أو تسع الخ) وقيل أربعون آية ، والخلاف
في قوله : حق نضع الحرب أوزارها ، وقوله : لذة للشاربين هل كل آية مستقلة أو من تحتها ما قبلها (قوله الذين كفروا
مبتدأ ، وقوله : أضل أعماهم خبره ، ومناسبة هذه الآية لآخر الأحقاف ظاهرة وذلك كأن قائلا قال كيف يهلك القوم
الفاسقون ولهم أعمال صالحة كأطعام الطعام ونحوه والله سبحانه وتعالى لا يضيع أجر المحسنين ؟ . فأجاب بأن الفاسقين هم الذين
كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعماهم وأبطلها (قوله فلا يرون لها في الآخرة ثوابا) أى لقوله تعالى : وقد مننا
ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا (قوله ويجزون بها في الدنيا) أى بأن يوسع لهم في المال ويزاد لهم في الولد والعاقبة
وفيه ذلك حيث لم يقصدوا بها نفرا ولا رياء .

قوله (والذين آمنوا) أى صدقوا بقلوبهم ونطقوا بألسنتهم وقوله : وعملوا الصالحات يقتضى المغيرة فاستفيد منه أن
يعمل الصالح ليس داخلا فى حقيقة الإيمان بل هو شرط كمال كما هو مختار الأشاعرة (قوله وآمنوا بما نزل الخ) عطف خاص
على عام والنسبة تعظيمه والاعتناء بشأنه إشارة إلى أن الإيمان لا يتم بدونه ولذا أكد بقوله : وهو الحق أى الثابت الذى
نسخ غيره وهو لا ينسخ (قوله وهو الحق من ر م) جملة معترضة سبقت لبيان النزل (قوله غفر لهم سيئاتهم) أى محاسنها من
خلف الملائكة (قوله وأصاح بهم) البال يطلق على الحال والشأن والأمر وكلها بمعنى واحد ، والمعنى أصاح أحوالهم الدنيوية
توفيقهم للأعمال الصالحة والأخروية بنجاتهم من النار وإدخالهم الجنة (قوله فلا يصونه) أى لا يصرون على معصيته أعم
من أن لا تقع منهم أصلا أو تقع ولكن لا يصرون عليها (قوله ذلك) مبتدأ وقوله بأن الذين الخ خبر (قوله الشيطان) وقيل
باطل الكفر (قوله الحق القرآن) وقيل الحق الإيمان (قوله كذلك يضرب الله للناس أمثالهم) التل فى الأصل القول السائر
شبه مضربه بمورده كقولهم : الصيف ضيبت اللبن ، والكلاب على البقر ، وليس مراد هنا بل أراد الأمور العجيبة تشبيها لها
بمثل فى الغرابة للتأدية إلى التعجب واسم الإشارة عائد على ما بين فى أحوال المؤمنين والكافرين (قوله فاذا

(٨١)

لقيم الخ) الفاء للفصيحة
لكونها أفصح عن
جواب شرط مقدر تقديره
إذا علمتم أحوال المؤمنين
وأنهم أحباب الله وأحوال
الكافرين وأنهم أعداء
الله فالواجب على أحباب
الله أن يقاتلوا أعداء الله
(قوله بدل من اللفظ
بفعله) أى فهو نائب عن
الفعل فى المعنى والعمل
على الصحيح ، وقيل فى
المعنى دون العمل والأصل
فاضربوا الرقاب ضربا
حذف الفعل وآتى بالمصدر
محله وأضيف إلى مفعول

وَالَّذِينَ آمَنُوا) أى الأنصار وغيرهم (وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ)
بِالْقُرْآنِ (وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَرَتْ قُلُوبُهُمْ) غفر لهم (سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ)
بِأَحْلَامِهِمْ فَلَا يَصُونُهُ (ذَلِكَ) أى إضلال الأعمال وتكفير السيئات (بِأَنَّ) بسبب أن
الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ (الشيطان) (وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ) (القرآن
مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ) أى مثل ذلك البيان (يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ) يبين أحوالهم
بِالْكَافِرِ يَحْبِطُ عَمَلُهُ وَالْمُؤْمِنِ يَفْرُزُ لَهُ (فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبُ الرِّقَابِ)
صدر بدل من اللفظ بفعله : أى فاضربوا رقابهم أى اقتلوهم وعبر بضرب الرقاب لأن الغالب
القتل أن يكون بضرب الرقبة (حَتَّى إِذَا أَتَخْتَمُواهُمْ) كثرتم فيهم القتل (فَشُدُّوا)
بِأَسْكَوْا عَنْهُمْ وَأَسْرَوْهُمْ وَشَدُّوا (الْوَتَاقَ) ما يوثق به الأسرى (فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ) مصدر
دل من اللفظ بفعله : أى تمنون عليهم بإطلاقهم من غير شيء (وَإِمَّا فِدَاءً) أى تفادونهم
بِأَسْرَى مُسْلِمِينَ (حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ) أى أهلها (أَوْزَارَهَا) أثقالها من السلاح
غيره بأن يسلم الكفار أو يدخلوا فى العهد ،

هل وهو الرقاب وهو عامل فى الظرف أيضا (قوله أى اقتلوهم) أى فأراد بضرب الرقاب مطلق القتل على أى حالة كانت
خصوصا بضرب الرقاب (قوله حتى إذا أتختموهم) حتى ابتدائية ، والمعنى فاذا أعجزتموهم بأى وجه من الوجوه إما بكثرة
تل فيهم وهو الغالب أو بقطع الماء عنهم أو بأخذ أسلحتهم أو ضرب ذلك فأسروهم (قوله أى فأمسكوا) أشار بذلك إلى أن
الكلام تقدير جملتين الإمساك عن القتل والأسر (قوله بدل من اللفظ بفعله) أى جىء به لتفصيل جملة فوجب إضمار
له والتقدير فاما أن تمنوا منا وإما أن تفدوا فداء (قوله بعد) أى بعد أسرهم وشد وثاقهم ، والمعنى أن المسلمين بعد
بكرة على الكفار يخبرون فيهم بين أمور أربعة : القتل والمن والفداء والاسترقاق ، وهذا فى الرجال المقاتلين ، وأما النساء
فبيان فابس فيهم إلا المن والفداء والاسترقاق ، وهذا التفصيل للإمام الشافعى وعند مالك يزاد فى حق الرجال الجزية وعند
بكر بن حفص لا يمس إلا القتل أو الاسترقاق ، وأما المن والفداء فمذسوخان بعد غزوة بدر (قوله أو أسارى) بالضم والفتح أو بفتح
يكون فراء مفتوحة (قوله أى أهلها) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله بأن يسلم الكفار) أى فالمراد
بضع آلة القتال ترك القتال لانفراض شوكة الكفر فى الكلام استعارة تبعية حيث شبه ترك القتال بوضع آله واشتق
من الوضع نضع : بمعنى تترك .

[١١ - صاوى - رابع]

(قوله وهذه غاية للقتل) أي المذكور في قوله : فضرِب الرقاب وقوله والأسرى المذكور في قوله : فشدوا الوثاق (قوله ما ذكر) أي من القتل والأمر وما بعدهما (قوله بغير قتال) أي كالحسف (قوله ليبلو بعضكم ببعض) أي فيظهر رعايته حال الصادق في الإيمان من غيره قال تعالى : ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين (قوله والذين قتلوا) مبتدأ وقوله : فلن يضل أعمالهم خبره (قوله وفي قراءة قاتلوا) أي وهي سبعية أيضا مفسرة للقراءة الأولى وحينئذ فليس المراد قتلوا بالفعل بل المراد قاتلوا قتلوا أولا (قوله وقد فشا الخ) الجملة حالية وقوله القتل ورد أنهم سبعون وقوله والجراحات أي لكثير والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فهذا الوعد الحسن لكل من قاتل في سبيل الله لنصر دينه إلى يوم القيامة قتل أو جرح أو سلم (قوله فإن يضل أعمالهم) أي سواء نشأت منهم أو تسببوا فيها (قوله إلى ما ينفعهم) أي فالذي ينفعهم في الدنيا العمل الصالح والاختصاص فيه والذي ينفعهم في الآخرة الجنة وما فيها وحينئذ فلا يقع منهم ما يخالف أمر الله لحفظ الله إياهم من المخالفات ومنه حديث «اطلع الله على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» وليس فيه توهم إبادة المعاصي لأهل بدر بل المعنى كما أفنيتكم نفوسكم في محبتي وخرجتكم عن شهواتكم في رضاي جازيتكم بالحفظ مما يوجب سخطي فاشترت نفوسكم فصارت لي راضية مرضية قال تعالى : إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم الآيات ، ولهذا أشار العارف ابن وفا بقوله :

(٨٢)

و بعد الفنا في الله كن

كيفما تشاء

فعلك لاجهـل وفعلك

لاوزر

(قوله وما في الدنيا) أي

من الهداية وإصلاح

الحال وقوله لمن لم يقتل

جواب عما يقال كيف قال

سيديهم ويصلح بالهم

يعنى في الدنيا مع أن

الفرض أنهم قتلوا بالفعل

وأجيب بأن ذلك يحصل

في الدنيا لمن لم يقتل وعبر

بالذين قتلوا تغليبا لهم

وهذه غاية للقتل والأمر (ذلك) خبر مبتدأ مقدر : أي الأمر فيهم ما ذكر (وَوَ يَشَاءُ اللَّهُ لَأَنْتَصِرَ مِنْهُمْ) بغير قتال (وَلَكِنْ) أمركم به (لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ) منهم في القتال فيصير من قتل منكم إلى الجنة ومنهم إلى النار (وَالَّذِينَ قُتِلُوا) وفي قراءة قاتلوا ، الآية نزلت يوم أحد وقد فشا في المسلمين القتل والجراحات (فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ) يحبط (أَعْمَالَهُمْ سَيَهْدِيهِمْ) في الدنيا والآخرة إلى ما ينفعهم (وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ) حالهم فيهما وما في الدنيا لمن لم يقتل وأدرجوا في قتلوا تغليبا (وَيَدْخُلُهُمُ الْجَنَّةُ عَرَفَهَا) بينها (لَهُمْ) فيهم قدون إلى مساكنهم منها وأزواجهم وخدمهم من غير استدلال (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصَرُوا لِلَّهِ) أي دينه ورسوله (يَنْصُرْكُمْ) على عدوكم (وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) يثبتكم في المعترك (وَالَّذِينَ كَفَرُوا) من أهل مكة مبتدأ خبره تعسوا يدل عليه (فَتَعَسَا لَهُمْ) أي هلاكا وخيبة من الله (وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ) عطف على تعسوا ،

(ذلك)

أولأنهم قتلوا حكما بالنية . وأجيب أيضا بأن المراد بالذين قتلوا الذين وقع منهم القتال أعم من أن يقتلوا

بالفعل أولابدائل القراءة الأخرى (قوله فيهم قدون إلى مساكنهم الخ) أي إذا دخلوها يتفرقون إلى منازلهم فهم أعرف بها من أهل الجمعة إذا انصرفوا إلى منازلهم ويؤيد هذا المعنى قوله عاينه الصلاة والسلام «يُخَاصُّ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ فَيَجْسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ حَتَّى إِذَا هَذَبُوا وَنَقَوْا أَذْنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَأُحْدِثُ لَهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِي الْجَنَّةِ مِنْ مَنْزِلِهِ الَّذِي كَانَ فِي الدُّنْيَا» وما ورد «إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ لَا يَخْرُجُ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى يَشَاهِدَ مَسْكَنَهُ فِي الْجَنَّةِ وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ مِنَ النِّعَمِ وَيُفْتَحُ لَهُ طَائِقَةُ فِي قَبْرِ يَشَاهِدُ ذَلِكَ مَا دَامَ فِي الْبَرْزَخِ وَأَنْ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ فِي حَوَاصِلِ طُيُورٍ خَضِرٍ فِي الْجَنَّةِ وَأَرْوَاحَ الْأَنْبِيَاءِ فِي قَنَادِيلٍ مِنْ ذَهَبٍ مُعَلَّقَةٍ فِي الْعَرْشِ نَسْرَجٌ وَتَأْوِي إِلَيْهَا» وقيل معنى : صرّفها لهم طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة (قوله يثبتكم) أشار بذلك إلى أن المراد بالأقدام الذوات تجملها وعبر عنها بالأقدام لأن الثبات والتزلزل يظهران فيها (قوله خبره تعسوا الخ) أشار بذلك إلى أن الفاء في قوله فتعسوا داخلية على محذوف هو الخبر وتعسا مفعول مطلق لذلك المحذوف وحينئذ فالمناسب للفسر أن يقدر الخبر بعد الفاء (قوله أي هلاكا وخيبة لهم) هذان قولان من عشرة أقوال في معنى التعس ، وقيل خزيا لهم ، وقيل شقاء لهم ، وقيل شتيا لهم من الله ، وقيل قبحا لهم ، وقيل رغما لهم ، وقيل شرًا لهم ، وقيل شدة لهم ، وقيل التعس الانحطاط والعتار وكلها معان متقاربة وهو في الأصل أن يخرّ لوجهه والنكس أن لا يستقل به سقطته حتى يسقط هو ثانية وهي أشد من الأولى وضده الانتعاش وهو قيام من سقط

(قوله ذلك) مبتدأ خبره الجار والمجرور بعده ويصح أن يكون اسم الإشارة خبر مبتدأ محذوف أى الأمر ذلك (قوله الشتمل على التكليف) أى فهذا وجه كراهتهم له وذلك لأن فى التكليف ترك الملاذ والشهوات والنفوس الخبيثة تسكره ذلك وتجب رضاء العنان لها فى الشهوات فمن تبع نفسه من كل وجه كفر فعلى الإنسان أن يجاهد نفسه حتى يصير معتادة لما يرضاه الله تعالى فى الحديث « لا يكمل إيمان أحدكم حتى يكون هواه تباعاً لما جئت به » فالأصل فى النفوس الخسة لا تجر لصاحبها خيراً لا تسمى إلا فيما يغضب الله فإذا شمر الإنسان عن ساعد الجد والاجتهاد وخالف هوى نفسه سكن وهجها واضمحلت شهوتها فإذا دام ذلك حسن حالها وصارت جميلة الأخلاق مطمئنة بخالقها نسأل الله أن يملكنا نفوسنا ولا يسلطها علينا (قوله أفلم يسبوا) الهمة داخله على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير أجبنوا وتركوا السبى فلم يسبوا (قوله دمر الله عليهم) أفضل محذوف قدره المفسر بقوله أنفسهم الخ (قوله وللكافرن) أى السائرین على قدم من قبلهم من الكفار وقوله أمثالها مقابلة الجمع بالجمع تقتضى القسمة على الآحاد أى إن لك واحداً من هؤلاء الكفار عاقبة كعاقبة من تقدمه من الكفار أو شد ذلك لأن النبى صلى الله عليه وسلم أفضل من جميع الأنبياء وشرعه (٨٣) جامع لجميع الشرائع فالكفر به وشرعه كفر بجميع

الشرائع فبسبب ذلك عظم عذاب الكافر به (قوله وأن الكافرين لا مولى لهم) أى لا ناصر لهم ولا معين ولا معيذ وأما قوله تعالى - ثم رددوا إلى الله مولاهم الحق - فالمراد بالمولى المالك فلم يحصل تناف (قوله إن الله يدخل الذين آمنوا الخ) بيان لثمرة ولايته تعالى للمؤمنين فى الآخرة (قوله كما تأكل الأنعام الكاف فى محل نصب إما نعت لمصدر محذوف أى أكل مثل

(ذلك) أى التمس والإضلال (بأنهم كرهوا ما أنزل الله) من القرآن المشتمل على التكليف (فأخبط أعنما لهم) أفلم يسبوا فى الأرض فيمنظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم) أهلك أنفسهم وأولادهم وأموالهم (وللكافرن أمثالها) أى أمثال عاقبة من قبلهم (ذلك) أى نصر المؤمنين وقهر الكافرين (بأن الله مولى) ولى وناصر (الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم) إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار والذين كفروا يتمتعون فى الدنيا (ويأكلون كما تأكل الأنعام) أى ليس لهم همة إلا بطونهم وفروجهم ولا يلتفتون إلى الآخرة (والنار مثوى لهم) أى منزل ومقام ومصير (وكأين) (من قرية) أريد بها أهلها (هى أشد قوة من قريتك) مكة أى أهلها (التي أخرجتك) روعى لفظ قرية (أهلكناهم) روعى معنى قرية الأولى (فلا ناصر لهم) من إهلاكنا (أفمن كان على بينة) حجة وبرهان (من ربه) وهم المؤمنون (كمن زين له سوء عمله) فراه حسناً وهم كفار مكة ،

أكل الأنعام أو حال أى أكل الأنعام (قوله والنار مثوى لهم) مبتدأ وخبر (قوله وكأين من قرية الخ) كآين مركبة من الكاف وأين بمعنى كم الخبرية وهى فى محل رفع مبتدأ ومن قرية تمييز لها وقوله هى أشد قوة لقرية وقوله التي أخرجتك صفة لقرية مكة وقوله أهلكناهم خبر المبتدأ . وسبب نزول هذه الآية أنه لما أخرج صلى الله عليه وسلم من مكة إلى الغار التفت إلى مكة وقال أنت أحب بلاد الله إلى الله وأحب بلاد الله إلى ولولأن المشركين لم يخرجوني لم أخرج منك . فزلت هذه الآية تسلية له صلى الله عليه وسلم ، والمعنى لا تحزن على خروجك من بلدك فإن الله يعزك ويذلهم فابس خروجك من مكة إلا بخروج آدم من حيث إنه حصل له العز العظيم وحصل لابليس الذى تسبب فى إخراجة الحزى العظيم (قوله أريد أهلها) أى فهو مجاز فى الظرف حيث أطلق المحل وأريد الحال فيه لا مجاز بالحذف (قوله التي أخرجتك) هذا الوصف للاحتراز عن قريته التي تكون وطنه فيما يستقبل وهى المدينة (قوله أهلكناهم) أى فكذلك نفعل بأهل قرينك فاصبر كما صبر رسل أهل تلك القرى (قوله فلا ناصر لهم) تفريع على قوله أهلكناهم (قوله أفمن كان على بينة الخ) شروع فى بيان أحوال المؤمنين والكافرن والهمزة داخله على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير أليس الأمر كما ذكر فمن كان على بينة الخ والتعبير بعلى إشارة إلى تمكنهم من الحجج والبراهين تمكن المستعلى من المستعلى عليه .

(قوله واتبعوا أهواءهم) فيه مراعاة معنى من كما روعي لفظها فيما سبق (قوله مثل الجنة) تفصيل لبيان محاسن الجنة وكيفيتها
 أنهارها المتقدمة في قوله تجري من تحتها الأنهار (قوله أى صفة الجنة) أشار بذلك إلى أن المراد بالمثل الصفة فكأنه قال وصف
 الجنة كذا وكذا فليس في الكلام مشبه ومشبه به (قوله الذى وعد المتقون) المراد من لم يحكم الشرع بكفره فيشمل عصاة
 المؤمنين وأهل الفترة وأولاد الكفار الذين ماتوا قبل البلوغ (قوله المشتركة بين داخلها) أى فهو بيان لمطلق نعيم الجنة
 المشترك بين أعلى أهل الجنة وأدناهم وأما تفصيل ما لكل فريق فسيأتى في سورة الواقعة (قوله خبره فيها أنهار الخ) فيه أن
 الخبر جملة خالية من رابط يعود على المبتدأ . وأجيب بأن الخبر عين المبتدأ في المعنى وحينئذ فلا تحتاج لرابط وهذا أمهل
 الأعراب وقيل إن مثل الجنة مبتدأ خبره كمن هو خالد في النار وفي الكلام حذف مضاف وهمة الإنكار والتقدير أمثل أهل
 الجنة كمن هو خالد في النار وقوله فيها أنهار إما حال من الجنة أو خبر لمبتدأ محذوف أى هي فيها أنهار وقيل غير ذلك (قوله
 غير آسن بالمد والقصر) أى وهما قراءتان سبعيتان (قوله كضارب) أى ففعله أسن يأسن كضرب يضرب وقوله وحذر أى
 ففعله أسن يأسن كحذر يحذر (قوله لم يتغير طعمه) أى فلا يعود حامضاً ولا مكروه الطعم (قوله لذة للشاربين) أى ليس فيه
 حموضة ولا مرارة ولم تدنسها (٨٤) الأرجل بالدرس ولا الأيدي بالعصر وليس في شربها ذهاب عقل بل هي لمحجور

(وَأَتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ) في عبادة الأوثان أى لا مماثلة بينهما (مَثَلُ) أى صفة (الْجَنَّةِ الَّتِي
 وَعَدَ الْمُتَّقُونَ) المشتركة بين داخلها مبتدأ خبره (فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ) بالمد
 والقصر كضارب وحذر أى غير متغير بخلاف ماء الدنيا فيتغير بعارض (وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ
 يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ) بخلاف لبن الدنيا لخروجه من الضروع (وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ) لذبة
 (لِلشَّارِبِينَ) بخلاف خمر الدنيا فإنها كريهة عند الشرب (وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى) بخلاف
 عسل الدنيا فإنه يخرج من بطون النحل يخالطه الشمع وغيره (وَلَهُمْ فِيهَا) أصناف (مِنْ
 كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ) فهو راض عنهم مع إحسانه إليهم بما ذكر بخلاف سيد
 العبيد في الدنيا فإنه قد يكون مع إحسانه إليهم سaxonاً عليهم (كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ)
 خبر مبتدأ مقدر : أى أمن هو في هذا النعيم (وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً) أى شديد الحرارة (فَقَطَّعَ
 أَعْيُنُهُمْ) أى م صار ينهم فخرجت من أدبارهم ، وهو جمع معنى بالقصر وألقه عن ياء لقولهم معيان
 (وَمِنْهُمْ) أى الكفار (مَنْ يَسْتَمِعْ إِلَيْكَ) في خطبة الجمعة

الالتذاذ . إن قلت لم لم
 يقل في جانب اللبن لم يتغير
 طعمه للطاعمين وفي العسل
 مصفى للناظرين . أجيب
 بأن اللذة تختلف باختلاف
 الأشخاص فرب طعام يلد
 شخص ويعافه الآخر ،
 فلذا قال لذة للشاربين
 بأسرهم ولأن الحمر كريهة
 الطعم في الدنيا فقال لذة
 أى ليس في خمرة الآخرة
 كراهة طعم ، وأما الطعم
 واللون فلا يختلفان
 باختلاف الناس فلم يكن
 للتصريح بالتعميم مزيد

فائدة (قوله لذبة) أشار بذلك لدفع ما قيل إن لذة مصدر بمعنى الالتذاذ
 فلا يصح وصف الحر به لكونها اسم عين . فأجاب المفسر بأنها تؤول بالمشتق على حد زيد عدل (قوله من عسل مصفى)
 يجوز في العسل التذكير والتأنيث والقرآن جاء على التذكير (قوله يخالطه الشمع وغيره) أى كفضلات النحل (قوله ولهم)
 خبر مقدم وقوله فيها متعلق بما يتعلق به الخبر والمبتدأ محذوف قدره بقوله أصناف وقوله من كل الثمرات نعت للمبتدأ المحذوف
 والمعنى لهم في الجنة أنواع متعددة من كل الثمرات فالتفاح أنواع والرمات أنواع وهكذا (قوله فهو راض عنهم الخ) دفع بذلك
 ما يقال إن المغفرة تكون قبل دخول الجنة والآية تقتضى أنها فيها . فأجاب المفسر بأن المراد بالمغفرة الرضا وهو يكون
 في الجنة ، وإيضاحه أنه يرفع عنهم التكليف فيما يأكلونه ويشربونه بخلاف الدنيا فإن مأكلها ومشروبها يترتب عليه
 الحساب والعقاب ونعيم الجنة لا حساب عليه ولا عقاب فيه (قوله خبر مبتدأ مقدر) أى إن قوله كمن هو خالد في النار
 خبر محذوف والاستفهام الإنكار أى لا يستوى من هو في هذا النعيم المقيم بمن هو خالد في النار (قوله وسقوا)
 معطوف على خالد عطاف صلة فعلية على صلة اسمية (قوله في خطبة الجمعة) أى فهذه الآيات مدنيات وحينئذ فتكون
 مستغنيات من القول بأن السور مكية .

(قوله وهم المنافقون) تفسير لمن (قوله استهزاء) علة لقالوا فلا استفهام إنكارى ، والمعنى لم يقل شيئا يعتد به فلا عبرة بقوله (قوله آتفا) حال والمعنى ماذا قال مؤتلفا : أى مبتدئا ومختزعا (قوله بالمد والقصر) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أى الساعة) أى فآتفا ظرف حال بمعنى الآن وهو أحد استعمالين فيه والثانى أنه اسم فاعل بمعنى مؤتلفا كما تقدم (قوله أى لا ترجع إليه) أى إلى قوله الذى قاله آتفا أى لا تعمل به (قوله أولئك) مبتدأ وقوله الذين طبع الله الخ خبره (قوله والذين اهتدوا الخ) لما بين الله حال المنافقين وأنهم لا ينتفعون بما يسمعون بين حال المؤمنين وأنهم ينتفعون بما يسمعون (قوله اللهم ما يتقون به النار) أى خاف فيهم التقوى الخاصة ، وهى ترك متابعة الهوى والتزهد عما سوى الله تعالى وصرف القلب إلى ما رضى الله (قوله فهل ينظرون) أى ينتظرون جزاء أعمالهم فالمراد انتظار الجزاء لا انتظار الموت فإنه يأتيهم قبل مجيئها (قوله أن تأتيهم بفتنة) أى فقد قرب قيامها (قوله فقد جاء أشراطها) كالعلة لقوله فهل ينظرون الخ لأن ظهور أشراط النبىؐ موجب لانتظاره ، ورد عن حذيفة والبراء بن عازب « كنا نتذاكر الساعة إذ أشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال ما نتذاكرون قلنا نتذاكر الساعة . قال إنها لا تقوم حتى تزوا قبلها عشر آيات الدخان ودابة الأرض وخسفا بالشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب ، والدجال وطلوع الشمس من مغربها ، ويأجوج

(٨٥)

وماجوج ونزول عيسى ونارا تخرج من عدن » انتهى (قوله منها بعثة النبىؐ الخ) أى أن من علاماتها الصغرى بعثة النبىؐ صلى الله عليه وسلم عليه ، وقد حصل بالفعل . وأما العلامات الكبرى فستأتى وإنا عبر عن الجميع بالماضى لتحقيق الوقوع على حد اتى أمر الله (قوله فأتى لهم) خبر مقدم وذكراهم مبتدأ مؤخر ، وإذا وما بعدها معترض وجوابها محذوف دل عليه

وهم المنافقون (حَقُّ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) لعلماء الصحابة منهم ابن مسعود وابن عباس استهزاء وسخرية (مَاذَا قَالَ آتِفًا) بالمد والقصر أى الساعة أى لا ترجع إليه (أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ) بالكفر (وَأَتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ) فى النفاق (وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا) وهم المؤمنون (زَادَهُمْ) الله (هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ) اللهم ما يتقون به النار (فَهَلْ يَنْظُرُونَ) ما ينتظرون أى كفار مكة (إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ) بدل اشتغال من الساعة أى ليس الأمر إلا أن تأتيهم (بَفِتْنَةٍ) فجأة (فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا) علاماتها : منها بعثة النبىؐ صلى الله عليه وسلم وانشقاق القمر والدخان (فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ) الساعة (ذِكْرَاهُمْ) تذكرهم ؟ أى لا ينفعهم (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) أى دم يا محمد على علمك بذلك النافع فى القيامة (وَأَسْتَغْفِرُ لَذَنْبِكَ) لأجله ، قيل له ذلك مع عصمته لتستن به أمته وقد فعله قال صلى الله عليه وسلم « إني لأستغفر الله فى كل يوم مائة مرة » (وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) فيه إكرام لهم بأصرتهم بالاستغفار لهم ،

ما قبله ، والمعنى كيف لهم التذكر إذا جاءتهم الساعة فكيف يتذكرون (قوله فاعلم أنه لا إله إلا الله) مراتب على ما قبله كأنه قال إذا علمت أنه لا ينفع التذكر إذا حضرت الساعة فدم على ما أنت عليه من العلم بالوحدانية فإنه النافع يوم القيامة وعبر بالعلم إشارة إلى أن غيره لا يكفى فى التوحيد كالظن والشك والوهم . واعلم أن العلم مراتب : الأولى العلم بالدليل ولوجها وما يسمى علم يقين وهذا هو المطاوب فى التوحيد الذى يخرج به المكلف من ورطة التقليد وهو الجزم من غير دليل وفيه خلاف . الثانية العلم مع مراقبة الله ويسمى عين يقين . الثالثة العلم مع الشاهدة ويسمى حق يقين وفى هذه المراتب فليتنافس المتنافسون (قوله أى دم يا محمد الخ) أى فالخطاب له صلى الله عليه وسلم بل وإسكل ، ومن وقوله على علمك بذلك أى بأنه لا إله إلا الله أى لا معبود بحق إلا الله (قوله النافع فى القيامة) أى لما ورد « من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة » (قوله لتستن به أمته) أى تقتدى به وهذا أحد أوجه فى تأويل الآية وهو أحسنها ، وقيل معناه اسأل الله العصمة من الذنوب ، ومن المعلوم أن دعاءه مستجاب ، فى استغفاره تحدى بنعمة الله عليه وهى عصمته من الذنوب وتعليم للأمة أن يقتدوا به ، وقيل المراد بذنبه خلاف الأولى مثل ما وقع منه فى أسارى بدر وفى إذنه للاقين بالتخلف عن الجهاد فهو ذنب بحسب مقامه ورتبته وقيل المراد بذنبه ذنب أهل بيته فى هذه الآية جبرى للأمة حيث أمر صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لذنوبهم وهو الشفيع المحاب فيهم (قوله وقد فعله) أى الاستغفار لذنبه وللمؤمنين

والمؤمنات ورد في الحديث «إنه ليغان على قابي حتى أستغفر الله في اليوم مائة مرة» وفي رواية «توبوا إلى ربكم فوالله إنى إلى ربى عز وجل في اليوم مائة مرة» وفي رواية «إنى لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم سبعين مرة» وفي رواية «من ذلك» وقوله في الحديث «إنه ليغان على قلبى» الغين التغطية والستر ويسمى به الغيم الرقيق الذى يغشى السماء، وأنوار تغشى قلبه صلى الله عليه وسلم وسبب استغفاره منها أنه صلى الله عليه وسلم دائماً يترقى في الكمالات فكما ارتقى مقام رأى أن الذى كان فيه بالنسبة للذى ارتقى إليه ذنباً فيستغفر الله منه (قوله والله يعلم متقلبكم ومثواكم) أشار إلى أن معنى متقلبكم متصرفكم لأشغالكم بالنهار ومعنى مثواكم مأواكم إلى مضاجعكم بالليل وهو أحد تفاسير في الآية، وقيل متقلبكم من أصلاب الآباء إلى أرحام الأمهات و بطونهن ومثواكم في الدنيا وفي القبور، وقيل متقلبكم في ومثواكم مصيركم في الآخرة إلى الجنة أو النار (قوله والخطاب للمؤمنين وغيرهم) أى ولكن خطاب المؤمنين لإرشاد لهم مقام المراقبة لله تعالى وهى أن يشاهد الإنسان أن الله مطلع عليه في كل لحظة وطرفة وحركة وسكون وهذا سر والله أينما كنتم وهو مطاب العارفين وكنز الراسخين. قال العارف ابن الفارض:

أنا مع الأحباب رؤيتك التى (٨٦) إليها قلوب الأولياء تسارع وقال العارف الدسوقي:

قد كان في القلب أهواء
مفرقة

فاستجمعت مذكراتك
العين أهوائى

تركت للناس دنياهم ودينهم
شغلا بحبك يادىنى
ودنياى

وفيه فليتنافس المتنافسون
وخطاب غيرهم تخويف
وتحذير (قوله ويقول

الذين آمنوا الخ) أى
حين اشتد كرب السامعين
من أذى المشركين تمنوا
الأمر بالجهاد وافقههم

(وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ) متصرفكم لأشغالكم بالنهار (وَمَثَوَاكُمْ) مأواكم إلى مضاجعكم بالليل: أى هو عالم بجميع أحوالكم لا يخفى عليه شيء منها فاحذروه والخطاب للمؤمنين وغيرهم (وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا) طلباً للجهاد (أَوْ لَا) هلا (نُزِلَتْ سُورَةٌ) فيها ذكر الجهاد (أَنْزَلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ) أى لم ينسخ منها شيء (وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ) أى طلبه (رَأَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) أى شك وهم المنافقون (يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَى عَلَى مِنَ الْمَوْتِ) خوفاً منه وكراهية له أى فهم يخافون من القتال ويكرهونه (فَأُولَى كَلِمَةٍ مَبْدَأُ خَبْرِهِ) طاعة وقول معروف (أى حسن لك) (فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ) أى فر القتال (فَلَمَوْا صَدَقُوا اللَّهَ) فى الإيمان والطاعة (لَسَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ) وجملة لو جواب (فَهَلْ عَسَيْتُمْ) بكسر السين وفتحها وفيه التفات عن الغيبة إلى الخطاب: أى لعلكم تَرْتَقِيْتُمْ) أعرضتم عن الإيمان،

فى الظاهر على هذا التنى المنافقون، فهذه

(أن) الآيات من هنا إلى آخر السورة مدنيات قطعاً ولو على القول بأن السورة مكية لأن القتال لم يشرع إلا بها وكذا الف لم يظهر إلا بها (قوله أى طلبه) أى ذكر فيها الأمر به والحث عليه (قوله أى شك) وقيل ضعف فى الدين (قوله المغشى عليه) أى نظراً مثل نظر المغشى عليه والمعنى تشخيص أبصارهم كالشخص الذى حضره الموت (قوله خوفاً منه) أى الموت (قوله فأولى لهم) أى الحق والواجب لهم: أى عليهم طاعة الخ هذا مامشى عليه المفسر وهو أوضح ما فى هذا المقام (قوله أى حسن) تفسير معروف، وقوله لك متعاقب بكل من طاعة وقول معروف والمعنى الواجب عليهم بطيعوك وبخاطبك بالقول الحسن (قوله وجملة لو) أى مع جوابها (قوله بكسر السين وفتحها) أى فهما قراء سبعيتان (قوله وفيه التفات) أى لتأكيد التوبيخ (قوله أى لعلكم الخ) تفسير لعلسى، ولم يذكر تفسير الاستف وهو التقرير، والمعنى قروا بأنه يتوقع منكم أن توليتم الخ والتوقع فى الآية جار على لسان من يشاهد حرصهم على الدين ونفرتهم فى الدين لا لله لأنه هو الخالق لهم العالم بأحوالهم (قوله أعرضتم عن الإيمان) تفسير للتولى، وقيل مع تأمرتم وتوليتم أمر الأمة.

(قوله أن تفسدوا) خبر عسى والشرط معترض بينهما وجوابه محذوف لدلالة فهل عسيتم عليه (قوله أولئك) مبتدأ خبره قوله: الذين آمنهم الله (قوله فأصمهم وأعمى أبصارهم) أي فلا يهتدون إلى سبيل الرشاد (قوله أفلا يتدبرون القرآن) أي يتفكرون في معانيه فيهدون وهذه الآية لتدبر ما قبلها كأنه قال أولئك الذين آمنهم الله: أي أبعدهم عنه فجعلهم لا يسمعون النصيحة ولا يبصرون طريقة الإسلام قدسب عن ذلك كونهم لا يتدبرون القرآن (قوله أم على قلوب الخ) أم منقطعة بمعنى بل وهو انتقال من توبيخهم على عدم التدبر إلى توبيخهم بكون قلوبهم مغلقة لا تقبل التدبر والتفكير (قوله لهم) صفة لقلوب (قوله إن الذين ارتدوا على أدبارهم) أي رجعوا إلى ما كانوا عليه من الكفر وهم المنافقون الموحفون بما تقدم دل عليه قوله بالنفاق، وقيل هم اليهود، وقيل أهل الكتابين داموا على الكفر به عليه الصلاة والسلام بعد ما وجدوا نفعه في كتابهم (قوله من بعد ما بين لهم الهدى) أي الطريق القويم بالأدلة والحجج الظاهرة (قوله بضم أوله) أي وكسر ثالثة وفتح الباء والجار والمجرور نائب الفاعل، وقوله وافتحه واللام: أي مبنيًا (٨٧) للفاعل والفاعل ضمير يعود على

الشیطان وهما قراءان سبعيتان (قوله والمملی الشیطان الخ) جواب عن سؤال مقدر تقديره الإملاء معناه الامهال وهو لا يكون إلا من الله لأنه الفاعل المختار فكيف ينسب للشیطان فأجاب بأن المملی حقيقة هو الله وأسند للشیطان باعتبار أنه جار على يديه لأنه يوسوس لهم سعة الأجل (قوله أي للمشركين) أي والقاتل هم اليهود أو المنافقون كما حكى الله عنهم ذلك في سورة الحشر بقوله ألم تر إلى الذين نافقوا الآيات (قوله سنطيعكم في بعض الأمر) أي في بعض

(أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم) أي تعودوا إلى أسر الجاهلية من البغى والقتال (أولئك) أي المفسدون (الذين آمنهم الله فأصمهم) عن استماع الحق (وأعمى أبصارهم) عن طريق الهدى (أفلا يتدبرون القرآن) فيعرفون الحق (أم) بل (على قلوب) لهم (أفأولئك) فلا يفهمونه (إن الذين ارتدوا) بالنفاق (على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول) أي زين (لهم وأملی لهم) بضم أوله وفتح واللام، والمملی الشیطان بإرادته تعالى فهو المضل لهم (ذلك) أي إضلالهم (بأنهم قالوا الذين كرهوا ما نزل الله) أي للمشركين (سنطيعكم في بعض الأمر) أي المعاونة على عداوة النبي صلى الله عليه وسلم وتثبيط الناس عن الجهاد معه قالوا ذلك سرًا فأظهره الله تعالى (والله يعلم أمرهم) بفتح الهمزة جمع سر وبكسرهما مصدر (فكيف) حالهم (إذا توفتهم الملائكة يضربون) حال من الملائكة (وجوههم وأدبارهم) ظهورهم بمقامع من حديد (ذلك) أي التوفى على الحالة المذكورة (بأنهم أتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه) أي العمل بما يرضيه (فأخبط أعماهم) أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن أن يخرج الله أضغانهم) يظهر أحقادهم على النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (ولو نشاء لآريناكمهم) عرفناكم وكررت اللام في (فلعرفتهم بسيماهم) علامتهم (ولتعرفنهم) الواو لقسم محذوف وما بعدها جوابه،

ما مرونيه كالتعود عن الجهاد وتثبيط المسلمين عنه ونحو ذلك لافي كاه لأنهم لا يوافقونهم في إظهار الكفر (قوله وبكسرهما) أي وهما قراءتان سبعيتان (قوله فكيف) خبر محذوف قدره بقوله حالهم (قوله يضربون وجوههم وأدبارهم) أي فملائكة العذاب تأتيهم عند قبض أرواحهم بمقامع من حديد يضربون بها وجوههم وأدبارهم (قوله على الحالة المذكورة) أي وهي التوفى مع ضرب الوجوه والأدبار (قوله بأنهم أتبعوا الخ) راجع لضرب الوجوه، وقوله: وكرهوا رضوانه راجع لضرب الأدبار (قوله ما أسخط الله) أي من الكفر وغيره (قوله بما يرضيه) أي من الإيمان وغيره من الطاعات (قوله أم حسب الذين الخ) أي وهم المنافقون المتقدم ذكرهم (قوله أحقادهم) جمع حقد وهو الانطواء على العداوة والبغضاء (قوله عرفناكمهم) أي فالإدانة علمية لا بصرية (قوله وكررت اللام) أي في قوله فلعرفتهم للتأكيد، والمعنى لو أردنا لدلناك على المنافقين فعرفهم بسيماهم ورد عن ابن مسعود قال «خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال إن منكم منافقين لمن سمعته فليقم ثم قال قم يا فلان قم يا فلان حتى سمى ستة وثلاثين».

(قوله في لحن القول) اللحن يقال على معنيين أحدهما صرف الكلام عن الاعراب إلى الحذف والثاني الكناية بالكلام بحيث يكون للكلام ظاهر وباطن فيكون ظاهره تعظيما وباطنه تحقيرا وهو المراد هنا ، ومعنى الآية وإنك يا محمد لتعرفن المنافقين فيما يعرضونه بك من القول الذي ظاهره إيمان وإسلام وباطنه كفر وسب (قوله بما فيه تهجين أمر المسلمين) التهجين التقييع والتعيب فكانوا يصطاحون فيما بينهم على ألفاظ يخاطبون بها الرسول ظاهرها حسن ويعنون بها القبيح كقولهم راعنا وتقدم الكلام على ذلك في سورة البقرة (قوله والله يعلم أعمالكم) أي فيجازيكم بحسب قصدكم ففيه وعد ووعيد (قوله بالجهاد وغيره) أي من سائر المشاق كما قال تعالى - ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع - الآية (قوله علم ظهور) أي علما يشاهده خلقنا مطابقا لما هو في علمنا الأزلي : أي فتظهر سرأثرهم بين عبادنا (قوله في ثلاثها) وفي نسخة في الأفعال الثلاثة وهي لنبلونكم ونعلم ونبلو وهما قراءتان سبعيتان (قوله طريق الحق) أي وهو دين الإسلام (قوله خالفوه) أي خرجوا عن طاعته (قوله لن يضروا الله شيئا) هذه الجملة خبر إن والكلام إما على ظاهره ، والمعنى إن كفرهم لا يضركم إلا أنفسهم وتعالى الله عن أن يصل له من خلقه ضرر أوففع لما في الحديث القدسي « يا عبادي إنكم لن تقذروا علي ضرر فتضروني » إلى آخره أو على حذف مضاف : أي لن يضروا رسول الله لمصمته منهم (قوله في المطعمين من أصحاب بدر) أي في المطعمين الطعام للكفار يوم بدر ، وذلك أن أغنياء الكفار كانوا يعينون فقراءهم على حرب رسول الله وأصحابه كأي جهل وأضرابه ، وهذه الآية بتعني قوله تعالى - إن الدين كفروا (٨٨) ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فيسئفونها - الآية وسبب ذلك

(في لحن القول) أي معناه إذا تكلموا عندك بأن يعرضوا بما فيه تهجين أمر المسلمين (والله يعلم أعمالكم) ولنبلونكم) نختبركم بالجهاد وغيره (حتى نعلم) علم ظهور (المجاهدين منكم والصائرين) في الجهاد وغيره (ونبلوا) نظهر (أخباركم) من طاعتكم وعصيانكم في الجهاد وغيره بالياء والنون في الأفعال الثلاثة (إن الدين كفروا وصدوا عن سبيل الله) طريق الحق (وشاقوا الرسول) خالفوه (من بعد ما تبين لهم الهدى) هو معنى سبيل الله (لن يضروا الله شيئا وسيجزيهم الله) يبطلها من صدقة ونحوها فلا يرون لها في الآخرة ثوابا، نزلت في المطعمين من أصحاب بدر أو في قريظة والنضير (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم) بالمعاصي مثلا (إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله):

أن قريشا خرجت لغزوة بدر بأجمعها وكان العام عام قحط وجذب وكان أغنياءهم يطعمون الجيش فأول من نحر لهم حين خروجهم من مكة أبو جهل نحر لهم عشر جزر ثم صفوان نسا بعسفان ثم سهل عشرا بقديد ومالوا منه إلى نحو البحر فضلوا فقاموا يوما فنحر لهم

ثيبة نسا ثم أصبحوا بالأبواء فنحر مقيس الجحى نسا ونحر العباس عشرا ونحر الحرث نسا ونحر أبو البختري على ماء بدر عشرا ونحر مقيس عليه نسا ثم شغلهم الحرب فأكلوا من أزوادهم (قوله أو في قريظة والنضير) أي فكانوا ينفقون على قريش ليستعينوا بهم على عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأل أمرهم إلى أن أخرج بنى النضير من ديارهم وغزا قريظة فقتل كبارهم وأسر نساءهم وذرايرهم ولم تنفعهم قريش بشئ (قوله يا أيها الذين آمنوا الخ) لما ذكر أحوال الكفار ومخالفتهم لرسول الله أمر المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله ، وبالجملة فمذه السورة اشتملت على ذكر أوصاف المؤمنين والكافرين على أحسن ترتيب (قوله بالمعاصي مثلا) أي كالردة فإنها تبطل جميع الأعمال الصالحة من أصلها والعجب والرياء فإنهما يبطلان ثواب الأعمال والن والاذى فإنهما يبطلان ثواب الصدقات والن مذموم إلا من الله على عباده والرسول على أمته والشيخ على تلميذه والوالد على ولده فليس بمذموم ، وأما باقي المعاصي فلا تبطل ثواب الأعمال الصالحة خلافا للمعتزلة القائلين بأن الكبار تحبط الأعمال كالردة ورد كلامهم بقوله تعالى - ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء - وأخذ بعض الأئمة من هذه الآية أنه يحرم على الشخص قطع الأعمال الصالحة ولو نفلا كالصلاة والصوم . والحاصل أن الأصل في التوافل أنها لا تلزم بالشروع عند جميع الأئمة ، واستثنى مالك وأبو حنيفة سبعا منها تلزم بالشروع نظمها ابن عرفة من المالكية بقوله : صلاة وصوم ثم حج وعمره طواف عكوف والقام تحما وفي غيرها كالوقوف والظهر خبرن فمن شاء فليقطع ومن شاء تعما

من النوافل سبع نلزم الشارع أخذاً لذلك مما قاله الشارع
صوم صلاة عكوف حجة الرابع طوافه عمرة إحرامه السابع

(قوله وهم كفار) الجملة حالية (قوله فلن يغفر الله لهم) خبر إن (قوله في أصحاب القليب) هو ثمر في بدر ألقيت فيه القلبي من الكفار لكن حكمها عام في كل كافر مات على كفره (قوله فلا تنهوا) الفاء فصيحة وقعت في جواب شرط مقدر : أي إذا تبين لكم بالأدلة القطعية عز الإسلام وذل الكفر في الدنيا والآخرة فلا تنهوا (قوله بفتح السين وكسرها) أي فهما قراءتان سبعيتان هذه الآية قيل ناسخة لآية - وإن جنحوا للسلم فاجنح لها - لأن الله منع من الميل إلى الصلح إذالم يكن بالمسلمين حاجة إليه وقيل إنها نزلت في وقتين مختلفين فيجوز الصلح عند الضرورة والاحتياج إليه ولا يجوز عند القدرة والاستعداد فهذه الآية محصنة للآية المتقدمة (قوله وأنتم الأعلون) الجملة حالية ، وكذا قوله والله معكم (قوله لام الفعل) أي وأصله الأعلون بواوين الأولى لام الفعل والثانية واو الجمع تحركت الواو الأولى وانفتح ما قبلها قلبت ألما فالتقى سا كنان فحذفت الألف (قوله بالهون والنصر) أي فالمراد معية معنوية (قوله ينقصكم) أي أو يفردكم عنها لأن الترة نطاق بالمعنيين يقال وتره حقه وتره وترانقصه وأوتر أرضه بمعنى أفرده (قوله إنما الحياة الدنيا لعب ولهو) (٨٩)

فيه منفعة في الحال ولا في المال ، واللهو ما يشغل الإنسان عن مهمات نفسه (قوله ولا يسألكم أموالكم) أي لا يأمركم باخراج جميع أموالكم في الزكاة بل يأمركم باخراج بعضها (قوله فيحفضكم) عطف على الشرط وتبخلوا جوابه (قوله يباليغ في طلبها) أي حتى يستأصلها (قوله ويخرج أضعافكم لدين

طريقه وهو الهدى) ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم) نزلت في أصحاب القليب (لا تنهوا) تضعفوا (وتدعوا إلى السلم) بفتح السين وكسرها أي الصلح مع الكفار إذا لقيتموهم (وأنتم الأعلون) حذف منه واو لام الفعل : الأغلبون القاهرون (وألله معكم) بالعون والنصر (وإن يتركم) ينقصكم (أعمالكم) أي ثوابها (إنما الآيات الدنيا) أي الاشتغال فيها (لعب ولهو) وإن تؤمنوا وتتقوا) الله وذلك من أمور الآخرة (يؤتيكم أجوركم) ولا يستبدلكم أموالكم) جميعها بل الزكاة المفروضة فيها (إن يئسكم) يباليغ في طلبها (تبخلوا ويخرج) البخل (أضعافكم) لدين الإسلام (ها أنتم) يا هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله ما فرض عليكم (فئسكم) من يبخل ومن يبخل فائساً يبخل عن نفسه يقال بخل عليه وعنه (وألله الغني) عن تقصيركم (وأنتم الفقراء) إليه (وإن تتولوا) عن طاعته (يستبدل قومًا غيركم) أي يجعلهم بدلكم (ثم لا يكونوا أمثالكم) في التولي عن طاعته بل مطيعين له عز وجل .

لإسلام) أي أحقادكم وبفضلكم لدين الإسلام وذلك لأن الإنسان جبل على محبة الأموال ومن نوزع في حبيبه ظهرت سرائره فمن رحمته على عباده عدم التشديد عليهم في التكاليف (قوله ها أنتم) ها للتنبيه وأتم مبتدأ وهؤلاء منادى وحرف النداء محذوف فقره المفسر وتدعون خبره وجملة النداء معترضة بين المبتدأ والخبر (قوله فئسكم من يبخل) أي ومنكم من يجود وحذف هذا المقابل لأن المراد الاستدلال على البخل (قوله يقال بخل عليه وعنه) أي فيتعدي بعلى إذا ضمن معنى شح وبعن إذا ضمن معنى أمسك (قوله وأنتم الفقراء إليه) أي في جميع الأحوال (قوله وإن تتولوا) إما خطاب للصحابة والمقصود منه التخويف لأنه لم يصل أحد من بعدهم لرتبتهم والشرطية لا تقتضي الوقوع أو خطاب للمناقين والتبديل حاصل بالفعل ، واختلف في القوم المستبدلين فروى عن أبي هريرة قال « تلا رسول الله هذه الآية - وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم قالوا ومن يستبدل بنا - وكان سلمان جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم غداً ، فقال هذا وأصحابه ، والذي نفس محمد بيده لو كان الإيمان منوطاً بالثريا لتناولوه رجل من فارس ، وقيل هم العجم ، وقيل هم فارس والروم ، وقيل الأنصار ، وقيل الملائكة ، وقيل التابعون ، وقيل من شاء من سائر الناس ، ورد أنه لما نزلت هذه الآية فرح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : هي أحب إلي من الدنيا .

[سورة الفتح] سبب نزولها «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج في السنة السادسة بألف وأربعمائة من أصحابه قاصدين مكة للاعتار ، فأحرموا بالعمرة من ذي الحليفة وساق صلى الله عليه وسلم سبعين بدنة هديا للحرم وساق القوم سبعمائة ، فأصلوا للحديبية وهي قرية بينها وبين مكة مرحلة أرسل عثمان إلى مكة ليخبر أهلها بأن رسول الله يريد زيارة بيت الله الحرام ولم يكن قاصدا حربا ، فلما ذهب عثمان حبسوه عندهم ، فأشاع إبليس في الصحابة أن عثمان قتل ، فبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه على أنهم يدخلون مكة حربا ، فلما بلغ المشركين ذلك أخذهم الرعب وأطلقوا عثمان وطلبوا الصلح من رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يأتي في العام القابل ويدخلها ويقم فيها ثلاثة أيام ، فتحلل هو وأصحابه هناك بالحلة ، وذبح ما ساقوا من الهدى ، ثم رجعوا يعلوهم الحزن والكآبة ، فأراد الله تسليتهم وإذهاب الحزن عنهم فأنزل الله عليه وهو سائر ليل في رجوعه وهو بكرع الغميم وهو واد أمام عسفان بين مكة والمدينة : إنا فتحنا لك فتحا مبينا إلى آخر السورة ، فقال صلى الله عليه وسلم : لقد أنزلت على الليلة سورة هي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس ، ثم قرأ - إنا فتحنا لك فتحا مبينا - فقال المسلمون : هنيئا صريثا لك يا رسول الله لقد بين الله لك ما يفعل بك فماذا يفعل بنا ؟ فنزلت عليه - ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار - حق بلغ فوزا عظيما (قوله مدنية) أي لكونها نزلت بعد الهجرة (قوله إنا فتحنا لك الح الفتح هو الظفر بالبلاد عنوة أو صلحا فشبه الظفر بالبلاد بفتح الباب المغلق بجامع التحكم في كل واستعير اسم المشبه به للشبه واشتق من الفتح فتحنا بمعنى ظفرا : أي مكناك من البلاد وحذف العمول ليؤذن بالعموم ، وأسند إلى نون العظمة اعتناء بشأن الفتح وإشارة إلى أن هذا الأمر لا يتيسر إلا بإرادة الله وتوفيقه (قوله قضينا بفتح مكة وغيرها) أي تكهنا

(سورة الفتح)

مدنية ، تسع وعشرون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . إنا فتحنا لك) قضينا بفتح مكة وغيرها المستقبل في عنوة بجهادك (فتحنا مبينا) بينا ظاهرا (ليعفر لك الله) بجهادك (ما تقدم من ذنبك وما تأخر) منه لترغب أمتك في الجهاد ، وهو مؤول لمصحة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالدليل العقلي القاطع ،

وحنين والطائف ونحوها وهو جواب عما يقال إن الآية نزلت في رجوعه من الحديبية عام ست ومكة لم تفتح إلا في السنة الثامنة فكيف عبر بالماضي فأجاب بأن التعبير بالماضي بالنسبة للقضاء الأزلي ، والعق حكما لك في الأزلي

بالفتح البين وحينئذ فالتعبير بالماضي حقيقة . وأجيب أيضا بأن التعبير بالماضي مجازا تحقق الوقوع نظير ونفخ في الصور . وأجيب أيضا بأن الفتح على حقيقته وأن المراد به صلح الحديبية لأنه أصاب فيه ما لم يصب في غيره . قال الزهري : لقد كان فتح الحديبية أعظم الفتوح وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم جاء إليها في ألف وأربعمائة ، فلما وقع الصلح مشى الناس بعضهم على بعض وعللوا وسمعوا عن الله ، فما أراد أحد الإسلام إلا تمكن منه فما مضت تلك السنتان إلا والمسلمون قد جاءوا إلى مكة في عشرة آلاف . وقال الشعبي في قوله - إنا فتحنا لك فتحا مبينا - هو فتح الحديبية لقد أصاب فيها ما لم يصب في غزوة غيرها غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر وبويع بيعة الرضوان وأطعموا نخل خيبر وبلغ الهدى محله وظهرت الروم على فارس وفرحت المؤمنون بظهور أهل الكتاب على المجوس اه (قوله عنوة) هذا مذهب مالك وأبي حنيفة نظرا لكون النبي وأصحابه دخلوها قهرا ووقوع القتل من بعض الصحابة ككلا بن الوليد وأصحابه في جهة أسفلها ومذهب الشافعي أنها فتحت صلحا نظرا للظاهر وهو عدم حصول القتال من النبي وتأمينه بأباسفيان وهذا الخلاف يكاد أن يكون لفظيا (قوله بجهادك) متعلق بقوله بفتح مكة وهو جواب عما يقال إن الفتح ناشئ من الله والمنفرة تكون للشخص فكيف تترتب عليه وإنما الشأن أن تترتب على ما يكون من الشخص . فأجاب بأن الفتح وإن كان من الله لكنه تترتب على فعل النبي وهو الجهاد فصح أن يترتب على الفتح المغفرة بهذا الاعتبار (قوله لترغب أمتك) علة لترتب الغفران على الفتح (قوله وهو مؤول) أي إن إسناد الأدب له صلى الله عليه وسلم مؤول إما بأن المراد ذنوب أمتك أو هو من باب حسنات الأبرار سيئات المقرين أو بأن المراد بالغفران الاحالة بينه وبين الذنوب فلا تصدر منه لأن الغفر هو الستر ، والستر

أما بين العبد والذنوب أو بين الذنب وعذابه فاللائق بالأنبياء الأول وبالأئم الثاني . إن قات إن عصمة النبي عليه الصلاة والسلام من الذنوب ماحولة بالفعل قبل النبوة وبعدها فكيف تكون مرتبة على جهاده . أجيب بأن المرتب إظهارها للخلق لاهي نفسها (قوله من الذنوب) أي صغيرها وكبيرها وعمدها ومهوها قبل النبوة وبعدها (قوله للعلة الغائية) أي وهي المترتبة على آخر الفعل وليست علة باعثة لاستحالة الأغراض على الله تعالى في الأفعال والأحكام (قوله لاسبب) أي لأن السبب ما يضاف إليه الحكم كالزوال لوجوب الظهور والمغفرة ليست كذلك (قوله بالفتح المذكور) أي وهو فتح مكة وغيرها بجهادك (قوله يثبلك عليه) أي يديك ويقويك عليه أو المراد يزيدك في الهداية باتباع الشريعة وأحكام الدين (قوله ذا عز) جواب عما يقال إن العزيز وصف للنصور لا للنصر وتوضح جوابه أن فعلا صيغة نسبة : أي نصرا منسوباً للعز (قوله لا ذل معه) أي لا في الدنيا ولا في الآخرة وأما مطلق نصر فيكون حتى لبعض الكفار في الدنيا (قوله في قلوب المؤمنين) أي وهم أهل الحديبية حين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على مناجزة الحرب مع أهل مكة بعد أن حصل لهم ماشأته أن يزجج النفوس ويزيغ القلوب من صد الكفار ورجوع الصحابة دون بلوغ مقصود فلم يرجع منهم أحد عن الإيمان بعد أن هاج الناس وزلزلوا حتى عمر بن الخطاب لما روى أنه قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت ألسنت نبي الله حقا ؟ قال بلى ، قلت ألسنتا على الحق وعدونا على الباطل ، قال بلى ، قلت فلم تعطى الدنية في ديننا إذا ؟ قال إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري ، قلت أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنتطوف به ؟ قال بلى أنا أخبرتك أنا تأتيه العام ؟ قلت لا ، قال فانك (٩١) آتية ونطوف به ، قال فأتيت

أبا بكر ، فقات يا أبا بكر ليس هذانبي الله حقا ؟ قال بلى فقات ألسنتا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال بلى ، فقلت فلم تعطى الدنية في ديننا إذا قال أيها الرجل إني رسول الله وليس بعصى ربه وهو ناصره فاستمسك بأمره ولا تخالفه فوالله إنه على الحق ، قلت أوليس كان يحدثنا أنا سنأتي

من الذنوب ، واللام للعلة الغائية فدخلها مسبب لاسبب (وَيُتِمُّ) بالفتح المذكور (نِعْمَتُهُ) إنعامه (عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ) به (صِرَاطًا) طريقاً (مُسْتَقِيمًا) يثبتك عليه وهو دين الإسلام (وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ) به (نَصْرًا عَزِيزًا) ذا من لا ذل معه (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ) الطمانينة (فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ) بشرائع الدين كلها واحدة منها آمنوا بها منها الجهاد (وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) فلو أراد نصر دينه بغيركم لفعّل (وَكَانَ اللَّهُ عَالِمًا) بمخلقه (حَكِيمًا) في صنعه : أي لم يزل متصفاً بذلك (لِيُدْخَلَ) متعلق بمحذوف : أي أصراً بالجهاد (الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ نَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ سُبُحَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَرِزًا عَظِيمًا وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ

البيت فتطوف به ؟ قال بلى فأخبرك أنا تأتيه العام ، قلت لا ، قل فانك آتية فتطوف به . قال العلماء لم يكن سؤال عمر شكا بل طلبا لكشف ما خفي عليه وحشا على إذلال الكفار وظهور الإسلام كما هو معروف من شدته وصلابته في الدين ، وأما جواب أبي بكر المطابق لجواب النبي صلى الله عليه وسلم فهو من الدلائل الظاهرة على عظيم فضله وبارع علمه وزيادة عرفانه ورسوخه رضي الله عنهما وعنايهما (قوله بشرائع الدين) متعلق بإيماننا وقوله مع إيمانهم متعلق بمحذوف أي بالله ورسوله (قوله ولله جنود السموات والأرض) اختاف في أراد بجنود السموات والأرض فقليل هم ملائكة السموات والأرض ، وقيل إن جنود السموات الملائكة وجنود الأرض الحيوانات ، وقيل إن جنود السموات مثل الصواعق والصيحة والحجارة وجنود الأرض مثل الزلازل والحسف والفرق ونحو ذلك وكل صحيح (قوله لفعّل) أي لكده لم يفعل بل أنزل السكينة على المؤمنين ليكون إهلاك الأعداء بأيديهم ليحصل لهم الشرف والعز الدنيا وأخرى (قوله متعلق بمحذوف) أي لا بفتحنا أي لئلا يلزم عليه عمل الفعل في حرفي جر متجدي اللفظ والمعنى من غير عطف ولا بدل ولا تأكيد (نوله و بكفر عنهم سيئاتهم) أي يمحوها وهو معطوف على قوله لا يدخل المؤمنين الخ عطف سبب على مسبب فدخل الجنة . سبب أن تكفير السيئات وقدم الإدخال في الذكر على التكفير مسارعة إلى بيان ما هو المطلب الأعلى (قوله وكان ذلك) أي المذهب المذكور من الإدخال والتكفير (قوله عند الله) حال من فوزا لأنه صفة له في الأصل فلما قدم عليه صار حالا : أي كأننا عند الله : أي في علمه وقضائه (قوله ويعذب المنافقين) قدمهم على المشركين لأنهم أشد ضررا من الكفار التجاهرين ، ذلك لأن المؤمنين كان يتوقى المجاهر ويخالط المنافق لظنه إيمانه .

(قوله ظن السوء) إما من إضافة الموصوف لصفته على مذهب الكوفيين أو أن السوء صفة لموصوف محذوف أى ظن الام
السوء محذوف المضف إليه وأقيمت صفته مقامه (قوله بفتح السين وضمها) أى فالفتح الدم والضم العذاب والهزيمة والش
(قوله فى الواضع الثلاثة) أى هذين والثالث قوله فيما يأتى وظننتهم ظن السوء وهو سبق قلم ، والصواب أن يقول فى الموضع
الثانى ، وأما الأول والثالث فليس فيهما إلا الفتح باتفاق السبعة (قوله عليهم دائرة السوء) إما إخبار عن وقوعه بهم أو د
عليهم كأن الله يقول سلونى بقولكم عليهم دائرة السوء ، والدائرة عبارة عن الخط المحيط بالمركز ثم استعملت فى الحادثة المحيط
بمن وقعت عليه ، والجمع الاحاطة فى كل (قوله وغضب الله عليهم) عطف على قوله عليهم دائرة السوء (قوله والله جنود
السموات والأرض الخ) ذكر هذه الآية أولا فى معرض الخلق والتدبير فذيلها بقوله : عالم حكيم ، وذكرها ثانيا فى معرض
الانتقام فذيلها بقوله : عزيزا حكيم فلا تكرر (قوله أى لم يزل الخ) أشار بذلك إلى أن كان فى أوصاف الله معناها الاستمر
(قوله إنا أرسلناك الخ) امتنان منه تعالى عليه صلى الله عليه وسلم حيث شرفه بالرسالة وبعثه إلى كافة الخلق شاهدا على
أعمال أمته (قوله شاهدا على أمك) أى بالطاعة والعصيان (قوله ليؤمنوا بالله) متعلق بأرسلناك (قوله بالياء والتاء) أى
فهما قراءتان سبعيتان (قوله (٩٢) وقرى) أى شذوذا (قوله وضميرها لله الخ) أى فهما احتمالان : أى ف

وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنُّ السُّوءِ) بفتح السين وضمها فى المواضع
الثلاثة ظنوا أنه لا ينصر محمداً صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (عَلَيْهِمُ دَائِرَةُ السُّوءِ) بالذ
والعذاب (وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ) أبعدهم (وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا
أى مرجعاً) وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا) فى ملكه (حَكِيمًا) ف
صنعه : أى لم يزل متصفاً بذلك (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا) على أممتك فى القيامة (وَمُبَشِّرًا) ل
فى الدنيا بالجنة (وَنَذِيرًا) منذراً مخوفاً فيها من عمل سوءا بالنار (لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
بِالْيَأِ وَالتَّاءِ فيه وفى الثلاثة بعده (وَيُعْزِرُوهُ) ينصروه وقرى : بزيين مع الفوقانية (وَيُؤَقِّرُوهُ)
يعظموه وضميرها لله أو لرسوله (وَيَسَبِّحُوهُ) أى الله (بُكْرَةً وَأَصِيلًا) بالغداة والشى (إِنْ
الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ) بيعة الرضوان بالحديبية (إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ) هو نحو : من يطع الرسول
فقد أطاع الله (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) التى بايعوا بها النبى ، أى هو تعالى مطلع على مبايعتهم
فيجازيهم عليها (فَمَنْ نَكَثَ) نقض البيعة (فَإِنَّمَا يَنْكُثُ) :

أردت الجرى على وتيرة
واحدة جعلها كأنها عائدة
على الله تعالى وأما قوله
ونسبحوه فهو عائد على
الله قولاً واحداً ويؤخذ
من هذه الآية أن من
اقتصر على تعظيم الله وحده
أو على تعظيم الرسول
وحده فليس يؤمن بل
المؤمن من جمع بين تعظيم
الله تعالى وتعظيم رسوله
ولكن التعظيم فى كل
بحسبه فتعظيم الله تنزيهه
عن صفات الحوادث
ووصفه بالكلمات وتعظيم

رسوله اعتقاد أنه رسول الله حقاً وصدقاً لكافة الخلق بشيراً ونذيراً إلى غير ذلك من أوصافه
السنية وشمائله الرضية (قوله إن الذين يبايعونك الخ) لما ذكر سبحانه وتعالى أنه أرسله بشيراً ونذيراً بين أن متابعته متابعة
وطاعته طاعة له وذلك يشعر بمقامه منزله وقدره عند ربه ، والبيعة فى الأصل العقد الذى يعقده الانسان على نفسه من بذل
الطاعة للامام والوفاء بالعهد الذى التزمه له ، والمراد بها هنا بيعة الرضوان بالحديبية ، وهى قرية ليست كبيرة بينها وبين مكة
أقل من مرحلة أو مرحلة سميت ببر هناك . واختلف فيها فقليل من الحرم وقيل بعضها من الحل ويجوز فيها التخفيف والتشديد
(قوله إن الذين يبايعون الله) اعلم أن فى هذا المقام استعارة تصريحية تبعية ومكنية وتخيلية ومشاكلية فالتبعية فى الفعل وهو يبايعون
وذلك لأن المبايعة معناها مبادلة المال بالمال فشبّه المعاهدة على دفع النفس فى سبيل الله طلباً لمرضاة الله بدفع السلع فى نظم
الأموال واستعبر اسم المشبه به للمشبه واشتق من البيع يبايعون بمعنى يعاهدون على دفع أنفسهم فى سبيل الله ، والمكنية فى لفظ
الجلالة ، وذلك لأن المتعاهدين إذا كان هناك ثالث يضع يده فوق يديهما ليحفظهما شبه اطلاق الله ومجازاته على فعلهم بذلك
وضع يده على يد أميره ورعيته وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشىء من لوازمه وهو اليد فثبتها تخييل ، والمشاكلية لذكر
الأيدى بعده (قوله هو نحو من يطع الرسول الخ) أى من حيث إنه فى المعنى يرجع له وفيه إشارة إلى أنه تعالى منزّه عن الحوار

(قوله رجع وبال نقضه) أشار بذلك إلى أن في الكلام حذف مضافين (قوله بالياء والنون) أي وهما قراءتان سبعيتان (قوله أجرا عظيما) أي وهو الجنة وهذه الآية وإن كان سبب نزولها بيعة الرضوان إلا أن العبرة بعموم اللفظ فيشمل مبايعة الامام على الطاعة والوفاء بالعهد ومبايعة الشيخ العارف على محبة الله ورسوله والتزام شروطه وآدابه ومن هنا استعمل مشايخ الصوفية هذه الآية عند أخذ العهد على المرید (قوله سيقول لك المخلفون الخ) أي وهم غفار ومزينة وجهينة وأشجع ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد السير إلى مكة عام الحديبية معتمرا طلب من الأعراب وأهل البوادي حول المدينة أن يخرجوا معه حذرا من قريش أن يتعرضوا له بحرب ويصدوه عن البيت فأحرم بالعمرة وساق الهدى ليعلم الناس أنه لا يريد حربا فتناقل عنه كثير من الأعراب وتخلفوا عنه وقالوا يذهب إلى قوم قد غزوه في عقر داره بالمدينة وقتلوا أصحابه (قوله حول المدينة) حال من الأعراب أو صفة لهم (قوله إذا رجعت منها) ظرف ليقول (قوله وأهلونا) أي النساء والصبيان فإنا لو تركناهم لضاعوا لأنه لم يكن لنا من يقوم بهم وأنت قد نهيت عن ضياع المال (٩٣) والتفرط في العيال (قوله فهم كاذبون في اعتذارهم) أي وطلب الاستغفار (قوله قل فمن يملك لكم الخ) أي فمن يمنعكم من مشيئته وقضائه (قوله إن أراد بكم ضرا) أي كقتل وهزيمة ونحوها (قوله بفتح الضاد وضمها) أي فهم قراءتان سبعيتان (قوله بل كان الله بما تعملون خيرا) ترقى في الرد عليهم (قوله للانتقال من موضعين إلى آخر) ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهلهم أبدا وزيّن ذلك في قلوبكم أي أنهم يستأصلون بالقتل فلا يرجعون ، (وذا ظننتم ظن السوء) هذا وغيره (وكنتم قوما بورا) جمع بائر: أي هالكين عند الله بهذا الظن (ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإننا أعدنا للكافرين سعييرا) نارا شديدة (ولله ملك السموات والأرض يغفر لمن يشاء ويمدب من يشاء وكان الله غفورا رحيما) أي لم يزل متصفا بما ذكر (سيقول المخلفون) المذكورون (إذا انطلقتم إلى مقامكم) ،

يرجع وبال نقضه (قوله نفسيه ومن أو في بما عاهد عليه الله فسيؤتيه) بالياء والنون (أجرا عظيما . سيقول لك المخلفون من الأعراب) حول المدينة : أي الذين خلفهم الله عن صحبتك لما طلبتهم ليخرجوا معك إلى مكة خوفا من تعرض قريش لك عام الحديبية إذا رجعت منها (شفكتنا أموالنا وأهلونا) عن الخروج معك (فاستغفر لنا) الله من ترك الخروج معك قال تعالى مكذبا لهم (يقولون بأسمائهم) أي من طلب الاستغفار وما قبله (ماليس في قلوبهم) فهم كاذبون في اعتذارهم (قل فمن استفهام بمعنى النفي أي لا أحد (يملك لكم من الله شيئا إن أراد بكم ضرا) بفتح الضاد وضمها (أو أراد بكم نفعاً بل كان الله بما تعملون خيرا) أي لم يزل متصفاً بذلك (بل) في الموضعين للانتقال من غرض إلى آخر (ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهلهم أبدا وزيّن ذلك في قلوبكم) أي أنهم يستأصلون بالقتل فلا يرجعون ، (وذا ظننتم ظن السوء) هذا وغيره (وكنتم قوما بورا) جمع بائر: أي هالكين عند الله بهذا الظن (ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإننا أعدنا للكافرين سعييرا) نارا شديدة (ولله ملك السموات والأرض يغفر لمن يشاء ويمدب من يشاء وكان الله غفورا رحيما) أي لم يزل متصفاً بما ذكر (سيقول المخلفون) المذكورون (إذا انطلقتم إلى مقامكم) ،

سبيل الترقى في الرد عليهم (قوله بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول) أي لا يرجع إلى المدينة وسبب ظنهم ذلك اعتقادهم عظمة للشركين وحقارة المؤمنين حتى قالوا ما هم في قريش إلا أكلة رجل (قوله جمع بائر) أي كحائل وحول وقيل البور مصدر بمعنى الهلاك (قوله ومن لم يؤمن بالله ورسوله) لما بين حال المتخلفين عن رسول الله وبين حال ظنهم الفاسد وأنه يفضي بصاحبه إلى الكفر حرضهم على الإيمان والتوبة على سبيل العموم ومن إما شرطية أو موصولة والاسم الظاهر قائم مقام العائد وقوله فإنا أعدنا للكافرين سعييرا دليل الجواب أو الخبر (قوله نارا شديدة) أي فالمراد جميع طبقات النار لا الطبقة المسماة بذلك (قوله ولله ملك السموات والأرض) أي يتصرف فيهما كيف يشاء (قوله يغفر لمن يشاء) هذا قطع لظنهم في استغفاره صلى الله عليه وسلم لهم كأن الله يقول لهم لا يستحق أحد عندي شيئا وإنما أغفر لمن أريد وأعذب من أريد ، وقد سبقت حكمتي أن الغفرة للمؤمنين والتعذيب للكافرين فلا تنطمعوا في المغفرة مادمت كفارا (قوله سيقول المخلفون الخ) هذا من جملة الأخبار عما يحصل منهم (قوله إذا انطلقتم) ظرف لما قبله ، والمعنى يقولون عند انطلاكم الخ .

(قوله هي مغنم خير) أي وذلك أن المؤمنين لما انصرفوا من الحديبية على صلح من غير قتال ولم يصيبوا من المغنم شيئاً وعدهم الله عز وجل فتح خير وجعل مغنمها لمن شهد الحديبية خاصة عوضاً عن غنائم أهل مكة حيث انصرفوا عنهم ولم يصيب منهم شيئاً وكان المتولى للقسمة بخير جبار بن صخر الأنصاري من بني سلمة وزيد بن حارثة من بني النجار كانا حاسبين قاسمين وأمر صلى الله عليه وسلم بالقسم لمن حضر من أهل الحديبية ومن غاب ولم يغب منهم عنها غير جابر بن عبد الله فقسم له صلى الله عليه وسلم كسبهم من حضر (قوله ذرونا) أي دعونا وهذا الفعل هجر مصدره وماضيه واسم فاعله استغناء بمادة ترك وأصل مادته وذريذر وهو واذر والأمر منه ذر وهذه الجملة مقول القول (قوله يريدون) إمامستانف أو حال من المخلفون (قوله أن يبدلوا كلام الله) أي يغيروا وعد الله الذي وعد أهل الحديبية به من جعل غنائم خير لهم عوضاً عن فتح مكة في ذلك العام (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعة أيضاً (قوله قل لن تتبعونا) نفي في معنى النهي للبالغة (قوله كذلككم) أي مثل هذا القول وهو لن تتبعونا (قوله قال الله) أي حكم بأن غنيمة خير لمن شهد الحديبية ليس لغيرهم فيها نصيب (قوله فسيتولون) أي عند سماعهم النهي (قوله بل تحسدوننا) أي فليس هذا النهي حكماً من الله تعالى بل هو حسد منكم لنا على مشاركتكم في الغنائم (قوله (٩٤) من الدين) أشر بذلك إلى أن الاضراب الأول معناه رد منهم أن يكون حكم الله أن لا يتبعوهم وإثبات الحسد والثاني إضراب عن وصفهم بإضافة الحسد إلى المؤمنين إلى وصفهم بما هو أهم وهو الجهل وقلة الفهم (قوله قل للمخلفين) كرر وصفهم بهذا الاسم إشعاراً بشناعتهم ومبالغة في ذمهم (قوله قبلهم بنو حنيفة) أي وهم جماعة مسيئة الكذاب والداعي للمخلفين على قتالهم حينئذ أبو بكر بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم (قوله أصحاب

هي مغنم خير (اتأخذوها ذرونا) اتركونا (تتبعكم) لتأخذ منها (يريدون) بذلك (أن يبدلوا كلام الله) وفي قراءة كلم الله بكسر اللام أي مواعيده بغنائم خير أهل الحديبية خاصة (قل أن تتبعونا كذاكم قال الله من قبل) أي قبل عودنا (فسيتولون بل تحسدوننا) أن نصيب معكم من الغنائم فقلتم ذلك (بل كانوا لا يفقهون) من الدين (إلا قليلاً) منهم (قل للمخلفين من الأعراب) المذكورين اختصاراً (سيتولون إلى قوم أولي) أصحاب (بأس شديد) قيل هم بنو حنيفة أصحاب اليمامة، وقيل فارس والروم (تقاتلونهم) حال مقدرة هي المدعو إليها في المعنى (أو) هم (يسلمون) فلا تقاتلون (فإن تطيعوا) إلى قتالهم (يؤتيكم الله أجراً حسناً وإن تقولوا كما قوليتهم من قبل يعذبكم عذاباً أليماً) مؤلماً (ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج) في ترك الجهاد (ومن يطع الله ورسوله يدخله) بالياء والنون (جنت تجري من تحتها الأنهار ومن يتول بعذته) ،

حكم الله أن لا يتبعوهم وإثبات الحسد والثاني إضراب عن وصفهم بإضافة الحسد إلى المؤمنين إلى وصفهم بما هو أهم وهو الجهل وقلة الفهم (قوله قل للمخلفين) كرر وصفهم بهذا الاسم إشعاراً بشناعتهم ومبالغة في ذمهم (قوله قبلهم بنو حنيفة) أي وهم جماعة مسيئة الكذاب والداعي للمخلفين على قتالهم حينئذ أبو بكر بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم (قوله أصحاب

اليمامة) اسم لبلاد في اليمن ولامرأة كانت بها ويقال لها زرقاء كانت

بالياء

تبصر الركب من مسيرة ثلاثة أيام (قوله وقيل فارس والروم) أي والداعي لهم عمر بن الخطاب وقيل إن ذلك في هوازن وغطفان يوم حنين والداعي لهم رسول الله . إن قلت إن الله تعالى أمر رسوله أن لا يدعو المخلفين إلى الجهاد في قوله فقل لن تخرجوا أي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا حينئذ فيبعد أن ذلك في غزوة حنين والداعي لهم رسول الله . وأجيب بأنه لا بعد إذ قوله إن تخرجوا معي أبدا الخ إنما نزلت بعد الفتح في غزوة تبوك فتحصل أن الأقوال ثلاثة وكل صحيح (قوله أو هم يسلمون) أشار بذلك إلى أن الجملة مستأنفة وليست أو بمعنى إلى أو إلا ولا لنصب الفعل بحذف النون ومعنى يسلمون ينقادون ولو بعقد الجزية فإن الروم هاري وفارس مجوس وكل منهم حائر بالجزية وأما بالنسبة لبني حنيفة فعنه يسلمون بالفعل لأنهم كانوا مرتدين والمراد لا يقر بالجزية بل إما السيف أو الاسلام (قوله كما توليتهم من قبل) أي في الحديبية (قوله لبس على الأعمى حرج) نزلت لما قال أهل الزمان والعامة والآفة كيف بنا يا رسول الله حين سمعوا قوله تعالى وإن تتولوا الخ (قوله في ترك الجهاد) أي في التخلف عن الجهاد وهذه أعذار ظاهرة وذلك لأن الأعمى لا يمكنه الكر ولا الفر وكذلك الأعرج والمريض ومثل هذه الأعذار الفقر الذي لا يمكن صاحبه أن يقضى مصالحه وأشغاله التي تعوق عن الجهاد وكل هذا مالم يفجأ العدو وإلا وجب على كل بما يمكنه .

(قوله بالياء والنون) أى فهما قرأتان سبعيتان (قوله لقد رضى الله عن المؤمنين) أى فعل بهم فعل الراضى من الثواب والفتح
 المؤمنين وفى ذلك تلحج إلى أن الكافرين غير راض عنهم فلهم الخذلان فى الدنيا والآخرة . وكان سبب هذه البيعة على ما ذكره
 محمد بن إسحق عن أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خراش بن أمية الخزاعى حين نزل الحديبية فبعثه إلى قريش
 بمكة وحمله على جملته صلى الله عليه وسلم ليبلغ أشرفهم أنه صلى الله عليه وسلم جاء معتمرا ولم يحجى محاربا فعقروا جمل رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وأرادوا قتله فمنعهم الأخيash فأتوا سبيله فأتى رسول الله فأخبره فدعا رسول الله عمر بن الخطاب ليبعثه
 إلى مكة فقال يا رسول الله إني أخاف على نفسى قريشا وليس فى مكة من بنى عدى بن كعب أحد وقد سرفت قريش عداوتى
 ياها وغاظنى عليها ولكن أدلك على رجل هو أقربها منى لوجود عشيرته فيها وهو عثمان بن عفان فدعا رسول الله صلى الله
 عليه وسلم عثمان فبعثه إلى أبى سفيان وأشرف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب ، وإنما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمة
 كتب له كتابا بعهده معه وأمره أن يبشر المستضعفين بمكة بالفتح قريبا وأن الله سيظهر دينه فخرج عثمان وتوجه إلى مكة
 وجد قريشا قد اتفقوا على منعه صلى الله عليه وسلم من دخول مكة ولقيه أبان بن سعيد بن العاصى حين دخل مكة أو قبل
 أن يدخلها فنزل عن فرسه وحمله بين يديه ثم ردفه وأجازه حتى بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ عليهم الكتاب واحدا
 احدا فصمموا على أنه لا يدخلها هذا العام وقالوا لعثمان إن شئت أن تطوف بالبيت فطف به قال ما كنت لأفعل حتى يطوف
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان المسلمون قالوا هنيئاً لعثمان خاص (٩٥) إلى البيت وطاف به دوننا فقال

صلى الله عليه وسلم إن
 ظنى به أن لا يطوف حتى
 يطوف معناو بشر عثمان
 المستضعفين واحتبسسته
 قريش عندها فبلغ
 رسول الله والمسلمين أن
 عثمان قد قتل فقال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم
 لا نبرح حتى نتأجر القوم
 ودعا الناس إلى البيعة

الياء والنون (عذاباً أليماً . لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك) بالحديبية (تحت
 شجرة) هى سمرة وهم ألف وثلثمائة أو أكثر ثم بايعهم على أن يناجزوا قريشا وأن لا يفروا
 ن الموت (فعلم) الله (ما فى قلوبهم) من الصدق والوفاء (فأنزل السكينة علىهم
 آتاهم فتحاً قريباً) هو فتح خيبر بعد انصرافهم من الحديبية (ومغانم كثيرة يأخذونها)
 ن خيبر (وكان الله عزيزاً حكيماً) أى لم يزل متصفاً بذلك (وعدكم الله مغانم كثيرة
 أخذونها) من الفتوحات (فمجل لكم هذه) غنيمة خيبر (وكف أيدي الناس
 عنكم) فى عيالكم ،

كانت بيعة الرضوان تحت الشجرة ووضع النبي صلى الله عليه وسلم شماله فى يمينه وقال هذه عن عثمان وهذا يشعر بأن النبي
 علم بنور النبوة أن عثمان لم يقتل حتى بايع عنه . وفى الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما بايع الناس اللهم إن عثمان
 حاجتك وحاجة رسولاك فضرب باحدى يديه على الأخرى فكانت يده لعثمان خيرا من أيديهم لأنفسهم ولما سمع المشركون
 هذه البيعة خافوا وبعثوا بهثمان وجماعة من المسلمين وكانوا عشرة دخلوا مكة بأذنه صلى الله عليه وسلم (قوله إذ يبايعونك)
 ف ارضى وعبر بصيغة المضارع استحضارا لصورة المبايع (قوله تحت الشجرة) معمول ليبايعونك (قوله هى سمرة) بضم الميم
 شجر الطاح وهو الوز كما عاينه جمهور المفسرين فى قوله تعالى : وطاح منضود وهذه الشجرة قد أخفيت لئلا يحصل الاقتتان
 ، وروى أن عمر بلغه أن قوما يأتون الشجرة ويصلون عندها فتوعدهم ثم أمر بقطعها فقطعت (قوله أو أكثر) قيل
 بمائة وهو الصحيح وقيل خمسمائة (قوله على أن يناجزوا قريشا) أى يقاتلوهم (قوله فعلم ما فى قلوبهم) معطوف على يبايعونك
 له بعد انصرافهم من الحديبية) أى فى ذى الحجة فأقام صلى الله عليه وسلم بالمدينة بقيته وبعض الحرم ثم خرج إلى خيبر
 بقية الحرم سنة سبع (قوله ومغانم) معطوف على فتحا ويأخذونها صفة لمغانم أو حال منها (قوله وعدكم الله) الالتفات إلى
 خطاب لشريفتهم فى مقام الامتنان وهو لأهل الحديبية (قوله من الفتوحات) أى غير خيبر مما استقبلهم بعد كفتح مكة
 وازن و بلاد كسرى والروم (قوله غنيمة خيبر) مقتضى ما تقدم من أن السورة نزلت كلها فى رجوعه من الحديبية أن يكون
 به فمجل لكم هذه من التعبير بالماضى عن المستقبل لتحقق وقوعه ومن الاخبار بالغيب (قوله فى عيالكم) أى عن عيالكم
 نار والجور بدل من قوله عنكم والمراد بالناس أهل خيبر وحلفائهم من بنى أسد وغطفان .

(قوله لما خرجتم) أي للحديبية وقوله وهمت بهم اليهود أي يهود خيبر هموا بأخذ عيال النبي والصحابة من المدينة في غيبة
للحديبية وكان هو السبب في أخذ خيبر (قوله عطف على مقتر) هذا أحد قولين والآخر أنها زائدة وعليه فيكون تعليلا لقوله
(قوله آية للمؤمنين) أي أمانة يعرفون بها صدق الرسول صلى الله عليه وسلم في وعده إياهم عند الرجوع من الحديبية بذلك
(قوله أي طريق التوكل عليه) فسر الصراط المستقيم بما ذكر لأن الحاصل من الكف ليس إلا ذلك ولأن أصل الهدى حاصل
تنبيه - ملخص غزوة خيبر «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من الحديبية أقام بالمدينة بقية ذي الحجة و
المحرم ثم خرج إلى خيبر في بقية المحرم سنة سبع وكان إذا غزا قوما ينتظر الصباح فان سمع أذانا كف عنهم وإن لم يسمع
أغار عليهم ، فلما أصبح ولم يسمع أذانا ركب عليهم فخرجوا بمكاتلهم ومساخيرهم ، فلما رأوا النبي صلى الله عليه وسلم قالوا
والجيش أي الجيش ، فلما رأهم النبي صلى الله عليه وسلم قال : الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء
النذرین . وعن سلمة بن الأكوع قال «خرجنا إلى خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل عمى عامر يرتجز بالقول
تالله لولا الله ما هتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

ونحن عن فضلك ما استغفينا فثبت الأقدام إن لاقينا وأنزلان سكينتنا علينا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا ؟ قال أنا عامر قال غفر لك ربك قال وما استغفر رسول الله صلى الله عليه وسلم لا
يخصه إلا استشهد قال فنادى عمر بن الخطاب وهو على حمل له يابني الله لولا متعتنا بعامر قال فلما قدمنا خيبر قدم ملكهم
يخطر بسيفه يقول : قد علمت خيبر أتى مرحب شاكي السلاح بطل مجرب إذا الحروب أقبلت تلتهب
قال وبرز له عمى عامر قال : (٩٦) قد علمت خيبر أتى عامر شاكي السلاح بطل مغامر

قال فاختلفا بضربتيهما
فوقع سيف مرحب في
رس عامر وذهب عامر
يسفل له فرجع سيفه على
نفسه فقطع أكله فكانت
فيها نفسه رضي الله عنه

لما خرجتم وهمت بهم اليهود فقذف الله في قلوبهم الرعب (وَلِتَكُونَ) أي اله
عطف على مقدر أي لتشكروه (آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ) في نصرهم (وَهَدَيْكُمْ صِرَاطًا
مُسْتَقِيمًا) أي طريق التوكل عليه وتقويض الأمر إليه تعالى (وَأُخْرَى) صفة
مقدراً ،

قال سلمة فخرجت فاذا نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقولون بطل عمل عامر قتل نفسه
فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي فقلت يا رسول الله بطل عمل عمى عامر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ذلك قات ناس من أصحابك قال كذب من قال ذلك بل له أجره مرتين ، ثم أرسلني إلى علي وهو أرمد فقال لأبي
الراية رجلا يحب الله ورسوله أو يحبه الله ورسوله قال فأتيت عليا فجثت به أقوده وهو أرمد حتى أتيت به رسول الله صلى
عليه وسلم فبصق في عينيه فبرأ وأعطاء الراية وخرج مرحب فقال :

قد علمت خيبر أتى مرحب شاكي السلاح بطل مجرب إذا الحروب أقبلت تلتهب
فقال علي رضي الله عنه :

أنا الذي ممتنى أمي حيدر كليت غابات كرية المنظره أوفهم بالصاع كيل السندره

قال فضرب مرحبا فقتله ثم كان الفتح على يده «أخرجه مسلم بهذا اللفظ وفي رواية أخرى» أنه خرج بعد مرحب أخوه ياصرو
يرتجز فخرج إليه الزبير بن العوام فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب أيقتل ابني يا رسول الله قال بل ابنك ية له إن شاء الله
التقيافقتله الزبير ثم لم يزل رسول الله يفتح الحصون ويقتل المقاتلة ويسبي الدرية ويحوز الأموال فجمع السبي فجاء دحية فقال يا رسول
الله أعطني جارية من السبي قال اذهب اخذ جارية فأخذ صفية بنت حيي فجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول
الله أعطيت دحية صفية بنت حيي سيدة قرظة والنضير لانصلح إلا لك قال ادعوه فجاء بها فلما نظر إليها النبي صلى الله عليه وسلم
قال خذ جارية من السبي غيرها فأعتقها النبي صلى الله عليه وسلم وتزوجها ، فلما دخل بها رأى في عينيها أثر خضرة فسألها
سببها فقالت إني رأيت في المنام وأنا عروس بكثانته بن الربيع أن قرأ وقع في حجرى فتصمت رؤياي على زوجي فقال ما
إلا أنك تمنيت ملك الحجاز محمدا ثم لطم وجهي لطمه اخضرت منها عيني فلما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد إخراج اليهود

سألت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقرهم بها على أن يكفوا العمل ولهم نصف الثمر فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم نقركم بها على ذلك ما شئنا فقرأوا بها حتى أجلاهم عمر في إمارته إلى نجاء وأرجاء ، قال محمد بن إسحق لما سمع أهل ذلك بما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه أن يحقن دماءهم وأن يبرهم ويخلوا له الأموال ففعل بهم ثم سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعاملهم على النصف كأهل خيبر فعمل فكانت بين المسلمين وكانت فدية خاصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم لم يجابوا عليها بخيل ولا ركاب ، فلما اطمان رسول الله صلى الله عليه وسلم بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم اليهودية شاة مصلية ، يعني مشوية ، وسألت أي عضو من الشاة أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل لها الذراع فأكثر فيها السم وصمت سائر الشاة ثم جاءت بها فلما وضعتها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ فلاك منها قطعة فلم يسفها ومعه بشر بن البراء بن معرور فأخذ منها كما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بشر فأساعها : يعني ابتاعها ، وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلفظها ثم قال إن هذا العظم يخبرني أنه مسموم ثم دعا بها فاعترفت فقال حملك على ذلك ؟ فقالت بلغت من قومي ما لم يخف عليك فقلت إن كان ملكا استرحنا منه وإن كان نبيا فسيخبر فتجاوز بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات بشر على مرضه الذي توفي فيه فقال (٩٧) يأم بشر ما زالت أكلة خيبر

التي أكلت مع ابنك
نعادني فهذا أوان قطع
أهري فكان المسلمون
يروون أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم مات
شهيدا مع ما أكرمه الله
به من النبوة (قوله
مبتدأ) أي وخبره قوله
قد أحاط الله بها وقوله لم
تقدروا عليها صفة لغائم
المقدر وسوغ الابتداء
بالنكرة الوصف وهذا
أسهل الأعراب ولذا
اختاره المفسر (قوله هي

مبتدأ) (لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ) هي من فارس والروم (قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا) علم أنها ستكون لكم
وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا) أي لم يزل متصفا بذلك (وَأَوْ قَاتَلَكُمْ الَّذِينَ
كَفَرُوا) بالحديبية (لَوْلَا الْأَذْبَارُ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا) يجرهمهم (وَلَا نَصِيرًا . سُنَّةَ اللَّهِ)
صدر مؤكد لضمون الجملة قبله : من هزيمة الكافرين ونصر المؤمنين ، أي سن الله ذلك سنة
التي قَدْ خَاتَمَ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا) منه (وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ
مِنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ) بالحديبية (مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ)
إن ثمانين منهم طافوا بعسكركم ليصيبوا منكم فأخذوا وأتى بهم إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فمعا عنهم وخلي سبيلهم فكان ذلك سبب الصلح (وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرًا)
بالياء والتاء ، أي لم يزل متصفا بذلك (هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدَّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ)
ي عن الوصول إليه (وَالْهَذْي) معطوف على كم (مَكُوفًا) محبوسا حال (أَنْ يَبْتَغِ حِمْلَهُ)

س والروم) أي وباقي الأقطار (قوله قد أحاط الله بها) أي أعدها لكم في قضائه وقدره فهي محصورة لانفوتكم (قوله
لم يزل متصفا) أشار بذلك إلى أن المراد من كان الاستمرار (قوله ولوقاتكم الذين كفروا) أي وهم أهل مكة ومن
قتلهم وقد كانوا اجتمعوا وجمعوا الجيوش وقدموا خالد بن الوليد إلى كراع الغميم ولم يكن أسلم حينئذ لما شعر بهم خالد حتى
أهم بفترة الجيش أي بفبار أثرهم فانطاع ركض نذيرا لقريش (قوله لولوا الأدبار) أي مضوا منهزمين (قوله من
هزيمة الكافرين) من بيانية (قوله التي قد خات) أي مضت وقوله من قبل أي فيمن مضى من الأمم (قوله تبديلا منه)
من الله تعالى ، والمعنى أن الله لا يبدل ولا يغير سنته وطريقته من نصر المؤمنين وخذلان الكافرين (قوله بالحديبية)
بأن لبطن مكة ، والمراد بمكة الحرم والحديبية تقدم فيها الخلاف هل هي منه أو بعضها فعلى الأول التعبير بالبطن ظاهر
على الثاني فالمراد بالبطن الملاصق والمجاور (قوله من بعد أن أظفركم) أي أظفركم فتعديته بعلى ظاهرة (قوله فكان ذلك)
في المعو عنه وتخليه سبيلهم (قوله سبب الصلح) أي لعلمهم أن هذا الأمر لا يقع إلا من قادر على قتالهم غير مكترث بهم
قوله بالياء والتاء) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله معطوف على كم) أي الضمير المنصوب في صدوركم وهو أحسن الأعراب
قوله محبوسا) أي فاعكوف الاحتباس ومنه الاعتكاف لشهور وهو حس النفس على ما نكره مع ملازمة المسجد .

(قوله أي مكانه) أي المعبود وهو مني للحرم بالحج والروية للحرم بالعمرة وهو الأفضل وإلا فالحرم كله محل النحر (قوله بدل اشتال) أي من الهدى ، والمعنى صدوا بلوغ الهدى محله ويصح أن يكون على إسقاط الخافض أي عن أن يبلغ الهدى محل الجار والمجرور إما متعاقب بصدوكم أو بمعكوف (قوله موجودون) هو خبر المبتدأ (قوله بدل اشتال من هم) أي والمعنى لم تعلموا وطأهم ويصح أن يكون بدلا من رجال ونساء ، والمعنى ولولا وطأ رجال ونساء (قوله إنهم) أي مكروهه كالتأسف عليهم أو الرأى بالإثم حقيقة بسبب ترك التحفظ (قوله بغير علم منكم به) أي بالقتل (قوله وجواب لولا محذوف) أي والمعنى لولا كراه أن تهاكوا ناسا ، ومنيين بين أظهر الكفار حال كونكم جاهلين بهم فيصيبكم بأهلا كههم مكروه لما كفت أيديكم عنهم (قوله حينئذ) أي عام الحديبية (قوله ليدخل الله الخ) علة لما قدره المفسر بقوله لكن لم يؤذن (قوله كالمؤمنين المذكورين أي وكالمشركين لأنه آل أمر أهل مكة إلى الاسلام إلا ما قل) (قوله تميزوا) أي تفرقوا وانفردوا ولكن لم يميزوا بل اختلطوا المستضعفون بالمشركون والأصول المشركون بالفروع المسلمين كالدراري الذين علم الله إسلامهم فلم يحصل العذاب (قوله الأنفة الجاهلية بفتحين أي الكبر (قوله حمية الجاهلية) بدل من الحمية قبلها وهي فعيلة مصدر يقال حميت من كذا حمية ، وحمية الجاهلية عدم الإذعان للحق ونصرة الباطل (٩٨) (قوله فأنزل الله سكينته) معطوف على شيء ، قدر أي فضافت صدور المسلمين واشتد الكرب عليهم فأنزل الخ . روى « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل الحديبية بعثت قريش سهيل بن عمرو القرشي وحويط بن عبد العزى ومكرز بن حفص بن الأحنف على أن يعرضوا على النبي صلى الله عليه وسلم أن يرجع من عامه ذلك على أن تخلى له قريش مكة من العام القابل ثلاثة أيام ففعل

أي مكانه الذي ينحرف فيه عادة وهو الحرم بدل اشتال (وَأَوَّلَ رِجَالٍ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٍ مُّؤْمِنَاتٍ) موجودون بمكة مع الكفار (لَمْ تَمْلِكُواهُمْ) بصفة الإيمان (أَنْ تَطَّوَّهُمْ) أي تقتلهم مع الكفار لو أذن لكم في الفتح ، بدل اشتال من هم (فَتَصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ) أي إنهم (فَيُرِىَ عِلْمُكُمْ) منكم به وضائر الغيبة للصنفين بتغليب المذكور ، وجواب لولا محذوف أي لأذن لكم في الفتح لكن لم يؤذن فيه حينئذ (لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ) كالمؤمنين المذكورين (أَوْ تَزَيَّلُوا) تميزوا عن الكفار (لَعَذَابُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ) من أهل مكة حينئذ بأن نأذن لكم في فتحها (عَذَابًا أَلِيمًا) مؤلما (إِذْ جَعَلَ) متعلما بعذابنا (الَّذِينَ كَفَرُوا) فاعل (فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةُ) الأنفة من الشيء (حَمِيَّةُ الْجَاهِلِيَّةِ) بدل من الحمية وهي صدم النبي وأصحابه عن السجدة الحرام (فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ) فصالحوهم على أن يعودوا من قابل ولم يلحقهم من الحمية ما لحق الكفار حتى يقالوا

ذلك وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه الصلاة والسلام لعلي رضي الله عنه : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا ما نعرف هذا اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل مكة فقالوا لو كننا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت وما قاتلناك اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله أهل مكة فقال صلى الله عليه وسلم اكتب ما يريدون فهم المؤمنون أن يأبوا ذلك ويبطشوا بهم فأنزل السكينة عليهم فتوقروا وحلموا (قوله على أن يعودوا من قابل) أي وعلى وضع الحرب عشر سنين . قال البراء صالحوهم ثلاثة أشياء : على أن من أناهم من المشركين مساهم أرثوه إليهم ومن أناهم من المسلمين لم يردوه وعلى أن يدخلها من قريش فيقيم فيها ثلاثة أيام ولا يدخلها بسلاح فكتب بذلك كتابا ، فلما فرغ من قضية الكتاب قال لأصحابه قوموا وانحروا احلقوا فوالله ما قام منهم أحد حتى قال ذلك ثلاث مرات فلما لم يبق منهم أحد لما حصل لهم من الفم قام فدخل على أم سلمة فذكر ما مالت من الناس فقالت له يا نبي الله اخرج ولا تسلم أحدا منهم حتى تخرج بدلك وتدعو حائكك فيحائك ، ففعل فلما رأوا ذلك قاموا فأنحروا وجعل يحلق بعضهم بعضا . وروى ثابت عن أنس أن قريشا صالحوا النبي صلى الله عليه وسلم واشترطوا أن من جاء منكم لم يردّه عليكم ومن جاء منا ردّه علينا فقالوا يا رسول الله أنكتب هذا قال نعم إن من ذلك منا إليهم فأبده الله ومن جاء منهم فسيجعل الله له فرجا ومخرجا . روى أنس بعد عقد الصلح جاء أنس جندل بن سهيل بن عمرو بقي

لقد انفتحت وخرج من أسفل مكة حتى رعى بنفسه بيوم أظهر المسلمين ، فقال له سهيل هذا يا محمد أول من أقاضيك عليه أن ترده إلى فقال النبي صلى الله عليه وسلم إنما لم نقضه الكتاب بعد قال فوالله إذا لأصالحك على شيء أبدا قال النبي صلى الله عليه وسلم فأجره لي قال ما أنا بمجبره لك قال بلى فافعل لال ما أنا بفاعل ثم جعل سهيل يحجره ليرده إلى قريش فقال أبو جندل أي معشر المسلمين أردت إلى المشركين وقد جئت مسلما إلا تزول ما لقيت ، وكان قد عذب في الله عذابا شديدا وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا أبا جندل احتسب فإن الله جاهل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا إنا عقدنا بيننا وبين القوم صلحا وعقدا وإنا لا نقدر فقام همهم وتكلم بكلام طويل منه ما تقدم لنا عند قوله هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ثم بعد رجوع رسول الله وأصحابه إلى المدينة جاءه أبو بصير عتبة بن أسد من قريش مسلما فأرسلوا في طلبه رجلين فسلمه لهما النبي صلى الله عليه وسلم فقتل أحدهما وفر عنه الآخر فأتى أبو بصير سيف البحر وجلس هناك فبلغ ذلك أبا جندل وأصحابه من المستضعفين فلحقوا به حتى تكاملوا نحو من سبعين رجلا فلما يسمعون بهير خرجت لقريش إلى الشام إلا تعرضوا لهما فقتلوه وأخذوا أموالهم فأرسلت قريش إلى النبي صلى الله عليه وسلم تناشده الله والرحم بأنه لا يرسل إليهم من أتاه منهم مسلما وأبطلوا هذا الشرط فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى أبي بصير وأبي جندل ومن معهما فأحضرهم المدينة (قوله والزمهم كلمة التقوى) أي اختارهم فهو إلزام إكرام وتشريف والمراد تقوى الشرك (٩٩) (قوله لا إله إلا الله) هذه رواية

أبي بن كعب ، وقيل إنها لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، وقيل إنها بسم الله الرحمن الرحيم (قوله وكانوا أحق بها) أي في علم الله لأنه اختارهم لدينه (قوله تفسيري) أي لأحق بها أو الضمير في بها لكلمة التوحيد وفي أهلها للتقوى (قوله لقد صدق الله رسوله الرؤيا) أي

(وَالْزَمَهُمْ) أي للمؤمنين (كَلِمَةَ التَّقْوَى) لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وأضيفت إلى التقوى لأنها سببها (وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا) بالكلمة من الكفار (وَأَهْلَهَا) عطف تفسيري (وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) أي لم يزل متصفاً بذلك ، ومن معلومه تعالى أنهم أهلها (لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ) رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم عام الحديبية قبل خروجه أنه يدخل مكة هو وأصحابه آمنين ويحلقون ويقصرون فأخبر بذلك أصحابه ففرحوا فلما خرجوا معه وصددم الكفار بالحديبية ورجعوا وشق عليهم ذلك ورأب بعض المنافقين نزلت ، وقوله بالحق متعلق بصدق أو حال من الرؤيا وما بعدها تفسيرا (لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ) للتبرك (آمَنِينَ مُحْلِقِينَ رُءُوسَكُمْ) أي جميع شعورها (وَمُقَصِّرِينَ) بعض شعورها وها حالان مقدرتان (لَا تَخَافُونَ) أبداً (فَعَلِمَ) في الصلح (مَا لَمْ تَعْلَمُوا) ،

جعل رؤياه صادقة محققة لم يدخلها الشيطان لأنه معصوم منه هو وجميع الأنبياء وتأخيرها لا ينافي كونها حقا وصدقا نظير رؤيا يوسف الصديق أن أحد عشر كوكبا والشمس والقمر ساجدون له فتأخرت الزمن الطويل وبعد ذلك تحققت (قوله ورأب بعض المنافقين) أي ارتأب حيث قال عبد الله بن أبي وعبد الله بن نفيل ورفاعة بن الحرث والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا المسجد الحرام (قوله أحوال من الرؤيا) أي فهو متعلق بمحذوف والتقدير ملتبسة بالحق ويصح أن يكون صفة لمصدر محذوف والتقدير صدقا ملتبسا بالحق ويصح أن يكون بالحق قسما وجوابه لتدخلن الح والمعنى فالتوقف على قوله الرؤيا ومعنى ما قبله فالتوقف على قوله بالحق وقوله لتدخلن اللام موطئة لقسم محذوف (قوله للتبرك) أي مع تعليم العباد الأدب وتفويض الأمر إليه وهو جواب عما يقال إن الله تعالى خالق للأشياء كلها وهو عالم بها قبل وقوعها فكيف وقع منه التعليق بالمشيئة مع أن التعليق إنما يكون من الخبر المتردد أو الشاك في وقوع الملتقى والله منزّه عن ذلك فأجاب بأن المقصود التبرك لا التعليق ويجاب أيضا بأن المشيئة باعتبار جميع الجيش ، فإن الذين حضروا عمرة القضاة كانوا سبعمائة ، وأما باعتبار المجموع فبالقضاء مبرم لا تعليق فيه ويجاب أيضا بأنه حكاية عن كلام الملك المبالغ للرسول كلام الله أو حكاية عن كلام الرسول عليه الصلاة والسلام (قوله آمنين) حال مقارنة للدخول والجملة الشرطية معترضة (قوله مقدرتان) دأب بذلك ما قد يقال إن حال الدخول هو حال الاحرام وهو لا يتأتى معه حلق ولا تقصير (قوله لا تخافون أبدا) أشار بذلك إلى أنه غير مكرر مع قوله آمنين والمعنى آمنون في حال الدخول وحال المكث وحال

الخروج وقد كان عند أهل مكة أنه يحرم قتال من أحرم ومن دخل الحرم فأفاد أنه يبقى أمنهم بعد خروجهم من الاحرام (قوله من الصلاح) أى وهو حفظ دماء المسلمين المستضعفين (قوله من دون ذلك) أى قبله (قوله هو فتح خير) وقيل هو صلح الحديبية وقيل هو فتح مكة (قوله هو الذى أرسل رسوله) تأكيد لتصديق الله رؤياه والمعنى حيث جعله رسولا فلا يريه خلاف الحق (قوله بالهدى) أى القرآن أو العجرات (قوله ليظهره على الدين كله) أى ليعليه على جميع الأديان فيسوخ ما كان حتما ويظهر فساد ما كان باطلا (قوله بما ذكر) أى بالهدى ودين الحق (قوله كما قال) أشار بذلك إلى أن قوله محمد رسول الله مؤكد لقوله هو الذى أرسل رسوله (قوله لا يرحمونهم) أى لا يراؤون بهم وذلك لأن الله أمرهم بالغلظة عليهم وقد بلغ من تشديدهم على الكفار أنهم كان يتحرزون من ثيابهم أن تمس أبدانهم (قوله رحماء بينهم) أى فكان الواحد منهم إذ رأى أخاه فى الدين صالحه وعانقه (قوله تراهم ركعا) إما خبر آخر أو مستأنف، والمعنى أنهم فى النهار على الأعداء أسود وفى الليل ركع سجود (قوله حالان) أى من مفعول تراهم (قوله مستأنف) أى واقع فى جواب سؤال مقدر كأنه قيل ماذا يريدون بركوعهم وسجودهم ، (١٠٠) فقييل يتغنون الخ (قوله سيأهم فى وجوههم من أثر السجود

اختاف فى تلك السيا ،
فتيل إن مواضع سجودهم
يوم القيامة ترى كالقمر
لبلة البدر ، وقيل هو
صفرة الوجوه من سهر
الليل ، وقيل الخشوع
الذى يظهر على الأعضاء
حتى يترأى أنهم مرضى
وليسوا بمرضى ، ولبس
المراد به ما يصنعه بعض
الجهلة المرائين من العلامة
فى الجهة فانه من فعل
الحوارج ، وفى الحديث
« إني لأبغض الرجل
وأكرهه إذا رأيت بين
عبيه أثر السجود »
(قوله من ضميره)

من الصلاح (فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ) أى الدخول (فَتَحًا قَرِيبًا) هو فتح خير وتحققت
الرؤيا فى العام القابل (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ) أى دين
الحق (عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ) على جميع باقى الأديان (وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا) أنك مرسل بم
ذكر كما قال الله تعالى (مُحَمَّدٌ) مبتدأ (رَسُولُ اللَّهِ) خبره (وَالَّذِينَ مَعَهُ) أى أصحابه من
المؤمنين مبتدأ خبره (أَشِدَّاءُ) غلاظ (عَلَى الْكُفَّارِ) لا يرحمونهم (رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ) خبر
ثان أى متعاطفون متوادون كالوالد مع الولد (تَرَاهُمْ) تبصرهم (رُكْعًا سُجَّدًا) حالان
(يَبْتَغُونَ) مستأنف : يطلبون (فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ) علامتهم مبتدأ (وَفِي
وُجُوهِهِمْ) خبره ، وهو نور وبياض يعرفون به فى الآخرة أنهم سجدوا فى الدنيا (مِنْ أَثَرِ
السُّجُودِ) متعلق بما تعلق به الخبر أى كائنة وأعراب حالا من ضميره المنتقل إلى الخبر (ذَلِكَ
أى الوصف المذكور (مِثْلَهُمْ) صفتهم (فِي التَّوْرَةِ) مبتدأ وخبره (وَمِثْلَهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ)
مبتدأ خبره (كَزَّرَعٍ أُخْرِجَ شَطْطُهُ) بسكون الطاء وفتحها : فراخه (فَأَزَرَهُ) بالمد والقصر
قواه وأعانه (فَاسْتَعْلَظَ) غاظ (فَاسْتَوَى) قوى واستقام (عَلَى سَوْقِهِ) أصوله جمع
ساق ،

(يعجب)

أى من ضمير ما تعلق به الخبر وهو كائنة

(قوله المنتقل إلى الخبر) أى وهو الجار والمجرور (قوله أى الوصف المذكور) أى وهو كونهم أشداء رحماء تراهم ركعا
الخ سيأهم فى وجوههم الخ (قوله مثلهم فى التوراة) أى وصفهم العجيب الجارى فى الغرابة مجرى لأمثال (قوله مبتدأ وخبر
أى أن قوله مثلهم مبتدأ خبره قوله فى التوراة ، والجملة خبر عن ذلك (قوله ومثلهم فى الانجيل الخ) يصح أن يكون
مبتدأ خبره قوله كزرع ، وحينئذ فيوقف على قوله فى التوراة ، ويكونان مثلين وعليه منى المفسر يصح أنه معطوف
على مثلهم الأول وحينئذ فيوقف على قوله الانجيل ويكونان مثلا واحدا فى السكتائين ، وقوله كزرع خبر لمخدوف أى مثلهم كزرع
الخ وهو كلام مستأنف (قوله بسكون الطاء وفتحها) أى فهما قراءتان سبعيتان والشطء أفراخ النخل والزرع أو ورقة
(قوله فراخه) بكسر الفاء جمع فرخ كفرع لفظا ومعنى (قوله بالمد) أى وأصله أزره بوزن أكرمه قلبت الهمزة الثانية إلى
للقاعدة المعاومة وقوله والقصر : أى فهو من باب ضرب ، وهما قراءتان سمعتان (قوله غاظ) أى فهو من باب استح
الطين (قوله على سوقيه) متعلق باستوى .

(قوله يعجب الزراع) جملة حالية والمعنى حال كونه معجبا (قوله فكثروا) هو مأخوذ من قوله أخرج شطاء وقوله فكآزره مأخوذ من قوله فاستغاث وقوله على أحسن الوجوه مأخوذ من قوله فاستوى على سوقه يعجب الزراع (قوله ليغيظ بهم الكفار) تعليل لما دل عليه التشبيه كأنه قال إنما قوام وكثرهم ليغيظ الخ (قوله لبيان الجنس) أى لالتبويض كما زعمه بعضهم (قوله لمن بعدهم) أى كاتابيعين وأتباعهم إلى يوم القيامة (قوله فى آيات) متعلق بما تعلق به قوله لمن بعدهم ، والمعنى وهما ثابتان لمن بعدهما صفة فى آيات كقوله تعالى - سابقوا إلى مغفرة من ربكم ، إلى قوله : أعدت للذين آمنوا بالله ورسوله - .

[خاتمة] قد جمعت هذه الآية وهى قوله محمد رسول الله إلى آخر السورة جميع حروف المعجم وفى ذلك بشارة تلويحية مع ما فيها من البشارة النصرية باجتماع أمرهم وعاقبة نصرهم رضى الله عنهم وحشرنا معهم نحن ووالدينا ومحبينا وجميع المسلمين منه وكرمه . وهذا آخر القسم الأول من القرآن وهو المطول وقد ختم كما ترى بسورتين هما فى الحقيقة للنبي صلى الله عليه وسلم وحاصلهما الفتح بالسيف والنصر على من قاتله ظاهرا ، كما ختم القسم الثانى المفصل بسورتين هما نصرة له صلى الله عليه وسلم والحال من قصده بالضرر باطنا ومن أجل ذلك اتخذ العارفون هذه الآية وردا وحصنا منيعا .

[سورة الحجرات مدنية] أى بالاجماع وهذه أوائل السور المسماة بالمفصل . واختلف فى تسميته بذلك فقل لكثرة الفصل فيه من السور ، وقيل لكون جميعه محكما لا نسخ فيه (قوله يا أيها الذين آمنوا) (١٠١) ذكر هذه الملاحظة فى هذه

السورة خمس مرات اعتناء بشأن المؤمنين فى أوامر والنواهي نظير خطابات لقمان لابنه فى قوله يا بني ولتلايتوهم أن المخاطب ثانيا غير المخاطب أولا وذكر يا أيها الناس مرة خطابا لما يعم المؤمن والكافر لمناسبة ما يترتب عليه من قوله تعالى - إنا خائفناكم من ذكر وأنثى وهذه السورة جمعت آدابا ظاهرية وباطنية وأوامر

(يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ) أى زراعه لحسنه ، مثل الصحابة رضى الله عنهم بذلك لأنهم بدءوا فى قلة وضعف فكثروا وقووا على أحسن الوجوه (لِيُغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ) متعلق بمحذوف دل عليه ما قبله أى شبهوا بذلك (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ) أى الصحابة ومن لبيان الجنس لالتبويض لأنهم كلهم بالصفة المذكورة (مَغْفِرَةً بِأَجْرٍ عَظِيمًا) الجنة وهما لمن بعدهم أيضا فى آيات .

(سورة الحجرات)

مدنية ثمان عشرة آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا) من قدم بمعنى تقدم أى لا تتقدموا بقول ولا فعل (بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) المبلغ عنه : أى بغير إذنهما ،

نواهي ظاهرية وباطنية عامة وخاصة . فهى تتضمن لطريقة الصوفية التى من تمسك بها وصل (قوله من قدم بمعنى تقدم) العامة إلى ضم التاء وفتح القاف وتشديد الدال مكسورة وفيها وجهان : أحدهما أنه متعدي حذف مفعوله اقتصارا كقولهم هو يعطى يمنع وكلوا واشربوا والأصل لا تتقدموا ما لا يصح . والثانى أنه لازم نحو وجه وتوجه ، ويعضده قراءة ابن عباس والضحك لا تتقدموا بالفتح فى الثلاثة والأصل لا تتقدموا فحذفت إحدى التاءين وفى الآية استعارة تمثيلية حيث شبه تجرى الصحابة على الحكم فى أمر من أمور الدين بغير إذن من الله ورسوله بحالة من تقدم بين يدي متبوعه إذا سار فى طريقه من غير إذن فإنه العادة مستهجن ثم استعمل فى جانب المشبه ما كان مستعملا فى جانب المشبه به من الألفاظ والغرض التنفير من التجرد بغير إذن الله ورسوله ومثله قوله تعالى فى حق الملائكة - لا يسبقونه بالقول - أصله لا يسبق قولهم قوله فمدحهم بنى السبق تنبيها على استرجان السبق أو المراد بين يدي رسول الله ، وذكر لفظ الله تعظيما للرسول وإشعارا بأنه من الله بمكان يوجب إجلاله على هذا فلا استعارة (قوله بقول أو فعل) مثال القول ما ذكره المفسر فى سبب النزول ومثال الفعل ما قيل فى سبب النزول أيضا من أنهم ذبحوا يوم النحر قبل رسول الله فأمرهم أن يعيدوا الذبح ، وقال « من ذبح قبل الصلاة فأنما هو لحم عجل لأهله » ليس من النسك فى شيء وما ورد عن عائشة أنه فى النهى عن صوم يوم الشك : أى لا تصوموا قبل أن يصوم نبيكم وقال الضحاك هو عام فى القتال وشرائع الدين أى لا تقطعوا أمرا دون الله ورسوله وهو الأولى .

(قوله بل دون ذلك) راجع لكل من النهيين أي بل اجعلوا أصواتكم دون صوته ودون جهر بعضكم لبعض وقوله إجلالاه تعليل لما تضمنه قوله بل دون ذلك (قوله أن تحبط أعمالكم) أي يبطل ثوابها

وقوله وأتم لاتشعرون أى بحبوطها (قوله أى خشية ذلك) أشار به إلى أن تحبط على حذف
مضاف أى خشية الحبوط والخشية منهم وقد تنازعه لاترفعوا ولا تجهروا فيكون مفعولا لأجله والعامل فيه الثانى أو الأول (قوله
بالرفع والجهر) الباء سببية متعلقة باسم الإشارة لأنه واقع على الحبوط فكأنه قال أى خشية الحبوط بسبب الرفع والجهر
في الرفع والجهر استخفافا بجنابه فيؤدى إلى الكفر المحبط وذلك إذا انضم له قصد الإهانة وعدم المبالاة . روى أنه لما نزلت
هذه الآية قعد ثابت في الطريق يبكي ، فمر به عاصم بن عدى فقال ما يبكيك يا ثابت ؟ قال هذه الآية أتخوف أن تكون نزلت في
رفيع الصوت على النبي صلى الله عليه وسلم أخاف أن يحبط عملى وأن أكون من أهل النار ، فمضى عاصم إلى رسول الله
الله عليه وسلم ، وغاب ثابته بالبكاء فأتى امرأته جميلة بنت عبد الله بن أبي بن سلول فقال لها إذا دخلت بيت فرشى فسدى
الضبة بمسما فضر بته بمسما ، فأتى عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره خبره ، قال اذهب فادعه لى ، فجاء عاصم
المكان الذى رآه فيه فلم يجدده فجاء إلى أهله فوجدده في بيت الفرش ، فقال له إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك ، ف
أكسر الضبة ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا ثابت ؟ فقال أنا صيت وأتخوف
أن تكون هذه الآية نزلت فى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما ترى أن تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة
فقال رضيت بى رسول الله ورسوله لأرفع صوتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم أبدا فأنزل الله - إن الذين يفضون أصواتهم
الآية . قال أنس فكنا ننظر إلى رجل من أهل الجنة يمشى بين أيدينا ، فلما كان يوم الجمعة في حرب وسيلمة رأى ثابت
الساميين بعض انكسار وانهمزمت طائفة منهم قال أف لهؤلاء . ثم قال ثابت لسالم مولى حذيفة ما كنا نقاتل أعداء
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذا ثم ثبتا وقاتلا حتى قتلوا واستشهدا ثابت وعليه درع فرآه رجل من الصحابة بعد

في المنام وأنه قال له اعلم أن فلانا رجل من المسلمين نزع درعي فذهب بها وهي في ناحية من العسكر عند فرس يستتر في طيله وقد وضع على درعي برمة فأتى خالد بن الوليد ، فأخبره حتى استترت درعي وأنت أبا بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل له إن علي دينا حتى يقضى عني وفلان من رقبتي عتيق ، فأخبر الرجل خالدا فوجد الدرع والفرس على ما وصفه فاسترد الدرع وأخبر خالد أبا بكر بتلك الرؤيا فأجاز أبو بكر وصيته . قال مالك بن أنس لأعلم وصية أجزت بعد موت صاحبها إلا هذه (قوله فيمن كان يخفض صوته) أي مخافة من مخالفة النبي السابق وإجلالا وتعظيما (قوله كأبي بكر وعمر الخ) أي فكان الجميع يخفضون أصواتهم عند رسول الله لإجلاله وتعظيمه (قوله أولئك الذين الخ) اسم الإشارة مبتدأ والموصول بعده خبر والجملة خبر إن وجملة لهم مفعلة وأجر عظيم ستأنفة لبيان ما أعد لهم (قوله امتحن الله قلوبهم) الامتحان افتعال من محنت الأديم محنا أو سعتة ومعنى امتحن الله قلوبهم لتقوى وسعها (قوله أي لتظهر منهم) أي فأنها لا تظهر إلا بالاصطبار على أنواع المحن والتكاليف الشاقة فالاختبار سبب لظهور التقوى لا سبب للتقوى نفسها فهو من إطلاق السبب على المسبب أي فالاختبار يظهر ما كان كامنا في النفس من التقوى كما أن مع الألمان يظهر ما كان كامنا في النفس من الحب فتدبر (قوله ونزل في قوم) أي وهم وفد بني تميم (قوله من وراء الحجرات) أي من خارجها خلفها أو قدامها لأن وراء من الأضداد تكون بمعنى خلف وبمعنى قدام . قال مجاهد وغيره نزلت في أعراب بني تميم قدم وفد منهم على النبي صلى الله عليه وسلم فدخلوا المسجد ونادوا (١٠٣) النبي صلى الله عليه وسلم من وراء الحجرات أن اخرج إلينا فان مدحنا زين وذمنا شين وكانوا سبعين رجلا قدموا لفداء ذراري لهم وكان النبي صلى الله عليه وسلم نائما للقاتلة وسئل صلى الله عليه وسلم فقال هم جفة بني تميم لولا أنهم من أشد الناس قتالا للأعور الدجال لدعوت الله عليهم أن يهلكهم ، وقيل كانوا جاءوا شفعا في أسارى بني عنبر فأعتق

ونزل فيمن كان يخفض صوته عند النبي صلى الله عليه وسلم كأبي بكر وعمر وغيرهما رضى الله عنهم (إِنَّ الَّذِينَ يَخُفُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ أُمِّمَتْ لَهُمْ) اختبر (الله قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى) أي لتظهر منهم (لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ) الجنة . ونزل في قوم جاءوا وقت الظهيرة والنبي صلى الله عليه وسلم في منزله فنادوه (إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ) حجرات نسائه صلى الله عليه وسلم جمع حجرة ، وهي ما يحجر عليه من الأرض بمحائط ونحوه كأن كل واحد منهم نادى خلف حجرة لأنهم لم يعلموه في أي حجرة ، مناداة الأعراب بغلظة وجفاء (أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) فيما فعلوه محلك الرفيع وما يناسبه من التعظيم (وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا) أنهم في محل رفع بالابتداء وقيل فاعل بفعل مقدر أي ثبت (حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ) لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) لمن تاب منهم . ونزل في الوليد بن عقبة وقد بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى بني المصطلق ،

رسول الله صلى الله عليه وسلم نصفهم وفادى نصفهم ولو صبروا لأعتق جميعهم بغير فداء (قوله وهي ما يحجر عليه) أي يحوط عليه لمنع من الدخول (قوله كأن كل واحد منهم الخ) أي بصيغة لاجزم فيها لأن المقام مقام احتمال وذلك لأن مناداتهم يحتمل أن تكون كما قال المفسر أو الكل وقفوا على كل حجرة ونادوه منها (قوله مناداة الأعراب) معمول لينادونك (قوله أكرهم) (يعقلون) المراد بالأكثر الكل لأن العرب قد تعبر بالأكثر وتريد الكل (قوله محلك الرفيع) معمول ليعقلون وفي نسخة بمحلك يكون معمول لا فعلوه فالمحل على الأول والمكانة والرتبة على الثاني الدار المحسوسة ومعنى الرفيع على الأول العلى القدر وعلى الثاني المحفوظ من إساءة الأدب لحاولك فيه فان الظرف يعظم بالمظروف ، قال الشاعر :

وما حبّ الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

(قوله أنهم في محل رفع بالابتداء) هو قول سيبويه ولا يحتاج إلى خبر لاشتغال صاتها على المسند والمسموع إليه وقيل الخبر محذوف وجوبا لوقوعه بعد لو (قوله أي ثبت) بيان للفعل المقدر والمعنى ثبت صبرهم وانتظارهم وهذا قول المبرد والزجاج والكوفيين ورجح بأن فيه إبقاء له على الاختصاص بالفعل (قوله لكان خيرا لهم) أي لكان الصبر خيرا لهم من الاستعجال لما فيه من حفظ الأدب وتعظيم الرسول الموجبين للثناء والثواب . قال العارفون الأدب عند الأكابر يبلغ بصاحبه إلى الدرجات العلى وسعادة الدنيا والآخرة (قوله ونزل في الوليد بن عقبة) بن أبي معيط أخى عثمان بن عفان لأمه وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

بعثه إلى بنى المصطلق بعد الوقعة معهم واليا يحبي الزكاة وكان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية فلما سمع به القوم تلقوه تعظيما لرسول الله فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله فهاهم فرجع من الطريق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : إنهم من صدقاتهم وأرادوا قتلي فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أن يغزوه فإغ القوم رجوعه ، فأتوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالوا يا رسول الله سمعنا برسولك نخرجنا تلتقاه ونكرمك ونؤدى إليه ما قبلنا من حق الله فبداله في الرجوع فخشينا إعادته من الطريق كتاب جاءه منك لغضب غضبته علينا وإنا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله فاتهمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد في عسكره خفية وأمره أن يخفي عليهم قدومه ، وقال انظر فإن رأيت منهم ما يدل على إيمانهم خذ منهم زكوة وأولهم وإن لم تر ذلك فافعل فيهم ما تفعل في الكفار ففعل ذلك خالد ووافاهم عند الغروب فسمع منهم أذان صلاة المغرب والعشاء ووجدهم مجتهدين في امتثال أمر الله فأخذ منهم صدقات أموالهم ولم ير منهم إلا الطاعة والخير وانصرف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره فأنزلت الآية « واسئلك بأن الوليد صحابي جليل ولا يليق إطلاق لفظ الفاسق عليه فإن المراد به الكافر ، قال تعالى - ففسقوا عن أمر ربه ، وأما الذين فسقوا (١٠٤) فأولهم النار - إلى غير ذلك . وأجيب بأن الذي وقع من الوليد تورط

وظن فترتب عليه الخطأ وإنما سماه الله فسقا تنفيرا عن هذا الفعل وزجرا عليه . ويؤخذ من الآية حرمة النجاسة وتعليم كيفية ردها على صاحبها (قوله مصدقا) بتخفيف الصاد : أى يأخذ الصدقات (قوله ليرة) بكسر التاء وفتح الراء : أى عداوة (قوله إن جاءكم فاسق) المقصود من الآية : أى نمام فإن النمام فاسق وليس المقصود من الوليد فإنه ليس فاسق بل هو صحابي جليل وإن كان سبب النزول

مصدقا فخافهم ليرة كانت بينه وبينهم في الجاهلية فرجع وقال إنهم منعوا الصدقة وهما بقتلهم النبي صلى الله عليه وسلم بغزوهم فجاءوا منكبين ما قاله عنهم (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا جَاءَكُمْ قَاسِقٌ يُدْبِيكُمْ فَرِحْتُمْ بِبَيْعِكُمُ الْفَاسِقَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ كَذِبًا) (١٠٤) خبر (فَتَبَيَّنُوا) صدقه من كذبه وفي قراءة فتثبتوا من الثبات (أَوْ تُصِيبُوا قَوْمًا) مفعول له ، أى خشية ذلك (بِجَهَنَّمَ) حال من الفاعل أى جاهلين (فَتُضْمَحَوْنَ) تصيروا (عَلَى مَا فَعَلْتُمْ) من الخطأ بالقوم (نَادِمِينَ) وأرسل صلى الله عليه وسلم إليهم بعد عودهم إلى بلادهم خالدا فلم ير فيهم إلا الطاعة والخير فأخبر النبي بذلك (وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ) فلا تقولوا الباطل فإن الله يخبره بالحال (تَوْطِئُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأُمُورِ) الذى تخبرون به على خلاف الواقع فيرتب على ذلك مقتضاه (أَعْنَتُمْ) لأنتم دونهم إثم التسبب إلى المرتب (وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ) (وَزَيْنَهُ) حسنه (فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَتْ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ) استدراك من حيث المعنى دون اللفظ لأن من حجب الإيمان الخ غابت صفته صفة من تقدم ذكره (أَوْثُكَهُمْ) فيه الثقات عن الخطأ (الرَّاشِدُونَ) الثابتون على دينهم (فَضْلًا مِنَ اللَّهِ) مصدر منصوب بفعله المقدر أى أفضل

واقعة (قوله أن تصيبوا قوما) أى بالقتل والسبي (قوله نادمين) أى معتمدين لما وقع منكم (قوله واعلموا أن فيكم رسول الله) أى أفلا تكذبوا عليه فإن الله يعلمه ببواطنكم فتفتضحوا (قوله لو يطيعكم الخ) من الضمير المجزئ في فيكم ، والمعنى أنه فيكم كائنا على حالة منكم يجب تغييرها وهى أنكم تودون أن يتبعكم في كثير من الحوادث ولو فعل ذلك لوقعتم في الجهل والهلاك لكان عصمه الله رحمة بكم (قوله لأنتم دونهم) أى فلا يائس لعذره ، وقوله إثم التسبب : أى لا إثم الفهم لأنكم لم تفعلوا ، وقوله إلى المرتب : أى الذى يرتبه النبي صلى الله عليه وسلم على إخباركم وبفعله كقتال بنى المصطلق (قوله حب إليكم الإيمان) أى الكامل وهو الصديق بالجنان والقرار باللسان والعمل بالأركان وإذ احب إليهم الإيمان الجامع للخصال الثلاث لزم كراهتهم لأضدادها لذلك قال وكره إليكم الكفر الذى هو مقابلة التصديق بالجنان والفسوق الذى هو مقابلة الإقرار باللسان والعصيان الذى هو مقابلة العمل بالأركان (قوله استدراك من حيث المعنى الخ) أشار بذلك لدفع ما قيل إن لكان يشترط أن يكون ما بعده مخالفا لما قبلها نفيا وإثباتا ، وتوصيح الجواب أن الذين حجب إليهم الإيمان قد غابت صفتهم صفة المتقدم ذكرهم فإما ما قبل لكن بوجه أنهم على غير استقامة مع الله ومع رسوله فهو استدراك بحسب المعنى (قوله مصدر منصوب الخ) فيه مسامحة إذ هو اسم مصدر والمصدر إفضال ، يصح أن يكون مفعولا لأجله عامله حجب وما بينهما اعتراض ، وفي هذه الآية تنبيه على

ملوۃ ۱۹ ظمى محبة الله ورؤيه وكرهية أهل الكفر والفسوق (قوله هي أن النبي صلى الله عليه وسلم ركب حماراً الخ) ذكر
 في مختصرة ورواها الشيخان جاولها ، وحاصلها أنه روى عن أسامة بن زيد أنه صلى الله عليه وسلم ركب على حمار عليه إكاف
 قطيفة فدية وأردف أسامة بن زيد وراه يعود سعد بن عباد في بني الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدر قال : فسار النبي
 الله عليه وسلم حتى مرّ على مجاس فيه عبد الله بن أبي سؤل ، وذلك قبل أن يسلم عبد الله بن أبي سؤل ، وإذا في المجاس أخلاط
 للمسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود وفي المسلمين عبد الله بن رواحة ، فلما غشيت المجاس عجاجة الدابة خمر عبد الله
 أبي أنفه بردائه ثم قال لا تنهبوا علينا ، فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم وقف فنزل فدعاهم إلى الله تعالى وقرأ عليهم القرآن
 عبد الله بن أبي سؤل : أيها المرء إنه لأحسن مما تقول : أي لشيء أحسن منه إن كان حقاً فلا تؤذنا به في مجالسنا
 جمع إلى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه ، فقال عبد الله بن رواحة بلى يا رسول الله فأغشنا به في مجالسنا فأننا نحبه ذلك فلما لبث
 لسون والمشركون واليهود حتى كادوا يتحاربون فلم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا اه (قوله ومرّ على
 أبي) أي وكان من الخزرج ، وقوله فقال ابن رواحة : أي وكان من الأوس (قوله وسد ابن أبي أنفه) أي وقال إليك عني
 لقد آذاني تن حمارك (قوله فكان بين قوميها) أي وهما الأوس والخزرج (قوله والسعف) أي وهو جريد النخل إذا
 عليه الخوص فإن جرد منه قيل له عسب (قوله وقرى) أي شذوذا (١٠٥) (قوله فان بغت إحداها)

أي أبت النصيحة والإجابة
 إلى حكم الله (قوله حتى
 والنصب بأن مضمرة
 بعدها : أي إلى أن ترجع
 الخ (قوله فأصاحوا بينهما
 بالعدل) أي بالنصح
 والدعاء إلى حكم الله (قوله
 بالانصاف) أي فلا تجورا
 على إحدى الطائفتين بل
 احكموا بينهما بالانصاف
 (قوله اعدلوا) أشار به
 إلى أن أقسط معناه عدل

نعمته) منه (والله عليم) بهم (حكيم) في إنعامه عليهم (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)
 نزلت في قضية « هي أن النبي صلى الله عليه وسلم ركب حماراً ومرّ على ابن أبي فبال الحمار
 ابن أبي أنفه فقال ابن رواحة والله لبول حماره أطيب ريحاً من مسكك فكان بين قوميها
 رب بالأيدى والنعال والسعف » (اقْتَمَلُوا) جمع نظراً إلى المعنى لأن كل طائفة جماعة وقرى
 ثلثنا (فَأَصَاحُوا بَيْنَهُمَا) ثنى نظراً إلى اللفظ (فَإِنْ بَغَتْ) تعدت (إِحْدَاهُمَا عَلَى الْآخَرَى)
 (تَلَوَا آتَى تَبَقَّى حَتَّى تَفَى) ترجع (إِلَى أَمْرِ اللَّهِ) الحق (إِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا)
 (أَمْدَلِ) بالانصاف (وَأَتَّطُوا) اعدلوا (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّسِّطِينَ) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ
 الدين (فَأَصَاحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ) إذا تنازعا وقرىء إخوتكم بالهوقانية (وَأَتَّقُوا اللَّهَ أَعْلَمَكُمْ
 تَحُونِ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ) الآية نزلت في وفد تميم حين سخرخوا من فقراء
 مسلمين كعمار وصهيب ، والسخرية الازدراء والاحتقار (قَوْمٌ) أي رجال منكم (مِنْ قَوْمٍ)

منه للسبب بخلاف قسط فمعناه جار. قال تعالى - وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً - (قوله إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) كالتعليل
 قبله (قوله إخوة في الدين) أي من حيث إنهم ينتسبون إلى أصل واحد وهو الإيمان (قوله فأصاحوا بين أخويكم) خص
 ثنين بالذكر لأنهما أقل من يقع بينهما النزاع فاذا لزمت الصالحة بين الأقل كانت بين الأكثر أولى (قوله وقرى) أي شذوذا
 هذه القراءة تدل على أن قراءة التثنية معناها الجماعة (قوله اعدلكم ترحمون) أي على تقواكم وفي هذا الترجمي إطماع من الكريم
 حيم (قوله لايسخر قوم الخ) يقال سخر منه سخرًا من باب تعب والاسم السخرية بضم السين وكسرهما والسخرية بوزن غرفة
 سخرته من خادم أودابة لأجر ولا ثمن (قوله حين سخرخوا من فقراء المسلمين) أي لما رأوا من رثالة حالهم وتشفيزهم وهذا كان
 أول إسلامهم قبل تمسكهم منه وإلا فقد صاروا بعد ذلك إخواناً متحابين في الله (قوله كعمار الخ) أي وهم أهل الصفة الذين
 الله فيهم - لافتراء الذين أحصروا في سبيل الله - الآية (قوله أي رجال منكم) أشار بذلك إلى أن القوم اسم جمع بمعنى الرجال
 صة واحدة في المعنى رجل ، وقيل جمع لاواحدله من لفظه يدل على تخصيصه بالرجال مقابلته بقوله - ولانساء من نساء - وهذا
 هو الواقع لأصل اللغة . قال الشاعر :

وما أدري ولست إخال أدري أقوم آل حصن أم نساء

أما قوله تعالى - كذبت قباهم قوم نوح - ونحوه فالمراد ما يشمل النساء لكن بطريق التبعية لأن قوم كل نبي رجال ونساء ،
 [١٤ - صا - رابع] وسمى الرجال قوماً لأنهم قوامون على النساء (قوله منكم) قيد به قوم الرفوع وتركه

في المجرور ويصح تقييده بكل و يقال نظيره في قوله : ولا نساء الخ (قوله عسى أن يكونوا خيرا منهم) الجملة مستأنفة لبيان الموجبة للنهي ولا خبر لعسى لأنه يعني عنه فاعلها ، والمعنى لا يحتقر أحد أحدا فاعل من يحتقر يكون عند الله أعلى وأجل من يحتقره ، وبالجملة فينبغي للانسان أن لا يسخر بأخيه في الدين بل ولا بأحد من خلق الله فاعله يكون أخا خاص ضميرا وأتقى قلبا سخر به ولقد بلغ بالساف الصالح هذا الأمر حتى قال بعضهم لورأيت رجلا يرضع عزرا فضحكت منه لحشيت أن أصنع مثل ما صنع وقال عبد الله بن مسعود : البلاء مؤكل بالقول لو سخرت من كلب خشيت أن أحول كلبا (قوله ولا نساء من نساء) قال أنس « نزلت في صفية بنت حيي باغها أن حفصة قالت بنت يهودى فبكت فدخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم وهي تبكي ، فقالت ما يبكيك ؟ قالت : قالت لي حفصة إني بنت يهودى ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم إنك لابنة نبي وعمك نبي وإنك لتحت نبي فتفخر عليك ؟ ثم قال اتقى الله يا حفصة » وذ كر النساء لمزيد الإيضاح والتبيين ولدفع توهم أن هذا النهي خاص بالرجال (قوله ولا تلمزوا أنفسكم) المزمع في الأصل الإشارة بالعين ونحوها (قوله لا تعيبوا فتعابوا) أشار بذلك إلى توجيه قوله أنفسكم وذلك لأن الانسان إذا عاب غيره عابه ذلك الغير فقد عاب الشخص نفسه بتسببه (قوله أى لا يعيب بعضكم بعضا) هذا توجيه آخر فكأن الأولى للفسر أن يأتي بأو ، والمعنى أن المؤمنين كشخص واحد فمن عاب غيره كأنه عاب نفسه ، ومن هذا المعنى قول العارف إذا شئت أن تحيا سعيدا من الردى وحظك موفور وعرضك صين لسانك لا تذكر به عورة امرئ فكلك عورات وللناس ألسن وعينك إن أبدت إليك معايبا فدعها وقل يا عين للناس أعين (١٠٦) فعاشر معروف وسامح من اعتدى وفارق ما كان بالقي هو أحسن

(قوله ولا تنازروا بالألقاب) النبز بفتح الباء اللقب مطلقا حسنا أو قبيحا ثم صار مخصوصا بما يكرهه الشخص وسبب نزول هذه الآية كما قال جبير بن الضحاك الأنصاري : قدم علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس منارجل إلا له اسمان أو ثلاثة ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا فلان فيقولون مه يا رسول الله إنه يغضب من هذا الاسم فأزل الله هذه الآية ، ومن ذلك الشتم كقولك لأخيك يا كلب يا خيرا منهم (ولا تلمزوا أنفسكم) لا تعيبوا فتعابوا : أى لا يعيب بعضكم بعضا (ولا تنازروا بالألقاب) لا يدعوا بعضكم بعضا بلقب يكرهه ومنه يافسق يا كافر (بئس الأسم) المذكور من السخرية واللمز والتنازع (الفسوق بعد الإيمان) بدل من الاسم لإفادة فسق لتكرره عادة (ومن لم يتب) من ذلك (فأولئك هم الظالمون) يأتونها الذين آمنوا أجمعينوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم) أى مؤثم ،

عليه وسلم وليس منارجل إلا له اسمان أو ثلاثة ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا فلان فيقولون مه يا رسول الله إنه يغضب من هذا الاسم فأزل الله هذه الآية ، ومن ذلك الشتم كقولك لأخيك يا كلب يا خيرا منهم (ولا تلمزوا أنفسكم) لا تعيبوا فتعابوا : أى لا يعيب بعضكم بعضا (ولا تنازروا بالألقاب) لا يدعوا بعضكم بعضا بلقب يكرهه ومنه يافسق يا كافر (بئس الأسم) المذكور من السخرية واللمز والتنازع (الفسوق بعد الإيمان) بدل من الاسم لإفادة فسق لتكرره عادة (ومن لم يتب) من ذلك (فأولئك هم الظالمون) يأتونها الذين آمنوا أجمعينوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم) أى مؤثم ،

في رحله فأتاه فقال ما عندي شيء فرجع سلمان إليهما فأخبرهما فقالا كان عند أسامة ولكن نخل فبعنا سلمان إلى طائفة الصحابة فلم يجد عندهم شيئا فلما رجع قالوا لو بعناك إلى بئر مجة لغار ماؤها ثم انطلقا يتجسسان هل عند أسامة ما أمر به رسول الله فاما جاء إلى رسول الله قال لهما مالي أرى خضرة اللحم في أفواحكما قالا والله يارسول الله ماتنا ولنا يومنا الحما قال ظمنا بأكل لحم سلمان وأسامة فترأت الآية ، والمعنى أن الله تعالى نهى المؤمن أن يظن بأخيه المؤمن شرا كأن مع من أخيه المسلم كلاما لا يريد به سوء أو يدخل مدخلا لا يريد به سوء أخوه المسلم فيظن به سوء لأن بعض الفعل يكون في الصورة قبيحا وفي نفس الأمر لا يكون كذلك لجواز أن يكون فاعله ساهيا ويكون الراى مخطئا ، فأما أهل سوء نسق المتجاهرون بذلك فلنا أن نظن فيهم مثل الذي يظهر منهم (قوله كثيرا من الظن) أبهم الكثير إشارة إلى أنه ينبغي حياطة والتأمل في كل ظن خوف أن يقع في منهي عنه . قال سفيان الثوري : الظن ظنان أحدهما إثم وهو أن يظن ويتكلم الآخر ليس بإثم وهو أن يظن ولا يتكلم به (قوله وهو) أى بعض الظن كثير وقوله وهم أى أهل الخبر (قوله بخلافه ساق منهم) أى المؤمنين وقوله في نحو ما يظهر منهم فى أى نحو المعاصى التى تظهر منهم بأن يتجاهروا بها (قوله ولا تجسسوا) مة على قرأته بالجيم وقرئ شذوذا بالحاء ، واختلف فقيل معناها واحد ، وقيل التجسس بالجيم البحث عما يكتف عنك تجسس بالحاء طلب الأخبار والبحث عنها ، والمعنى خذوا مظهر ولا تتبعوا عورات المسلمين فإن من تتبع عوراتهم تتبع الله ربه حتى ينضح ولو في جوف بيته (قوله ولا يغتب بعضكم بعضا) (١٠٧) اعلم أن الغيبة ثلاثة أوجه في كتاب

الله تعالى : الغيبة والإفك والبهتان ، فأما الغيبة فهى أن تقول في أخيك ما هو فيه ، وأما الإفك فهو أن تقول فيه ما بلغك عنه ، وأما البهتان فهو أن تقول فيه ما ليس فيه ، وقيل إن كلاهما على كل وهو الشهور . واعلم أن هذه الأمور المتقدمة

هو كثير كظن سوء بأهل الخير من المؤمنين وهم كثير بخلافه بالفاسق منهم فلا إثم فيه نحو ما يظهر منهم (وَلَا تَجَسَّسُوا) حذف منه إحدى التاءين : لا تتبعوا عورات المسلمين ما يهيم بالبحث عنها (وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا) لا يذكره بشيء يكرهه وإن كان فيه أوجب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا بالتخفيف والتشديد أى لا يحسن به ؟ لا فكرهتموه أى فاغتيابه في حياته كأكل لحمه بعد مماته وقد عرض عليكم الثانى كرهتموه فأكروها الأول (وَاتَّقُوا اللَّهَ) أى عقابه فى الاغتياب بأن تتوبوا منه (إِنَّ اللَّهَ) (أب) قابل توبة التائبين (رَحِيمٌ) بهم ،

كرها كبر تحتاج لتوبة وهل تفقر لاستحلال العتاب ونحوه أولا ؟ فقال جماعة ليس عليه استحلال بل يكفيه التوبة وبين الله لأن المظلمة ما تكون فى النفس والمال ولم يأخذ من ماله ولا أصاب من بدنه ما ينقصه ، وقال جماعة يجب عليه يستغفر لصاحبها لما ورد عن الحسن رضى الله عنه : كفارة الغيبة أن تستغفر لمن اغتبتته ، وقال جماعة عليه الاستحلال لها ولو إجمالا ، ويستثنى من الغيبة المحرمة سبعة أمور نظمها بعضهم بقوله :

نظم واستغف واستغف حذر وعرف بدعة فسق المجاهر

قوله أوجب أحدكم الخ) تمثيل لما ياله العتاب من عرض من اغتيابه على أقبح وجه وإساءة مثله بهذا لأن أكل لحم الميت حرام الدين وقبيح فى النفوس (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله لا يحسن به) تفسير لميتا وقوله لا يكرهه إلى أن الاستفهام إنكارى (قوله فكرهتموه) الضمير عائد على الأكل المفهوم من يأكل (قوله أى فاغتيابه حياته الخ) فى هذا التمثيل إشارة إلى أن عرض الإنسان كلحمه ودمه لأن الإنسان يتألم قلبه من قرض عرضه كما يتألم جسمه من قطع لحمه ، فإذا لم يحسن من العاقل أكل لحم الإنسان لم يحسن منه قرض عرضه بالأولى (قوله قابل توبة التائبين) يبر به إلى أن المبالغة فى تواب للدلالة على كثرة من يتوب عليه من عباده لأنه مأمّن ذنب إلا ويعفو الله عنه بالتوبة إذا توفت شروطها . واعلم أنه تعالى ختم الآيتين بذكر التوبة فقال : ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ، وقال هنا : إن الله أب رحيم ، لكن لما كان الابتداء فى الآية الأولى بالنهى فى قوله - لا يسخر قوم من قوم - ذكر النفي الذى هو قريب من النهى وفى الثانية كان الابتداء بالأمر فى قوله - اجتنبوا كثيرا من الظن - ذكر الاثبات الذى هو قريب من الأمر تأمل .

(قوله يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى) اختلاف في سبب نزول هذه الآية فقال ابن عباس : لما كان يوم فتح
 أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا حتى علا ظهر الكعبة فأذن فقال عتاب بن أسيد بن أبي القريض الحمد لله الذي
 أنى حق لا يرى هذا اليوم ، وقال الحرث بن هشام ما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذنا ، وقال سهل بن عمرو إن
 الله شيئا يغيره ، وقال أبو سفيان أنا لأقول شيئا أخاف أن يخبره به رب السموات ، فأتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم وأما
 ساقولوا ، فدعاهم وسألهم عما قالوا فأقروا ، فأنزل الله تعالى هذه الآية زجرا لهم عن التفاخر بالأنساب والتكثار بالأموال والأولاد
 بالفقراء وأن المدار على التقوى لأن الجميع من آدم وحواء وإنما الفضل بالتقوى ، وقيل نزلت في أبي هند حين
 رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى بيضة أن يزوجه امرأة منهم فقالوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج بناتنا موالينا
 وقيل نزلت في قيس بن ثابت حين قال له رجل افسح لي فقال إن ابن فلانة يقول افسح لي كناية عن استخفافه به
 رسول الله صلى الله عليه وسلم من الداء كره فلانة قال ثابت أنا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظر في رجوه
 فنظر فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما رأيت ؟ قال ثابت رأيت أبيض وأسود وأحمر فقال إنك لا تفضلهم إلا بالتقوى ، وفيه
 أيضا قوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس الآية (قوله آدم وحواء) لف ونشر مرتب
 هو أعلى طبقات النسب) أي فالشعوب رؤوس القبائل ، وصمى شعبا لشعب القبائل منه (قوله ثم الفصائل آخرها) أي فالمر
 ست وزاد بعضهم سابعة وهي (١٠٨) العشيرة وكل واحدة تدخل فيما قبلها فالقبائل تحت الشعوب والعمائر

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى) (آدم وحواء) (وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا) (وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا)
 شعب بفتح الشين هو أعلى طبقات النسب (وَقَبَائِلَ) هي دون الشعوب وبعدها العمار
 البطون ثم الأفخاذ ثم الفصائل آخرها ، مثاله خزينة شعب كنانة قبيلة قريش عمارة بكسر المع
 قصى بطن هاشم فخذ العباس فصيلة (لِتَعَارَفُوا) حذف منه إحدى التاءين ليعرف بعضكم بعض
 لا لتفاخروا بعلو النسب وإنما الفخر بالتقوى (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)
 (عَلِيمٌ) بكم (خَبِيرٌ) ببواطنكم (قَاتِ الْأَعْرَابُ) نفر من بني أسد (آمَنَّا) صدقنا بقلوبنا
 (قُلْ) لهم (لَمْ تُولَمُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا) أي انقدنا ظاهرا (وَلَمَّا) أي لم (يَدْخُلُوا)
 (الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ) ،

القبائل والبطون تحت
 العمار والأفخاذ تحت
 البطون والفصائل تحت
 الأفخاذ والعشار تحت
 الفصائل (قوله بكسر
 العين) أي وفتحها
 ففيه الغتان لكن الأفصح
 الفتح (قوله ليعرف
 بعضكم بعضا) أي
 فتصالوا أرحامكم وتنقسبوا
 لأبائكم (قوله وإنما

إلى
 الفخر بالتقوى) أي الافتخار الحمود إنما يكون
 على أهل الكفر بترك الشرك والتمسك بالإسلام وشعاره (قوله إن أكرمكم عند الله أتقاكم) أي أعزكم عند الله تعالى
 أكثركم تقوى ، فهي سبب رفعة القدر في الدنيا والآخرة ، وانظروا إلى قوله - أتقاكم - ولم يقل أكثركم مالا ولا جاه
 ولا أحسنكم صورة ولا غير ذلك من الأمور التي تنفي (قوله إن الله عليم) أي يعلم ظواهركم خبير يعلم ببواطنكم فلا يخفى عن
 شيء (قوله نفر من بني أسد) أشار بذلك إلى سبب نزول هذه الآية ، وذلك أنهم قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
 في سنة مجدية فأظهروا الإسلام ولم يكونوا مؤمنين في السر وأفسدوا طرق المدينة بالعذرات وأغلوا أسعارها ، وكانوا يغدو
 ويروحون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون أنتك العرب بأنفسها على ظهور رواحلها ونحن جئناك بالأطع
 والعيال والدراري ولم نقانك كما قانك بنو فلان وبنو فلان يعمون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويريدون الصدقات
 ويقولون أعطنا فنزلت هذه الآية (قوله صدقنا بقلوبنا) جواب عما يقال إن الإسلام والإيمان متلازمان . فأجاب بأن
 النبي هنا الإيمان بالقاب والمذهب الانقياد ظاهرا فهما متغايران بهذا الاعتبار ، وأما الإسلام والإيمان الشرعيان المتعبر
 فهما متحدان ماصدقا وإن كان مفهومهما مختلفا إذ الإيمان هو التصديق القلبي بشرط النطق بالشهادتين والإسلام الانقياد
 الظاهري الناشئ عن التصديق القلبي (قوله قل لم تؤمنوا) أي فلا تقولوا آمنا وقوله - ولكن قولوا أسلمنا - أي غلب
 منكم لإسلام ظاهرا في الآية احتياك حذف من كل نظير ما أثبت في الآخر .

(قوله إلى الآن) أخذه من لما الآن نفياً محض الحال وقوله لكنه يتوقع منكم أشار إلى أن منى لما متوقع الحصول ففيه
بشارة لهم بأنهم سيؤمنون وقد حصل وبهذا اندفع ما قد يتوهم من أن هذه الجملة مكررة مع قوله لم تؤمنوا وإيضاح الجواب
أن هذه الجملة أفادت معنى زائدا وهو نفي الإيمان مع توقع حصوله بخلاف الأولى فإنها أفادت نفيه فقط (قوله بالهزم) أى
من ألت من باب ضرب ونصر (قوله وتركه) أى من لات يلبث كباع يبيع خذفت منه عين الكلمة وهى الياء وقيل هو من
ولت يلبث كوعده بعد خذفت منه فاء الكلمة وهى الواو (قوله وبإيداله ألفا) أى فاقراءات ثلاث سبعيات (قوله إنما المؤمنون)
مبتدأ خبره قوله الذين آمنوا (قوله ثم لم يرتابوا) أى بتم إشارة إلى أن نفي الريب لم يكن وقت حصول الإيمان بل هو حاصل
فيما يستقبل فكأنه قال ثم داموا على ذلك (قوله في سبيل الله) أى طاعته (قوله في جهادهم يظهر صدق إيمانهم) أى أن الجهاد
في سبيل الله دل على أنهم صادقون في الإيمان وليسوا منافقين هو (جواب عن سؤال وهو أن العمل

ليس من الإيمان فكيف
ذكر أنه منه في هذه
الآية وإيضاح الجواب
عنه أن المراد من الآية
لايمان الكامل (قوله
وامك هم الصادقون)
فيه تعرض بكذب
الأعراب في ادعائهم
الإيمان فلم تزل هاتان
الآيتان أتت الأعراب
رسول الله يخلفون أنهم
مؤمنون صادقون وعلم
الله منهم غير ذلك فأنزل
الله قل أتعلمون الله الخ
(قوله مضعف علم بمعنى
شعر) أى وهو بهذا
المعنى متعدد لواحد فقط
وبواسطة التضعيف
يتعدى لاثنتين أولهما
نفسه والثاني بحرف الج
(قوله والله يعلم ما

إلى الآن لكنه يتوقع منكم (وإن تطيعوا الله ورسوله) بالإيمان وغيره (لا يلبث تركه)
بالهزم وتركه وبإيداله ألفا لا ينقصكم (من أعمالكم) أى من ثوابها (شيثا إن الله غفور)
للمؤمنين (رحيم) بهم (إنما المؤمنون) أى الصادقون في إيمانهم كما صرح به بعد
(الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا) لم يشكوا في الإيمان (وجاهدوا بأموالهم
وأنفُسهم في سبيل الله) في جهادهم يظهر صدق إيمانهم (أولئك هم الصادقون) في إيمانهم
لأن قالوا آمنا ولم يوجد منهم غير الإسلام (قل) لهم (أتعلمون الله يدبنيكم) مضعف
علم بمعنى شعر: أى تشعرونه بما أتم عليه في قولكم آمنا (والله يعلم ما في السموات
وما في الأرض والله بكل شيء عليم) يمتدحون عليك أن أسلموا) من غير قتال بخلاف
غيرهم ممن أسلم بعد قتاله منهم (قل لا آمنوا على إسلامكم) منصوب بنزع الخافض الباء
ويقدر قبل أن في الموضين (بل الله يعلم عليكم أن هذا لكم للإيمان إن كنتم
صادقين) في قولكم آمنا (إن الله يعلم غيب السموات والأرض) أى ما غاب فيهما
(والله بصير بما يعملون) بالياء والتاء لا يخفى عليه شيء منه .

(سورة ق)

مكية إلا ٥ ولقد خلقنا السموات والأرض ٥ الآية فمدنية خمس وأربعون آية
(بسم الله الرحمن الرحيم . ق) الله أعلم بمراده به (والقرآن المجيد) :

سموات الخ) الجملة حالية (قوله يمتدحون عليك أن أسلموا) أى يعدون إسلامهم منة عليك (قوله من غير قتال) أى لا
لأصحابك (قوله ويقدر) أى الخافض الذى هو الباء . والحاصل أنه مقدر في ثلاثة مواضع الأول منها قوله أن أسلموا الثاني
وله قل لا آمنوا على إسلامكم الثالث قوله أن هذا لكم فموضعان فيهما أن وموضع خال عنها (قوله أن هذا لكم للإيمان) أى
على حسب زعمكم كأنه قال إن إيمانكم على فرض حصوله منة من الله عليكم (قوله إن كنتم صادقين) شرط حذف جوابه
سلاطة ما قبله عليه (قوله أن الله يعلم غيب السموات والأرض) أى فلا يخفى عليه شيء فيهما (قوله بالياء) أى نظرا لقوله يعلمون
ما بعده وقوله والتاء أى نظرا لقوله لا آمنوا وها قراءتان سبعيتان .

سورة ق مكية [أى كلها على أحد القولين وقوله إلا ولقد خلقنا على القول الآخر فكان المناسب للفسر أن يقول أو إلا واقد
خلقنا ليكون مشبرا للقولين (قوله ق) العامة على قراءة بالسكون وقرئ شذوذا بالبناء على الكسر والفتح والضم (قوله الله أعلم بمراده به)

تقدم غير مرة أن هذا القول أصح وأسلم ، وقيل هو جبل محيط بالأرض من زمردة خضراء اخضرت السماء منه وعليه طرف السماء والسماء عليه مقببة وما أصاب الناس من زمرد كان مما تساقط من ذلك الجبل وقال وهب أشرف ذو القرنين على جبل قـ فرأى تحته جبلا صغارا فقال له ما أنت قال أنا قـ قال فما هذه الجبال حولك قال هي عروقي وما من مدينة إلا وفيها عرق من عروقي فإذا أراد الله أن يزلزل مدينة أمرني فحركت عروقي ذلك فترزلت تلك الأرض فقال له يا قـ أخبرني بشيء من عظمة الله قال إن شأن ربنا لعظيم وإن ورائي أرضا مسيرة خمسمائة عام في خمسمائة من جبال تاج بعضها يحيط بها لولا هي لاحتقت من حرجهم ثم قال زدني قال إن جبريل عليه السلام واقف بين يدي الله ترعد فرائضه يخلق الله من كل رعدة مائة ألف ملك فهو لاء الملائكة واقفون بين يدي الله منكسون رؤوسهم فإذا أذن الله لهم في الكلام قالوا لا إله إلا الله وهو قوله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا وقيل معنى قـ قضى الأمر كما قيل في حمـ حمـ الأمر وقيل هو اسم من أسماء الله تعالى أقسم به ، وقيل هو اسم من أسماء القرآن وقيل هو افتتاح كل اسم من أسماء الله تعالى في أوله قـ كقادر وقهار وقوى ولعظم فضل (١١٠) تلك السورة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الأضحى

الكريم ما آمن كفار مكة بمحمد صلى الله عليه وسلم (بَلْ تَحِبُّوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ) رسول من أنفسهم يخوفهم بالنار بعد البعث (فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا) الإنذار (شَيْءٌ تَحْيِيْبٌ . أَئِذَا) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين (مِتْنًا وَكُنَّا تُرَابًا) نرجع (ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ) في غاية البعد (قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ) تأكل (مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ) هو اللوح المحفوظ فيه جميع الأشياء المقدرة (بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ) بالقرآن (لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ) في شأن النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن (فِي أَمْرِ مَرْجٍ) مضطرب ، قالوا مرة : ساحر وسحر ، ومرة : شاعر وشعر ، ومرة : كاهن وكهانة (أَفَلَمْ يَنْظُرُوا) بهيولهم معتبرين بقولهم حين أنكروا البعث (إِلَى السَّمَاءِ) كائنة (فَوْقَهُمْ كَيْفَ بُنِيْنَاهَا) بلا عمد (وَزَيْنَاهَا) بالكواكب (وَمَالَهَا مِنْ فُرُوجٍ) شقوق تعيها (وَالْأَرْضَ) معطوف على موضع إلى السماء كيف (مَدَدْنَاهَا) دحوناها على وجه الماء (وَأَقْنَيْنَاهَا فِيهَا رَوَاسِيَ) جبلا تثبتها (وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ) صنف (مَرْجٍ) :

والفطر بها وباقتربت الساعة وكان يقرؤها على المنبر يوم الجمعة إذا خطب للناس (قوله الكريم) أى فكل من طاب منه مقصوده وجده فيه (قوله ما آمن كفار مكة الخ) قدره إشارة إلى أن جواب القسم محذوف وهو أسهل الأعراب (قوله بل عجبوا) إضراب عن جواب القسم المحذوف لبيان أحوالهم الشنيعة والعجب استعظام أمر خفي سببه وهذا بالنسبة لعقولهم القاصرة

حيث قالوا لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم (قوله وقال الكافرون) حكاية لبعض تعجبهم وأقوا يلهم الباطلة (قوله هذا شيء عجب) أى يتعجب منه لأنه خارج عن طور عقولنا (قوله أئذا متنا) معمول المحذوف قدره المفسر بقوله نرجع (قوله وإدخال ألف بينهما) أى وتركه فالقراءات أربع سبعيات لا اثنان كما توهمه عبارته (قوله بعيد) أى عن العادة (قوله قد علمنا ما تنقص الأرض منهم) رد لاستبعادهم وتعجبهم (قوله وعندنا كتاب حفيظ) الجملة حالية والكلام على تشبيه علمه بتفاصيل الأشياء يعلم من عنده كتاب حاو محفوظ يطلع عليه (قوله هو اللوح المحفوظ) أى وهو من درة بيضاء مستورة على الهواء فوق السماء السابعة طوله ما بين السماء والأرض وعرضه ما بين المشرق والمغرب (قوله فيه جميع الأشياء) يحتمل أن الجار والمجرور متعلق بالمحفوظ وجميع نائب فاعل به ويحتمل أنه خبر مقدم وجميع مبتدأ مؤخر (قوله بل كذبوا بالحق) انتقال من شاعتهم إلى ما هو أشنع وهو تكذيبهم للنبوة الثابتة بالمعجزات الظاهرة (قوله مرج مضطرب) أى مختلط يقال مرج الأمر ومرج الدين اختلط (قوله أفلم ينظروا) الهمزة داخلية على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير أغفلوا وعموا فلم ينظروا إلى السماء الخ (قوله كائنة فوقهم) أشار به إلى أن فوقهم حال من السماء (قوله كيف بنيناها) كيف مفعول مقدم وجملة بنيناها بدل من السماء (قوله ومالها من فروع) الجملة حالية (قوله معطوف على موضع إلى السماء) أى المنصوب ينظروا

(قوله يرج به) أى يسرو فيه إشارة إلى أن فعل أى يحصل السرور به (قوله مفعول له) أى لأجله ويصح أن يكونا منصوبين على المصدرية والتقدير بصراهم تبصرة وذكرناهم تذكرة (قوله تبصيرا منا) أى تعلما ونفهما والتبصرة والتذكرة إما عائدان على كل من السماء والأرض . والمعنى خلقنا السموات تبصرة وذكرى والأرض تبصرة وذكرى ويحتمل أنه لف ونشر مرتب فالسما تبصرة والأرض تذكرة والفرق بينهما أن التبصرة تكون فيما آياته مستمرة والتذكرة فيما آياته متجددة (قوله رجاع إلى طاعتنا) أى ذى رجوع وإقبال عليها فالصيغة للنسبة لا للمبالغة (قوله وحب الحصيد) قدر المفسر الزرع إشارة إلى أنه حذف الموصوف وأقيمت صفته مقامه (قوله المحصود) أى الذى شأنه أن يحصد كالبر والشعير وفيه مجاز الأول أى الزرع الذى ينول إلى كونه محصودا (قوله والنخل بأسقات) يقال بسقت النخلة بسوقا من باب قعد طالت فهى بأسقة والجمع بأسقات وبواسق وبسق الرجل يهرى علمه (قوله حال مقدرة) أى لأنها وقت الانبات لم تكن طوالا وأفردها بالذكر لكثرة منافعتها وزيادة ارتفاعها (قوله لها طلع نضيد) الجملة حال من النخل مترادفة أو من الضمير فى بأسقات (قوله رزقا للعباد) منصوب على الحال ولم يقيد العباد هنا بالإنابة وقيد به فى قوله تبصرة وذكرى لأن التذكرة لا تكون إلا لمنيب والرزق يعم كل أحد (قوله وأحيينا به) أى بذلك الماء وقوله بلدة ميتا أى أرضا جديبة يابسة فاهتزت وربت بذلك

الماء وأنبئت من كل زوج
رجع (قوله يستوى فيه
الذكر والمؤنث) جواب
عن سؤال مقدر تقديره
الأرض مؤنثة فكيف
وصفها بالذكور وفى هذا
الجواب نظر لأن استواء
الذكر والمؤنث فى فعل
وليس هنا والصواب
أن التذكير باعتبار كونه
مكانا (قوله كذلك
الخروج) جملة قدم فيها
الخبر لتصد الحصر والمعنى
خروجهم من قبورهم
مثل ما تقدم من عجائب

يهيج به لحسنه (تبصرة) مفعول له ، أى فعلنا ذلك تبصيرا منا (وذكرى) تذكرة (للكل
عبد منيب) رجاع إلى طاعتنا (ونزلنا من السماء ماء مباركا) كثير البركة (فأنبتنا
جئات) بساتين (وحب) الزرع (الحصيد) المحصود (والنخل بأسقات) طوال حال
مقدرة (لها طلع نضيد) متراكب بعضه فوق بعض (رزقا للعباد) مفعول له (وأحيينا
بلدة ميتا) يستوى فيه الذكر والمؤنث (كذلك) أى مثل هذا الإحياء (الخروج) من
القبور فكيف تفكرونه والاستفهام للتقرير ، والمعنى أنهم نظروا وعلموا ما ذكر (كذبت قباهم
قوم نوح) تأنيث الفعل لمعنى قوم (وأصحاب الرس) هى بئر كانوا مقيمين عليها بمواشيهم
يعبدون الأصنام وندبهم قيل حنظلة بن صفوان وقيل غيره (وعمود) قوم صالح (وعاد) قوم
هود (وفرعون وإخوان لوط) وأصحاب الأيكة أى الفيضة قوم شعيب (وقوم تبع) هو ملك كان باليمن أسلم ودعا قومه إلى الإسلام فكذبوه (كل) من المذكورين (كذب
الرس) كقريش ،

خلق السماء وما بعدها (قوله ولا استفهام للتقرير الخ) الأولى أن يقول للإنكار والتوبيخ وقوله والمعنى أنهم الخ غير صحيح
إذ لو نظروا وعملوا لآمنوا (قوله كذبت قباهم قوم نوح الخ) كلام مستأنف قصد به تقرير حقيقة البعث والوعيد لقريش
والتسلية لرسول الله (قوله لمعنى قوم) أى لأنه بمعنى أمة (قوله هى بئر) أى انخفضت تلك البئر مع ما حولها فذهبت بهم
وبأموالهم (قوله وقيل غيره) هو شعيب أو نبي آخر أرسل بعد صالح لبقية من عمود (قوله وعمود) ذكرهم بعد أصحاب
الرس لأن الرجفة التى أخذتهم مبدأ الحسف لأصحاب الرس وأتبع عمود بعد لأن الريح التى أهلكتهم إثر صيحة عمود (قوله
وإخوان لوط) تقدم أنه ابن أخى إبراهيم وأنه هاجر معه من العراق إلى الشام فنزل إبراهيم بفلسطين ونزل لوط بسدوم وأرسله
الله إلى أهلها وهو أجنبي منهم ، فكيف يقال إخوانه . أجيب بأنه تزوج فصار صهرا لهم فالأخوة من حيث ذلك (قوله
وأصحاب الأيكة) تقدم الكلام عليهم فى الشعراء (قوله أى الفيضة) أى وهى الشجر الملتف وهى هنا بأل المعرفة وفى ص
والشعراء بأل ودونها قراءتان سبعيتان (قوله هو ملك كان باليمن) وقيل نبي وهو تبع الحميري واسمه أسعد وكنيته أبو قرن
(قوله كل) التنوين عوض عن المضاف إليه أى كل أمة ، والمراد بالكل الكل المجموع (قوله كذب الرسل) أى ولو
بالواسطة كتبع .

(قوله الحق وعيد) مضاف لباء المتكلم حدثت الباء وبقيت الكسرة دليلا عليها (قوله فلا يضيق صدرك) أى لما تقدم أنه تسليمة لرسول الله ونهديد لهم (قوله أفعيننا بالحق الأول) الهمزة داخلية على محذوف والفاء عاطفة عليه والأصل أقصدنا الحق الأول فمعجزنا عنه حتى يحكموا به جزنا عن الإعادة وفيه إلزام لمنكرى البعث والى العجز (قوله بالحق الأول) الباء سببية أو بمعنى عن والاستفهام إنكارى بمعنى النفي (قوله بل هم فى لبس) عطف على مقتدر يقتضيه السياق كأنه قيل هم غير منكرين لقد رتبنا على الحق الأول بل هم فى خلط وشبهة من خالق جديد لما فيه من مخالفة العادة وتنكير خلق لتفخيم شأنه والإشعار بخروجه عن حدود العادات (قوله ولقد خلقنا الانسان) المراد به الجنس الصادق بآدم وأولاده (قوله حال بتقدير نحن) أى لأن الجملة المضارعية المثبتة إذا وقعت حالا لاتقترن بالواو بل تحوى الضمير فقط فان اقترنت بالواو أعربت خبرا لمحذوف وتكون الجملة الاسمية حالا . قال ابن مالك :

وذات بدء بمضارع ثبت حوت ضميرا ومن الواو خلت

وذات واو بعدها أنو مبتدا له المضارع اجعلن مسندا

(قوله مامصدرية) أى والتقدير ونعلم وسوسة نفسه إياه ويصح أن تكون موصولة والضمير عائد عليها والتقدير ونعلم الأمر الذى تحدثت نفسه به (قوله الباء زائدة) أى فهو نظير صوت بكذا وقوله أو للتعديدية أى فالنفس تجعل الانسان قائمة به الوسوسة (قوله والضمير للانسان) (١١٢) أى فجعل الانسان مع نفسه شخصين تجرى بينهما مكاملة ومحادثة

(فحق وعيد) وجب نزول العذاب على الجميع فلا يضيق صدرك من كفر قريش بك (أفعيننا بالحق الأول) أى لم نعى به فلا نعيها بالإعادة (بل هم فى لبس) شك (من خلق جديد) وهو البعث (ولقد خلقنا الانسان ونعلم) حال بتقدير نحن (ما) مصدرية (تومئوس) تحدث (به) الباء زائدة أو للتعديدية والضمير للانسان (نفسه ونحن أقرب إليه) بالعلم (من جبل الوريد) الإضافة للبيان ، والوريدان عرقان بصفحتى العنق (إذ) ناصبه اذ ذكر مقدراً (بآفاق) يأخذ ويثبت (الملتئمان) الملتصقان بالإنسان ما يعمل (عن اليمين وعن الشمال) منه (قميد) أى قاعدان وهو مبتدأ خبره ما قبله (ما يلفظ من قول إلا) (لديه رقيب) حائظ (عتيد) حاضر وكل منهما بمعنى المثنى .

تارة يحدثها وتارة تحدثه وهذه الوسوسة لا يؤاخذ بها الانسان خبرا أو شرا ومثلها الخاطر والهاجس وأما الهم فيكتب فى الخير لا فى الشر وأما العزم فيكتب خبرا أو شرا ، وقد تقدم ذلك (قوله ونحن أقرب إليه) أى لأن الله لا يحجبه شيء بل هو القائم على كل نفس

لاتخفى عليه خافية فقربه تعالى من عبده اتصال تصاريفه فيه (وجاءت

بحيث لا ينبى عنه طرفة عين قال تعالى - وهو معكم أينما كنتم - (قوله من جبل الوريد) هذا مثل فى شدة القرب والجبل العرق (قوله والوريدان عرقان بصفحتى العنق) أى مكتنفان صفحتى العنق فى مقدمهما يتصلان بالوتين وهو عرق متصل بالقلب ، وبالأبهر وهو عرق فى الظهر ، وبالأكل وهو عرق فى الذراع ، وبالفسا وهو عرق فى الفخذ ، وبالأسلم وهو عرق فى الخصر عرق قطع من أى جهة مات صاحبه . قال القشبرى فى هذه الآية هيبة وفزع وخوف وروح وأنس . - يكون قلب لقوم أى بحسب نجلى الله تعالى وشهوده فإذا شهد الانسان جلال الله وهيبته وشدة بطشه وسرعة انتقامه مع شدة تمكنه منه واتصال تصاريفه به ذاب من خشية الله وإذا شهد جمال الله ورحمته وإحسانه أنس وفرح (قوله يأخذ ويثبت) أى يكبران فى صحيفتى الحسنات والسيئات والى لسانه ومدادهما ريقه ومحلهما من الانسان نواجزه (قوله ما يعمل) مفعول يلقى (قوله أى قاعدان) أشار بذلك إلى أن قميد مفرد أقيم مقام المثنى لأن فعلا يستوى فيه الواحد والاثنان والجمع (قوله وهو مبتدأ خبره ما قبله) أى والجملة فى محل نصب على الحال من الملتئمان (قوله ما يلفظ من قول الخ) مانافية ومن زائدة فى المفعول وقوله لديه خبر مقدم ورقيب مبتدأ مؤخر والجملة حالية (قوله وكل منهما بمعنى النفي) أى فاللفظ الإلاديه ملكان موصوفان بأنهما رقيبان وعتيدان لكل منهما موصوف بأنه رقيب وعتيد وقوله حاضر أى فلا يشاركه إلا فى مواضع ثلاثة فى الحلاء وعند الجماع وفى حالة الجنابة فإذا فعل العبد فى تلك الحالات حسنة أو سيئة عرفها برائحتها وكتبتها

وله وجاءت سكرة الموت (أى حضرت إما بالموت فرادى وهو ظاهر واقع أو دفعة عند النفخة الأولى وإنما عبر عنها بالماضى حتى وقوعها وإشارة إلى أنها فى غاية القرب (قوله بالحق) الباء للتعدي أى أنت بالأمر الحق أى أظهرته والمراد به بعد الموت من أهوال الآخرة ، ومعنى كونه حقا أنه واقع لا محالة (قوله وهو نفس الشدة) المناسب حذف هذه العبارة الاستغناء بقاها عنها إلا أن يقال إن الضمير فى هو عائد على أمر الآخرة والمراد بالشدة الأمر الشديد وهو أهوال الآخرة (قوله ريب) بضم الراء من باب طلب (قوله ونفخ فى الصور) عطف على قوله وجاءت سكرة الموت والصورة هو القرن الذى نفخ فيه إسماعيل لا يعلم قدره إلا الله تعالى وقد التقمه إسماعيل من حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم منتظرا الأذن بنفخ (قوله إلى يوم النفخ) أى بالإشارة إلى الزمان المفهوم من قوله نفخ لأن الفعل كما يدل على الحدث يدل على الزمان قوله معها سائق وشهيد) اختلف فى معنى السائق والشهيد على أقوال أشهرها ما قاله المفسر وقيل السائق كاتب السينات شهيد كاتب الحسنات ، وقيل السائق نفسه أو قرينه والشهيد جوارحه أو أعماله وقيل غير ذلك (قوله ويقال للكافر) أحد قولين ، وقيل إن القول يقع للمسلم أيضا لکن على سبيل التهنئة (١١٣) ، ومعنى كنت فى غفلة كنت

فى حجاب لم تشاهده بالبصر إذ ليس راء كمن سمع فكشفنا عنك غطاءك فتهنأ بما رأيت وتمل بما أعطيت من النعيم المقيم (قوله فكشفنا عنك غطاءك) أى حجابك وهو الغفلة والانهماك فى الشهوات (قوله حاد) أى نافذ لزوال المانع الإصرار (قوله الملك الموكل به) أى فى الدنيا لكتابة أعماله وهو الرقيب العتيد المتقدم ذكره ، والمعنى أن الملك يقول هذا عمله المكتوب

وَجَاءَت سَكْرَةُ الْمَوْتِ غَمْرَتُهُ وَشَدَتْهُ (بِالْحَقِّ) مِنْ أَمْرِ الْآخِرَةِ حَتَّى يَرَاهُ الْمُنْكَرَ لَهَا عِيَانًا هُوَ نَفْسُ الشَّدَةِ (ذَلِكَ) أَيْ الْمَوْتِ (مَا كُنْتُ مِنْهُ تَحِيدُ) تَهْرَبُ وَتَفْزَعُ (وَانْفِخِ فِي الصُّورِ) لِلْبَحْثِ (ذَلِكَ) أَيْ يَوْمَ النَّفْخِ (يَوْمُ الْوَعِيدِ) لِلْكَفَّارِ بِالْعَذَابِ (وَجَاءَتْ) بِهِ (كُلُّ نَفْسٍ) إِلَى الْحَشْرِ (مَعَهَا سَائِقٌ) مَلَكٌ يَسُوقُهَا إِلَيْهِ (وَشَهِيدٌ) يَشْهَدُ عَلَيْهَا بِعَمَلِهَا مِنَ الْأَيْدِي وَالْأَرْجُلِ وَغَيْرِهَا ، وَيُقَالُ لِلْكَافِرِ (لَقَدْ كُنْتُ) فِي الدُّنْيَا (فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا) أَنْزَلَ بِكَ الْيَوْمَ (فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ) أَزَلْنَا غَفْلَتَكَ بِمَا تَشَاهَدُهُ الْيَوْمَ (فَبَصَرُكَ) لِيَوْمٍ حَدِيدٍ (حَادٌّ تَدْرِكُ بِهِ مَا أَنْكَرْتَهُ فِي الدُّنْيَا (وَتَأَلَّ قَرِينُهُ) الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ (هَذَا مَا) عَلَى الَّذِي (لَدَى عَتِيدٌ) حَاضِرٌ يُقَالُ لِمَالِكٍ (أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ) أَيْ أَلْقِ أَلْقِ أَوْ أَلْقِيْنِ وَبِهِ رَأَى الْحَسَنَ فَأَبْدَتْ النُّونُ أَلْفَا (كُلُّ كَفَّارٍ عَفِيدٌ) مُعَانِدٌ لِلْحَقِّ (مَنَاعٌ لِلْخَيْرِ) كَالزَّكَاةِ الْمُعْقَدِ (ظَالِمٌ مُرِيبٌ) شَاكٌ فِي دِينِهِ (الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ) مُبْتَدَأٌ ضَمِنَ مَعْنَى لَشَرِّ خَبْرِهِ (فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ) تَفْسِيرُهُ مِثْلُ مَا تَقْدِمُ (قَالَ قَرِينُهُ) الشَّيْطَانُ (رَبَّنَا مَا أَطْفَيْتُهُ) أَضَلَّتْهُ (وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) فَدَعَوْتُهُ فَاسْتَجَابَ لِي وَقَالَ هُوَ أَطْفَأَنِي بِدَعَائِهِ لِي ،

عندى حاضر لدى ، وقيل المراد بقرينه الشيطان المقيض له واسم الإشارة عائد على ذات الشخص الكافر ، والمعنى يقول شيطان هذا الشخص الذى عندى حاضر معه ومهيا للنار (قوله هذا مالى عتيد) يصح أن تكون مانكرة موصوفة عتيد صفتها ولدى متعلق بعتيد أى هذا شئ حاضر عندى ويصح أن تكون ماموصولة بمعنى الذى ولدى صلتها وعتيد خبر وصول والوصول وصلته خبر اسم الإشارة (قوله أى ألقى ألقى الخ) لما جعل المفسر الخطاب للواحد احتاج للجواب عن التثنية قوله ألقيا فأجاب بجوابين الأول أنه تثنية بحسب الصورة والأصل أن الفعل مكرر للتوكيد فحذف الثانى وعبر عنهما بضمير تثنية فعلى هذا يعرب بحذف النون والألف فاعل . الثانى أن الألف ليست للتثنية بل هى منقلبة عن نون التوكيد الخفيفة أجرى الوصل هنا مجرى الوقف (قوله وبه قرأ الحسن) أى وهى قراءة شاذة (قوله معاند) أى معرض عن الحق مخالف (قوله مبتدأ ضمن معنى الشرط) المناسب أن يقول مبتدأ يشبه الشرط (قوله تفسيره) أى يخرج به مثل ما تقدم من حيث الاعتذار عن التثنية (قوله قال قرينه الخ) أى جوابا عما ادعاه الكافر عليه بقوله هو أطفانى فالكافر أولا يقول شيطان أطفانى فيجيبه الشيطان بقوله ربنا ما أطفيت به وكان الأولى للمفسر أن يقدم قوله هو أطفانى بأن يقول وقال قرينه جوابا لقوله هو أطفانى ربنا الخ .

(قوله لا تختصموا) خطاب للكافرين وقرنائهم (قوله أى ما ينفع الخصام هنا) أى فى موقف الحساب (قوله وقد قدمت إليكم بالوعيد) ظاهره أن الجملة حال من قوله لا تختصموا وهو مشكل بأن التقديم بالوعيد فى الدنيا والاختصاص فى الآخرة وأجيب بأن الكلام على حذف والأصل وقد ثبت الآن أتى قد قدمت إليكم الخ (قوله ولا بد) أى لا تطمعوا أتى أبداً وعيدى فإن وعيدى للكافرين محتم كوعدى للمؤمنين (قوله ما يبدل القول) المراد بالقول الوعيد بتخليد الكافر فى النار (قوله فى ذلك) أى فى ذلك اليوم فاسم الإشارة عائد على يوم الحساب (قوله لا ظلم اليوم) أى وإذا اتقى الظلم عنه فى هذا اليوم فتنى الظلم عنه فى غيره أخرى، سبحانه من تنزه عن الظلم عقلاً ونقلاً (قوله ناصبه ظلام) أى والمعنى ما أنا بظلام يوم قولى لجهنم الخ (قوله استفهام تحقيق لوعده بمثلها) خاطب الله سبحانه وتعالى جهنم خطاب العقلاء وأجابته جواب العقلاء ولا مانع من ذلك عقلاً ولا شرعاً لما ورد «تحتاج الجنة والنار واشتكت النار إلى ربها» فلا حاجة إلى تكلف المجزأ من الممكن من الحقيقة فى هذا ونظائره مما ورد فى السنة من نطق الجمادات والمراد باستفهام التحقيق التقرير فالله تعالى يقرر بأنها قد امتلأت (قوله وتقول بصورة الاستفهام كالسؤال) أى أجابته جواباً صورته استفهام ومعناه الخبر كما أشار له المفسر بقوله أى امتلأت وإنما أجابته بصورة الاستفهام ليكون طبق السؤال لكن استفهام السؤال تقريرى واستفهام جوابها إنكارى هذا مامشى عليه المفسر، وقيل إن الاستفهام لطلب الزيادة فهو بمعنى زدنى ويدلّ عليه ما جاء فى الحديث من قوله صلى الله عليه وسلم «لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فتقول قط قط» (١١٤)

(قَالَ) تعالى: (لَا تَخْتَصِمُوا لَدَىَّ) أى ما ينفع الخصام هنا (وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ) فى الدنيا (بِالْوَعِيدِ) بالعذاب فى الآخرة لو لم تؤمنوا ولا بد منه (مَا يَبْدُلُ) بغير (الْقَوْلُ لَدَىَّ) فى ذلك (وَمَا أَنَا بِظَالَمٍ لِلْمُتَعَبِّينِ) فأعذبهم بغير جرم، وظلام بمعنى ذى ظلم لقوله «لا ظلم اليوم» (يَوْمَ) ناصبه ظلام (نَقُولُ) بالنون والياء (لِجَهَنَّمَ) هل امتلأت (استفهام تحقيق لوعده بمثلها) (وَنَقُولُ) بصورة الاستفهام كالسؤال (هَلْ مِنْ زَيْدٍ) أى فى لا أسع غير ما امتلأت به أى قد امتلأت (وَأَزَلَفَتْ الْجَنَّةُ) قربت (لِلْمُتَّقِينَ) مكاناً (غَيْرَ بَعِيدٍ) منهم فيرونها ويقال لهم (هَذَا) المرئى (مَا تَوَعَّدُونَ) بالتاء والياء فى الدنيا ويبدل من المتقين قوله (لِكُلِّ أَوَّابٍ) رجاء إلى طاعة الله (حَفِظِ) ،

وعزتك فينزوى بعضها على بعض وتقول قط قط وعزتك وكرمك ولا يزال فى الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقاً فيسكنهم فضل الجنة «وفى رواية» فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله عليها رجلاً يقول لها قط قط فهناك تمتلئ وينزوى بعضها إلى بعض فلا يظلم الله من خلقه

أحداً، وأما الجنة فإن الله ينشئ لها خلقاً «انتهى ولفظ أقدم والرجل فى الحديث من التشابه يأتى فيه مذهب السلف والخلف، فالسلف ينزهونه عن الجارحة ويفوضون علمه لله تعالى، والخلف لم فيه تأويل: منها أن المراد بالقدم والرجل قوم من أهل النار فى علم الله لأن القدم والرجل يطلقان فى اللغة على العدد الكثير من الناس فكأنه قال حتى يضع رب العزة فيها العدد الكثير من الناس الموعودين بها ويؤيده ماورد عن ابن مسعود «إن ما فى النار بيت ولا سلسلة ولا مقمع ولا تابوت إلا وعليه اسم صاحبه فكل واحد من الخزنة يفتظر صاحبه الذى قد عرف اسمه وصفته فإذا استوفى ما أمر به وما ينتظره ولم يبق أحد منهم قالت الخزنة: قط قط حسبنا حسبنا اكتفينا اكتفينا» وحينئذ تنزوى جهنم على من فيها وتنطبق إذ لم يبق أحد ينتظرها. ومنها أن وضع القدم والرجل كناية عن تجلى الجلال عليها فتصاغر وتضيق وتنزوى فتقول قط قط وهذا هو الأقرب (قوله للمتقين) المراد بهم من ماتوا على التوحيد (قوله مكاناً) قدره المفسر إشارة إلى أن قوله غير بعيد صفة لموصوف محذوف فهو منصوب على الظرفية لقيامه مقام الظرف ولم يقل غير بعيدة إما لأنه صفة لمذكور محذوف أولاً فعلاً يستوى فيه الذكر والمؤنث وأتى بهذه الجملة عقب قوله وأزلفت للتأكيد كقولهم هو قريب غير بعيد وعزبز غير ذليل. إن قلت إن الجنة مكان والشأن انتقال الشخص للكان لا انتقال المكان للشخص. أجيب بأنه أضاف القرب لها إكراماً للمؤمنين كأن الاحكام ينقل لهم وهو كناية عن سهولة وصولهم إليها (قوله ويبدل من المتقين) أى بإعادة الجار وحالة: هذا ما توعدون معترضة بين البديل والمبدل منه.

قوله حافظ لحدوده) أى حفيظ بمعنى حافظ لا بمعنى محفوظ (قوله من خشى الرحمن) إما بدل من كل أو مستأنف خبر لمخدوف
قوله خافه ولم يره) أشار بذلك إلى أن قوله بالغيب حال من المفعول والمعنى خشيه والحال أن الله غائب عنه: أى متعجب بصفة
لاله وكبريائه ويصح أن يكون حالا من الداعل والمعنى خشى الرحمن والحال أن الشخص غائب عن الله أى محجوب عنه (قوله
سالمين من كلهم مخوف) أشار بذلك إلى أن قوله بسلام حال من فاعل ادخلوها وهى حال مقارنة (قوله أومع سلام) أى أن
قولهم مصحوب بالسلام من بعضهم على بعض أومن الله وملائكته عليهم وحينئذ فالمعنى ادخلوها مسلمات عليكم (قوله ذلك
يوم الذى حصل فيه الدخول الخ) فائدة هذا القول بشرى المؤمنين وطمأنينة قلوبهم (قوله لهم ما يشاءون) أى ما يشتهون
يريدونه يحصل لهم عاجلا وقوله فيها إما متعلق بيشاءون أو حال من ما (قوله زيادة على ما عملوا وطلبوا) أى وهو النظر إلى
به الله الكريم لما قيل: يتجلى لهم الرب تبارك وتعالى كل ليلة جمعة فى دار كرامته فهذا هو الزيد، وقيل إن السحابة تمر
مرة تمر بأهل الجنة فتطرحهم الحور فيقلن نحن المزيدي الذى قال الله فيه: ولدينا مزيد (قوله وكم أهلكنا الخ) كم خبرية
مؤولة لأهلكنا ومن قرن تمييز لكم وقوله هم أشد منهم مبتدأ وخبر والجملة صفة إما لكم أو لقرن و بطشا تمييز، والمعنى إننا
أهلكنا قرونا كثيرة أشد بأسا و بطشا من قريش ففتشوا فى البلاد عند نزول (١١٥) العذاب بهم فلم يجدوا

مخاضا (قوله فنقبوا
فى البلاد) أى ساروا فيها
طالين الحرب (قوله لهم
أو اغيبرهم) هذا يقتضى
أن جملة هل من محيىص
استثنائية من كلامه تعالى
و حينئذ فالوقف على
قوله فى البلاد ويكون
فى الكلام حذف والتقدير
فتشوا فى البلاد هار بين
فلم يجدوا مخاضا فهل من
قرار لهم أو اغيبرهم، وقيل
إنها من كلامهم والتقدير
قائمين هل من محيىص
لنا (قوله إن فى ذلك

حافظ لحدوده) (مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ) خافه ولم يره (وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ) مقبل على
اعته، ويقال للمعتين أيضا (أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ) أى سالمين من كل مخوف أومع سلام: أى
لهم وادخلوا (ذَلِكَ) اليوم الذى حصل فيه الدخول (يَوْمُ الْخُلُودِ) الدوام فى الجنة (لَهُمْ
يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ) زيادة على ما عملوا وطلبوا (وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ
أَهْلَكْنَا قَبْلَ كِفَارِ قَرْنٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الْكُفَّارِ (هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا) قُوَّةً (فَنَقَّبُوا)
شوا (فِي الْبِلَادِ . هَلْ مِنْ مَحْيِصٍ) لهم أو اغيبرهم من الموت فلم يجدوا (إِنْ فِي ذَلِكَ) المذكور
لَذِكْرَى) لعظة (لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ) عقل (أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ) استمع الوعظ (وَهُوَ
يَعِيدُ) حاضر بالقلب (وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ) أولها
أحد وآخرها الجمعة (وَمَا مَسَّنَا مِنْ أُفُوبٍ) تعب، نزل رداً على اليهود فى قولهم إن الله
تراح يوم السبت، وانتفاء التعب عنه لتنازه تعالى عن صفات المخلوقين ولعدم المماسه بينه
بين غيره، إنما أمره،

كور) أى من أول السورة إلى هنا (قوله أو ألقى السمع) أو مانعة خلو تجوز الجمع وهو المطلوب فان الموعظة لاتنفيد
ينتفع بها صاحبها إلا إذا كان ذا عقل وأصغى بسمعه وأحضر قابله فان لم يكن كذلك فلا ينتفع بها (قوله استمع الوعظ) أى
تته حتى كأنه يلقي شيئا من علو إلى أسفل (قوله وهو شهيد) الجملة حالية أى ألقى السمع والحال أنه حاضر القلب غير مشغول
غير ما هو فيه وحضور القلب على مراتب: مرتبة العامة أن يشهد الأوامر والنهي من القارىء. ومرتبة الخاصة أن يشهد
بخاص من الله تعالى بأمره ونهايه. ومرتبة خاصة الخاصة أن يفنوا عن حسهم ويشاهدوا أن القارىء هو الله تعالى
عما لسانه ترجمان عن الله تعالى (قوله فى ستة أيام) أى تعالما لعباده التمهيل والتأني فى الأمور وإلا فلو شاء الخلق السكل فى أدل من لمح
سر (قوله من لغوب) من زائدة فى الفاعل واللغوب مصدر لغب من باب دخل وتعب الاعياء والتعب والعامة على ضم اللام وقرئ
وذا بفتحها والجملة إما حالية أو مستأنفة (قوله نزل ردا على اليهود الخ) أى فقالوا خلق الله السموات والأرض فى ستة أيام أولها الأحد
آخرها الجمعة ثم استراح يوم السبت واستلقى على العرش فلذلك تركوا العمل فيه فنزلت هذه الآية ردا عليهم وتكذيبا لهم فى قولهم
راح يوم السبت بقوله وما مسنا من لغوب (قوله ولعدم المماسه بينه وبين غيره) أى من الموجودات التى يوجد بها والتعب والاعياء
يحصل من العلاج ومماسه الفاعل لمفعوله كالتجار والحداد وغير ذلك وهذا إنما يكون فى أفعال المخلوقين (قوله إنما أمره) أى شأنه

(قوله إذا أراد شيئا) أى إيجاد شيء أو إعدامه (قوله أن يقول له كن فيكون) أى من غير فعل ولا معالجة عمل ولا على حسب التقريب للعقول وإلا ففي الحقيقة لا قول ولا كاف ولا نون (قوله من التشبيه) أى تشبيه الله بغيره إذ نسبوا الأعياء والاستراحة وغير ذلك من كفر يائهم (قوله وسبح بحمدي بك الخ) أى حيث لم يهتدوا ولم يتبعوك فاشركوا بعبادة ربك ولا تركها حزنا على عدم إيمانهم وذلك أن الله تعالى أمره بشيئين هداية الخلق وعبادة ربه حيث فاته هداية فلا يترك العبادة لأنه ليس مأمورا بجهادهم حينئذ (قوله صل حامدا) أشار بذلك إلى أن سبوح معناه صل إما مجازا إطلاق الجزء على الكل أو حقيقة لأن من جملة معاني الصلاة التسبيح لما ورد عن عائشة «كنت أصلي سبحة الضحى الخ» (قوله بفتح الهمزة جمع دبر) أى أعقاب الصلاة من أدبرت الصلاة إذا انقضت (قوله وبكسرهما مصدر أدبر) أى والوقت إدبار الصلاة : أى انقضائها (١١٦) وتامها والقراءتان سبعيتان (قوله وقيل المراد حقيقة التسبيح)

لما ورد من سبوح دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وحمد الله ثلاثا وثلاثين وكبر ثلاثا وثلاثين فذلك تسعة وتسعون وتام المائة لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت خطاياهم وإن كانت مثل زبد البحر » (قوله مقولى) أشار بذلك إلى أن مفعول استمع محذوف : أى استمع ما أقول لك فى شأن أحوال يوم القيامة وقوله يوم ينادى كلام مستأنف مبين للمفعول المحذوف (قوله يوم ينادى) الوقف عليها إما بالياء أو بدونها قراءتان سبعيتان والمنادى إما بالياء وصلا ووقفا

إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون (قاصدا) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم (ما يقولون) أى اليهود وغيرهم من التشبيه والتكذيب (وسبح بحمدي بك) صل حامدا (قوله طلوع الشمس) أى صلاة الصبح (وقبل الغروب) أى صلاة الظهر والعصر (ومن الليل فسبحه) أى صل المشاءين (وأذبار السجود) بفتح الهمزة جمع دبر وبكسرهما مصدر أى صل النوافل المسنونة عقب الفرائض ، وقيل المراد حقيقة التسبيح فى هذه الأوقات ملا للحمد (وأستمع) يا مخاطب مقولى (يوم ينادى المنادى) هو إسرافيل (من مكان قريب من السماء ، وهو صخرة بيت المقدس أقرب موضع من الأرض إلى السماء يقول : أيتها العالمة البالية والأوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة إن الله يأمر كن أن تجتمعن لى القضاء (يوم) بدل من يوم قبله (يسمعون) أى الخلق كلهم (الصيحة بالحق) بالياء وهى النفخة الثانية من إسرافيل ، ويحتمل أن تكون قبل ندائه أو بعده (ذلك) أى النداء والسماع (يوم الخروج) من القبور وناصب يوم ينادى مقدر : أى يعلمون تكذيبهم (إنا نحن نحيي ونميت وإينا المصير يوم) بدل من يوم قبله وما بينهما اعتراض (تشق) بتخفيف الشين وتشديدها بإدغام التاء الثانية فى الأصل فيها (الأرض) أى سراعاً جمع سريع حال من مقدر : أى فيخرجون مصرعين (ذلك حشر عاليا يسير فيه فصل بين الموصوف والصفة بمتعلقها للاختصاص وهو لا يضر وذلك إشارة إلى معنى الخبر به عنه وهو الإحياء بعد الفناء والجمع للعرض والحساب .

أو بآياتها وصلا لا وقفا أو بحذفها وصلا ووقفا ثلاث قراءات (قوله هو إسرافيل) هذا أحد قواين ، وقيل المنادى جبريل والناصح إسرافيل (قوله أقرب موضع من الأرض إلى السماء) أى باثنى عشر ميلا والأوصال) أى العروق (قوله بالحق حال من الواو) أى يسمعون ملتبسين بالحق أو من الصيحة أى ملتبسة بالحق وعبارة مقتضى أن الباء للتعدية (قوله ويحتمل أن تكون قبل ندائه أو بعده) هذا يقتضى أنها غير النداء المذكور مع أن النداء المذكور هو ما يسمع من النفخة فهذا الصنيع غير مستقيم إلا على القول بأن المنادى جبريل والناصح إسرافيل (قوله أى يعاقبة تكذيبهم) بيان للناصب المقدر ولو قدره بلفظه لكان أولى (قوله إنا نحن نحيي ونميت وإينا المصير) أى فى الدنيا وقوله وإينا المصير فى الآخرة (قوله وما بينهما) أى وهو قوله إنا نحن نحيي ونميت وإينا المصير (قوله بتخفيف الشين الخ) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله حال من مقدر) أى ويصح أن يكون حالاً من ضمير عنهم (قوله للاختصاص) أى الخاص والمعنى لا يفسر ذلك إلا على الله

قوله نحن أعلم بما يقولون) فيه نسبية للنبي صلى الله عليه وسلم (قوله بجبار) صيغة مبالغة من جبر الثلاثي ويقال أيضا
 يجرر بأعيا فهمما لغتان فيه (قوله وهذا قبل الأمر بالجهاد) أى فهو منسوخ (قوله من يخاف وعيد) يرسم بدون ياء وفي
 فقط يقرأ بآبائها وصلا لاوقفا وبخذفها وصلا ووقفا قرأتان سبعيتان (قوله وهم المؤمنون) خصهم لأنهم المنتفعون به ، ويؤخذ
 من الآية أنه ينبغي للشخص أن لا يعظ إلا من يسمع وعظه ويقبله .

[سورة الذاريات] وفي بعض النسخ والذاريات بالواو (قوله والذاريات) الواو للقسم والذاريات مقسم به والحاملات
 عطف عليه والجاريات عطف على الحاملات والمقسمات عطف على الجاريات والمقسم عليه هو قوله إنما توعدون لصادق وإنما
 سم بهذه الأشياء تعظيما لها ولكونها دلائل على باهر قدرة الله ويصح أن يكون الكلام على حذف مضاف أى ورب هذه
 لأشياء فالقسم بالله لأبلك الأشياء (قوله تذروا التراب) أى ففعله واوى من باب عدا وأشار به إلى أن مفعول الذاريات
 تذوف (قوله مصدر) أى مؤكده وناصبه اسم الفاعل (قوله ويقال) (١١٧) تذريه (أى ففعله يأتى من باب

رمى (قوله تهب به)
 راجع لكل من الواوى
 واليائى (قوله وقرا) الوقر
 والنقل والحل كلها ألفاظ
 متحدة الوزن والمعنى
 (قوله مفعول الحاملات)
 أى مفعول به للحاملات
 (قوله أمرا) إما مفعول
 به أو حال أى مأمورة
 وعليه فيحتاج إلى حذف
 مفعول المقسمات (قوله
 الملائكة تقسم الأرزاق
 الخ) أى ورؤساء ذلك
 أربعة : جبريل وهو
 صاحب الوحي إلى الأنبياء
 وميكائيل صاحب الرزق
 وإسرافيل صاحب الصور
 وعزرائيل صاحب قبض
 لأرواح وما مشى عليه .

(نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ) أى كفار قريش (وَمَا أَنْتَ بِجَبَّارٍ) تجبرهم على الإيمان
 وهذا قبل الأمر بالجهاد (نَذَكَّرُ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ) وهم المؤمنون .

(سورة الذاريات)

مكية ، ستون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . وَالذَّارِيَاتِ) الرياح تذروا التراب وغيره (ذَرُوهَا)
 مصدر ، ويقال تذريه ذريا : تهب به (فَالْحَامِلَاتِ) السحب تحمل الماء (وَقَرًّا) ثقلا مفعول
 الحاملات (فَالْجَارِيَاتِ) السفن تجرى على وجه الماء (يُسْرًّا) بسهولة مصدر فى موضع
 الحال : أى ميسرة (فَالْمُقَسَّمَاتِ أَمْرًا) الملائكة تقسم الأرزاق والأمطار وغيرها بين العباد
 والبلاد (إِنَّمَا تُوعَدُونَ) مامصدرية : أى إن وعدم بالبعث وغيره (أَصَادِقُ) لوعده صادق
 (وَإِنَّ الدِّينَ) الجزاء بعد الحساب (لَوَاقِعٌ) لا محالة (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ) جمع حبيكة
 كطريقة وطرق : أى صاحبة الطرق فى الحلقة كالطرق فى الرمل (إِنَّكُمْ) يا أهل مكة فى
 شأن النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن (لَنِي قَوْلٍ مُّخْتَفٍ) قيل شاعر ساحر كاهن ، شعر
 سحر كهانة (يُؤْفَكُ) يصرف (عَنْهُ) عن النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن أى عن الإيمان
 به (مَنْ أُولَئِكَ) صرف عن الهداية فى علم الله تعالى (تَتَلَّوْنَ الْخُرَاصُونَ) لعن الكذابون
 أصحاب القول المختلف (الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ) جهل يغمرهم ،

المفسر فى تفسير هذه الأشياء هو المشهور ، وقيل هذه الأوصاف الأربعة للرياح لأنها تثير السحاب ثم تحمله وتنقله ثم تجرى به
 ريا مهلا ثم تقسم الأمطار بتصرف السحاب (قوله أى إن وعدم) صوابه بكاف الخطاب (قوله لواقع) أى حاصل (قوله
 والسماء ذات الحبكة) بضمين فى قراءة العامة وقرئ بوزن إبل وسلك وجبل ونعم و برق (قوله فى الحلقة) أشار به إلى أن
 المراد بها الطرق المحسوسة التى هى مسير الكواكب ويصح أن المراد بها الطرق المعنوية للناظرين الذين يستدلون بها على
 توحيد الله تعالى (قوله إنكم لاني قول مختلف) جواب القسم (قوله قيل شاعر الخ) المناسب أن يقول قاتم (قوله عن النبي
 والقرآن) أى فالضمير عائد على أحدهما وفيه نسبية للنبي صلى الله عليه وسلم أى أما من عبد كفر بك إلا لسابق كفره ألا
 ويصح أن يكون الضمير عائدا على القول المذكور والمعنى يصرف عن هذا القول المختلف من صرف عنه وهو من أراد الله
 هدايته كالمؤمنين (قوله قتل الخراصون) هذا التركيب فى الأصل مستعمل فى القتل حقيقة ثم استعمل فى اللعن على
 سبيل الاستعارة حيث شبه من فاتته السعادة بالمقتول الذى فاتته الحياة وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشئ من لوازمه

وهو القتل فاثباته تخييل (قوله يسألون أيان يوم الدين) أيان خبر مقدم ويوم الدين مبتدأ مؤخر (قوله أي متى مجيئه جواب عن سؤال مقدر تقديره إن الزمان لا يخبر به عن الزمان وإنما يخبر به عن الحدث . فأجاب بأن الكلام على حذف مضاف (قوله وجوابهم) أي جواب سؤالهم وإنما أجيبوا بما لا تعين فيه لأنهم مستهزئون لامتعلمون (قوله على النار يفتنون) عداة يعلى لتضمنه معنى يعرضون (قوله هذا) مبتدأ وقوله الذي كنتم الخ خبره (قوله إن المتقين الخ) لما في حال الكفار وما أعد لهم في الآخرة أخذ يبين أحوال المتقين وما أعد لهم (قوله تجري فيها) جواب عما يقال إن المتقين يكونوا في العيون فكيف قال في جنات وعيون . فأجاب بأن المراد أن العيون تجري في الجنة . تكون في جهاتهم وأمكنهم (قوله حال من الضمير في خبر إن) أي كائنون في جنات وعيون حال كونهم آخذين ما آتاهم ربهم أي راضين به (قوله من الثواب) بيان لما (قوله كانوا قليلا الخ) تفسير للاحسان (قوله وبالأشجار) متعلق يستغفرون المعطوف على يجمعون والباء بمعنى في والأشجار جمع (١١٨) سحر وهو سدس الليل الأخير (قوله يقولون اللهم اغفر لنا) أي تقصير

(سَاهُونَ) غافلون عن أمر الآخرة (يَسْأَلُونَ) النبي استفهام استهزاء (أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ) أي متى مجيئه ، وجوابهم يجيء (يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ) أي يعذبون فيها ويقال لهم حين التعذيب (ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ) تعذيبكم (هَذَا) التعذيب (الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَهْزِئُونَ) في الدنيا استهزاء (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ) بساتين (وَعُيُونٍ) تجري فيها (آخِذِينَ) حال من الضمير في خبر إن (مَا آتَاهُمْ) أعطاهم (رَبُّهُمْ) من الثواب (إِنَّهُمْ) كانوا قبل (ذَلِكَ) أي دخولهم الجنة (مُخْصِينَ) في الدنيا (كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ) ما يجمعون ينامون وما زائدة ويجمعون خبر كان وقليلا ظرف . أي ينامون في زمن يسير من الليل ويصرون أكثره (وَبِالْأَشْجَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) يقولون اللهم اغفر لنا (وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّإِسْأَالِ الْمَخْرُومِ) الذي لا يسأل لتعففه (وَفِي الْأَرْضِ) من الجبال والبحار والأشجار والثمار والنبات وغيرها (آيَاتٌ) دلالات على قدرة الله سبحانه وتعالى ووحدانيته (الْمُوقِنِينَ) وفي أنفسكم آيات أيضا من مبدأ خلقكم إلى منتهاه وما في تركيب خلقكم من العجائب (أَفَلَا تَبْصُرُونَ) ذلك فتستدلون به على صانعه وقدرته (وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ) أي المطر المسبب عنه النبات الذي هو رزق (وَمَا تُوعَدُونَ) من المآب والثواب والعقاب أي مكتوب ذلك في السماء (فَوَرَبُّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ)

في حقل فانه لا يقدرك أحد حق قدرك (قوله وفي أموالهم حق) أي بمقتضى كرمهم جعلوا كالواجب عليهم كصلة الأرحام ومواساة الفقراء والمعنى أنهم بذلوا نفوسهم وأموالهم في طاعة ربهم (قوله لتعففه) أي فيظن غنيا فيحرم الصدقة وهذا على حد تفسير القانع والاعتد (قوله وفي الأرض آيات الخ) الجار والمجرور خبر مقدم وآيات مبتدأ مؤخر وقوله وفي أنفسكم خبر حذف مبتدؤه لدلالة ما قبله عليه وهو كلام

مستأنف قصد به الاستدلال على قدرته تعالى ووحدانيته وقد اشتمل على دليالين الأرض والأنفس (قوله من الجبال الخ) بيان للأرض فالمراد بها ما قبل السماء (قوله دلالات على قدرة الله تعالى الخ) أي وجميع صفاته السكالية (قوله من مبدأ خلقكم إلى منتهاه) أي كالأطوار المذكورة في قوله تعالى ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين الخ (قوله وما في تركيب خلقكم الخ) أي تحسن القامة وحسن الشكل ونحو ذلك (قوله أفلا تبصرون) جملة مستأنفة قصد بها الحث على النظر والتأمل (قوله وفي السماء رزقكم) كلام آخر قصد به الامتنان والوعيد والوعيد (قوله أي المطر المسبب عنه النبات) أي فالكلام على حذف مضاف والتقدير وفي السماء سبب رزقكم (قوله وما توعدون) عطف عام (قوله أي مكتوب ذلك) أي ما توعدون فهو تفسير لظرفية ما توعدون في السماء وأما ظرفية الرزق فيها فظاهرة إذ المطر فيها حقيقة والمعنى أن جميع ما توعدون به من خير وشر مكتوب في السماء تنزل به الملائكة الموكلون بتدبير العالم على طبق ما أمروا به (قوله ورب السماء والأرض الخ) هذا قسم من الله تعالى على ما ذكره من الرزق وغيره وأنه مثل النطق في كونه حقا لا يفارق الشخص في حال من أحواله .

قوله أي ما توعدون) أي ورزقكم أيضا (قوله رفع مثل صفة) أي لحق (قوله و بفتح اللام) أي والقراءتان سبعيتان (قوله كبة مع ما) أي حال كونها مركبة مع ما تركيب مزج ككأما وظالما فيقال في إعرابها مثل ما صفة لحق مبنية على السكون محل رفع ومثل ما مضاف وجملة أنكم تنطقون مضاف إليه في محل جر (قوله المعنى) أي معنى القراءتين (قوله مثل نطقكم حقيقته) أي كما أنه لا شك لكم في أنكم تنطقون بذنب لكم أن لا تشكوا في حقيقته ، حكى أن رجلا جاع في مكان وليس شيء فقال اللهم رزقك الذي وعدني فأننى به فشبع وروى من غير طعام ولا شراب (قوله هل أذاك الخ) استفهام تشويق تخيم لأن تلك القصة ، وقيل إن هل بمعنى قد كما في قوله تعالى هل أتى على الإنسان حين من الدهر - (قوله ضيف إبراهيم) ضيف في الأصل مصدر ضاف ولذلك يطاق على الواحد والجماعة (قوله المكرمين) أي المعظمين (قوله منهم جبريل) أي على مع الأقوال (قوله ظرف لحديث ضيف) هذا أحد أوجه في عامل الظرف . الثاني أنه منصوب بما في ضيف من معنى الفعل كونه في الأصل مصدرا . الثالث أنه منصوب بالمكرمين . الرابع أنه منصوب بفعل محذوف تقديره اذكر ولا يصح نصبه بأنك تتلاف الزمانين (قوله فقالوا سلاما) أي نسلم عليكم سلاما ، وقوله قال (١١٩) سلام: أي عليكم سلام وعدل إلى الرفع قصدا للأنباء فتحيته أحسن من تحيتهم (قوله قوم منكرون) أي لا نعرف من أي بلدة قدموا ، وفي هود - فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم - فمقتضاه أن إنكارهم إنما حصل بعد مجيئه لهم بالعجل وامتناعهم من الأكل ، ومقتضى ما هنا أنه قبل ذلك . وحاصل الجمع بين الموضعين أن الإنكار هنا غيره فيما تقدم فما هنا محمول على عدم العلم بأنهم من أي جهة ، وما تقدم محمول على عدم العلم بأنهم

ما توعدون) (أَيُّ مِثْلُ مَا أَنْكُمْ تَنْطِقُونَ) رفع مثل صفة وما مزيدة و بفتح اللام كبة مع ما ، المعنى مثل نطقكم في حقيقته أي معلوميته عندكم ضرورة صدوره عنكم (هل أذاك) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم (حديث ضيف إبراهيم المكرمين) وهم ملائكة عشر أو عشرة أو ثلاثة منهم جبريل (إذ) ظرف لحديث ضيف (دخلوا عليه فقالوا) (لما) أي هذا اللفظ (قال سلام) أي هذا اللفظ (قوم منكرون) لا نعرفهم ، قال ذلك نفسه وهو خبر مبتدأ مقدر: أي هؤلاء (فراغ) مال (إلى أهله) مرأ (فجاء بجبريل) وفي سورة هود بمجل حنيذ: أي مشوى (فقرأ به إليهم) قال ألا تأكلون عرضهم الأكل ألم يجيبوا (فأوجس) أضمر في نفسه (منهم خيفة) قالوا لا تخف) إنا رسل لك (وبشروهم بآلامهم عليهم) ذي علم كثير ، هو إسحق كما ذكر في هود (فأقبلت امرأته) آرة (في صرة) صيحة حال: أي جاءت صائحة (فصكت وجهها) لطمته (وقالت عجوز) لم تلد قط وعمرها تسع وتسعون سنة وعمر إبراهيم مائة سنة ، أو عمره مائة وعشرون سنة وعمرها تسعون سنة .

يا عليه لقصد الخير أو أشر (قوله فراغ إلى أهله) أي خدمه وكان عامة ماله البقر (قوله سرا) أي في خفية من ضيفه فان من رب المنزل الكريم أن يبادر بالقرى في خفية حذرا من أن يمتعه الضيف (قوله فقرأ به إليهم) عطف على محذوف والتقدير (قوله عرض عليهم الأكل) أشار بذلك إلى أن ألا للعرض وهو الطاب بلين ورفق كما قال الشاعر:

يا ابن الكرام ألا تدنو فتبصر ما قد حدثوك فإراء كمن سمعا

فأوجس) عطف على ما تقدم المفسر (قوله خيفة) أي من عدم أكلهم فان الضيف إذا لم يأكل من طعام رب المنزل منه (قوله قالوا لا تخف) أي لما ظهر لهم أمارات خوفه (قوله إنا رسل ربك) أي إلى قوم لوط ، وقيل مسح جبريل بجناحه فقام يمشي حتى لحق بآمه فعرفهم وأمن منهم (قوله فأقبلت امرأته) أي لما سمعت البشارة المذكورة وكانت دوية من زوايا البيت فجاءت وقالت ما ذكر (قوله سارة) بالتخفيف والتشديد لغتان (قوله صيحة) تفسير لصرة ، وتقدم في أنها ضحكت: أي حاضت لم يكن بين البشارة والولادة إلا سنة (قوله فصكت وجهها) أي ضربته بيدها مبسوطة أو بأطراف يدها مثل التعجب وهو عادة النساء إذا أنكرن شيئا (قوله وقالت عجوز) أي أنا عجوز .

(قوله قالوا كذلك) منصوب على المصدر يقال الثابتة : أى مثل ذلك القول الذى أخبرناك به - قال ربك - أى قضى وحكم فى الأزل فلا تعجبى منه (قوله قال فما خطبكم) أى لما رأى من حالهم وأن اجتماعهم لم يكن لهذه البشارة فتط (قوله لترسل عليها حجارة) استدلال به على أن اللائط يرمي بالأحجار وكان فى تلك المدائن ستمائة ألف فأدخل جبريل جناحه تحت الأرض فاقتلعها ورفعها حتى سمع أهل السماء أصواتهم ثم قلبها ثم أرسل الحجارة على من كان منهم خارجا عنها (قوله مسومة) إما حال من حجار أوصفة ثانية لها (قوله فأخرجنا من كان فيها الخ) حكاية من جهته تعالى لما جرى على قوم لوط بطريق الإجمال بعد حكاية ماجرى بين الملائكة مع إبراهيم (قوله أى قرى قوم لوط) أى وهى وإن لم تذكر دل عليها السياق (قوله غير بيت) أى غير أهل بيت (قوله وهم لوط وابنتاه) أى وقيل كانوا ثلاثة عشر منهم ابنتاه (قوله وصفوا بالإيمان والإسلام) أى لأن المسلم قد يكون مؤمرا وقد لا يكون (قوله وتركنا) أى أبقينا فى القرى (قوله علامة) أى وهى تلك الأحجار والصخر المتراكم والماء الأسود الذى يشاهدها من يمر بأرضهم (١٢٠) (قوله معطوف على فيها) أى على الضمير المحرور بنى (قوله المعنى وجعلنا الخ)

(ألا كذلك) أى مثل قولنا فى البشارة (قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ) فى صنعه (العليم) بخلقهم (قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ) شأنكم (أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ) قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين كافرين: أى قوم لوط (لَتُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةٌ مِنْ طِينٍ) مطبوخ بالنار (مُسَوَّمَةٌ) معطوف عليها اسم من يرمى بها (عِنْدَ رَبِّكَ) ظرف لها (لِلْمُتَرَفِّينَ) باتيانهم الذكور مع كفرهم (فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا) أى قرى قوم لوط (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) لإهلاك الكافرين (فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) وهم لوط وابنتاه وصفوا بالإيمان والإسلام، أى مصدقون بقلوبهم عاملون بجوارحهم الطاعات (وَتَرَكَدَّا فِيهَا) بعد إهلاك الكافرين (آيَةً) علامة على إهلاكهم (الَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ) فلا يفعلون مثل فعلهم (وَفِي مُوسَىٰ مُعْطُوفٌ عَلَىٰ فِيهَا، المعنى وجعلنا فى قصة موسى آية) (إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ) ملتبسا بوضحة (أى وهى الآيات التسع) (قوله كالركن) أى كركن البيت الذى يعتمد عليه فسمى الجنود ركنا لأنه يحصل بهم التقوى والاعتماد كما يعتمد على الركن (قوله وقال لموسى) أى فى شأن موسى (قوله

أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف والمفعول محذوف (قوله إذا أرسلناه) الظرف متعلق بآية المحذوف، والمعنى تركنا فى قصة موسى علامة فى وقت إرسالنا إياه (قوله ملتبسا بسلطان الخ) أشار بذلك إلى أن الجار والمحرور متعلق بمحذوف حال والباء للملابسة (قوله بحجة واضحة) أى وهى الآيات التسع (قوله كالركن) أى كركن البيت الذى يعتمد عليه فسمى الجنود ركنا لأنه يحصل بهم التقوى والاعتماد كما يعتمد على الركن (قوله وقال لموسى) أى فى شأن موسى (قوله

ساحر أو مجنون) يحتمل أن أو على بابها من لإيهام على السامع أو للشك نزل نفسه منزلة الشاك تمويه على قومه ويحتمل أنها بمعنى الواو وهو الأحسن لأنه قالهما. قال تعالى - إن هذا الساحر عليم - وقال فى موضع - إن رسولاكم الذى أرسل إليكم لمجنون - (قوله وجنوده) معطوف على مفعول أخذناه (قوله وهو مايم) الجملة حالية من أخذناه (قوله آت بما يلام عليه) أشار بذلك إلى أن إسناد الملام مجاز عقلى على حد عيشة راضية (قوله من تكذيب الرسول) أشار بذلك إلى أن الفعل الذى يحصل اللوم عليه مختلف باعتبار من وصف به فاندفع بذلك ما يقال كيف وصف فرعون وصف به ذو النون (قوله وفى إهلاك عاد الخ) أى فما تقدم من تقدير المضاف والمفعول يأتى هنا (قوله فى الخ لاخير فيها) فالعقم فى الأصل وصف للمرأة التى لا تلد وصفت به الريح من حيث إنها لا تأتى بخير (قوله وهى الدبور) وقيل هى الجنوب، وهى النكباء وهى كل ريح هبت بين ريحين والأظهر ما قاله المفسر لما فى الحديث «نصرت بالصبا وأهلك عاد بالدبور» (لاجانته كالريم) هذه الجملة فى محل المفعول الثانى لتذكر كأنه قال ما ترك شيئا إلا جمعولا كالريم.

كالبالي المتفتت (وفي) إهلاك (نَمُودَ) آية (إِذْ قِيلَ لَهُمْ) بعد عقر الناقة (تَمَتَّعُوا)
 ك (فَمَتَّعُوا) أي إلى انتضاء آجالكم كما في آية تمتعوا في داركم ثلاثة أيام (فَمَتَّعُوا) تكبروا
 عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ) أي عن أمثاله (فَأَخَذْتَهُمُ الصَّاعِقَةُ) بعد مضي الثلاثة أيام : أي الصيحة
 لَكَّة (وَهُمْ يَنْظُرُونَ) أي بالنهار (فَمَا أُسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ) أي ما قدروا على النهوض
 من زول العذاب (وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ) على من أهلكهم (وَقَوْمَ نُوحٍ) بالجر عطف
 نَمُودَ ، أي وفي إهلاكهم بما في السماء والأرض آية ، وبالنصب أي وأهلكنا قوم نوح
 مِنْ قَبْلُ) أي قبل إهلاك هؤلاء المذكورين (إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ . وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ)
 يَّة (وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ) قادرين ، يقال : آد الرجل يثيد : قوى ، وأوسع الرجل صار ذا سعة وقوة
 وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا) مهدناها (فَتَنَّمِ الْمَاهِدُونَ) نحن (وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ) متعلق بقوله
 خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ) صنفين كالذكر والأنثى والسماء والأرض والشمس والقمر والسهل والجبل
 لصيف والشتاء والحلو والحامض والنور والظلمة (لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) بحذف إحدى
 ثمانية من الأصل فتعلمون أن خالق الأزواج فرد فتعبدونه (فَفَرِّوْا إِلَى اللَّهِ) أي إلى ثوابه
 من عقابه بأن تطيعوه ولا تعصوه ،

لا بواسطة شيء بل بقول
 كن (قوله قادرين) فسر
 الإيساع بالقادرية إشارة
 إلى أن قوله وإنا لموسعون
 حال مؤكدة وهو من
 أوسع اللازم كأوراق الشجر
 إذا صار ذورق ويستعمل
 متعديا والمفعول محذوف
 أي لموسعون السماء : أي
 جاعلونها واسعة وعليه
 فتكون حالا مؤسدة
 إذا علمت ذلك تعلم أن
 النسخ التي فيها لفظة لها
 بعد موسعون غير صحيحة
 لأنها لا تناسب إلا استعماله
 متعديا والمفسر استعماله
 لازما حيث قال وأوسع

البحر (قوله يقال آد الرجل) أي اشتد وقوى كما في المختار وبابه باع (قوله مهدناها) أي فالفرش كناية عن البسط
 نسوة (قوله نحن) أي فالخصوص بالمدح محذوف (قوله متعلق بقوله خلقنا) ويصح أن يكون متعلقا بمحذوف حال من
 جين لأنه نعت إنكرة قدم عليها (قوله صنفين) أي أمرين متقابلين (قوله كالذكر والأنثى) أشار بتعداد الأمثلة إلى ما نشاهده
 برد العرش والكرسي واللوحة والقلم فانه لم يخلق من كل إلا واحد (قوله بحذف إحدى الثمانية) أي وهذه إحدى القراءتين
 بعيتين والأخرى إدغام التاء الثانية في الدال (قوله ففرؤا إلى الله) مفرع على ما علم من توحيد الله ، والمعنى حيث علمتم أن
 واحد لا شريك له وأنه الضار النافع المعطي المانع فالجأوا إليه واهرعوا إلى طاعته ، والفرار مراتب ففرار العامة من الكفر
 المعاصي إلى الإيمان والطاعة وفرار الخاصة من كل شاغل عن الله كالمدال والولد إلى شهود الله والانهمالك في طاعته فلا يصرف
 بها من أجزائه لغير الله فكما أن الله في خالق العبد واحد فليكن العبد في إقباله على ربه واحدا بحيث لا يجعل في قلبه غير ربه
 وفي ذلك فليتنافس المتنافسون (قوله أي إلى ثوابه من عقابه البحر) حمله على الفرار العام لأن أوامر القرآن ونواهيها علامة
 الخلق التي من امتثلها فقد رزح عن النار وأدخل الجنة و

(قوله إني لكم منه نذير مبين) تعليل لما قبله والضمير في منه عائذ على الله والمعنى فرتوا إليه لآتي مخوف لكم منه (قوله ولا تجعلوا مع الله إلهاً آخر الخ) أشار بذلك إلى أن الطاعة لا تنفع مع الإشراك ولذا كرر قوله إني لكم منه نذير مبين فالفائز من بين الطاعة والتوحيد ، والمعنى لا تنسبوا وصف الألوهية لغير الله فانه لا يستحقه غيره (قوله يقدر قبل فقرتوا قل لهم) أي مقول لقول محذوف وليس بمتعين إذ يصح أن تكون الفاء فصيحة ، والتقدير إذا علمتم ماتقدم من صفات الله السكالية فقرتوا إلى الله كما تقدم (قوله كذلك) خبر مقدم وقوله ما أتى الخ مبتدأ مؤخر ، والمعنى تكذيب الأمم السابقة لأنبيائهم كأن كذب أي كتكذيب أممك لك كما أفاده المفسر (قوله إلا قالوا ساحر أو مجنون) تقدم أن أو بمعنى الواو ، وحكمة جمعهم بين الوصف أن خروجه عن عواندهم وعما عليه آباؤهم وعدم مبالاته بالجحيم الفغير اقتضى تسميته مجنوناً وإتيانه بالمعجزات التي بهرت عقولهم اقتضت تسميته ساحراً (قوله اتواصوا به) أي أوصى بعضهم بعضاً بهذه المقالة واجتمعوا عليها (قوله استفهام بمعنى النفي) فهو إنكار تعجبي والمعنى ما وقع منهم نوح بذلك لأنهم لم يلاقوا في زمان واحد (قوله بل هم قوم طاغون) ضرباب عن الاستفهام المتقدم وبيان حقيقة الباعث لهم على تلك المقالة (قوله فتول عنهم) أي أعرض عن خطابهم وجدالهم (قوله فما أنت بما أي لا لوم عليك في الأعراض عنهم فانك قد بلغت الغاية في النصيح وبذل الجهد ، ولما نزلت هذه الآية حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمر على أصحابه وظنوا أن

(١٢٢)

يتولى عنهم وجرت عادة الله في الأمم السابقة متى أمر رسولهم بالأعراض عنهم حل بهم العذاب فأنزل الله : وذكر فإن الذكري تنفع المؤمنين فسروا بذلك ولذلك قيل إنها ناسخة لما قبلها ولكن الحق أن ما قبلها منسوخ بآية السيف (قوله فان الذكري تنفع المؤمنين) تعليل لقوله ذكر والمعنى

(إني لكم منه نذير مبين) بين الإيذار (ولا تجعلوا مع الله إلهاً آخر إني لكم منه نذير مبين) يقدر قبل فقرتوا قل لهم (كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا) هو (ساحر أو مجنون) أي مثل تكذيبهم لك بقولهم إنك ساحر أو مجنون تكذيب الأمم قبلهم رسالهم بقولهم ذلك (أتواصوا) كلهم (ب) استفهام بمعنى النفي (هم قوم طاغون) جمعهم على هذا القول طغيانهم (فتول) أعرض (عنهم) فما أبلغكم لأنك بلغت الرسالة (وذكر) عظم بالقرآن (فإن الذكري تنفع المؤمنين) من علم الله تعالى أنه يؤمن (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) ولا ينافي ذلك عبادة الكافرين لأن الغاية لا يلزم وجودها كما في قولك : برئت هذا القلم لا كتب فانك قد لا تكتب به (ما أريد منهم من رزق) لي ولا لأنفسهم وغيرهم ،

لا تترك التذكير فر بما انتفع به من علم الله إيمانه ، ويؤخذ من الآية أن البلاء لا ينزل ب قوم وفيهم التذكرون لما ورد أن الله يطلع على عمار المساجد فيرفع العذاب عن مستحقه (قوله إلا ليعبدون) لا لطلب الدنيا والانهماك فيها (قوله ولا ينافي ذلك) أي الحصر المذكور وهو جواب عن سؤال مقدر حاصله أن الله تعالى الجن والإنس في العبادة مقتضاه أنه لا يخرج أحد عنها مع أنه شهود كثير من الخلق كفر وترك العبادة ، فأجاب المفسر اللام للغاية والعاقبة لا لالعلة الباعثة لأن الله لا يبعثه شيء على شيء ، وقوله فانك قد لا تكتب به اعترض بأن هذا مسلم في المخلقين لجهاهم بعواقب الأمور وأما في حق الله تعالى فلا يصح التخاف في فعله بل مقتضاه أنه عالم بأنهم سيعبدونه ولا يمكن تخلفه في البعض فالجواب الصحيح أن يقال إن الله تعالى خلق الخلق وجعلهم مهيتين صالحين للعبادة بأن ركب فيهم وحواس وجعلهم قابلين للعبادة والطاعة وبعد ذلك اختار لعبادته وطاعته من أحب منهم فلا يلزم من الصلاحية للعبادة منهم بالفعل ، وقيل معنى ليعبدون لا أمرهم وأكافهم بعبادتي لا يهتموا بالرزق وينهمكوا في خدمة الدنيا وهذا على حده وما أمروا إلا ليعبدوا الله محضين له لدين - وقيل معناه إلا ليوحدون فالأمر من يوحده طوعاً والكافر يوحده كرهاً ، وقيل أريد به الخصوص ، والمعنى وما خلقت الجن والإنس المؤمنين إلا ليعبدون بدليل القراءة الشاذة وما خلقت الجن والإنس المؤمنين (قوله ما أريد منهم من رزق لي ولا لأنفسهم) دفع المفسر بقوله لي ما يتوهم من عادة سادات العبيد في احتياجهم لربهم عبيدهم فالعنى أن عادة الله سبحانه وتعالى ليست كعادة السادات مع عبيدهم فانهم يملكونهم يستعينوا بهم في تحصيل ما

وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا) إِنْ قُلْتَ إِنْ هَذَا يَفِي عَنْهُ مَاقَبْلَهُ . أَجِيبُ بِأَنَّهُ آتَى بِهِ لَدَفْعِ تَوْهَمِ مَا عَلَيْهِ سَادَاتُ الْعَبِيدِ الْأَغْنِيَاءِ
 فِي أَحْتِيَاجِهِمْ لِلِاسْتِعَانَةِ بِهِمْ فِي صَنْعِ الطَّعَامِ مِثْلًا وَتَهْيِئَتِهِ وَنَحْوِ ذَلِكَ فَكَأَنَّهُ قَالَ شَأْنُ رَبِّهَا لَيْسَ كَشَأْنِ السَّادَاتِ مَعَ عَبِيدِهِمْ
 مِنْ حَاجَةِ الْعَبِيدِ فِي تَحْصِيلِ رِزْقٍ وَلَا فِي صَنْعِهِ لَالَهُ وَلَا لغيرِهِ وَهَذَا مِنْ نَزَلَاتِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَضَعْفَاءُ الْعَوَّلِ وَإِلَّا
 سَتَحِيلُ عَلَى اللَّهِ عَقْلًا تِلْكَ الْأَوْصَافِ وَلَا يَفِي فِي نَفْسِ الْأَمْرِ إِلَّا مَا جَوَّزَهُ الْعَقْلُ (قَوْلُهُ إِنْ اللَّهُ هُوَ الرِّزَاقُ) آتَى بِالْأَسْمِ الظَّاهِرِ
 فِيهِمْ وَالتَّعْظِيمِ وَأَكَّدَ الْجُمْلَةَ بِإِنْ وَالضَّمِيرَ الْمُنْفَصِلَ لِقَطْعِ أَوْهَامِ الْخَلْقِ فِي أُمُورِ الرِّزْقِ وَلِيَقْوَى اعْتِدَادُهُمْ عَلَيْهِ (قَوْلُهُ الْمَتَيْنِ) الْعَامَّةُ
 فِي رَفْعِهِ وَهُوَ إِمَّا نَعْتُ الرِّزَاقِ أَوْ لَدُو أَوْ خَبَرٌ بَعْدَ خَبَرٍ وَقَرِئَ شَذُوذًا بِالْجَرِّ (قَوْلُهُ الشَّدِيدُ) أَيْ الَّذِي لَا يَطْرَأُ عَلَيْهِ ضَعْفٌ وَلَا
 رِقَاقٌ (قَوْلُهُ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا الْح) أَيْ فَلَا تَحْزَنْ عَلَى كُفْرِ قَوْمِكَ وَتَسَلِّ عَنْهُمْ فَلَا يَدْلُهُمْ مِنَ الْعَذَابِ (قَوْلُهُ ذُنُوبًا) هُوَ فِي الْأَصْلِ
 لَوِ الْعَظِيمِ شَبَّهَ بِهِ النَّصِيبُ مِنَ الْعَذَابِ إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُ يَصِبُ عَلَيْهِمْ كَمَا يَصِبُ الذُّنُوبُ قَالَ تَعَالَى - يَصِبُ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمْ
 نِيمٌ - (قَوْلُهُ أَصْحَابِهِمْ) أَيْ نَظَائِرُهُمْ مِنَ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ (قَوْلُهُ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا) وَضَعِ الْمَوْصُولَ مَوْضِعَ ضَمِيرِهِ تَسْجِيلًا عَلَيْهِمْ
 كُفْرًا وَإِشْعَارًا بِعِلَّةِ الْحُكْمِ (قَوْلُهُ شِدَّةُ عَذَابٍ) وَقِيلَ وَادٍ فِي جَهَنَّمَ (١٢٣) (قَوْلُهُ الَّذِي يُوعَدُونَ) هُوَ مُرْتَبِطٌ

قَوْلُهُ تَعَالَى فِيمَا تَقْدِمُ - إِنْ
 تُوَعَّدُونَ لِصَادِقٍ - الْح
 [فَائِدَةٌ] قَدْ تَلَقَّيْنَا عَنْ
 الصَّالِحِينَ فَوَائِدَ فِي اسْتِعْمَالِ
 هَذِهِ السُّورَةِ الْعَظِيمَةِ كَمَا
 مَجْرِبَةٌ : بِمَا اسْتَعْمَلَهَا
 أَحَدِي وَأَرْبَعِينَ مَرَّةً عَلَى
 وَضُوءٍ فِي مَجَاسٍ وَاحِدَةٍ
 لِقَرَجِ السَّجْنِ وَقَضَاءِ
 لَدَيْنِ وَتَسْبِيْرِ الرِّزْقِ
 وَالْإِتِّصَارِ عَلَى الْحَصْمِ
 وَالْأَمْنِ مِنْ كُلِّ هَوْلٍ
 دُنْيَا وَآخِرَى وَاسْتِعْمَالَهَا
 سِتِينَ مَرَّةً عِدَدَ آيَاتِهَا
 أَبْلَغُ فِي تِلْكَ الْمَطَالِبِ .

[سورة الطور مكية]

وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا) وَلَا أَنْفُسَهُمْ وَلَا غَيْرَهُمْ (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرِّزْقُ ذَرْ الْقُوَّةِ الْمَتَيْنِ)
 لَشَّدِيدٍ (فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا) أَنْفُسَهُمْ بِالْكَفْرِ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَغَيْرِهِمْ (ذُنُوبًا) نَصِيبًا مِنْ
 الْعَذَابِ (مِثْلَ ذُنُوبٍ) نَصِيبٍ (أَصْحَابِهِمْ) الْهَالِكِينَ قَبْلَهُمْ (فَلَا يَسْتَمْعِلُونَ) بِالْعَذَابِ
 إِنْ أَخْرَجْتَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ (فَوَيْلٌ) شِدَّةُ عَذَابٍ (لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ) فِي (يَوْمِهِمْ) الَّذِي
 يُوعَدُونَ) أَيْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

(سورة الطور)

مكية ، وهي تسع وأربعون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . وَالطُّورِ) أَيْ الْجَبَلِ الَّذِي كَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ مُوسَى (وَكِتَابِ
 مَسْطُورٍ . فِي رَقٍّ مَنشُورٍ) أَيْ التَّوْرَةِ أَوْ الْقُرْآنِ (وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ) هُوَ فِي السَّمَاءِ الثَّلَاثَةُ
 أَوِ السَّادِسَةُ أَوِ السَّابِعَةُ بِحِيَالِ الْكَعْبَةِ يَزُورُهُ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ بِالطَّوَافِ وَالصَّلَاةِ
 لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ أَبَدًا (وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ) أَيْ السَّمَاءِ ،

وَفِي نَسْخَةِ الطُّورِ (قَوْلُهُ وَالطُّورِ الْح) أَقْسَمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِخَمْسَةِ أَقْسَامٍ تَعْظِيماً لِلْقَسَمِ عَلَيْهِ وَهُوَ قَوْلُهُ إِنْ عَذَابُ رَبِّكَ
 لَوَاقِعٌ وَتَعْظِيماً لِلْقَسَمِ بِهِ أَيْضًا فَإِنَّ تِلْكَ الْأَشْيَاءَ الْخَمْسَةَ عَظِيمَةً وَالْوَاوُ فِي كُلِّ إِمَّا لِلْقَسَمِ أَوَّلُهُ لَطْفٌ فِيمَا عَدَا الْأَوَّلِ (قَوْلُهُ أَيْ الْجَبَلِ الَّذِي
 كَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ مُوسَى) أَيْ وَالرَّادُ بِهِ طُورُ سَيْنَاءَ وَهُوَ أَحَدُ جِبَالِ الْجَنَّةِ وَأَقْسَمَ اللَّهُ بِهِ تَشْرِيفًا لَهُ وَتَكْرِيماً (قَوْلُهُ وَكِتَابِ مَسْطُورٍ)
 أَيْ مُتَّفِقِ الْكِتَابَةِ بِسُطُورٍ مَهْفُوفَةٍ فِي حُرُوفٍ مُتَرْتِبَةٍ جَامِعَةٍ لِكَلِمَاتٍ مُتَّفِقَةٍ (قَوْلُهُ فِي رَقٍّ مَنشُورٍ) الرِّقُّ الْجِلْدُ الرَّقِيقُ الَّذِي
 يَكْتُبُ فِيهِ ، وَقِيلَ كُلُّ مَا يَكْتُبُ فِيهِ جِلْدًا كَانَ أَوْ غَيْرَهُ وَهُوَ يَفْتَحُ الرَّاءَ فِي قِرَاءَةِ الْعَامَةِ وَقَرِئَ شَذُوذًا بِكُسْرَاهَا ، وَمَعْنَى الْمَنشُورِ
 الْمَبْسُوطُ : أَيْ أَنَّهُ غَيْرُ مَطْوِيٍّ وَغَيْرُ مَحْجُورٍ عَلَيْهِ (قَوْلُهُ أَيْ التَّوْرَةِ أَوْ الْقُرْآنِ) هَذَانِ قَوْلَانِ مِنْ جُمْلَةِ أَقْوَالٍ كَثِيرَةٍ فِي تَفْسِيرِ
 الْكِتَابِ الْمَسْطُورِ ، وَقِيلَ هُوَ صَحَائِفُ الْأَعْمَالِ قَالَ تَعَالَى - وَنُخْرِجْ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا - وَقِيلَ سَائِرُ الْكِتَابِ
 لِلنَّزْلِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ (قَوْلُهُ هُوَ فِي السَّمَاءِ الثَّلَاثَةِ) وَقِيلَ هُوَ فِي الْأَوَّلَى ، وَقِيلَ هُوَ فِي الرَّابِعَةِ ، وَقِيلَ هُوَ تَحْتَ الْعَرْشِ
 فَوْقَ السَّابِعَةِ ، وَقِيلَ هُوَ الْكَعْبَةُ نَفْسُهَا وَعِمَارَتُهَا بِالْحُجَّاجِ وَالزَّائِرِينَ لَهَا لَمَّا وَرَدَ أَنَّ اللَّهَ يَعْمُرُهُ كُلَّ سَنَةٍ بِسِتْمِائَةِ أَلْفٍ فَإِنَّ عَجْزَ
 النَّاسِ عَنْ ذَلِكَ آتَاهُ اللَّهُ بِالْمَلَائِكَةِ (قَوْلُهُ بِحِيَالِ الْكَعْبَةِ) أَيْ مُقَابِلًا لَهَا بِأَزَانِهَا عَلَى كُلِّ قَوْلٍ (قَوْلُهُ يَزُورُهُ الْح) بَيَانٌ لِقِسْمِيَّتِهِ
 مَعْمُورًا (قَوْلُهُ أَيْ السَّمَاءِ) أَيْ لِأَنَّهَا كَالسَّقْفِ لِلْأَرْضِ ، وَقِيلَ هُوَ الْعَرْشُ وَهُوَ سَقْفُ الْجَنَّةِ .

(قوله والبحر السجور) أى وهو البحر المحيط ومعنى المسجور الممتلىء ماء ، وقيل البحر السجور هو الممتلىء نارا لما ورد أن الله تعالى يجعل البحار كلها يوم القيامة نارا فيزداد بها في نار جهنم ، وقيل هو بحر تحت العرش عمقه كما بين سبع سموات إلى سبع أرضين فيه ماء غليظ يقال له بحر الحيوان يطر العباد بعد النفخة الأولى منه أربعين صباحا فينبثون من قبورهم (قوله معمول لواقع) أى والجملة المنفية معترضة بين العامل ومعموله (قوله تتحرك وتدور) أى كدوران الرمح وتجيء وتذهب ويدخل بعضها في بعض وتختلف أجزاؤها وتتكافأ بأهلها نكفأ السفينة (قوله نصير هباء منشورا) ليس تفسيراً لتسير كما توهمه عبارته بل معناه أنها تنتقل عن مكانها وتطير في الهواء ثم تقع على الأرض متفتتة كالرمل ثم نصير كالعهن : أى الصوف المندوف ثم تطيرها الرياح فتصير هباء منشورا ، والحكمة في مور السماء وسير الجبال الاعلام بأنه لا رجوع ولا عود إلى الدنيا وذلك لأن الأرض والسماء وما بينهما إنما خلقت لعمارة الدنيا وانتفاع نبي آدم بذلك ، فلما لم يبق لهم عود إليها أزالها الله لحراب الدنيا وعمارة الآخرة فيحصل للؤمنين مزيد السرور وطمأنينة وللكافرين غاية الحزن والكرب (قوله فويل يومئذ) أى يوم تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا وهو يوم القيامة (قوله في خوض) هو في الأصل الدخول في كل شئ ثم غلب على الدخول في الباطل فلذا فسر به (قوله يدفعون) العامة على فتح الدال وتشديد العين من دفعه دفعه في صدره بعنف وشدة وقرى شذوذاً بسكون الدال وتخفيف العين (١٢٤) الفتوحة من الدعاء أى يقال لهم هلموا فادخلوا النار (قوله يدفعون بعنف)

(والبخرا المَجُورِ) أى المملوء (إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ) لنازل بمستحقه (مَالَهُ مِنْ دَارِعٍ) عنه (يَوْمَ) معمول لواقع (تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا) تتحرك وتدور (وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا) نصير هباء منشورا وذلك في يوم القيامة (فَوَيْلٌ) شدة عذاب (يَوْمَئِذٍ الْمُسْكَذِبِينَ) الرسل (الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ) باطل (يَلْعَبُونَ) أى يتشغلون بكفرهم (يَوْمَ يَدْعُونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَهًّا) يدفعون بعنف بدل من يوم تمور ، ويقال لهم تبكيثاً (هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ فِيهَا تُكْذِبُونَ . أَفَسِحْرٌ هَذَا) العذاب الذى ترون كما كنتم تقولون في الوحى هذا سحر (أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ . أَصَلَاوُهَا فَاصِبُرُوا) عليها (أَوْ لَا تَصْبِرُوا) صبركم وجزعكم (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ) لأن صبركم لا ينفعكم (إِنَّمَا تَجْزُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) أى جزاءه (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ . فَاكِهِينَ) متلذذين (بِمَا) مصدرية (آتَاهُمْ) أعطاهم (رَبُّهُمْ) وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (عطف على آتاهم أى باتيانهم ووقايتهم) ويقال لهم (كُلُوا وَأَشْرَبُوا هَذَا) حال أى مهتئين

أى وذلك بأن تغل أيديهم إلى أعناقهم وتجمع نواصيهم إلى أقدامهم فيدفعون إلى النار (قوله كما كنتم تقولون في الوحى) أى القرآن الجائى بالعذاب (قوله أم أنتم لا تبصرون) يصح أن تكون أم متصلة معادلة للهمزة ، والمعنى هل في أمرنا سحر أم هل في بصركم خلل والاستفهام إنكارى وتهكمى أى ليس واحد منهما ثابتاً ويصح

أن تكون أم منقطعة تفسر بيل والهمزة ، ولعى ابل أنتم عمى عن العذاب المخبر به كما كنتم همياً عن الخبر (قوله أصالوها) أى ذوقوا حرارتها (قوله صبركم وجزعكم سواء) أشار بذلك إلى أن سواء خبر لمخدوف ويصح أن يكون مبتدأ خبره محذوف والتقدير سواء الصبر والجزع والأول أولى لأن جعل النكرة خبراً أولى من جعلها مبتدأ (قوله لأن صبركم لا ينفعكم) أى لا ينزع عنكم من ديوان الرحمة بخلاف الدنيا فإن الصبر فيها على المكافاة من أعظم موجبات الرحمة (قوله إنما تجزون ما كنتم تعملون) تعليل لاستواء الصبر وعدمه (قوله أى جزاءه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله إن المتقين في جنات الخ) مقابل قوله - ويل يومئذ للمكذبين - وإنما أتى بأوصاف المتقين عقب أوصاف المكذبين ليحصل الترغيب والترهيب كما هو عادته سبحانه وتعالى (قوله ونعيم) أى تنعم بتلك الجنات إذ لا يلزم من كونه في جنات أنه يتنعم بها فأفاد أنهم مع كونهم في جنات يتنعمون ويتفكهون بها (قوله فاكهين) العامة على قراءته بالالف أى ذوى فاكهة كثيرة كما يقال لابن وتامر وقرى شذوذاً فكهين بغير ألف : أى متنعمين متلذذين إذا علمت ذلك ، فالمناسب للتفسير بذكرى فاكهة لا بتلذذين (قوله أى باتيانهم ووقايتهم) إنما جعلها مصدرية في المعطوف والمعطوف عليه لما يلزم عليه من خلو الصلة في المعطوف عن العائد لوجبات موصولة والأحسن أن تجعل موصولة ويجعل قوله وقاهم معطوفاً على قوله في جنات .

قوله بما كنتم تعملون) ماصدرية والباء سببية ، والمعنى أن اللائكة تقول لأهل الجنة كانوا واشربوا متهمين بسبب
 محكم وهذا من مزيد السرور والتكرمة على حسب عادة الكرام في منازلهم وإلا فذلك من فضل الله وإحسانه (قوله على
 سرر) جمع سرر . قال ابن عباس : هي سرر من ذهب مكالة بالدر والزرجد والياقوت والسرير كما بين مكة وأيلة ، وورد
 أن ارتفاع السرر خمسمائة عام فإذا أراد العبد أن يجلس عليها قربت منه فإذا جلس عليها عادت إلى حالها وفي الكلام حذف
 تقديره على نمارق على سرر (قوله أي قرهم) أي جمعناهم مقارنين لهم . في ذلك إشارة إلى جواب سؤال مقدر تقديره إن
 الحور العين في الجنات ملائكة لك لئلا يعقد النكاح . فأجاب بأن الزوج ليس بمعنى عقد النكاح بل بمعنى المقارنة (قوله
 عظام الأعين) تفسر لعين جمع عينا ، وأما الحور فهو من الحور وهو شدة البياض (قوله والذين آمنوا) مبتدأ خبره قوله :
 لحقنا بهم ذرياتهم ، والتدريئة نطابق على الأصول والفروع قال تعالى : وآية لهم أننا ذريتهم في الهلاك المشحون ، والمعنى أن
 ومن إذا كان عمله أكثر الحق به من دونه في العمل إنما كان أوأبا ، ويلحق بالتدريئة من الفسب التدريئة بالسبب وهو المحبة
 من حصل مع المحبة تعليم علم أو عمل كان أحق بالحق كالتلامذة فانهم يلحقون بأشيائهم وأشياخ الأشياخ يحقون لأشيائهم إن
 النواذير في العمل ، لأصل في ذلك عموم قوله صلى الله عليه وسلم « إذا دخل أهل الجنة الجنة سأل

أحدهم عن أبيه وعن
 زوجته وولده فيقال
 إنهم لم يدركوا ما دركت
 فيقول يارب نبي عمات
 لي ولهم فيؤمر بالحقهم به »
 (قوله بفتح اللام وكسر هـ)
 أي فهم اقراءتان سبعيتان
 فالأولى من باب علم
 والثانية من باب ضرب
 (قوله من زائدة) أي
 في المفعول الثاني (قوله
 زاد في عمل الأولاد)
 أي لم تأخذ من عم
 لآباء شيئا نجعله الأولاد
 فيستحقون به هذا

بما) الباء سببية (كنتم تعملون . متكئين) حال من الضمير المستكن في قوله تعالى :
 جنات (على سرر مصفوفة) بعضها إلى جنب مض (وزوجناهم) عطف على في جنات
 أي قرناهم (بحور عين) عظام الأعين حسانها (والذين آمنوا) مبتدأ (وأتبعهم) معطوف
 لي آمنوا (ذرياتهم) الصغار والكبار (بإيمان) من الكبار ومن الآباء في الصغار والخبر (ألحقنا
 بهم ذرياتهم) المذكورين في الجنة فيكونون في درجاتهم وإن لم يعملوا بعملهم تكرمة للآباء
 جماع الأولاد إليهم (وما ألقناهم) بفتح اللام وكسر هـ : نقصناهم (من عملهم من) زائدة
 شيء (يزاد في عمل الأولاد) (كل أئري بما كتب) عمل من خير أو شر (رهين)
 رهون يؤخذ بالشر ويجازى بالخير (وأمددناهم) زدناهم في وقت بعد وقت (بفأكهة وآم
 ما يشتهون) وإن لم يصرحوا بطلبه (يتنازعون) يتعاطون بينهم (فيها) أي الجنة (كأسا)
 برا (لا لغو فيها) أي بسبب شربها يقع بينهم (ولا تأثيم) به يلحقهم بخلاف خمر الدنيا
 يطوف عليهم) للخدمة (غلمان) أرقاء (لهم كأسهم) حسنا ولطافة (أو لا مكنون) :

كرام ل عمل لآباء باق لهم به . ولحق التدريئة بهم بمحض الفضل والكرم (ولده) أي مرهون عند الله تعالى
 نفس العبد مرهونة عند الله به الذي هو مطالب به فان عمل صالحا فكسها من الرهن ولا نهاكها كما يرهن الرجل
 بعبده بدين عليه فان وفي ماعليه خاص رقبته من الرهن وإلا استمر مرهونا (قوله في رقت بعد وقت) أخذه من فظ
 سداد (قوله وإن لم يصرحوا بطلبه) أي بل بمجرد ما يخطر ببالهم يقدم إليهم لما ورد « أن الرجل يشتهي الطير في الجنة
 فتر مثل البختي حتى يقع على خوانه لم يصبه دخان ولم تمسه نار فيا كل منة حق يشبع ثم يطير » (قوله يتعاطون : هم) أي
 ياذب بعضهم الكأس من بعض ويتناول بعضهم بعضا تلذذا وتأنسا وهو المؤمن وزوجاته وخدمته في الجنة (وله كأسا)
 كأس هو إناء الخمر وكل كأس مملوء بشراب أو غيره فإذا فرغ لم يسم كأسا (قوله غلمان أرقاء لهم) أي كالأرقاء في الحيازة
 استيلاء وهؤلاء الغلمان يخلطهم الله في الجنة كالحور ، وقيل هم الأولاد من أطعاهم الذين سبقوهم فأقر الله تعالى أعينهم بهم ،
 بل هم أولاد المشركين ، وليس في الجنة نصب ولا حاجة لى خدمة بل هو من مزيد النعم ، قال عبد الله بن عمر : ما من أحد
 أهل الجنة إلا يسى إليه ألف غلام وكل غلام على عمل غير ما عليه صاحبه . وروى « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تلا
 الآية قالوا يا رسول الله الخادم كانوا أولاد مكنون فكيف المخدم ؟ قال فضل المخدم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على

سائر الكواكب » وروى « إن أدنى أهل الجنة منزلة من ينادى الخادم من خدامه فيجيبه ألف بياحه لبيك لبيك » وطواف
 الغلمان عليهم بالفواكه والتحف والشراب قال تعالى : يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب . يطاف عليهم بكأس من
 معين (قوله مصون في الصدف) جمع صدف وهي غشاء الدر (قوله عما كانوا عليه) أى فى الدنيا (قوله وما وصلوا إياه)
 أى من نعيم الجنة (قوله قالوا) أى قال المسئول للسائل (قوله إيمان) أى إشارة (قوله إلى علة الوصول) أى ومحطها قوله :
 فمن الله علينا (قوله إنا كنا قبل فى أهلنا الح) أى وشأن من كان فى أهله وعزوته أن يكون آمنا خوفهم من الله فى تلك
 الحالة دليل على خوفهم فى غيرها بالأولى فهم دائماً خائفون ويحتمل أن قوله : مشفقين من الشفقة وهي الرفق أى ترفق بأهلنا
 وغيرهم (قوله لدخولها فى السام) هذا بيان لوجه تسميتها مموماً فالسموم من أسماء جهنم وهي فى الأصل أريج الحارة التى تتخلل
 المسام (قوله وقالوا إيماناً أيضاً) أى إلى (١٢٦) علة وصولهم إلى النعيم ومحط العلة قوله : إنه هو البر الرحيم (قوله أى

نعبده) أى أونسأله
 الوقاية من النار ودخول
 دار القرار (قوله وبالفتح
 تعليلاً لفظاً) أى
 والقراءتان — هيتان
 (قوله ذهبت ربك) الباء
 سببية مرتبطة بالنفى
 الاستفادة من ما ، والمعنى
 انتفى كركك كاهنا أو
 مجنوناً بسبب إنعام الله
 عليك بكمال العقل وعاقب
 الهمة والعصمة (قوله
 بكاهن) أى مخبر بالأمور
 المغيبة من غير وحى (قوله
 خبرها) أى فهى حجازية
 والباء زائدة فى خبرها
 (قوله أم يقولون شاعر)
 اعلم أن أم ذكرت فى
 هذه الآيات خمس عشرة
 مرة وكلها تقدر ببل

مصون فى الصدف لأنه فيها أحسن منه فى غيرها (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون)
 يسأل بعضهم بعضاً عما كانوا عليه وما وصلوا إليه تليذا واعترافاً بالنعمة (قالوا) إيماناً إلى علة
 الوصول (إنا كنا قبل فى أهلنا) فى الدنيا (شفقين) خائفين من عذاب الله (فمن الله
 علينا) بالمغفرة (ووقنا عذاب السموم) أى النار لدخولها فى المسام وقالوا إيماناً أيضاً (إنا
 كنا من قبل) أى فى الدنيا (ندعوه) أى نعبده موحدين (إنه) بالكسر استئنافاً وإن
 كان تعاملاً معنى ، وبالفتح تعليلاً لفظاً (هو البر) المحسن الصادق فى وعده (الرحيم)
 العظيم الرحمة (فذكره) دم على تذكير المشركين ولا ترجع عنه لقولهم لك : كاهن مجنون
 (فإنا أنتم بنعمة ربك) أى بإنعامه عليكم (بكاهن) خبر ما (ولا مجنون) معطوف
 عليه (أم) بل (يقولون) هو (شاعر) تر بص ريب أنون (حوادث الدهر) فيهلك
 كغيره من الشعراء (قل ترصوا) هلاكي (فإني معكم من المتر بصين) هلاك
 فعدبوا بالسيف يوم بدر ، والتر بص الانتظار (أم تأمرهم أعلامهم) عقولهم (بهذا
 أى قولهم له ساحر كاهن شاعر مجنون ، أى لا تأمرهم بذلك (أم) بل (هم قوم طاغون
 بعنادهم) أم يقولون تقرأه (اختلق القرآن ، لم يخلقه (بل لا يؤمنون) استكباراً ، فإن قال
 اختلقه (فليأتوا بحديث) يخلق (مثله إن كانوا صادقين) فى قولهم (أم خلقوا من
 غير شيء) أى خالق (أم هم الخالقون) أنفسهم ،

والهمزة فهى الاستفهام الإنكارى التواخى ، إذا عانت ذلك فالمناسب للمفسر أن يقدرها فى الجميع ببل والهمزة
 (قوله حوادث الدهر) فى الكلام استعارة نصريحية حيث شبهت حوادث الدهر بالريب الذى هو الشك بجامع التعبير وعدم اليقين
 على حالة واحدة فى كل ، وقبل المنون النية لأنها تنقص العدد وتقطع المدد (قوله قل ترصوا) أمر تهديد على حد
 ماثمهم (قوله أم تأمرهم أعلامهم) جمع حلم يطاق على الأناة وعلى العقل وهو المراد هنا (قوله أى قولهم له ساحر كاهن
 شاعر مجنون) أى وهذا ناقض فإن شأن الكاهن أن يكون ذا فطنة ورأى ، وشأن الشاعر والساحر كذلك ، وأنسب
 الجنون له بعد ذلك مناقضة (قوله أى لا تأمرهم) أشار بذلك إلى أن الاستفهام الاستفادة من أم إنكارى وفيه توبيخ
 أيضاً (قوله أم بل هم قوم طاغون) المناسب للمفسر أن يقدر أم ببل والهمزة ليوافق قوله فيما يأتى والاستفهام
 فى مواضعها الخ ، والمعنى لا يأتى منهم هذا الطغيان (قوله لم يخلقه) أشار به إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى
 (قوله فليأتوا بحديث مثله) جواب شرط مقدر قدره المفسر بقوله : فإن قالوا اختلقه والأمر للتعجيز .

قوله ولا يعقل مخلوق بدون خالق (راجع لقوله خلقوا من غير شيء وقوله ولا معدوم بخلق راجع لقوله أم هم الخالقون)
 المعنى أنهم لو كانوا هم الخالقين لأنفسهم وأنفسهم كانت معدومة أولا لزم أن يكونوا في حالة العدم أو وجدوا أنفسهم وأخرجوها
 من العدم فيكون المعدوم خالقا وهذا لا يعقل (قوله ولا آمنوا بنبيه) أى حيث لم يترتب على إيقانهم بالله إقبال على توحده
 تصديق بنبيه جعل إيقانهم كالعدم وفيه تسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله أم عندهم خزائن ربك) لم يبين أن الاستفهام
 إنكارى مع أنه كذلك . والمعنى ليس عندهم خزائن ربك والمراد بخزائنه مقدوراته شبهت بها لأن خزانة الملوك بيت مهيأ
 لمع أنواع مختلفة من الدخائر التى يحتاج إليها (قوله أم هم المسيطرون) اعلم أنه لم يأت على وزن مفعيل إلا خمسة ألفاظ
 أربعة صفة اسم فاعل مهيمن ومبيقر ومسيطر وواحد اسم جبل وهو محييم (قوله المتسلطون) أى الغالبون على
 الأشياء يدبرونها كيف شاءوا (قوله ومثله يبطر) أى عاجل الدواب ومنه البيطار وقوله ويقرر أى أفسد وأهلك فالخالف
 ن معنى المهيمن الرقيب والمبيقر المفسد والمسيطر المتسلط الجبار والمبيطر المعالج للدواب (قوله أى عليه كلام الملائكة) أشار
 ذلك إلى أن مفعول يستمعون محذوف وفى معنى على (قوله بزعمهم) (١٢٧) متعلق بقوله يستمعون فيه

(قوله إن ادعوا ذلك)
 أى الاستماع من الملائكة
 والمعنى إن فرض أنهم
 ادعوه فآيات مستمعهم
 الخ (قوله ولشبه هذا
 الزعم الخ) أشار بذلك
 إلى وجه المناسبة بين
 الآيتين ووجه الشبه بين
 الزعمين أن كلا منهما
 فاسد وإن كان الزعم
 الأول فرضيا والثانى
 تحقيقيا لوقوعه منهم
 (قوله أى بزعمكم) أى
 دعواكم واعتقادكم (قوله
 ولكم البنون) أى
 لتكونوا أقوى منه فاذا
 كذبتهم رسله تكونون

ولا يعقل مخلوق بدون خالق ولا معدوم بخلق فلا بد لهم من خالق هو الله الواحد فلم لا يوحده
 ويؤمنون برسوله وكتابه (أم خلقوا السموات والأرض) ولا يقدر على خلقهما إلا الله الخالق
 فلم لا يعبدونه (بل لا يؤمنون) به ولا آمنوا بنبيه (أم عندهم خزائن ربك) من النبوة
 والرزق وغيرها فيخصوا من شاءوا بما شاءوا (أم هم المسيطرون) المتسلطون الجبارون
 وقوله سيطر ومثله يبطر ويقرر (أم لهم سلم) مرفى إلى السماء (يستمعون فيه) أى عليه
 كلام الملائكة حتى يمكنهم منازعة النبي بزعمهم ، إن ادعوا ذلك (فلميات مستمعهم) أى
 مدعى الاستماع عليه (بسطان مبين) بحجة بينة واضحة ، ولشبه هذا الزعم بزعمهم أن الملائكة
 بنات الله قال تعالى (أم له البنات) أى بزعمكم (وآلکم البنون) تعالى الله عما زعموه
 (أم تأملهم أجرا) على ما جنتهم به من الدين (فهم من مغرهم) غرم ذلك (مثقلون)
 فلا يسلحون (أم عندهم الغيب) أى علمه (فهم يكتبون) ذلك حتى يمكنهم منازعة النبي
 صلى الله عليه وسلم فى البعث وأمر الآخرة بزعمهم (أم يريدون كيدا) بك ليهلكوك
 فى دار الندوة (فأذن كفروا هم المكيدون) المغلوبون المهلكون لحفظه الله منهم ثم
 أهلكهم بيد (أم لهم إله غير الله سبحانه الله عما يشركون) به من الآلهة والاستفهام
 بأم فى مواضعها للتوبيخ (وإن يروا كسفا) بعضا (من السماء سقاطا) عليهم كما قالوا :

آمنين لقوتكم بالبنين وزعمكم ضعفه بالبنات (قوله تعالى الله عما زعموه) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى (قوله
 مثقلون) أى متعبون ومثقلون لأن العادة أن من غرم شخصا مالا يكون المأخوذ منه كارها للأخذ ومقتا منه (قوله أم
 عندهم الغيب) جواب لقولهم تترص به ريب المتنون ، والمعنى أعندهم علم الغيب بأن الرسول يموت قبلهم فهم يكتبون ذلك
 بقوله أم يريدون كيدا) أى مكرا وتحيلا فى هلاكك (قوله فى دار الندوة) إن قلت السورة مكية والاجتماع بدار الندوة
 كان ليلة الهجرة فالتقييد بها مشكل فلأوضح حذف قوله فى دار الندوة لأن إرادة الكيد حاصلة منهم من يوم بعثته صلى الله
 عليه وسلم (قوله فالذين كفروا) أوقع الظاهر موقع المضمرة نشيحا وتقييحا عليهم بصفة الكفر (قوله ثم أهلكهم بيد)
 أى أهلك رؤسائهم وهم سبعون (قوله سبحانه الله عما يشركون) أى تنزه الله عما ينسبونه له من الشراكة فى الألوهية (قوله
 والاستفهام بأم) أى المقدرة ببل والهمزة أو بالهمزة وحدها وقوله فى مواضعها أى وهى خمسة عشر (قوله للتوبيخ
 والتوبيخ) أى والانكار (قوله وإن يروا كسفا) أى على فرض حصوله فإنه لم يحصل لقوله تعالى - وما كان الله
 ليعذبهم وأنت فيهم ، والمعنى لو عذبناهم بسقوط قطع من السماء عليهم لم ينتهوا ولم يرجعوا ويقولون فى هذا النازل عنادا

واستغفره وإغاظة لحمد إنه سبحانه مرگوم (قوله فأسقط علينا كسفا) هذه الآية إنما وردت في قوم شعيب كما ذكر في سورة الشعراء ، فكان الأولى للمفسر أن يستدل بما نزل في قریش في سورة الإسراء وهو قوله : أو تسقط السماء كما زعموا علينا كسفا (قوله فذرهم) جواب شرط مقدر ، والمعنى إذا بلغوا في العناد إلى هذا الحد فبين أنهم لا يرجعون عن الكفر فدعهم ولا تلتفت لهم (قوله يصعقون) هكذا ينأته للفاعل والمفعول قراءتان سبعيتان (قوله يموتون) أى بانتضاء آجالهم في بدر أو غيرها هذا هو الأحسن (قوله من العذاب فى الآخرة) المراد به العذاب الذى يأتى بعد الموت (قوله دون ذلك) أى قبل العذاب الذى يأتى بهم بعد الموت وذلك صادق كما قال المفسر بالجوع والقحط والقتل يوم بدر (قوله ولكن أكثرهم لا يعلمون) أى لتزيين الشيطان لهم ما هم عليه والمراد بالأكثر من سبق فى علم الله شقاؤه (قوله بمرأى منا) أى فأطلقنا الآتين وأريد لازمها وهو إصار الشيء والإحاطة به علما وقربا فيلزم منه مزيد الحفظ للرئى الذى هو المراد ، وعبر هنا بالجاء المناسبة نون العظمة بخلاف ما ذكر فى سورة طه فى قوله ولنصنع على عيني (قوله من منامك) أى فقد ورد عن عائشة قالت : « كان إذا قام أى استيقظ (١٢٨) من منامه كبر عشرةا وحمد الله عشرةا وسبح عشرةا وهلل عشرةا واستغفر عشرةا وقال : اللهم اغفر لى وارحمى واهدنى وارزقنى وعافنى وكان يتعوذ من ضيق اللقائم يوم القيامة » وفى رواية « كان صلى الله عليه وسلم إذا استيقظ من منامه قرأ العشر الآيات من آخر آل عمران » (قوله أو من مجلسك) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من جلس مجلسا فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم سبحة لك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت

واستغفر عشرةا وقال : اللهم اغفر لى وارحمى واهدنى وارزقنى وعافنى وكان يتعوذ من ضيق اللقائم يوم القيامة » وفى رواية « كان صلى الله عليه وسلم إذا استيقظ من منامه قرأ العشر الآيات من آخر آل عمران » (قوله أو من مجلسك) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من جلس مجلسا فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم سبحة لك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت

فأسقط علينا كسفا من السماء أى تعذيباً لهم (يقولوا) هذا (سحاب مرگوم) متراكب ترتوى به ولا يؤمنوا (فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون) يموتون (يؤمنون) لا يؤمنون (بدر) من يومهم (عنهم كيدهم شيئا ولا هم ينصرون) ينعون من العذاب فى الآخرة (وإن الذين ظلموا) بكفرهم (عذاباً دون ذلك) أى فى الدنيا قبل موتهم فعذبوا بالجوع والقحط سبع سنين وبالقتل يوم بدر (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أن العذاب ينزل بهم (وأصبر لحكم ربك) بإمهاهم ولا يضق صدرك (فإنك بأعيننا) بمرأى منك نراك ونحفظك (وسبح) متلبساً (بحمد ربك) أى قل سبحان الله وبحمده (حين تقوم) من منامك أو من مجلسك (ومن الليل فسبحه) حقيقة أيضاً (وإدبار النجوم) مصدر أى عقب غروبها سبحانه أيضاً ، أو صل فى الأول العشاءين وفى الثانى الفجر ، وقيل الصبح .

(سورة النجم)

مكية ، ثنتان وستون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم . والنجم) الثريا (إذا هوى) غاب ،

استغفرك وأتوب إليك كان كفارة لما بينهما » وفى رواية « كان كفارة له » (قوله أى عقب (ماض) غروبها) المراد بغروبها ذهاب ضوءها بغلبة ضوء الصبح عليه وإن كانت باقية فى السماء وذلك بطلوع الفجر (قوله أو صل فى الأول) أى الليل فهذا راجع لقوله ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم ، وأما وسبح بحمد ربك حين تقوم فالمراد به حقيقة التسبيح على كل حال (قوله وفى الثانى الفجر) أى الركعتين اللتين هما سنة الصبح وقيل الصبح أى فريضة صلاة الصبح . [سورة النجم مكية] أى كلها ، وقيل لإقوله تعالى - الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش - الآية ، وقيل كلها مدنى وردت بما روى أنها أول سورة أعلن بها رسول الله صلى الله عليه وسلم بكة وسجد فيها وسجد معه المسلمون والمشركون زعماءهم أنه يمدحهم ، واعلم أن بين أول هذه السورة وآخر ما قبلها مناسبة فانه تعالى قال فى آخر تلك - وإدبار النجوم - وقال فى أول هذه - والنجم إذا هوى - (قوله والنجم إذا هوى) اختلاف ، فى تفسير النجم فمشى المفسر على أنه الثريا وهى عتة نجوم بعضها ظاهر وبعضها خفى وكان صلى الله عليه وسلم يراها أحد عشر نجما ، ومعنى هوى غيبوبة عند طلوع الفجر ، وقيل المراد به أى نجم ، وقيل المراد به جميع النجوم ، وقيل هو الزهرة ، وقيل الشمرى ، وقيل القرآن ، ومعنى هوى نزل لأنه نزل من جماعلى ثلاث وعشرين سنة ، وقيل هو

هو معنى هوى زل من العراج وقيل جبريل ، ومعنى هوى زل بالوحى . واختلاف في عامل الظرف فقيل معمول المحذوف
 تقديره أقسم بالنجم وقت هويه واستشكل بأن فعل القسم إنشاء والانشاء حال وإذا لما يستقبل من الزمان فكيف
 يعمل الانشاء في المستقبل . وأجيب بأنه يتوسع في الظروف ما لا يتوسع في غيرها أو قصد منها مجرد الظرفية الصادق بالماضى
 والحال والاستقبال لأنها قد تاتي للحال والماضى وقيل عامله حال من النجم محذوفة والتقدير أقسم بالنجم حال كونه مستقرا
 في زمان هويه ويأتى فيه الاشكال والجواب المتقدمان ويحجب أيضا بأن تجعل الحال مقدرة (قوله ماضل صاحبكم) هذا هو
 جواب القسم وعبر بلفظ الصيغة تبيكتا لهم وإشعارا بأنهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم فلا يابق منهم نسبته لانقص (قوله
 عن طريق الهدى) أشار بذلك إلى أن الضلال مخالف للنسب فالضلال فعل المعاصى والنسب هو الجهل الركب وقيل الضلال
 في العلم والنسب في الأفعال وقيل هما مترادفان (قوله من اعتقاد فاسد) أى ناشئ وحاصل (قوله عن الهوى) متعلق بيننطق
 وللمنى ما يصدر نطقه عن هوى نفسه ومثله الفعل بل وجميع أحواله وهو مفرع على ما قبله لأنه إذا علم تنزهه عن الضلال
 والفوايه تفرع عليه أنه لا ينطق عن هواه قرآنا أو غيره (قوله إن هو) الضمير عائد على النطق المأخوذ من ينطق ، والمعنى
 ما يسلككم به من القرآن وغيره ومثل النطق الفعل وجميع أحواله فهو صلى الله عليه وسلم لا ينطق ولا يفعل إلا بوحي من الله
 تعالى لا عن هوى نفسه (قوله يوحى) الجملة صفة لوحى أتى بها لرفع توهم المجاز كأنه قال هو وحى حقيقة لا مجرد تسمية
 (قوله علمه إياه) الضمير المذكور هو المفعول الأول عائد على النبي والثاني (١٢٩) الذى قدره المفسر عائد على

الوحى (قوله شديد
 التوى) صفة لموصوف
 محذوف قدره المفسر
 بقوله ملك وهو جبريل
 عليه السلام ومن شدة
 قوته اقتلعه مدائن قوم
 لوط ورفعها إلى السماء
 وقلبها وصياحه على قوم
 نود وتلقه الجبل على
 بنى إسرائيل وهذه
 الشدة حاصلة فيه ولو

(ماضل صاحبكم) محمد عليه الصلاة والسلام عن طرق الهدى (وما غوى) مالا بس
 النى وهو جهل من اعتقاد فاسد (وما ينطق) بما يأتكم به (عن الهوى) هوى نفسه
 (إن) ما (هو إلا وحي يوحى) إليه (علمه) إياه ملك (شديد القوى . ذو مرة)
 قوة وشدة ، أو منظر حسن أى جبريل عليه السلام (فاستوى) استقر (وهو بالأفق الأعلى)
 أفق الشمس : أى عند مطلعها على صورته التى خلق عليها فرآه النبي صلى الله عليه وسلم وكان
 بحراء قد سد الأفق إلى المغرب فخر مغشياً عليه وكان قد سأله أن يريه نفسه على صورته التى
 خلق عليها فواعد بحراء فنزل جبريل له فى صورة آدميين (ثم دنا) قرب منه (فتدلى)
 زاد فى القرب (فكان) منه (قاب) قدر (قوسين أو أدنى) من ذلك حتى أفاق وسكن روعه

تشكل بصورة آدميين لأنها لا تحكم عليهم الصورة وهذا قول الجمهور وقيل المراد به الرب سبحانه وتعالى والمراد بالقوى
 فى حقه تعالى صفات الاقتدار كالكبرياء والعظمة (قوله ذو مرة) أى قوة باطنية وعزم وصرعة حركة فغاير ما قبله جبريل أعطاه
 الله قوة ظاهرة وقوة باطنية وقيل المرة وفور العلم وقيل الجمال (قوله فاستوى) عطف على قوله علمه شديد القوى (قوله وهو
 بالأفق الأعلى) الجملة حالية (قوله وكان) أى النبي صلى الله عليه وسلم (قوله وكان قد سأله الخ) تعليل لقوله فاستوى وذلك أن
 جبريل كان يأتى النبي صلى الله عليه وسلم فى صورة آدميين كما يأتى إلى الأنبياء فسأله النبي صلى الله عليه وسلم أن يريه نفسه
 التى جعله الله عليها فأراه نفسه مرتين مرة بالأرض ومرة بالسماء ولم يره أحد من الأنبياء على صورته التى خلق عليها إلا نبينا
 صلى الله عليه وسلم (قوله فنزل جبريل) عطف على قوله فخر مغشياً عليه (قوله زاد فى القرب) أى بالكلام باق على ظاهره وقيل
 فى الكلام قاب والأصل فتدلى ثم دنا ومعنى تدلى رجع لصورته الأصلية (قوله فكان قاب قوسين) فى الكلام حذف والأصل
 فكان مقدار مسافة قر به منه مثل مقدار مسافة قاب قوسين والقاب القدر وقيل هو ما بين المقبض والطرف واسكن قوس قابان
 فأصل الكلام فكان قابى قوس فحصل فى الكلام قلب (قوله أو أدنى) أو بمعنى بل نظير قوله تعالى - أو يزيدون - أو على
 بابها والشك بالنسبة للرأى والمعنى إذا نظرت إليه وهو فى تلك الحالة تتردد بين المقدارين (قوله حتى أفاق) غاية المحذوف أى
 ضمه إليه حتى أفاق روى لأنه لما أفاق قال يا جبريل ما ظننت أن الله خلق أحدا على مثل هذه الصورة فقال يا محمد : إنما
 نشرت جناحين من أجنحتى وإن لى ستمائة جناح سعة كل جناح [١٧ - صاوى - رابع]

ما بين الشرق والغرب ، فقال صلى الله عليه وسلم : إن هذا لعظيم ، فقال جبريل : وما أنا في جنب خلق الله إلا يسير ، وخلق الله إسرافيل له ستمائة جناح كل جناح منها قدر جميع أجنحتي وإنه ليتضاءل أحياناً من مخافة الله تعالى حتى يكون بقدر الوضع أي العصفور الصغير . وهذا على كلام الجمهور . وأما على أن المراد به الرب سبحانه وتعالى فمعنى الاستواء الاستعلاء والقهر ومعنى الدنو والتدلى تجليه بصلة الجمال والمحبة لعبده على حد ما قيل في « ينزل ربنا كل ليلة » (قوله فأوحى إلى عبده ما أوحى هذا مفرع على قوله وما ينطق عن الهوى ومشى المفسر على أن الضمير في أوحى الأول عائد على الله تعالى والمراد بالعب جبريل والضمير في أوحى الثاني عائد على جبريل وهو احتمال من ثمانية أفادها العلامة الأجهوري . وحاصلها أن يقال الضمير في أوحى الأول إما عائد على الله أو جبريل والثاني كذلك فهذه أربع وفي كل منها إما أن يراد بالعب جبريل أو محمد فهذه ثمان اثنان منها فاسدان وهما أن يجعل الضمير في أوحى الأول عائداً على جبريل ويراد بالعب جبريل سواء جعل الضمير في أوحى الثاني عائداً على الله أو جبريل وباقيها صحيح والأنسب بمقام المدح أن يعود الضمير في أوحى الأول والثاني على المراد بالعب محمد عليه الصلاة والسلام والمعنى أوحى الله إلى عبده محمد ما أوحاه الله إليه من العلوم والأسرار والمعارف التي لا يحصيها إلا معطيها بواسطة جبريل وبغير واسطته حين فارقه عند الرفرف (قوله ولم يذكر الموحى به تفخيماً لشأنه) إشارة إلى عمومته واختلاف في هذا الموحى به فقليل مبهم لانطاع عليه وإنما يجب علينا الإيمان به إجمالاً وقيل هو معلوم وفي تفسيره خلاف ، فقليل أوحى الله إليه : ألم أجذك ينبيأ فأوئيتك ، ألم أجذك ضالاً فهديتك ، ألم أجذك عائلاً فأغنيتك ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك ، وقيل أوحى الله إليه أن الجنة حرام على الأنبياء حتى تدخلها يا محمد وعلى الأمم (١٣٠) حتى تدخلها أمتك (قوله بالتخفيف والتشديد) أي فهما قراءتان

سبعيتان . فالمعنى على التشديد أن ما رآه محمد بعينه صدقه قلبه ولم ينكره والتخفيف قيل كذلك وقيل هو على إسقاط الحذف والمعنى ما كذب الفؤاد فيما رآه

(فَأَوْحَى) تعالى (إِلَى عَبْدِهِ) جبريل (مَا أَوْحَى) جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ولم يذكر الموحى به تفخيماً لشأنه (مَا كَذَبَ) بالتخفيف والتشديد أنكر (الْفُؤَادُ) فؤاد النبي (مَا رَأَى) ببصره من صورة جبريل (أَفْتَمَّارُونَهُ) تجادلونه وتغابونه (عَلَى مَا يَرَى) خطاب للمشركين المنكرين رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل (وَلَقَدْ رَآهُ) على صورته (نَزْلَةً) مرة (أُخْرَى عِنْدَ صِدْرَةِ الْمُنْتَهَى) ،

(قوله من صورة جبريل) بيان لما رأى وهذا أحد قولين وقيل هو الله عز وجل وعابه فقد رأى ربه مرتين مرة في مبادئ البعثة ومرة ليلة الإسراء ، واختلاف في تلك الرؤية فقليل بعينه حقيقة وهو قول جمهور الصحابة والتابعين منهم ابن عباس وأنس بن مالك والحسن وغيرهم وعليه قول العارف البرعي وإن قابلت لفظة لن تراني بما كذب الفؤاد فهمت معنى فهو من خسر مغشياً عليه وأحمد لم يكن ليزيغ ذهنه وقيل لم يره بعينه وهو قول عائشة رضي الله عنها والصحيح الأول لأن المثبت مقدم على النافي أو لأن عائشة لم يبلغها حديث الرؤية لكونها كانت حديثة السن (قوله أفتمارونه) بضم التاء وبالألف بعد الميم من ماراه جادله وغالبه أو بفتح التاء وسكون الميم من غير ألف من صرته حقه إذا علمته وجحدته إياه قراءتان سبعيتان (قوله على ما يرى) أي على ما رآه وهو جبريل على كلام المفسر وذات الله تعالى على كلام غيره وعبر بالمضارع استحضاراً للحالة البعيدة في ذهن المخاطبين (قوله ولما رآه) اللام للقسم وقوله مرة أشار بذلك إلى أن نزلة منصوب على الظرفية (قوله عند صدره المنتهى) سميت بذلك إما لأنها ينتهي إليها ما يهبط من فوقها وما يصعد من تحتها أو لأنه ينتهي علم الأنبياء إليها ويعزب عنهم عما وراءها أو لأن الأسماء تنتهي إليها وتقضب منها أول انتهاء الملائكة إليها ووقوفهم عندها أو لأنه ينتهي إليها أرواح الشهداء أو لأنه ينتهي إليها أرواح المؤمنين أو لأنه ينتهي إليها من كان على سنة رسول الله أقوال وإضافة صدره المنتهى إماماً من إضافة الشيء إلى مكانه بالتقدير عند صدره عند هاهنا انتهى العلوم أو من إضافة الملك إلى المالك على حذف الجار والمجرور أي صدره المنتهى إليه وهو الله عز وجل قال تعالى - وأن إلى ربك المنتهى -

(قوله لما أسرى به) أى وكان قبل الهجرة سنة وأربعة أشهر وقيل كان قبلها بثلاث سنين والرؤية الأولى كانت في بدء البعثة حين الرؤيتين نحو عشر سنين (قوله وهي شجرة نبق) أى وفيها الحلى والحلل والثمار من جميع الألوان لو وضعت ورقة منها في الأرض لأضاءت لأهلها قيل هي شجرة طوبى والصحيح أنها غيرها والنبق بكسر الباء وسكونها واختيرت السدرة لهذا الأمر دون غيرها من الشجر لما قيل إن السدرة تخص بثلاثة أوصاف ظل مديد وطعام لذيد ورائحة ذكية فشابهت الإيمان الذي يجمع قولا وعملا ونية فظلمها من الإيمان بمنزلة العمل لتجاوزها وطعمها بمنزلة النية لكونه ورائحتها بمنزلة القول لظهوره قيل إن سدرة المنتهى قالت للنبي صلى الله عليه وسلم استوص باخواني في الأرض خيرا، فقال صلى الله عليه وسلم «من قطع سدرة صوب الله رأسه في النار» واستثنى كل هذا الحديث بأنه يقتضى أن قطع السدر حرام لحاجة ولغير حاجة مع أنه خلاف النصوص وأجيب بأنه سئل أبو داود عن هذا الحديث فقال هو مختصر وحاصله «من قطع سدرة في فلاة يستظل بها ابن السبيل والبهائم عبثا وظلها بغير حق يكون له فيها صوب الله رأسه في النار» وبعد ذلك فهذا لا يخص السدر (قوله عندها جنة المأوى) حال من سدرة المنتهى (قوله تأوى إليها الملائكة الخ) وقيل هي الجنة التي أوى إليها آدم عليه السلام إلى أن أخرج منها وقيل لأن جبريل وميكائيل وأوربان إليها فهذا وجه تسميتها جنة المأوى أولأن أهل السعادة يأوون إليها (قوله ما يغشى) أيهم الوصول وصلته إشارة إلى أن ما غشيتها لا يحيط به إلا الله تعالى (قوله من طير وغيره) ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال «رأيت السدرة يغشاها فراش من ذهب ورأيت على كل ورقة ملكا قائما يسبح الله تعالى» وورد أيضا أنه عليه الصلاة والسلام قال «ذهب في جبريل إلى سدرة المنتهى وإذا ورقها كآذان الفيلة وإذا ثمرها كاللؤلؤ» هجر فلما غشيتها من أمر الله

(١٣١)

هجر فلما غشيتها من أمر الله

تعالى ما غشيتها تغيرت فما أحد من خلق الله تعالى يقدر أن ينعتها من حسنها وأوحى إلى ما أوحى ففرض على خمسين صلاة في كل يوم وليلة وقيل يغشاها أنوار التجلي وقت مشاهدة النبي صلى الله عليه وسلم لربه كما تجلى على الجبل

لما أسرى به في السموات، وهي شجرة نبق عن يمين العرش لا يتجاوزها أحد من الملائكة وغيرهم (عندها جنة المأوى) تأوى إليها الملائكة وأرواح الشهداء والمتقين (إذ) حين (يغشى السدرة ما يغشى) من طير وغيره، وإذ معمولة لراه (ما زاع البصر) من النبي صلى الله عليه وسلم (وما طغى) أى ما مال بصره عن مرتبه المقصود له ولا جاوزته تلك الليلة (لقد رأى) فيها (من آيات رب الكبرى) أى العظام أى بعضها فرأى من عجائب الملكوت رفرفا أخضر سدأفق السماء وجبريل له ستمائة جناح (أفرأيتم)،

عند مكالمته موسى لکن السدرة أقوى من الجبل فالجبل صار دكا وخر موسى صعقا ولم تتحرك السدرة ولم يتزلزل محمد صلى الله عليه وسلم (قوله ما زاع البصر) أى لم يلتفت إلى ما غشى السدرة من العجائب المتقدمة لأن الزيف هو الالتفات لغير الجهة التي تعنيه (قوله وما طغى) الطغيان مجاوزة الحد اللائق كما أفاده المفسر فوصف صلى الله عليه وسلم بكمال الثبات والأدب مع غرابة ما هو فيه إذ ذاك وسبق تنزيه علمه عن الضلال وعمله عن الغواية ونطقه عن الهوى وفؤاده عن التكذيب وهنا تنزه بصره عن الزيف والطغيان مع تأكيد ذلك وتحقيقه بالاقسام وناهيك بذلك من رب العزة جل جلاله ثناء (قوله لقد رأى) اللام في جواب قسم محذوف (قوله الكبرى) أفاد المفسر أن من للتبعيض وهو مفعول لرأى والكبرى صفة لآيات ووصفه بوصف المؤثرة لواحدة لجوازه وحسنه مراعاة الفاصلة وفسر الكبرى بالعظام إشارة إلى أنه ليس المعنى على التفضيل لعدم حصر تلك الآيات ووصف العظم مقول بالتشكيك فيها فيذهب السامع فيها كل مذهب فتدبر (قوله رفرفا) قيل هو في الأصل ما ندلى على الأصرة من غالى الثياب ومن أعالى الفسطاط، روى «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما باغ سدرة المنتهى جاءه الرفرف فتناوله من جبريل وطار به إلى العرش حتى وقف به بين يدي ربه ثم لما حان الانصراف تناوله فطار به حتى أدها إلى جبريل صلوات الله عليهما وجبريل يبكي ويرفع صوته بالتحميد فالرفرف خادم من الخدم بين يدي الله تعالى له خواص الأمور في محل الدنو والقرب كما أن البراق دابة يركبها الأنبياء مخصوصة بذلك في الأرض (قوله أفرأيتم) استفهام إنكارى قصد به توبيخ المشركين على عبادتهم لاوثان بعد بيان تلك البراهين القاطعة الدالة على انفراده تعالى بالألوهية والعظمة وأن ما سواه تعالى وإن جلت مرتبته وعظم مقامه حقير في جانب جلال الله عز وجل.

(قوله اللات) اسم صنم كان في جوف الكعبة وقيل كان لثقيف بالطائف وقيل اسم رجل كان يلبث السوق ويطعمه وكان يجاس عند حجر فلهما مات سمي الحجر باسمه وعبد من دون الله وأل في اللات زائدة زيادة لازمة كما قال ابن مالك * وقد تزايد لازما كالات وتاؤه قيل أصاية وعليه فأصله آيت ، وقيل زائدة وعليه فأصله لوى يلوى كأنهم كانوا يعبدونها أو يلتوون : أي يعتكفون عليها ويترتب على القوانين الوقف عليها فبعض القراء يقف عليها بالهاء على زيادتها وبعضهم بالياء على القول بعدم زيادتها (قوله والعزى) تأنيث الأعز كالفضلى والأفضل وهي اسم صنم وقيل شجرة لفظان كانوا يعبدونها فبعث إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها (قوله ومناة) إما بالهمزة بعد الألف وحدها قراءتان سبعيتان إما مشتقة من النوء وهو المطر لأنهم كانوا يستمطرون عندها الأنواء أو من منى صب لأن دماء الفلك كانت تصب عندها (قوله اللتين قبلها) أي فالثالثة إما صفة بالنظر للفظ أو بالنظر للرتبة والمعنى أن عندهم منحة عن اللتين قبلها (قوله صفة ذم للثالثة) أي لأنها بمعنى المتأخرة الوضعية المقدار (قوله وهي أصنام من حجر) أي أن الثلاثة أصنام من حجارة كانت في جوف الكعبة ، وقيل اللات لثقيف بالطائف والعزى شجرة لفظان ومناة صخرة لهذيل وخزاعة أولثقيف (١٣٣) وقيل إن اللات أخذها المشركون من انظر الله والعزى من العزى ومناة من منى

اللات والعزى . وَمَنَاةُ الثَّالِثَةَ (الْأُخْرَى) صفة ذم للثالثة ، وهي أصنام حجارة كان المشركون يعبدونها ويزعمون أنها تشفع لهم عند الله ومفعول أرايت الألات وما عطف عليه والثاني محذوف ، والمعنى أخبروني أهذه الأصنام قادرة على شيء فتعبدونها دون الله القادر على ما تقدم ذكره . ولما زعموا أيضاً أن الملائكة بنات الله كراهتهم البنات نزل (أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى . تِلْكَ إِذْ أَسْمَتُ ذِيئِرَى) جائرة ضاره يضره إذا ظلمه وجار عليه (إِنْ هِيَ) أي ما المذكورات (إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهُنَّ أَيْ سَمَّيْتُمْ بِهَا) (أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ) أصناما تعبدونها (مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا) أي بعبادتها (سُاطَانٍ) حجة وبرهان (إِنْ) ما (يَتَّبِعُونَ) في عبادتها (إِلَّا الظَّنَّ وَمَا هُوَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ يَمَازِينُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مِنْ أَنَّهَا تَشْفَعُ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى) (وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى) على لسان النبي صلى الله عليه وسلم بالبرهان القاطع فلم يرجعوا عما هم عليه (أَمْ لِلْإِنْسَانِ) لكل إنسان منهم (مَا تَمَنَّى) من أن الأصنام تشفع لهم ، ليس الأمر كذلك ،

الشيء قدره (قوله والثاني محذوف) أي وهو جملة استفهامية استفهاما إنكاريا ذكرها بقوله أهذه الأصنام الخ والمعنى أفراحموها قادرة على شيء (قوله ولما زعموا أيضا) أي كما زعموا أن الأصنام الثلاثة تشفع لهم عند الله تعالى (قوله لك إذا) أي إذا جعلتم البنات له والبنين لكم (قوله ذيئري) بكسر الصاد بعدها همزة أو ياء مكانها قراءتان سبعيتان وقرئ

شدوذا بفتح الصاد وسكون الياء (قوله جار عليه) عطف تفسير وهذا المعنى لكل من القرآت ثلاث (قوله ما المذكورات) أي الأصنام المذكورات من حيث وصفها بالالوهية والمعنى ليس لها من والة الالوهية التي أنبتموها لها إلا لفظها وأما معناها فهي خالية عنه لأنها من أحقر المخلوقات وأذلها (قوله أي سميتم بها) دفع بذم ما يقال إن الأسماء لا تسمى وإنما يسمى بها فكيف قال سميتموها فأجاب بأن الكلام من باب الحذف والايصال والمفعول الآخر محذوف قدره بقوله أصناما (قوله أنتم) ضمير فصل أتى به توصلا لعطف وآباؤكم على الضمير المتصل في سميتموها على حد قول ابن مالك وإن على ضمير رفع متصل عطفت فافصل بالضمير المتفصل

(قوله إن يتبعون إلا الظن) التفت من خطابهم إلى الغيبة إشعارا بأن كثرة قبائحهم اقتضت الاعراض عنهم (قوله مما زين لهم) لما (قوله ولقد جاءهم من ربهم الهدى) الجملة حالية من فاعل يتبعون والمعنى يتبعون الظن وهوى النفس في حالة تنافي ذلك هو مجرى الهدى من عند ربهم (قوله بالبرهان) حال من الهدى والباء للاستدلال والمراد بالبرهان المعجزات (قوله أم الإنسان ما تمنى أم منقطع) تفسر بيل والهمزة والاستفهام إنكارى والمعنى ليس الإنسان ما يتبع نفسه حيث يتبع هواه وخرج عن حدود الشرع فالمراد بالإنسان الكافر وهذه الآية تجر بذيالهم على من يلتجئ في طلب الله طلبا للفانى ويتبع نفسه في ما تطلبه فليس له ما يتمنى قال العارف

لا تتبع النفس في هواها إن اتبع الهوى هوان

وأما أهل الصدق مع ربهم فلهم ما يمتنون وفوق ذلك لوعد الله الذي لا يخلف (قوله فله الآخرة والأولى) كالدليل لما قبله وللغنى أنه تعالى لا يعطى ما فيها إلا لمن اتبع هداياه وترك هواه لأنه مالك الدنيا والآخرة (قوله وكم من ملك الخ) هذا تقييد لمسكفار من تعاقب آمالهم بشفاعه معبوداتهم لهم (قوله أي وكثير من الملائكة الخ) أشار بذلك إلى أن كم خبرية بمعنى كثيرا (قوله وما أكرمهم عند الله) جملة تعجبية جىء بها للدلالة على تشريف الملائكة وزيادة تعظيمهم ومع ذلك فلا تغنى شفاعتهم منهم شيئا (قوله لمن يشاء) أي فيمن يشاء (قوله ومعلوم أنها لا توجد منهم) راجع لقوله ولا يشفعون والقصد من ذلك توفيق بين الآيتين في توقف الشفاعه على الإذن (قوله إن الذين لا يؤمنون بالآخرة) أي وهم مشركو العرب. إن قلت كيف يقال لهم غير مؤمنين بالآخرة مع أنهم يقولون هؤلاء شفاعونا عند الله. أجيب بأنهم غير جازمين بالآخرة بدليل قوله على حكاية عنهم وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى وإنما اتخذوهم شفعاء على سبيل الاحتمال. أجيب أيضا بأنهم لا يؤمنون بالآخرة على الوجه الذي بينته الرسل (قوله تسمية الأنثى) أي تسمية الإناث وذلك أنهم رأوا الملائكة تاء التأنيث وصح عندهم أن يقال سجدت الملائكة فقالوا (١٣٣) الملائكة إناث وجعلوهم بنات الله

لكونهم لأب لهم ولا أم (قوله بهذا القول) أي هم بنات الله (قوله إن يتبعون إلا الظن) أي لأنهم لم يشاهدوا خلقهم ولم يسمعوا ما قالوه من رسول ولم يروه في كتاب بل عولوا على مجرد ظنهم الفاسد ولو أذعنوا للقرآن وللنبي لأفادهم صحة التوحيد ونفعه (قوله أي عن العلم) أشار بذلك إلى أن من بمعنى عن والحق بمعنى العلم (قوله

(قوله الآخرة والأولى) أي الدنيا فلا يقع فيها إلا ما يريد تعالى (وكم من ملك) أي وكثير من الملائكة (في السموات) وما أكرمهم عند الله (لا تغنى شفاعتهم شيئا) إلا من بعد أن يأذن الله لهم فيها (لمن يشاء) من عباده (ويرضى) عنه لقوله : ولا يشفعون إلا لمن ارتضى، ومعلوم أنها لا توجد منهم إلا بعد الإذن فيها: من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه (إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسئون الملائكة تسمية الأنثى) حيث قالوا هم بنات الله (وما لهم به) بهذا القول (من علم إن) ما (يتبعون) فيه (إلا الظن) الذي تخيلوه (وإن الظن لا يغنى من الحق شيئا) أي عن العلم فيما المطلوب فيه العلم (فأعرض عن من تولى عن ذكرنا) أي القرآن (ولم يرذ إلا الحيوه الدنيا) وهذا قبل الأمر بالجهاد (ذلك) أي طلب الدنيا (مبلغه من العلم) أي نهاية علمهم أن آثروا الدنيا على الآخرة (إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى) أي عالم بهما فيجازيهما (ولله ما في السموات وما في الأرض) أي هو مالك لذلك ،

فما للطلب فيه العلم) أي في الأمر الذي يطلب فيه العلم هو الاعتقادات بخلاف العماليات فالظن فيها كاف لاختلاف الآفة في الفروع الفقهية فتحصل أن الأمور الاعتقادية كمعرفة الله تعالى ومعرفة الرسل وما أتوا به لا بد فيها من الجزم بالطابق للحق عن دليل ولا يكفي فيها الظن ، وأما الأمور العمالية كفروع الدين فيكفي فيها غلبة الظن (قوله فأعرض عن من تولى) أي ترك دعوته والاهتمام بشأنه فانه لا تنفيد دعوته إلا عنادا وإصرارا على الباطل (قوله وهذا قبل الأمر بالجهاد) أي فهو منسوخ بآية القتال وقد تبسغ المفسر في ذلك أكثر المفسرين ، وقال الرازي إنها ليست منسوخة بآية القتال بل هي موافقة لها وذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم في الأول كان مأمورا بالدعاء بالحكمة والموعظة الحسنة فلما عارضوا أمر بازالة شبههم والجواب عنها فقل له : وجادلهم بالتي هي أحسن ثم لما لم ينفع ذلك فيهم قيل له أعرض عنهم ولا تقابلهم بالدليل والبرهان فانهم لا ينتفعون به وقتلهم فتمرة الاعراض القتال وقد يقال إن الخلاف لفظي فمن أراد الاعراض الكف عن مجادلتهم ومعاملتهم بالتي هي أحسن قال بالنسخ ومن أراد بالاعراض عنهم ترك جدالهم ومعاملتهم بالسيف قال بعدمه (قوله مبلغهم من العلم) تسميته علما نهكم بهم (قوله إن ربك هو أعلم الخ) تعليل للأمر بالاعراض والمعنى أن الله عالم بالضال فيجازيه على ضلاله وبالمهتدي فيجازيه على هدايه ، ومن هنا خافت العارفون من سوء الخاتمة لعدم اعتمادهم على أعمالهم .

(قوله ومنه الضال والمهتدي) دفع بذلك ما يقال كيف يجعل الجزاء علة لملك مافي السموات والأرض مع أنه ثابت لله تعالى بالذات فأجاب بأنه علة لمحدوف دل عليه قوله ملك السموات والأرض (قوله ليجزى الذين أساءوا الخ) أشار بذلك إلى اللام متعلقة بمحذوف قدره بقوله يضل من يشاء الخ ويصح أن تكون اللام للعاقبة والصيرورة والمعنى أن عاقبة أمر الخ أن يكون فيهم المحسن والمسيء فيجازى المحسن بالاحسان والمسيء بالاساءة (قوله وبين المحسنين الخ) أي فالذين يجتنبون بدل أو عطف بيان أو نعت للذين أحسنوا أو مفعول لمحدوف تقديره أعنى أو خبر لمحدوف تقديره هم الذين الخ (قوله كبر الإثم) جمع كبيرة وهي ماورد فيها وعيد أو حد (قوله والفواحش) إما عطف مرادف إن أريد بها الكبائر أو خاص أريد بها ما ترتب عليه عظيم مفسدة كالقتل والزنا والسرقة ونحو ذلك (قوله إلا اللهم) هو في الأصل أن يلم بالشئ ولم يرتكبه والمراد به فعل الصائر (قوله كالنظرة) أي وكالكذب الذي لاحد فيه ولم يترتب عليه إفساد بين الناس وهجر المسلم فو ثلاث والتبخر في المشي ونحو ذلك (١٣٤) (قوله إن ربك واسع الغفرة) تعليل لقوله إلا اللهم والمعنى أن ع

المواخذة على الصغائر لا تكونها ليست ذنباً بل لسعة مغفرة الله (قوله بذلك) أي باجتناب الكبائر (قوله أي عالم) أشار بذلك إلى أنه ليس المراد صيغة التفضيل (قوله إذ أنشأكم من الأرض) أي فهو عالم بتفاصيل أموركم حين ابتداء خلق أبيكم آدم من التراب وحين صوركم في الأرحام (قوله جمع جنين) مسمى بذلك لاستقارته في بطن أمه (قوله لا تدحوها) أي لا ثنوا عليها ولا تشهدوا لها بالكمال والتقى فان

ومنه الضال والمهتدي يضل من يشاء ويهتدي من يشاء (ليجزى الذين أساءوا بما عملوا من الشرك وغيره) (ويجزى الذين أحسنوا) بالتوحيد وغيره من الطاعات (بالحسن) أي الجنة ، وبين محسنين بقوله (الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللهم) هو صفة الذنوب كالنظرة والقبلة واللمسة فهو استثناء منقطع ، والمعنى لكن اللهم يغفر باجتناب الكبائر (إن ربك واسع المغفرة) بذلك وبقبول التوبة . ونزل فيمن كان يقول صلاتنا صيامنا حجنا (هو أعلم) أي عالم (بكم إذ أنشأكم من الأرض) أي خلق أباكم آدم من التراب (وإذ أنتم أجنة) جمع جنين (في بطون أمهاتكم فلا تزر كوا أنفسكم) لا تدحوها أي على سبيل الإعجاب ، أما على سبيل الاعتراف بالنعمة فحسن (هو أعلم) أي عالم (أتقى) أفرأيت الذي تولى عن الإيمان : أي ارتد لمساير به وقال إني خشيت عقاب الله فضمن له المعير له أن يحمل عنه عذاب الله إن رجع إلى شركه وأعطاه من ماله كذا فرج (وأعطى قليلاً) من المال المسمى (وأكدى) منع الباقي مأخوذ من الكدية ، وهي أرض صلبة كالصخرة تمنع حافر البئر إذا وصل إليها من الحفر (أعنده علم الغيب فهو يرى) يعلم من جملته أن غيره يتحمل عنه عذاب الآخرة ، لا ، وهو الوليد بن المغيرة ،

النفس خمسة إذا مدحت اغترت وتكبرت فالذى ينبغي للشخص

أو هضم النفس وذلك واستخفافها (قوله أما على سبيل الاعتراف بالنعمة فحسن) أي ولذا قيل المسرة بالطاعة طاعة وذكره شكر ، قال تعالى : وأما بنعمة ربك فحدث (قوله هو أعلم بمن اتقى) أي بمن أخاص في طاعته وتقواه فينتفع بها ويثاب عليها وأما الراى فلا ينتفع بطاعته بل يعاقب عليها لأن الرياء يحبط العمل (قوله أي ارتد) أي بعد أن أسلم بالفعل وهذا أحد قولين وقيل قارب الاسلام ولم يسلم بالفعل (قوله وأعطاه من ماله) الضمير المستتر في أعطى عائد على الذى تولى والبارز على الذى ضمن له عذاب الله فتحصل أن الضامن جعل على المتولى شيئين : الرجوع إلى الشرك ، وأن يدفع له عدداً معيناً من ماله ، وجعل على نفسه هو شيئاً واحداً وهو ضمان عذاب الله (قوله وأكدى) هو في الأصل من أكدى إذا فاف إذا أصاب كدية منعه من الحفر وماله أجبل أى صادف جبلاً منعه من الحفر ثم استعمل في كل من طلب منه شئ فلم يعطه (قوله أعنده علم الغيب) استفهام إنكارى بمعنى الذى أى ليس عنده علم الغيب (قوله فهو يرى) عطف على قوله أعنده علم الغيب فهو داخلة في حيز الاستفهام (قوله وهو الوليد بن المغيرة) أي وهو قول مقاتل وعليه الأكثر .

وله (أو غيره) أى فقيل هو العاص بن وائل السهمي وقيل هر أبو جهل وهذا الخلاف في بيان الذى تولى وأعطى قليلا كدى وأما الذى غره وضمن له أن يحمل عنه العذاب فلم يذكرنا تعيينه (قوله أم لم يغبأ بما في صحف موسى) أم منقطعة لعن أبل لم يخبر بالذى في صحف موسى الخ حتى يفتقر بما قيل له وقدم موسى لقرب عهده منهم وخص هذين الرسولين لأنهما نوا قبل إبراهيم يأخذون الرجل بذنب غيره فكان الرجل إذا قتل وظفر أهل المقتول بأبي القاتل أو ابنه أو أخيه أو عمه خاله قتلوه حتى جاءهم إبراهيم فنهام عن ذلك وبلغهم عن الله أن لا تزر وازرة وزر أخرى (قوله تم ما أمر به) أى من بلغ الرسالة وقيامه بالضيقات وخدمته إياهم بنفسه فكان يخرج يتلقى الضيقات من مسافة فرسخ فإن وجد الضيقات أكرمهم بكل معهم وإلا نوى الصوم وصبره على النار وذبح ولده ، وقيل المراد وفي سهام الاسلام وهي ثلاثون عشرة في التوبة التائبون بدون وعشرة في الأحزاب إن المسلمين والسلامة وعشرة في المؤمنون قد أفلح المؤمنون ، وقيل المراد وفي بكلمات كان لمن إذا أصبح وإذا أمسى فسبحن الله حين تمسون إلى تظهرون ، والمعنى أنه ما أمره الله تعالى بشئ إلا وفى به (قوله بيان ما) أى فقوله أن لا تزر في محل جر بدل من ما في قوله بما في صحف موسى ويصح رفعه على أنه خبر المحذوف أى هو أن ر ونصبه على أنه مفعول محذوف (قوله وازرة) صفة الموصوف محذوف أى نفس وازرة أى مكافئة بالوزر ، وليس المراد رة بالفعل (قوله وزر أخرى) أى وزر نفس أخرى (قوله إلى آخره) المراد به قوله فبأى آلاء ربك تمارى وهذا على ح همزة أن في قوله وأن إلى ربك المنتهى وما بعده وهي ثمانية تضم لثلاث قبلها فتكون الجملة أحد عشر شيئا ، وأما على مة الكسر في هذه الثمانية فيكون المراد بقوله إلى آخره ثم يحزاه (١٣٥) الجزء الأول فيكون البيان بالثلاثة

الأول فقط (قوله وأن مخففة من الثقيلة) أى واسمها محذوف هو ضمير الشأن ولا تزر هو الخبر (قوله وأن ليس للإنسان إلا ما سعى) استشكل هذا الحصر بأمور: منها أن الدال على الخبر كفاعله . ومنها وأتبعناهم ذرياتهم

غيره وجملة أعنده المفعول الثانى رأيت بمعنى أخبرنى (أم) بل (لم) ينبأ بما في صحف موسى (أسفار التوراة أو صحف قبلها) (و) صحف (إبراهيم الذى وفى) تم ما أمر به نحو ذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فاتمهن ، وبيان ما (أن لا تزر وازرة وزر أخرى) الخ ن مخففة من الثقيلة : أى أنه لا تحمل نفس ذنب غيرها (وأن) أى أنه (ليس للإنسان ما سعى) من خير فليس له من سعى غيره الخير شئ (وأن سعيه سوف يرى) أى يبصر الآخرة (ثم يحزاه الجزء الأول) الأكل يقال جزيته سعيه وبعينه (وأن) بالفتح عطفًا

ن . ومنها «إذ مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث إلى قوله أو ولد صالح يدعو له» ومنها غير ذلك . قال الشيخ تقي الدين العباس أحمد بن تيمية من اعتقد أن الإنسان لا ينتفع إلا بعمله فقد خرق الاجماع وذلك باطل من وجوه كثيرة . أحدها : الإنسان ينتفع بدعاء غيره وهو انتفاع بعمل الغير . ثانيها أن النبي صلى الله عليه وسلم يشفع لأهل الموقف في الحساب ثم الجنة في دخولها . ثالثها لأهل الكبائر في الخروج من النار . رابعها أن الملائكة يدعون ويستغفرون لمن في الأرض . سابعها أن الله تعالى يخرج من النار من لم يعمل خيرا قط . بمحض رحمته وهذا انتفاع بغير عملهم . سادسها أن أولاد المؤمنين يولون الجنة بعمل آبائهم . سابعها قال تعالى في قصة الغلامين اليتيمين وكان أبوهما صالحا . ثامنها أن الميت ينتفع بالصدقة وبالعتق بنص السنة والاجماع . تاسعها أن الحج المفروض يسقط عن الميت بحج وليه عنه بنص السنة . عاشرها أن الحج يور أو الصوم المنذور يسقط عن الميت بعمل غيره بنص السنة وهو انتفاع بعمل الغير . حادى عشرها المدين قد امتنع صلى عليه وسلم من الصلاة عليه حتى قضى دينه أبو قتادة وقضى دين الآخر على بن أبي طالب وانتفع بصلاة النبي صلى الله عليه وسلم من عمل الغير إلى آخر ما قال . وأجيب بأجوبة منها أن الآية منسوخة ورد بأنها خبر والأخبار لا تنسخ . ومنها أن المراد بالإنسان كافر . ومنها أن هذا حكاية عما في صحف موسى وإبراهيم فليس في شرعنا (قوله أى يبصر في الآخرة) أى لأن العمل يصور برة جميلة إن كان صالحا وقبيحة إن كان سيئا ليكون سرورا للمؤمن وحزنا للكافر (قوله ثم يحزاه) الضمير المرفوع عائد على سان والمنصوب عائد على السمي (قوله الجزء الأول) مصدر مبين للنوع (قوله يقال جزيته سعيه الخ) أشار بذلك إلى أن جاء بتعدى للمفعول الثانى بنفسه وبحرف الجر (قوله بالفتح عطفًا) أى على قوله أن لا تزر وازرة الخ وعليه فيكون من جملة

مافي صحف موسى وإبراهيم (قوله وقرى بالكسر استئنافا) أى وعليه فيكون زائدا على مافي صحف موسى وإبراهيم
القرآن فيه مافي الصحف وزيادة (قوله وكذا مابعدا) أى من قوله وأنه هو أضحك وأبكى إلى قوله وأنه أهلك عادا
والكسر شاذ (قوله إلى ربك المنتهى) أى منتهى أمر الخلق ومرجعهم إليه تعالى وهذا كالدليل لقوله ثم يجزأه الجزاء
كأنه قال الله يجزى الانسان على أعماله الجزاء الأوفى لأنه إليه المنتهى في الأمور كلها وإذا كان كذلك فينبغي للانسان
يرجع إلى ربه في أموره كلها ولا يعول على شئ من الأشياء لأنه الآخذ بالنواصي . واختلف في الخطاب بقوله وأن إلى ر
المنتهى فقيل كل عاقل وقيل محمد صلى الله عليه وسلم وهذا على قراءة الكسر وأما على قراءة الفتح فقيل كل عاقل وقيل مو
وإبراهيم على سبيل التوزيع لأنه محكى عن صحفهما (قوله أفرحه) أشار بذلك إلى أن الضحك مستعمل في حقيقته وكذا
وأن مفعول كل من الفعلين محذوف (قوله وأنه خلق الزوجين الخ) الحكمة في إسقاط ضمير الفصل في هذا وإثباته في قوله
هو أضحك وأبكى وأنه هو أمات وأحيا الإشارة لدفع توهم أن المخلوق مدخلا في الاضحاك والابكاء والاماتة والاحياء فأ
بالفصل ولما لم يحصل في حق الذكر (١٣٦) والآننى وما بعده توهم أن لاغير مدخلا لم يؤكد بضمير الفصل (١٣٦)

وقرى بالكسر استئنافا وكذا ما بعدها فلا يكون مضمون الجمل في الصحف على الش
(إلى ربك المنتهى) المرجع والمصير بعد الموت فيجازيهم (وأنه هو أضحك) من
أفرحه (وأبكى) من شاء أحزنه (وأنه هو أمات) في الدنيا (وأحيا) للبعث (وأن
خلق الزوجين) الصنفين (الذكر والأنثى من نطفة) منى (إذا تمنى) تص
في الرحم (وأن عليه النشأة) بالمد والقصر (الأخرى) الخلقة الأخرى للبعث بعد الخ
الأولى (وأنه هو أغنى) الناس بالكفاية بالأموال (وأغننى) أعطى المال المتخذ قنية (وأن
هو رب الشعري) هو كوكب خلف الجوزاء كانت تعبد في الجاهلية (وأنه أهلك
الأولى) وفي قراءة بإدغام التنوين في اللام وضمها بلا همز هي قوم هود والأخرى قوم
(وأنموذا) بالصرف اسم للأب وبلا صرف للقبيلة وهو معطوف على عادا (فما أبقي
منهم أحدا) (وقوم نوح من قبل) أى قبل عاد ونموذ أهلكنهم (إنهم كانوا هم أظلم
وأطمنى) من عاد ونموذ أطول لبث نوح فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما وهم مع عدم إيمان
به يؤذونه ويضربونه (والمؤتفكة) وهى قرى قوم لوط (أهوى) أسقطها بعد رفعها إلى الس

وأن عليه النشأة
الأخرى) أى بحكم الوعد
الكائن في قوله إنا نحن
نحي ونميت إذ لا يجب
عليه تعالى فعل شئ ولا
ركه (قوله بالمد والقصر)
أى فهم - ا قراءتان
سبعيتان (قوله أعطى
المال المتخذ قنية) أى
الذى يدوم عند صاحبه
(قوله رب الشعري) اعلم
أن الشعري في لسان
العرب كوكبان أحدهما
الشعري العبور وتسمى
الشعري الجمانية تطلع
بعد الجوزاء في شدة

الحركات تعبدتها خزاعة من العرب وأول من سن عبادتها رجل من ساداتهم يقال له
أبو كبشة وهى المرادة في الآية والثانى الشعري الغميصاء بضم الغين وفتح الميم من الغميص بفتحين وهو سيلان دمع
(قوله بإدغام التنوين) أى بعد قلبه لاما وقوله في اللام أى لام التعريف وقوله وضمها أى بنقل حركة همزة أولى إليها وقم
بلا همز أى للواو التى بعد اللام المدغم فيها التنوين وبقى قراءة ثالثة سبعة أيضا وهى هذه القراءة بعينها إلا أن الواو المذكو
تقلب همزة ساكنة (قوله هي قوم هود) أى وسميت أولى لتقدمها في الزمان على عاد الثانية التى هي قوم صالح وهم قوم فاهلك
الأولى بالريح الصرصر والثانية بصيحة جبريل وتسمى كل من القبيلتين عادا لأن جدم واحد وهو عاد بن إرم بن
ابن نوح عليه السلام (قوله وهو معطوف على عادا) أى ويصح نصبه بفعل محذوف تقديره وأهلك نموذا وليس منصوب
بأبى لأن ما بعد الفاء لا يعمل فيما قبلها (قوله أهلكنهم) صوابه أهلكنهم وأشار بذلك إلى أن قوله وقوم نوح منصوب بفعل
محذوف ويصح عطفه على ما قبله (قوله إنهم كانوا هم أظلم وأطمنى) الضمير عائد على قوم نوح خاصة وعليه مثنى المفسر و
عوده على الفرق الثلاث . والمثنى أظلم وأطمنى من غيرهم (قوله يؤذونه ويضربونه) أى حتى يمتنى عليه فإذا أفاق قال رب اغ
اقومى فأنهم لا يعلمون (قوله والمؤتفكة) منصوب بأهوى قدم رعاية للفاصلة . ومعنى المؤتفكة المنقلبة لأن الائتفاك الائتلا

(قوله مقلوبة) حال من ضمير أسقطها (قوله ففشاها) أي ألبسها وكساها والفاعل ضمير عائذ على الله تعالى ، وقوله ما غشي
 هول به (قوله نهويلا) أي تغفيا وتغظيا ، والمعنى غشاها أمرا عظيما من حجارة وغيرها مما لا يسع العقول وصفه (قوله وفي
 هود فجعلنا الخ) الصواب أن يقول وفي هود - فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها - الخ أو يقول وفي الحجر فجعلنا عاليها سافلها
 مطرنا عليهم بدل قوله عليها (قوله فبأي) الباء ظرفية متعلقة بتمازي والمعنى في أي آلاء ربك تشكك (قوله أيها الإنسان)
 مطلقا ، وقيل المراد به الوليد بن المغيرة ، وقيل الخطاب للنبي والمراد غيره (قوله هذا نذير من النذر الأولى) النذير بمعنى
 نفي والتنوين للتفخيم (قوله أزلت الآزفة) أزل من باب تعب دنا وقرب (قوله قربت القيامة) أي الموصوفة بالقرب فهي
 نفسها قريبة من يوم خلق الله الدنيا لأن كل آت قريب وقد ازدادت قربا ببعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه من
 بارات الساعة كما هو معلوم (قوله نفس كاشفة) أشار بذلك إلى أن كاشفة صفة لموصوف محذوف (قوله أي لا يكشفها ويظهرها
 هو) أي فهو من كشف الشيء عرف حقيقة ويصح أن يكون من كشف (١٣٧) الضر أزاله ، والمعنى ليس

لهامز يل غيره تعالى لكنه
 لم يفعل ذلك لأنه سبق في
 علمه وقوعها (قوله آمن
 هذا الحديث) متعلق
 بتعجبون (قوله تكذبا)
 قيد به لأن التعجب قد
 يكون استحسانا وكذا
 يقال في قوله استهزاء
 (قوله وأتم صامدون)
 إما مستأنف أو حال
 (قوله لاهون غافلون)
 أي فالسجود لله
 والغفلة ، وقيل الاعراض
 والاستكبار (قوله
 فاسجدوا لله) يحتمل
 أن المراد به سجود
 الصلاة وهو ما عليه مالك
 ويحتمل أن المراد سجود

مقلوبة إلى الأرض بأمره جبريل بذلك (فغشيها) من الحجارة جد ذلك (ما غشي) أبهم
 نهويلا ، وفي هود : فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل (فبأي آلاء ربك)
 أنصه الدالة على وحدانيته وقدرته (تتمازي) تشكك أيها الإنسان أو تكذب (هذا)
 محمد (نذير من النذر الأولى) من جنسهم : أي رسول كالرسل قبله أرسل إليكم كما أرسلوا
 إلى أقوامهم (أزلت الآزفة) قربت القيامة (أيس لها من دون الله) نفس (كاشفة)
 أي لا يكشفها ويظهرها إلا هو كقوله لا يجلبها لوقتها إلا هو (أفمن هذا الحديث) أي القرآن
 (تتعجبون) تكذبا (وأنضكون) استهزاء (ولا تبكون) لسمع وعده ووعيده (وأنتم
 صامدون) لاهون غافلون عما يطلب منكم (فاسجدوا لله) الذي خلقكم (وأعبدوا) ولا
 تسجدوا للأصنام ولا تعبدوها .

(سورة القمر)

مكية إلا ٥ سبهمز الجمع ، الآية ، وهي خمس وخمسون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم . أفتربت الساعة) قربت القيامة (وأنشق القمر)

انفلق فلقين على أبي قبيس ،

التلاوة وبه أخذ الشافعي وأبو حنيفة ، ويؤيده ما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم سجد في النجم وسجد معه المسلمون
 والمشركون والجن والإنس إلا أبي بن خلف رفع كفا من تراب على جبهته وقال يكفي هذا (قوله واعبدوا) عطف عام على خاص ،
 وقوله : ولا تسجدوا للأصنام الخ أخذه من لام الاختصاص ومن السياق .

[سورة القمر] جميع فواصل آياتها على الراء الساكنة (قوله الآية) أي وآخرها ويولون الدبر (قوله قربت القيامة)
 أشار بذلك إلى أن الفعل المزيد بمعنى المجرد وإنما آتى بالمزيد مبالغة لأن زيادة البناء تدل على زيادة المعنى ، والمراد بالقيام
 خروج الناس من القبور ، وله أسماء كثيرة الحاقة والواقعة ويوم الدين ويوم الجزاء وغير ذلك (قوله وأنشق القمر) اعلم أنه
 يسمى قمر بعد ثلاث من الشهر وقبلها هلالا إلى أربعة عشر ولياتها يسمى بدرا (قوله فلقين) تنفية فلقة بالسكسر كقطعة
 وزنا ومعنى والانشقاق كان قبل الهجرة بخمس سنين وهل كان ليلة أربعة عشر من الشهر أولا لم يثبت ، وأما قول البوصيري :
 شق عن صدره وشق له البدن ومن شرط كل شرط جزاء

فان كان من نقل صحيح فهو مقبول لأنه حجة وإلا فنسميته بدرا مجاز [١٨ - صاري - رابع]

وما ذكره المفسر من أنه اتفاق بالفعل هو المشهور ، وقيل المعنى سينشق القمر إذا قامت القيامة لأن السماء تنشق حينئذ فيها ، وقيل إن المعنى ظهر الأمر واتضح (قوله وقميعان) هو جبل مقابل أبي قبيس (قوله وقد سئلها) الجملة حالية والمستأنس إما مطلق آية أو خصوص انشقاق القمر روايتان (قوله فقال اشهدوا) أى بأئى رسول الله واست بساحر كما زعمون (يرضوا) أى عن الإيمان بها (قوله هذا سحر) أشار بذلك إلى أن سحر خبر محذوف (قوله قوى أودائهم) هذان قولان أربعة أقوال . والثالث أن معناه ذاهب لا يبقى مأخوذ من الرور . والرابع أن معناه مرّ بشع لا تقدر أن نسيغه كما لانس المرّ (قوله وكذبوا واتبعوا) عبر بالماضى إشارة إلى أن التكذيب واتباع الهوى من عادتهم ودأبهم (قوله وكل أمر مستقر جملة مستأنفة مركبة من مبتدا وخبر قاطعة لأطماعهم الكاذبة ، والمعنى كل أمر من الأمور منته إلى غاية يستقر عليها إن خفي وإن شرا فشر (قوله مستقر بأهله) الباء بمعنى اللام ، والمعنى ثابت لأهله ما ينشأ عنه من ثواب وعقاب (قوله أوامر مكمل أى على أن فيه تجريدا ، والمعنى أنه موضع ازدجار (قوله بدل من تاء الافتعال) أى لأن الزاى حرف مجهور والتاء حرف مهموس فأبدلوا إلى حرف (١٣٨) مجهور قريب من التاء وهو الدال وكان قاب تاء الافتعال دالا بعد الزاى كذا

تقلب دالا بعد الدال والدال قال ابن مالك : فى ادان وازدد وادكر دالا بقی

(قوله وما موصولة أو موصوفة) أى وهى فاعل بجاء ومن الأنبياء حال منها (قوله أو بدل من ما) أى بدل كل من كل أو بدل اشتمال (قوله بالغة تامة) أى لا خلل فيها (قوله فما نغن النذر) حذف الياء لفظا لالتقاء الساكنين وتحذف فى الخط اتباعا للفظ ولرسم المصحف (قوله أى الأمور المنذرة لهم) أى كما وقع للأمم

وقميعان آية له صلى الله عليه وسلم وقد سئلها فقال اشهدوا ، رواه الشيخان (وَإِنْ يَرَوْْا) أى كفار قريش (آيَةً) معجزة له صلى الله عليه وسلم (يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا) هذا (سَحَرٌ مُّسْتَمِرٌّ) قوى ، من المرة القوة أو دائم (وَكَذَّبُوا) النبى صلى الله عليه وسلم (وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ) فى الباطل (وَكُلُّ أَمْرٍ) من الخير والشر (مُّسْتَقَرٌّ) بأهله فى الجنة أو النار (وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْآنِبَاءِ) أخبار إهلاك الأمم المكذبة رسالهم (مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ) لهم ، اسم مصدر أو مكان (وَالدال بدل من تاء الافتعال وازدجرت وزجرت : نهيتة بغلظة وما موصولة أو موصوفة (حِكْمَةٌ) خبر مبتدأ محذوف أو بدل من ما أو من مزدجر (بَاقِيَةٌ) تامة (فَمَا تُغْنِ) تنفع فى (النُّذُرُ) جمع نذير بمعنى منذر أى الأمور المنذرة لهم ، وما للنفي أو للاستفهام الإنكارى على الثانى مفعول مقدم (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ) هو فائدة ما قبله وتم به الكلام (يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعُ) هو إسرافيل وناصب يوم يخرجون بعده (إِلَى شَيْءٍ نُّكْرٍ) بضم الكاف وسكونها أى من تنكره النفوس لشدة وهو الحساب (خَاشِعًا) ذليلا وفى قراءة خُشَمًا بضم الخاء وفتح الشاء مشددة (أَبْصَارُهُمْ) حال من فاعل (يَخْرُجُونَ) أى الناس (مِنَ الْأَجْدَاثِ) القبور (كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ) ،

السابقة من العذاب (قوله مفعول مقدم) أى مفعول به ، والمعنى فأى شئ من الأشياء لا يدرون النافعة تغنى النذر ، أو مفعول مطلق والمعنى فأى إغناء تغنى النذر (قوله فتول عنهم) قيل منسوخة بآية السيف ، وقيل منسوخة بل معناها فتول عنهم ولا تكلمهم بل قاتلهم (قوله هو فائدة ما قبله) أى نتيجه وثمرته (قوله يوم يدع الداع) حذف الواو من يدع لفظا لالتقاء الساكنين وخطا تبع لرسم المصحف ولفظ وحذفت الياء من الداع خطأ لأنها من ياءات الزوائد وأما اللفظ فقرأ فى السبع باثباتها وحذفها وكذا يقال فى الداع الآتى (قوله هو إسرافيل) هذا أحد قولين ، وقيل هو جبريل فى ندائه أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة والاحوم المتفرقة والشعور المتمزقة إن الله يأمر كن أن تجتمعن لفصل القضاء وناصب يوم يخرجون بعده) أى أو محذوف تقديره اذكر (قوله بضم الكاف الخ) أى وهما قراءتان سبعيتان (قوله تنكره النفوس) أى جميعها أو نفوس الكفار لأن المؤمنين حينئذ يكونون آمنين (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعة أيضا (قوله حال) أى خاشعا وأبصارهم فاعل به وأسند الخشوع للأبصار لأنه يظهر فيها أكثر من بقية البدن (قوله أى الناس) أى مؤمنهم وكما (قوله من الأجداث) جمع جدات بفتحين كفرس وأفراس (قوله كأنهم جراد منتشر) أى فى الكثرة والانتشار فى الآيات

بقوله لا يدرون أين يذهبون الخ) اعلم أن الناس حين الخروج من القبور شبهوا في هذه الآية بالجراد المنتشر وفي الآية الأخرى
بفراش المبعوث ، فمن حيث تحيرهم وتداخل بعضهم في بعض شبهوا بالفراش المبعوث ، ومن حيث انتشارهم وقصدهم الجهة
التي يجتمعون فيها شبهوا بالجراد المنتشر ، إذا علمت ذلك فما قاله المفسر لا يناسب تشبيههم بالجراد بل بالفراش هكذا قالوا فتدبر
بقوله ما دين أعناقهم الخ) أي فمضى مهطعين ماذنين الأعناق مع سرعة المشي (قوله يقول الكافرون الخ) استئناف وقع جواباً
لما نشأ من وصف اليوم بالأهوال وشدائدها كأنه قيل فما يقول الكافر حينئذ (قوله كما في المذثر) أي في المذثر ما يهيد أن الصعوبة
لشدّة لخصوص الكافر (قوله كذبت قبلهم قوم نوح) تفصيل لما أجمل أولاً في قوله - ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر -
قوله لمعنى قوم) أي وهو الأمة (قوله فكذبوا عبداً) تفصيل لقوله - كذبت قبلهم قوم نوح - فالمكذب والمكذب
للمؤمنين واحد (قوله وازدجر) عطف على قالوا ، والمعنى قالوا مجنون واتهروه (قوله وغيره) أي كالضرب والخنق فكانوا
مسرّبون ويخفقونه حتى يغشى عليه فيتركونه فإذا أفاق قال - اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون - (قوله فدعاه به) أي بعد
بره عليهم الزمن الطويل فكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً يعالجه (١٣٩) فلم يفد فيهم شيئاً (قوله أنى

مغلوب) بفتح الهمزة في
قراءة العامة على حكاية
المعنى ولوحى اللفظ لقال
إنه مغلوب وقرئ شذوذاً
بكسر الهمزة على إضمار
القول ، والمعنى فدعاه به
قائلاً إني مغلوب (قوله
فاتتصر) أي انتقم لى
منهم وذلك بعد يأسه من
إيمانهم حيث أوحى الله
إليه : أنه لن يؤمن من
قومك إلا من قد آمن ودعا
عليهم أيضاً بقوله - رب
لا تذر على الأرض من
الكافرين دياراً - وبقوله
- فافتح بيني وبينهم
فتحاً ونجنى ومن ممي من

لا يدرون أين يذهبون من الخوف والحيرة والجملة حال من فاعل يخرجون وكذا قوله (مُطْعِمِينَ)
أي مسرعين ماذنين أعناقهم (إلى الدّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ) منهم (هَذَا يَوْمٌ عَسِيرٌ)
أي صعب على الكافرين كما في المذثر: يوم عسير على الكافرين (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ) قبل
فريش (قَوْمُ نُوحٍ) تأنيث الفعل لمعنى قوم (فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا) نوحاً (وَقَالُوا مَجْنُونٌ
وَأَزْدُجِرَ) أي اتهروه بالسب وغيره (فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي) بالفتح أي باني (مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ
فَنَفَعْنَا) بالتخفيف والتشديد (أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ) منصب انصباباً شديداً
(وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا) تنبع (فَالْتَقَى الْمَاءُ) ماء السماء والأرض (فَلَى أَمْرٍ) حال
(قَدْ قُدِرَ) قضى به في الأزل وهو هلاكهم غرقاً (وَحَمَلْنَاهُ) أي نوحاً (فَلَى) سفينة
(ذَاتِ الْأَوَاحِ وَذُمُرٍ) وهو ما تشد به الألواح من المسامير وغيرها واحداً دسار ككتاب
(تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا) بمرأى منا : أي مخوطة (جَزَاءً) منصوب بفعل مقدر أي أغرقوا انتصاراً
(لِإِنْ كَانَ كُفِرَ) وهو نوح صلى الله عليه وسلم وقرئ كفر بيناء للفاعل : أي أغرقوا عقاباً لهم
(وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا) أبقينا هذه النملة (آيَةً) لمن يعتبر بها : أي شاع خبرها واستمر (فَهَلْ
مِنْ مُدْكِرٍ) معتبر ومتعظ بها وأصله مذتكر أبدلت التاء دالا مهمله ،

للمؤمنين - (قوله ففتحنّا) عطف على محذوف تقديره فاستجبنا له (قوله بالتخفيف والتشديد) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله
أبواب السماء) أي جميعها ويؤخذ من ذلك أن السماء لها أبواب حقيقة تفتح وتغلق وهو كذلك (قوله بماء) الباء للتعدية مبالغة حيث
جعل الماء كالآلة التي يفتح بها (قوله منهمر) المنهمر الغزير النازل بقوة (قوله وفجّرنا الأرض عيوناً) تمييز محوّل عن المفعول لأن أصله
وفجّرنا عيون الأرض (قوله تنبع) أي تخرج من العين ومكث الماء يصب من السماء وينبع من الأرض أربعين يوماً قيل كان ماء
السماء بارداً مثل الثلج وماء الأرض حاراً مثل الحميم وهل كان ماء السماء أكثر أو ماء الأرض أو مستويين أقوال (قوله فالتقى الماء) أي
جلسه الصادق بماء السماء والأرض (قوله وغيرها) أي كالصفايح والحشب الذي تسمر فيه الألواح والحيوط ونحوها (قوله جمع دسار)
وقيل جمع دسر بسكون السين كسقف وسقف (قوله تجرى) صفة ثانية للموصوف المحذوف (قوله بأعيننا) حال من ضمير تجرى
(قوله منصوب بفعل مقدر) أي مفعول لأجله (قوله وهو نوح) أي لأنه نعمة كفروها إذ كل نبى نعمة على أمته (قوله وقرئ)
أي شذوذاً (قوله هذه النملة) أي وهي الفرق على هذا الوجه ، وقيل هي السفينة بناء على أنها بقيت على الجودى زمناً مديداً
حتى رآها أوائل هذه الأمة (قوله معتبر ومتعظ بها) أي يعتبر بما صنع الله بقوم نوح فيترك المعصية ويفعل الطاعة .

(قوله وكذا المعجزة) أى الدال الذى قبل التاء أبدلت دالا مهمله وقوله وأدغمت أى الدال الهمزة المنقلبة عن المعجمة فيها أى فى الدال المنقلبة عن التاء (قوله ونذر) باثبات الياء لفظا وحذفها قراءة ثان سبعيتان ، وأما فى الرسم فلا تثبت لآيات الزوائد وكذا يقال فى الواضع الآتية (قوله وكيف خبر كان) أى فهى ناقصة وعذابي اسمها (قوله وهى للسؤال الحال) أى فإذا أردت أن تختبر حال شخص تقول له كيف أنت أصحح أم سقيم مثلا (قوله بوقوع عذابه تعالى الخ) فى غاية العدل فلا ظلم فيه ولا جور (قوله سهلناه للحفظ) أى أعنا عليه من أراد حفظه فهل من طالب لحفظه فيعان وإيس من كتاب يقرأ عن ظهر قلب إلا القرآن ولم يكن هذا لبني إسرائيل ولم يكونوا يقرءون التوراة إلا نظرا غير موسى ويوشع بن نون وعزير صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، ومن أجل ذلك افتتنوا بعزير لما كتب لهم التوراة عن ظهر قلب حين أحرقت ، ومن هذا المعنى قول الله عز وجل فى الحديث القدسى : وجهات من أمتك أقوما قلوبهم أناجيلهم (قوله أو للتذكر) أى بأن أودعنا فيه أنواع المواعظ والعبر ، وبالجملة فقد جعل الله القرآن مهيا وسهلا لمن يريد حفظ اللفظ أو المعنى أو الانعاط به فهو رأس سعادة لدنيا والآخرة (قوله والاستفهام بمعنى الأمر) أى فهو للتحضيض (قوله أى أو وانعظوا به) أى ليكمل لكم (١٤٠) الإصطفاء فان من آناه الله القرآن حفظا أو انعاطا فقد جعله الله

وكذا المعجزة وأدغمت فيها (فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي) أى إنذارى استفهام تقرير وإنذارى خبر كان وهى للسؤال عن الحال والمعنى حمل المخاطبين على الإقرار بوقوع عذابه بالمكذبين لنوح موقعه (وَلَقَدْ يَمَرُّنَا الْقُرْآنُ لَوْلَا أَنَّ لَدُنَّا كَرِيحًا مِّنْ مَّدْكَرٍ) سهلناه للحفظ وهيناه للتدبر (فَهَلْ مِنْ مُدَّكَرٍ) متمظ به وحافظ له والاستفهام بمعنى الأمر أى احفظوه وانعظوا به يحفظ من كتب الله عن ظهر القلب غيره (كَذَّبَتْ عَادٌ) نبيهم هودا فعذبوا (فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي) أى إنذارى لهم بالعذاب قبل نزوله أى وقع موقعه وقد بينه (إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا) أى شديدة الصوت (فِي يَوْمٍ نَخَسُ) شؤم (مُتَشَوِّمًا) دائم الشؤم أو قويه وكان يوم الأربعاء آخر الشهر (تَنْزِعُ النَّاسَ) تقلعهم من الأرض المندسين فيها وتصرعهم على رؤسهم فتندق رقابهم فتبين الرأس عن الجسد (كَأَنَّهُمْ مَأْذُورُونَ) (أَعْجَازُ) :

ومن جمع بين الأمرين وهو على أكمل الأحوال (قوله كذبت عاد الخ) هذا أيضا من جملة تفصيل قوله : ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر ، وذكر قصة عاد عقب قصة قوم نوح لأنهم من ذرية نوح لأن عاد هو ابن إرم بن سام بن نوح (قوله فكيف كان عذابي ونذر) مرتب على محذوف قدره بقوله فعذبوا (قوله أى وقع موقعه) أى

وتعذيبه لهم عدل منه تعالى لانه أنذرهم أولا على لسان نبيهم فلم يؤمنوا ، وذلك لأنه جرت عادة الله تعالى أنه لا يؤخذ عبدا بغير جرم تنزلا منه تعالى وإلا فلو أخذ عباده بغير جرم لاسمى ظالما لأنه تصرف فى ملكه والظلم التصرف فى ملك الغير بغير إذنه (قوله وقد بينه بقوله الخ) أشار بذلك إلى أن قوله : إِنَّا أَرْسَلْنَا الخ تفصل لما أجل أولا (قوله أى غير مبارك) (قوله دائم الشؤم) أى لى الأبد عليهم وهو يوم مبارك على هود ومن تبعه فهو يوم نحس على الكافرين . مبارك على المؤمنين (قوله أو قويه) أى فهو مأخوذ من المرة وهى القوة وفى الحقيقة هودا دائم الشؤم قويه (قوله آخر الشهر) أى شهر شوال ثمان بقين منه واستمر إلى غروب الشمس من يوم الأربعاء آخره ، والمعنى أنه ناهم العذاب يوم الأربعاء والبق من شوال ثمانية أيام فاستمر عليهم لآخره ، قال تعالى فى سورة الحاقة : سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسبا إذا علمت ذلك فإيس المراد بقول المفسر آخر الشهر أن يوم نزول العذاب كان آخر الشهر بل هو منتهاه (قوله تنزع الناس) أظهر فى مقام الاضمار ليكون صريحا فى عموم الذكور والإناث وإلا فمقتضى الظاهر تنزعهم (قوله المندسين فيها) أى روى أنهم دخاوا فى الشعاب والحفر وتمسك بعضهم ببعض ونزعتههم الرجح منها وتصرعتهم موتى (قوله وحالهم مآذ) بالجملة حالية من ضمير كأنهم وفيه إشارة إلى أن قوله كأنهم حال من الناس مقدرة ، وذلك لأنهم حين إخراجهم من لم يكونوا كأنهم لم يكونوا كذلك بعد ما حصل لهم مآذ كر .

(قوله أصول نخل) المراد بها النخل بنامها من أولها لآخرها ماعدا الفروع ، والمعنى كأنهم نخل قد قطعت رؤوسه (قوله منقطع) تفسير لمنقر وفيه إشارة إلى قوتهم وثبات أجسامهم في الأرض فكانهم لعظام أجسامهم وكال قوتهم يقصدون مقاومة ريح فلم يستطيعوا لأنها لشدها تقاعهم كما تقاع النخل من الأرض (قوله وذكر هنا) أى حيث قال منقر ولم يقل منقعة قوله وأنت في الحافة أى حيث قال خاوية ولم يقل خاو (قوله في الموضعين) أى فهنا انفاصلة على الراء وهناك على الهاء قوله فكيف كان عذابي ونذر) كرهه للتأويل والتعجيب من أمرهم (قوله أى الأمور التى أنذرهم بها) هذا أحد وجهين تفسير النذر ، والثانى أنه جمع نذير بمعنى الرسل المنذرين لهم وجمعهم لأن من كذب رسولا فقد كذب جميع الرسل (قوله منصوب على الاشتغال) أى وهو الفصحى الراجح لتقدم أداة هى بالفعل أولى (قوله والاستفهام بمعنى النفي) أى فهو إنكارى (قوله جنون) أى فسر منرد ويصح أن يكون جمع سحر وهو النار (١٤١) (قوله وإدخال ألف بينهما الخ)

أى قالقـراآت أربع سبعيات (قوله من بيننا) حال من الهاء فى عليه ، والمعنى أخص بالرسالة منفردا من بيننا وبيننا من هو أكثر منه مالا وأحسن حالا (قوله أى لم يوح إليه) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى (قوله قال تعالى) أى وعيدا لهم ووعدا له (قوله أى فى الآخرة) هذا أحد قواين فى تفسير القـد ، وقيل المراد به يوم نزول العذاب الذى حل بهم فى الدنيا (قوله من الكذاب) مبتدأ وخبر والجملة ست مسد الفعلين ، والمعنى سيعامون غدا أى فريق

أصول (نخل منقعر) منقطع ساقط على الأرض ، وشبهوا بالنخل لطولهم وذكر هنا وأنت فى الحافة نخل خاوية مراعاة للفواصل فى الموضعين (فكيف كان عذابي ونذر. ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر. كذبت ثمود بالنذر) جمع نذير بمعنى منذر: أى بالأمور التى أنذرهم بها نبئهم صالح إن لم يؤمنوا به ويتبعوه (فقالوا أبشرا) منصوب على الاشتغال (منا واحدا) صفتان لبشرا (تتبعه) مفسر للفعل الناصب له والاستفهام بمعنى النفي ، المعنى كيف تتبعه ونحن جماعة كثيرة وهو واحد منا وليس بلك: أى لا تتبعه (إنا إذا) أى إن اتبعناه (لنى ضلال) ذهب عن الصواب (وسعير) جنون (ألقى) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين وتركه (الذكر) الوحى (عليه من بيننا) أى لم يوح إليه (بل هو كذاب) فى قوله إنه أوحى إليه ما ذكر (أشرك) متكبر بطر قال تعالى (سيعملون غدا) فى الآخرة (من الكذاب الأشر) وهو هم بأن يعذبوا على تكذيبهم نبئهم صالحا (إنا مرسلوا الناقة) مخرجوها من الهضبة الصخرة كما سألوا (فتنة) محنة (لهم لنختبرهم فارقبهم) يا صالح: أى انتظر ما هم صانعون وما يصنع بهم (وأصطبر) الطاء بدل من تاء الافتعال أى اصبر على أذاهم (ونبئهم أن الماء قسمة) مقسوم (بينهم) وبين الناقة فيوم لهم ويوم لها (كل شرب) نصيب من الماء (مختصر) يحضره القوم يومهم ، والناقة يومها فتبادوا على ذلك ثم ملوه فموا بقتل الناقة ،

هو الكذاب الأشر أهوم أو صالح عليه السلام (قوله إنا مرسلوا الناقة) استئناف مسوق لبيان مبادئ الوعود به من العذاب ذلك لأنه جرت عادة الله تعالى أنه إذا أراد تعذيب قوم اقترحوا آية ولم يؤمنوا بها ، ورد أنهم قالوا اصالح عليه السلام زيد أن يعرف الحق منا بأن ندعو آلهتنا وتدعو إلهك فمن أجابه إلهه علمنا أنه الحق ، فدعوا أوثانهم فلم تجبهم فقالوا ادع أنت فقال ساريدون ؟ قالوا تخرج لنا من هذه الصخرة ناقة عشراء وبراء ، فأجابهم إلى ذلك بشرط الإيمان فوعده بذلك وأكذبوا فكذبوا نانيا بعد ما كذبوا أولا فى أن آلهتهم تجيبهم (قوله من الهضبة) بفتح الهاء وسكون الضاد وهو الجبل المنبسط على الأرض ويجمع على هضب وهضاب (قوله فتنة لهم) مفعول لأجله (قوله بدل من تاء الافتعال) أى لوقوعها إثر حرف من حروف الاطباق وهو الصاد (قوله ونبئهم) أى أخبرهم (قوله أن الماء) أى وهو ماء بئرهم الذى كانوا يشربون منه (قوله قسمة بينهم وبين الناقة) ظاهره أن الضمير فى بينهم واقع عليهم فقط وأن فى الكلام حذف الواو مع ما عطفت ، والأسهل أن الضمير وقع عليهم وعلى الناقة على سبيل التغليب (قوله ويوم لها) أى فكانت لا تبقى شيئا فى البئر ويومها يكتفون بلبثها

(قوله فنادوا صاحبهم) مرئب على محذوف قدره: وله تبادوا على ذلك الخ، والمعنى أنهم بقوا على ذلك مدة ثم ملوا من ضيق
والرعي عليهم وعلى مواشيهم فجمعوا على قتلها فقال بعضهم لبعض نكمن للناقة حيث تمر إذا صدرت عن الماء، فاجتمعوا
وكمن لها قدار بن سالف في أصل شجرة في طريقها التي تمر بها فرماها فقطع عضلة ساقها فوقعت وأحدثت ورغبت رغاء
ثم نحرها (قوله موافقة لهم) قصد بذلك الجمع بين ما هنا وما في الشعراء حيث قال فعقروها فتحصل أن مباشرة القتل كما
لكن باجماعهم عليه (قوله إنا أرسلنا عليهم صيحة) أي صاح بهم جبريل في اليوم الرابع من عقر الناقة وذلك أن
يوم الثلاثاء فتوعدهم صالح عليه السلام بالعذاب وأخبرهم بأنهم يصبحون يوم الأربعاء صفر الوجوه ويوم الخميس حمر
ويوم الجمعة سود الوجوه وفي يوم السبت ينزل بهم العذاب وكان الأمر كما ذكر (قوله كهشيم المحتظر) تشبيه لاهلاكهم، وإيهام
زريبة الغنم ونحوها، والمحتظر بكسر الظاء اسم فاعل وهو الذي يتخذ حظيرة من الحطب وغيره لتكون وقاية لمواشيه من
والبرد والسباع (قوله كذبت قوم) (١٤٢) لوط) أي وهم الجماعة الذين سكن عندهم وأرسل لهم، وذلك أن لوط

ابن أخي إبراهيم الخليل
عليهما السلام خرج مع
عمه من العراق فنزل
إبراهيم بفلسطين ولوط
بسدوم وقراها فأرسله
الله لهم فكذبوا فحل بهم
العذاب (قوله المنذرة)
أي المخوفة (قوله ربحا
ترميم بالحصباء) أشار
بذلك إلى أن حاصبا اسم
فاعل صفة لموصوف
محذوف وفيه دليل على أن
إمطار الحجارة وإرسالها
عليهم كان بواسطة إرسال
الريح لها (قوله من يوم
غير معين) أي غير
مقصود تعيينه للمخاطبين
بلايافي تعيينه في الواقع
ولمن حضر (قوله أي

(فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ) قَدَارًا لِيَقْتُلَهَا (فَتَعَاطَى) تَنَاوَلَ السِّيفَ (فَعَقَرَ) بِهِ النَّاقَةَ أَيْ
مُوَافَقَةً لَهُمْ (فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي) أَيْ إِنْذَارِي لَهُمْ بِالْعَذَابِ قَبْلَ نَزْوِهِ أَيْ
مَوْقِعِهِ وَيَبَيِّنُهُ بِقَوْلِهِ (إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُخْتَطِرِ) هُوَ
يَجْعَلُ لُغْنَمَهُ حَظِيرَةً مِنْ يَابِسِ الشَّجَرِ وَالشُّوكِ يَحْفَظُهُنَ فِيهَا مِنَ الذُّنَابِ وَالسَّبَاعِ وَمَا سَقَطَ
ذَلِكَ فَدَاسَتْهُ هُوَ الْهَشِيمُ (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ) كَذَّبَتْ قَوْمُ
بِالنُّذُرِ) أَيْ بِالْأُمُورِ الْمُنْذَرَةِ لَهُمْ عَلَى لِسَانِهِ (إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا) رِيحًا تَرْمِي
بِالْحَصْبَاءِ وَهِيَ صَفَارُ الْحِجَارَةِ الْوَاحِدُ دُونُ مَلءِ الْكَفِّ فَهَاسَكُوا (إِلَّا آلَ لُوطٍ) وَهُمْ
مَعَهُ (نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ) مِنَ الْأَسْحَارِ أَيْ وَقْتُ الصَّبْحِ مِنْ يَوْمٍ غَيْرِ مُعَيَّنٍ وَلَوْ أُرِيدَ مِنْ
مُعَيَّنٍ لَمُنِعَ الصَّرْفُ لِأَنَّهُ مَعْرِفَةٌ مَعْدُولٌ عَنِ السَّحَرِ لِأَنَّ حَقَّهُ أَنْ يَسْتَعْمَلَ فِي الْمَعْرِفَةِ بَالًا، وَ
أَرْسَلَ الْحَاصِبَ عَلَى آلِ لُوطٍ أَوَّلًا تَوَلَّانَ، وَعَبَّرَ عَنِ الْإِسْتِثْنَاءِ عَلَى الْأَوَّلِ بِأَنَّهُ مُتَّصِلٌ
الثَّانِي بِأَنَّهُ مُنْقَطِعٌ وَإِنْ كَانَ مِنَ الْجِنْسِ تَسْمِيحًا (نِعْمَةً) مُصَدَّرٌ، أَيْ إِنْعَامًا (مِنْ عِنْدِ
كَذَلِكَ) أَيْ مِثْلُ ذَلِكَ الْجَزَاءِ (نَجْزِي مَنْ شَكَرَ) أَنْعَمْنَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ أَوْ مِنْ آمَنَ
وَرَسُولُهُ وَأَطَاعَهُمَا (وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ) خَوْفَهُمْ لُوطَ (بَطْشَتْنَا) أَخَذْنَا إِيَّاهُمْ بِالْعَذَابِ (فَتَجَارَبَ
تَجَادَلُوا وَكَذَّبُوا) (بِالنُّذُرِ)

وقت الصبح) هذا تفسير مراد يدل عليه قوله في الآية الأخرى: إن موعدهم الصبح
وإلا فحقيقة السحر ما كان آخر الليل والباء بمعنى في (قوله لأن حقه أن يستعمل في المعرفة) أي في إرادة التعريف (قوله تساءلوا) أي تساءلوا في العبارة وأشار بذلك إلى أن وجه كون الاستثناء منقطعاً بعيداً لأن أهل لوط من جنس اقوم على كل حال سواء
ينزل الحاصب على الجميع أو على غير أهل لوط فتحصل أن الاستثناء متصل على كل حال لكون المستثنى من جنس المستثنى منه
منقطعاً بعيداً (قوله مصدر) أي مؤكداً لعماله في المعنى وهو نجيتهم إذ الانجاء نعمة أو مفعول محذوف من لفظه أي أنعمنا
نعمة (قوله أي مثل ذلك الجزاء) أي الذي هو الانجاء (قوله نجزي من شكر) أي فلا خصوصية لآل لوط بل هو عام لكل
شكر نعمته تعالى قال تعالى: وينجي الله الذين اتقوا بما رزقهم الآية (قوله وهو مؤمن) الجملة حالية وقوله أو من آمن عطف
من شكر عطف تفسير وفي ذلك إشارة إلى تفسيرين للوصول فقيل إن المراد من شكر النعمة مع أصل الإيمان، وقيل هو
ضم إلى الإيمان عمل الطاعات (قوله تجادلوا وكذبوا) أشار بذلك إلى أنه ضم: تماروا معنى التكذيب فتعدى تسديته

(قوله بالذّار) أى أو بالأمر إلى خوفهم بها لوط (قوله ولقد راودوه عن ضيفه) أى أرادوا منه تمكينه من أثنائه من ملائكة في صورة الأضياف للفاحشة والمرادة الطاب التكرار (قوله ليخشبوا بهم) الحبث الزنا، والمراد به ما يشمل اللواط وهو أراد هنا وهو من باب قتل (قوله عميناها) صوابه أعميناها بالهمز لأن عمى ثلاثى لازم والمتعدي إنما هو الرباعى (قوله وجعلناها لشيئ) هذا أحد قولين وقيل بل أعماهم الله مع صحة أبصارهم فلم يروهم (قوله فقلنا لهم) أى على السنة الملائكة (قوله من غير معين) أى لم يرد الله تعيينه لنا وإلا فهو معين في علم الله وعلم من بقى من المؤمنين (قوله عذاب مستقر) أى تنقطع بريل بلادهم فرفعها وقلها وأمطر الله عليها حجارة من سجيل (قوله دائم متصل بعذاب الآخرة) أى فلا يزول عنهم حق سلوا إلى النار (قوله ولقد يسرنا القرآن للذكر الخ) حكمة تكرار ذلك في كل قصة التنبيه على الانعاط والتدبر إشارة إلى أن كذب كل رسول مقتض لنزول العذاب كما كرر قوله فبأى آلاء ربكما (١٤٣) تكذبان تقريرا للنعم المختلفة

المعدودة فكأما ذكر نعمة

ويج على التكذيب بها

(قوله الانذار) أى فهو

مصدر ويصح جعله جمع

نذير باعتبار الآيات التسع

(قوله كذبوا بآياتنا)

استئناف بياني واقع في

جواب سؤال مقدر تقديره

ماذا فعلوا حينئذ فقل

كذبوا الخ (قوله أى

التسع) أى وهى العصا

واليد والسنين والطمس

والطوفان والجراد والقمل

والضفادع والدم (قوله أخذ

عزيز) من إضافة المصدر

لفاعله (قوله خير من

أولئكم) أى فى القوة

والشدة (قوله من قوم

نوح إلى فرعون) أى

وهم خمس فرق قوم نوح

وعاد وثمود وقوم لوط

بالذّار) (وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ) أى أن يخلى بينهم وبين القوم الذين أتوه فى صورة الأضياف ليخشبوا بهم وكانوا ملائكة (فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ) عميناها وجعلناها بلا شك كباقي لوجه بأن صفها جبريل بجناحه (فَذُوقُوا) فقلنا لهم ذوقوا (عَذَابِي وَنُذُرِي) أى إنذارى تخويفى أى ثمرته وفائده (وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً) وقت الصبح من يوم غير معين (عَذَابٌ مُسْتَقَرٌّ) دائم متصل بعذاب الآخرة (فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِي) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ . وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ) قومه معه (النُّذُرُ) الإنذار على لسان موسى بهارون فلم يؤمنوا، بل (كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُذَّابًا) أى التسع التى أوتىها موسى (فَأَخَذْنَاهُمْ) العذاب (أَخَذَ عَزِيزٌ) قوى (مُقْتَدِرٌ) قادر لا يعجزه شيء (أَكْفَارُكُمْ) يا قريش (خَيْرٌ مِنْ أَوْلَئِكَكُمْ) المذكورين من قوم نوح إلى فرعون فلم يعذبوا (أَمْ لَكُمْ) يا كفار قريش (بَرَاءَةٌ) من العذاب (فِي الزُّبُرِ) الكتب، والاستفهام فى الموضعين بمعنى النفي أى ليس الأمر كذلك (أَمْ يَقُولُونَ) أى كفار قريش (نَحْنُ جَمِيعٌ) أى جمع (مُنْتَصِرٌ) على محمد، ولما قال أبو جهل يوم بدر إنا جمع منتصر نزل (سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُؤَلِّوْنَ الدُّبُرَ) فهزموا ببدر، ونصر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم (بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ) بالعذاب (وَالسَّاعَةُ) أى عذابها (أَذَى) أعظم بلية (وَأَمْرٌ) أشد مرارة من عذاب الدنيا (إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ هَلَاكٍ بِالْقَتْلِ فِي الدُّنْيَا (وَسُعْرٌ) نار مسعرة بالتشديد أى مهيجة فى الآخرة (يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِِهِمْ) أى فى الآخرة ويقال لهم (ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ)

فرعون وقومه (قوله فلم يعذبوا) مسبب عن النفي، والمعنى أن كفركم خير من كفر من الأمم قبلكم فيتسبب عن ذلك عدم مذبيكم (قوله أم لكم براءة فى الزبر) إضراب انتقال إلى وجه آخر من التبكيت (قوله بمعنى النفي) أى فهو إنكارى (قوله منتصر) أى فنحن يد واحدة على من خالفنا منتصر على من عادانا ولم يقل منتصرون لموافقة رموس الآى (قوله نزل) أى يوم بدر أو كثر نزولها لما روى أنها لما نزلت قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لم أعلم ما هى أى الواقعة التى يكون فيها ذلك لما كان يوم بدر ورأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس الدرع ويقول سيهزم الجمع فعملته أى علمت المراد من هذه الآية قوله ويولون الدبر) هو اسم جنس لأن كل واحد يولى دبره وأتى به مفردا لموافقة رموس الآى (قوله بل الساعة موعدهم) أى فليس ما وقع لهم فى الدنيا تمام عقوبتهم بل هو مقدماته (قوله والساعة أذى) أفعل تفضيل من الداهية وهى الأمر الفظيع الذى لا يهتدى إلى الخلاص منه والاطهار فى مقام الاضمار للتهويل (قوله نار مسعرة) أى شديدة (قوله يوم يسحبون) ظرف

لقول محذوف تقديره ويقال لهم أو ظرف لسعر (قوله إصابة جهنم) أشار بذلك إلى أن المسح أطلاق وأريد منه الإصابة وسقر علم لجهنم مشتقة من سقرته الشمس أو النار لوحته أي غيرته (قوله منصوب بفعل الخ) هذه قراءة العامة وهي أرجح لأن رفع يوهم عقيدة فاسدة على جعل كل مبتدأ وخلقناه صفة لشيء وبقدر خبره لأنه يكون مفهوماً أن هناك شيئاً ليس مخلوقاً لله وليس بقدر مع أن مختار أهل السنة كل شيء مخلوق لله تعالى ، والمعنى كل شيء بقضاء وحكم وتدير محكم وقوة بالغة خلقناه واختلف في تعريف القدر فقالت الأشاعرة هو إيجاد الله الأشياء على طبق ماسبق في علمه وإرادته وعليه فهو صفة فعل وهي حادثة ، وقالت الماتريدية هو تحديده تعالى كل مخلوق أزلاً بحده الذي يوجد به من حسن وقبح وغير ذلك فهو تعاق العلم والارادة وعليه فهو قديم ، والقضاء عند الأشاعرة إرادة الله المتعلقة بالأشياء أزلاً فهو قديم ، وعند الماتريدية هو الفعل مع زيادة أحكام فهو حادث وقيل لها شيء واحد (١٤٤) وهو إيجاد الله الأشياء على طبق تعاق العلم والقدرة واقتصر على القدر إما

لأن بينهما تلازماً أو لترادفهما وفي هذه الآية رد على القدرية القائلين بأن العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية والقائلين بأن الله لا يعلم الأشياء إلا بعد وقوعها تعالى الله عن قولهم وهذه الفرق قد انقضت قبل زمن الإمام الشافعي (قوله وقرئ) أي شذوذاً (قوله خبره خلقناه) أي وقوله بقدر إما خبر ثان أو حال من ضمير الخبر (قوله وما أمرنا) أي شأنا في إيجاد شيء أو إعدامه (قوله إما مرة واحدة) أي مرة من الأمور وفي الحقيقة ليس هناك قول ولا أمر وإنما هو كناية عن سرعة الإيجاد (قوله فليح بالبصر)

إصابة جهنم لكم (إنا كل شيء) منصوب بفعل يفسره (خلقناه بقدر) بتقدير حال من كل أي مقدراً وقرئ كل بالرفع مبتدأ خبره خلقناه (وما أمرنا) شيء نريد وجوده (إلا) أمر (واحدة كلمج ، بالبصر) في السرعة وهي قول كن فيوجد إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون (ولقد أهدأناكم) أشياكم في الكفر من الأمم الماضية (فهل من مدكر) استفهام بمعنى الأمر ، أي أذكروا واتعظوا (وكل شيء فعلوه) أي العباد مكتوب (في الزبر) كتب الحفظ (وكل صغير وكبير) من الذنب أو العمل (مستطراً) مكتوب في اللوح المحفوظ (إن الملقين في جنات) بساتين (ونهر) أريد به الجنس وقرئ بضم النون والهاء جمعاً كأسد وأسد المعنى أنهم يشربون من أنهارها الماء واللبن والعسل والخمر (في مقعد صدق) مجلس حق لا لغوفيه ولا تأثيم وأريد به الجنس وقرئ مقاعد المعنى أنهم في مجالس من الجنات سالمة من اللغو والتأثيم بخلاف مجالس الدنيا فقل أن تسلم من ذلك وأعرب هذا خبراً ثانياً وبدلاً وهو صادق ببدل البعض وغيره (عند مالك) مثال مبالغة أي عزيز الملك واسع (مقتدر) قادر لا يعجزه شيء وهو الله تعالى ، وعند إشارة إلى الرتبة والقربة من فضله تعالى .

(سورة) حال من متعاق الأمر ، والمعنى حال كونه يوجد سريعاً بالمرّة من الأمر ولا يتراخى عنها والملاح النظر بسرعة فكما أن ملح أحدكم يبصره لا كلفة عليه فيه فكذلك الأفعال كلها عند الله (قوله وهي كن) بيان للأمر الواحدة وقوله إنما أمره الخ دليل لهذه الآية (قوله أشياكم في الكفر) أي الدين يشبهونكم فيه (قوله فهل من مدكر) أي بما وقع لهم في الدنيا وينزجر (قوله في الزبر) جمع زبور وهو الكتاب (قوله أريد به الجنس) أي لمناسبة جمع الجنات وأفرد موافقة لرؤس (قوله وقرئ) أي شذوذاً (قوله في مقعد صدق) من إضافة الموصوف لصفته (قوله وقرئ مقاعد) أي شذوذاً (قوله ببدل البعض) أي لأن المقعد بعض الجنات وقوله وغيره أي وهو ببدل الاشتغال لأن الجنات مشتملة على المقعد (قوله عند مالك) خبر إن جعل في مقعد صدق بدلاً أو ثالث إن جعل خبراً ثانياً (قوله وعند إشارة للرتبة) أي فهي عندية مكانة وقوله والقربة التقرب فهما متعديان .

[سورة الرحمن] - وحى عروس القرآن لما ورد لكل شئ عروس وعروس القرآن سورة الرحمن (قوله مكية) أى كلها وقوله أو لا يستلخ حكاية لقول آخر وبقي قول ثالث وهو كلها مدنى (قوله الآية) الأوضح أن يقول الآيتين لأن المدنى على هذا القول يستلخ من فى السموات والأرض كل يوم هو فى شأن وقوله عقبها فبأى آلاء ربكما تكذبان ولا شك أنهما آيتان (قوله الرحمن) وما خير مبتدأ محذوف أى الله الرحمن أو مبتدأ خبره محذوف أى الرحمن ربنا وهذا الوجهان على القول بأن الرحمن آية مستقلة وأما على أنه ليس آية مستقلة فالرحمن مبتدأ خبره علم القرآن وسبب نزولها أنه لما نزل اسجدوا للرحمن قال كفار مكة وما الرحمن فأنكروه وقالوا لا نعرف الرحمن إلا الرحمن الجلالة فزات رداعليهم ، وفيها رداعليهم أيضا حيث قالوا إنما يعلمه بشر فأفاد أن الذى يعلمه هو الرحمن لا غيره وافتتح هذه السورة بلفظ الرحمن إشارة إلى أنها مشتملة على نعم عظيمة وذلك لأن الرحمن هو المنعم بجلال النعم كما وكيف لا نذا ذكر قوله فبأى آلاء ربكما تكذبان إحدى وثلاثين مرة فيها (قوله علم القرآن) إما من التعليم وهو التفهيم أى عرفه فالقرآن مفعول ثان والأول محذوف قدره المفسر بقوله من شاء أى من عباده إنسا وجنا وملكا وقدره بعضهم محمدا أوجبريل رداعلى المشركين فى قولهم إنما يعلمه بشر والأول أولى لعمومه ، أو من العلامة ، والمعنى جملة علامة وآية يعجز بها المعارضين وقدم تعليم القرآن على خلق الإنسان مع أنه متأخر عنه فى الوجود لأن التعليم هو السبب فى إيجاد خلقه (قوله خلق الإنسان) هذه الجملة والى بعدها خبران عن الرحمن وأحاطان وترك العاطف بينهما لشدة الاتصال (قوله أى الجنس) أى الصادق بآدم (١٤٥) وأولاده ، وحينئذ فالمراد بالبيان

النطق الذى يتميز به عن سائر الحيوان وهذا أحد أقوال فى تفسير الإنسان وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم لأنه الإنسان الكامل والمراد بالبيان علم ما كان وما يكون وما هو كائن وقيل هو آدم عليه السلام ، والمراد بالبيان أسماء كل شئ ما وجد وما لم يوجد بجميع اللغات فكان يتكلم بسبعمائة لغة أفضلها العربية (قوله

(سورة الرحمن)

(مكية أو إلا يستلخ من فى السموات والأرض) الآية فمدنية ، وهى ست أو ثمان وسبعون آية (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . الرَّحْمَنُ عَلَّمَ) من شاء (الْقُرْآنَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ) أى الجنس (عَلَّمَهُ الْبَيَانَ) النطق (الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ) يجريان بحساب (وَالنَّجْمُ) ما لا ساق له من النبات (وَالشَّجَرُ) ماله ساق (يَسْجُدَانِ) يخضعان بما يراد منهما (وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ) أثبت العدل (أَلَّا تَطْغَوْا) أى لأجل أن لا تجورا (فِي الْمِيزَانِ) ما يوزن به (وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ) بالعدل (وَلَا تَحْسُرُوا الْمِيزَانَ) تنقصوا الموزون (وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا) أثبتها (لِلْأَنَامِ) للخلق الإنس والجن وغيرهم (فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ) للمهود (ذَاتُ الْأَكْمَامِ) أوعية طلعا (وَالْحَبُّ) كالحنطة والشعير (ذُو الْعَصْفِ) التبن (وَالرَّيْحَانُ) الورق أو المشوم ،

بحسبان) متعلق بمحذوف خبر المبتدأ الذى هو الشمس والقمر تقديره يجريان (قوله بحساب) أشار بذلك إلى أن قوله بحسبان مصدر مفرد بمعنى الحساب كالغفران والكفران ويصح أن يكون جمع حساب كشهاب وشهبان ورغيف ورغفان والمعنى أن الشمس والقمر يجريان فى بروجهما ومنازلهما بمقدار واحد لا يتعديانه لمنافع العباد على حسب الفصول والشهور القمرية والقبطية من مبدأ الدنيا لمنتهاها (قوله ما لا ساق له) أى وهو المفروض على الأرض كالقضاء والبطيخ ونحوها (قوله ماله ساق) أى وهو المرتفع كالنخل والنبق ونحوها (قوله يخضعان) أى ينقادان لما يراد منهما طوعا فلا تخاف ما أمرت به فلو أراد منها الأعمار أو عدمه لم تخالف بل تاتى على طبق ما أراده (قوله أثبت العدل) أى فى جميع الأمور ، والمعنى أن الله تعالى شرع العدل وأمر به فى كل شئ لا سيما فى الكيل والوزن (قوله أى لأجل أن لا تجورا) أشار بذلك إلى أن أن ناصبة ولا نافية وتطغوا منصوب بأن وقبلها ضم العلة مقدره (قوله وأقيموا الوزن) إيضاح لقوله : أن لا تطغوا فى الميزان ، وذلك لأن الطغيان فى الميزان أخذ الزائد والاختصار أعطى الناقص والقسط التوسط بين الطرفين (قوله أثبتها) أى دحاها وخفضها (قوله للأنام) أى لا ترفعهم بها من أكل وشرب ونوم ونحو ذلك (قوله وغيرهم) أى كباقي البهائم (قوله فيها فاكهة) الجملة الحالية (قوله ذات الأكم) جمع كم بالكسر وهو وعاء الطلع وغطاء النور ويجمع أيضا على أكمة وأما بالضم فهو للقميمص (قوله والحب ذو العصف) (١٩ - صاوى - رابع] (الخ) برفع الثلاثة أو نصبها أو رفع الأولين وجر الثالث ثلاث قراءات سبعيات

فرفع الجميع عطف على فأكهة ونصبها بفعل محذوف أى خلق ورفع الأولين عطف على فأكهة وجبر الثالث عطف على العصف
(قوله فبأى آلاء ربك) أى بأى فرد من أفراد تلك النعم المذكورة تكذبان أى تنكرانها وتكابران فيها وذلك شأن الكفا
أو لا تنكران ربك عليها وذلك شأن العصاة وآلاء جمع إلى أو إلى كفى وحصى وإلى كعمل وإلى كاصل (قوله أيها الانس
والجن) أى فالحطاب للثقلين كما يشعر به قوله فيما يأتى أيها الثقلان (قوله ذكرت إحدى وثلاثين مرة) ثمانية منها عقب آيات
نعداد النعم ثم سبعة عقب ذكر النار وشدايدها على عدة أبوابها لأن التخلص منها نعمة ثم ثمانية عقب وصف الجنتين الأوليين
كعدة أبوابها ثم ثمانية عقب وصف الجنتين اللتين هما دون الجنتين الأوليين (قوله والاستفهام للتقرير) ويصح أن يكون للتوبيخ
على ما فصل من فنون النعم الوجبة للشكر والایمان (قوله ثم قال مالى أراكم سكوتاً الخ) يؤخذ من ذلك أنه يفنى لسامع هذا
السورة أن يجيب بهذا الجواب (قوله كانوا أحسن منكم رداً) أى فى الجواب فلا ينافى أن الانس أحسن منهم فهذه مزية (قوله
فبأى آلاء الخ) بدل من هذه الآية (قوله إلا قالوا ولا بشئ من نعمك الخ) ظاهره أن جميع ما فى هذه السورة نعم مع أن فيه
يرسل عليكم شواظ من نار ونحاس الخ وكل من عليها فان وهذه جهنم ونحو ذلك . وأجيب بأن رفع البلاء وتأخير العذاب
عن العصاة والتسوية فى الموت بين الشريف وغيره من جملة النعم فحسن جواب الجن عقب كل واحدة (قوله آدم) أشار بذلك
إلى أن أُل فى الانسان للعهد بخلاف الانسان المتقدم ففيه احتمالات ثلاث (قوله إذا نقر) أى ليختبر هل فيه عيب أولا (قوله
كالنخار) أى فى أن كلا منهما (١٤٦) يسمع له صوت إذا نقر . واعلم أنه تعالى أفاد فى هذه السورة أن خلق آدم

كان من صلصال كالفخار
وفى سورة الحجر من
صلصال من حمأ مسنون
أى طين أسود متغير ،
وفى الصافات من طين
لازب : أى يلصق باليد
وفى آل عمران كمثل آدم
خلقه تراب ولا تنافى بينها
وذلك لأنه تعالى أخذه
من تراب الأرض فجعله
بالماء فصار طينا لازبا
ثم تركه حتى صار حمأ
مسنونا ثم صورته كما تصور

(فَبِأَيِّ آلَاءِ) نعم (رَبِّكُمْ) أيها الانس والجن (تُكذَّبَانِ) ذكرت إحدى وثلاثين مرة
والاستفهام فيها للتقرير لما روى الحاكم عن جابر قال «قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
سورة الرحمن حتى ختمها ثم قال : مالى أراكم سكوتاً؟» لأنهم كانوا أحسن منكم رداً ما قرأت
عليهم هذه الآية من مرة فبأى آلاء ربك تكذبان إلا قالوا ولا بشئ من نعمك ربنا نكذب
فلك الحمد» (خَلَقَ الْإِنْسَانَ) آدم (مِنْ صَلْصَالٍ) طين يابس يسمع له صلصلة : أى صوت إذا نقر
(كَالْفَخَّارِ) وهو ما طبخ من الطين (وَخَلَقَ الْجَانَّ) أبا الجن ، وهو إبليس (مِنْ مَّارِجٍ مِنْ
نَارٍ) هو لها من الخالص من الدخان (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكذَّبَانِ) رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ (مَشْرِقِ
الشَّوْءِ وَمَشْرِقِ الصَّيْفِ) (وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ) كذلك (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكذَّبَانِ) مَرْجٍ
أُرْسِلَ (الْبَحْرَيْنِ) العذب والملح (يَلْتَقِيَانِ) فى رأى العين (بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ) حاجز من قدرته تعالى

الأوانى ثم أيبسه حتى صار فى غاية الصلابة كالنخار إذا نقر صوت فلما ذكر هنا آخر أطواره وفى غير
هذا الموضع تارة مبدؤه وتارة أثناؤه فالأرض أمه والماء أبوه ممزوجان بالهواء الحامل للحر الذى هو من فيج جهنم فهو من
العناصر الأربعة لكن الغالب فى جبلته التراب كما أن الجان خلق من العناصر الأربعة لكن الغالب فى جبلته النار ولذا نسب إلى
(قوله وهو ما طبخ من الطين) أى فكان مجوفاً كالأوانى وليس كالآجر (قوله وهو إبليس) هذا أحد قولين وهو الصحيح
وقيل أبو الجن غير إبليس (قوله من مارج من نار) من الأولى لا ابتداء الغاية والثانية يصح أن تكون للبيان وللتبويض (قوله
هو لها من الخالص من الدخان) هذا أحد أقوال فى تفسير المارج ، وقيل هو ما اختلط من أحمر وأخضر وأصفر وهو
مشاهد فى النار ترى الألوان الثلاثة مختلطة بعضها ببعض ، وقيل هو الأحمر الكائن فى طرف النار ، وقيل اللهب المختلط
بسواد (قوله فبأى آلاء ربك تكذبان) أى بأى نعم ربك كما الناشئة عنه تكفران (قوله رب المشرقين) بالرفع فى قراءة العام
على أنه خبر المحذوف : أى هو رب المشرقين وقرئ شذوذاً بالجر على أنه بدل أو بيان لربكما (قوله كذلك) أى مغرب الشئ
ومغرب الصيف وأما آية فلا أقسم برب المشرق والمغرب فباعتبار مشرق كل يوم ومغربه (قوله فبأى آلاء ربك تكذبان
أى بأى نعمة من هذه النعم العظيمة تكفران بها) (قوله مرج البحرين) المرج بفتحين فى الأصل الإهال والترك أو الأرساء
وبسكون الراء الأرض ذات النبات والرمي يقال مرج الدابة أى أرسلها ترمى فى المرج (قوله يلتقيان) حال من البحرين
أى يتماسان على وجه الأرض فلا فصل بينهما فى رؤية العين (قوله بينهما برزخ) جملة مستأنفة أو حالبة من البحرين .

(قوله لا ينبغي أى لا يتجاوز كل واحد منهما ما حده له خالقه فالماء العذب الداخل في الملح باق على حاله لم يخرج بالمالح حتى حقرت في جنب الملح في بعض الأماكن وجدت الماء العذب بل كلما قربت الحفرة من الملح كان الماء الخارج منها أحلى فخالطهما الله في رأى العين وحجزها بقدرته تعالى وإذا كان هذا حال حماد لا إدراك له ولا عقل فكيف ينبغي العقلاء بعضهم على بعض (قوله بالبناء للمفعول والفاعل) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله الصادق بأحدهما) هذا غير ظاهر لأن المجموع لا يصدق على البعض إلا إذا كان متعددا كقوله كل رجل يحمل الصخرة العظيمة فالأولى أن يجعل الكلام على حذف مضاف : أى من أحدهما وقيل لا تقدير في الآية بل يخرجان من الملح في الموضع الذى يقع فيه العذب وهو مشاهد عند الغواصين ، وقيل العذب كالرجل والملاح كالمرأة والنواظر والمرجان يخرجان منهما كما يخرج الولد من الرجل والمرأة ، وقال ابن عباس تكون هذه الأشياء في البحر بنزول المطر والصدف تفتح أفواهها للطير (قوله وله الجوار) جمع جارية وهي السفينة صفة جرت بحرى الأسماء سميت بذلك لأن شأنها الجرى (قوله المنشآت) بفتح الشين اسم مفعول أى أنشأها الناس بسبب تعليم الله لهم وكسرها اسم فاعل أى نفشى الريح بحريها أو نفشى السير إقبالا وإدبارا ونسبة الانشاء لها مجاز وهما قراءتان سبعيتان وقرئ شذوذا بتشديد الشين مع فتحها مبالغة (قوله أى الأرض) أى وعلى هذا التفسير فلا يستغنى شئ بخلاف قوله تعالى - كل شئ هالك إلا وجهه ، فيستغنى الجنة والنار والخور العين والولدان والعرس والأرواح (قوله هالك) أى بالفعل (قوله ويبقى وجه ربك) الخطاب إما لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعتناء بشأنه وإما لأئمة سامع ليعلم كل أحد أن غير الله فان (قوله ذوالجلال والاکرام) فيه وعد ووعد فبوصف الجلال إفتاء الخالق تعذيب الكفار ، وبوصف

(١٤٧)

(لَا يَبْغِيَانِ) لا ينبغي واحد منهما على الآخر فيختلط به (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) (يُخْرِجُ) بالبناء للمفعول والفاعل (مِنْهُمَا) من مجموعهما الصادق بأحدهما وهو الملح (الْلَوْلُؤُ) وَالْمَرْجَانُ) خرز أحمر أو صغار اللؤلؤ (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) وَلَهُ الْجَوَارِ) السفن (الْمُنْشآتُ) المحدثات (فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ) كالجبال عظما وارتفاعا (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا) أى الأرض من الحيوان (فَإِنْ هَالِكٌ وَعَبْرَ مِنْ تَقَابِيَاً للعقلاء (وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ) ذاته (ذُو الْجَلَالِ) العظمة (وَالْإِكْرَامِ) للمؤمنين عليهم (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) أى بنطق ، أحوال ما يحتاجون إليه من القوة على العبادة والرزق والمغفرة وغير ذلك (كُلُّ يَوْمٍ) وقت (هُوَ فِي شَأْنٍ) أمر يظهره على وفق ما قدره في الأزل : من إحياء وإماتة وإعزاز وإذلال وإغناء وإعدام وإجابة داع وإعطاء سائل وغير ذلك ،

الأكرام إحيائهم وإثابة المؤمنين وذو بالرفع في قراءة العامة نعت للوجه وقرئ شذوذا بالجر صفة للرب وأما في آخر السورة فالقراءتان سبعيتان (قوله يسأله من في السموات والأرض) أى لأنهم مفتقرون إليه تعالى في جميع لحظاتهم قال ابن عباس أهل السموات يسألون المغفرة ولا يسألون الرزق وأهل الأرض يسألونهما جميعا وقال ابن جريج يسأله الملائكة الرزق لأهل الأرض فسؤال خير الدنيا والآخرة صادر من كل من أهل السموات والأرض وفي الحديث «إن من الملائكة من يسأله أوجه وجهه كوجه الإنسان يسأل الله تعالى لرزق لبنى آدم ووجه كوجه الأسد يسأل الله تعالى الرزق للسباع ووجه كوجه الثور يسأل الله تعالى الرزق للبهائم ووجه كوجه النسر يسأل الله تعالى الرزق للطير» (قوله أى بنطق) أى بلسان المقال وقوله أحوال أى بلسان الحال وهو الدل والاحتياج (قوله كل يوم هو في شأن) كل ظرف منصوب بالمدحوف الذى يتعلق به الجار والمجرور بعده والمراد باليوم اللحظة من الزمن وبالشأن التصرف في خلقه لما ورد «أن الإنسان يخرج منه في اليوم والليلة أربعة وعشرون ألف نفس في كل نفس تحمل مائة أتمه يولد مائة ألف ويعزم مائة ألف ويذل مائة ألف ويفرج عن مائة ألف» وفي رواية «في كل واحدة ستمائة ألف» وحكى أن ابن الشجرى كان يقرر في درسه هذه الآية فجاءه الخضر وقال له ما شأن ربك اليوم فأطرق برأسه وقام متحيرا فنام فرأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه فعرض عليه السؤال فقال له السائل لك الخضر فان أذاك وسألك فقل له شئون يبدىها ولا يبتدئها يرفع أقواما ويضع آخرين فلما أصبح أتاه وسأله فأجابته بذلك فقال له صلى الله عليه وسلم من علمك (قوله أمر يظهره الخ) أى فالشأن صفة فعل وقوله من إحياء الخ بيان له فالشئ راجع

للمصرعات ، وأما ذاته تعالى وصفته فيستحيل عليها التغير فهو يغير ولا يتغير (قوله فبأي آلاء ربكما تكذبان) أي بأي نعمة من تلك النعم التي أنشأها خالقكما ومدبركما تكفيران بها (قوله سنقص حسابكم) جواب عما يقال إن الله لا يشغله شأن عن شأن فكيف قال سنفرغ لكم فأجاب بما ذكر . وإيضاحه أن تقول الفراغ من الشيء يطبق على التفرغ من الشواغل وهو بهذا المعنى مستحيل عليه تعالى ويطبق على القصد للشيء والاقبال عليه وهو المراد هنا ، والراد بالقصد في كلام المفسر الإرادة وحينئذ فيكون معناه سأريد حسابكم وهذا لا يظهر إلا على القول بأن الإرادة تعلقا تنجيزيا حادثا وأما على القول بنفيه فلا يظهر فكان المناسب أن يقول سأحاسبكم وفي الآية وعد للطائعين ووعد للعاصين (قوله أيه الثقلان) تنبيه ثقل بفتحين مما يدل على أنهما أثقلا الأرض أو حصل لهما الثقل والععب بالتكاليف (قوله فبأي آلاء ربكما تكذبان) أي التي من جملتها إثابة أهل الطاعات وعقاب أهل المعاصي (قوله يامعشر الجن والإنس الخ) هذا لزام وتعجيز لمن لم يرض بقضاء الله وقدره وهو إشارة لمعنى حديث قدسي «من لم يرض بقضائي ويصبر على بلائي فليخرج من تحت سمائي ويتخذ له ربا سواي» وعلى هذا فالخطاب يقال لهما في الدنيا وقيل يقل لهما هذا يوم القيامة لما ورد «إذا كان يوم القيامة أمر الله السماء الدنيا فتشقق بأهلها فتكون الملائكة على حافاتها حتى يأمرهم الرب فينزلون إلى الأرض فيحيطون بالأرض ومن فيها ثم يأمر الله السماء التي تليها كذلك فينزلون فيكونون صفا خفاف ذلك الصف ثم السماء الثالثة ثم الرابعة ثم الخامسة ثم السادسة ثم السابعة فتزل ملائكة الرفيع الأعلى فلا يأتون قطرا من أقطارها إلا وجدوا صفوفا من الملائكة (١٤٨) فذلك قوله تعالى يامعشر الجن والإنس إن استطعتم الآية» والحكمة

في تقديم الجن هنا على الإنس وتأخيرهم عنهم في قوله تعالى : قل أئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن أن الجن أقوى من الإنس فقدّموا فيا يتعاقى بالهروب والإنس أصبح من الجن فقدّموا فيا يتعاقى بالمعارضة بالقرآن فقدّم في كل موضع

(فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . سَنَفْرُغُ لَكُمْ) سنقص حسابكم (أَيُّهُ الثَّقَلَانِ) الإنس والجن (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا) تخرجوا (مِنْ أَقْطَارِ) نواحي (السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا) أمر تعجيز (لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ) بقوة ولا قوة لكم على ذلك (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظٌ مِنْ نَارٍ) هو لهما الخالص من الدخان أو معه (وَنُحَاسٌ) أي دخان لالهب فيه (فَلَا تَنْصِرَانِ) تمتنعان من ذلك بل يسوقكم إلى المحشر (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ) انفرجت أبوابا لنزول الملائكة (فَكَانَتْ وَرْدَةً) أي مثلها محمرة (كَالْدِّهَانِ) كالأديم الأحمر ،

ما يناسبه (قوله قوة) هذا أحد قولين في تفسير السطان ، قيل هو البينة والحجج لوضحة (قوله فبأي آلاء ربكما) أي من التنبيه والتحذير والعقوبة (قوله يرسل عليكما) بما جملة مستأنفة قصد بها بيان أهوال يوم القيامة ، وهذا على القول بأن الخطاب المتقدم في الدنيا ، وأما على القول بأنه في الآخرة فالسكلام مرتبط ببعضه وإنس مستأنفا (قوله شواظ) بكسر الشين وضمها قراءتان سبعيتان ولغتان بمعنى واحد (قوله وهو لهما الخالص من الدخان الخ) هذان قولان من أربعة وقيل هو الالهب الأحمر وقيل هو الدخان الخارج من الالهب (قوله ونحاس) إما بالرفع عطف على شواظ أو الجر عطف على نار سبعيتان لكن قراءة الجر لا بد فيها من كسر شين شواظ أو إمالة نار فمن قرأ بجرح نحاس بدون أحد الأمرين فقد وقع في التلويق (قوله أي دخان الخ) هذا التفسير لما يناسب قراءة الرفع لا الجر وإلا فيصير المعنى يرسل عليكما شواظ أي لهب من نحاس أي دخان لالهب فيه وهو لا يصح إلا أن يقال الشواظ يطلق بالاشتراك على الالهب الخالص والدخان (قوله فلا تنصران) أي لا تجدان لكما ناصران واعلم أن هذا الأمر وهو سوق الجن والإنس بالنار إلى المحشر وازدحامهم حتى يكون على القدم ألف آدم ليس لعموم الجن والإنس ، بل ورد في أناس أنهم يخرجون من قبورهم لقصورهم لا يحزنهم الزرع إلا كبر وكل واحد ممن حضر لموقف على قدر عمله فمنهم من يظل في ظل العرش ومنهم من يلجمه العرق ومنهم من يراه قصيرا ومنهم من يراه طويلا هذا هو التحقيق (قوله من ذلك) أي المذكور من الشواظ والنحاس (قوله بل يسوقكم) أي المذكور منهما (قوله لنزول الملائكة) أي تحيط بالعالم من سائر جهات الأرض (قوله كالدهان) إما خبر ثان أو نعت لوردة والدهان إما جمع دهن كرماح ورمح ويكون

قوله يوم تكون السماء كالمهل أي كدردي الزيت أو مفرد كخرام وإدام وهو الأديم الأحمر أي الجلد وقد مشى على الثاني المفسر له على خلاف العهد بها) أي على خلاف لونها الذي نراه ونعهده وهو الزرقة فأنها عارضة قيل بسبب جبل قحطيط بها وأما ما الأصلي فهو الحرة (قوله فيومئذ) التنوين عوض عن جملة أي فيوم إذا انشقت السماء (قوله ولاجان عن ذنبه) أشار بذلك أن الجار والمجرور محذوف من الثاني لدلالة الأول عليه (قوله ويستألون في وقت آخر) أشار بذلك لوجه الجمع بين ما هنا من الآية التي ذكرها وإيضاح الجمع أن يقال إنهم حين يخرجون من القبور لا يستألون ويستألون حين يحشرون ويجمعون ووقف (قوله والجان هنا الخ) قد يقال لأحاجة له لأن الجان والانس كل منهما اسم جنس يفرق بينه وبين واحد بالياء كزنجي (قوله فبأي آلاء ربكما) أي نعمه العظيمة التي من جملتها الزجر عما يؤدي للعذاب (قوله أي سواد الوجوه وزرقة بون) أي وأخذ الصحف من وراء الظهر بالبسرى (قوله بالنواصي) جمع ناصية وهو نائب الفاعل (قوله من خلف) أي منذ يكسر ظهره كما يكسر الخطب قال الضحاك يجمع بين ناصيته وقدمه في سلسلة من وراء ظهره (قوله ويقال لهم) قدره رة إلى أن قوله هذه جهنم مقول لقول محذوف (قوله يطوفون بينها وبين حميم آن) أي يترددون بينهما حين يستغيثون النار يسمى بهم إلى الحميم فيسقون منه ويصب فوق رؤوسهم فإذا استغاثوا منه يسمى بهم إلى النار وهكذا (قوله يسقونه الخ) ويغمسون فيه لما ورد عن كعب أن واديا من أودية جهنم يجتمع (١٤٩) فيه صديد أهل النار فيغمسون

بأغلاهم فيه حتى تنخلع أوصالهم ثم يخرجون منها وقد أحدث الله لهم خلقا جديدا فيلقون في النار فذلك قوله تعالى يطوفون بينها وبين حميم آن (قوله وهو منقوص كقاض) أي فيقال آني يائي كقاض يقضى فهو آن كقاض وأصله آني استثقلت الضمة على الياء حذفت فالتقى سا كنان حذفت الياء

على خلاف العهد بها وجواب إذا فما أعظم الهول (فبأي آلاء ربكما تكذبان فيومئذ يستألف عن ذنبه إانس ولاجان) عن ذنبه ، ويستألفون في وقت آخر فور بك لنسألهم أجمعين الجان هنا وفيما سيأتي بمعنى الجن والانس فيهما بمعنى الإنسي (فبأي آلاء ربكما تكذبان . فرف المجرمون بسيماهم) أي سواد الوجوه وزرقة العيون (فيومئذ بألنواصي والأقدام بأي آلاء ربكما تكذبان) أي تضم ناصية كل منهم إلى قدميه من خلف أو قدام ياتي في النار ويقال لهم (هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون . يطوفون) يسعون (بين حميم) ماء حار (آن) شديد الحرارة يسقونه إذا استغاثوا من حر النار وهو منقوص كقاض (فبأي آلاء ربكما تكذبان . ولئن خاف) أي لكل منهم أو لمجموعهم مقام ربهم) قيامه بين يديه للحساب فترك معصيته (جنتان .

لتقاء الساكنين) (قوله ولئن خاف مقام ربه) أي لكل شخص خائف سواء كان من الانس أو من الجن فالجن كالانس النعيم وهو ما عليه الأئمة الثلاثة ، وقال أبو حنيفة إن من مات من الجن مسلما يصير ترابا كالبهايم ولا حظ له في النعيم (قوله لكل منهم) أي لكل فرد من أفراد الخائفين جنتان . واختلاف في المراد بالجنتين اللتين يعطاهما كل خائف فقيل جنة لعقيدته جنة لعمله وقيل جنة لطاعته وجنة لترك المعاصي وقيل جنة يثاب بها وجنة يتفضل بها عليه وقيل إحدى الجنتين منزله والأخرى منزل أزواجه كعادة الأكابر في الدنيا وقيل إحدى الجنتين مسكنه والأخرى بستانه وقيل إحدى الجنتين خلقت له والأخرى بستان ورثها من الكفار وعلى كل من الأقوال تسمى إحداها جنة عدن والأخرى جنة النعيم ، وروى عن ابن عباس في وصف الجنتين أنه قال قال الجنتان بستانان في عرض الجنة كل بستان مسيرة مائة عام في وسط كل بستان دار من نور ليس منهما شيء إلا بهتز نعمة وخضرة قرارها ثابت وشجرها ثابت ، وقيل المراد بالجنتين جنة واحدة وإمام في رعاية فواصل (قوله أو لمجموعهم) أي أن الكلام على سبيل التوزيع فاحدى الجنتين للخائف الإنسي والأخرى للخائف الجنى لكل خائف ليس له إلا جنة واحدة والأول هو المعتمد (قوله قيامه بين يديه الخ) أشار بذلك إلى أن المقام مصدر ميمي بمعنى القيام هو أحد احتمالات ثلاث في تفسير المقام والثاني أنه اسم مكان أي خاف مكان وقوفه للحساب والثالث أنه مصدر ميمي بمعنى قيام الله بزوجه على الخلائق أي إشرافه وإطلاعه عليهم ومناقشته لهم في الحساب (قوله فترك معصيته) أي فتسبب عن خوفه زك المعاصي . واعلم أن الخوف مرتبتان مرتبة العامة وهي خوف تعذيب الله إياهم ومرتبة الخاصة وهي خوف جلال الله وهيئته وفيها

فلا يتنافسون، وللعارفين تفسير آخر وهو أن الراد بالحروف خوف الإجلال والتعظيم والهيبة، والمراد بالجنة جنة الشهوة في الدنيا بالقلب وفي الآخرة بالأبصار وجنة الثواب في الآخرة لا غير (قوله فبأي آلاء ربكما) أي نعمه تكذبان أبتلك النعم من جملتها الجنة ونعيمها أم بغيرها (قوله ذواتا أفنان) إما صفة لجنتان أو خبر لمحدوف: أي هما (قوله تشنية ذوات) أي الدنيا هو مفرد (قوله على الأصل) أي وذلك لأن أصاها ذوى تحركت الياء وانفتح ما قبلها فابت ألفا فصارت ذوى كفتى فهذه الألف لام الكلمة وإنما قبلت الياء ألفا دون الواو مع أن كلا منهما متحرك وما قبله مفتوح لأنها طرف والطرف محل تغيير ولم تر هذه الألف في التشنية إلى الياء فيقال ذويتان لأنه لما زيدت التاء في هذا اللفظ تحصفت الألف من الرد إلى الياء وما في الآية الفصيحة في تشنيها وقد ثنى على لفظها فيقال ذاتان (قوله أغصان) أي وهي فروع الشجر التي تشتمل على الورق والثمار (قوله فتن) هذا أحد قواين، وقيل جمع فن: أي نوع وشكل (قوله فيهما) أي في كل واحدة منهما (قوله عيناان تجريان) أي بالمل الزلال إحداها تسمى التسليم والأخرى السلسبيل، وقيل إحداها من ماء غير آسن والأخرى من خمر لذة للشاربين (قوله الدنيا) أي ما هو فاكهة في الدنيا فلا تشمل الفاكهة على هذا مثل الحنظل (قوله أكل ما يفتكه به) أي في الآخرة ولو كان الدنيا غير فاكهة كالحنظل، وقوله: والمر منها الخ مبنى على القول الثاني (قوله متكئين) أي مضطجعين أو متربعين فالتوك الاضطجاع أو التربع لما في الحديث «أما أنا فلا آكل متكئا» أي جالسا جلوس التربع ونحوه من الهيئات

(١٥٠)

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ذَوَاتَا (تشنية ذوات على الأصل ولا مهاد ياء (أفنان) أغصان جمع فتن كطلل (فبأي آلاء ربكما تكذبان) فيهما أعينان تجريان فبأي آلاء ربكما تكذبان) فيهما من كل فاكهة في الدنيا أو كل ما يفتكه به (زواجان) نوعان رطب ويابس والمر منهما في الدنيا كالحنظل حلو (فبأي آلاء ربكما تكذبان) متكئين) حال عامله محدوف أي يتنعمون (على فرش بطائنها من إستبرق) ما غلظ من الديباج وخشن والظاهر من السندس (وجنى الجنة) ثمرها (دان) قريب يناله القائم والقاعد والمضطجع (فبأي آلاء ربكما تكذبان) في الجنة وما اشتد ما عليه من العلالى والقصور (قامرات الطرف) العين على أزواجهن المتكئين من الإنس والجن (لم يطمئنه) يفتضه ومن من الحور أو من نساء الدنيا المنشآت (إنس قبلهم ولا جان) فبأي آلاء ربكما تكذبان) كأنهن الياقوت صفاء (والمرجان) أي اللؤلؤ بيضا (فبأي آلاء ربكما تكذبان)

التي تستدعى كثرة الأكل فالتوكؤ في الدنيا مذموم وفي الآخرة غير مذموم لارتفاع التكليف (قوله أي يتنعمون) الضمير عائذ على من في قوله: ولمن خاف مقام ربه (قوله بطائنها) من إستبرق) هذه الجمل صفة لفرش (قوله من السندس) أي وهو مارق من الديباج (قوله وجنى الجنة دان) جنى مبتدأ بمعنى مجنى خبره دان وأصله

دانو كغاز وقاض (قوله يناله الدائم الخ) قال ابن عباس: تدنو الشجرة حتى يجتذها (هل) ولي الله إن شاء قائما وإن شاء قاعدا وإن شاء مضطجعا. وقال الرازي: جنة الآخرة مخالفة لجنة الدنيا من ثلاثة أوجه: أحدها أن الثمرة على رؤوس الشجر في الدنيا بعيدة عن الإنسان التمسك وفي الجنة يتسكى والثمره تنزل إلى الإنسان في الدنيا يسمى إلى الثمرة ويتحرك إليها وفي الآخرة تدنو منه وتدور عليه. وثانيها أن الإنسان في الدنيا إذا قرب من ثمرة شجرة بعد غيرها ونمار الجنة كلها تدنو إليه في وقت واحد ومكان واحد (قوله في الجنة الخ) جواب عن سؤال مقدر حاصله كيف يضمير الجمع مع أن الرجوع منى (قوله قامرات الطرف) أي محبوسات على أزواجهن لا يبعين بغيرهم بدلا لما روى أنها تقام لزوجها وعزة ربي ما أرى في الجنة أحسن منك فالحمد لله الذي جعل لك زوجي وجعاني زوجتك (قوله لم يطمئنه) الطمئنة المؤدى إلى خروج دم البكر ثم أطاق على كل جماع فالغنى لم يصبهن الجمع قبل أزواجهن أحد (قوله من الحور) أي فيمكن قسم إنسيات للإنس وجنيات للجن (قوله أو من نساء الدنيا المنشآت) أي المخلوقات من غير واسطة ولادة (قوله إنس قبلهم ولا جان) أي أن كل واحد من أفراد النوعين يجد زوجته في الجنة اللاتي كن في الدنيا أبقارا وإن كن في الدنيا نيبات لم يسمها (قوله كأنهن الياقوت) هذه جملة نعت لقصورات أحوال منه (قوله صفاء) أي فالتشبيه بالياقوت من حيث الصفاء لا من حيث الحمرة فلا يقال مقتضاه أن لون أهل الجنة البياض المشرب بالحمرة (قوله أي اللؤلؤ بيضا) أي فالمرجان يطلق على الأحمر والأبيض

إليه به هنا الأبيض ، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن المرأة من نساء أهل الجنة يرى بياض ساقيها من وراء سبعين حتى يرى مخها » (قوله هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) اعلم أن هل ترد لأربعة أوجه تكون بمعنى قد كقوله تعالى - هل على الإنسان حين من الدهر - وبمعنى الاستفهام كقوله - فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً - وبمعنى الأمر كقوله - فهل أنتم برون - وبمعنى النفي كقوله - فهل على الرسل إلا البلاغ المبين - وكما هنا فهي هنا للنفي ، والمعنى لاجزاء الإحسان : أى الطاعات لك العاصي إلا الإحسان : أى الثواب الجزيل (قوله ومن دونهما) قيل معناه أدنى منهما وأصحاب هاتين الجنةين أهل اليمين وهم من الخائفين مقام ربهم في المنزلة وهذا على حد ما يأتي في سورة الواقعة أن أهل اليمين أقل من السابقين ، وقيل الجنة الأربعة خفاف مقام ربهم ، ومعنى قوله ومن دونهما أقرب وأدنى منهما للعرش ، ويؤيده ما ورد أن الأوليين من ذهب وفضة ، الآخرين ياقوت ، وتقدم أن الأوليين جنة عدن وجنة النعيم وهاتان جنة الفردوس وجنة المساوى وهو ما مشى عليه المفسر (قوله هاتان) من الذهب وهى السواد (قوله من شدة خضرتها) أى لكثرة بساتينهما (قوله فوارتان) أى وليستا كالجاريتين لأن نخل دون الجرى ، وهذا بناء على أن هاتين أقل من الأوليين ، وأما على القول بأنهما أعلى منهما فمعنى نضاختان كقال ابن عباس من مسعود أنهما ينضخان على أولياء الله بالمسك والعنبر والكافور فى دار أهل الجنة كما ينضخ رش المطر أو أن المراد فوارتان مع رى ولا شك أنهما أعلى من الجاريتين فقط (قوله هاتان) أى من الفاكهة (١٥١) وهو ظاهر ، وقوله وقيل

من غيرها : أى وذلك لأن النخل كان عامة قوتهم والمان كالشراب فكان يكثر غرسهما عندهم لحاجتهم إليهما وكانت الفواكه عندهم الثمار التى يعجبون بها ، روى أن نخل الجنة جذوعها زمرد أخضر وكرمها ذهب أحمر وسعفها كسوة لأهل الجنة منها حلهم وثمارها مثل القلال أو اللدلاء أشد بياضا

لن (ما (جزاء الإحسان) بالطاعة (إلا الإحسان) بالنعيم (فبأى آلاء ربكم) كذباً . ومن دونهما) أى الجنةين المذكورتين (جنتان) أيضاً لمن خاف مقام ربه فبأى آلاء ربكم كذباً . مذهباً متان) سوداوان من شدة خضرتها (فبأى آلاء ربكم كذباً . فيها عينان نضاختان) فوارتان بالماء لا ينقطعان (فبأى آلاء ربكم كذباً . فيها فاكهة ونخل ورمان) هاتان منها ، وقيل من غيرها (فبأى آلاء ربكم كذباً . فيهن) أى الجنةين وما فيهما (خيرات) أخلاقاً (حسان) وجوهاً (فبأى آلاء ربكم كذباً . حور) شديدات - أدا العيون وبياضها (مقصورات) مستورات (فى الخيام) من درج مجوف مضافة إلى التصور شبهة بالحدود (فبأى آلاء ربكم كذباً . لم يطمثهن إنس قبل أزواجهن) ولا جان . فبأى آلاء ربكم كذباً . متكئين) أى أزواجهن ،

من الين وأحلى من العسل والين من الزبد ليس لها عجم ، وروى أن الرمان من رمان الجنة كجد البعير المقتب ، وروى أن نخل الجنة نضيد وثمرها كالقلال كلما نزع منها واحدة عادت مكانها أخرى العنقود منها اثنا عشر ذراعاً (قوله أى الجنةين وما بها الخ) جواب عما يقال كيف جمع الضمير مع أنه راجع للثنى (قوله خيرات) إجماع خيرة بوزن فعلة بفتح الفاء وسكون العين جمع خيرة مخفف خيرة بالتشديد ، وفى الحديث « إن الحور العين يأخذ بعضهن بأيدي بعض ويتغنين بأصوات لم يسمع الخلاق حسن منها ولا يملأها : نحن الراضيات فلا نسخط أبداً ونحن المقييات فلا نطعن أبداً ونحن الخالدات فلا نموت أبداً ونحن الناعمات لا نبيس أبداً : ونحن خيرات حسان حبيبات لأزواج كرام » وروى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت « إن الحور العين إذا قلن هذه المقالة أجابهن المومنان من نساء أهل الدنيا نحن المصليات وماصيات ونحن الصائمات وماصيات ونحن المتوضئات وماتوضأت نحن المتصدقات وما تصدقن ، قالت عائشة رضى الله عنها : فغلبنهن والله » واختاف هل الحور العين أكثر حسناً وأبهى جمالاً نساء الدنيا ؟ والصحيح أن نساء الدنيا يكن أفضل من الحور العين بسبعين ألف ضعف (قوله من درج مجوف) قال ابن عباس : الخيمة فرسخ فى فرسخ لها أربعة آلاف مصراع من ذهب ، وروى « أن سحابة مطرت من العرش خلقت الحور من قطرات رحمة ثم ضرب على كل واحدة منهن خيمة على شاطئ الأنهار سعتها أربعون ميلاً وليس لها باب حتى إذا حل ولى الله الجنة انصدعت الخيمة عن باب ليعلم ولى الله أن أبصار المخلوقين من الملائكة والخدام لم تأخذها فهي مقصورة قد قصر بها عن أبصار المخلوقين (قوله مضافة إلى التصور) أى أنها فى داخلها فالخيمة فى داخل القصر (قوله بالحدود) جمع خدر وهو الستر الذى يتخذ

في البيوت كالناموسية (قوله وإعرايه كما تقدم) أي أنه حال عامله محذوف : أي يتنعمون (قوله جمع رفرقة) أي واحده رفرقة والرفرف اسم جنس جمعي أو اسم جمع (قوله أي بسط أو وسائد) هذان قولان في معنى الرفرف ، وقيل هو شيء إذا استوى عليه صاحبه رفرق به وأهوى به كالمرجاح يمينا وشملا ورفعا وخفضا يلهذ به مع أنيسته (قوله وعبقري) منسوب إلى عبقري قرية بناحية اليمن ينسج فيها بسط منوشة فقرب الله لنا فراش تلك الجنة به ، وقيل إن الباء ليست للنسب بل هي كياء الكرمي والبخى فهو اسم للفراش المنقوش البالغ الغاية في الحسن (قوله أي طنائف) جمع طنفسة بكسرتين أو فتحتين بسط له خمل رقيق (قوله ذي الجلال) بالياء والواو قراءتان سبعيتان (قوله وافظ اسم زائد) أي لأن أوصاف التنزيه والتعظيم في الحقيقة للمسمى ، وقد يقال أسماء الله وصفاته يسند لها التنزيه والتعظيم حقيقة فعدم زيادته أبلغ في التعظيم والتنزيه .

[سورة الواقعة] قال مسروق : من أراد أن يعلم نبأ الأولين والآخرين ونبأ أهل الجنة ونبأ أهل النار ونبأ أهل الدنيا ونبأ أهل الآخرة فليقرأ سورة الواقعة ، وحكى أن عثمان دخل على ابن مسعود يعود في مرضه الذي مات منه فقال ما تشتهي ؟ قال ذنوبي . قال فما تشتهي ؟ قال رحمة ربى ، قال أفلا ندعوك طبيبا ؟ قال الطبيب أمرضى ، قال أفلا نأمرلك بعطاءك ؟ قال لا حاجة لي فيه حبسته عني في حياتي (١٥٢) وتدفعه لي عند مماتي ؟ قال يكون لبنائك من بعدك ، قال أتخشى على بناتي

الفاقة من بعدى إني أمرتهن أن يقرأن سورة الواقعة كل ليلة فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا » (قوله إلا أفهكذا الحديث الخ) هذا قول السكاكي وقول المفسر الآية أولا وثانيا مراده الجنس الصادق بالآيتين فالمدنى على هذا القول أربع آيات - أفهكذا الحديث أنتم مدهنون وتجعلون رزقكم أنكم

وإعرايه كما تقدم (على رفرق خضر) جمع رفرقة أي بسط أو وسائد (وعبقري حسان) جمع عبقريه. أي طنائف (فبأي آلاء ربكم ما تكذبان . تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام) تقدم، وافظ اسم زائد ،

(سورة الواقعة)

مكية إلا « أفهكذا الحديث » الآية ، و « ثلة من الأولين » الآية

وهي ست ، أو سبع ، أو تسع وتسعون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم . إذا وقعت الواقعة) قامت القيامة (ليس لوقعتها كاذبة) نفس تكذب بأن تنفيها كما نفتها في الدنيا (خافضة رافعة) أي هي مظاهرة لخفض أقوام بدخولهم النار ، ورفع آخرين بدخولهم الجنة (إذا رجت الأرض رجاً) حركت حركة شديدة (وبست الجبال بساً) فتت (فكانت هباءً) غباراً (منبثاً) منتشراً ، وإذا الثائرة بدل من الأولى (وكنتم) في القيامة (أزواجاً) أصنافاً (ثلاثة) ،

فأصناف

تكذبون - وقوله تعالى - ثلة من الأولين وثلة من الآخرين -

وقيل مكية كلها ، وقيل مكية إلا آية منها ، وهي قوله - وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون - (قوله إذا وقعت الواقعة) إذا إما ظرف ليس فيه معنى الشرط وعامله ليس لوقعتها كاذبة من حيث إنها تضمنت معنى النفي كأنه قيل اتقى التكذيب وقت وقوعها أو شرطية وجوابها محذوف تقديره يحصل كذا وكذا وهو العامل فيها (قوله قامت القيامة) أي فالواقعة من جملة أسماء القيامة (قوله ليس لوقعتها) اللام بمعنى في على حذف مضاف ، والمعنى ليس نفس كاذبة توجد في وقت وقوعها (قوله خافضة رافعة) خبر مبتدأ محذوف كما أفاده المفسر بقوله : أي هي الخ (قوله لخفض أقوام الخ) أي حسا ومعنى فأهل الجنة ترفعهم حسا ومعنى وأهل النار تخفضهم كذلك ونسبة الخفض والرفع إليها مجاز من إسناد الفعل للحل وزمائه (قوله إذا رجت الأرض) إما بدل من إذا الأولى وعليه شيء المفسر أو تأكيدها أو شرط وعاملها مقدر (قوله حركت حركة شديدة) أي فترجج كما يرجج الصبي في المهد حتى يتهدم ما عليها ويتكسر كل شيء عليها من الجبال وغيرها والرجة الاضطراب (قوله منتشراً) أي متفرقا بنفسه من غير حاجة إلى هواء يفرقه فهو كالذي يرى شعاع الشمس إذا دخل من كوة (قوله وكنتم) الخطاب لجميع الخلق الكافين والمعهد قسمتم باعتبار طبائعكم وأخلاقكم في الدنيا أصنافاً ثلاثة .

قوله فأصحاب الميمنة) شروع في ذكر أحوال الأزواج الثلاثة على سبيل الاجمال وسيأتي تفصيلهم بعد ذلك (قوله مبتدا خبره ما أصحاب الميمنة الخ) أي أصحاب الأول مبتدا وما استفهامية مبتدا ثان وما بعده خبره والجملة خبر الأول وتكرير مبتدا بلفظه مفعن عن الرابط (قوله تعظيم لشأنهم) أي إن في هذا الاستفهام تعظيم شأنهم كأنه قيل فأصحاب الميمنة في غاية حسن الحال وأصحاب المشأمة في نهاية سوء الحال (قوله بأن يؤتى كتابه بشماله) ما ذكره المفسر في الفرقين أحد أقوال ، قيل أهل الميمنة هم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة وأهل المشأمة الذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار ، وقيل أصحاب الميمنة أصحاب المنزل السنية وأصحاب المشأمة أصحاب المنزل الدنية (قوله والسابقون الخ) أخرهم مع كونهم أعلى الأقسام الثلاثة لثلاثا يعجبوا بأعمالهم وقسم أهل اليمين لثلاثا يقطنوا من رحمة الله (قوله وهم الأنبياء) هذا أحد أقوال في تفسير السابقين ، وقيل هم الذين سبقوا إلى الإيمان والطاعة عند ظهور الحق ، وقيل هم المسارعون إلى الجبرات ، وقيل هم الذين سبقوا في حيازة الفضائل (قوله ولئك المقربون) أي الذين قربت درجاتهم وأعليت مراتبهم واصطفاهم الله لرؤيته في الجنة بكرة وعشيا حيث تسابقوا لخدمته وطاعته فكان جزاؤهم من الله القرب والاصطفاء زيادة على كونهم في الجنة (قوله في جنات النعيم) خبر ثان أو حال من الضمير في المقربون (قوله ثلة من الأولين) الثلة بالضم في قرعة العامة الجماعة من الناس وأما بالكسر فعنها الملكة (قوله وهم السابقون) أي إلى الإيمان بالأنبياء عيانا واجتمعوا عليهم وذلك (١٥٣) لأن المؤمنين الذين اجتمعوا

على الأنبياء جماعة كثيرة والمؤمنين الذين اجتمعوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة قليلة بالنسبة لمجموع الأمم وهذا لا ينافي كون هذه الأمة الحمديدية ثلث أهل الجنة لأن ما هنا فيمن اجتمع بالأنبياء مشافهة ، إذا علمت ذلك فتفسير المفسر السابقين المتقدم ذكرهم بالأنبياء غير واضح

فأصحاب الميمنة) وهم الذين يؤتون كتبهم بأيمانهم مبتدا خبره (ما أصحاب الميمنة) تعظيم لشأنهم بدخولهم الجنة (وأصحاب المشأمة) أي الشمال بأن يؤتى كل منهم كتابه بشماله (ما أصحاب المشأمة) تحقير لشأنهم بدخولهم النار (والسابقون) إلى الخير ، وهم الأنبياء مبتدا (السابقون) تأكيد تعظيم شأنهم ، والخبر (أولئك المقربون في جنات النعيم) ثلة من الأولين) مبتدا : أي جماعة من الأمم الماضية (وقليل من الآخرين) من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وهم السابقون من الأمم الماضية ، وهذه الأمة ، والخبر (على سرور موضوعة) منسوجة بقضبان الذهب والجواهر (متكئين عليها متقابلين) حالان من الضمير في الخبر (يطوف عليهم) للخدمة (ولدان مخلدون) على شكل الأولاد لا يهرمون (بأكواب) أقداح لا عرى لها (وأباريق) لها عرى وخراطيم

فالمناسب أن يقول والسابقون إلى الخير من أمة كل نبي وبعض المفسرين جعل الخطاب في قوله وكنتم أزواجا ثلاثة لهذه الأمة وحينئذ فالمراد بالسابقين خيارهم وأهل اليمين عوامهم وأهل المشأمة كفارهم وقوله ثلة من الأولين يعني جماعة كثيرة من أوائل هذه الأمة وقوله وقليل من الآخرين يعني أن من أتى بعد أوائل هذه الأمة من الخيار قليل بالفسبة لاوائها وإن كان كثيرا في نفسه ولعل هذا التفسير أقرب (قوله على سرور) جمع سرير وهو ما يوضع للشخص من المقاعد العالية كرامة وإجلالا قال الكلبي طول كل سرير ثلاثمائة ذراع فإذا أراد العبد أن يجلس عليه تواضع وانخفض له فإذا جلس عليه ارتفع (قوله متكئين عليها) أي على السرر (قوله متقابلين) أي فلا ينظر بعضهم إلى قفا بعض بل إذا أراد أحدهم الانصراف دار به سريره (قوله يطوف عليهم) هذه الجملة إما حال أو استئناف (قوله ولدان) بكسر الواو باتفاق القراء جمع وليد بمعنى مولود (قوله على شكل الأولاد) أي فهم مخلوقون في الجنة ابتداء كالحور العين ليسوا من أولاد الدنيا وإنما هم أولاد الكونهم على شكل الأولاد كما أفاده المفسر وهذا هو الصحيح ، وقيل هم أولاد المؤمنين الذين ماتوا صغارا ، ورد بأن الله أخبر عنهم أنهم ملحقون بأبائهم في السيادة والحققة ، وقيل هم صغار أولاد الكفار ، وقيل غير ذلك (قوله لا يهرمون) تفسير لقوله مخلدون ، والمعنى لا يتغيرون عن حالة الولدان من الطراوة والذمومة بخلاف أولاد الدنيا في الدنيا فانهم يتغيرون بالشيخوخة (قوله وأباريق) جمع إبريق مشتق من البريق لصفاء لونه (قوله لها عرى) أي ما يمسك بها المسماة بالأذان (قوله

وخراطيم) هي المسماة بالبزائيز .

[٢٠ - صاوي - رابع]

(قوله لا يصدعون عنها) أى لا يحصل لهم صداع من أوجاعها والصداع داء معروف يلحق الإنسان في رأسه (قوله أى لا يحصل لهم الخ) لف وشر مرتب (قوله مما يتخبرون) أى يختارون (قوله ولحم طير مما يشتهون) ورد « إن في الجنة طيرا مثل أعناق البخت تعطف على يد ولي الله ، فيقول أحدها : يا ولي الله رعيت في مروج تحت العرش وشربت من عيون النسيان فكل منى فلا يران يتخزن بين يديه حتى يخطر على قلبه أكل أحدها فيختر بين يديه على ألوان مختلفة فيأكل منها ما أراد فإذا شبع تجمع عظام الطير فطار برعى في الجنة حيث شاء ، فقال عمر يا رسول الله إنها لناعمة قال آكلها أنعم منها » ، وقال ابن عباس رضى الله عنه : يخطر على قلبه لحم الطير فيصير بين يديه على ما يشتهى أو يقع على الصحيفة فيأكل منها ما يشتهى ثم يطير (قوله وجور عين) مبتدأ خبره محذوف قدره بقوله لهم (قوله شديقات سواد العيون) هذا من جملة تفسير العين فلو آخره بعده لكان أوضح فالعين شديقات سواد العيون مع سعتها . وأما الحور فقليل هو بياض أجسدهن ، وقيل هو شدة بياض العين في شدة سوادها (قوله بدل ضمها) أى الذى هو حقها لأن أصلها عين بضم العين وسكون الياء كسرت العين لتصح الياء (قوله وفي قراءة (١٥٤) بجر حور عين) أى وهى سبعة أيضا عطف على جنات النعيم كأنه قيل

في جنات النعيم وفاكهة
 ولحم وحرور عين (قوله
 كأمثال اللؤلؤ المكنون)
 أى المستور في الصدف
 لم تمسه الأيدي ولا الشمس
 والهواء، روى «أنه يسطع
 نور في الجنة فيقولون
 ما هذا فيقال ثغر حوراء
 ضحكت في وجه زوجها»
 وروى «أن الحوراء إذا
 مشت يسمع تقديس
 الخلائيل من ساقها
 وتعيد الأسورة من
 ساعديها وعقد الياقوت
 في نحرها وفي رجليها
 نعلان من ذهب شرا كهما

قوله وفرش مرفوعة على السرر) وقيل مرفوعة بمضها فوق بعض لما ورد أن ارتفاعها كما بين السماء والأرض ومسيرة بينهما خمسمائة عام (قوله أي الحور العين من غير ولادة) أشار بذلك إلى أن الضمير في أنشأناهن عائد على الحور العين المفهومات ما سبق وهذا أحد قولين ، وقيل هو عائد على نساء الدنيا ومعنى أنشأناهن أعدنا لإنشاءهن ويؤيده ما ورد «أن أم سلمة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى إنا أنشأناهن إنشاء فقال يا أم سلمة هن اللواتي قبضن في دار الدنيا هجائن شيطان رماهن الله بعد الكبر أترابا على ميلاد واحد في الاستواء كلها أناهن أزواجهن وجدوهن أبكارا فلما سمعت عائشة رسول الله يقول قالت وارحمهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس هناك وجع» ويصح عود الضمير على ما هو أعم من الحور العين ونساء الدنيا وهو الأنسب بالأدلة (قوله بضم الراء وسكونها) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله أي مستويات في السن) أي وهن ثلاث ثلاثون سنة لما في الحديث «يدخل أهل الجنة الجنة جرذا مردا بيضا مكحولين أبناء ثلاثين أو قال ثلاث وثلاثين على خلق آدم إليه السلام ستون ذراعا في سبعة أذرع» وروى أيضا أنه صلى الله عليه وسلم قال: من دخل الجنة من صغير أو كبير ردت إلى ثلاثين سنة في الجنة لا يزاد عليها أبدا وكذلك أهل النار (قوله صلة أنشأناهن) أي متعلقة به والمعنى أنشأناهن

لأجل أصحاب اليمين ويصح تعلقها بأترابا والمعنى جعلناهن أترابا أي مساويات لأصحاب اليمين في الطول والعرض والجمال فلا تتخير امرأة عن رجل في الجنة (قوله ثلة من الأولين) خبر لمخدوف قدره بقوله وهم واختلف في المراد بالأولين والآخرين فقيل أوائل هذه الأمة كالصحابة والتابعين وتابع التابعين وأواخرهم من يأتي بعدهم إلى يوم القيامة وقيل المراد بالأولين الأئمة السابقة والآخرين هذه

وَفَرُشٍ مَرْفُوعَةٍ) عَلَى السَّرَرِ (إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً) أَيِ الْحُورِ الْعَيْنِ مِنْ غَيْرِ وَلَادَةٍ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا) عَذَارَى كَلَّمَا أَتَاهُنَّ أَزْوَاجُهُنَّ وَجَدُوهُنَّ عَذَارَى وَلَا وَجَعَ (عُرْبًا) بَضْمُ الرَّاءِ وَسُكُونُهَا جَمْعُ عَرَبٍ وَهِيَ الْحَبِيبَةُ إِلَى زَوْجِهَا عَشَقَالَهُ (أَتْرَابًا) جَمْعُ تَرَبٍّ : أَيِ سَتَوِيَّاتٍ فِي السِّنِّ (لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ) صِلَةُ أَنْشَأْنَاهُنَّ ، أَوْ جَعَلْنَاهُنَّ ، وَهَمَّ (ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ . وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ . وَأَصْحَابُ الشَّامِلِ مَا أَصْحَابُ الشَّامِلِ فِي سَمُومٍ) رِيحٌ حَارَةٌ مِنَ النَّارِ تَنْفُذُ فِي السَّامِ (وَحَمِيمٍ) مَاءٌ شَدِيدُ الْحَرَارَةِ (وِظَلٍ مِنْ يَحْمُومٍ) دَخَانٌ شَدِيدُ السَّوَادِ (لَا بَارِدٍ) كَثِيرُهُ مِنَ الظَّلَالِ (وَلَا كَرِيمٍ) حَسَنُ الْمَنْظَرِ (إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ) فِي الدُّنْيَا (مُتْرَفِينَ) مُنْعَمِينَ لَا يَتَعَبُونَ فِي الطَّاعَةِ (وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ) الْفُتُورِ (الْعَظِيمِ) أَيِ الشَّرْكِ (وَكَانُوا يَقُولُونَ أَثِدًا مِثْنًا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَثِنًا لِمَبْهُوتُؤُونَ) فِي الْهَمَزَةِ فِي الْمَوْضِعَيْنِ التَّحْقِيقِ وَتَسْهِيلِ الثَّانِيَةِ وَإِدْخَالِ أَلْفٍ بَيْنَهُمَا عَلَى الْوَجْهِينِ (أَوْ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ) بَفَتْحِ الْوَاوِ لِلْعُطْفِ وَالْهَمَزَةِ لِلِاسْتِفْهَامِ ،

لأمة فالخلاف هنا نظير ما تقدم ، وقال فيما سبق وقيل من الآخرين وقال هنا وثلة من الآخرين لأن ما تقدم ذكر السابقين وهم في الآخرين قليل وهنا في أصحاب اليمين وهم كثيرون في الأولين والآخرين (قوله وأصحاب الشمال الخ) شروع في ذكر بعض صفات أصحاب المشأمة المتقدم ذكرهم (قوله ما أصحاب الشمال) خبر أول وأبهمه لعظمه وقوله في سموم خبر ثان (قوله تنفذ في السام) أي تدخل في أعماق أبدانهم (قوله وحميم) أي يطلبونه عند اشتعال السموم في أبدانهم فيزيد عظمهم فيسقطون من ماء الحميم فتقطع عند ذلك أمعاؤهم (قوله من يحموم) صفة أولى لظن وقوله لا بارد ولا كريم صفة ثانية وثالثة له (قوله إنهم كانوا الخ) تعليل لاستحقاقهم تلك العقوبة ولم يذكر في أصحاب اليمين سبب استحقاقهم الثواب إشارة إلى أن الثواب حاصل من فضله تعالى لا وجوب عليه فهدم ذكر سببه لأيومهم نقصا ، وأما العقاب فمن عدله تعالى فلو لم يذكر سببه لربما توهم الجور في حقه تعالى (قوله لا يتعبون في الطاعة) أي تركوا الطاعات واشتغلوا بالملاذ المحرمة وأما فعل الطاعات مع التمتع بالملاذ الحلال فلا ضرر فيه ، قال تعالى : قل من حرم زينة الله الآية (قوله وإدخال ألف بينهما على الوجهين) المناسب أن يقول وتركه ليكون منها على أربع قراءات وكلها سبعية وهي التحقيق والتسهيل مع الألف ودونها .

(قوله وهو في ذلك) أي الاستفهام في هذا الموضع وهو قوله أو آباؤنا وقوله وفيما قبله أي وهو قوله أنذا مثنا أننا لمبعوثون (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعة أيضا (قوله والمعطوف عليه) أي على كل من القراءتين (قوله قل إن الأولين الخ) رد لانكارهم واستبعادهم (قوله لوقت يوم) أي فيه وضمن الجمع معنى السوق فعدها بالي وإلا فمقتضى الظاهر تعديته بفي (قوله ثم إنكم) عطف على إن الأولين والخطاب لأهل مكة وأضرابهم (قوله من زقوم) هو أخبث الشجر يفت في الدنيا بهتاهم وفي الآخرة في الجحيم (قوله بيان للشجر) أي فمن بيانية وأما من الأولى فهي لا ابتداء الغاية أو زائدة (قوله من الشجر) أي وإنما أعاد الضمير عليه مؤثرا لكون الشجر اسم جنس يجوز تذكيره وتأنيثه (قوله فشاربون شرب الحميم) تفسير للشرب الأول وفي الآية تنبيه على كثرة شربهم من الحميم وأنه لا ينفعهم بل يزدادون به عذابا (قوله بمنح الشين وضمها) أي فيهما قراءتان سبعيتان (قوله جمع هيمان الخ) هذا سبق قلم والصواب أن يقول جمع أهيم وهيماء لأن هيم أصله هيم بضم الهاء بوزن حمر قلبت الضمة كسرة لتصح الياء وحمر جمع لأحمر وحمراء ، والمعنى يكونون في شربهم الحميم كالجلل أو الناقة التي أصابها الهيام وهو داء معطش (١٥٦) تشرب منه الإبل إلى أن تموت أو تعرض مرضا شديدا (قوله هذا نزلهم

أي ما ذكر من ما كولههم ومشروبهم والنزول في الأصل ما يهيا للضيف أول قدومه من التحف والكرامة فتسميته نزلا تهكم به (قوله بالبعث) أي الأحياء بعد الموت (قوله أفرأيتم ما عنون الخ) احتجاجات على الكافرين المنكرين للبعث والمعنى أخبروني ففعولها الأول ما عنون والثاني الجملة الاستفهامية (قوله ما عنون) بضم التاء في قراءة العامة من أمي بفي وقرئ شذوذا بفتحها من مفي بفي بمعنى صب والمعنى

وهو في ذلك وفيما قبله للاستبعاد ، وفي قراءة بسكون الواو عطفاً بأو والمعطوف عليه محل إن واسمها (قوله إن الأولين والآخرين) لَمْ يَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ لَوْ قَت (يَوْمَ مَعَاوِمَ) أي يوم القيامة (ثُمَّ إِنَّكُمْ أَهِيَ الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ) لَا كَلِونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُومٍ (بيان للشجر) (فَالثُّونَ مِنْهَا) مِنَ الشَّجَرِ (الْبُطُونِ) فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ (أي الزقوم المأكول) (مِنْ الْحَمِيمِ) فَشَارِبُونَ شَرِبَ بفتح الشين وضمها مصدر (الحميم) الإبل العطاش جمع هيمان للذكر وهيمي للأنثى كمطشان وعطشى (هَذَا نُزْلُهُمْ) مَا أَعَدَّ لَهُمْ (يَوْمَ الدِّينِ) يوم القيامة (نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ) أوجدناكم من عدم (فَلَوْ لَا) هَلَا (تُصَدِّقُونَ) بالبعث إذ القادر على الإنشاء قادر على الإعادة (أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَمْنُونَ) تريقون التي في أرحام النساء (أَأَنْتُمْ) بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفا وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه في الموضع الأربعة (تَخْلُقُونَهُ) أي المني بشراً (أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ) نَحْنُ قَدَرْنَا بالتشديد والتخفيف (بَيْنَكُمْ أَمْوَاتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ) بعاجزين (عَلَى) عَنْ (أَنْ نُدَلَّلَ) أي نجعل (أَمْثَالَكُمْ) مكانكم (وَنُنْشِئُكُمْ) نخلقكم ،

أخبروني الماء الذي تقدفونه وتصبونه في الرحم أنتم تخلقونه الخ (قوله بتحقيق الهمزتين) (في) في كلامه تنبيه على أربع قراآت سبعيات مع أنها خمس وذلك لأن التحقيق إما مع إدخال ألف بينهما بمد طبعيا أو بدوينا والتسهيل كذلك وإبدال الثانية ألفا بمد لازما وقوله في الموضع الأربعة أي هذا وقوله بعد أنتم تزرعون أنتم أنزلتمو من الزن أنتم أنشأتم شجرتها (قوله أم نحن الخالقون) يحتمل أن أم منقطعة لأن ما بعدها جملة والمتصلة لأنها تعطف المفردات وحدها فيكون الكلام مشتملا على استفهامين الأول أنتم تخلقونه وهو إنكارى وجوابه لا والثاني مأخوذ من أم إن قدرت ببل والهمزة أو بالهمزة وحدها ويكون تقريريا ويحتمل أن تكون متصلة وذلك لأنها عطفت المفرد وهو نحن والاتبان بالخبر زياد تأكيد (قوله نحن قدرنا بينكم الموت) أي حكمنا به وقضينا على كل مخلوق فلا يستطيع أحد تغيير ما قدرنا (قوله بالتشديد والتخفيف) أي فيهما قراءتان سبعيتان (قوله على أن نبذل أمثالك) يصح تعلقه بمسبوقين أي لم يعجزنا أحد على تبديل أمثالك أو بقدرنا ، والمعنى قدرنا بينكم الموت على أن نبيت طائفة ونجعل مكانها أخرى ، وأمثالك إما جمع مثل بكسر مسكون والمعنى نحن قادرون على أن نعدمكم ونخلق قوما آخرين أمثالك أو جمع مثل بفتحين بمعنى الصفة ، والمعنى نحن قادرون على أن نغير صفاتكم وننشئكم في صفات أخرى غيرها .

(قوله في ما لا تعلمون) ماموصولة وحيدة فتكتب مفصولة من حرف الجر، والمعنى نخلقكم في صور لا علم لكم بها (قوله النشأة الأولى) أي الترابية لأبيكم آدم والجمعية لأنكم حواء والنطفية لكم ولا شك أن كلا منها تحويل من شيء إلى غيره (قوله وفي قراءة) أي وهي جمعية أيضا (قوله تثيرون الأرض الخ) إنما فسر الحرف بجموع الأميين مراعاة لمعناه اللغوي ولأن الشأن أن البذر يكون معه إثارة أرض والناسب هنا تفسيره بالبذر والمعنى أفرايتم البذر الذي تلقونه في الطين أنتم تبتونه الخ (قوله يابا يابساً فيه) أي وقيل هشياً لا يفتفع به في مطعم آدمي ولا غيره (قوله تفكهون) هو في الأصل من التفكه وهو إلقاء فاكهة من اليد وهو لا يكون من الشخص إلا عند إصابة الأمر المكروه فقوله تعجبون أي من غرابة ما نزل بكم تفسير باللام قوله وتقولون إنا لمفرمون) أشار بذلك إلى أن قوله إنا لمفرمون مقول لقول محذوف حال تقديره فظلمتم تفكهون قائلين إنا فرمون أي للزمنون غرامة ما أنفقنا أو مهلكون بسبب هلاك رزقنا (قوله من المزن) هو بالضم السحاب مطاقا كما قال المفسر المراد به أبيضه أو المحتوى على الماء (قوله جعلناه أجاجا) حذفت اللام هنا لعدم الاحتياج إلى التأكيد إذ لا يتوهم ملك السحاب ما فيه من الماء بخلاف لزج الأرض في ذلك شائبة ملك فأتى في جانبه (١٥٧) بالموكد وهو اللام (قوله لا يمكن شربه) أي ولا انتفاع الزرع به (قوله التي تورون) من أوريت الزند قدحته لتستخرج ناره وأصله توربون استعقلت الضمة على الياء حذفت فالتقى ساكنان حذفت الياء لالتقاءهما وقلبت الكسرة ضمة لمناسبة الواو (قوله من الشجر الأخضر) أي أو من غيره وإنما اقتصر على الشجر الأخضر لكونه أعظم وأبهر في الدلالة على عظمة الله وباهر قدرته (قوله كالمرخ والعفار) تقدم الكلام على ذلك في

(في ما لا تعلمون) من الصور كالقردة والخنزير (وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى) وفي قراءة بسكون الشين (فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ) فيه إدغام التاء الثانية في الأصل في الذال (أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ) تثيرون الأرض وتلقون البذر فيها (أَأَنْتُمْ تَرْزُقُونَهُ) تبتونه (أَمْ نَحْنُ الرَّاغُونَ) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا) نباتا يابساً لا حب فيه (فَظَلَّمْتُمْ) أصله ظلمتم بكسر اللام حذفت تخفيفاً: أي أقسمت بهاراً (تَفَكَّهُونَ) حذفت منه إحدى التاءين في الأصل تعجبون من ذلك وتقولون (إنا لمفرمون) نفقة زرعنا (بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ) ممنوعون رزقنا (أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ) أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ (السحاب جمع مزنة) أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ أَجَاجًا) ملحاً لا يمكن شربه (فَلَوْلَا) فهلا (تَشْكُرُونَ) أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ) تخرجون من الشجر الأخضر (أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَهَا) كالمرخ والعفار والكلخ (أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ) نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرَةً) لنار جهنم (وَمَتَاعًا) بُأْفَةً (الْمَقْوِينَ) للمسافرين: من أقوى القوم، أي صاروا بالقوى بالقصر والمد: أي القفر، وهو مفازة لانبثات فيها ولا ماء (فَسَبِّحْ) نزه (بِاسْمِ) زائد (رَبِّكَ الْعَظِيمِ) أي الله (وَلَا أُقْسِمُ

سودة يس) وأما الكلخ فهو معروف في بلاد المغرب والشام يؤخذ منه قطعتان وتضرب إحداها بالأخرى فتخرج النار، وعن ابن عباس أنه قال ما من شجر ولا عود إلا وفيه النار سوى العناب (قوله للمسافرين) أي وخصوصاً بالآلة كرا لأن منفعتهم بها أكثر من المقيمين فانهم يوقدون بها بالليل لتهرب السباع ويهتدي الضال ونحو ذلك من المنافع (قوله من أقوى القوم) أشار بذلك إلى أن المراد بالمتقوين المسافرين وأنه مأخوذ من أقوى القوم إذا صاروا بالقوى وهي الأرض الحالية من السكان، وقيل المراد بهم ما هو أعم لأن الموقى من الأضداد يقال للفقير مقول حاله من المال، والمعنى لقوته على ما يريد، والمعنى جعلناه متاعاً ومنفعة للأغنياء والفقراء المسافرين والحاضرين فلا غنى لأحد عنها (قوله بالقصر والمد) أي مع كسر القاف فيهما (قوله فسبح باسم ربك) مفرع على ما تقدم، والمعنى ادع الحاق إلى توحيد الله وطاعة ووضح لهم الأمر بما تقدم فإن لم يهتدوا فارجع إلى ربك وسبحه ولا تلتفت لغيره، والمراد نزهة عملاً يليق به سواء كان بخصوص سبحان الله أو بغيره من بقية الأذكار (قوله زائد) أي لفظ اسم زائد، والمعنى سبح ربك وسبح يتعدى بنفسه وبالبناء وما مشى عليه المفسر من زيادة لفظ اسم أحد قولين والآخر أنه ليس زائداً بل كما يجب تعظيم الذات وتنزيهاها عن النقائص كذلك يجب تعظيم الاسم وتنزيهاه عن النقائص، ولذا قال الفقهاء من وجد اسم الله تعالى مكتوباً في ورقة وموضوعاً في قدر وتركه فقد كفر وذلك لأن التهاون بأسماء الله كالتهاون بذاته لأن الاسم دال على المسمى وهذا هو الأنتم.

[فائدة] أثبتوا في الخط ألف اسم هنا وحذفوها من البسملة لكثرة دوران البسملة في الكلام دون ما هنا (قوله لازائدة) أي للتأكيد لأن المقصود القسم وهذا أحد أقوال فيها ، وقيل هي لام الابتداء دخلت على مبتدأ محذوف تقديره أنا أقسم حذف المبتدأ فانصت بخبره ، وقيل هي نافية ومنفيها محذوف تقديره فلا يصح قول المشركين فبك وفي قرآنك وقوله أقسم الخ جملة مستأنفة كسالية اه صلى الله عليه وسلم (قوله بمساقطها لغروبها) هذا قول قتادة ، وقيل هو منازلها ، وقيل المراد بمواقع النجوم نزول القرآن نجوما ؛ فإن الله تعالى أنزله من اللوح المحفوظ من السماء العليا إلى السفرة السكاتيين جملة واحدة فنجمه السفرة على جبريل وهو على محمد في عشرين سنة (قوله وإنه لقسم لو تعلمون عظيم) هذه الجملة معترضة بين القسم وجوابه وفي أنها جملة معترضة بين الصفة والوصف وهي قوله لو تعلمون وليس هذا من باب الاعتراض بأكثر من جملة لأن الجملتين في حكم جملة واحدة (قوله أي لو كنتم الخ) أشار بذلك إلى أن جواب لو محذوف وإلى أن الفعل منزل منزلة اللازم (قوله لعلمت عظم هذا القسم) أي لما فيه من الدلالة على عظيم القدرة وكمال الحكمة ولأن آخر الليل الذي هو وقت نساقط النجوم محل الرحمت والعطايا الربانية قال تعالى - ومن الليل فسبحه وأدبار النجوم - (قوله لقرآن كريم) أي كثير النفع وصف بالكرم لاشتماله على خبر الدين والدنيا والآخرة ففيه مزيد البيان والنور والاهتداء ، فكل عالم يطلب أصل علمه منه من معقول ومنقول (قوله مصون) (١٥٨) أي من التغيير والتبديل فلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

لا زائدة (بمواقع النجوم) بمساقطها لغروبها (وإنه) أي القسم بها (لقسم لو تعلمون عظيم) أي لو كنتم من ذوى العلم لعلمت عظم هذا القسم (إنه) أي المثلث عليكم (لقرآن كريم) في كتاب مكتوب (مكتون) مصون، وهو المصحف (لا يمسسه) خبر بمعنى النهي (إلا المطهرون) أي الذين طهروا أنفسهم من الأحداث (تنزيل) منزل (من رب العالمين) أفبهذا الحديث القرآن (أنتم مدهنون) متهاونون مكذبون (وتجمعون رزقكم) من المطر: أي شكره (أنكم تكذبون) بسقيا الله حيث قلم: مطرنا بنوء كذا (فلولا) فهلا (إذا بلغت) الروح وقت النزاع (الخلعوم) هو مجرى الطعام (وأنتم) يا حاضري الميت (حينئذ تنظرون) إليه (ونحن أقرب إليه منكم) بالعالم (ولكن لا تبصرون) من البصيرة: أي لا تعلمون ذلك (فلولا) فهلا (إن كنتم غير مدبرين):

قال تعالى - إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون - (قوله وهو المصحف) أي وقيل هو اللوح المحفوظ ، وعليه معنى لا يمسسه لا يطالع عايه إلا الملائكة المطهرون من الأقدار المعنوية ولا يكون في الآية دليل لنهي المحدث عن مس المصحف (قوله خبر بمعنى النهي) أي فأطاق الخبر وأريد النهي وإلا فلا أبقى على

خبريته للزم عليه الخاف في خبره تعالى ، لأنه كثيرا ما يمس بدون طهارة والخاف في مبره تعالى محل ، وما مشى عليه المفسر أحد وجهين ، والآخر أن لانا هية والفعل مجزوم بسكون مقدس على آخره منع من ظهوره اشتغال المحل بحركة الإدغام وإنما حرك بالضم إتباعا لحركة الهاء . إن قلت إنه يلزم على هذا الوجه الفصل بين الصفات بجملة أجنبية فإن قوله: تنزيل من رب العالمين صفة رابعة لقرآن . وأجيب بأنه لا يتعين أن يكون صفة لجواز جعله خبرا لمبتدأ محذوف: أي هو تنزيل (قوله منزل) أشار بذلك إلى أن المصدر بمعنى اسم المفعول (قوله أفبهذا الحديث الخ) الاستفهام توبيخي ، والمعنى لا يليق منكم ذلك (قوله مدهنون) الإدهان في الأصل جعل الشيء مدهونا بالدهن إياين ويحسن أطاق وأريد به اللبن الظاهري الذي هو النفاق ولذا سميت المداراة والملاينة فيما يغضب الله مدهنة فالدهن هو الذي ظاهره بخاف باطنه ، والمراد به هنا الكفر مطلقا كما أفاده المفسر (قوله بسقيا الله) مصدر مضاف لفاعله (قوله حيث قلم مطرنا الخ) أي وقائل ذلك كافر إن اعتقد تأثير الكوكب في المطر وعاص إن لم يعتقد (قوله فلولا إذا بلغت الخ) الفارق متعاقب ترجعونها مقدم عليه وقوله: وأنتم حينئذ الخ جملة حالية من فاعل بلغت ، وكذا قوله: ونحن أقرب إليه (قوله من البصيرة) أي أو من البصر ، والمعنى وأنتم لا تبصرون أعوان ملك الموت ، ورد أن ملك الموت له أعوان يقطعون العروق ويجمعون الروح شيئا فشيئا حتى ينتهوا بها إلى الخلقوم فيشوقها ملك الموت.

(قوله مجزيين) أي قديسين من الدين بمعنى الجزاء وقوله غير مبعوثين تفسير المراد هنا (قوله فلولاً الثانية) أي التي في قوله لا إن كنتم غير مدينين (قوله تأكيد) أي لفظي وقوله الأولى: أي التي في قوله: فلولاً إذا بلغت الخلقوم (قوله المتعلق به سرطان) أي وهما إن كنتم غير مدينين إن كنتم صادقين ومعنى تعلتهما به أنه جزاء لكل منهما (قوله والمعنى هلا الخ) أي فهي للرب والمعنى ارجعوه (قوله إن نفيت البعث) هذا هو الشرط الأول وقوله صادقين في نفيه هو الشرط الثاني (قوله لينتفي عن علة جزاء وقوله عن محلها أي الذي هو الجسد، والمعنى إن صدقتم في نفي البعث فردوا روح المحتضر إلى جسده لينتفي عنه الموت تنفي البعث الذي تنكرونه لترتبه على الموت (قوله فأما إن كان من المقرين الخ) شروع في بيان حال المتوفى بعد المات إثر ن حاه عنده (قوله من المقرين) أي وهم المبعوث عنهم فيما سبق بالسابقين (قوله فروح) بفتح الراء في قراءة العامة وقرئ "لودا بضمها ومعناها الرحمة (قوله أي فله) أشار بذلك إلى أن روح مبتدأ خبره محذوف (قوله وجنت نعيم) ترسم هذا بآثاء برورة والوقف عليها إما بالهاء أو التاء وفي ذكر الجنة عتب الروح والريحان إشعار بأن محل ذلك يكون للمقرين في البرزخ ل الجنة كما هو مشهور في السنة (قوله وهل الجواب لأم) أي وجواب إن (١٥٩) محذوف لدلالة المذكور عليه

وهذا هو الراجح لأنه عهد حذف جواب إن كثيراً (قوله فسلام لك) أي يا صاحب اليمين من أصحاب اليمين ففيه التفات من الغيبة إلى الخطاب تعظيماً لصاحب اليمين (قوله أي له السلامة) أشار بهذا إلى أن السلام بمعنى السلامة وهو خلاف ما قلنا فهما تفسيران (قوله من جهة أنه منهم) أشار به إلى أن من تعليامة أي من أجل أنه منهم (قوله وأما إن كان من المكذبين) لم يقل وأما إن كان من

مجزيين بأن تبعثوا أي غير مبعوثين بزعمكم (ترجعونها) تردون الروح إلى الجسد بعد بلوغ الخلقوم (إن كنتم صادقين) فيما زعمتم، فلولاً الثانية تأكيد للأولى وإذا ظرف لترجعون المتعلق به الشرطان، والمعنى هلا ترجعونها إن نفيت البعث صادقين في نفيه: أي لينتفي عن محلها لموت كالبعث (فأما إن كان) الميت (من المقرين فرؤح) أي فله استراحة (وريحان) رزق حسن (وجنت نعيم) وهل الجواب لأما أولاً إن أو لهما؟ أقوال (وأما إن كان من أصحاب اليمين) أي له السلامة من العذاب (من أصحاب اليمين) من جهة أنه منهم (وأما إن كان من المكذبين الضالين) فنزل من حميم وتصلية جحيم. إن هذا هو حق اليقين من إضافة الموصوف إلى صفته (فسبح باسم ربك العظيم) تقدم (سورة الحديد)

مكية، أو مدنية، تسع وعشرون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) أي نزهه كل شيء

أصحاب الشمال الخ تبكيها عليهم وإشعاراً بالأفعال التي أوجبت لهم هذا العذاب (قوله فنزل) مبتدأ خبره محذوف أي له نزل من حميم، والمعنى أنه يشربه بعد أكل الزقوم وصي نزلاتها بهم (قوله وتصلية جحيم) أي احتراق بها (قوله إن هذا) أي ما ذكر من قصة المحتضرين أو ما قصصناه عليك في هذه السورة (قوله تقدم) الذي تقدم في كلامه أن سبح بمعنى نزه وأن لفظ اسم زائد وتقدم لنا القول بعدم زيادته ووجهه وأنه الأولى والعظيم يصح أن يكون صفة للاسم وأن يكون صفة لربك لأن كلا منهما مجرور وفي ذكر لفظ التسبيح في آخر هذه السورة شدة مناسبة لما بعدها من التسبيح كأن الله تعالى يقول سبح باسم ربك لأنه سبح له ما في السموات والأرض، والله أعلم بأسرار كتابه.

[سورة الحديد] سميت بذلك لذكر الحديد فيها من باب تسمية الكل باسم بعضه على حكم عاداته سبحانه وتعالى في كتابه (قوله مكية) أي لما قيل إن سبب إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه دخل على أخته وكانت أسلمت قبله فوجد أوائل هذه السورة إلى قوله إن كنتم مؤمنين مكتوباً في صحيفة فأسلم (قوله أو مدنية) وهو لابن عباس وعائيه الجمهور. وقال القرطبي إنها مدنية في قول الجميع وإسلام عمر كان بأوائل طه وظل القول بأنه كان بأوائل هذه السورة فتستثنى هذه الآيات من القول بأنها مدنية (قوله سبح لله) عبرتنا وفي الحشر والصف بالماضي وفي الجمعة والتغابن بالمضارع وفي الأعلى بالأمر وفي الأمراء بالمصدر

إشعاراً بأن التسبيح مطلوب من الإنسان في كل حال وصدر بالمصدر تنبيهاً على أن تنزيهه تعالى مطابق لا يتقيد بزمان ولا مكان ولا بفاعل معين كما أن المصدر مطلق عن الفاعل والزمان ثم بالماضي لتقدم زمنه ثم بالمضارع اشموله للحال والاستقبال ثم بالأمر لتأكيد الحث على طوبى من الشخص فكأنه قال حيث علمت أيها الشخص أن ربك منزّه تنزيهاً مطلقاً وسبحه من تقدم من المخلوقات واستمروا على تسبيحه فعليك بالاشتغال به ، والتسبيح تنزيه المولى عن كل ما يليق به قولاً وفعلاً واعتقاداً من سبغ في الأرض والماء ذهب وأبعد فيهما . إن قلت إن سبغ متعدد بنفسه فما وجه الإتيان باللام له ؟ أجيب بأن اللام زائدة لتأكيد كما في نصحت له وشكرت له وعليه اقتصر المفسر أول التعليل ، والمعنى فعل التسبيح لأجل رضا الله تعالى وخالصاً لوجهه لا لغرض آخر (قوله فاللام مزيدة) أي للتأكيد وهو مفرع على قوله : أي نزّهه أو أصالية للتعليل كما علمت (قوله تغليبا للأكثر) أي وهو غير العاقل ، فالمراد بالسموات والأرض جهة العلو والسفل فيشمل نفس السموات والأرض . واعلم أن تسبيح العقلاء بلسان المقال اتفاقاً . واختلف في تسبيح غيرهم فقليل بالحال أي أن ذاتها دالة على تنزيه صانعها عن كل نقص وقيل بلسان المقال أيضاً ولكن لا يطالع على تسبيحها إلا من خصه الله بذلك (قوله وهو العزيز في ملكه) أي الغالب على أمره لا يغلبه شيء (قوله الحكيم في صنعه) أي يضع الشيء في محله فلا حرج عليه ولا معقب لحكمه (قوله له ملك السموات والأرض) جملة مستأنفة كالدليل لما قبلها كأنه قيل هو العزيز الحكيم لأن له ملك السموات والأرض يتصرف فيه على ما يريد (قوله بالإنشاء) أي من العدم وفيه رد على من يزعم أن الأحياء يكون بترك الحي من غير قتل مثلاً كالنمرود ، حيث قال في محاجة إبراهيم عليه السلام أنا أحيى (١٦٥) وأميت وآتى برجلين فأطاق أحدهما وقتل الآخر (قوله ويميت بعده) أي

بعد الأحياء الحاصل بالإنشاء ، وأما الأحياء الثاني فلا موت بعده قال تعالى - لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى - (قوله وهو على كل شيء قدير) بضم المهاء وسكونها قراءتان سبعيتان في فاللام مزيدة وجيء بما دون من تغليباً للأكثر (وهو العزيز) في ملكه (الحكيم) في صنعه (له ملك السموات والأرض يحيى) بالإنشاء (ويميت) بعده (وهو على كل شيء قدير . هو الأول) قبل كل شيء بلا بداية (والآخر) بعد كل شيء بلا نهاية (والظاهر) بالأدلة عليه (والباطن) عن إدراك الحواس (وهو بكل شيء عليم . هو الذي ساق السموات والأرض في ستة أيام) من أيام الدنيا أولها الأحد وآخرها الجمعة (ثم استوى على العرش) :

جميع القرآن (قوله هو الأول قبل كل شيء) أي السابق على جميع الوجودات وقوله بلا بداية أي فلا افتتاح لوجوده (قوله ولا آخر بعد كل شيء) أي الباقي بذاته بعد استحقاق كل ماسواه الفناء وبهذا اندفع ما يقال إن الجنة والنار وما فيهما لا يطرأ عليها الفناء لأن كل موجود بعد عدم قابل للفناء وبقاء ما ذكر ببقاء الله تعالى لا ذاتي قال العارف :

جميع القرآن (قوله هو الأول قبل كل شيء) أي السابق على جميع الوجودات وقوله بلا بداية أي فلا افتتاح لوجوده (قوله ولا آخر بعد كل شيء) أي الباقي بذاته بعد استحقاق كل ماسواه الفناء وبهذا اندفع ما يقال إن الجنة والنار وما فيهما لا يطرأ عليها الفناء لأن كل موجود بعد عدم قابل للفناء وبقاء ما ذكر ببقاء الله تعالى لا ذاتي قال العارف :

من لا وجود لذاته من ذاته فوجوده لولاه عين محال

(قوله بالأدلة عليه) أي وهي آثاره ونصاريقه في خلقه :

ففي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

(قوله عن إدراك الحواس) أي الظاهرية والباطنية فلا تحيط به في الدنيا ولا في الآخرة وإيمانيته ومماح كلامه في الآخرة غير كيف ولا انحصار ولا إحاطة فكل مخلوق عاجز عن الإحاطة به بل كلما عظم قرب العبد منه ازداد خشية وهيبة وعجزاً ولا ورد في الحديث « سبحان من لا يعلم قدره غيره ولا يبلغ الوصفون صفته » وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال « إذا أراد أحدكم أن ينام فليضطجع على شقه الأيمن ويقول : اللهم رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء فائق الخ والنوى نزل التوراة والإنجيل والقرآن أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته » وفي رواية : من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عنا الدين وأغننا من الفقر اه وآتى بالواو الأولى والثالثة للجمع بين الوصفين الأولين والأخيرين والثالثة للجمع بين مجموع الأوصاف الأربعة ، فهو تعالى متصف بالأولية وضدها والظاهرية وضدها وتلك الصفات الأربع مجموع فيه تعالى فالواو الأولى والثالثة عطف مفردا على مفرد والثانية عطف مجموع أسرين على مجموع أسرين .

(قوله الكرسي) تقدم غير مرة أن المناسب لإبقاء العرش على ظاهره (قوله استواء يليق به) تقدم أن هذا تفسير السلف ،
 ما الخلف فيؤولونه بالقهر والغلبة (قوله والسبئية) المناسب حذفه لأن الذي يرفع إنما هو الأعمال الصالحة قال تعالى : إليه
 رعد السكام الطيب والعمل الصالح يرفعه (قوله بعلمه) أي وقدرته وإرادته ، فالمراد بالعلمية تصاريفه في خلقه (قوله له ملك
 السموات والأرض) ذكره ثانيا مع الإعادة كما ذكره أولا مع ابتداء الخلق فلان تكرار (قوله ترجع الأمور) بفتح التاء
 كسر الجيم مبنيًا للفاعل و بضم التاء وفتح الجيم مبنيًا للمفعول قراءتان سبعيتان في جميع القرآن (قوله يدخله في النهار
 بد) أي النهار بسبب دخول الليل فيه وكذا يقال في النهار (قوله بما فيها من الأسرار والمعتقدات) أي من خير وشر
 وله آمنوا بالله ورسوله) لما ذكر أنواعا من الدلائل الدالة على التوحيد شرع بأمر عباده بالإيمان وبترك الدنيا والاعراض
 بها والنفقة في وجوه البر (قوله دوموا على الإيمان) جواب عما يقال إن الخطاب للمؤمنين ، وحينئذ ففيه تحصيل الحاصل وهذا
 جمة ما قبله لأنه لما ذكر أدلة التوحيد ولا شك أن التفكير فيها يزيد في الإيمان ويوجب الدوام عليه نتج منه الأمر بالدوام
 في الإيمان (قوله من مال من تقدمكم الخ) أي فأنتم خلفا عنم تقدمكم ويصح أن المعنى من الأموال التي جعلكم الله خلفاء
 التصرف فيها فهي في الحقيقة له لآلكم . واعلم أن الأموال في الحقيقة لله (١٦١) تعالى خفف فيها آدم يتصرف

فيها وأولاده خاف عنه
 وحينئذ فالخلافة إما عن
 له التصرف الحقيقي وهو
 الله تعالى أو عن تصرف
 فيها قبله ممن كانت في
 أيديهم وانتقلت لهم وفي
 هذا حث على الانفاق
 وتهوين له على النفس
 فلا ينبغي البخل بمال الغير
 بل ينفقه في الوجوه التي
 تنفعه في المعاد (قوله
 وسيخلفكم فيه من بعدكم)
 أي من المال الذي هو
 بأيديكم سواء كان من

كرسي استواء يليق به (يَعْلَمُ مَا يَلِجُ) يدخل (في الأرض) كالمطر والأموات
 وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا) كالنبات والمعادن (وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ) كالرحمة والعذاب (وَمَا يَرْجُ)
 سعد (فيها) كالأعمال الصالحة والسيئة (وَهُوَ مَعَكُمْ) بعلمه (أَيْنَمَا كُنْتُمْ) والله
 مَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تَرْجِعُ الْأُمُورُ) الموجودات
 فيها (يُؤَيِّجُ اللَّيْلَ) يدخله (في النهار) فيزيد وينقص الليل (يُؤَيِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ)
 يزيد وينقص النهار (وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) بما فيها من الأسرار والمعتقدات
 آمِنُوا) دوموا على الإيمان (بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا) في سبيل الله (مِمَّا جَعَلَكُمْ
 مُتَخَلِّفِينَ فِيهِ) من مال من تقدمكم وسيخلفكم فيه من بعدكم ، نزل في غزوة العسرة وهي
 غزوة تبوك (فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا) إشارة إلى عثمان رضى الله عنه (لَهُمْ أَجْرٌ
 كَبِيرٌ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ) خطاب للكفار: أي لآمانع لكم من الإيمان (بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ
 يَدْعُوكُمْ لَتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ)

ال من تقدمكم أو من مال اكتسبتموه بأنفسكم (قوله وهي غزوة تبوك) بالصرف نظرا للبقعة ومنعه للعلمية والتأنيث وهو
 كان على طرف الشام بينه وبين المدينة أربع عشرة مرحلة وكانت تلك الغزوة في السنة التاسعة بعد رجوعه صلى الله عليه
 وسلم من الطائف وهي آخر غزواته ولم يقع فيها قتال بل لما وصلوا إلى تبوك وأقاموا بها عشرين ليلة وقع الصلح على دفع
 الجزية فرجع صلى الله عليه وسلم بالعز والنصر العظيم وتقدم تفصيلها في سورة براءة (قوله إشارة إلى عثمان) أي فانه جهز
 تلك الغزوة ثلثمائة بعير بأقتابها وأحلاسها وأحمالها وجاء بألف دينار ووضعها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي
 رواية : حمل عثمان في جيش العسرة على ألف بعير وسبعين فرسا وقال في حقه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما على عثمان
 ففعل بعد هذه ، وفي رواية : غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت وما هو كأئن إلى يوم القيامة ما يبالي ما عمل بعدها
 لا خصوصية لعثمان بهذه الإشارة بل غيره بذل فيها جهده (قوله لهم أجر كبير) أي عظيم (قوله وما لكم لا تؤمنون) جملة
 من مبتدأ وخبر و حال ، والمعنى أي شيء ثبت لكم حال كونكم غير مؤمنين (قوله أي لآمانع لكم من الإيمان) أشار بذلك
 إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفي (قوله والرسول يدعوكم) الجملة حالية من الواو في تؤمنون ، والمعنى لآمانع لكم من الإيمان
 حال أن الرسول يدعوكم إليه بالمعجزات الظاهرة والحجج الباهرة (قوله وقد أخذ منكم) الجملة حالية أيضا من

(قوله بضم الهمزة وكسر الخاء) أى ورفع ميثاقكم وتركه لوضوحه (قوله وفتحهما) أى ففتحهما قرأتان سبعيتان (قوله أى أخذه الله الخ) تفسير للقراءتين (قوله أى صريدين الايمان به) جواب عما يقال كيف قال وما لكم لا تؤمنون بالله ثم قال : إن كنتم مؤمنين ويجب أيضا بأن المعنى إن كنتم مؤمنين بموسى وعيسى فإن شريعتهما مقتضية للايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (قوله فبادروا إليه) أشار بذلك إلى أن جواب الشرط محذوف (قوله على عبده) أى وهو محمد صلى الله عليه وسلم (قوله وإن الله بكم لرؤوف رحيم) أى حيث طلبكم للايمان وأقام لكم الحجج على السنة الرسل وأمهلكم (قوله ألا تنفقوا) توبيخ لهم على ترك الانفاق للأمور به بعد توبيخهم على ترك الايمان (قوله في سبيل الله) أى طاعته جهادا أو غيره (قوله والله ميراث السموات والأرض) الجملة الحالية ، والمعنى أى شئ يمنعكم من الانفاق في سبيل الله والحال أن ميراث السموات والأرض له فالدين له ابتداء وانتهاء وإنما جعلكم خفاء لكم أجر الانفاق وعليكم وزر الامساك (قوله لا يستوى منكم الخ) أى لأن الذين أنفقوا من قبل وقتلوا من قبل فعلاوا ذلك قبل عزة الاسلام وعزة أهله فنصروا الدين بأنفسهم وأموالهم وهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار الذين قال فيهم رسول الله « لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » بخلاف من أنفق وقاتل من بعد الفتح فسيحبه وإن كان مشكورا (١٦٢) لا يصل لتلك المزية (قوله من أنفق) هو فاعل لا يستوى والاستواء لا يكون

إلا بين شيتين خرف المقابل لوضوحه والتقدير ومن أنفق من بعد الفتح وهو صادق بكل من آمن وأنفق من بعد الفتح إلى يوم القيامة (قوله لمكة) وقيل هو صلح الحديبية (قوله وكلا) بالنصب مفعول مقدم وقرا ابن عامر بالرفع مبتدأ والجملة بعده خبر والعائد محذوف أى وعده الله ، والمعنى أن كلا ممن آمن وأنفق قبل الفتح ومن آمن وأنفق بعده

بضم الهمزة وكسر الخاء وفتحهما ونصب ما بعدهما (ميثاقكم) عليه: أى أخذه الله في عالم الذر حين أشهدهم على أنفسهم ألت ربكم قالوا بلى (إن كنتم مؤمنين) أى صريدين الايمان به فبادروا إليه (هو الذى ينزل على عبده آيات بيّنات) آيات القرآن (ليخرجكم من الظلمات إلى النور) الكفر (إلى النور) الايمان (وإن الله بكم) فى إخراجكم من الكفر إلى الايمان (أرؤف رحيم) وما لكم) بعد إيمانكم (ألا) فيه إدغام نون أن فى لام لا (تأنفقوا فى سبيل الله والله ميراث السموات والأرض) بما فيهما فيصل إليه أموالكم من غير أجر الانفاق بخلاف ما لو أنفقتم فتؤجرون (لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح) لمكة (وقاتل) أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا من الفريقين ، وفى قراءة بالرفع مبتدأ (وعده الله الحسنى) الجنة (والله بما تعملون خبير) فيجازيكم به (من ذا الذى يقرض الله) يانفاق ماله فى سبيل الله (قرضا حسنا) بأن ينفعه الله (فيضاعفه) وفى قراءة فيضعفه بالتشديد (له) من عشر إلى أكثر من سبعمائة كما ذكر فى البقرة

ومات على الايمان وعده الله الحسنى أى الجنة وإن كانت درجات الأوائل أعلى من درجات الأواخر (قوله من ذا الذى) يحتمل أن من اسم استفهام مبتدأ وذا خبره والذى بدل منه ويحتمل أن من ذا مبتدأ والموصول خبر وقوله يقرض الله الخ صلة الموصول على كلا الاحتمالين وهذا تنزل منه سبحانه وتعالى حيث ملك عباده الأموال من عنده وسبح رجوعها إليه قرضا مع أن العبد وما ملك يده لسيده . قال صاحب الحكم : ومن مزيد فضله عليك أن خلق ونسب إليك (قوله فى سبيل الله) أى طاعته جهادا أو غيره (قوله قرضا حسنا) قال بعض العلماء : القرض لا يكون حسنا حتى يجمع أوصافا عشر وهى : أن يكون المال من الحلال ، وأن يكون من أجود المال ، وأن تصدق به وأنت محتاج إليه ، وأن تصرف صدقتك فى الأحوج إليها ، وأن تكون الصدقة بقدر ما أمكنك ، وأن لا تتبعها بالملق والأذى ، وأن تقصد بها وجه الله ، ولا ترائى بها الناس وأن تستحق ما تعطى وإن كان كثيرا ، وأن يكون من أحب أموالك إليك ، وأن لا ترى عز نفسك وذل الفقير ، فهذه عشر خصال إذا اجتمعت فى الصدقة كانت قرضا حسنا (قوله بأن ينفعه الله) أى خالصا لوجهه لا رياء ولا سمعة (قوله وفى قراءة فيضاعفه الخ) أى وعلى كل من القراءتين فالفعل إما مرفوع عطفا على يقرض أو مستأنف أو منصوب بأن مضمرة وجوبا بعد الفاء الواقعة فى جواب الاستفهام فالقرآت أربع سبعيات .

قوله (وله مع المضاعفة أجر كريم) ظاهر المفسر (١) أن العبد إذا عمل الحسنة نضاعف له إلى سبعمائة ويعطى فوق ذلك أجرا كريما لا يعلم قدره إلا الله تعالى ولكن الذى يظهر أن الأجر الكريم يحصل له في نظير العمل المضاعف وذلك أن المضاعفة تكتب للعبد في الدنيا وتوزن له يوم القيامة ويستوفى أجرها الكريم في الجنة (قوله رضا وإقبال) فاعل مقترن ، والمعنى أنه على ثواب أعماله مع الرضا والإقبال عليه من الله تعالى كما قال - ورضوان من الله أكبر - (قوله اذكر يوم ترى) أشار ملك إلى أن يوم ظرف لمحذوف وهو أحد أوجه أو ظرف لأجر كريم ، والمعنى لهم أجر كريم في ذلك اليوم أو ظرف لسمى بمعنى يسمى نور المؤمنين والمؤمنات يوم تراه (قوله يسمى نورهم) الجملة حالية لأن الرؤية بصرية وهذا إذا لم يجعل عاملا يوم (قوله بين أيديهم) أى على الصراط (قوله ويكون بأيديهم) قدر يكون دفعا لما قد يتوهم من تسليط يسمى عليه به يكون النور في جهاته بعيدا عنه ، والمراد بالإيمان جميع الجهات فعبر بالبعض عن الكل قال عبد الله بن مسعود : يؤتون رهم على قدر أعمالهم ، فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة ، ومنهم من يؤتى نوره كالرجل القائم وأدناهم نورا من نوره على إسمائه بطفأ مرة ويتقد أخرى ، وقال قتادة : ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من المؤمنين من يضيء نوره إلى سدن وصنعا ودون ذلك حتى إن من المؤمنين من لا يضيء نوره إلا موضع قدمه (قوله ويقال لهم) أى تقول الملائكة الذين يتلقونهم بشراكم اليوم أى بشارتكم العظيمة في جميع ما يستقبلكم (١٦٣) إلى غير نهاية (قوله أى دخولها) أشار بذلك إلى أن قوله جنات خبر بشراكم على حذف مضاف (قوله ذلك هو الفوز العظيم) أى الجنة وما فيها من النعيم المقيم (قوله يوم يقول المنافقون) بدل من يوم ترى (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعة أيضا ثم يحتمل أن القراءة الأولى بمعنى هذه لأنه يقال نظره بمعنى انتظره وذلك لأنه يسرع بالمؤمنين

(وَلَهُ) مع المضاعفة (أَجْرٌ كَرِيمٌ) مقترن به رضا وإقبال . اذكر (يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ) أمامهم (و) يكون (بِأَيْمَانِهِمْ) ويقال لهم (بُشْرَايَكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ) أى دخولها (تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ. يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا) أبصرونا وفى قراءة بفتح الهمزة وكسر الظاء : أمهلونا (نَقْتَبِسْ) نأخذ القبس والإضاءة (مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ) لهم استهزاء بهم (ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا) فرجعوا (فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ) وبين المؤمنين (بُيُوتٍ) قيل هو سور الأعراف (أَلَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ) من جهة المؤمنين (وَوَظَاهِرُهُ) من جهة المنافقين (مِنْ قِبَلِهِ الذَّابُّ ينادونهم ألم نكن معكم) على الطاعة (قَالُوا بَلَى وَكُنَّا لَهُمْ نَاصِرِينَ) بالنفاق (وَتَرَبَّصْتُهم) بالمؤمنين الدوائر (وَأَرْبَبْتُمْ) شككتم فى دين الاسلام (وَعَرَّيْتُمْ الْأَلَمَ فِي) الأطماع (حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ) الموت (وَعَرَّيْتُمْ بِاللَّهِ

الخاصين إلى الجنة على نجب فيقول المنافقون انظرونا لأننا مشاة لانستطيع لحوقكم ويحتمل أن يكون من النظر وهو الابصار كما قال المفسر وذلك لأنهم إذا نظروا إليهم استقبلوهم بوجوههم فيضئ لهم المكان (قوله أمهلونا) أى تمهلوا لنا لنندرككم (قوله ارجعوا وراءكم) أى إلى الموقف أو الدنيا أو المعنى ارجعوا خائبين لاسبيل لكم إلى نورنا وهذا استهزاء بهم وذلك لأنهم لا يستطيعون الرجوع إلى الموقف ولا إلى الدنيا (قوله فضرب بينهم بيوت) الفعل مبنى للمفعول وبسور نائب الفاعل والباء زائدة (قوله قيل هو سور الأعراف) وقيل حائط يضرب بين الجنة والنار موصوف بما ذكر، وقيل هو كناية عن حجبهم عن النور الذى يعطاه المؤمنون (قوله له باب) الجملة صفة لسور وقوله باطنه فيه الرحمة صفة ثانية له أيضا ويجوز أن تكون فى موضع رفع صفة لباب وهو أولى لقربه (قوله ينادونهم) جملة مستأنفة ، والمعنى ينادى المنافقون المؤمنين ألم نكن معكم نصلى كما تصالون ونطيع كما تطيعون (قوله قالوا بلى) أى كنتم معنا فى الظاهر (قوله ولكنكم فتنم أنفسكم) أى أهلكتموها (قوله بالنفاق) أى والمعاصى والشهوات (قوله الدوائر) أى الحوادث (قوله حتى جاء أمر الله) قرئ

(١) قول الحشى ظاهر المفسر الخ هكذا فى نسخة وفى نسخة قوله : وله مع المضاعفة أجر كريم فإن العبد إذا عمل الحسنة نضاعف له فى الجزاء عشر إلى سبعمائة إلى أضعاف كثيرة على حسب إخلاصه فى العمل ويعطى فوق ذلك أجرا كريما وهو رضا الله ورؤية وجهه ، حققنا الله بذلك .

في السبع باسقاط الهمزة الأولى مع المد والتصر وتسهيل الثانية مع تحقيق الأولى وبتحقيقهما فالتقراآت أربع سبعيات (قوله الفرور) بفتح الفين هو الشيطان كما قال المفسر وقرى بالضم شذوذا وهو مصدر بمعنى الاغترار بالباطل (قوله فاليوم) الظرف متعلق بؤخذ (قوله بالياء والتاء) أي فهما سبعيتان (قوله ولا من الذين كفروا) عطف الكافرين على المنافقين لتغايرهم في الظاهر (قوله هي مولاكم) يجوز أن يكون مصدرا أي ولايتكم أي ذات ولايتكم وأن يكون مكانا أي مكان ولايتكم وأن يكون بمعنى أولى أي هي أولى بكم وهو الذي اقتصر عليه المفسر ويصح أن يكون بمعنى ناصركم أي لناصر لكم إلا النار وهو نهكم بهم (قوله ألم بأن للذين آمنوا إلخ) العامة على سكون الهمزة وكسر النون مضارع أني يأتي كرمي مجزوم بحذف حرف العلة، والمعنى ألم بأن أو أن الحشوع والخضوع لقلوب الذين آمنوا وحينئذ فالذي ينبغي لهم الاقبال على شأنهم وتركهم ما لا يعنيههم وقرى شذوذا بكسر الهمزة وسكون النون مضارع أن كباع فلما جزم سكن وحذفت عينه لالتقاء الساكنين، إذا علمت ذلك فقول المفسر يحن حل معنى لاجل إعراب وإلا فهو يناسب القراءة الشاذة لأنه من حان يحين كباع يبيع فهو مجزوم بالسكون ومعنى حان قرب وقته (قوله لما أكثروا المزاح) أي بسبب لين العيش الذي أصابوه في المدينة وذلك لأنهم لما قدموا المدينة أصابوا من لين العيش ورفاهيته ففتروا (١٦٤) عن بعض ما كانوا عليه فعوتبوا على ذلك وهذا محمول على فرقة قليلة فرحوا

بمظاهر الدنيا فحصل منهم المزاح والمزل فعوتبوا عليه، وأما غلبهم كأبي بكر وأضرابه فقامهم بحل عن ذلك (قوله أن تخشع قلوبهم) أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر فاعل بأن أي ألم يقرب خشوع قلوبهم (قوله بالتخفيف) أي وضمير نزل عائد على القرآن وقوله والتشديد أي والضمير عائد على الله تعالى والعائد محذوف تقديره نزله والقراءتان سبعيتان وقوله

الفرور) الشيطان (فاليوم لا يؤخذ) بالياء والتاء (منكم فدية ولا من الذين كفروا) مأويكم النار هي موليكم) أولى بكم (وبئس المصير) هي (ألم بأن) يحن (الذين آمنوا) نزلت في شأن الصحابة لما أكثروا المزاح (أن تخشع قلوبهم) لذكر الله وما نزل بالتخفيف والتشديد (من الحق) القرآن (ولا يكونوا) معطوف على تخشع (كالذين أوتوا الكتاب من قبل) هم اليهود والنصارى (فطال عليهم الأمد) الزمن بينهم وبين أنبيائهم (فقتل قلوبهم) لم تان لذكر الله (وكثير منهم فاسقون) أعلموا خطاب للمؤمنين المذكورين (أن الله يحيي الأرض بعد موتها) بالنبات فكذلك يفعل بقلوبكم يردّها إلى الخشوع (قد بينّا لكم الآيات) الدالة على قدرتنا بهذا وغيره (أعلكم تمقلون) إن المصدقين) من التصديق أدغمت التاء في الصاد: أي الذين نصدقوا (والمصدقات) اللاتي تصدقن وفي قراءة بتخفيف الصاد فهما من التصديق الإيمان (وأقرضوا الله قرضاً حسناً) راجع إلى الذكور والإناث بالتغليب وعطف الفعل على الاسم في صلة أل لأنه فيها حل محل الفعل،

بمظاهر الدنيا فحصل منهم المزاح والمزل فعوتبوا عليه، وأما غلبهم كأبي بكر وأضرابه فقامهم بحل عن ذلك (قوله أن تخشع قلوبهم) أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر فاعل بأن أي ألم يقرب خشوع قلوبهم (قوله بالتخفيف) أي وضمير نزل عائد على القرآن وقوله والتشديد أي والضمير عائد على الله تعالى والعائد محذوف تقديره نزله والقراءتان سبعيتان وقوله

من الحق بيان لما (قوله معطوف على تخشع) أي ولانافية ويصح أن تكون لانهية فيكون انتقالاً إلى نهيم عن التشبه بمن تقدمهم فان الدوام على المزاح ربما أدى لذلك (قوله الكتاب) أل فيه للجنس الصادق بالتوراة والإنجيل (قوله فطال عليهم الأمد) قرأ العامة بتخفيف دال الأمد ومعناه الزمن وقرأ غيرهم بتشديدها وهو الزمن الطويل (قوله لم تان لذكر الله) أي لم تخضع ولم تذلل (قوله وكثير منهم فاسقون) أي خارجون عن طاعة الله وطاعة نبيهم والقليل متمسك بشرع نبيه وهذا الاخبار عنهم قبل ظهوره صلى الله عليه وسلم، وأما بعد ظهوره فكل من لم يؤمن به فهو فاسق خارج عن طاعة الله تعالى (قوله خطاب للمؤمنين المذكورين) أي الذين عوتبوا في شأن المزاح كأن الله تعالى يقول لهم: يا عبادي لا تقنطوا من رحمتي فان شأنى إحياء الأرض الميتة بالنبات فكذلك إذا حصل منكم الانابة والرجوع أحييت قلوبكم بالذكر والفكر فأنبئت العلوم والمعارف (قوله بهذا) أي كونه يحيي الأرض بعد موتها وقوله وغيره أي من الأمور العجيبة الدالة على باهر قدرته تعالى (قوله أدغمت التاء في الصاد) أي بعد قلبها (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا (قوله راجع إلى الذكور والإناث) أي فهو معطوف على مجموع الفعلين لاعلى الأول فقط لما يلزم عليه من العطف على الصلة قبل تمامها (قوله في صلة أل) الجملة متصلة للاسم أي الاسم السكّان في صلة أل وقوله فيها متعاقب محل وهذا من قبيل قول ابن مالك: واضطف على اسم شبه فعل فعلا إلخ

(قوله وذكر القرض الخ) جواب عما يقال إن قوله المصدقين على قراءة التشديد يفنى عنه لأن المراد بالقرض الصدقة . فأجاب بأنه ذكره توطئة لوصفه بالحسن فقوله تقييد له أى للتصدق بوصف القرض وهو الحسن (قوله يضاعف لهم) أى يكتب لهم فى صحفهم الحسنة بعشرة إلى سبعمائة إلى غير ذلك (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعة أيضا (قوله ولهم أجر كريم) أى فى نظير عملهم المضاعف (١) (قوله والذين آمنوا) مبتدأ أول وأولئك مبتدأ ثان وهم إما ضمير فصل أو مبتدأ ثالث والصديقون خبر الثالث وهو وخبره خبر الثانى وهو وخبره خبر الأول (قوله أولئك هم الصديقون) أى الموصوفون بالإيمان بالله ورسوله والمراد بالإيمان الكامل والإفجاء الإيمان لا يسمى الشخص به صديقا لأن الصديقية مرتبة تحت مرتبة النبوة (قوله والشهداء) يحتمل أن يكون معطوفا على ما قبله فالوقف تام على قوله الشهداء ويكون أخبر عن الذين آمنوا بأنهم صديقون شهداء وقوله عند ربهم ظرف متعلق بقوله بعد ثم أجرهم ويحتمل أن يكون مبتدأ وخبره إما الظرف بعده أو جملة لهم أجرهم (قوله النار) أى فراده بالجحيم دار العذاب لا خصوص الطبقة المسماة بالجحيم (قوله اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب الخ) لما ذكر الآخرة وأحوال الخلق فيها شرع يزهدهم فى الدنيا لأنها قليلة النفع سريعة الزوال (قوله لعب) أى يتعب الناس فيها أنفسهم جدا كأنعاب الصبيان أنفسهم فى اللعب من غير فائدة (قوله وهو) أى شغل عن الآخرة (قوله وزينة) أى ما يزين به من اللباس والحلى ونحوهما (قوله وتفاخر بينكم) أى مفاخرة (١٦٥) حاصلة فيما بينكم والعامية على

تسوين تفاخر وقرى شدوذا باضافته إلى الظرف بعده (قوله أى الاشتغال فيها) أشار بذلك إلى أن قوله أنما الحياة الدنيا مبتدأ على حذف مضاف والتقدير إنما الاشتغال بالحياة الدنيا لعب الخ فالشغل بها دائر بين هذه الأمور الخمسة . قال على كرم الله وجهه لعمار بن ياسر : لا تحزن على الدنيا فان الدنيا ستة أشياء

وذكر القرض بوصفه بعد التصديق تقييد له (يُضَاعَفُ) وفى قراءة يضاعف بالتشديد: أى قرضهم (لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ) وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّٰدِقُونَ (المبالغون فى التصديق) وَالشَّهَادَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ) على المكذبين من الأمم (لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا) الدالة على وحدانيتنا (أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ) النار (أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ) تزيين (وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ) أى الاشتغال فيها . وأما الطاعات وما يعين عليها فمن أمور الآخرة (كَمَثَلِ) أى هى فى إعجابها لكم واضمحلالها كمثل (غَيْثٍ) مطر (أَعْجَبَ الْكَفَّارَ) الذراع (نَبَاتُهُ) الناشئ عنه (ثُمَّ يَصْبِحُ) يابس (فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا) فتاتا يضمحل بالرياح (وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ) لمن آثر عليها الدنيا (وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ) لمن لم يؤثر عليها الدنيا (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا) ،

ما كول ومشروب وملبوس ومشوم ومركوب ومنكوح ، فأحسن طعامها العسل وهو بزقة ذبابة ، وأكثر شرابها الماء وهو يستوى فيه جميع الحيوان ، وأفضل ملبوسها الديباج وهو نسج دودة ، وأفضل مشمومها المسك وهو دم فأرة ، وأفضل المركوب الفرس وعابها نقتل الرجال ، وأما المنكوح فهو النساء وهن مبال فى مبال (قوله كمثل غيث) يحتمل أن يكون خبرا سادسا لأن ويحتمل أن يكون خبرا لمحدوف وعليه اقتصر المفسر والمثل بمعنى الصفة والمعنى صفتها كصفة غيث الخ (قوله مطر) أى حصل بعد جذب ويأس (قوله الزراع) إنما سموا كفارا لأنهم يسترون الأرض بالزراع بسبب الحرث والبذر كما سعى من ستر الإيمان بالطغيان والجحد كفرا ويصح أن يبقى الكفار على حقيقة ذلك لأن الكفار يفتخرون ويعجبون فى السراء ويسخطون فى الضراء فإذا كانوا زراعا افتخروا بالزراع إذا ظهر وسخطوا إذا ضاع فصفة الدنيا كصفة كفار زراع تعبوا فى الأرض وحرثوها وبذروها فظهر زرعها وفرحوا به وفرح بطر وخيلاء ثم يحسف بعد خضرته ونضارته فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وعبرة المفسر محتملة للعينين لأن قوله الزراع يحتمل أن يكون تفسيرا للكفار أو صفة لهم (قوله يابس) تفسيرا ليجوع والحامل له على ذلك تفرع قوله فتراه مصفرا عليه وإلا فيهيج معناه فى اللمة يطول جدا (قوله وفى الآخرة عذاب شديد) لما ذكر أحوال الدنيا الزائلة ذكر ما يكون عقب زوالها وقسمه لى قسمين عذاب شديد ومغفرة ورضوان وفى الآية بشارة عظيمة حيث قابل العذاب بشيئين المغفرة والرضوان

(١) قول المحتج : أى فى نظير عملهم المضاعف فى نسخة : أى فوق عملهم المضاعف .

فهو من باب « لن يغلب عسر يسرين » (قوله ما التمتع فيها) أشار بذلك إلى أن قوله : وما الحياة الدنيا مبتدأ على حذف مضاف (قوله إلامتاع الغرور) هو بالضم ما اغتربه الشخص من متاع الدنيا (قوله سابقوا إلى مغفرة من ربكم) أي سارعوا مسارع المتسابقين إلى ما يوجب المغفرة وهي التوبة من الذنوب وإلى ما يوجب الجنة وهو فعل الطاعات (قوله كعرض السماء والأرض) أي أن السموات السبع والأرضين السبع لوجعت صفائح وألحق بعضها إلى بعض لكان عرض الجنة في عرض جميعها . قال ابن عباس : يريد أن لكل واحد من المطيعين جنة بهذه السعة ، وقيل إن ذلك تمثيل للعباد بما يعقلونه ويعرفونه وأكثر ما يقع في نفوسهم مقدار السموات والأرض فشبه عرض الجنة بما تعرفه الناس . روى أن جماعة من اليهود سألوا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالوا له : إذا كانت الجنة عرضها ذلك فأين النار ؟ فقال لهم أرايتم إذا جاء الليل أين يكون النهار وإذا جاء النهار أين يكون الليل ؟ فقالوا إن مثلها في التوراة (قوله والعرض السعة) جواب عما يقال إنه ذكر العرض ولم يذكر الطول ، فأجاب المفسر بأنه لم يرد بالعرض ما قابل الطول بل أراد به السعة . وأجيب أيضا بأنه ترك ذكر الطول تعظيما لشأنها لأنه إذا كان هذا شأن العرض فالطول أعظم لأن العرض أقل من الطول (قوله ذلك فضل الله) أي الموعود به من المغفرة والجنة (قوله من مصيبة من زائدة في فاعل أصاب وعهد زيادتها حيث وقعت في جملة منفية ومجرورها نكرة (قوله في الأرض) يصح أن يكون متعلقا بأصاب أو محذوف صفة لمصيبة أو بنفس مصيبة (قوله بالجذب) أي وغيره كالعاقة والزلزلة (قوله إلا في كتاب) حال من مصيبة لتخصها بالوصف ، والذي (١٦٦) إلا مكتوبة في كتاب (قوله من قبل أن نبرأها) الضمير عائد على المصيبة (قوله

ويقال في النعمة كذلك) أي ما حصل للخلق نعمة في الأرض كالمطر ولا في أنفسكم كالصحة والولد إلا مكتوبة في اللوح المحفوظ من قبل أن يخلقها الله وأشار المفسر بهذه العبارة إلى أن في الآية حذف الواو مع ما عطفت بدليل التعليل الآتي في قوله - لكيلا تأسوا على

ما التمتع فيها (إلا تمتاع الغرور) . سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنته عرضها كعرض السماء والأرض) لو وصلت إحداها بالأخرى ، والعرض السعة (أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم . ما أصاب من مصيبة في الأرض) بالجذب (ولا في أنفسكم) كالمريض وفقد الولد (إلا في كتاب) يعني اللوح المحفوظ (من قبل أن نبرأها) نخلقها ويقال في النعمة كذلك (إن ذلك على الله يسير . إكميلا) كي ناصبة لامل بمعنى أن : أي أخبر تعالى بذلك أملا (تأسوا) تحزنوا (على ما فاتكم ولا تفرحوا) فرح بطر بل فرح شكر على النعمة (بما آتاكم) بالمد أعطاكم وبالقصر جاءكم منه (والله لا يحب كل مختل) متكبر بما أوتي (نخور) به على الناس (الذين يبخلون)

ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم - و يصح أن يراد بالمصيبة جميع الحوادث من خير وشر وعلى مامشى عليه المفسر من أن المراد بالمصيبة الشر غصها بالذكر لأنها أهم على البشر (قوله إن ذلك على الله يسير) أي سهل لا مشقة فيه ولا تعب بل هو بقول كن (قوله كي ناصبة للفعل) أي بنفسها لدخول اللام عليها ولذا قال بمعنى أن (قوله أي خير تعالى) أشار بذلك إلى أن اللام حرف جر متعلقة بمحذوف (قوله تأسوا) مضارع منصوب بحذف النون والواو فاعل وأصله : سيون تحركت الياء وانفتح ما قبلها قلبت ألفا فصار تأساون فالتقى سا كنان الألف والواو التي هي الفاعل حذفت الألف لالتقاء الساكنين فصار وزنه تنعون ومصدره أسى وفعله أسى كجوى جوى ، فتقول بعض النحاة والتقدير لأجل عدم إساءة تكم صوابه أساكم لأن مصدره أسى لإساءة (قوله تحزنوا) أي حزنا يوجب القنوط وإلا فالحزن الطبيعي لا ينفك عنه الإنسان كالفرح الطبيعي (قوله بل فرح شكر على النعمة) أي فالله من الحزن الموجب للجزع والقنوط والفرح الموجب للبطر والأشعر وعدم شكر النعمة ، وأما الفرح والحزن الطبيعيان فلا يحصى للشخص عنهما ، ولكن يسلم أمره الله ويرجع في جميع أموره لما لا يملكه وسيده ، فالمتصور من هذه الآية بيان أن الخير والشر بيد الله مقدر كل منهما في الأزل يجب الرضا به (قوله بما آتاكم) أي لأنه مقدر لكم (قوله وبالتصر) هاء قرأتان سبعيتان (قوله جاءكم منه) أي من الله (قوله كل مختل) أي معجب بنعم الله عليه (قوله بما أوتي) أي من النعم (قوله نخور به على الناس) أي كثير الفخر بما أعطيه من النعم على الناس (قوله الذين يبخلون) مبتدأ خبره محذوف قدره المفسر بقوله لهم وعيد شديد ، ويصح أن يكون خبرا محذوف تقديره هم الذين يبخلون أو بدل من

وله كل محال ظور (قوله بما يجب عليهم) أى من المال كزكاة وكفارة ومن تعليم العلم ونشره ومن بيان صفة النبي صلى
عليه وسلم التى هى فى الكتب القديمة (قوله ويأمرون الناس) أى من يعرفونه (قوله ومن يشول) أى يعرض ومن
برطية وجوابه محذوف تقديره فالوبال عليه (قوله وفى قراءة بسقوطه) أى وهى سبعة أيضا وهى تعين أنه ضمير فصل إذ لو صح
أن يجعل ضميرا منفصلا لما حسن إسقاطه من غير دليل لأنه عمدة (قوله الغنى) أى المستغنى عما سواه (قوله الحديد لأوليائه)
المتقى عليهم بالإحسان المنعم عليهم بجزيل الانعام (قوله لقد أرسلنا) اللام موطئة لقسم محذوف: أى والله لقد أرسلنا الخ
قوله الملائكة إلى الأنبياء) تبع فى ذلك الزمخشري ولم يسبقه إليه أحد، والحامل له على ذلك التفسير تصحيح المعية فى قوله
نزلنا معهم الكتاب لأن الكتاب إنما نزل مع الملائكة، والمناسب أن يفسر الرسل بالبشر كما عليه الجمهور لأنه لم ينزل
لكتب والأحكام على الرسل إلا جبريل فقط وحينئذ فقوله معهم ظرف متعلق بمحذوف حال منتظرة، والتقدير وأنزلنا الكتاب
مال كونه آيلا وصائرا لأن يكون معهم إذا وصل إليهم أو مع بمعنى إلى (قوله العدل) أى فليس المراد بالميزان حقيقة فقط
ما يشمله وغيره، والمراد بالعدل التوسط فى الأمور فلا يحصل منهم تفریط ولا إفراط (قوله ليقوم الناس بالقسط) علة لإرسال
رسل وإزال الكتاب والميزان (قوله أخرجناه من المعادن) هذا أحد قولين فى تفسير الانزال والآخر إبقاؤه على حقيقة
ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: نزل آدم من الجنة معه خمسة (١٦٧) أشياء من حديد، وروى

من آلة الحدادين السندان
والسكابتان والميعة
والطرقة والإبرة، وروى
ومعه المبرد والمسحاة،
وروى عن ابن عمر قال:
قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم «أنزل الله تعالى
أربع بركات من السماء
الحديد والنار والماء
والماح» وعن ابن عباس
أيضا قال: أنزل الله ثلاثة
أشياء مع آدم الحجر
الأسود وعصا موسى

بما يجب عليهم (وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ) به لهم وعيد شديد (وَمَنْ يَتَزَلَّ) عما يجب
عليه (فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ) ضمير فصل وفى قراءة بسقوطه (الغنى) عن غيره (الحديد) لأوليائه
(لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا) للملائكة إلى الأنبياء (بِالْبَيِّنَاتِ) بالحجج القواطع (وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ
الْكِتَابَ) بمعنى الكتب (وَالْمِيزَانَ) العدل (لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ) وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ
أَخْرَجْنَاهُ مِنَ الْمَعَادِنِ (فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ) يقاتل به (وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلَئِمٌّ لِّمَنْ أَلَمَ اللَّهُ) علم
مشاهدة معطوف على ليقوم الناس (مَنْ يَنْصُرْهُ) بأن ينصر دينه بآلات الحرب من الحديد
وغيره (وَرُسُلُهُ بِالْغَيْبِ) حال من هاء ينصره أى غائبا عنهم فى الدنيا قال ابن عباس
ينصرونه ولا يبصرونه (إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ) لاجابة له إلى النصرة لكنها تنفع من يأتى بها
(وَأَنْزَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ) يعنى الكتب
الأربعة التوراة والإنجيل والزيور والفرقان فإنها فى ذرية إبراهيم (فَمِنْهُمْ مُّسْتَدِرٌّ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ

والحديد اه. والسندان بكسر السين وفتحها والسكابتان آلة يؤخذ بها الحديد المحمى والميعة المبرد (قوله فيه بأس شديد) الجملة
حالية من الحديد (قوله يقاتل به) أى فممنه الترس وممنه السلاح ونحو ذلك (قوله ومنافع للناس) أى فممن صنعة لإلا والحديد له
دخل فى آلتها (قوله علم مشاهدة) أى للخلاق والمعنى ليظهر متعلق علمه لعباده فاندفع ما يقال إن هذا التعليل يوهم حدوث العلم
مع أنه قديم (قوله معطوف على ليقوم) أى لكن المعطوف عليه علة للإرسال والانزال والمعطوف علة لانزال الحديد وفى الحقيقة
قوله ليعلم علة للثلاثة (قوله بآلات الحرب الخ) إنما خص النصر بذلك لكون المقام والسياق يقتضيه (قوله من هاء ينصره)
أى الواقعة على الله تعالى (قوله غائبا عنهم) أى متحجبا بجلاله وعظمته (قوله ولا يبصرونه) أى فى الدنيا فإن رؤيته تعالى فى الدنيا
لم تثبت إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله لاجابة له إلى النصرة) أى وإنا هو سعادة لمن يحصل النصر على يديه وشقاوة
لمن لم يحصل (قوله لكنها تنفع من يأتى بها) أى فتففع التكاليف عائد على ذوات المكافين. قال تعالى - إن أحسنتم أحسنتم
لأنفسكم - (قوله وأند أرسلنا نوحا الخ) معطوف على قوله - لقد أرسلنا رسلنا - وكرر القسم إظهارا للمزيد الاعتناء والتعظيم
وخص هذين الرسولين بالذكر لأن جميع الأنبياء من ذريتهما وذلك لأن نوحا هو الأب الثانى لجميع البشر وإبراهيم أبوالعرب
والروم ونبي إسرائيل (قوله يعنى الكتب الأربعة) أشار بذلك إلى أن آل فى الكتاب للجنس وخص هذه الأربعة لأنها
أصول الكتب (قوله والفرقان) فى نسخة القرآن (قوله فمنهم مهتد) أى من الذرية أو من المرسل إليهم .

(قوله فاسقون) أي كفرون بدليل مقابله بمهتد (قوله ثم قفينا على آثارهم) الضمير عائدا على نوح وإبراهيم ومن عاصى من الرسل ولبس عائدا على الذرية فان الرسل المقف بهم من جملة الذرية ، والمعنى ثم أتبعنا رسولا بعد رسول حتى انتهينا عيسى عليه السلام (قوله وقفينا بعيسى) أي جعلناه تابعا لهم ومتأخرا عنهم في الزمان وخصه بالذكر للرد على اليهود المنكرين لنبوته ورسالاته (قوله وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه) أي من الخوارج وغيرهم (قوله رافة ورحة) أي شدة لين وشفقة (ورهبانية) يصح أن يكون بالنصب عطفا على رافة وجملة ابتدعوها صفة لرهبانية وجعل إماما معني خلق أوصير وذلك لأن الرافة والرحمة أمر غريزي لا ينكسب للانسان فيه بخلاف الرهبانية فانها من أفعال البدن والانسان فيها تنكسب ويصح أن تنكسب منسوبة بفعل مقدر يفسره الظاهر فهو من باب الاشتغال (قوله هي رفض الفساء الخ) أي المبالغة في العبادة والرياضة والانقطاع عن الناس والتكشف في المأكل والملبس والشرب مع التقليل من ذلك ، روى عن ابن عباس قال : كانت ملوك بعد عيسى ع السلام بدلوا التوراة والانجيل ، وكان فيهم جماعة مؤمنون يقرءون التوراة والانجيل ويدعونهم إلى دين الله ، فقبل ملوك لوجههم هؤلاء الذين شقوا عليكم فقتلتموهم وأدخلوا فيما نحن فيه فجمعهم ملكهم وعرض عليهم القتل أو يتركوا قراءة التوراة والانجيل إلا ما بدلوا منها ، فقالوا ما تريدون منا إلا ذلك دعونا نحن نكفيكم أنفسنا ، فقالت طائفة منهم ابنوا لنا أسطوانة ارفعونا فيها ثم أعطونا شيئا نرفع به طعامنا وشرابنا فلا نرتد عليكم ، وطائفة قالت دعونا نسيح في الأرض ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش فإن قدرتم علينا في أرضكم فاقتلونا ، وقالت طائفة ابنوا لنا دورا في الفيافي ونحتفر الآبار ونحترث البقول ولا نرتد على ولا نمر بكم وليس أحد من القبائل (١٦٨) إلا وله حميم فيهم . قال ففعلوا ذلك فمضى أولئك على منهاج عيسى وخ

قوم من بعدهم ممن غيروا الكتاب فجعل الرجل يقول نكون في مكان فلان نتعبد فيه كما تعبد فلان ونسيح كما سيح فلان وتتخذ دورا كما اتخذ فلان وهم على شركهم لا علم لهم بإيمان الذين اقتدوا بهم

فَاسِقُونَ . ثُمَّ قَفَيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ رُسُلَنَا وَقَفَيْنَا بِمِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَافَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً هِيَ رَفُضُ النِّسَاءِ وَاتِّخَاذُ الصَّوَامِ (أَبْتَدَعُوهَا) مِنْ قَبْلِ أَنْفُسِهِمْ (مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ) مَا أَمَرْنَا بِهِمْ (إِلَّا) لَكِنْ فَعَلُوهُ (ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ) مَرْضَاةِ (اللَّهِ) فَمَارَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا (إِذْ تَرَكْنَا كَثِيرًا مِنْهُمْ وَكَفَرُوا بِدِينِ عِيسَى وَدَخَلُوا فِي دِينِ مَلِكِهِمْ وَبَقِيَ عَلَى دِينِ عِيسَى كَثِيرٌ مِنْهُمْ فَأَمْنُوا بِنَبِيِّنَا) (فَأَتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا) بِهِ (مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) بِعِيسَى

فذلك قوله تعالى - ورهبانية ابتدعوها - أي ابتدعها الصالحون - فمارعوها حق رعايتها - (انقوا) يعني الآخرين الذين جاءوا من بعدهم - فأتينا الذين آمنوا منهم أجرهم - يعني الذين ابتدعوها ابتغاء رضوان الله - وكثير منهم فاسقون هم الذين جاءوا من بعدهم فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم ولم يبق منهم إلا القليل انحط رجل من صومعته وجاء سائح من سياحه وصاحب دير من ديره فآمنوا به وصدقوه فقال تعالى فيهم - يا أيها الذين آمنوا انقوا الله - الخ انتهى - (قوله إلا لكن) أي المفسر إلى أن الاستثناء منقطع وإلى هذا ذهب جماعة ، وقيل إن الاستثناء متصل من عموم الأحوال ، والمعنى ما كتبناها عليهم من الأشياء إلا لابتغاء مرضاة الله ويكون كتب بمعنى قضى (قوله فمارعوها حق رعايتها) أي ما قاموا بها حق القيام بل غلوا في دينهم غير الحق وقالوا بالتثليث وكفروا بدين عيسى من قبل ظهور محمد (قوله فأتينا الذين آمنوا به) أي بنينا وقوله وكثير منهم : أي من هؤلاء الذين ابتدعوها وضيعوها (قوله فاسقون) أي لم يؤمنوا بنينا بل داموا على الكفر والقول بالتثليث واقتدى بهم أمة بعدهم إلى نزول عيسى عليه السلام فيمحوه وما مشى عليه المفسر خلاف ما نفيد من رواية ابن عباس المتقدمة فان مقتضاها حمل قوله فأتينا الذين آمنوا على من آمن بعيسى وقوله وكثير منهم فاسقون على من غير وبدل قبل بعثة نبينا وهم الذين لم يرعوها حق رعايتها فتدبر (قوله يا أيها الذين آمنوا الخ) لما قدم أن أمة عيسى بعد رفعه إلى السماء افرقوا فمنهم من تمسك بالرهبانية الصحيحة وداما عليها إلى أن ظهر محمد صلى الله عليه وسلم ومنهم من غير وبدل شرع يبين المطلوب منهم بعد ظهوره صلى الله عليه وسلم (قوله آمنوا بعيسى) هذا أحد قولين للمفسر ويشهد له سياق الكلام والثاني أن الخطاب عام لكل من آمن بالرسول المتقدمين فيشمل المؤمنين بعيسى وعن قبله من الرسل . إن قلت إن هذا ظاهر فيمن كانت ملتهم صحيحة ففسخت بآية محمد صلى الله عليه وسلم ، وأما فيمن نسخت بآية عيسى كاليهود فلا تظهر إنابتهم على التمسك بها . أجيب بأن إنابتهم على تلك الملة المنسوخة من خصائص دخولهم في ملة الإسلام ولما

بكتابتنا وكتابتكم ومن
لم يؤمن منا بكتابتكم فله
أجر كأجركم فبأي شيء
فضلتم علينا فزلت هذه
الآية ردا عليهم (قوله أي
أعلمكم بذلك الخ) أشار
بذلك إلى أن لازادة
واللام متعلقة بمحذوف
والعنى إن تتقوا وتؤمنوا
برسوله يؤتكم كفلين
ليعلم أهل الكتاب عدم
قدرتهم على شيء من
من فضل الله وأن الفضل
بيد الله (قوله والمعنى أنهم
لا يقدرُونَ على شيء من
فضل الله) أي لا يمكنون

(سورة المجادلة)

مدنية، ثنتان وعشرون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ) تَوَاجَعُكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ
(فِي زَوْجِهَا) الْمَظَاهِرُ مِنْهَا ،

ولا يتصرفون فيه بحيث يحملونه لأنفسهم ويمنعونهم ومن جملة فضل الله الكفلان والمغفرة والنور (قوله خلاف) بالرفع
خبر المحذوف أي وعدم قدرتهم خلاف أي مخالف لما في زعمهم (قوله وأن الفضل بيد الله) معطوف على قوله أن لا يقدر
(قوله يؤتية من يشاء) جملة مستأنفة أو خبر ثان لأن .

[سورة المجادلة] هي في الأصل المحاوراة في الكلام والمبالغة فيه بحق أو باطل، والمراد هنا المحاوراة في الكلام لطلب الفرج من الله على لسان رسوله فإن تلك نظرة أصابها من ألم الفراق ما حملها على أكثر الكلام مع رسول الله وترديد الكلام معه (قوله مدنية) أي كلها وهو قول الجمهور، وقيل مدنية لإقواله تعالى: ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم نزلت بمكة، وقيل غير ذلك، وهذه السورة أول النصف الثاني من القرآن باعتبار عدد سورته وأول عشره الأخير باعتبار أجزائه وليس فيها آية إلا وفيها ذكر الجلالة مرة أو مرتين أو ثلاثاً، وجملة ما فيها من الجلالات خمس وثلاثون، ومن فوائدها أن تكتب حجاباً للقرينة ويجعل ما فيها من الجلالات سطوراً وسطاً كهيئة النقطة الحمراء التي تجعل وسط القصيد ويكون حملها قبل نفخ الروح في الجنين وبعد الولادة تنقل إليه (قوله قد سمع الله الخ) تدل على التحقيق والمراد بسماع قولها إجابة مطلوبها بأن أنزل حكم الظاهر على ما يوافق مرادها (قوله في زوجها) أي شأنه

[٢٢ - صاوي - رابع]

(قوله وكان قال لها أنت علي كظهر أمي) شروع في سبب نزول هذه الآيات وأجل المفسر في القصة. وحاصلها تفصيلا «أنه روي أنها كانت حسنة الجسم فدخل عليها زوجها مرة فرآها ساجدة في الصلاة فنظر إلى عجيزتها فأعجبه أمرها ، فلما انصرفت من الصلاة طاب وقاعها فأبى فغضب عليها وكان به لم فأصابه بعض لمة فقال لها أنت علي كظهر أمي ثم ندم على ما قال وكان الظهار والايلاء من طلاق أهل الجاهلية فقال ما أظنك إلا قد حرمت علي فقالت والله ما ذاك طلاق فأنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة تغسل شق رأسه فقالت يا رسول الله إن زوجي أوس بن الصامت تزوجني وأنا شاب غنية ذات أهل ومال حتى إذا أكل مالي وأفنى شبابي وتفرق أهلي وكبر سني ظاهر مني وقد ندم فهل من شيء يجمعني وإياه تنعشني به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه ، فقالت يا رسول الله والذي أنزل عليك الكتاب ما ذكر الطلاق ، وإنه أبو ولدي وأحب الناس إلي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه ، فقالت أشكو إلى الله فاقني ووحدني قد طالت له صحبتي ونفقت له بطني ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أراك إلا قد حرمت عليه ولم أومر في شأنك بشيء ، فجعلت تراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه ، هتفت وقالت أشكو إلى الله فاقني ووحدني وشدة حالي وإن لي صبية صفارا إن ضممتهم إلي جاعوا ، وإن ضممتهم إليه ضاعوا ، وجعلت ترفع رأسها إلى السماء وتقول اللهم أشكو إليك اللهم فأنزل على لسان نبيك فرجى فكان هذا أول ظهار في الاسلام ، فقامت عائشة تغسل شق رأسه الآخر فقالت انظر في أمري جعلني الله فداك يا رسول الله فقالت عائشة أقصري حديثك ومجادلتك أما رأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان إذا نزل عليه الوحي أخذه مثل السبات أي النوم فلما قضى الوحي قال ادعى لي زوجك فدعته فتلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سمع الله قول التي تجادلك (١٧٠) في زوجها الآيات إلى قوله وللكافرين عذاب أليم» وروي الشيخان عن عائشة قالت «الحمد لله الذي

وكان قال لها : أنت علي كظهر أمي ، وقد سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فأجابها بأنها حرمت عليه على ما هو المهود عندهم من أن الظهار موجب فرقة مؤبدة ، وهي خولة بنت ثعلبة ، وهو أوس بن الصامت (وَنَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ) وحدثها وفاقها وصبية صفارا إن ضممتهم إليه ضاعوا ، أو إليها جاعوا (وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمْ) تراجعكما (إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ خَبِيرٌ) عالم (الَّذِينَ يَظَاهَرُونَ) أصله يتظاهرون أدغمت التاء في الظاء ،

وسمع سمعه الأصوات لقد جاءت المجادلة خولة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلته وأنا في جانب البيت وما أسمع ما تقول

فأنزل الله قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله الآيات فقال صلى الله عليه وسلم لزوجها هل تستطيع العتق فقال لا والله فقال هل تستطيع الصوم فقال لا والله إنني إن أخطأتني الأكل في اليوم مرة أو مرتين كل بصرى وظننت أني أموت قال فاطمستين مسكيننا قال ما أجد إلا أن تعينني منك بمعونة وصلة فأعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر صاعا فتصدق بها على ستين مسكيننا ، وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مر بها في زمن خلافته وهو على حمار والناس حوله فاستوقفته طويلا ووعظته وقالت يا عمر قد كنت تدعى عميرا ثم قيل لك يا عمر ثم قيل لك يا أمير المؤمنين فاتق الله يا عمر فإنه من أيقن بالموت خاف الفوت ومن أيقن بالحساب خاف العذاب وهو واقف يسمع كلامها فقيل له يا أمير المؤمنين أنقف لهذه العجوز هذا الموقف فقال والله لو حبستني من أول النهار إلى آخره لازلت إلا للصلاة المكتوبة أتدرون من هذه العجوز هي خولة بنت ثعلبة سمع الله قولها من فوق سبع سموات أسمع رب العالمين قولها ولا يسمعه عمر (قوله عن ذلك) أي حكمه هل هو فراق أولا (قوله فأجابها بأنها حرمت عليه) أي وجوبه بالتحريم دال على استمرار الحرمة التي كانت في الجاهلية لأنه لا يشرط عن الهوى (قوله وهي خولة بنت ثعلبة) أي ابن مالك الحزرجية (قوله وهو أوس بن الصامت) أي أخو عبادة بن الصامت (قوله وتشتكي إلى الله) أي تتضرع إلى الله (قوله وفاقها) أي فقرها وقوله وصبية الجمع لما فوق الواحد لأنهما كانا ولدين (قوله ضاعوا) أي من عدم تعهد الخدمة وقوله جاعوا أي من عدم النفقة لفقرها ولعل نفقة الأولاد لم تكن إذ ذاك واجبة على أبيهم (قوله والله يسمع تحاوركما) استثناف جار مجرى التعليل لما قبله (قوله تراجعكما) أي فالتحاور للراجعة في الكلام (قوله إن الله سميع بصير) تعليل لما قبله (قوله الذين يظاهرون منكم) شروع في بيان حكم الظهار وهو الحرمة بالاجماع ومن استحله فقد كفر وحقيقة الظهار تشبيه ظهر حلال بظهر محرم فمن قال لزوجته أنت علي كظهر أمي فهو ظهار باجماع الفقهاء وقاس مالك وأبو حنيفة خبر الأم من ذوات المحرم عليها. واختلف القول عن الشافعي

وروى عنه مثل مالك ، وروى عنه أن الظهار لا يكون إلا بالأم وحدها (قوله وفي قراءة بألف الخ) في كلامه التنبيه على ثلاث
 راآت سبعيات (قوله الخفيفة) نعت للهاء وأما الظاء فشديدة (قوله ما هن أمهاتهم) أي حقيقة (قوله و بلا ياء) فالقراآت سبعيات
 بقي قراءتان سبعيتان أيضا وهما تسهيل الهمزة وقلبها ياء ساكنة (قوله منكر) أي فظيها من القول لا يعرف في الشرع (قوله
 الكفارة) أي فالمغفرة سببها الكفارة وفيه إشارة إلى أن الحدود جوار (قوله والذين يظهرون من نسائهم) تفصيل للحكم المترتب
 على الظهار إثر بيان التوبيخ عليه (قوله ثم يعودون لما قالوا) أي لقولهم لما صدرية والعود عند مالك بالعزم على الوطء
 عند الثاني يحصل بامساكها زمنا يمكنه مفارقتها فيه وعند أبي حنيفة يحصل باستباحة استمتاعها (قوله مقصود الظهار)
 كلام إما على حذف مضاف أي ذى الظهار أو المعنى المقصود بالظهار (قوله فتحرير رقبة) مبتدأ خبره محذوف قدره بقوله
 عليه والجملة خبر المبتدأ الذي هو الموصول (قوله بالوطء) هذا قول الشافعي في القديم وفي الجديد أنه الاستمتاع بما بين السرة
 الركبة وعند مالك بالوطء ومقدماته (قوله ذلكم) إشارة إلى الحكم المذكور وهو مبتدأ خبره توعظون به أي تزجرون به
 عن ارتكاب المنكر المذكور (قوله فمن لم يجد) مبتدأ وقوله فصيام (١٧١) مبتدأ ثان خبره محذوف قدره

المفسر بقوله عليه والجملة
 خبر الأول (قوله فصيام
 شهرين متتابعين) أي
 فإن أفطر فيهما ولو لعذر
 انقطع التتابع ووجب
 استئنافهما (قوله عليه)
 أي على من لم يستطع
 ومن لم يجد وهو خبر عن
 كل من قوله فصيام وقوله
 فاطعام (قوله حملا للطاق)
 أي الذي هو وجوب
 الاطعام أطاق في الآية عن
 التقييد بكونه من قبل أن
 يتماسا على المقيد الذي هو
 وجوب الصيام ووجوب
 الرقبة قيد كلا بكونه من

وفي قراءة بألف بين الظاء والهاء الخفيفة ، وفي أخرى كيقاتلون . والموضع الثاني كذلك (منكم)
 من نسائهم ما هن أمهاتهم إن أمهاتهم إلا اللاتي) بهمزة وياه و بلا ياء (ولذنهم وإناهم)
 بالظهار (أيقولون منكر من القول وزورا) كذا (وإن الله لعفو غفور) للظاهر
 بالكفارة (والذين يظهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا) أي فيه بأن يخالفوه
 بامساك المظاهر منها الذي هو خلاف مقصود الظهار من وصف المرأة بالتحريم (فتحرير
 رقبة) أي إعتاقها عليه (من قبل أن يتماسا) بالوطء (ذلكم توعظون به والله بما
 تعملون خبير) فمن لم يجد (رقبة) فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن
 لم يستطع (أي الصيام) فاطعام ستين مسكينا (عليه من قبل أن يتماسا حملا للمطلق
 على المقيد ، لكل مسكين مد من غالب قوت البلد (ذلك) أي التخفيف في الكفارة (لتؤمنوا
 بالله ورسوله وتلك) أي الأحكام المذكورة (حدود الله وللكافرين) بها (عذاب أليم)
 مؤلم (إن الذين يحادون) يخالفون (الله ورسوله كبتوا) أذلوا (كما كبت الذين
 من قبلهم) ،

قبل أن يتماسا والحل معناه تقييد المطلق بالمقيد الذي هو في المقيد (قوله لكل مسكين مد) ظاهره أنه مد النبي صلى الله
 عليه وسلم وعليه الشافعي وقال مالك إنه مد هشام بن عبد الملك وكان يزيد على مد النبي صلى الله عليه وسلم ثلثا تشديدا على
 المظاهر بخلاف باقي الكفارات فالمراد به مد النبي صلى الله عليه وسلم وقدر الجميع تقريبا عند الشافعي في زماننا ثلاثون قدحا
 بالمصري لكل مسكين نصف قدح وعند مالك أربعون قدحا لكل مسكين ثلثا قدح فتدبر (قوله ذلك) إشارة إلى ما مر من
 البيان والتعليم للأحكام والتنبيه عليها وقوله لتؤمنوا الخ : أي تستمروا على الإيمان وتعملوا بشرائعه وترفضوا ما كان عليه
 الجاهلية (قوله وللافرين) أي المنكرين لتلك الأحكام (قوله إن الذين يحادون الله ورسوله) هذه الآية نزلت في أهل مكة عام
 الأحزاب حين أرادوا التحزب على رسول الله وأصحابه وكان في السنة الرابعة وقيل في الخامسة ، والمقصود منها نسبية رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وبشارته بأن أعداءهم المتحزبين القادمين عليهم يكتبون و يذلون ويفرق جمعهم فلا تخشوا بأسهم (قوله
 يخالفون الله) أي بعادته ورسوله فسعى الحادة مخالفة لأن الحادة أن تكون في حد يخالف حد صاحبك وهو كناية عن المعادة
 (قوله كبتوا) أي يكتبوا وعبر بالماضي لتحقيق الوقوع لأن هذه الآية نزلت قبل قدومهم (قوله أذلوا) وقيل معناه أهلكوا
 وقيل أخذوا ، وقيل عذبوا ، وقيل لعنوا ، وقيل أغيطوا ، وكلها متقاربة في المعنى .

(قوله في مخالفتهم) أى بسببها (قوله وقد أنزلنا) الخ الجملة حالية من الواو في كتبوا (قوله يوم يبعثهم) ظرف لمهين أو لعذاب أو لمخدوف تقديره اذكر (قوله جميعا) أى بحيث لا يبقى أحد غير مبعوث أو المعنى مجتمعين في حالة واحدة (قوله فينبئهم بما عملوا) أى من القبائح إما ببيان صدورها منهم أو بتصويرها بصورة قبيحة هائلة على رموس الأشهاد تخجيلا لهم وتشهيرا لحالهم (قوله أحصاه الله) أى لم يفته منه شيء بل أحاط بجميع ما صدر من خلقه (قوله ونسوه) حال من مفعول أحصى والمعنى ذهلوا عنه لكثرة أوتها ونهم به واعتقادهم أن لا حساب عليه (قوله ما يكون من نجوى ثلاثة) استئناف مسوق لبيان أن علمه وسع كل شيء ويكون تامة ومن نجوى فاعلها بزيادة من ونجوى مصدر معناه التحدث سرا وإضافتها إلى ثلاثة من إضافة المصدر إلى فاعله (قوله إلا هو رابعهم) الاستثناء في هذا وما بعده مفرغ واقع في موضع نصب على الحال، والمعنى ما يوجد شيء من هذه الأشياء إلا في حال من هذه الأحوال وخص الثلاثة والخمسة بالذكر إما لأن الله وتر يحب الوتر فالعدد المفرد أشرف من الزوج أولأن قوما من المنافقين كانوا يتحلقون للناجى وكانوا بهذا العدد زيادة في الاختفاء فنزلت الآية بصفة حالهم (قوله بعامه) أى وسمعته وبصره ومتعلق بهم قدرته وإرادته، ولأهل الله المقرين في سر المعية مشاهدات وتجليات ومقامات يذوقها من شرب من مشاربهم (قوله ولا أدنى من ذلك) أى من العدد المذكور (١٧٢) فالأدنى من الخمسة الأربعة والأدنى من الثلاثة الاثنان والواحد في خاصة نفسه

(قوله ولا أكثر) بالجر في قراءة العامة عطف على لفظ نجوى وقرى شدوذا بالرفع معطوف على محل نجوى (قوله إنما كانوا) أى من الأما كن فان علمه تعالى بالأشياء لا يتفاوت بقرب الأمكنة ولا بعدها (قوله ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى) نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون بأعينهم إذا رأوا المؤمنين فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

في مخالفتهم رسولهم (وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ) دالة على صدق الرسول (وَاللَّيْكَافِرِينَ) بِالْآيَاتِ (عَذَابٌ مُهِينٌ) ذو إهانة (يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَلْخَصِيَّةُ اللَّهُ وَأَنُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) ألم تر (تَعْلَمُ) (أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ) بعلوه (وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) ألم تر (إِلَى الَّذِينَ نَهَوْا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعودُونَ لِمَا نَهَوْا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِنَّمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ) هم اليهود نهاهم النبي صلى الله عليه وسلم عما كانوا يفعلون من تناجيههم أى تحدثهم سرا ناظرين إلى المؤمنين ليوقعوا في قلوبهم الريبة (وَإِذَا جَاءَكَ حَيَّوْكَ) أيها النبي (بِمَا لَمْ يُحْيِكَ بِهِ اللَّهُ) وهو قولهم السام عليك أى الموت (وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا) هلا (يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ) من التحية وإنه ليس بنبي إن كان نبيا (حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْطَلُونَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ) ،

ثم عادوا لمثل فعلهم (قوله ثم يعودون لما نهوا عنه) التعبير بالمضارع استحضارا للصورة العجيبة ويقال هي في قوله ويتناجون مثله (قوله والعدوان) أى عداوة الرسول والمؤمنين (قوله ومعصية الرسول) رسمت هنا وفيما يأتي بالتام المجرورة وإذا وقف عليها فبعض القراء يقفون بالهاء وبعضهم بالتاء وأما في الوصل فاتفقوا على التاء (قوله ليوقعوا في قلوبهم الريبة) أى فبوهومهم أنهم قد باغهم خبر إخوانهم الذين خرجوا في السرايا وأنهم قتالوا أو ماتوا أو هزموا فيقع ذلك في قلوبهم ويحزنهم (قوله حيوك) أى خاطبك به شيء لم يحبك به الله أى لم يشرعه ولم يأذن فيه أن يقولوه لك (قوله وهو قولهم السام عليك) أى وكان يرد فيقول عليكم في البخارى «أن اليهود أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليك قالت عائشة فذهمتها فقات عليكم السام وانسكم الله وغضب عليكم فقال عليه الصلاة والسلام مهلا يا عائشة عليك بالرفق وإياك العنف والفحش قالت أولم تسمع ما قالوا؟ قال أولم تسمى ما قات رددت عليهم فيستجاب لى فيهم ولا يستجاب لهم في» واختلف العلماء في رد السلام على أهل الذمة فقال مالك إن تحقق نطقهم بالسلام وجب الرد عليهم وإلا فلا يجب وعند الشافعى يجب الرد بأن يقول وعليك (قوله ويقولون في أنفسهم) أى فيما بينهم (قوله إن كان نبيا) مرتبط بقولهم لولا يعذبنا الله والمعنى لو كان نبيا لعجل الله لنا العذاب بسبب قوائنا (قوله حسبهم جهنم) أى كافيتهم في العذاب وقوله يصلونها حال ، وأما إمامهم

الدنيا لمن كراماته على ربه لكونه بث رحمة (قوله هي) قدره إشارة إلى أن المخصوص بالدم محذوف (قوله يأيها الذين آمنوا إذا تناجيتم) يحتمل أن يكون الخطاب للمؤمنين الصادقين قصد به الزجر والتنفير من فعل اليهود ويحتمل أن الخطاب للمؤمنين الكافرين (قوله إنما النجوى بالإثم ونحوه) أي فالغيبية والتكلم في أعراض المؤمنين سببها الشيطان ليدخل بها الحزن على المؤمنين التكلم في عرضه وليس بصار له في الواقع وإنما الوبال على المتناجين بذلك . قال العارضيون : من أسباب سوء الخاتمة عند الموت الخوض في أعراض المؤمنين وتشمل الآية بعمومها ما روى عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث إلا بإذنه فان ذلك يحزنه » وعن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا كان ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الآخر حتى يختلطوا بالناس من أجل أن يحزنه » فبين في الحديث غاية نفع . قال العلماء : ولما فهم لتناجى اثنين دون ثالث بل المدار على ترك واحد كان المتناجى اثنين أو أكثر (قوله من الشيطان) ثبت إليه لكونه الزين لها والحامل عليها (قوله يحزن الذين آمنوا) بضم الياء وكسر الزاي من أحزنه أو بفتح الياء وضم زاي من حزن فهما قراءتان سبعيتان والموصول على الأولى مفعول وعلى الثانية فاعل (قوله وليس هو) أي الشيطان (قوله بإذن الله) أي فيحصل منه الضرر لإرادة الله إياه في الحقيقة الخير وضده من الله ، وهذه الآية مخوفة لأهل الغيبة والخيمة من المؤمنين في كل زمن (قوله يأيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا الخ) لما نهى الله تعالى المؤمنين عما يكون سببا للتباعد والتنافر وهو التناجى بالإثم والمدوان ومعصية الرسول أمرهم الآن بما يكون (١٧٣) سببا لزيادة المحبة والمودة بقوله : يأيها الذين آمنوا إذا

يأيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تنجوا بالإثم والمدوان ومعصيت الرسول وتناجوا بأبر والتتوى وأتقوا الله الذي إليه تحشرون . إنما النجوى بالإثم ونحوه (من الشيطان) بغيره (ليحزن الذين آمنوا وليس) هو (بضارهم شيئا) إلا بإذن الله (أي إرادته) وعلى الله فأيتهو كل المؤمنين . يأيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا (في المجالس) مجلس النبي صلى الله عليه وسلم أو الذكر حتى يجلس من جاءكم ، وفي قراءة المجالس (فأفسحوا يفتح الله لكم) في الجنة (وإذا قيل أنشزوا) قوموا إلى الصلاة وغيرها من الخيرات (فأنشزوا) ،

يأيها الذين آمنوا إذا قيل لكم الخ ، وسبب نزولها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار فجاء ناس منهم يوما وقد سبوا إلى المجالس فقاموا حيال النبي صلى الله عليه وسلم فسلموا عليه فرد

عليهم السلام ثم ساءوا على القوم فردوا عليهم السلام ثم ساءوا على النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليهم ثم سلموا على القوم فردوا عليهم ثم قاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم فلم يفسحوا وشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لمن حوله من غير أهل بدر قم يا فلان وأنت يا فلان ، فأقام من المجلس بقدر أولئك نفر الذين قاموا بين يديه من أهل بدر فشق ذلك على من أقيم من مجلسه وعرف النبي صلى الله عليه وسلم الكراهية في رجوعهم فأنزل الله هذه الآية ، وقيل نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وذلك أنه دخل المسجد وقد أخذ القوم مجالسهم وكان يريد القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم للصم الذي كان في أذنيه فوسعوا له حتى قرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ضايقه بعضهم وجرى بينه وبينهم كلام فنزلت ، على كل حال فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فيتناول أي مجلس كان سواء كان مجلس علم أو ذكر أو صلاة أو قتال وغير ذلك لما ورد « لا يقيم أحدكم الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا ولا يقيم أحدكم أخاه يوم الجمعة ولكن ليقل افسحوا » وقوله في الحديث لا يقيم أحدكم الخ استفيد منه أن القادم لا يقيم الجالس ، وأما قيام الجالس من نفسه له تواضعا وأدبا أو كبير المجلس يقيم أحدا من الجالسين لمصلحة فلا بأس بذلك (قوله مجلس النبي) أي قائمهم كانوا يقيمون فيه حرصا على القرب منه واستماع كلامه (قوله وفي قراءة المجالس) أي والجمع باعتبار أن لكل واحد مجلسه القراءتان سبعيتان (قوله يفسح الله لكم) مجزوم في جواب الأمر الواقع جوابا للشرط (قوله في الجنة) أي والدنيا والقبر والقيامة (قوله وغيرها) أي كالجهاد وكل خير ، وقيل معنى أنشزوا ارتفعوا عن مواضعكم حتى توسعوا لآخوانكم ، وقيل كان حال بنشازون عن الصلاة في الجماعة إذا نودي لها فنزلت هذه الآية والمقصود العموم في كل ما يطلب فيه النهوض والامراع

ففيه حث على التشمير عن ساعد الجد والاجتهاد في الطاعات وترك التكاسل (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعة أيضا وكلام
اغتنام الصيحتان من بابي ضرب ونصر (قوله في ذلك) أي القيام إلى الصلاة ونحوها (قوله والذين أوتوا العلم) معطوف على
الذين آمنوا عطف خاص على عام لأن الذين أوتوا العلم بعض المؤمنين لكن لما جمع العلماء بين العلم والعمل استحقوا رفع
الدرجات والاقتداء بهم في أقوالهم وأفعالهم (قوله يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا الخ) الحكمة في هذا الأمر
تعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتفاع الفقراء والنهي عن الإفراط في السؤال والتمييز بين الخاص والمنافق ومحبة الدين
ومحب الآخرة. واختلاف في هذا الأمر فقليل للندب وقيل للوجوب. روى عن علي كرم الله وجهه أنه قال: إن في كتاب الله
آية ما عمل بها أحد غيري، كان لي دينار فصرفته بعشرة دراهم وناجيت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر مرات أتصدق
في كل مرة بدرهم، وكان يقول آية في كتاب الله لم يعمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي وهي آية المناجاة. وروى عنه
أيضا أنه قال: لما نزلت يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة - فقال لي النبي صلى الله
عليه وسلم ما ترى ديناراً قلت لا يطيقونه قال فنصف ديناراً قلت لا يطيقونه قال فكم قلت شعيرة قال إنك لزهيد أي قليل المال
ففي هذه الآية منقبة عظيمة لعلي بن أبي طالب وليس فيها ذم لغيره من الصحابة وذلك لأنه لم يتسع الوقت ليعملوا بهذه
ولو اتسع الوقت لم يتخافوا عن (١٧٤) العمل بها وعلى القول باتساعه فاعل الأغنياء كانوا غائبين والفقراء لم يكونوا

وفي قراءة بضم الشين فيهما (يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ) بالطاعة في ذلك (و) يرفع
(الَّذِينَ أوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) في الجنة (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) يا أيها الذين آمنوا
إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ (أردتم مناجاته) فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ (قلها) (صَدَقَةٌ ذَلِكَ
خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ) لذنوبكم (فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا) ما تتصدقون به (فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
لِذُنُوبِكُمْ) (رَحِيمٌ) بكم يعني فلا عليكم في المناجاة من غير صدقة، ثم نسخ ذلك بقوله
(وَأَشْفَقْتُمْ) بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفاً وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلتين
والأخرى وتركه: أي أخفتم من (أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ) (الفقر
فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا) الصدقة (وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ) رجع بكم عنها (فَأَقِمْ وَاقِمْ الصَّلَاةَ وَآتِ
الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ) أي دوموا على ذلك (وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) ألم تر
تنظر (إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا) هم المنافقون (تَوَلَّوْا) هم اليهود (غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ،

بأيديهم شيء) (قوله
أردتم مناجاته) أشار
بذلك إلى أن المأضي
ليس على حقيقته أخذاً
من قوله: فقدموا بين
يدي نجواكم (قوله
ذلك خير لكم) أي
التقديم خير لما فيه من
طاعة الله ورسوله (قوله
يعني فلا عليكم) أشار
بذلك إلى أن جواب
الشرط محذوف وقوله:
فإن الله غفور رحيم

نعامل للمحذوف ودليل عليه (قوله ثم نسخ ذلك) أي الأمر بتقديم الصدقة بعد أن استمر زمناً
قبل هوساعة، وقيل يوم، وقيل عشرة أيام. واختلفوا في النسخ للأمر فقليل هو الآية بعده وعليه المفسر تبعاً للجمهور
وقيل هو آية الزكاة (قوله بقوله وأشفقتكم الخ) مراده الآية بتمامها (قوله بتحقيق الهمزتين الخ) أشار بذلك لأربع قراآت
سبعيات وبقراءة خامسة سبعة وذلك لأن التحقيق إما مع إدخال ألف أو بدونها (قوله الفقر) أشار بذلك إلى أن مفعول
وأشفقتكم محذوف، والمعنى أخفتم من تقديم الصدقة الاحتياج (قوله فإذا لم تفعلوا) يحتمل أن إذهابية على بابها من المضى
والمعنى إذا تركتم ذلك فيما مضى فتداركوه بإقامة الصلاة الخ ويحتمل أنها بمعنى إن الشرطية (قوله وتاب الله عليكم) الج
حالية أو مستأنفة معترضة بين الشرط وجوابه (قوله رجع بكم عنها) أي عن وجوبها فنسخها تخفيفاً عليكم (قوله أي دوموا
على ذلك) أي المذكور من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله (قوله ألم تر إلى الذين تولوا قوماً الخ) المقصود من
هذه الآية التعجب من حال المنافقين الذين كانوا يتخذون اليهود أولياء ويناصحونهم وينقلون إليهم أسرار المؤمنين. وسبب
نزلها أن عبد الله بن نبل المنافق كان يجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرفع حديثه إلى اليهود فيبينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم في حجرة من حجراته إذ قال يدخل عليكم اليوم رجل قلبه جبار وينظر بعيني شيطان فدخل عبد الله بن نبل وكان
أزرق العين فقال له النبي صلى الله عليه وسلم علام تشتمني أنت وأصحابك؟ غاف بالله ما فعل وجاء بأصحابه فخذلوا بالله ماسبوه فنزل

الآية (قوله ما هم منكم ولا منهم) إخبار عنهم بأنهم ليسوا من المؤمنين الخاص ولأن الكافر من الخاص لا ينسبون إلى هؤلاء إلى هؤلاء ، وهذه الجملة إما مستأنفة أو حال من فاعل تولوا (قوله بل هم مذنبون) أي مترددون بين الإيمان الخاص كافر الخاص لأن فيهم طرفا من الإيمان بحسب ظاهرهم وطرفا من الكفر بحسب باطنهم (قوله وهم يعلمون) الجملة حاله فاعل يخلفون ، والمعنى يخلفون كاذبين والحال أنهم يعلمون ذلك فيمينة غموس لا عذر لهم فيها وهذه اليمين توجب لصاحبها مس في النار إن كان مؤمنا خالصا فبالك إن كان كافرا وقائدة الاخبار عنهم بذلك بيان ذمهم عليه (قوله أيمانهم جنة) ولأن لا تخذوا ، والمعنى جعلوا أيمانهم الكاذبة وقاية لأنفسهم وأموالهم فلولا ذلك لقولوا وأخذ مالهم (قوله فاهم عذاب من) أي في الآخرة والعذاب الأول في الدنيا أو القبر (قوله من عذابه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله شيئا) قول مطلق كما أشار له بقوله من الاغناء (قوله كما يخلفون لكم) أي في الدنيا (قوله ويحسبون) حال من فاعل يخلفون ، والمعنى يخلفون والحال أنهم يظنون أن حافهم في الآخرة ينفعهم وينجيهم من عذابها كما نفعهم في الدنيا بدفع القتال عنهم (قوله استحوذ) هذا الفعل مما جاء على الأصل وخولف فيه القياس إذ قياسه استعاذ بقلب الواو ألفا كاستعاذ واستقام (قوله فأنساهم ذكر الله) أي فلا يذكرونه بالسنة ولا بقلوبهم وما يقع منهم من صورة الذكر باللسان فهو كذب (قوله هم الحاصرون) أي لأنهم قوتوا على أنفسهم النعيم الدائم وعرضوها للعذاب المقيم (قوله أولئك في

هم) أي المنافقون (منكم) من المؤمنين (ولا منهم) من اليهود بل هم مذنبون ويخلفون على الكذب أي قولهم إنهم مؤمنون (وهم يعلمون) أنهم كاذبون فيه أعد الله لهم عذابا شديدا إنهم ساء ما كانوا يعملون (من المعاصي) اتخذوا أيمانهم سترًا على أنفسهم وأموالهم (فصدوا) بها المؤمنين (عن سبيل الله) أي الجهاد فيهم قتلهم وأخذ أموالهم (فلهم عذاب مهين) ذو إهانة (لن تنفي عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله) من عذابه (شيئا) من الاغناء (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) . (يَوْمَ يَجْعَلُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَخْلِفُونَ لَهُ) إنهم مؤمنون (كما يخلفون لكم) يحسبون أنهم على شيء) من نفع حافهم في الآخرة كالدينا (ألا إنهم هم الكاذبون) . (استحوذ) استولى (عليهم الشيطان) بطاعتهم له (فأنسهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان) أتباعه (ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون) . (إن الذين يحادون) يخلفون الله ورسوله أولئك في الآذلين (الغلويين) كتب الله في اللوح المحفوظ ، أوقضى (لأغلبين) نارا ورسولي) بالحجة أو السيف (إن الله قوي عزيز) . لا تجد قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون (يصادقون) من حاد الله ورسوله ولو كانوا) أي المحادون (آباءهم) أي المؤمنين (أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم) بل يقصدونهم بالسوء ويقاتلونهم على الإيمان ،

اذلين) أي مع الأذلين أو معدودون في جملتهم (قوله الغلويين) أي وهم الكفار والمنافقون (قوله كتب الله) ضمنه معنى قسم ولذا يجب بما أجيب به القسم وهو قوله لأغلبين ويصح أن يبقى على ظاهره أو بمعنى قضى وعليهما اقتصر المفسرون ويكون قوله لأغلبين جوابا لقسم محذوف (قوله بالحجة أو السيف) أو مانعة خلو تجوز الجمع فالرسول يغلب تارة بالسيف وتارة بالبراهين الدلائل وتارة بهما معا (قوله يؤمنون بالله واليوم الآخر) أي إيمانا صحيحا فلو لم يؤمنوا بهذه الصفة لا يمكن أن يصادق كفار ويحبهم بقلبه لأنه إن فعل ذلك لم يكن صادقا في إيمانه بل يكون منافقا كما قال الشاهر :

إذا وافى صديقك من تعادى فقد عاداك وانفصل الكلام وأما البشاشة في وجوه الكفار وظاهرا لأجل الضرورات لا بأس بها لما في الحديث « إنا لنبش في وجوه قوم وقلوبنا تلغهم » (قوله يوادون) مفعول ثان لتجد إن كان بمعنى تعلم إن كان بمعنى تلقى فالجملة حال من قوما أوصفة ثانية اه ، وقدم أولا الآباء لأنهم يجب طاعتهم ثم الأبناء لأنهم أعلق بالقلب الإخوان لأنهم الناصرون للشخص بمنزلة العضد من الذراع ثم بالعشيرة لأن بها يستغاث وعليها يعتمد .

(قوله كما وقع لجماعة من الصحابة) روى عن عبد الله بن مسعود في هذه الآية قال : ولو كانوا آباءهم يعني أباعبيدة بن الجراح قتل أباه عبد الله بن الجراح ، أو أبناءهم يعني أبا بكر الصديق دعا ابنه يوم بدر للبراز ، وقال يا رسول الله دعني أكن في الرغلة الأولى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم متعنا بنفسك يا أبا بكر أو إخوانهم يعني مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يوم أحد أو عشيرتهم يعني عمر بن الخطاب قتل خاله العاصي بن هشام بن المغيرة يوم بدر وعلى بن أبي طالب وحمزة وأبو عبيدة قتلوا بني عمر عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر . وروى أيضا أن عبد الله بن عبد الله بن أبي هثم بقتل أبيه ، فنهضة رسول الله صلى الله عليه وسلم لآبي بكر الصديق نه صك أباه أبا قحافة حيث سمعه يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله بروح بنور) وقيل الروح النصر ، وقيل القرآن والحجج ، وقيل هو جبريل عليه السلام يأتيهم عند الموت فيطرد الفتنات عنهم (قوله رضى عنهم) أي عاماهم . عاملة الرضى بأن وفقهم للطاعات وقبلها منهم وأثابهم عليها (قوله الفائزون) أي بخير الدنيا والآخرة . [سورة الحشر] وتسمى سورة النضير (قوله مدنية) أي في قول الجميع ، روى ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من قرأ سورة الحشر لم يبق شيء من الجنة والنار والعرش والكرسي والسموات والأرض والهوى والريح والسحاب والطير والدواب والشجر والجبال والشمس والقمر والملائكة إلا صلوا عليه واستغفروا له فان مات في يومه لم يمت مات شهيدا » وروى الترمذي عن معقل بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قرأ »

حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي وإن مات من يومه مات شهيدا ومن قرأها حين يمسي فكذلك » (قوله سبحانه الله ما في السموات وما في الأرض الخ) قال المفسرون نزلت

كما وقع لجماعة من الصحابة رضى الله عنهم (أولئك) الذين لا يوادونهم (كتب) أثبت (في قلوبهم الإيمان) وأيدهم بروح (بنور) منه تعالى (ويدخا لهم جنات تجري من تحتها الأنهار) فيها رضى الله عنهم (بطاعته) ورضوا عنه بشوابه (أولئك) حزب الله (يتبعون أمره) ويحجبون نهيه (ألا إن حزب الله هم المفلحون) الفائزون

(سورة الحشر)

مدنية ، أربع وعشرون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم . سبحانه الله ما في السموات وما في الأرض) أي نزهة فاللام مزيادة ، وفي الإتيان بما تغليب الأكثر ،

في بني النضير وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم حين دخل المدينة في مبادئ الهجرة (وهو) صالحه بنو النضير على أن لا يكونوا عليه ولا معه فلما غزا بدرًا وظهر على المشركين قالوا هو النبي الذي نعتة في التوراة لأمر راية فلما غزا أحدا وهزم المسلمون ارتابوا وأظهروا العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين ونقضوا العهد وركب ابن الأشرف في أربعين راكبا من اليهود ، فاتوا قريشا خالفوهم وعاقدوهم على أن يكونوا معهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودخل أبو سفيان في أربعين واجتمع مع كعب عند الكعبة وأخذ بعضهم على بعض الميثاق ، ثم رجع كعب وأبو سفيان إلى المدينة ، فأخبر الله النبي بذلك وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل كعب بن الأشرف ، فدخل عليه محمد بن مسلمة أربعة من الأوس فقتلوه في حصنه غيلة ، فالتقى الله الرعب في قلوب بني النضير وكان قتله في ربيع الأول من السنة الثامنة وكانت غزوة بني النضير في ربيع الأول من السنة الرابعة ، وكانوا بقرية يقال لها زهرة على ميلين من المدينة ، فلما سار إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا له يا محمد ذرنا نبيك شجوننا ثم أثمر أمرك ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم أخرجوا من المدينة ، فقالوا الموت أقرب إلينا من ذلك ، ثم تنادوا بالحرب ودس المنافقون عبد الله بن أبي وأصحابه إليهم لا يخرجوا من الحصن ، فان قاتلوكم فقتلوا معكم ولا تخذلواكم وانصروكم وان أخرجتم فخرجوا معكم ، ثم إنهم أجمعوا على أن يرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسلوا إليه أن أخرج إلينا في ثلاثين رجلا من أصحابك وليخرج منا ثلاثون حتى نلتقي نصف بيننا وبينك فيسمعون منك فان صدقوك وآمنوا بك آمننا كلنا فخرج النبي صلى الله عليه وسلم في ثلاثين من أصحابه و

يُؤْنَحِبُوا حَقَّ كَانُوا فِي بَرَازٍ مِنَ الْأَرْضِ . قَالَ بَعْضُ الْيَهُودِ لِبَعْضٍ : كَيْفَ تُخْلَصُونَ إِلَيْهِ وَمَعَهُ ثَلَاثُونَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ كُلِّ
بِ الْمَوْتِ قَبْلَهُ ؟ وَلَكِنْ أُرْسِلُوا إِلَيْهِ كَيْفَ نَفْهَمُ وَنَحْنُ سِتُونَ أَخْرَجَ فِي ثَلَاثَةِ مِنْ أَصْحَابِكَ وَيُخْرِجُ إِلَيْكَ ثَلَاثَةَ مِنْ عِلْمَانِنَا
مَعَهُمْ مِنْكَ فَإِنْ آمَنُوا بِكَ آمَنَّا ، خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ثَلَاثَةِ مِنْ أَصْحَابِهِ وَخَرَجَ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْيَهُودِ مَعَهُمْ
نَاجِرٍ وَأَرَادُوا الْمَتَكَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ اللَّهُ بِذَلِكَ فَرَجَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ غَدَا
بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْكِتَابِ خَاصَرَهُمْ إِحْدَى وَعِشْرِينَ لَيْلَةً ، فَقَذَفَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ وَأَيَسُوا مِنْ نَصْرِ
فَقَيْنِ الَّذِينَ عَاهَدُوا فَقَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّلِحْ ، فَأَبَى عَلَيْهِمْ إِلَّا أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ الْمَدِينَةِ عَلَى مَا يَأْمُرُهُمْ بِهِ فَقَبِلُوا ذَلِكَ
الْحَلَمَ عَلَى الْجَلَاءِ وَعَلَى أَنْ كُلُّ أَهْلِ بَيْتٍ يَحْمِلُ عَلَى بَعِيرٍ مَا شَاءُوا مِنْ مَتَاعِهِمْ مَاعِدَا السِّلَاحَ ، ففَعَلُوا ذَلِكَ وَخَرَجُوا مِنَ الْمَدِينَةِ
الشَّامَ إِلَى أَدْرَعَاتٍ وَأَرْيَحَاءَ إِلَّا أَهْلَ بَيْتَيْنِ مِنْ آلِ الْحَقِيقِ وَآلِ حِجَى بْنِ أَخْطَبٍ فَانْهَمَ لِحَقْوِهِمْ بِخَيْرٍ وَلَحِقَتْ طَائِفَةٌ بِالْحَبِيرَةِ وَلَمْ
لَمْ مِنْ بَنِي النَّضِيرِ إِلَّا رَجُلَانِ صَفِيَّانِ بَنِي عَمِيرٍ وَسَعْدِ بْنِ وَهَبٍ فَأَحْرَزَا مَالَهُمَا (قَوْلُهُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) الْجُمْلَةُ حَالٌ مِنْ لَفْظِ
لَا (قَوْلُهُ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا) بَيَانٌ لِبَعْضِ آثَارِ قُدْرَتِهِ تَعَالَى الْبَاهِرَةِ وَعِزَّتِهِ الظَّاهِرَةِ (قَوْلُهُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ)
بِ الْمَدِينَةِ كَفَرُوا (قَوْلُهُ هُمُ بَنُو النَّضِيرِ مِنَ الْيَهُودِ) أَيْ وَهُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ هَارُونَ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَزَلُوا الْمَدِينَةَ فِي فِتْنِ بْنِ إِسْرَائِيلَ
ظَهَرُونَ بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَدْخُلُوا فِي دِينِهِ (قَوْلُهُ بِالْمَدِينَةِ) أَيْ أَرْضَهَا بِالقَرَبِ مِنْهَا وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا بِقَرْيَةٍ بَيْنَهَا
بِ الْمَدِينَةِ مِيلَانِ (قَوْلُهُ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ) مُتَعَاقٍ بِأَخْرَجَ وَإِضَافَةٌ أَوَّلِ لِلْحَشْرِ { ١٧٧ } مِنْ إِضَافَةِ الصِّفَةِ لِلْمَوْصُوفِ

أَيْ لِلْحَشْرِ الْأَوَّلِ . وَاعْلَمْ
أَنْ الْحَشْرَ أَرْبَعٌ فَلِأَوَّلِ
إِجْلَاءِ بَنِي النَّضِيرِ ثُمَّ بَعْدَهُ
إِجْلَاءُ أَهْلِ خَيْبَرَ ثُمَّ فِي
آخِرِ الزَّمَانِ تَخْرِجُ نَارٍ مِنْ
قَعْرِ عَدْنٍ تَسُوقُ النَّاسَ
ثُمَّ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ حَشْرُ
جَمِيعِ الْخَلْقِ (قَوْلُهُ إِلَى
خَيْبَرَ) صَوَابُهُ مِنْ خَيْبَرَ
كَمَا صَرَّحَ بِهِ غَيْرُهُ وَذَلِكَ أَنَّ
عَمْرًا جَلَى الْيَهُودِ مِنْ خَيْبَرَ

وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) فِي مَلِكِهِ وَصْنَعِهِ (هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ
كِتَابٍ) هُمُ بَنُو النَّضِيرِ مِنَ الْيَهُودِ (مِنْ دِيَارِهِمْ) مَسَاكِنُهُمْ بِالْمَدِينَةِ (لِأَوَّلِ الْحَشْرِ)
وَحَشَرَهُمْ إِلَى الشَّامِ ، وَآخِرُهُ أَنْ أَجْلَاهُمْ سَمَرٌ فِي خِلَافَتِهِ إِلَى خَيْبَرَ (مَا ظَنَنْتُمْ) أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ
أَنْ يُخْرِجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ) خَبَرُ أَنْ (حُصُونُهُمْ) فَاعِلُهُ بِهِ تَمَّ الْخَبَرُ (مِنْ اللَّهِ)
عَذَابُهُ (فَأَنَاهُمُ اللَّهُ) أَمْرُهُ وَعَذَابُهُ (مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا) لَمْ يَخْطُرْ بِبَالِهِمْ مِنْ جِهَةِ
وَمُنِينَ (وَقَذَفَ) أَلْقَى (فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ) بِسُكُونِ الْعَيْنِ وَضَمِّهَا : الْخَوْفُ بِقَتْلِ سَيِّدِهِمْ
كَمْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ (يُخْرِبُونَ) بِالتَّشْدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ مِنْ أَخْرَبَ (بُيُوتُهُمْ) لِيَنْقَلُوا مَا اسْتَحْسَنُوهُ
نَهَا مِنْ خَشَبٍ وَغَيْرِهِ (بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ،

جَمِيعِ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ إِلَى أَدْرَعَاتٍ وَأَرْيَحَاءَ مِنَ الشَّامِ (قَوْلُهُ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يُخْرِجُوا) أَيْ لَمَّا كَانَ بِهِمْ مِنَ الْقُوَّةِ وَشِدَّةِ الْبَأْسِ
ثَمَرَةُ أَعْوَانِهِمْ مِنْ قَرِيبَةٍ وَقَرِيشٍ ، وَبِكُمْ مِنَ الضَّعْفِ وَقِلَّةِ الْعَدَدِ (قَوْلُهُ بِهِ تَمَّ الْخَبَرُ) أَيْ بِالْفَاعِلِ تَمَّ خَبَرُ أَنْ وَحَصَلَهُ أَنْ الضَّمِيرُ
بِهِمْ أَنْ وَمَانِعَتُهُمْ خَبَرَهَا وَحَصُونُهُمْ فَاعِلُهُ وَبَصَحَ أَنْ مَانِعَتُهُمْ خَبَرُ مَقْدَمٍ وَحَصُونُهُمْ مُبْتَدَأٌ مُؤَخَّرٌ وَالْجُمْلَةُ خَبَرُ أَنْ (قَوْلُهُ أَمْرُهُ وَعَذَابُهُ)
بِ ذَلِكَ إِلَى أَنْ الْكَلَامُ عَلَى حَذْفِ مِضَافٍ وَبِهِ انْدَفَعَ مَا أَوْهَمَهُ ظَاهِرُ الْآيَةِ مِنْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَوْصَفُ بِالْإِنْيَانِ فَأَقَادَ بِأَنَّ لَآيَةَ
بِ قَبِيلِ النَّشَابَةِ وَأَوَّلُهُ بِتَقْدِيرِ مِضَافٍ نَظِيرُ وَجَاءَ رَبُّكَ (قَوْلُهُ لَمْ يَخْطُرْ بِبَالِهِمْ) تَفْسِيرُ لِقَوْلِهِ لَمْ يَحْتَسِبُوا (قَوْلُهُ مِنْ جِهَةِ الْمُؤْمِنِينَ)
مَانِعَةُ جِهَةِ لَمَّا بَعْدَهُ بَيَانِيَّةٌ ، وَالْمَعْنَى جَاءَهُمْ عَذَابُ اللَّهِ مِنْ جِهَةِ لَا يَخْطُرُ بِبَالِهِمْ وَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ لِأَنَّهُمْ مُسْتَضْعَفُونَ بِالنِّسْبَةِ لَهُمْ فَلَا يَخْطُرُ
لَهُمْ أَنَّهُمْ يَقْدِرُونَ عَلَيْهِمْ (قَوْلُهُ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ) أَيْ أَنْزَلَهُ فِيهَا بِشِدَّةٍ (قَوْلُهُ بِسُكُونِ الْعَيْنِ وَضَمِّهَا) أَيْ فَهِيَ قَرَاءَتَانِ
مَعِيَتَانِ (قَوْلُهُ بِقَتْلِ سَيِّدِهِمْ) أَيْ وَكَانَ قَتْلُهُ فِي رُبِيعِ الْأَوَّلِ مِنَ السَّنَةِ الثَّلَاثَةِ كَمَا تَقْدِمُ (قَوْلُهُ يُخْرِبُونَ بَيْوتَهُمْ) مُسْتَأْنَفٌ أَتَى بِهِ
خَبَرُ عَنْهُمْ بِذَلِكَ (قَوْلُهُ بِالتَّشْدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ) أَيْ فَهِيَ سَبْعَتَانِ (قَوْلُهُ مِنْ أَخْرَبَ) رَاجِعٌ لِلتَّخْفِيفِ وَأَمَّا التَّشْدِيدُ فَهُوَ مِنْ
رَبِّ (قَوْلُهُ مِنْ خَشَبٍ) بِفَتْحَتَيْنِ وَضَمَّتَيْنِ وَضَمَّ وَسُكُونٍ جَمْعُ خَشْبَةٍ (قَوْلُهُ بِأَيْدِيهِمْ) أَيْ مِنْ دَاخِلِ الْحَصُونِ وَقَوْلُهُ وَأَيْدِي
مُنِينَ : أَيْ مِنْ خَارِجِهَا لِيَدْخُلُوهَا وَعَظْفُهَا عَلَى أَيْدِيهِمْ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُمْ سَبَبٌ فِي ذَلِكَ لِأَنَّ بَنِي النَّضِيرِ لَمَّا نَقَضُوا الْعَهْدَ كَانَهُمْ
طَلُوا الْمُؤْمِنِينَ عَلَى تَخْرِيبِ دُورِهِمْ (قَوْلُهُ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ) أَيْ انْظُرُوا بِحَالِهِمْ وَلَا تَفْتَرُوا وَلَا تَعْتَمِدُوا عَلَى غَيْرِ اللَّهِ
[٢٣ - صَاوِي - رَابِع] فَلَا عِتْبَارَ النَّظَرِ فِي حَقَائِقِ الْأَشْيَاءِ لِيَسْتَدِلَّ بِهَا عَلَى شَيْءٍ آخَرَ .

(قوله ولولا أن كتب الله الخ) أن مصدرية وهي وما دخلت عليه في تأويل مصدر مبتدأ وخبره محذوف وجوبا والتقدير لو لا
الكتب موجود (قوله الجلاء) بالفتح والمد يطلق على الخروج من الوطن والاخراج منه وهو المراد هنا ويطلق على الأمر
الجلى الواضح (قوله ولهم في الآخرة عذاب النار) كلام مستأنف مبين لعاقبتهم كأنه قال إن نجوا في الدنيا من القتل لم ينجو
في الآخرة من العذاب الدائم فهو ثابت لهم على كل حال (قوله ذلك) أي المذكور من العذابين بسبب أنهم الخ (قوله ومن
يشاق الله) من شرطية وقوله فان الله الخ إمانفس الجزاء وحذف منه العائد وقد قدره الفسر بقوله له أو تمليل للجزاء المحذوف
أي يعاقبه وعلى كل فالشرط وجوابه تنميم لما قبله وتقرير لمضمونه وتحقيق لسببه (قوله ما قطعتم من لينة الخ) ما شرطية ومن
لينة بيان لما و باذن الله خبر لمبتدأ محذوف: أي فقطعها والجملة جواب الشرط ، واللينه قيل هي النخلة مطلقا وقيل هي النخلة
الكريمة ، وقيل غير ذلك . روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل ببني النضير وتحصنوا بحصونهم أمر بقطع نخيلهم
وإحراقها ، فخرج أعداء الله عند ذلك فقالوا يا محمد زعمت أنك تريد الصلاح أمن الصلاح قطع الشجر وقطع النخل فهل وجدت
فيما زعمت أنه أنزل عليك الفساد في الأرض ، فوجد المسلمون في أنفسهم شيئا مما قالوا وخشوا أن يكون ذلك فسادا واختافوا
في القطع وتركه ، فتال بعضهم لا نقطعوا فانه مما أفاء الله علينا ، وقال بعضهم بل نغيظهم بقطعه ، فأنزل الله هذه الآية (قوله
فباذن الله) أي رضاه (قوله أي (١٧٨) خبركم في ذلك) أي القطع والترك (قوله وما أفاء الله على رسوله الخ) لما

وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ (قضى) (عَلَيْهِمُ الْجَلَاءُ) الخروج من الوطن (لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا)
بِالْقَتْلِ وَالسَّبْيِ كَمَا فَعَلَ بِقَرِيطَةَ مِنَ الْيَهُودِ (وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ . ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ
شَاقُّوا) خالفوا (اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) له (مَا قَطَعْتُمْ)
بِأَسْلَمِينَ (مِنْ لِينَةٍ) نخلة (أَوْ تَرَكَتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ) أي خيركم
في ذلك (وَالْيَخْزَى) بالإذن في القطع (الْفَاسِقِينَ) اليهود في اعتراضهم بأن قطع الشجر
المشعر فساد (وَمَا أَفَاءَ) رد (اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ) أصرعتم بأمسليين
(عَلَيْهِمْ مِنْ) زائدة (خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ) إبل : أي لم تقاسوا فيه مشقة (وَلَكِنَّ اللَّهَ
يُسَاطِرُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) فلاحق لكم فيه ويختص به النبي صلى
الله عليه وسلم ومن ذكر معه في الآية الثانية من الأصناف الأربعة على ما كان يقسمه من أن
لكل منهم خمس الخمس وله صلى الله عليه وسلم الباقي يفعل فيه ما يشاء فأعطى منه المهاجرين

بين حال بني النضير وما
وقع لدواتهم أخذ يبين
ما وقع في أموالهم (قوله
رد الله على رسوله) أشار
بذلك إلى أن الأموال التي
كانت بأيدي بني النضير
أبست لهم بالأصالة بل هي
من أطاع الله تعالى وتلذذهم
بها إنما هو صورة تعدد
منهم وذلك لأن الله تعالى
خلق الناس لعبادته وخلق
لهم ما في الأرض جميعا
ليستعينوا بها على طاعته

فالكفار حيث عصوا ربهم فليس لهم استحقاق في لك النعم (قوله فما أوجفتم الخ) وثلاثة
خبر ما الموصولة وأفاء صلاته (قوله أصرعتم الخ) أي فالإيجاف إصرع الشئ (قوله بأمسليين) هكذا بالياء هنا وفيما تقدم وهو
سبق فلم وصوابه بالواو لأن النادى يبنى على ما يرفع به ولا شك أن جمع المذكور السالم يرفع بالواو فيبنى النادى عليها (قوله من
زائدة) أي في المفعول (قوله ولا ركاب) هي ما يركب من الإبل غلب ذلك عليها من بين المركوبات فالعرب يطلقون لفظ الراكبي
على راكب البعير والفارس على راكب الفرس (قوله أي لم تقاسوا فيه مشقة) أي لم نقطعوا إليها مسافة ولم يحصل منكم حرب
وذلك لكون قريتهم قريبة لم يركبوا إليها خيلا ولا إبلا إلا النبي صلى الله عليه وسلم فإنه كان راكبا جملا وقيل حمارا مخطوما
بليف فافتتحها صاحبا فكان الأمر في تلك الأموال مفوضا له صلى الله عليه وسلم يضعه حيث يشاء (قوله ولكن الله يسقط
رسوله على من يشاء) أي فعادته تعالى جارية بأن الرسل ليسوا كآحاد الأمة بل يسقطهم الله على من يشاء من غير أن يقتحموا
المشقات ويقاسوا الشدائد فتحصل أن مال الكفار إذا حصل من غير قتال فهو في موضع تحت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسلم على ما سيأتي بيانه ، ومثله المال الذي جهلت أربابه ومال من مات ولا وارث له والجزية وأعشار أهل الذمة وخراج
الأرض على ما هو مبين في الفروع ويقوم مقام رسول الله بعده الخليفة (قوله فأعطى منه المهاجرين) أي لأعلى أنه غنيمة
بل بوصف الفقر ايرفع بذلك مؤنتهم عن الانصار لأنهم كانوا قد قاموا في الأموال والديار .

وهو (ثلاثة من الأنصار) أي وهم أبو دجانة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة وأعطى سعد بن معاذ سيف ابن أبي الحقيق كان لهذا السيف ذكر وشأن عندهم (قوله ما أفاء الله على رسوله) بيان لمصرف النبي أثر بيان رده على رسول الله وعنه أو من هذه الجملة لأنها بيان الأولى فهي غير أجنبية منها (قوله كالصغراء الخ) أي وأرض قريظة والنضير وهما بالمدينة يدك وهي على ثلاثة أميال من المدينة وقرى عرينسة وينبع (قوله فله وللرسول) اختلاف في قسم النبي فقيل بسدس لظاهر الآية ويصرف سهم لله في عمارة الكعبة وسائر المساجد وقيل بخمس للخمس المذكورين وذكر الله للتعظيم. وفي القرطبي وقال وم منهم الشامي إن معنى الآيتين أي ما هنا والأطفال واحد أي ما حصل من أموال الكفار بغير قتال قسم على خمسة أسهم أربعة منها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم لذوي القربى وهم بنو هاشم وبنو المطلب لأنهم منعوا الصدقة فجعل لهم حق في النبي ومنهم يتامى ومنهم للمساكين ومنهم لابن السبيل وأما بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فالذي كان من النبي لرسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف عند الشافعي في قول إلى المجاهدين للرصد للقتال في الثغور لأنهم قائمون مقام الرسول عليه الصلاة والسلام في قول آخر له يصرف إلى مصالح المسلمين من سد الثغور وحفر الأنهار وبناء القناطر يقدم الأهم فالأهم، وهذا في أربعة أخماس النبي فأما السهم الذي كان من خمس النبي والغنيمة فهو لصالح المسلمين بعد موته صلى الله عليه وسلم بلا خلاف كما قال عليه الصلاة والسلام «ليس لي من غنائمكم إلا الخمس والخمس مردود فيكم» هـ (١٧٩) وقالت المالكية لا خلاف في أن

الغنيمة تخمس وأما ما أنجلي عنه أهله دون قتال فلا تخمس ويصرف في مصالح المسلمين بإجتihad الإمام ومثله جميع ما كان محله بيت المال وليس معنى الآيتين واحدا بل آية الأنفال فيما أوجف عليه وما هنا فيما لم يوجف عليه وقوله فله وللرسول الخ ليس المقصود منه التخميس وإنما المقصود

وثلاثة من الأنصار لفقرهم (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى) كالصغراء ووادي القرى وينبع (لله) يأمر فيه بما يشاء (وللرسول ولذوي القربى) صاحب (القربى) قرابة النبي من بنو هاشم وبنو المطلب (والتيتامى) أطفال المسلمين الذين هلك آباؤهم وهم فقراء (والمساكين) ذوي الحاجة من المسلمين (وإبن السبيل) المنتقطع في سفره من المسلمين: أي يستحقه النبي صلى الله عليه وسلم والأصناف الأربعة على ما كان يقسمه من أن لكل من الأربعة خمس الخمس وله الباقي (كفى لا) كى بمعنى اللام وأن مقدرة بعدها (يكون) النبي علة لقسمه كذلك (دولة) متداولاً (بين الأغنياء منكم وما آتاكمكم) أعطاكم (الرسول) من النبي وغيره (فخذوه) وما آتاكمكم عنه فآتوه واتقوا الله إن الله شديد العقاب. للفقراء) ،

التعظيم بإجتihad الإمام فتدبر (قوله من بنو هاشم وبنو المطلب) هذا مذهب الشافعي وعند مالك الآل بنو هاشم فقط (قوله والمساكين) المراد بهم ما يشمل الفقراء (قوله المنتقطع في سفره) أي والمحتاج ولو غنيا ببلده (قوله أي يستحقه النبي الخ) إنما لم يقل الله والنبي إشارة إلى أن ذكراهم الله للتعظيم والتبرك على التحقيق وظاهر الآية أن النبي بخمس خمسة أخماس وأن للنبي خمسة وليس مراداً بل التخميس إنما هو للخمس لا للمال من أصله فالاشتراك المذكور إنما هو في الخمس وتقدم أن ذلك مذهب الشافعي وأما عند مالك فلا تخميس وإنما النظر فيه للإمام (قوله كى لا يكون الخ) كى ترسم هنا مفصولة من لا (قوله بمعنى اللام) أي لام التعليل والمعلل ما يستفاد مما سبق أي جعل الله النبي أن لا يكون أو ترك على عادة الجاهلية دولة أي يتداوله الأغنياء كل من غلب منهم أخذه واستأثر به وذلك أن الجاهلية كانوا إذا غنموا غنيمة أخذ الرئيس ربعها لنفسه ثم يصطفي بعد أخذ الربع منها ما شاء فنسخ هذا الأمر وجعله الله يصرف في مصالح المسلمين على الوجه المتقدم (قوله وأن مقدرة بعدها) أي فالنصب بأن لا بها (قوله يكون) أي النبي فيكون ناقصة اسمها ضمير يعود على النبي ودولة خبرها وعلى هذه القراءة يكون بالتحتية لا غير وقرئ أيضاً برفع دولة على أن كان تامة مع التحتية والفوقية من يكون فالقراءات ثلاث سبعيات (قوله دولة) التداول حصول الشيء في يد هذا تارة وهذا أخرى والاسم الدولة بفتح الدال وضمها وجمع المفتوح دُول كقصعة وقصع وجمع المضموم دُول مثل غرفة وغرف ومعناها واحد، وقيل الدولة بالضم في المال وبالفتح في الحرب (قوله وما آتاكم الرسول فخذوه الخ) أي ما أعطاكم من مال الغنيمة وما هناكم من الأخذ والقول فاتتوها، وقيل في تفسيرها

ما آتاكم من طاعتي فافعلوه وما نهاكم عنه من معصيتي فاجتنبوه فالآية محمولة على العموم في جميع أوامره ونواهيه لا يأمُر إلا بالإصلاح ولا ينهى إلا عن إفساد فنتج من هذه الآية أن كل ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم أمر من الله وأن كل ما نهى عنه النبي نهى من الله فقد جمعت أمور الدين كلها معلوم (قوله متعلق بمحذوف الخ) أي القصد منه التعجب والديار للمهاجرين الذين انصفوا بتلك الصفات (قوله أي اعجبوا) أي تعجبوا من حال المهاجرين حيث تنزهوا عن الديار والأموال وتركوا ذلك ابتغاء وجه الله تعالى (قوله الذين أخرجوا من ديارهم) أي أخرجهم كفار مكة (قوله وأموالهم) عطف على ديارهم عبر فيه بالخروج لأن المال لما كان يستر صاحبه كان كأنه ظرف له (قوله يبتغون فضلا الخ) الجملة حالية . والمعنى طالبين الرزق من الله لا عراضهم عن أملاكهم الدنيوية ومرضاة الله تعالى في الآخرة (قوله وينصرون الله ورسوله) عطف على قوله يبتغون فهو حال أيضا لكنها مقدره أي ناوون النصر إذ وقت خروجهم لم تكن نصرة بالفضل (قوله أولئك هم الصادقون) أي الخالصون في إيمانهم حيث اختاروا الإسلام وخرجوا عن الديار والأموال والعشائر حتى روى أن الرجل كان يعصب الحجة على بطنه ليقوم به صلبه من الجوع وكان الرجل يتخذ الحفيرة في الشتاء ماله دثار غيرها ، وفي الحديث «أن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة إلى الجنة بأربعين خريفا» (قوله والذين تبوءوا الدار والخيار) شروع في الثناء على الأنصار إثراء الثناء على المهاجرين والوصول إما معطوف على الفقراء فيكون من عطف المفردات ، وقوله يحبون الخ حال أو مبتدأ وحبهم يحبون خبره (قوله أي المدينة) أي اتخذوها منزلا بإسلامهم من قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين فعصموها وحفظوها بالإسلام فكأنهم استحدثوا بناءها (١٨٠) (قوله أي أفوه) أشار بذلك إلى أن قوله والإيمان معمول لمحذوف

ويكون من عطف الجمل
إذ لا معنى لتبوء الإيمان
وهذا أحد الوجوه
الجارية في قوله :
علفتها تبنا وماء باردا
أو ضمن تبوءوا
معنى لزموا . والمعنى لزموا
الدار والإيمان أو شبه
تمكنهم في الإيمان

متعلق بمحذوف : أي اعجبوا (المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون) في إيمانهم (والذين تبوءوا الدار) أي المدينة (والإيمان) أي أفوه ، وهم الأنصار (من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة) حسدا (بما أوتوا) أي آتى النبي صلى الله عليه وسلم المهاجرين من أموال بني النضير المختصة به (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) حاجة إلى ما يؤثر به ،

بأنخذه منزلا ففيه جمع بين الحقيقة والمجاز (قوله ولا يجدون في صدورهم) أي نفوسهم (قوله حسدا) أي (دون ولا غيظا ولا حزازة فالمراد بالحاجة هذه المعاني) روى «أن المهاجرين كانوا في دور الأنصار فلما غنم صلى الله عليه وسلم أموال بني النضير دعا الأنصار وشكرهم فيما صنعوا مع المهاجرين من إنزالهم إياهم منازلهم وإشراكهم إياهم في الأموال ثم قال صلى الله عليه وسلم : إن أحببتم قسمت ما أفاء الله على من بنى النضير بينكم وبينهم ، وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكينة في مساكنكم وأموالكم وإن أحببتم أعطيتهم وخرجوا من دياركم فقال سعد بن عبادة وسعد بن معاذ بل تقسمه بين المهاجرين ويكونون في دورنا كما كانوا فقال صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرين ولم يعط الأنصار إلا الثلاثة المتقدم ذكرهم (قوله أي آتى النبي) بيان للفاعل المحذوف وقوله المهاجرين بيان للمفعول القائم مقام الفاعل وقوله من أموال بني النضير بيان لما (قوله ويؤثرون على أنفسهم) أي في كل شيء من أسباب المعاش حتى إن من كان عند امرأته أن كان ينزل عن أحدها ويزوجها واحدا من المهاجرين والایشار تقديم الغير على النفس وحظوظها الدنيوية رغبة في الحظوظ الدينية وذلك ينشأ عن قوة اليقين وغاية المحبة والصبر على المشقة (قوله ولو كان بهم خصاصة) أي يقدمون غيرهم في الأموال مع احتياجهم إليهم وهذا الوصف لا يخص الأنصار فقد روى عن ابن عمر أنه قال «أهدى لرجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم رأس شاة فقال إن أخي فلانا وعياله أحوج إلى هذا منا فبعتهم إليهم فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر حتى تداولها سبعة أبيات ثم عادت إلى الأول فنزلت هذه الآية» روى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخذار بعثته في صرة ثم قال للأنصار اذهب بها إلى أبي عبيدة بن الجراح ثم امكث عنده في البيت حتى تنظر ما يصنع بها فذهب بها الغلام إليه وقال له يقول لك أمير المؤمنين اجعل هذه في بعض حاجاتك فقال صلى الله عليه وسلم

رحمه ثم قال تعالى يا جارية اذهبي بهذه السبعة إلى فلان و بهذه الخمسة إلى فلان حتى فقدتها فرجع الغلام إلى عمر فأخبره ووجدته
 ربط مثلها لمأذ بن جبل فقال اذهبي بها إليه وامكث في البيت ساعة حتى تنظر ما يصنع فذهب بها إليه وقال له يقول
 أمر المؤمنين اجعل هذه في بعض حاجاتك ، فقال رحمه الله ووصله وقال يا جارية اذهبي إلى بيت فلان بكذا وإلى بيت
 فلان بكذا فجاءت امرأة معاذ وقالت نحن والله مساكين فأعطينا ولم يبق في الخربة إلا ديناران فرمى بهما إليها فرجع الغلام
 إلى عمر فأخبره فسر بذلك وقال إنهم إخوة بعضهم من بعض ونحوه عن عائشة وغيرها (قوله ومن يوق شح نفسه)
 من شرطية ويوق فعل الشرط وقوله فأولئك الخ جزؤه وهو كلام عام قصد به التنبيه على ذم الشح وفي قوله يوق إشارة إلى
 الشح أمر غريزي في الانسان لا ينجو منه الشخص إلا بمعونة الله تعالى مع مجاهدة النفس ومكابدتها (قوله حرصها
 على المال) فيه إشارة إلى الفرق بين البخل والشح ، فالبخل منع الأموال ، والشح صفة راسخة يصعب معها على الرجل تأتي
 بروف وتعاطي مكارم الأخلاق . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبدا » وقال ابن
 عمر: ليس الشح أن يمنع الرجل ماله إنما الشح أن تطمع عين الرجل فيما ليس له . وقال بعضهم: من لم يأخذ شيئا نهاه الله عن
 نفسه ولم يمنع شيئا أمر الله باعطائه فقد وقاه الله شح نفسه (قوله والذين جاءوا) إمام معطوف على الفقراء وقوله يقولون
 ال أو مبتدأ وجملة يقولون خبره (قوله من بعد المهاجرين والأنصار) (١٨١) أي من بعد هجرة المهاجرين

وإيمان الأنصار (قوله
 إلى يوم القيامة) أي
 فالبعديه تشمل التابعين
 وأتباعهم إلى آخر الزمان
 (قوله الذين سبقونا
 بالإيمان) أي بالموت عاياه
 فينبغي لكل واحد من
 القائلين لهذا القول أن
 يقصد بمن سبقه من
 اتقل قبله من زمنه إلى
 عصر النبي صلى الله عاياه
 وسلم فيدخل جميع من

(وَمَنْ يُوقِ شَحِّ نَفْسِهِ) حرصها على المال (فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ
 بَعْدِهِمْ) من بعد المهاجرين والأنصار إلى يوم القيامة (يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا
 الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا) حَقْدًا (لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ
 رَءُوفٌ رَحِيمٌ . أَلَمْ تَرَ) تنظر (إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ
 أَهْلِ الْكِتَابِ) وهم بنو النضير وإخوانهم في الكفر (إِنَّهُمْ) لام قسم في الأربعة مواضع
 (أُخْرِجْتُمْ) من المدينة (لَنُخْرِجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نَطِيعُ فَيْكُمْ) في خذلانكم (أَحَدًا
 أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ) حذفت منه اللام الموطئة (لَنَنْصُرَنَّكُمْ) وَاللَّهُ يَهْدِي إِيَّاهُمْ لَكَاذِبُونَ .
 إِنَّ أُخْرِجُوا لَيُخْرِجَنَّ مَعَهُمْ وَإِنَّ أُوتُوا لَيَنْصُرُنَّهُمْ وَإِنَّ نَصْرَهُمْ) أي جاءوا
 لنصرهم (لَيَئِنَّ الْأَذْيَارَ) ،

ندمه من المسلمين لخصوص المهاجرين والأنصار (قوله حقدًا) هو الانطواء على العداوة والبغضاء (قوله رءوف) بقصر الهمزة
 مدها بحيث يتولد منها واو قراءتان سبعيتان (قوله ألم تر إلى الذين نافقوا الخ) لما ذكر الثناء على المهاجرين والأنصار
 أتباعهم أتبعه بذكر أحوال المنافقين الذين نافقوا مع بنو النضير وهم عبد الله بن أبي وأصحابه والخطاب إمام رسول الله صلى الله
 عليه وسلم أو لكل من يتأتى منه الخطاب (قوله لإخوانهم) اللام للتبليغ والمعنى مبالغين وإخوانهم (قوله لام قسم) أي موطئة
 لقسم محذوف أي والله (قوله في الأربعة مواضع) أي لئن أخرجتم لئن أخرجوا ولئن قوتلوا ولئن نصروهم بل في الخمسة هذه
 الأربعة وقوله وإن قوتلتم لأن اللام مقدرة معه (قوله أخرجتم من المدينة) أي أخرجكم النبي وأصحابه (قوله ولا نطيع
 أيكم) عطف على قوله لئن أخرجتم وكذا قوله وإن قوتلتم فقولهم ثلاث جمل والقسم الواقع منهم اثنتان ثم كذبهم الله إجمالا
 وتفصيلا بعد (قوله في خذلانكم) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله أحدا) أي من النبي والمؤمنين
 وقوله أبدا ظرف للنفي (قوله حذفت منه اللام) أي وحذفها قايلا في لسان العرب والكثير إثباتها (قوله لكاذبون)
 أي فيما قالوه (قوله لئن أخرجوا) تفصيل لكذبهم وهو تكذيب لقولهم لئن أخرجتم وقوله ولئن قوتلوا الخ تكذيب لقولهم
 وإن قوتلتم الخ وقوله ولئن نصروهم من تمام تكذبيهم في المقالة الثالثة (قوله جاءوا لنصرهم) جواب عما يقال إن قوله
 ولئن نصروهم مناف لقوله لا ينصرونهم فأجاب بأن المعنى خرجوا قصد نصرهم وحيد فلا يلزم منه نصرهم بالفعل . وأجيب
 أيضا بأن قوله ولئن نصروهم أي على سبيل الفرض والتقدم

(قوله واستغنى بجواب القسم الخ) أى للقاعدة المعروفة فى قول ابن مالك :

واحذف لدى اجتماع شرط وقسم جواب ما أخرت فهو ملتزم

(قوله أى اليهود) هذا أحد أقوال فى مرجع الضمير ، وقيل عائد على المنافقين ، وقيل عائد على مجموع اليهود والمنافقين وهو الأقرب (قوله لأنتم أشد رهبة الخ) أى خوفهم منكم فى السر أشد من خوفهم من الله الذى يظهره لكم وهذه الجملة كالتعليل لقوله ليولن الأدبار كأنه قال إنهم لا يقدرُونَ على مقابلتكم لأنكم أشد رهبة (قوله ذلك) أى ما ذكر من كون خوفهم من الخلق أشد من خوفهم من الخالق (قوله مجتمعين) أشار بذلك إلى أن جميعاً حال (قوله وفى قراءة جدر) أى وهى سبعين أيضاً غير أن من قرأ جدار بالالف يلتزم إما الإمالة فى جدار وإما الصلة فى بينهم بحيث يتولد منها واو فمن قرأ جدار بدون أحد هذين الوجهين فقد قرأ بقراءة لم يقرأ بها أحد (قوله بأسهم بينهم شديد) راجع لقوله - لا يقاتلونكم جميعاً - الخ أى فمعجزهم عن قتالكم ليس لضعف فيهم بل هم فى غاية القوة من العدد والعدة ، وإنما يضعفون فى حربكم للرعب الذى فى قلوبهم منكم (قوله متفرقة) أى لعظم الخوف فقاو بهم لا توافق الأجسام بل فيها حيرة ودهشة (قوله خلاف الحسبان) حال : أى خلاف ظنكم فيهم بمقتضى جمعية الصور (قوله بأنهم قوم لا يعقلون) إنما خص الأول بلا يفقهون والثانى بلا يعقون لأن الأول متصل (١٨٢) بقوله لأنتم أشد رهبة فى صدورهم من الله وهو دليل على جهلهم بالله

فناسبه عدم الفقه والثانى متصل بقوله تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى وهو دليل على عدم عقابهم إذ لو عقابوا لما شئت قلوبهم وتحييت وامتلات رعباً (قواء كمثل الذين من قبلهم) خبر مبتدأ محذوف قدره بقوله مثاهم : أى صفة بنى النضير العجيبة التى تقع لهم من الاجلاء والدل كصفة أهل مكة فيما

واستغنى بجواب القسم المقدر عن جواب الشرط فى المواضع الخمسة (ثُمَّ لَا يَفْضَرُونَ) أى اليهود (لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً) خوفاً (فى صدورهم) أى المنافقين (مِنْ اللَّهِ) لتأخير عذابه (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ . لَا يَقَاتِلُونَكُمْ) أى اليهود (جَمِيعًا) مجتمعين (إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جِدَارٍ) سور ، وفى قراءة جدر (بِأَسْهُمٍ) حربهم (بَيْنَهُمْ شَرِيدٌ مَحْشَبُهُمْ جَمِيعًا) مجتمعين (وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى) متفرقة خلاف الحسبان (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ) مثلهم فى ترك الإيمان (كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا) بزمان قريب ، وهم أهل بدر من المشركين (ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهُمْ) عقوبته فى الدنيا من القتل وغيره (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم فى الآخرة ، مثاهم أيضاً فى سماعهم من المنافقين وتخلفهم عنهم (كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّ بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّى أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ) كذباً منه ورياء (فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا) ،

وقع لهم يوم بدر من الهزيمة والأسر والقتل

فكل حصل له خزي الدنيا وعذاب الآخرة (قوله بزمان قريب) أى بين وقعة بدر ووقعة بنى النضير وهو سنة ونصف تقدم أن غزوة بنى النضير كانت فى ربيع الأول من السنة الرابعة وغزوة بدر كانت فى رمضان من الثانية (قوله مثاهم أيضاً) أى صفة بنى النضير وقوله فى سماعهم بيان للمثل وقوله وتخلفهم : أى تخلف المنافقين عنهم وقوله كمثل الشيطان المراد حقيقة لا شيطان الإنس وقوله إذ قال للإنسان اكفر بيان لمثل الشيطان ، وبالجملة فقد ضرب الله لهم مثلين الأول بكفر مكة الذين اغتروا بعددهم وعددهم وحضروا بدر فكانت الدائرة عليهم ، والثانى من حيث اغترارهم بكلام المنافقين لم يخافهم لهم باغراء الشيطان للإنسان معين على الكفر حتى أوقعه فيه ومات عليه ثم تبرأ منه (قوله إذ قال للإنسان المراد به برصيصا العابد لما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « الإنسان الذى قال له الشيطان راهب نزلت عند امرأة أصابها لم ليدهو لها فزين له الشيطان ووطئها فحمت ثم قتلها خوفاً من أن يفتضح فدل الشيطان قومها على موضع فجاءوا فاستنزلوا الراهب ليقتلوه فجاءه الشيطان فوعده إن سجد له أن ينجيته منه فسجد له فتبرأ منه » ، وقصته مبسوط فى الشرح على الأربعين فى شرح الحديث الرابع فانظرها إن شئت (قوله كذباً منه ورياء) أى قوله هذا كذب منه ورياء لأنه لا يخاف الله أبداً .

وله أى الغاوى) اسم فاعل من غوى يغوى كرمى يرمى ، والمراد به الانسان الذى غره الشيطان وقوته والغوى اسم فاعل ضامن اغواه يغويه وهو الشيطان (قوله وقرى بالرفع) أى اذا (قوله يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله الخ) لما ذكر صفات كل من المنافقين واليهود وما آل إليه أمرهم وعظ المؤمنين بموعظة حسنة تحذيرا من أن يكونوا مثل من تقدم ذكرهم ذلك أوقع في النفس (قوله ولتنظر نفس) اللام لام الأمر ، والحكمة في التنكير الإشارة إلى أن الأنفس النازلة لمادها متغيرة بغيرها قليلة جدا عديدة الثبيل (قوله ما قدمت لقد) ما اسم موصول وقدمت صائته ، والمعنى ولتبحث وتحصل نفس عمل الذى قدمته لقد وذلك لأن جميع ما عمله في الدنيا ترى جزاءه في القيامة فليختر العاقل أى الجزاءين لما ورد في الحديث الكبس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى (قوله ليوم القيامة) أى غدا لقرب مجيئه ، قال تعالى : وما أمر الساعة إلا كلمح البصر ، فكأنه لقربه شبيه بما ليس بينه وبينه إلا ليلة واحدة التنكير في غدا للتعظيم والإبهام كأنه قيل لقد لا تعرف النفس كنهه عظمتة وهوله (قوله واتقوا الله) كرره للتأكيد أو الأول إشارة للأمر بأصل التقوى والثانى للأمر بالدوام عليها (قوله إن الله خير بما تعملون) الخير المطاع على خفيات الأشياء لقادر على الاخبار بما عجزت عنه المخاوفات وقوله : بما تعملون أى من خير وشر (قوله تركوا طاعته) أشار بذلك إلى أن المراد النسيان الترك وليس المراد به عدم الحفظ والذكر (قوله أن) (١٨٣) يقدموا لها خيرا (أشار بذلك

إلى أن الكلام على حذف مضاف والتقدير فأناسهم تقديم خبر لأنفسهم فتعمره نسيانهم الله نسيان أنفسهم أى فترك حقوق الله خسراهم وهو نظير قوله تعالى : وإن أناسهم فلها ، ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه ، ومن كفر فعليه كفره لأنه المستغنى عن كل ما سواه (قوله لا يستوى أصحاب النار) أى الذين

أى الغاوى والمغوى ، وقرى بالرفع اسم كان (أنهم فى النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين) الكافرين (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لقد) ليوم القيامة (واتقوا الله إن الله خير بما تعملون . ولا تكونوا كالذين نسوا الله تركوا طاعته) (فأنسيهم أنفسهم) أن يقدموا لها خيرا (أولئك هم الفاسقون . لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون . لو أنزلنا هذا القرآن على جبل) وجعل فيه تمييز كالإنسان (لرأيته خاشعا مضطعا) متشفقا (من خشية الله وتلك الأمثال) المذكورة (نضرها للناس لعلهم يتفكرون) فيؤمنون (هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة) السر والعلانية (هو الرحمن الرحيم . هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس) الطاهر عما لا يليق به (السلام) ذو السلامة من النقائص (المؤمن) ،

نسوا الله فاستحقوا الخلود فى النار (قوله وأصحاب الجنة) أى الذين اتقوا الله فاستحقوا الخلود فى الجنة (قوله أصحاب الجنة هم الفائزون) هذا كالتذييل لقوله : يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله الخ وذلك لأن الله تعالى لما أمر المؤمنين بالتقوى والنظر فى العواقب والعمل النافع ، ونهاهم عن الغفلة والتشبه بمن نسي طاعة الله ذيله بما يرغبهم فى طاعة الله ويقرّبهم إليه زلفى (قوله وجعل فيه تمييز كالإنسان) المقصود من هذا الكلام التنبيه على قساوة قلوب الكفار وغلظ طبائعهم وفيه رمز لمن قلّ خشوعه عند تلاوة القرآن وأعرض عن تدييره ولم ياتر بأوامره ولم يفته بنواهيه فالواجب التدبر فى القرآن والخشوع عند قراءته فانه لا عذر فى ترك ذلك إذ لو خوطب بهذا القرآن الجبال مع تركيب العقل فيها لانقادت لمواعظه ولرايتها خاشعة مشفقة من خشية الله (قوله المذكورة) أى فى هذه السورة أوفى سائر القرآن (قوله هو الله الذى الخ) لما وصف الله تعالى كلامه بالعظم ومن المعلوم أن عظم الصفة تابع لعظم الموصوف أتبع ذلك بوصف عظمه تعالى فقال هو أى الذات المتصفة بالكلمات أزلا وأبدا الواجبة الوجود وقوله الله خبر عن هو وقوله بعد ذلك : الذى لا إله إلا هو إما خبر ثان أو صفة للفظ الجلالة وذكر لفظ الجلالة بعد الهوية لأن الهوية هى الذات والجلالة اسم الذات ومظهرها (قوله الملك) أى المتصرف فى خاقه بالإيجاد والاعدام (قوله القدوس) أى المنزه عن صفات الحوادث وآتى به عقب الملك يدفع توهم أنه يطرأ عليه نقص كالمالوك (قوله السلام) أى الذى يسلم على عباده المؤمنين فى الجنة وعلى الأنبياء فى الدنيا ، أو السالم من كل نقص ، أو المؤمن من المخاوف والمهلك .

(قوله المصدق رسله بخالق المعجزة لهم) أى أوليائه بالكرامات وعبادة المؤمنين عني بعبادتهم وإخلاصهم لأنه لا يطاع على الإخلاص إلا هو (قوله أى الشهيد على عباده) وقيل معناه المطاع على خطرات القلوب (قوله القوى) أى فهو من عز بمعنى غلب رقبته فيكون من صفات الجلال ويصح أن يكون من عز بمعنى قل فلم يوجد له نظير فهو من صفات السلوب (قوله جبر خلقه على ما أراد) أى من إسلام وكفر وطاعة ومعصية فإذا أراد أمرا فعله لا يحجزه عنه حاجز فهو من صفات الجلال ويصح أنه مأخوذ من الجبر بمعنى الإصلاح كقولهم جبر الطبيب الكسر أى أصلحه فيكون من صفات الجمال (قوله التكبر) من الكبرياء وهو تعالى في العظمة وهي مختصة به تعالى لما في الحديث القدسي «الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن أوتى شيئاً واحداً منهما قصمته ثم حذفته في النار» (قوله عما لا يليق به) أى من صفات الحوادث (قوله سبحانه الله عما يشركون) أى بالتسبيح عقب قوله التكبر إشارة إلى أن هذا الوصف مختص به وينزه سبحانه عن مشاركة غيره (قوله هو الله) كسر الهوية لأنهم حقيقة الذات المتصنة بالكلمات فما يذكر بعدها من الصفات فهو كشف لها (قوله الخالق) أى الموجد للخلوقات من العدم (قوله المنشئ) أى المبدع للأعيان المبرز لها (قوله المصور) أى المبدع للأشكال على حسب إرادته فأعطى كل شيء من المخلوقات صورة خاصة وهيئة منفردة (١٨٤) يتميز بها على اختلافها وكثرتها (قوله مؤث الأحسن) أى الذى

هو أفضل تفضيل لا مؤث أحسن المقابل لامرأة حسناء، ووصفت بالحسنى لأنها تدل على معان حسنة من تحميد وتقدس وغير ذلك، ووصف الجمع الذى لا يعقل بما توصف به الواحدة وهو فصيح ولوجاء على المطابقة لقال الحسن بوزن آخر ويصح أن يراد من الحسنى المصدر ويقال فيه ما قيل فى زيد عدل ووصف الجمع به ظاهر لأنه لا يثنى ولا يجمع (قوله يسبح له

المصدق رسله بخالق المعجزة لهم) (الْمُتَكَبِّرُ) من هيمن يهيمن إذا كان رقيباً على الشيء أى الشهيد على عباده بأعمالهم (الْمَرْبُوتُ) القوى (الْجَبَّارُ) جبر خلقه على ما أراد (الْمُتَكَبِّرُ) عما لا يليق به (سُبْحَانَ اللَّهِ) نزه نفسه (عَمَّا يُشْرِكُونَ) به (هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ) المنشئ من العدم (الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى) التسعة والتسعون الوارد بها الحديث، والحسنى مؤث الأحسن (يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) تقدم أولها .

(سورة الممتحنة)

مدنية، ثلاث عشرة آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ) أى كفار مكة (أَوْلِيَاءَ تُلَقُّونَ) توصلون (إِلَيْهِمْ) قصد النبي صلى الله عليه وآله وسلم غزوم الذى أسره إليكم وورى بحنين،

ما فى السموات والأرض الخ) ختمها بالتسبيح كما ابتدأها به إشارة إلى أنه المقصود الأعظم والمبدأ والنهاية وأن غاية المعرفة بالله سبحانه وتعالى تنزيهه عما صورته العقول .

[سورة الممتحنة] بكسر الحاء وفتحها لأنه نزل فيها أمر المؤمنين بامتحان المرأة التى هاجرت فالكسر من حيث أمر المؤمنين بالامتحان والفتح من حيث المرأة وهى أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط امرأة عبد الرحمن بن عوف والد إبراهيم بن عبد الرحمن (قوله مدنية) أى بإجماع (قوله عدوى وعدوكم) أضاف العدو لنفسه تعالى تشرىفاً للمؤمنين أى أن عدوكم بنزلة عدوى أنتقم منه وإلا فالعدو بمعنى الموصل للضر على الله محال كما أن الحبيب الموصل للنفع على الله محال (قوله أى كفار مكة) تفسير للعدو والمبرة بموم اللفظ لا بخصوص السبب فحكم الآية باق مع سائر الكفار إلى يوم القيامة (قوله تلقون إليهم) هذه الجملة إما مفسرة لموالاتهم إليهم أو استثنائية فلا محل لها من الإعراب على هذين أحوال من فاعل تتخذوا أوصفة لأوليائه (قوله قصد النبي الخ) أشار بذلك إلى أن مفعول تلقون محذوف والباء فى قوله بالمودة سببية (قوله وورى بحنين) أى بغزوة حنين، والمعنى أظهر لعامة الناس أنه يريد غزوة حنين على عادته من أنه كان إذا خرج لغزوة يورى بغزوها كان يسأل عن طريق غيرها سترها عن المنافقين لئلا يرسوا إلى الكفار فيتنبهوا فيفوت تدير الحرب، والتورية مأخوذة من وراء الإنسان كأنه يجعل ماأراد خلفه ووراءه،

ولا يحضر النسخ : وورثي بحبير وهو تحريف لأن غزوة خيبر كانت في المحرم سنة سبع وفتح مكة كان في رمضان من السنة الثامنة وحينئذ كانت بعد الفتح في شوال من سنة الفتح فورثي بها على عادته في غزواته والسورة نزلت في غزوة الفتح (قوله كتب حاطب بن أبي بلتعة الخ) أي وكان ممن هاجر مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الأصل من اليمن وكان في مكة حليف بن أسد بن عبد العزى رهط الزبير بن العوام ، وهذا بيان لسبب نزول قوله : يا أيها الذين آمنوا الآيتين . روى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزبير والمقداد فقال اتوا روضة خاخ بالصرف وتركه موضع بينه وبين المدينة اثنا عشر ميلا فان بها ظعينة معها كتاب فغذوه منها فانطلقنا نهادي خيلنا : أي تسرعها فإذا نحن بامرأة فقلنا أخرجي الكتاب فقالت مامي كتاب فقلنا لتخرجي الكتاب أو لتلقن الثياب فأخرجته من عقاصها فأقبتنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا فيه : من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا حاطب ما هذا ؟ قال لانعجل علي يا رسول الله إني كنت امرأ موصفا في قريش قال سفيان كان حليفا لهم ولم يكن من أنفسهم وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمونها بها أهلهم فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن آخذ فيهم يدا يحمونها بها قرابتي ولم أفعله كفرا ولا ارتدادا عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الاسلام وقد علمت أن الله ينزل بهم بأسه وأن كتابي لا يفي عنهم شيئا وأن الله ناصرهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدق فقال عمر رضي الله عنه دهني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فأنزل الله عز وجل : يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء ، قيل اسم المرأة سارة (١٨٥) من موالى قريش ، روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم أمن جميع الناس يوم فتح مكة إلا أربعة هي إحداهم ، وقيل إنها عاشت إلى خلافة عمر وأسلمت وحسن إسلامها وكان

(بِالْمُؤَدَّةِ) بينكم وبينهم ، كتب حاطب بن أبي بلتعة اليهم كتابا بذلك لما له عندهم من الأولاد والأهل المشركين ، فاسترده النبي صلى الله عليه وسلم ممن أرسله معه بإعلام الله تعالى له بذلك وقيل عن حاطب فيه (وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ) أي دين الإسلام والقرآن (يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَيَاكُمُ) من مكة بتضديفهم عليكم (أَنْ تُؤْمِنُوا) أي لأجل أن آمنتم (يَا اللَّهُ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ مَهَادًا) ،

في الكتاب : ما بعد من رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه إليكم بجيش كالليل يسير كالسيل وأقسم بالله لو لم يسر إليكم إلا وحده لأظفركم الله بكم ولا يخذله مواعده فيكم فان الله وليه وناصره ، وروى أن سارة المذكورة حين قدمت المدينة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أمهاجرة جئت ياسارة ؟ فقالت لا فقال أسلمة جئت ؟ قالت لا قال فما جاء بك ؟ قال كنتم الأهل والموالى والأصل والعشيرة وقد ذهب بعض الموالى ، يعني قتالوا يوم بدر ، وقد احتجت حاجة شديدة فقدمت عليكم لتعطوني وتسكنوني فقال عايه الصلاة والسلام فإني أنت من شباب أهل مكة وكانت مغنية قالت ما طلب مني شيء بعد وقعة بدر ، فأت رسول الله صلى الله عليه وسلم بن عبد المطلب على إعطائها فكسوها وحملوها وأعطوها ، فخرجت إلى مكة وأنها حاطب فقال أعطيك عشرة دنانير وبردا على أن تلقى هذا الكتاب إلى أهل مكة ، وكتب فيه : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة سائرة إلى مكة ونزل جبريل فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فبعث لها عليا إلى آخر ما تقدم (قوله فاسترده النبي) أي طلب رده بارسال علي ومن معه (قوله عن أرسله) أي وهي سارة والصمير المستتر في أرسل عائذ على حاطب والبارز عائذ على الكتاب (قوله بإعلام الله له) متعاقب باسترده ولجاء سببية (قوله وقيل عن حاطب) أي لأنه مؤمن بدرى شهد الله له بالإيمان حيث قال : يا أيها الذين آمنوا الخ (قوله يخرجون الرسول) إما مستأنف أو تفسير لكفرهم أحوال من فاعل كفروا (قوله وإياكم) عطف على الرسول وقدم عليهم لأنه المقصود بذلك عدل عن اتصال الصمير إلى انفصاله لأنه لو قال يخرجونكم والرسول لفات هذا المعنى (قوله أي لأجل أن آمنتم الخ) أشار بذلك إلى أن أن تؤمنوا في محل نصب مفعول له ، والمعنى يخرجونكم من أجل إيمانكم بالله (قوله إن كنتم خرجتم) أي من مكة .

(قوله للجهاد) أشار به إلى أن جهادا وما بعده منصوب على المفعول له (قوله تسرون إليهم) بدل من تلقون بدل بغير من كل أو مستأنف ومفعول تسرون محذوف قدره بقوله إسرار خبر النبي والباء في بالمودة للسببية نظير ما تقدم (قوله وأعلم) الجملة حالية من فاعل تلقون وتسرون (قوله طريق الهدى) أشار بذلك إلى أن سواء السبيل مفعول ضل (قوله إن يشقوكم الخ) كلام مستأنف مبين لوجه العداوة (قوله يكونوا لكم أعداء) أي يظهروا العداوة لكم (قوله وودوا لو تكفرون) عطف على جملة الشرط والجزاء فقد أخبر عنهم بخبرين عداوتهم ومودتهم كفر المؤمنين (قوله لن تنفعكم أرحامكم) هذا تخطيط لحطب في رأيه كأنه قال : لا تحملكم قراباتكم وأولادكم الذين بكه على خيانة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وترك مناصحتهم ونقل أخبارهم وموالات أعدائهم فانه لا تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم الذين عصيتهم الله لأجلهم (قوله من العذاب) متعلق بقوله لن تنفعكم (قوله يوم القيامة) إما متعلق بما قبله فيوقف عليه ويتبدأ بفصل بينكم متعلق بما بعده فيوقف على أولادكم ويتبدأ بيوم القيامة (قوله بالبناء للمفعول) أي مع التخفيف والتشديد وقوله والقاعد أي معهما أيضا فالقراءات أربع (١٨٦) سبعيات (قوله وبنهم) أي الأرحام والأولاد (قوله فتكونون في الجنة

الجهاد (في سبيلي وأبتغاء رضائي) وجواب الشرط دل عليه ما قبله : أي فلا تتخذوا أولياء (تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم) أي إسرار خبر النبي إليهم (فقد ضل سواء السبيل) خطأ طريق الهدى والسواء في الأصل الوسط (إن يشقوكم) يظفروا بكم (يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم) بالقتل والضرب (وألستهم بالشوء) بالسب والشتم (وودوا) تمنوا (لو تكفرون) لن تنفعكم أرحامكم (قراباتكم) (ولا أولادكم) المشركون الذين لأجاءهم أسررتهم الخبر من العذاب في الآخرة (يوم القيامة يفصل) بالبناء للمفعول والفاعل (يدنكم) وبينهم فتكونون في الجنة وهم في جملة الكفار في النار (والله بما تعملون بصير) قد كانت لكم أسوة بكسر الهمزة وضمها في الموضعين : قدوة (حسنة في إبراهيم) أي به قولاً وفعلًا (والذي معه) من المؤمنين (إذ قأوا لقومهم إنما برآه) جمع برى كظريف (منكم) ومم تمبدون من دون الله كفرنا بكم) أنكرناكم (وبدأ يدننا وبنفكم العداوة والبغضاء أبدا) بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية واو (حتى تؤمنوا بالله وحده) لا قول إبراهيم لأبدا (لستفقرن لك) مستثنى من أسوة أي فليس لكم التأسي به في ذلك بأن تستغفروا للكفار وقول في الموضعين أي هذا

أي فلا ينبغي موالات الكفار لأنه لا اجتماع بينكم وبينهم في الآخرة (قوله قد كانت لكم أسوة حسنة) لما بين سبحانه وتعالى حال من جعل الكفار أولياء في أول السورة ذكر هنا قصة إبراهيم وقومه وأن طريقته التبرى من أهل الكفر وألزم أمة محمد بالاعتداء به في ذلك وفيه توبيخ لحاطب ومن وإلى الكفار (قوله بكسر الهمزة وضمها) أي فهما قراءتان سبعيتان وقوله في الموضعين أي هذا

وقوله الآتي لقد كان لكم فيهم أسوة ومعناها عليهما الاتباع والاعتداء كما قال المفسر (قوله في إبراهيم) (وما جار ومجرور متعلق بأسوة ورد بأنه لا يجوز عمل المصدر الموصوف. وأجيب بأنه يتوسع في الظروف ما لا يتوسع في غيرها ويصح أنه متعلق بحسنة تعلق الظرف بالعمل ويصح أنه نعت ثان لأسوة وإنما خص التأسي بإبراهيم لأنه صبر على أذى عدو الخمرود ولم يكن معه أحد يعينه عليه مع تفرد بملك الأرض مشرقا ومغربا (قوله قولا وفعلًا) تمييز مبين لجهة الاعتداء اقتدوا به في القول والفعل فانه لم يبال بالكفار ولا بشتمهم وضعفه (قوله والذين معه من المؤمنين) يحتمل أن المراد بالعدو وهو في أرض بابل وحيفئذ لم يكن معه إلا لوط ولداً أخيه وسارة زوجته أو المراد بعد مجيئه إلى الشام حينما كثر المؤمنون (قوله إذ قالوا) هذا بدل اشتغال من إبراهيم والذين معه والمراد بقومهم الخمرود وجماعته أي فبارزوهم بالعداوة ولم يبالوا بهم شدة بأسهم وضعف المؤمنين (قوله إنما برآه منكم) أي من دينكم وآلهتكم (قوله وبدأ) أي ظهر بيننا وبينكم العداوة على مر الأزمان بدليل ذكر الابد والعداوة المبينة ظاهرا وبالبغضاء المبينة بالقلوب وفي الحقيقة هما متلازمان (قوله بتحقيق الهمزتين) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله مستثنى من أسوة حسنة) أي وساغ ذلك لأن القول من جملة الأسوة فكانه قيل لكم فيه في أفعاله وأقواله إلا قوله كذا (قوله أي فليس لكم التأسي به) أي لأن استغفاره له لرجائه إسلامه فلما ظهر أنه عدو لله تبرأ

بقوله وما أملك لك من الله من شيء) هذه الآية باعتبار معناها الوضعي تكون من جملة ما يقتدى به فيه لأن محصله أنه لا يملك
 له نوابه ولا عقابا على حد: ليس لك من الأمر شيء. وهذا ثابت لإبراهيم وغيره وليس مرادا هنا بل المراد معناها الكنائي وهو
 أنه لا يملك له غير الاستغفار فهو غير مقتدى به فيه. وحينئذ فقوله وما أملك معطوف على لأستغفرن لك وأشار المسر لذلك
 بقوله كفى به الخ (قوله فهو مبنى عليه) أي معطوف على لأستغفرن ومرتبطة به ساقه اعتذارا (قوله مستثنى من حيث
 المراد منه) أي وهو اللفظ الكنائي (قوله وإن كان من حيث الخ) مبالغة على أنه ليس مرادا وإن كان معناه الوضعي
 قوله قل فمن يملك (هذا دليل للمعنى الوضعي غير المراد) (قوله واستغفاره) هذا بيان لعذر إبراهيم في استغفاره لأبيه وذلك
 أنه لم يستغفر له إلا رجاء إيمانه ولما مات على الكفر رجع عن ذلك كما قال تعالى - وما كان استغفار إبراهيم لإبراهيم - الخ .
 الحاصل أن إبراهيم وعد أباه بالاستغفار في سورة مريم بقوله - سأستغفر لك ربى إنه كان نبي حفيا - واستغفر له بالقول
 في سورة الشعراء في قوله تعالى - واغفر لأبى - ثم رجع عن ذلك كما بينه الله في سورة براءة (قوله من مقول الخليل الخ)
 أي الذي يقتدى به فهو في المعنى متقدم على جملة الاستثناء (قوله أي قالوا) (١٨٧) أي فهو مقول للقول السابق

في قالوا إنا برآء منكم
 أي قالوا ذلك وقالوا ربنا
 الخ) ويصح أن يكون
 أمرا من الله للمؤمنين تنبيها
 لما أمرهم به من ترك
 موالاته الكفار أي أظهروا
 لهم العداوة ولا يهولنكم
 أمرهم وقولوا ربنا الخ ،
 ومعنى توكلنا فوضنا أمرنا
 وقوله وإليك أنبنا أي
 رجعنا بالتوبة عن كل
 ما نكره منا وقوله وإليك
 المصير الرجوع في الآخرة
 (قوله أي لا تظهرهم)
 أي لا تجعلهم غالبين علينا
 وقوله فيظنوا أنهم على

(وَمَا أَمْلَكَ لَكَ مِنَ اللَّهِ) أي من عذابه ونوابه (مِنْ شَيْءٍ) كفى به عن أنه لا يملك له غير
 الاستغفار فهو مبنى عليه مستثنى من حيث المراد منه وإن كان من حيث ظاهره مما يتأسي
 به ، قل فمن يملك لكم من الله شيئا ، واستغفاره له قبل أن يتبين له أنه عدو لله كما ذكر
 في براءة (رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) من مقول الخليل ومن معه: أي
 قالوا (رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا) أي لا تظهرهم علينا فيظنوا أنهم على الحق
 فيفتنوا: أي تذهب عقولهم بنا (وَأَغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) في ملكك
 وصنعك (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ) يا أمة محمد جواب قسم مقدر (فِيهِمْ أَسْوَةٌ خَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ) بدل
 اشتمال من كم بإعادة الجار (يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ) أي يخافهما أو يظن الثواب والعقاب
 (وَمَنْ يَتَوَلَّ) بأن يوالي الكفار (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ) عن خلقه (الْحَمِيدُ) لأهل طاعته (عَسَى
 اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ) من كفار مكة طاعة لله تعالى (مَوَدَّةً)
 بأن يهديهم للإيمان فيصيروا لكم أولياء (وَاللَّهُ قَدِيرٌ) على ذلك ، وقد فعله بعد فتح مكة (وَاللَّهُ
 غَفُورٌ) لهم ماسلف (رَحِيمٌ) بهم (لَا يَذِيهِكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ) من الكفار ،

الحق يعني إن ظفروا بنا وقوله فيفتنوا أي يزدادوا كفرا ويدوموا عليه لأن الاستدراج يوجب زيادة الكفر (قوله واغفر
 لنا) أي ماضى من الذنوب (قوله لقد كان لكم فيهم) هذه الجملة تأكيد لقوله سابقا قد كانت لكم أسوة الخ أي بها للمبالغة
 في التحريض على الاتباع لإبراهيم وأئمة (قوله أو يظن الثواب والعقاب) تفسير ثان للمعنى الرجاء والمراد بظن الثواب الخ الايقان بذلك
 (قول ومن يتول) أي يرض عن الاقتداء بإبراهيم وجواب الشرط محذوف تقديره فوباله على نفسه وقوله فإن الله الخ
 تحليل للجواب (قوله عسى الله الخ) هذا تسلية للمؤمنين في عدم موالاته الكفار الذين أمروا به في أول السورة فشدد المسلحون
 على أنفسهم في هجر الكفار فوعده الله المسلمين بإسلام أفار بهم الكفار فيؤالونهم موالاته بجائزة مطلوبة ويجمع الله اشتمال بعد
 التفرق (قوله منهم) أي من الكفار فهو حال من الذين أي حال كون الذين عاديتهم من جملة الكفار وقوله طاعة لله
 منقول لأجله أي حصاة المعاداة لأجل طاعة الله (قوله والله قدير) أي فلا يستبعد عليه ذلك الجعل المذكور (قوله
 وقد فعله) أي بأن ألهم غالب كفار مكة فصاروا أحببا وإخوانا (قوله والله غفور لهم) أي للذين عاديتهم بأن محاذرتهم
 ماسلف بسبب الإيمان (قوله لا يذيهكم) نزلت هذه الآية لخصيص الحكم النازل أول السورة لأن الآية الأولى عامة
 لساير الكفار مطلقا ولو كانوا صالحين ثم بين هنا أن من كان من الكفار بينهم وبين المسلمين صلح ومهادنة تجوز مودتهم ،

ولم يكن النهي شاملاً لم نخزاعة وبنى الحرف وعلى هذا تكون الآية محكمة فيجوز الآن للمسلمين مواددة الكفار الذين
الذمة والصلح ، وقيل إن المراد بقوله لم يقاتلوكم : أى لم يتدثروكم بالقتال ولولم يكن بينكم وبينهم صلح وهذا كان فى أو
بالجهاد ثم نسخ بالأمر باقتال عموم ما بقوله تعالى - فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم - (قوله فى الدين) أى لأجل دينكم
بدل اشتغال) أى فالمعنى لا ينهاكم الله عن أن تبرؤهم والبر هو الإحسان (قوله تفضوا) إنما فسر تقسطوا بمعنى تفضوا
تعديته بالى (قوله أى بالعدل) هذا لا يخص هؤلاء فقط بل العدل واجب مع كل أحد ولو قاتل فالأولى تفسيره بالإعطاء
تعطوهم قسطاً من أموالكم فعطف القسط على البر من عطف الخاص على العام (قوله وهذا قبل الأمر بجهادهم) يشير
إلى أن الآية منسوخة وقد علمت مافيه (قوله العادلين) أى على تفسير القسط بالعدل وعلى تفسير القسط بالإعطاء فالمراد بال
المحسنون (قوله وأخرجوكم من دياركم) أى وهم أهل مكة (قوله بدل اشتغال) أى إنما ينهاكم الله عن أن توالوهم (قوله الظ
فيه مراعاة معنى من بعد مراعاة لفظها (قوله يا أيها الذين آمنوا) لما أمر الله المسلمين بهجر الكفار اقتضى ذلك عدم مسا
والهجرة إلى المسلمين خوفاً (١٨٨) من الموالاة النهى عنها وكان التناكح من أقرب أسباب الموالاة بين

الزوجين فى هذه الآية ،
وسبب نزولها أن النبي
صلى الله عليه وسلم لما عقد
الصلح مع الكفار عام
الحديبية على شرط أن
من أتى النبي من أهل مكة
يرده إليهم وإن كان
مسلماً جاءت سبيعة بنت
الحارث الأسلمية مهاجرة
للنبي فجاء زوجها صبي
ابن الراهب وقيل المسافر
المخزومي وكان كافراً فقال
يا محمد اردد على امرأتى
فأنت شرطت ذلك فأنزل
الله هذه الآية فاستحلفها
رسول الله صلى الله عليه

(فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرؤهم) بدل اشتغال من الذين (وتفضوا
تفضوا (إليهم) بالقسط : أى بالعدل وهذا قبل الأمر بجهادهم (إن الله يحب المتقسط
العادلين) إنما ينهىكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم
وظاهر (را) عاونوا (على إخراجكم أن تولوهم) بدل اشتغال من الذين : أى تتخذوهم
(ومن يتوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ
بِالْإِسْتِثْنَاءِ (مُهَاجِرَاتٍ) من الكفار بعد الصلح معهم فى الحديبية على أن من جاء منهم
المؤمنين يرد (فَاُمْتَحِنُوهُنَّ) بالخلف إنهن ما خرجن إلا رغبة فى الإسلام لا بغضاً لأزواجهن
الكفار ولا عشقاً لرجال من المسلمين كذا كان صلى الله عليه وسلم يحلفهن (الله أعلم) بإيمان
بأن عاتقوهن (ظننتموهن بالخلف (مؤمنات فلا ترجعوهن) تردوهن (إلى الكفار
لأنهن حلل كنهن ولا هم يحايون كنهن وآتوهن) أى أعطوا الكفار أزواجهن (ما أن
عليهن من المهور (ولا جناح عليكم أن تنكحوهن) بشرطه (إذا آتيتموهن أجور
مهورهن (ولا تمسكوا) بالتشديد والتخفيف (بعصم الكوافر) زوجاتكم ،

وسلم خلفت فأعطى زوجها ما نفق وزوجها عمر بن الخطاب (قوله باستثنى) أى ناطقت بالشهادتين
بإستثنى (قوله من الكفار) أى حال كونهن من جملة الكفار أو متعلق بجاءكم (قوله بعد الصلح) متعلق بمهاجرات أو بجاءكم
على أن من جاء منهم) أى مؤمناً (قوله فامتحنوهن بالخلف) أى حافوهن هل هن مسلمات حقيقة أو لا ، وسبب الامتحان
من أرادت من الكفار إضرار زوجها قالت سأهاجر إلى رسول الله فذلك أمر بالامتحان (قوله الله أعلم بإيمانهن) أى
(قوله فلا ترجعوهن) أى لا يحل لكم أن تردوهن إلى الكفار . قال تعالى - وإن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً
وآتوهم ما أنفقوا) أى مادفعوا لهم من المهور كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك مع زوج سبيعة (قوله بشرطه) أى
انقضاء عقدتها فى الإسلام إن كان مدخولاً بها والولى والشاهدان وبقية شروط الصحة فى المدخول بها وغيرها (قوله بالتخفيف)
كضارب جمع ضاربة ، وقوله زوجاتكم : أى المناصلات فى الكفر اللاتى أسلمن عنهن ، وهذا النعت المقتدر هو المعنى
عليه قوله والاحقات الخ ، وصورة المسئلة أن الزوج أسلم عن زوجته الكافرة فهذا النهى للمؤمنين عن بقاؤهم على
المشركات الباقيات على الكفر بخلاف إسلامهم عن الكتابيات فلا يفسخ نكاحهن فإن النكاح بهن يجوز للإسلام

فلا يمنع من البقاء عليهن بعد الإسلام (قوله لقطع إسلامكم لها بشرطه) أي شرط القطع وهو أن لا يجمعهما الإسلام في العدة فإن أسلم وأسلمت بعده بشهر ونحوه أو أسلمت قبله وأسلم بعدها في العدة والموضوع أنه مدخول بها أفتر عليها في صورتين (قوله أو اللاحقات) معطوف على التمت المقدر بعد زواجكم وصورتها مسلمات أصالة تحت أزواج مسلمين فوقت منهن الردة والتحقيق بالمشركن في ذلك (قوله بشرطه) أي وهو دوام الردة إلى وفاة العدة فإن رجعت للإسلام قبل وفاة العدة ترجع له من غير عقد هكذا مذهب الإمام الشافعي في المدخول بها وأما غيرها فتبين بمجرد الردة ، وأما مذهب مالك فلا ترجع له إلا بعقد مطلقا سواء رجعت قبل العدة أو بعدها فكلام المفسر على قاعدة مذهب الإمام الشافعي (قوله واستأوا ما أنفقتم الخ) قال المفسرون كان من ذهب من السلطات مرتدا إلى الكفار المعاهدين يقال للكفار هاتوا مهرها ويقال للمسلمين إذا جاء أحد من الكافرات مسلمة مهاجرة ردوا إلى الكفار مهرها وكان ذلك نصفا وعدلا بين الحالين ، ثم نسخ ذلك الأمر فمن ارتدت لانقرت ومن جاءتنا منهم مسلمة مهاجرة لا يأخذون لها مهرا (قوله ذلكم حكم الله) أي المذكور في هذه الآية ، وقوله يحكم بينكم استئناف أحوال بتقدير الرابط وقد جرى عليه للمفسر (قوله وإن فأنكم الخ) هذه الآية أيضا من تمة قوله - واستأوا ما أنفقتم - فهو بمعناه ، وعمله أنه إن فترت شئ : أي امرأة أو أكثر إلى الكفار فأنقمت فأعطوا الذين فترت أزواجهن من الغنيمة قبل قسمها قدر مهرها فكأنه دين على الكفار. قال ابن عباس : لحق بالمشركن من نساء المؤمنين المهاجرين ست نسوة

(١٨٩)

مرتدات فأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم أزواجهن مهور نساءهم من الغنيمة (قوله مرتدات) حال من أزواج (قوله ففترتكم) فسر العقوبة بالغزو لحصولها به (قوله فأتوا) بدالهمزة أي أعطوا ، روى أنه لما نزل قوله تعالى - واستأوا ما أنفقتم وليسئالوا ما أنفقوا - أدى المؤمنون

لقطع إسلامكم لها بشرطه أو اللاحقات للمشركن مرتدات لقطع ارتدادهن نكاحكم بشرطه (وَأَسْتَأْوُوا) اطلبوا (مَا أَنْفَقْتُمْ) عليهن من المهور في صورة الارتداد ممن تزوجهن من الكفار (وَلَيْسَ لَكُمْ أَنْفَقُوا) على المهاجرات كما تقدم أنهم يؤتونه (ذَلِكَمُ حُكْمُ اللَّهِ بِكُمْ) (بَيْنَكُمْ) به (وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) . وَإِنْ فَتَرَ كُفْرًا مِنْ أَزْوَاجِكُمْ) أي واحدة فأكثر منهن ، أو شئ من مهرهن بالذهب (إِلَى الْكُفَرَاءِ) مرتدات (فَهَاقَبْتُمْ) ففترتكم وغنمتم (فَأَتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ) من الغنيمة (مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا) لفواته عليهم من جهة الكفار (وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ) وقد فعل المؤمنون ما أمروا به من الإتياء للكفار والمؤمنين ثم ارتفع هذا الحكم (بِأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْ لَادَهُنَّ) كما كان يفعل في الجاهلية ،

مهور المؤمنات المهاجرات إلى أزواجهن المشركن وبني المشركون أن يؤدوا شيئا من مهور المرتدات إلى أزواجهن المسلمين وأنزل الله وإن فأنكم الخ (قوله ثم ارتفع هذا الحكم) أي نسخ حكمه فصار الآن إذا ارتدت امرأة ولحقت بالمشركن لا تأخذ لها مهرا بل نفتظرها فمضى قدرنا عايبها استتبتها فان تاب وإلا قتلت كما أن من فرت من الكفار مسلمة لاندفع لها مهرا (قوله يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات الخ) أي من أهل المدينة أو مكة أو غيرها وأسكن الآية نزلت في فتح مكة لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من مبايعة الرجال (قوله يبايعنك) أي يعاهدنك وسماه مبايعة لأنه مقابلة شئ بشئ وهو الإيمان وتوابعه في مقابلة الجنة والرضوان ويبايعن مبقى على السكون لانصاله بنون النسوة والكاف مفعول (قوله على أن لا يشركن) نهاهن في هذه المبايعة عن ستة أشياء ولم يقابلها بأوامر لأن النهي عن هذه يستلزم الأمر بضدها (قوله ولا يسرقن) روى أنه لما قال النبي لمن ذلك قالت هند امرأة أبي سفيان يا رسول الله إن أباسفيان رجل شحيح فهل على حرج إذا أخذت ما يكفيني وولدي قال لا إلا بالمعروف ، فخشيت هند أن تقتصر على ما يعطيها فتضيع أو تأخذ فتكون ناقضة للبيعة لذلك أمرها بالمعروف في الأخذ ومحل جواز الأخذ بغير إذن إذا كان غير محجور ، وأما إذا حجره بقفل أو نحوه فيحرم الأخذ وإن أخذت تعد سارقة وتقطع يدها فلما قال رسول الله ولا يزني قالت هند أو تزني الحرة ؟ فلما قال ولا يقتلن أولادهن ، قالت ربيناهم صغارا وقتلهم وهم كبارا وعرضت بولدها حنظلة فانه قتل يوم بدر فضحك عمر وتبسم رسول الله ، فلما قال ولا يأتين بهتان ، قالت والله إن البهتان لقبيح وما نأمرنا إلا بالارشاد ومكارم الأخلاق وكانت هذه البيعة في مكة عند الصفا فاجتمع له من الفسوة أربع مائة وسبع وخمسون

امرأة فآمن (قوله من وأد البنات) أى دفنهن أحياء (قوله أى بولد ملقوط) أى فكانت المرأة إذا خافت مفارقة زوجها لعدم الحمل التقطت ولدا ونسبته له ليبقيها عنده فأشار المفسر بقوله : أى بولد إلى أنه المراد بالبهتان المفتري وليس المراد الزنا لتقدمه في النهي صريحا (قوله كترك النياحة) أى فالمراد بالمعروف هو ما عرف حسنه في الشرع وهو اسم جامع لكل خير (قوله فبايعهن) جواب إذا جاءك المؤمنات : أى التزم لهن الثواب إذا التزمن ذلك (قوله بالقول) هذا هو الصحيح ، وقيل إنه صاخبهن بحائل لما روى أنه بايع النساء وبين يديه وأيديهن ثوب ، وقالت أم عطية لما قدم المدينة جمع نساء الأنصار في بيت ثم أرسل إلينا عمر بن الخطاب على الباب فسلم فرددن عليه السلام ، فقال أنا رسول رسول الله إليكن أن لا تشركن بالله شيئا الآية فقلن نعم فمد يده من خارج البيت ومددنا أيدينا من داخل البيت ثم قال اللهم اشهد (قوله واستغفر لهن الله) أى مما سلف منهن (قوله يا أيها الذين آمنوا الخ) ختم السورة بمثل ما افتتحها به وهو النهي عن موالة الكفار وهذا من البلاغة ويقال له رد العجز على الصدر (قوله (١٩٠) غضب الله عليهم) نعت لقوما ، وقوله قد يئسوا نعت ثان (قوله هم اليهود)

أشار المفسر بذلك إلى سبب نزول الآية وهو أن ناسا من فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود بأخبار المسلمين ليعطوهم من ثمارهم فنزلت ، وقيل المراد بالمغضوب عليهم جميع الكفار (قوله لعنادهم) علة ليأمرهم مع إيقانهم به فلاحظ لهم فيها ولا ثواب (قوله من أصحاب القبور) مشى المفسر على أن قوله من أصحاب القبور صفة للكفار والميثوس منه مخاوف قدره بقوله من خير الآخرة : أى أن اليهود يئسوا من الآخرة كيأس الكفار الذين قبروا من خير الآخرة ،

من وأد البنات: أى دفنهن أحياء خوف العار والفقر (وَلَا يَأْتِيَنَّ بِهِمَا نِيَفَتْرِيْفُهُ بَيْنَ أَيْدِيْهِنَّ وَأَرْجُلَيْهِنَّ) أى بولد ملقوط ينسبته إلى الزوج، ووصف بصفة الولد الحقيقي فإن الأم إذا وضعت سقط بين يديها ورجليها (وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي) فعل (مَعْرُوفٍ) هو ما وافق طاعة الله كترك النياحة وتمزيق الثياب وجز الشعور وشق الجيب وخش الوجه (فَبَايَعَهُنَّ) فعل ذلك صلى الله عليه وسلم بالقول ولم يصافح واحدة منهن (وَأَسْتَغْفِرُ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ (هم اليهود) قَدْ يَذْسُرُوا مِنَ الْآخِرَةِ) أى من ثوابها مع إيقانهم بها لعنادهم النبي مع علمهم بصدقه (كَمَا يَلْبِثُ الْكُفَّارُ) الكائنون (مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ) أى المقبورين من خير الآخرة ، إذ تعرض عليهم مقاعدهم من الجنة لو كانوا آمنوا وما يصيرون إليه من النار .

(سورة الصف)

مكية أو مدنية ، أربع عشرة آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) أى تزهه فاللام مزيدة وجيء بما دون من تغليبها للأكثر (وَهُوَ الْعَزِيزُ) فى ملكه (الْحَكِيمُ) فى صنعه (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ) ،

وقيل ان قوله من أصحاب القبور هو الميثوس منه ، والمعنى أن اليهود أيسوا من الآخرة كيأمرهم من أصحاب القبور لأنهم ينكرون البعث ، وقيل كيأمرهم الكفار المقبورون من رجوعهم إلى الدنيا احتمالات ثلاث (قوله إذ تعرض عليهم) أى وهم فى القبور (قوله لو كانوا آمنوا) أى قبل الموت (قوله وما يصيرون إليه) معطوف على مقاعدهم : أى ويعرض عليهم ما يصيرون إليه من النار . [سورة الصف مكية] أى فى قول عكرمة وقتادة والحسن وبه جزم فى الكشف (قوله أو مدنية) أى وهو قول الجمهور (قوله فاللام مزيدة) أى للتأكيد ، وقيل للتعليل : أى سبحوا لأجل الله ابتغاء وجهه لا طلبا لثواب ولا خوفا من عقاب وهذا أعلى مراتب العمل وقد تقدم نظير ذلك وأعاد ما الموصولة فى قوله : وما فى الأرض هنا وفى الحشر والجمعة والتغابن لأنه الأصل وتركه فى الحديد مشاكلة لقوله فيها بعد : له ملك السموات والأرض ، وقوله هو الذى خلق السموات والأرض (قوله لم تقولون) استفهام إنكارى جيء به للتوبيخ لمن يدعى ما ليس فيه فأن وقع ذلك إخبارا عن أمر فى الماضى فهو كذب وإن وقع فى المستقبل يكون خلفا للوعد وكلاهما مذموم ولأم الجرة داخله على ما الاستفهام : عر حذفت ألفها لذلك قال ابن مالك :

وما في الاستفهام ان جرت حذف ألفها وأولها هما ان تنق

قوله في طلب الجهاد) سبب نزول هذه الآية أنه لما سمع أصحاب رسول الله مدح الجهاد ومدح أهل بدر قالوا لئن لقينا قتالا فرغن فيه وسعنا ففروا يوم أحد فنزلت هذه الآية توبيخا لهم وهذا خارج مخرج التخويف والزجر . وقيل نزلت في المنافقين نوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إن خرجتم وقاتلتم خرجنا معكم وقاتلنا فلما خرج النبي وأصحابه نكصوا على قلوبهم وتخلفوا وحيفت فسميتهم مؤمنين بحسب الظاهر والدم على حقيقته (قوله إذ انهزمت بأحد) تعليل لقوله ما لاتفعلون (قوله قوله تميز) أي محول عن الفاعل والأصل كبر مقت قولكم ولقت أشد البغض وهو من أمثلة التعجب في مقام الدم (قوله نصر ويكرم) هذا معنى المحبة في حق الله لأن حقيقته وهو ميل القلب مستحيل على الله ومن لازم الميل الاكرام والنصر طاق على الله باعتبار هذا اللازم (قوله حال) أي من الواو في يقاتلون وقوله أي صافين سره بمشتق لصحة الحالية ومفعوله مذكوف أي أنفسهم (قوله ملزق بعضه إلى بعض) أي كأنه بنى بالرصاص أو معنى الرصوص الملتئم الأجزاء المستويها المحكمها من كان كذلك لانهزم ولا يقاوم (قوله وإذ قال موسى) ذكر قصة موسى وعيسى إجمالا تسليية للنبي عليه الصلاة والسلام صبر على أذى قومه وتذكيرا لتفاصيلها المتقدمة وأبدأ بقصة موسى لأسبقيته (١٩١) في الزمن (قوله قالوا إنه آدر) وسبب تهمتهم له بذلك ستره للعورة من صفه فلم يروه فعيبوه بذلك وتقدم ذلك عند قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى الآية (قوله وكذبوه) معطوف على قالوا أي عيبوه في جسمه وأنكروا ما جاء به وكذبوه (قوله قد للتحقيق) أي تحقيق عامهم برسالتهم وذلك يوجب تعظيمه ويمنع

في طلب الجهاد (مَا لَا تَفْعَلُونَ) إذ انهزمت بأحد (كَبُرَ) عظم (مَقْتًا) تمييز (عِنْدَ اللَّهِ) (أَنْ تَقُولُوا) فاعل كبر (مَا لَا تَفْعَلُونَ . إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ) ينصر ويكرم (الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا) حال: أي صافين (كَأَنَّهُمْ بُفَيَّانٌ مَرَصُوصٌ) ملزق بعضه إلى بعض ثابت (وَ) ذكر (إِذْ قَالَ مُوسَى قَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُولَدُونَ) قالوا إنه آدر: أي منتفخ الخصية وليس كذلك وكذبوه (وَقَدْ) للتحقيق (تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ) الجملة حال والرسول محترم (وَلَمَّا زَاغُوا) عدلوا عن الحق بإيذائه (أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ) أما لها عن الهدى على وفق ما قدره في الأزل (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) الكافرين في علمه (وَ) اذكر (إِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ) لم يقل يا قوم لأنه لم يكن له فيهم قرابة (إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ) قبل (مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي)

لذلك (قوله فلما زاغوا أزاع الله قلوبهم) مقتضى هذا التركيب أن زيعهم سبب لازغة الله قلوبهم مع أن الأمر بالعكس لأن عبد لا يزيع إلا إن أزاعه الله وصرفه عن الهدى . وأجيب بأنهم لما فعلوا سبب الزيع وهو إيذاء موسى أزاع الله قلوبهم عن الهدى وقت إيذائهم على وفق ما أرادته أزلوا وقد أشار لذلك المفسر ويشهد لذلك قضية إبليس فانه كان مطيعا فلما خالف مولاه عاند زاع فأزاع الله قلبه وطرده موافقة لما نجزه بأرادته أزلوا فزيع العبد سبب لازغة الله له باعتبار إظهار القدرة لذلك الآن على وفق ما أرادته الله ونجزه أزلوا فليحفظ (قوله الكافرين في علمه) هذا جواب عما يقال إن الله هدى كثير من الكفار بأن فقههم للإسلام . وحاصل الجواب أن من أسلم وهداه الله لم يكن في الأزل مكتوبا كافرا وأما من علم الله كفره في الأزل لا يهديه لا بد من موته على الكفر ولو عاش طول عمره مسلما (قوله وإذ قال عيسى) معمول لمذكوف تقديره اذكر وإنما كرر سورة موسى وعيسى بل وقصة غيرها لأن المقصود الانعاط ودوامه فاذا ذكر الشيء أولا وثانيا كان المقصود منه دوام تذكره الاعتبار به قرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل (قوله لأنه لم يكن له فيهم قرابة) أي لأنه لا أب له فيهم وإن كانت أمه من شرافهم . إن قلت هو منهم باعتبار أمه . قلت النسب إنما هو من جهة الأب (قوله مصدقا) حال من الضمير المستقر في رسول بأويله يرسل وكذا قوله ومبشرا (قوله من التوراة) خصها لأنها أشهر الكتب عندهم (قوله يأتي من بعدى) الجملة صفة رسول وكذا قوله اسمه أحمد والياء في بعدى إما مفتوحة أو ساكنة قراءة ثان سبعتان .

(قوله اسمه أحمد) يحتمل أن يكون أفعل تفضيل من المبنى للفاعل والمعنى أكثر حامدية لله تعالى من غيره ويحتمل أن يكون من المبنى للمفعول أى أكثر محمودية من غيره أى كون الخلق يحمّدونه أكثر من كونهم يحمّدون غيره وخص أحمد بالكردون محمد مع أنه أشرف أممائه صلى الله عليه وسلم لوجوه : الأول كونه مذكورا في الانجيل بهذا الاسم ، الثاني كونه مسلي في السماء به ، الثالث لأن حمده لله سابق على حمد الخلق له في الدنيا ويوم القيامة فحمده قبل شفاعته لأمته وحمد الخلق له بعدها ، وقال بعضهم إنه صلى الله عليه وسلم له أربعة آلاف اسم منها نحو سبعين من أسمائه تعالى كرهوف ورحيم (قوله أى جاء أحمد الكفار) هذا أحد قولين للمفسرين في مرجع الضمير في جاءهم والثاني أنه عائذ على عيسى (قوله أى المجىء به) اسم مفعول من جاء وأصله مجيؤ بوزن مضروب نقلت ضمة الياء للساكن قبلها وهو الجيم فالتقى ساكنان الواو والياء فحذفت الواو وكسرت الجيم (قوله وفي قراءة) أى وهى سبعة أيضا (قوله أى لأحد) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفي (قوله ووصف آياته) بالجر عطف على نسبة (قوله وهو يدعى إلى الإسلام) الجملة حالية أى يدعو ربه على لسان نبيه إلى الإسلام الذى فيه سعادة الدارين فيجعل مكان إجابته افتراء الكذب على الله (قوله منصوب بأن مقدرة واللام مزيدة) أى فى مفعول يريدون للتوكيد ويصح أن تكون للتعليل والمفعول محذوف والتقدير يريدون إبطال القرآن ليطفئوا وهناك طريقة لبعض النحويين أن اللام بمعنى أن الناصبة فيكون الفعل منصوبا بها (قوله شرعه وبراهينه) (١٩٣) هذا أحد أقوال في تفسير النور وقيل هو القرآن وقيل الإسلام وقيل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل إنه مثل مضروب بمن أراد إطفاء الشمس بفيه فكما أنه لا يفيد ذلك كذلك من أراد إبطال الحق فلا يفيد وفي الكلام استعارة تبعية حيث شبه الإبطال بالإطفاء واستعار اسم الشبه به للشبه واشتق من الإطفاء يطفئون بمعنى يبطلون وبسبب نزول هذه الآية أن رسول الله صلى

الله عليه وسلم أبطأ عليه الوحي أربعين يوما فقال كعب بن الأشرف يا معشر اليهود أبشروا فقد أطفأ الله نور محمد صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية واتصل الوحي بعدها (قوله والله متم نوره) الجملة حالية من فاعل يريدون وقوله مظهر نوره هذا جواب عما يقال إن الأسماء لا يكون إلا عند النقصان فأجاب بأن المراد بالأسماء إظهاره في المشرق والمغرب (قوله وفي قراءة بالاضافة) أى وهى سبعة أيضا (قوله ولو كره الكافرون) حال من قوله والله متم نوره (قوله بالهدى) أى البيان الشافي والمراد به القرآن والمعجزات الظاهرة (قوله ولو كره المشركون) إنما عجب أولا بالكافرون وثانيا بالمشركون لأن الرسول في ابتداء أمره يأتى بالتوحيد ويأمر به فيخالفه المشركون فإذا ظهر أمره واشتهر حسده جميع الكفار وأرادوا إبطال ما جاء به من المعجزات والبراهين فعبر في كل بما يناسبه (قوله يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على) سبب نزول هذه الآية قول الصحابة لرسول الله لو نعلم أى الأعمال أحب إلى الله لعملنا به ، وقيل نزلت في عثمان بن مظعون وذلك أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو أذنت لى فطلعت خولة وترهبت واختصت وحرمت اللحم ولا أنا الليل أبدا ولا أفطر النهار أبدا فقال صلى الله عليه وسلم إن من سنن النكاح ولا رهبانية في الإسلام ، إنما رهبانية أمى الجاهل في سبيل الله وخصاء أمى الصوم ولا تحرموا طبيبات ما أحل الله لكم ، ومن سنن أنام وأقوم وأفطر وأصوم فمن رغب عن سنن فليس منى فقال عثمان وددت يا نبي الله أن أعلم أى التجارات أحب إلى الله فأنجز فيها فنزلت ، والاستفهام إخبارى والمعنى وذكر بلفظ الاستفهام تشويقا لكونه أوقع في النفس وتسمية الجهاد تجارة لقوله تعالى إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم الآ

اسمُهُ أَحْمَدُ) قَالَ تَعَالَى (فَلَمَّا جَاءَهُمْ) جَاءَ أَحْمَدُ الْكَافِرَ (بِالْبَيِّنَاتِ) الْآيَاتِ وَالْعَلَامَاتِ (قَالُوا هَذَا) أَيْ الْمَجِيءُ بِهِ (سِحْرٌ) وَفِي قِرَاءَةِ سَاحِرٍ: أَيْ الْجَائِي بِهِ (مُبِينٌ) بَيْنَ (وَمَنْ) أَيْ لَا أَحَدَ (أَظْلَمُ) أَشَدُّ ظُلْمًا (يَمْنٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ) بِنِسْبَةِ الشَّرِيكَ وَالْوَلَدِ إِلَيْهِ وَوَصَفَ آيَاتِهِ بِالسَّحَرِ (وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) الْكَافِرِينَ (يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا) مَنْصُوبٌ بِأَنْ مَقْدَرَةٌ وَاللَّامُ مُزِيدَةٌ (نُورَ اللَّهِ) شَرْعُهُ وَبِرَآئِهِ (يَا أَيُّهَا هُمْ) بِأَقْوَالِهِمْ إِنَّهُ سِحْرٌ وَشَعْرٌ وَكِهَانَةٌ (وَاللَّهُ مُتِمُّ) مَظْهَرُ (نُورِهِ) وَفِي قِرَاءَةٍ بِالْإِضَافَةِ (وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) ذَلِكَ (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ) يَعْلِيهِ (عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ) جَمِيعَ الْأَدْيَانِ الْمُخَالَفَةِ لَهُ (وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) ذَلِكَ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ) ،

بالتخفيف

الله عليه وسلم أبطأ عليه الوحي أربعين يوما فقال كعب بن الأشرف

يا معشر اليهود أبشروا فقد أطفأ الله نور محمد صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية واتصل الوحي بعدها (قوله والله متم نوره) الجملة حالية من فاعل يريدون وقوله مظهر نوره هذا جواب عما يقال إن الأسماء لا يكون إلا عند النقصان فأجاب بأن المراد بالأسماء إظهاره في المشرق والمغرب (قوله وفي قراءة بالاضافة) أى وهى سبعة أيضا (قوله ولو كره الكافرون) حال من قوله والله متم نوره (قوله بالهدى) أى البيان الشافي والمراد به القرآن والمعجزات الظاهرة (قوله ولو كره المشركون) إنما عجب أولا بالكافرون وثانيا بالمشركون لأن الرسول في ابتداء أمره يأتى بالتوحيد ويأمر به فيخالفه المشركون فإذا ظهر أمره واشتهر حسده جميع الكفار وأرادوا إبطال ما جاء به من المعجزات والبراهين فعبر في كل بما يناسبه (قوله يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على) سبب نزول هذه الآية قول الصحابة لرسول الله لو نعلم أى الأعمال أحب إلى الله لعملنا به ، وقيل نزلت في عثمان بن مظعون وذلك أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو أذنت لى فطلعت خولة وترهبت واختصت وحرمت اللحم ولا أنا الليل أبدا ولا أفطر النهار أبدا فقال صلى الله عليه وسلم إن من سنن النكاح ولا رهبانية في الإسلام ، إنما رهبانية أمى الجاهل في سبيل الله وخصاء أمى الصوم ولا تحرموا طبيبات ما أحل الله لكم ، ومن سنن أنام وأقوم وأفطر وأصوم فمن رغب عن سنن فليس منى فقال عثمان وددت يا نبي الله أن أعلم أى التجارات أحب إلى الله فأنجز فيها فنزلت ، والاستفهام إخبارى والمعنى وذكر بلفظ الاستفهام تشويقا لكونه أوقع في النفس وتسمية الجهاد تجارة لقوله تعالى إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم الآ

(قوله بالتخفيف والتشديد) سبعين (قوله تؤمنون) في محل رفع خبر مبتدأ مقدر أي هي تؤمنون أو جملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب واقعة في جواب سؤال مقدر كأنه قيل ما هي فأجاب بما ذكر (قوله ذلكم) أي المذكور من الإيمان والجهاد (قوله خير لكم) أي من كل شيء (قوله إن كنتم تعلمون) أشار المفسر إلى أن الجواب مقدر وإلى أن تعلمون متعدي محذوف مفعوله (قوله من تحتها) أي من تحت أشجارها وغرفها (قوله ومسا كن طيبة الخ) روى عن الحسن قال: سألت عمران بن حصين وأنا هريرة عن قوله تعالى ومسا كن طيبة فقال على الخير سقطت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فقال «قصر من لؤلؤة في الجنة في ذلك القصر سبعون دارا من ياقوته حمراء في كل دار سبعون بيتا من زبرجدة خضراء في كل بيت سبعون سريرا في كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش سبعون امرأة من الحور العين في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من الطعام في كل بيت سبعون وصيفا أو وصيفة فيعطى الله المؤمن من القوة في غداة واحدة ما يأتي على ذلك كله» (قوله ذلك) أي المذكور (١٩٣) من غفران الذنوب وإدخال الجنان

(قوله ويؤتكم نعمة

أخرى) أشار المفسر

بتقدير هذا العامل إلى

أن أخرى صفة المحذوف

مفعول لفعل مقدر وهذا

المقدر معطوف على

المذكور قبله والمراد

يؤتكم في الدنيا فهو

إخبار عن نعمة الدنيا

بعد الإخبار عن نعمة

الآخرة (قوله نصر من

الله) خبر مبتدأ مضمرة

أي تلك النعمة الأخرى

نصر من الله وقوله وفتح

قرب أي معجل، وهو

فتح مكة أو فارس والروم

(قوله وبشر المؤمنين)

معطوف على محذوف

أي قل يا أيها الذين آمنوا

بالتخفيف والتشديد (من عذاب أليم) مؤلم فكأنهم قالوا نعم، فقال (تؤمنون) تدومون على الإيمان (بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون) أنه خير لكم فافعلوه (بغفر) جواب شرط مقدر: أي إن تفعلوه يغفر (لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومسا كن طيبة في جنات عدن) إقامة (ذلك الفوز العظيم) (و) يؤتكم نعمة (أخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين) بالنصر والفتح (يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصارا لله) لدينه وفي قراءة بالإضافة (كما قال) الخ. المعنى كما كان الحواريون كذلك الدال عليه قال (عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله) أي من الأنصار الذين يكونون معي متوجها إلى نصرة الله (قال الحواريون نحن أنصار الله) والحواريون أصفياء عيسى، وهم أول من آمن به وكانوا اثني عشر رجلا من الحور وهو البياض الخالص، وقيل كانوا قصارين يحورون الثياب: أي يبيضونها (فأمنت طائفة من بني إسرائيل) بعيسى وقالوا إنه عبد الله رفع إلى السماء (وكفرت طائفة) لقولهم إنه ابن الله رفعه إليه فاقترنت الطائفتان (فأيدنا) قويناهم (الذين آمنوا) من الطائفتين (على هدوهم) الطائفة الكافرة (فأصبحوا ظاهرين) غالبين.

هل أدلكم الخ وبشر المؤمنين. والمعنى أخبر عامة المؤمنين بأن هذا الفضل العظيم عام لكل من اتصف بما تقدم من الإيمان وما بعده (قوله وفي قراءة بالإضافة) أي وهي سبعة أيضا (قوله كما كان الحواريون كذلك) أي أنصار الله. والمعنى كونوا أنصار الله معي كما كان الحواريون أنصار الله لما سألهم عيسى بقوله من أنصاري إلى الله (قوله نحن أنصار الله) من إضافة الوصف إلى مفعوله أي نحن الذين ننصر الله أي ننصر دينه كما تقدم (قوله وقيل كانوا قصارين) فعلى هذا الحور قائم بالثياب وعلى الأول قائم بذواتهم (قوله فأمنت طائفة) مرتبط بمحذوف تقديره فلما رفع عيسى إلى السماء افترق الناس فيه فرقتين فأمنت طائفة الخ وروى عن ابن عباس لما رفع عيسى تفرق قومه ثلاث فرق فرقة قالت كان الله فارتفع وفرقة قالت كان ابن الله فرفعه إليه وفرقة قالت كان عبدا لله ورسوله فرفعه وهم المؤمنون واتباع كل فرقة طائفة من الناس فاقتتلوا وظهرت الفرقتان الكافرتان حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فظهرت الفرقة المؤمنة على الكافرتين فذلك قوله تعالى فأيدنا الذين آمنوا الآية (قوله فاقترنت الطائفتان) أي وظهرت الكافرة حتى بعث الله محمدا فظهرت

المؤمن على الكافرة روى المغيرة عن إبراهيم قال وأصبحت حجة من آمن بعيسى عليه السلام ظاهرة بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم أن عيسى عليه السلام كلمة الله وعبدته ورسوله .

[سورة الجمعة مدنية] أي بالاجماع وقوله إحدى عشرة آية أي بلا خلاف (قوله فاللام زائدة) أي أول التعليل والمعنى يسبح ما في السموات وما في الأرض لأجل وجهه تعالى لا يتصدون غرضاً من الأغراض ففيه إشارة إلى أنه ينبغي للكافرين أن يكونوا كذلك وقد تقدم نظيره (قوله الملك) أي المتصرف في خلقه بالايحاد والاعدام وغيرها (قوله المنزه عما لا يليق به) أي من صفات الحوادث وذكر القدوس عقبه دفعا لما يتوهم أنه يطراً عليه نقص كالمملوك (قوله في الأميين) أي إليها وكذا قوله وآخرين منهم فهو على حد قوله لقد جاءكم رسول من أنفسكم ، والحكمة في اقتصاره على الأميين هنا مع أنه رسول إلى كافة الخلق تشریف العرب حيث أضيف إليهم (قوله رسولا منهم) أي من جماعتهم ومن نسبتهم فما من حي من العرب إلا وله فيهم قرابة ولهم عليه ولادة إلا بنى تغلب (١٩٤) فان الله طهره منهم لنصرانيتهم كما قاله ابن اسحق ، والحكمة في كونه

(سورة الجمعة)

مدنية ، إحدى عشرة آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . يُسَبِّحُ لِلَّهِ يَنْزِهِ فَالْلَامُ زائدة) (مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) في ذكر ما تغليب للأكثر (الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ) المنزه عما لا يليق به (الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ) في ملكه وصنعه (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ) العرب ، والأُمِّيُّ من لا يكتب ولا يقرأ كتاباً (رَسُولاً مِنْهُمْ) هو محمد صلى الله عليه وسلم (يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ) القرآن (وَيُزَكِّيهِمْ) يطهرهم من الشرك (وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ) القرآن (وَالْحِكْمَةَ) ما فيه من الأحكام (وَإِنْ) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي وإنهم (كَانُوا مِنْ قَبْلُ) قبل مجيئه (أَنْفِيَ ضَالَّالٍ مُبِينٍ) بين (وَأَخْرَيْنَ) عطف على الأميين أي الموجودين (مِنْهُمْ) والآتين منهم بعدهم (لَمَّا) لم (يَلْحَقُوا بِهِمْ) في السابقة والفضل (وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) في ملكه وصنعه وهم التابعون ، والاقتصار عليهم كاف في بيان فضل الصحابة المبعوث فيهم النبي صلى الله عليه وسلم على من عداهم ممن بعث إليهم وآمنوا به من جميع الإنس والجن إلى يوم القيامة لأن كل قرن خير ممن يليه (ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ) ،

صلى الله عليه وسلم أمياً مثلهم لكونه في كتب الأنبياء منعوتاً بذلك وأيضاً لدفع توهم الاستعانة بالكتابة على ما أتى به من الوحي وليكون حاله مماثلة لحال أمته الذين بعث فيهم فيكون أقرب إلى صدقه وأبعد من التهم لكن وصف الأمية كمال في حقه نقص في حق غيره (قوله يتلوا عليهم آياته) حال من قوله رسولا (قوله يطهرهم من الشرك) أي يزيل عنهم الشبهة وفساد العقيدة حتى يصبروا أذكاء (قوله مخففة من الثقيلة) أي

بدليل وقوع اللام في خبرها (قوله عطف على الأميين) أي فهو مجرور والمعنى بعث إلى الأميين الموجودين النبي وإلى الآتين منهم بعدهم فليست رسالته خاصة بمن كان موجوداً في زمنه بل هي عامة لهم ولغيرهم إلى يوم القيامة وما تقدم في الأميين من قوله يتلوا عليهم آياته الخ يجري في قوله وآخرين لكن التلاوة والتعليم والتزكية بنفسه لمن كان في زمنه وبالواسطة لمن يأتي بعدهم إلى يوم القيامة (قوله أي الموجودين منهم) تفسير للأميين المعطوف عليه وقوله والآتين تفسير لآخرين وفي نسخة وآتين وهي مشاكلة لآخرين في عدم التعريف (قوله لما يلاحقوا بهم) أي في السبق إلى الإسلام والشرف وهذا النفي مستمر دائماً لأن الصحابة لا يلاحقهم ولا يساويهم في فضاهم أحد ممن بعدهم ولذا فسر لما يلاحقوا لأن من لم أعم من كونه متوقع الحصول أولاً بخلاف لما انفصلها متوقع الحصول واسم مراداً (قوله والاقتصار عليهم) أي على التابعين في تفسير الآخرين وهو جواب عما يقال ما حكمة الاقتصار على التابعين مع أن الصحابة أفضل من سائر الناس إلى يوم القيامة فأجاب بأنه حيث ثبت تفضيلهم على التابعين الذين هم أفضل ممن بعدهم لزم منه تفضيلهم على جميع الناس إلى يوم القيامة لأن كل قرن خير مما يليه (قوله ممن بعث إليهم) بيان لقوله من عداهم وقوله من جميع الخ بيان لقوله ممن بعث إليهم (قوله لأن كل قرن) تعليل لقوله كاف (قوله ذلك) أي ما ذكر من تفضيل

رسول وقومه (قوله النبي) تفسير لمن يشاء وقوله ومن ذكر معه الأميون والآخرين (قوله مثل الذين حملوا التوراة) هذه قراءة عامة وقرىء شذوذا حملوا محققا مبنيًا للفاعل (قوله كفوا العمل بها) أي القيام بها فليس هو من الحمل على الظاهر بل هو من الحاملة وهي الكفالة (قوله كمثل الحمار) خصه بالذكور لكونه أبدا الحيوانات (قوله يحمل) بفتح الياء وكسر الميم محففة وهي إاءة العامة وقرىء شذوذا يحمل بضم الياء وفتح الميم مشددة والجملة إما حال أو صفة لأن القاعده أن الحمل بعدما يحتمل تعريف والتذكير تكون محتملة للوصفية والحالية فالحالية نظرا للصورة التعريف والوصفية نظرا لجريان الحمار مجرى النكوة أن المراد به الجنس (قوله أي كتب) أي كبارا جمع سفر وهو الكتاب الكبير (قوله في هدم انتفاعه بها) بيان لوجه الشبه (قوله مثل القوم) فاعل بئس وقوله الذين كذبوا صفة للقوم (قوله بآيات الله) أي دلائل وحدانيته وعظمته (قوله كافرين) أي الذين سبق في علمه كفرهم وهذا المثل يضرب لكل من تحمل القرآن ولم يعمل به (قوله قل يا أيها الذين يادوا) أي تمسكوا باليهودية وهي ملة موسى عليه السلام، وسبب نزولها أن اليهود زعموا أنهم أبناء الله وأحباؤه وادعوا أنه لا يدخل الجنة إلا من كان هودا فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يظهر (قوله) كذبهم بتلك الآية (قوله) أنكم أولياء) هذه الجملة

(١٩٥)

النبي ومن ذكر معه (والله ذو الفضل العظيم). مثل الذين حملوا التوراة) كفوا العمل بها (ثم لم يحملوها) لم يعملوا بما فيها من نعمة صلى الله عليه وسلم فلم يؤمنوا به (كمثل الحمار يحمل استقارا) أي كتب في عدم انتفاعه بها (بئس مثل القوم الذين كذبوا آيات الله) المصدقة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم والخصوص بالذم محذوف تقديره هذا المثل (والله لا يهدي القوم الظالمين) الكافرين (قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فقاموا الموت إن كنتم صادقين) تعلق بتمنوا الشرطان على أن الأول قيد في الثاني: أي إن صدقتم في زعمكم أنكم أولياء لله والولى يؤثر الآخرة ومبدؤها الموت فتمنوه (ولا يقيمونه) أبدا بما قدمت أيديهم) من كفرهم بالنبي المستلزم لكذبهم (والله عليم بالظالمين) الكافرين (قل إن الموت الذي تفرئون منه قائم) الفاء زائدة (ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة) السر والعلانية (فيعذبكم بما كنتم تكفرون) فيجازيكم به (يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من) بمعنى في (يوم الجمعة فاسمعوا):

سدت مسد مفعولى زعم الله متعلق بأولياء وكذا قوله من دون الناس (قوله) تعلق بتمنوا الشرطان أي وهما إن زعمتم إن كنتم صادقين (قوله على أن) لأول قيد في الثاني أي شرط فيه وهذا إشارة لقاعدة وهي أنه إذا اجتمع شرطان وتوسط الجواب بينهما كان الأول قيدا في الثاني، وأما إن تأخر الجواب عنهما معا أو تقدم عليهما معا فإن الثاني يكون قيدا

في الأول نحو إن دخلت دار زيد إن كنت زوجته فأنت طالق فلا تطلق إلا بكلام الزوجة السكان بعد دخول الدار، وأما دخول الدار وحده أو الكلام خارج الدار فلا تطلق به (أوله ومبدؤها) أي طريقها (قوله ولا يقيمونه) عبر هنا بلا وفي البقرة بطن حيث قال ولن يقيمونه أبدا إشارة إلى أنه نفي عنهم التمني على كل حال مؤكدا كما في البقرة وغيره مؤكدا كما هنا (قوله بما قدمت أيديهم) لباء سببية متعلقة بالنفي (قوله من كفرهم) بيان لما (قوله الذي تفرئون منه) أي تخافون من تمنيه مخافة أن ينزل بكم فتؤخذوا بأعمالكم (قوله الفاء زائدة) هذا أحد وجهين والثاني أنها داخل لما تضمنه الاسم من معنى الشرط وحكم الموصوف بالموصول حكم الموصول (قوله السر والعلانية) لف، ونشر مرتب (قوله إذا نودى للصلاة) المراد به الأذان عند جلوس الخطيب على المنبر وذلك لأنه لم يكن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم نداء سواه فكان له مؤذن واحد إذا جلس على المنبر أذن على باب المسجد فإذا نزل أقام الصلاة ثم كان أبو بكر ومهر وعلى بالكوفة على ذلك حتى كان عثمان وكثر الناس وتباعدت المنازل زاد أذان آخر فأمر بالتأذين أولا على دارة التي تسمع بالزوراء فإذا سمعوا أقبلوا حتى إذا جلس على المنبر أذن المؤذن ثانيا ولم يخالفه أحد في ذلك الوقت لقوله صلى الله عليه وسلم «وعليكم بسنة الخفاء الراشدين من بعدى» (قوله بمعنى في) هذا أحد وجهين والثاني أنها بيان لإدانودي وتفسيرها (قوله يوم الجمعة) بضم تاء وهي قراءة العامة وقرىء شذوذا يسكون الميم وفتحها سميت بذلك لاجتماع الناس

فيها للصلاة وكانت العرب تسميه العروبة. واعلم أن أفضل الليالي ليلة المولد ثم ليلة القدر ثم بيه الاسراء فعرفة فالجمعة فنصف شعبان فالعيد، وأفضل الأيام يوم عرفة ثم يوم نصف شعبان ثم الجمعة والليل أفضل من النهار (قوله فامضوا) أشار بذلك إلى أنه ليس المراد من السعي الاسراع في الشيء إذ ليس بمطلوب ولو خاف فواتها بل المراد به التوجه والشي عند الذهاب أفضل من الركوب إن لم يكن عذر وبعد انقضاء الصلاة لأبأس به (قوله أي اتركوا عقده) أي فالمراد بالبيع العقد بتمامه فهو خطاب لكل من البائع والمشتري ومثل البيع والشراء الاجارة والشفعة والتولية والاقالة فان وقعت حرمت وفسخت عند مالك وعند الشافعي تحرم ولا تفسخ (قوله ذلكم) أي المذكور من السعي وترك الاشتغال بالدنيا (قوله أنه خير) قدره إشارة إلى أن مفعول تعلمون محذوف وقوله فافعلوه جواب الشرط (قوله فاذا قضيت الصلاة) أي أدت وفرغ منها (قوله فانتشروا في الأرض) أي للتجارة والتصرف في حوائجكم (قوله أمر بإباحة) أي فالمعنى يباح لكم الانتشار في الأرض فلا حرج عليكم في فعله ولا تركه (قوله واذا كروا الله كثيرا) أي به ثمانية إعلاما بأن ذكر الله مأمور به في سائر الأحوال لافي خصوص الصلاة (قوله تفوزون) أي نظفرون بمعادتكم (قوله كان صلى الله عليه وسلم الخ) شروع في بيان سبب نزول قوله تعالى - وإذا رأوا تجارة الخ (قوله يخطب يوم الجمعة) أي بعد الصلاة كالعيدين (قوله فقدمت غير) أي من الشام قدم بها دحية بن خليفة الكلبي وكان الوقت وقت غلاء في المدينة وكان في تلك القافلة جميع ما يحتاج إليه الناس من بر ودقيق وزيت وغيرها فنزل بها عند أحجار الزيت موضع بسوق المدينة وضرب الطبل ليعلم الناس بقدمه فيبتاع منه وقيل الضارب للطبل أهل المدينة على العادة في أنهم

(١٩٦)

المدينة وضرب الطبل ليعلم

فامضوا (إلى ذكر الله) أي الصلاة (وذرُوا البيع) أي اتركوا عقده (ذلكم خير لكم) إن كنتم تعلمون (أنه خير فافعلوه) فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض (أمر بإباحة) (وأبتغوا) اطلبوا الرزق (من فضل الله وأذكروا الله) ذكرا (كثيرا أم لا لكم) (تفوزون) تفوزون، كان صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فقدمت غير وضرب لقدمه الطبل على العادة فخرج لها الناس من المسجد غير اثني عشر رجلا فنزل (وإذا رأوا تجارة) أو كهوا أنفضوا إليها) أي التجارة لأنها مطلوبهم دون الله (وتركوك) في الخطبة (قائما، قل ما عند الله):

كانوا يستقبلونها بالطبل والتصفيق، وقيل أهل القادم بها. قال قتادة: بلغنا أنهم فعلوا ذلك ثلاث مرات كل مرة تقدم العير من الشام ويوافق قدموها يوم الجمعة وقت الخطبة (قوله غير اثني عشر رجلا) وفي رواية، أن الذين بقوا معه أربعون

رجلا، وفي أخرى أنهم ثمانية، وفي أخرى أحد عشر، وفي أخرى ثلاثة عشر، وفي أخرى أنهم أربعة عشر وهذا منشأ الخلاف بين الأئمة في العدد الذي تنعقد به الجمعة فصح عند مالك أنهم اثنا عشر وصح عند الشافعي أن أربعون ورد في الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال «لوتابعتم حتى لم يبق منكم أحد لساكنكم الوادي ناراً» (قوله انفضوا إليها) والذي سوغ لهم الخروج وترك رسول الله يخطب أنهم ظنوا أن الخروج بعد تمام الصلاة جائز لانقضاء المقصود وهو الصلاة لا كان يقدم الصلاة على الخطبة كالعيدين فلما وقعت هذه الواقعة ونزلت الآية قدم الخطبة وأخر الصلاة (قوله لأنها مطلوبهم) جواب عما يقال لم أفرد الضمير مع أن التقدم شيان ويجب أيضا بأنه أفرد لأن العطف بأو وخص ضمير المؤنث لما قاله المفسر (قوله وتركوك قائما) الجملة حالية من فاعل انفضوا وفي قوله قائما إشارة إلى أن الخطبة تكون من قيام لا من جلوس. قال علقمة: سئل ابن مسعود أكان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب قائما أو قاعدا فقال أمتقرأ وتركوك قائما. قال جمهور العلماء الخطبة: فريضة في صلاة الجمعة. وقال داود الظاهري هي مستحبة، ويجب أن يخطب الإمام قائما خطبتين يفصل بينهما بجلوس. وقال أبو حنيفة وأبو حنيفة لا يشترط القيام ولا القعود ويشترط الطهارة في الخطبة عند الشافعي في أحد القولين وأقل ما يقع عليه اسم الخطبة أن يحمد الله تعالى ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ويوصي بتقوى الله هذه الثلاث شروط في الخطبتين جميعا ويجب أن يقرأ في الأولى آية القرآن ويدعو للمؤمنين في الثانية ولوترك واحدة من هذه الخمسة لم تصح خطبته ولا جمعته عند الشافعي وذهب أبو حنيفة إلى أنه لو أتى بنسبحة أو تحميدة أو تكبيرة أجزاء وذهب مالك إلى أنه ما يقع عليه عند العرب اسم الخطبة وهو كلام مسجع مشتمل على تحذير ونشيد (قوله قل ما عند الله الخ) أي قل لهم تأديبا وزجرا لهم عن العود لمثل هذا الفعل

(قوله من الثواب) بيان لما والمراد به الثبات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله خير) اسم التفضيل باعتبار أن في الله والتجارة لذة دنيوية (قوله يقال كل إنسان الخ) أشار بذلك إلى أن اسم التفضيل على باب فالرازيون متعددون لكر على سبيل الحجاز وإلا فالرازي حقيقة هو الله وحده (قوله عائلته) أي عياله (قوله أي من رزق الله) تصحيح لهذا القول المذكور ، والمعنى ليس المراد أن كل إنسان يرزق عائلته بالاستقلال وبحوله وقوته بل من رزق الله تعالى بحري على يديه .

[سورة المنافقون] هكذا بالواو على الحكاية ، وفي بعض النسخ المنافقين بالياء (قوله مدنية) أي بالاجماع وكذا قوله إحدى عشرة آية (قوله إذا جاءك المنافقون) أي حضروا عندك كعبد الله بن أبي وأصحابه وجواب الشرط قوله قالوا وهو الأظهر وقيل جوابه محذوف أي فلا تقبل منهم وقيل الجواب قوله اتخذوا أيمانهم جنة وهو بعيد . وسبب نزول هذه السورة أنه صلى الله عليه وسلم لما غزا بني المصطلق وازدحم الناس على الماء اقتتل رجلان أحدهما من المهاجرين جهجاه بن أسيد ، وكان أجيرا لعمر بقوده فرسه والثاني من الأنصار اسمه سنان الجهفي كان حليفا لعبد الله بن أبي ، لما اقتتلا صاح جهجاه بالمهاجرين وسنان بالأنصار فأعان جهجاه رجل من (١٩٧) فقراء المهاجرين ولطم سنانا ،

فقال عبد الله بن أبي ماصحبنا محمدا إلا لناطم وجوهنا والله مامشاننا ومثلهم إلا كما قال القائل سمن كلبك يا كلاك ، أما والله لن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ثم قال لقومه ماذا فعلتم بأنفسكم قد أزلتموهم بلادكم وقاصمتوهم في أموالكم ، أما والله لو أمسكتهم عنهم فضل الطعام لتحولوا من عندكم فلا تنفقوا عليهم حق ينفضوا

من الثواب (خير) للذين آمنوا (من الله ومن التجارة والله خير الرازيين) يقال كل إنسان يرزق عائلته : أي من رزق الله تعالى .

(سورة المنافقون)

مدنية ، إحدى عشرة آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا) بالسنتهم على خلاف ما في قلوبهم (نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ) يعلم (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ) فيما أضمره مخالفا لما قالوه (اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُفَاءً) ستره على أموالهم ودمائهم (فَصَدُّوا) بها (عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) أي عن الجهاد فيهم (إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ذَلِكَ) أي سوء عملهم (بِأَنَّهُمْ آمَنُوا) باللسان (لَمْ يَكْفُرُوا) بالقلب : أي استمروا على كفرهم به (فَطُبِعَ) ختم (عَلَى قُلُوبِهِمْ) بالكفر (فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ) الإيمان (وَإِذَا رَأَوْهُمْ تَبََّعْجَبُكَ أَجْسَامُهُمْ) لجلالها (وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ) لفصاحته ،

من حول محمد قسم ذلك زيد بن أرقم فبأنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال صلى الله عليه وسلم لعبد الله أنت صاحب الكلام الذي بلغني عنك خلف إنه ما قال شيئا وأنكر فهو قوله اتخذوا أيمانهم جنة الخ فنزلت السورة (قوله نشهد أنك لرسول الله) يحتمل أن الشهادة على بابها نفيا للنفاق عن أنفسهم ويحتمل أن تشهد بمعنى نحاف (قوله والله يعلم أنك لرسوله) جملة معترضة بين قولهم تشهد أنك لرسول الله وبين قوله والله يشهد الخ وحكمة الاعتراض أنه لو اتصل التكذيب بقولهم لربما توهم أن قولهم في حد ذاته كذب فأتى بالاعتراض لدفع الإيهام (قوله فيما أضمره) أي من أنك غير رسول وسماه كذبا باعتبار هذا الذي أضمره هذا ما أفاده المفسر وقيل كذبهم هو قوله تشهد لأن صدقها كونها من ضمير القلب وقولهم خلاف ما في القلب (قوله اتخذوا أيمانهم) بفتح الهمزة في قراءة العامة جمع يمين وقرئ شذوذا بكسرهما بمعنى دعواهم الإيمان والتصديق بما جاء به محمد (قوله جنة) بضم الجيم أي وقاية (قوله ساء ما كانوا يعملون) ساء كبئس في إفادة الذم وفيها معنى التعجب (قوله بأنهم آمنوا باللسان الخ) جواب عما يقال إن المنافقين لم يحصل منهم إيمان أصلا بل هم ثابتون على الكفر وإيضاحه أن ثم للترتيب الاخباري ومعناه أنهم آمنوا بالسنتهم وكفروا بقلوبهم (قوله لجلالها) قال ابن عباس : كان ابن أبي جسيما صحيبا فصيحاً طلق للسان وكان قوم من المنافقين مثله وهم رؤساء المدينة وكانوا يحضرون مجالس النبي صلى الله عليه وسلم ويستندون فيه إلى الجدر وكان النبي ومن حضر يعجبون بهيأته (قوله وإن يقولوا) أي بتكلموا في مجالسك (قوله تسمع) أي تستمع بمعنى تصني

(قوله كأنهم خشب مسندة) الجملة حالية من الضمير في قولهم أو مستأنفة (قوله في ترك التفهم) هذا بيان لوجه الشبه والمعنى أنهم يشبهون الأخشاب المسندة إلى الحائط في كونهم أشباحا خالية عن العلم والنظر (قوله بسكون الشين وضمها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله يحسبون كل صيحة عليهم) أى إنهم من سوء ظنهم ورعب قلوبهم يظنون كل نداء في العسكر من إنشاد ضالة أو مناداة أحد صاعقة عليهم وأنهم يرادون بذلك فمقتضى كلام المفسر أن عليهم مفعول ثان ليحسبون وقوله هم العدو جملة مستأنفة (قوله لما في قلوبهم من الرعب) متعلق بيحسبون (قوله أن ينزل فيهم) متعلق بالرعب والمعنى لما في قلوبهم من الرعب من أن ينزل فيهم قرآن يكون سببا لإباحة دماهم (قوله فاحذرهم) مرتب على قوله هم العدو (قوله قاتلهم الله) إخبار بهلاكهم أو تعجب للمؤمنين أن يدعوا عليهم بذلك (قوله أهلكهم) وقيل معناه لعنهم وأبعدهم عن رحمته (قوله بعد قيام البرهان) أى على حقيقة الإيمان (قوله وإذا قيل لهم تعالوا إلح) روى « أنه لما نزل القرآن بضحيتهم وكذبهم أنماهم عشائره من المؤمنين وقالوا : ويحكم اقتضحتهم وأهلككم أنفسكم فأتوا رسول الله وتوبوا إليه من النفاق وأسألوه أن يستغفر لكم ، فلما ردوهم ، أى حركوها إعراضا وإياء ، وروى « أن ابن أبي لوى رأسه وقال لهم : قد أشرتكم (١٩٨) على بالإيمان فأمنت ، وبإعطاء زكاة مالى ففعلت ، ولم يبق إلا أن

(كأنهم) من عظم أجسامهم في ترك التفهم (خشب) بسكون الشين وضمها (مسندة) ممالة إلى الجدار (يحسبون كل صيحة) تصاح كنداء في العسكر وإنشاد ضالة (عليهم) لما في قلوبهم من الرعب أن ينزل فيهم ما يبيح دماهم (هم العدو فاحذرهم) فإنهم يفشون شرك الكفار (قاتلهم الله) أهلكهم (أنى يؤفكون) كيف يصرفون عن الإيمان بعد قيام البرهان (وإذا قيل لهم تعالوا) معتذرين (يستغفر لكم رسول الله) بالتشديد والتخفيف : عطفوا (رؤوهم) ورأيهم (يصدون) يعرضون عن ذلك (وهم متكبرون) سواهم عليهم استغفرت لهم (استغنى بهمزة الاستفهام عن همزة الوصل) أم لم تستغفروا لهم أن يغفر الله لهم إن الله لا يهدي القوم الفاسقين (هم الذين يقولون) لأصحابهم من الأنصار (لا تنفقوا على من عند رسول الله) من المهاجرين (حتى ينفقوا) ينفقوا عنه (والله خزائن السموات والأرض) بالرزق فهو الرزق المهاجرين وغيرهم (ولكن المنافقين لا يفقهون) يقولون نحن رجعنا أى من غزوة بني المصطلق (إلى المدينة ليخرجن الأعز) عنوا به أنفسهم (منها الأذل) عنوا به المؤمنين

تأمرنى بالسجود لمحمد ، فنزل - وإذا قيل لهم تعالوا - إلح ، فلم يلبث ابن أبي لوى إلا أياما قلائل حتى اشتكى ومات مفاقا (قوله بالتشديد والتخفيف) قراءتان سبعيتان (قوله ورأيهم يصدون) رأى بصرية وجملة يصدون حال من المهاجرين وهم متكبرون حال من الواو في يصدون (قوله - واء عليهم إلح) هذا انشيس من إيمانهم أى أن استغفارك وعدمه

سواهم لا يؤمنون لسبق الشقاوة لهم (قوله استغنى) أى في التوصل للنطق بالسالكين (قوله بهمزة الاستفهام) أشار بذلك إلى أن قراءة العامة بفتح الهمزة من غير مد وهى فى الأصل همزة الاستفهام والآن همزة التسوية (قوله الفاسقين) أى الكافرين الذين سبق فى علم الله كفرهم (قوله هم الذين يقولون إلح) استئناف جار مجرى التعاميل لفسقهم (قوله من الأنصار) أى المخلصين فى الإيمان وصحبهم المنافقين بحسب ظاهر الحال (قوله على من عند رسول الله) الظاهر أنه حكاية ما قالوه بعينه لأنهم منافقون يقرءون برسائله ظاهرا ويختمل أنهم عبروا بغير هذه العبارة فيها الله إجلالا لنبيه صلى الله عليه وسلم (قوله حتى ينفقوا) أى لأجل أن ينفقوا أن يذهب كل واحد منهم إلى أهله وشغله بالمعاش (قوله والله خزائن السموات والأرض) الجملة حالية أى قالوا مذكرا للحال أن الرزق بيده تعالى لا بأيديهم فالعطى المانع هو الله تعالى ، وإذا سد باب يفتح الله عشرة (قوله لا يفقهون) أى لا يفقهون أن الله خزائن السموات والأرض (قوله يقولون نحن رجعنا إلح) حكاية لبعض قبايحهم التى قالوها (قوله من غزوة بني المصطلق) وكانت فى السنة الرابعة وقيل فى الثالثة ، وسببها « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه أن بنى المصطلق يجتمعون لحربه وقائدهم الحارث بن أبى ضرار وهو أبو جويرية زوج النبی صلى الله عليه وسلم ، ف

مع بذلك خرج إليهم حق لقبهم على ماء من مياههم يقال له الريسيع من ناحية قديد إلى الساحل فوق القتال ، فهزم الله بنى المصطلق وأمكن رسوله من أبنائهم ونسائهم وأموالهم وكان سبيهم سبعمائة ، فلما أخذ النبي جويرية من السبي لنفسه أعتقها وتزوجها ، فقال المسلمون : صار بنو المصطلق أصهار رسول الله فأطلقوا ما بأيديهم من السبي إكراما لرسول الله « ولهذا قالت عائشة رضي الله عنها : وما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها من جويرية ، ولقد أعتق بزواج رسول الله لها مائة أهل بيت من بنى المصطلق (قوله والله العزة) الجملة حالية أي قالوا ما ذكر والحال أن العزة لله الخ وعزة الله نهرة وغلبته لأعدائه وعزة رسول الله إظهار دينه على الأديان كلها وعزة المؤمنين نصر الله إياهم على أعدائهم (قوله لكن المنافقين لا يعلمون) ختم هذه الآية بلا يعلمون وما قبلها بلا يفقهون لأن الأول متصل بقوله - والله خزائن السموات والأرض - وفي معرفتها غموض يحتاج إلى فقه فناسب نبي الفقه وهذا متصل بقوله والله العزة الخ وفي معرفته غموض زائد يحتاج إلى علم فناسب نبي العلم عنهم (قوله يا أيها الذين آمنوا الخ) نهى للمؤمنين عن التشبه بالمنافقين في الاغترار بالأموال والأولاد (قوله الصلوات الخمس) هذا قول الضحاك ، وقال الحسن عن جميع الفرائض ، وقيل عن الحج والزكاة ، وقيل عن قراءة القرآن ، وقيل عن سائر الأذكار (١٩٩) وهو الأتم (قوله فأولئك هم

الخاسرون) أي لا يشارهم الداني على الباقي . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الدنيا ماعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالم ومتعلم » (قوله مما رزقناكم) من تبييض وفي التبييض بإسناد الرزق منه تعالى إلى نفسه زغيب في الامتثال حيث كان الرزق له تعالى بالحقيقة ومع ذلك اكتفى منهم ببعضه

(وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ) الغلبة (وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ) ذلك (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ) تشغلكم (أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ) الصلوات الخمس (وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ . وَأَتَّقُوا) في الزكاة (مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا) بمعنى هلا ، أولا زائدة ولو للتمنى (أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ) بإدغام التاء في الأصل في الصاد : أتصدق بالزكاة (وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ) بأن أحج ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : ما قصر أحد في الزكاة والحج إلا سأل الرجعة عند الموت (وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا يَفْعَلُونَ) بالياء والتاء .

(قوله من قبل أن يأتي أحدكم الموت) أي أماراته ومقدماته (قوله فيقول رب) معطوف على أن يأتي مسبب عنه (قوله بمعنى هلا) أي التي معناها التحضيض وتختص بما لفظه ماض وهو في تأويل المضارع كما هنا واللائق هنا أن تكون بمعنى العرض الذي هو الطلب بلين ورفق لاستحالة معنى التحضيض هنا الذي هو الطلب بحث وإزعاج (قوله ولو للتمنى) أي وانتقدير على هذا لينك أخرتني إلى أجل قريب (قوله إلى أجل قريب) أي زمن قليل فأستدرك فيه ما فاتني (قوله بالزكاة) أي وبكل حق واجب كالديون وحقوق العباد (قوله وأكن من الصالحين) يرسم بدون واو كما في خط المصحف وأما في اللفظ ففيه قرأتان سبعيتان إثبات الواو والنصب بالعطف على فأصدق المنسوب بأن مضمرة بعد فاء السببية في جواب العرض أو التمني وحذف الواو والجزم بالعطف على محل فأصدق للملاحظة جزمها في جواب الطلب أي إن أخرتني أصدق وأكن (قوله عند الموت) أي رؤية أماراته كما تقدم (قوله ولن يؤخر الله نفسا) جملة مستأنفة جواب عن سؤال مقدر تقديره هل يؤخر هذا التمني فقال ولن يؤخر الله نفسا الخ وهو نكرة في سياق النفي نعم (قوله بالياء والتاء) أي فالياء لمناسبة قوله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون والتاء المنة فوق لمناسبة قوله يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم .

تمة : استنبط بعضهم من هذه الآية عمر النبي صلى الله عليه وسلم لأن السورة نام ثلاث وستين وعقبت بالتغابن الذي هو ظهور المنين بوفاته صلى الله عليه وسلم وهو من المعاني الإشارية .

[سورة التغابن مكية] أى إله قوله - يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم - إلى آخر السورة لأنها نزلت بالمدينة بانفاق المفسرين وهذا قول ابن عباس وغيره (قوله أو مدنية) وهو قول الأكثر (قوله فاللام زائدة) أى أو للتعليل كما تقدم (قوله له الملك وله الحمد) قدم الجار والمجرور فيهما لإفادة حصر الملك والحمد فيه سبحانه وتعالى حقيقة، وأما نسبة الملك والحمد إليه تعالى فبطريق المجاز (قوله وهو على كل شيء قدير) كالدليل لما قبله (قوله هو الذى خلقكم) أى تعلقته بإرادته بخلقكم أزلا وقوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن : أى بحسب تعاق قدرته وإرادته فما قدر أزلا من كفر وإيمان لا بد وأن يموت الشخص عليه لما فى الحديث « إن أحدمكم لعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، وإن أحدمكم لعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها » واعلم أن القسمة رباعية: شخص كتب سعيدا فى الأزل ويظهر مؤمنا ويموت عليه، وشخص كتب شقيا فى الأزل فيعيش كافرا ويموت كذلك، وشخص كتب سعيدا فى الأزل فيعيش كافرا ويختم له بالإيمان ، وهذه الثلاثة كثيرة الوفوع وشخص يعيش مؤمنا (٢٠٠) ويختم له بالكفر وذلك أنذر من الكبريت الأحمر. وبالجملة فالخاتمة تظهر السابقة لأن ما قدر فى الأزل لا يغير ولا يبدل (قوله ثم يميتهم ويعيدهم) فيه التفات من الخطاب للغيبة ، وإلا فمقتضى الظاهر أن يقول ثم يميتهم ويعيدكم (قوله بالحق) أى الحكمة البالغة لاعبنا (قوله إذ جعل شكل آدمي أحسن الأشكال) أى جعل رأسه لأعلى ورجليه لأسفل وذراعيه فى جنبه وجعله منتصب القائمة . إن قلت قد يوجد كثير من الناس مشوه الحلق . أجيب بأن التشويه بالنسبة لأبناء جنسه

(سورة التغابن) مكية أو مدنية، ثمان عشرة آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) أى ينزهه فاللام زائدة ، وأتى بما دون من تغليباً للأكثر (لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ كَانُوا مِنْ نَفْسٍ وَنَفْسٍ) فى أصل الخلقة ثم يميتهم ويعيدهم على ذلك (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ . خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ) إذ جعل شكل آدمي أحسن الأشكال (وَالْيَهُ الْمَصِيرُ . يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) بما فيها من الأسرار والمعتقدات (أَلَمْ يَأْتِكُمْ) يا كفار مكة (نَبَأٌ) خبر (الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهُمْ) عقوبة كفرهم فى الدنيا (وَلَهُمْ) فى الآخرة (عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم (ذَلِكَ) أى عذاب الدنيا (بِأَنَّهُ) ضمير الشأن (كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ) الحجج انظارات على الإيمان (فَقَالُوا أَبَشَرٌ) أريد به الجنس (يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا) عن الإيمان (وَاسْتَغْنَى اللَّهُ) عن إيمانهم (وَاللَّهُ غَفِيٌّ) عن خلقه (حَمِيدٌ) محمود فى أفعاله

بالنسبة لأبناء جنسه

(زعم) لابلنسبة لصور البهائم مثلا إذ لو قابات بين الصورة المشوهة وبين صورة الغزال رأيت صورة البشر المشوهة أحسن (قوله يعلم ما فى السموات والأرض الخ) الحكمة فى عدم تكرير الموصول هنا وقد كرر فى قوله يسبح لله ما فى السموات وما فى الأرض وفى قوله ويعلم ما تسرون وما تعلنون أن تسبيح ما فى السموات مغاير لتسبيح ما فى الأرض ، وكذا ما يسرونه مغاير لما يعلنونه لأن المقصود منه تخويف المكلفين لاثبوت إحاطة العلم فكرر الموصول للدلالة وبما كان المقصود من قوله يعلم ما فى السموات والأرض ثبوت إحاطة العلم بذلك لم يكرر الموصول (قوله ألم يأتكم) استفهام توبيخ أو تقرير (قوله فذاقوا) عطف على كفروا عطف مسبب على سبب (قوله أى عذاب الدنيا) أى والآخرة فاسم الاشياء عائد على ما ذكر (قوله فقالوا أبشر) عطف على كانت ، والمعنى قال كل فريق من المذكورين فى حق رسولهم الذى أتاهم أبشر بهدينا وبهذا المعنى صح الجمع فى قوله أبشر بهدينا وإلا فمقتضى الظاهر أن يقول بهدينا (قوله فكفروا) الفاء سببية والمعنى كفروا بسبب هذا القول (قوله واستغنى الله) أى ظهر غناه عن إيمانهم لأنه لا ينفعه كما أن كفرهم لا يضره فشكل الكفر والإيمان واقع بإرادة الله تعالى وهو المستغنى عن كل ما سواه فلا يستل عما يفعل .

قوله زعم الذين كفروا بالحق) الزعم ادعاء العلم كذبا وهو يتعدى إلى مفعولين فجعله أن لن يبعثوا سادة مسددا والمراد بهم أهل مكة (قوله مخففة) أى لاناصبه للتلايتوى اصبان (قوله قل بلى) أى نبعثون لأن بلى يجاب بها النفي فيصير إثباتا فهي متضمنة جواب وإنما أعاده توصلا لتوكيده بالقسم وعطف ما بعده عليه (قوله وذلك) أى المذكور من البعث والحساب (قوله آمنوا بالله ورسوله) خطاب لكفار مكة والفاء واقعة في جواب شرط مقدر: أى إذا كان الأمر كذلك فآمنوا بالحق (قوله قرآن) أى لأنه ظاهر في نفسه مظهر لغيره (قوله ليوم الجمع) سمى بذلك لأن الله يجمع فيه بين الأولين والآخرين من انس والجن وجميع أهل السماء والأرض (قوله يبين المؤمنين الخ) أشار بذلك إلى أن التفاعل ليس على بابة فان الكفار أخذوا منازل المؤمنين في النار لو ماتوا كفارا ليس يبين للمؤمنين بل هو سرور لهم ، وما قاله المفسر مأخوذ من حديث ما من عبد يدخل الجنة إلا رأى مقعده من النار لو أساء ليزداد شكرا ، وما من عبد يدخل النار إلا رأى مقعده من الجنة أحسن ليزداد حسرة (قوله لو آمنوا) بيان للاضافة في قوله منازلهم وأهلهم (قوله ومن يؤمن بالله الخ) كالبيان لوجه تخالف وتفصيل له ، لأن في ذلك ذكر منازل السعداء والأشقياء (قوله (٣٠١) بالنون في الفعلين) أى نكفر

وتدخل وعلى هذه القراءة ففيه التفات من الغيبة للتكلم (قوله ذلك) أى المذكور من تكفير السبب وإدخال الجنات (قوله ما أصاب) مفعوله محذوف: أى أحدا ومن مصيبة فاعل بزيادة من (قوله ومن يؤمن بالله) أى إيمانا خاصا وهو التصديق بأن كل شئ بقضاء وقدر (قوله في قوله) أى في قول القائل إن المصيبة بقضاء الله ، والعنى يكن قلبه مطمئنا مصدقا بهذا القول لا مجرد

زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ) مخففة واسمها محذوف ، أى أنهم (أَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّيَ يُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتَأْتُنَّوْنَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ . فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ (الَّذِي أُنْزِلْنَا وَأَلَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) اذكر (يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ) يوم القيامة (ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ) يبين المؤمنون الكافرين بأخذ منازلهم وأهلهم في الجنة وآمنوا (وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ) وفي قراءة بالنون في الفعلين (جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ . وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا) القرآن (أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) هي (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) بقضائه (وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ) في قوله إن المصيبة بقضائه (يَهْدِ قَلْبَهُ) للصبر عليها (وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ . وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) البين (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ قَلِمَتُ كُلِّ الْمُؤْمِنُونَ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ) أن تطيعوهم في التخلف عن الجهاد والهجرة فإن سبب نزول الآية الإطاعة في ذلك ،

قوله إنا لله وإنا إليه راجعون باللسان فلا يعطى . فضيلة الصبر على المصيبة (قوله يهد قلبه) أى للثبات والاسترجاع عند زولها (قوله وأطيعوا الله) أى في جميع الأوقات ولا تشغلكم المصائب عن الطاعة (قوله فإن توليتم) شرط حذف جوابه تقديره فلا ضرر ولا بأس على رسولنا وقوله فإنما على رسولنا الخ تعاميل لذلك المحذوف (قوله لا إله إلا هو) مبتدأ وخبر وقوله وعلى الله فليتوكل المؤمنون تحريض وحث للنبي على التوكل على الله والاتجاء إليه وفيه تعاليم للزمة ذلك (قوله يا أيها الذين آمنوا إن من أرواحكم الخ) أى بعضهم ، والمراد بالأزواج ما يشمل الذكور فكما أن الرجل تكون زوجته عدوا له كذلك المرأة يكون زوجها عدوا لها (قوله عدوا لكم) أى يشغلكم عن طاعة الله (قوله أن تطيعوهم) أشار بذلك إلى تقدير مضاف أى فاحذروا طاعتهم (قوله فإن سبب نزول الآية الخ) علة لقوله كالجهد والهجرة : أى فسبب نزول الآية أن رجلا أسلموا من أهل مكة وأرادوا أن يهاجروا إلى النبي ، فمنعهم أزواجهم وأولادهم وقالوا : صبرنا على إسلامكم فلا صبر لنا على فراقكم ، فطاعوهم وتركوا الهجرة . وقيل نزلت في عوف بن مالك الأشجعي كان ذا أهل وولد فأراد أن يغزو فبكوا إليه ورقته وقالوا له إني من تدعنا ؟ فرق عليهم وأقام عن الغزو ، وهذا معنى قول المفسر [٢٦ - صاوي - رابع]

كالجهاد والهجرة والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فيدخل في ذلك جميع أنواع الطاعات فلا يطيع الأزواج ولا الأولاد في التكاسل عن أى طاعة كانت بل حقوق الله مقدمة على كل حق (قوله وإن تعفوا الخ) أى تركوا عقابهم بترك الانفاق عليهم ، وذلك أنه من تخلف عن الهجرة والجهاد بسبب منع أهله وأولاده قد تذب بعد ذلك فرأى غيره من الصحابة قد سبقه للخير ، فندم وعزم على عقاب أهله وأولاده بترك الانفاق عليهم فأنزل : وإن تعفوا الخ (قوله في تثبيطهم) أى شغلهم بإياكم وتكسيبهم لكم (قوله إنما أموالكم وأولادكم فتنة) أى ابتلاء واختبار من الله لكم وهو أعلم بما في نفوسكم منكم لكن ليظهر في عالم الشهادة من يشغله ذلك عن الحق فيكون عليه نقمة ممن لا يشغله فيكون عليه نعمة ، وقدم المال لأن فتنة أشد ، ويكنى في فتنه قصة ثعلبة بن حاطب النازل فيه قوله تعالى - ومنهم من عاهد الله - الآية . قال الحسن أدخل من التثبيط في قوله - إن من أزواجكم - الخ لأنهم كانوا ليسوا بأعداء بل البعض منهم ولم يدخلها في قوله - إنما أموالكم الخ لأنهما لا يخلوان من الفتنة واشتغال القلب بهما ، فمن رجع إلى الله تعالى ولم يلتفت إلى ماله وولده وجاهد نفسه فقد فاز ومن تنسج الشغل بالمال والولد واقتن بهما فقد هلك (قوله أجر عظيم) وهو الجنة (قوله ناسحة لقوله اتقوا الله حق تقاته أى ومعناها أن يطاع فلا يعصى (٢٠٢) وأن يذكر فلا ينسى وأن يشكر فلا يكفر ، ولذلك لما نزلت الآية

(وَأِنْ تَعَفُّوا) عنهم في تثبيطهم إياكم عن ذلك الخير معتلين بمشقة فراقكم عليهم (وَتَصْفَحُوا) وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ . إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ لَكُمْ شَاغِلَةٌ عَنْ أُمُورِ الْآخِرَةِ (وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ) فلا تقوتوه باشتغالكم بالأموال والأولاد (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ) ناسخة لقوله : اتقوا الله حق تقاته (وَأَسْمِعُوا) ما أمرتم به سماع قبول (وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا) في الطاعة (خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ) خير يكن مقدرة جواب الأمر (وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) الفائزون (إِنْ تَرْضَوْا اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا) بأن تصدقوا عن طيب قلب (يُضَاعَفُهُ لَكُمْ) وفي قراءة يضعفه بالتشديد بالواحدة عشر إلى سبعمائة وأكثر (وَيَغْفِرْ لَكُمْ) ما يشاء (وَاللَّهُ شَكُورٌ) مجاز على الطاعة (حَلِيمٌ) في العقاب على المعصية (عَالِمُ الْغَيْبِ) السر (وَالشَّهَادَةِ) العلانية (الْعَزِيزُ) في ملكه (الْحَكِيمُ) في صنعه .

قالت الصحابة : ومن يعرف قدر الله فيتقيه حق تقاته ، وضائق بعضهم نفسه في العبادة حتى تورمت قدماء من طول القيام تخفف الله عنهم ، فزلت - فأتقوا الله ما استطعتم - وما قاله المفسر أحد قولين ، وقيل إنها ليست ناسخة بل مبينة لها فآية : اتقوا الله حق تقاته مجملة ، وآية : فاتقوا الله ما استطعتم مفصلة لها غير أن الاستطاعة مختلفة باختلاف الأشخاص وكل

يبدل وسعه وطاقته في طاعة ربه وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ، فليست الاستطاعة في الناس (سورة) سواء ، وبالجملة فالتكليف بهذه الآية لا بآية : اتقوا الله حق تقاته سواء قلنا إنها منسوخة أو محكمة (قوله خير يكن) أو مفعول لفعل محذوف تقديره يؤنكم خيرا وهو الأولى لأن حذف كان واسمها مع بقاء الخبر إنما يكثر بعد إن ولو (قوله جواب الأمر) أى وهو قوله وأنفقوا (قوله ومن يوق شح نفسه) الشح كراهة فعل الخير والمعروف وينشأ عنه البخل والامساك (قوله إن ترضوا الله قرضا حسنا) مما قرضا ترغيبا في الصدقة حيث جعلها الله قرضا لله مع أن العبد إنما يقرض نفسه لأن الله عائد عليه ، وفيه نزل من الله تعالى لعباده حيث أعطاهم المال وأمرهم بالانفاق منه وصمى إنفاقهم قرضا له ، فمن إحسانه عليه خاق ونسب إياك ، وهذا الخطاب يعم الأغنياء والفقراء ، فالأغنياء مخاطبون بالاقراض في بذل أموالهم وأنفسهم ، والفقراء مخاطبون بالاقراض في بذل أنفسهم فهو تعليم لهم الاخلاص في أعمالهم (قوله وفي قراءة) أى وهي سبعة أيضا (قوله مجاز على الطاعة) أى بالكثير على القليل (قوله حليم في العقاب على المعصية) أى فلا يعجل بالمعقوبة على من عصاه (قوله السر) أى ما في القلوب وقوله والعلانية : أى ما أظهره الانسان (قوله العزيز) أى الغالب على أمره (قوله الحكيم في صنعه) أى الذي يضع الشيء في محله .

[سورة الطلاق مدنية] (قوله ثلاث عشرة آية) هذا أحد أقوال في عدد آياتها ، وقيل اثنتا عشرة ، وقيل إحدى عشرة قوله (أمره وأمرته) أشار بذلك إلى أن في الكلام حذف الواو مع ما عطف على حد : سراييل نقيكم الحر ، وإنما اقتصر على خطاب النبي لأنه الرئيس الكامل وفي بعض النسخ المراد أمرته أي أن لفظ النبي أطلق وأريد به أمرته مجازاً (قوله بقرينة ما بعده) أي وهو الجمع في قوله طلقتم وفي قوله فطالقوهن (قوله أو قل لهم) هذا احتمال ثان في توجيه الخطاب ومحصله أن الخطاب حقيقة هو النبي وحده ولكن حذف منه الأمر كأنه قال يا أيها النبي قل لأمتك الخ وفي الحقيقة يؤخذ من المفسر ثلاث احتمالات على اختلاف النسخ وبقي احتمال رابع وهو أن الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أولاً وآخرها بلفظ الجمع تعظيماً وتفخيماً ، وسبب رواها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق حفصة رضي الله عنها فأتت أهلها فأنزل الله تعالى عليه : يا أيها النبي إذا طلقتم نساء فطلقوهن لعدتهن ، وقيل له راجعاً فانها صوامة قوامة وهي من أزواجك في الجنة ، وورد « تزوجوا ولا تطلقوا فان طلاق يهتز منه العرش » وورد « لا تطلقوا النساء إلا من رغبة فان الله عزوجل لا يحب الدواقين ولا الدواقات » وورد « ما حلف بالطلاق ولا استحلف به إلا منافق » (قوله أردتم الطلاق) دفع بذلك ما يقال إن قوله : فطلقوهن تحصيل للحاصل المراد بالنساء المدخول بهن ذوات الأقراء ، أما غير المدخول بهن فلا عدة عليهن بالسكينة ، وأما ذوات الأشهر والحوامل فسيأتين قوله لعدتهن) التوقيت كهى في قوله : أقم الصلاة لادوك الشمس ، (٣٠٣) والمعنى طلقوهن في وقت يصلح فيه ابتداء عدتهن وهو ما أشار له بقوله بأن يكون الخ (قوله في طهر) أي وأما في الحيض فهو حرام بدليل أن الأمر بالشئ يستلزم النهى عن ضده وهو واقع لأن النهى إذا كان لأمر خارج لا يستلزم الفساد وهنا كذلك لأن عدة النهى تطويل العدة عليها (قوله لم تمس فيه) فيه ابتداء عدتهن وهو ما أشار له بقوله بأن يكون الخ (قوله في طهر) أي وأما في الحيض فهو حرام بدليل أن الأمر بالشئ يستلزم النهى عن ضده وهو واقع لأن النهى إذا كان لأمر خارج لا يستلزم الفساد وهنا كذلك لأن عدة النهى تطويل العدة عليها (قوله لم تمس فيه)

(سورة الطلاق)

مدنية ، ثلاث عشرة آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ) المراد وأمرته بقرينة ما بعده أو قل لهم (إذا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ) أي أردتم الطلاق (فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ) لأولها ، بأن يكون الطلاق في طهر لم تمس فيه لتفسيره صلى الله عليه وسلم بذلك رواه الشيخان (وَأَحْضُوا الْعِدَّةَ) احفظوها لتراجعوا قبل فراغها (وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ) أطيعوه في أمره ونهيه (لَا تَخْرُجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا تَخْرُجْنَ) منها حتى تنقضي عدتهن (إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ) زنا (مُبَيَّنَةٍ) بفتح الياء وكسرها : أي بينت ، أو هي بينة فيخرجن لإقامة الحد عليهن ،

أي لم توطأ وهذا القيد لمنع الريبة فانه ربما يحصل من ذلك الوطء حمل فتنتقل من الحيض لوضع الحمل وربما حاضت الحامل فحصل تأيس ، وحكم الطلاق في الطهر الذي مس فيه الكراهة عند مالك والحرمة عند الشافعي ولكن تحسب به من العدة ولا يجبر على الرجعة فيه (قوله رواه الشيخان) فقد روي عن ابن عمر أنه طلق امرأته وهي حائض فذكر ذلك عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم مره فليراجعها ثم ليسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر فان بدا له أن يطلقها فليطلقها قبل أن يمسه فذلك العدة التي أمر الله أن تطلق لها النساء ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن (قوله احفظوها) أي احفظوا الوقت الذي وقع فيه الطلاق ، والخطاب للأزواج ويدخل الزوجات فيه أيضاً لأن الزوج يحصى العدة ليراجع وينفق ويتزوج بأخت المطلقة ونحو ذلك وهي لتعمل للأزواج ونحو ذلك (قوله لتراجعوا وتسكنوا) (قوله لا تخرجوهن من بيوتهن الخ) المراد المساكن التي وقع الفراق فيها وهي بيوت الأزواج وأضيفت إليهن لاختصاصها بهن من حيث السكنى ، وجمع بين النهيين إشارة إلى أن الزوج لو أذن لها في الخروج لا يجوز لها الخروج لأن العدة حق لله تعالى فلا يسقط بتراضيهما (قوله إلا أن يأتين الخ) الجملة حالية من فاعل لا يخرجن ومنعول لا تخرجوهن ولا تخرجوهن في حال من الحالات إلا في حال كونهن آتيات بفاحشة مبينة (قوله زنا) وقيل الفاحشة أن تبتذو على أهل زوجها فيحل إخراجها لسوء خلقها (قوله بفتح الياء وكسرها) أي لهما قراءتان سبعيتان (قوله أي بينت أو هي بينة) لف ونشر مرتب .

(قوله وتلك المذكورات) أى من قوله : فطلقوهن لعنتهن الخ (قوله فقد ظلم نفسه) أى عرّضها للعقاب ، وقيل المراد بغير نفسه الضرر الدنيوى الذى ياحقه بسبب تعديه ولا يكتفه تداركه بدليل قوله : لاتدرى لعل الله الخ وإرادة العموم أو (قوله لاتدرى لعل الله الخ) استئناف مسوق لتعليل ما تضمنته الجملة الشرطية ، والمراد بالأمر الذى يحدثه الله أن يقلب قلبها عما فعله بأن يرغب فى الرجعة ويندم على الطلاق والمقصود منه التحريض على طلاق الواحدة أو اثنتين وعدم ضرر الزوج بالفراق ليكون فى فسحة إذا غير الله الأحوال (قوله مراجعة) أى بأن يقلب قلبه من بغضها إلى حبها ومن الرغبة عنها إلى الرغبة فيها ومن محبة الطلاق إلى الندم عليه ، وبالجملة فالذى ينبئ للعاقل إذا أراد الفراق أن يكون بالمعروف لأنه لا يدرى ما يحلّه الله فى قلبه بعد ذلك ، فإذا كان فراقه بالمعروف وحول الله الحال سهل له بعد ذلك الرجوع (قوله فإذا بلغن أجلهن أى المطلقات طلاقا رجعيا المدخول بهن (قوله قاربن انقضاء عدتهن) أى قال الكلام على سبيل المجاز (قوله فأمسكوهن بمعروف أى بحسن عشرة وإتفاق وتحمل أذى وغير ذلك (قوله بأن تراجعوهن) تصوير للإمساك (قوله ولا تضاروهن بالمراجعة بيان للمعروف فى الإمساك ، والمعنى أنه إذا أراد إمساكها راجعها لقصد بقاء الزوجية لا لقصد ضررها ، والأوضح أن يقول فلا تضاروهن عند الفراق بأن تتكلموا فى حقهن ونحو ذلك ، وأما مضارتهن بالإمساك فقد علم فيها من قوله تعالى : فأمسكوهن بمعروف (قوله وأشهدوا ذوى عدل) أى صاحبى عدالة (قوله على الرجعة) أى لتظهر ثمرتها بعد ذلك فى الإيرث إذا ما أومات وفيما إذا ادعى الرجعة بعد (٣٠٤) انقضاء العدة وأنكرت (قوله أو الفراق) أى الطلاق لتظهر

الأشهاد بعد ذلك إذا ادعت عليه الطلاق وأنكر وهذا الأشهاد مندوب عند مالك وأبى حنيفة والشافعى فى أحد قوليه والآخر أنه واجب عند الرجعة مندوب عند الفراق (قوله وأقيموا الشهادة لله) أى لوجهه ولا نزاعوا الشهود له ولا المشهود

(وَتِلْكَ) المذكورات (حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعْنَةُ اللَّهِ يَحْدِثُ بِمَنْ ذَلِكَ) الطلاق (أَمْراً) مراجعة فيما إذا كان واحدة أو اثنتين (فَإِذَا بَلَغَ أَجْلُهُنَّ) قاربن انقضاء عدتهن (فَأَمْسِكُوهُنَّ) بأن تراجعوهن (بِمَعْرُوفٍ) من غير ضرر (أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ) اتركوهن حتى تنقضى عدتهن ولا تضاروهن بالمراجعة (وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ) على الرجعة أو الفراق (وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ) لا للمشهود عليه أو (ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً) من كرب الدنيا والآخرة (وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ) يخطر بباله (وَمَنْ يَقْوَا عَلَى اللَّهِ) أى فى أموره (فَهُوَ حَسْبُهُ) كافيته (إِنَّ اللَّهَ بِأَعْيُنِهِ) مراده ،

عليه ، وإنما حث على أداء الشهادة لما فيه من العسر على الشهود لأنه ربما يؤدى إلى أن يترك الشاهد مهماته ولما فيه من عسر لقاء الحاكم الذى يؤدى عنده وربما بعد مكانه وكان للشاهد عوائق (ذلكم) أى المذكور من أول السورة إلى هنا (قوله يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) أى وأما من لم يكن من ذلك فهو انقاصه قلبه لا يوعظ لأنه لم ينتفع به (قوله ومن يتق الله يجعل له مخرجاً) هذه الجملة اعتراضية فى أثناء الآيات المنطوق بها بالنساء إشارة إلى أنه لا يصبر على تلك الأحكام ولا يعمل بها إلا أهل التقوى والأحسن أن يراد من هذه العموم لاختصاص التقوى فى أمر النساء ، قال أكثر المفسرين نزلت هذه الآية فى عوف بن مالك الأشجعى أسير المشركون ابنه له يسمى سالماً عوف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتكى إليه الفاقة وقال إن العدو أسرا بنى وجزعت الأم لما تأمرنى ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتق الله واصبر وأمرك وإياها أن تستكثر من قول لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، فعاد إلى بيته ولا رآه إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنى وإياك أن تكثر من قول لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فقالت نعم ما أريد فجعل يقولان ففعل العدو عن ابنه فساق غنهم وهى أربعة آلاف شاة واستاق من إبلهم خمسين بعيراً كما فى روايته وجاء إلى المدينة فقال أبوه للنبي صلى الله عليه وسلم أيجل لى أن آكل مما آتى به ابنى فقال نعم ونزلت الآية (قوله ومن يتوكل على الله فهو حسبه) أى من فوض أمره إليه كفاه ما أمه والأخذ فى الأسباب لا ينافى التوكل لأنه مأثور به لىكن لا يعتمد على تلك الأسباب (قوله إن الله بالغ أمره) أى فلا بد من إنفاذ مراده حصل من الشخص توكل أم لا لىكن من توكل يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجر

(قوله وفي قراءة بالاضافة) أى ومن سبعة أيضا (قوله قد جعل الله لكل شئ قدرا) أى تقديره لا يتعداه ولو اجتمعت جميع الحلائق على أن يتعدوه لا يقدر، وهذه الآية تستعمل لدفع كرب الدنيا والآخرة لما ورد في الحديث «إني لأعلم آية لو أخذ الناس بها لكفهم - ومن يتق الله يجعل له مخرجا - فما يزال يقرؤها ويعيدها وورد أيضا «من انقطع إلى الله كفاه الله كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع إلى الدنيا وكفه الله إليها» ومعنى انقطع إلى الله أنه إذا اتقى وآثر الحلال والصبر على أهله فإنه يفتح الله عليه إن كان ذا ضيق ويرزقه من حيث لا يحتسب وورد أيضا «من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب» [لطيفة] ذكر الأجهوري في فضائل رمضان حكاية مناسبة للمقام، وهي أن يوما ركبوا البحر فسمعوا هاتفا يقول من يعطيني عشرة آلاف دينار حتى أعلمه كلمة إذا أصابه غم أو أشرف على هلاك فقالها انكشف ذلك عنه فقام من أهل المركب رجل معه عشرة آلاف دينار فصاح أيها الهاتف أنا أعطيك عشرة آلاف دينار وعلمني فقال ارم بالمال في البحر فرمى به فسمع الهاتف يقول إذا أصابك هم أو أشرفت على هلاك فاقرا: ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب إلى آخر الآية فقال جميع من في المركب للرجل لقد ضيعت مالك فقال كلا إن هذه لفظة ما أشك في نفعها، قال فلما كان بعد أيام كسر بهم المركب فلم ينج منهم غير ذلك الرجل فإنه وقع على لوح وطرحه البحر على جزيرة قال فصعدت أمشي فيها فإذا بقصر منيف فدخلته فإذا فيه كل ما يكون في البحر من الجواهر وغيرها وإذا بامرأة لم أر قط أحسن منها فقلت لها من أنت وأى شئ تعملين ههنا قالت أنا بنت فلان التاجر بالبصرة، وكان أبى عظيم التجارة وكان لا يصبر على ساعة فساد في معه في البحر فأنكسر مركبنا فاختطفت حتى حصلت في هذه الجزيرة، فخرج إلى شيطان من البحر فتلاعب بي سبعة أيام من غير أن يطأني إلا أنه يلامسني (٢٠٥) ووذني ويتلاعب بي ثم ينظر إلى

ثم ينزل في البحر سبعة أيام وهذا يوم موافاته فأتى الله في نفسك وأخرج قبل موافاته وإلا أتى عليك، فما انقضى كلامها حتى رأيت ظلمة هائلة

وفي قراءة بالاضافة (تَدَّ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ) كرخاء وشدة (قَدَرًا) ميقانا (وَاللَّاتِي) بهمة وياء وبلاياء في الموضعين (يَتَسَنَّ مِنَ الْمَحِيضِ) بمعنى الحيض (مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أُرْتَبِتُمْ) شككم في عدتهن (فَمِثْلُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّاتِي لَمْ يَحْضُنَّ) لصغرهن،

وقالت قد والله جاء وسيلكك، فلما قرب منى وكاد يغشاني قرأت الآية فإذا هو خر كقطعة جبل إلا أنه رماد محترق، فقالت المرأة هلاك والله وكفيت أمره من أنت يا هذا الذى من الله على بك؟ فقمت أنا وهى فانتخبنا ذلك الجوهر حتى حملنا كل ما فيه من نفيس وفاخر ولزمتنا الساحل نهارنا فإذا كان الليل رجعنا إلى القصر قال وكان فيه كل ما يؤكل فقلت لها من أين لك هذا قالت وجدته ههنا فلما كان بعد أيام رأينا مركبا بعيدا فلوحنا إليه فدخل فحملنا فسرنا يسيرا إلى البصرة فوصفت لى منزل أهلها فأتيتهم فقالوا من هذا فقلت رسول فلانة بنت فلان فارتفعت الناعية فقالوا يا هذا لقد جددت علينا مصابنا فقاتلنا فخرجوا فخرجوا فأخذتهم حتى أتيت بهم إلى ابنتهم فكدوا يموتون فرحا وسألوها عن خبرها فقصة عليهم وسألتهم أن يزوجوني بها ففعلوا وجعلنا ذلك الجوهر رأس مال بينى وبينها، وأنا اليوم أيسر أهل البصرة، وهؤلاء أولادى منها انتهى (قوله واللآتي يتسنن الخ) سبب نزولها أنه لما نزل قوله تعالى - والطلقت يتر بصن بأنفسهن ثلاثة قروء - قال خلاد بن الزهمان يارسول الله فما عدة التى لم تحض وعدة التى انقطع حيضها وعدة الحبلى فنزلت واللاء اسم موصول مبتدأ ويتسنن صلتها، وقوله من نسائك حال من الضمير فى يتسنن، والشرط وجوابه خبره، أو قوله فعدهن خبره وجواب الشرط محذوف تقديره فاعلموا أنها ثلاثة أشهر والشرط وجوابه المقدر معترض بين المبتدأ وخبره والأول أحسن (قوله يتسنن) أى وأول سن اليأس ستون سنة وما بين الخمسين والستين يسئل النساء فإن جزم من بآته حيض أو شككن فيحيض وإلا فليس بحيض وما قبل الخمسين حيض قطعاً (قوله شككن فى عدتهن) أى جهلتم قدرها والقيد لبيان الواقع بلامفهوم له بل عدتها ما ذكر سواء علموا أو جهلوا لكن الواقع فى نفس الأمر أن السائين كانوا جاهلين بقدرها (قوله واللآتي لم يحضن لصغرهن) أى عدم بلوغهن أو أن الحيض كبرت تسع ومثل الصغيرة من لم تر الحيض أصلاً وتسميها النساء البقرة، وأما معتادة الحيض وتأخر حيضها بلا سبب أو بسبب مرض أو استحيضت ولم تميز فأنها تمكث عند مالك سنة بيضاء وتحل للأزواج، ثم إن احتاجت لعدة بعد ذلك

كانت كالآيسة والصغيرة ، وأما من تأخر حيضها لرضاع أو استحاضت وميزت أو كان حيضها يأتي بعد سنة أو سنتين إلى خمس فلا تعد إلا بالحيض فإن زادت عادت عن خمس فالذي لأبي الحسن على المدونة أنها تعد بسنة بيضاء من أول الأمر وقيل بثلاثة أشهر كالآيسة والصغيرة فليحفظ هذا المقام (قوله فعدتهن ثلاثة أشهر) أشار بذلك إلى أن قوله واللائي مبتدأ وجهه لم يحسن صلته والخبر محذوف قدره المفسر جملة والأولى تقديره مفردا بأن يقول مثلهن أو كذلك (قوله والمسئلتان) أي مسألة الآيسة ومسألة الصغيرة (قوله في غير المتوفى عنهن) أي فما هنا مخصوص بآية البقرة (قوله وأولات الأحمال) مبتدأ وأجلهن مبتدأ ثان وأن يضعن خبر الثاني والثاني وخبره خبر الأول والأحمال جمع حمل بفتح الحاء كصحب وأصحاب اسم لما كان في البطن أو على رأس الشجر وبالكسر اسم لما كان على ظهر أو رأس (قوله أو متوفى عنهن أزواجهن) أشار بذلك إلى بقاء عموم وأولات الأحمال فهو مخصص لآية يترصدن بأنفسهن أي ما لم يكن حوامل . وحاصل الفقه في هذا المقام أن النساء تسمان مطلقات ومتوفى عنهن وفي كل إباحة أو إملاء فعدة الحرة المدخول بها المطلقة ذات الحيض ثلاثة قروء واليايسة والصغيرة ثلاثة أشهر والأمة المدخول بها المطلقة ذات الحيض قرءان فإن كن حوامل فوضع الحمل حرة أو أمة وعدة المتوفى عنها إن كانت حرة أربعة أشهر وعشر مطلقا مدخولا بها أولا والأمة شهران وخمس ليل والحوامل وضع الحمل وانظر تفصيل ذلك في الفروع (قوله المذكور (٢٠٦) في العدة) أي في تفاصيلها (قوله أنزله) أي بينه ووضحه

(قوله ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته الخ) كرر التقوى لعمامة سبحانه ونعمالي بأن النساء ناقصات عقل ودين فلا يصبر على أمورهن إلا أهل التقوى (قوله أسكنوهن الخ) هذا وما بعده بيان لما تتوقف عليه التقوى (قوله أي المطلقات) أخذ هذا التقييد من السياق وإلا فكل

فعدتهن ثلاثة أشهر والمسئلتان في غير المتوفى عنهن أزواجهن ، أما هن فعدتهن ما في آية يترصدن بأنفسهن أربعة أشهر وعشر (وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ) انقضاء عدتهن مطلقات أو متوفى عنهن أزواجهن (أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا) في الدنيا والآخرة (ذَلِكَ) المذكور في العدة (أَمْرُ اللَّهِ) حكمه (أَنْزَلَهُ إِلَيْنَا) وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا (قوله أسكنوهن) أي المطلقات (مَنْ حَيْثُ سَكَنَتْهُ) أي بعض مساكنكم (مِنْ وَجَدِكُمْ) أي سمعتم عطف بيان أو بدل مما قبله بإعادة الجار وتقدير مضاف : أي أمكنة سمعتم لامادونها (وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ) المساكن فيحتجن إلى الخروج أو النفقة فيفتدين منكم (وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٌ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ) أولادكم منهن (فَأَتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ) على الإرضاع (وَأَتَمَّرُوا بَيْنَكُمْ) وبينهن (بِمَعْرُوفٍ) بجميل في حق الأولاد بالتوافق ،

مفارقة يجب لها السكنى سواء كان فراقها بطلاق أو موت وإعما التفصيل في النفقة (قوله أي بعض مساكنكم) أشار بذلك إلى أن من للتبعيض وهو أحد وجهين والثاني أنها لا ابتداء الغاية . والمعنى تسببوا إلى إسكانهن من الوجه الذي تسكنون أنفسكم فيه (قوله من وجدكم) بضم الواو باتفاق القراء وإن كان يجوز فيه التثنية يقال وجد في المال وجدا بضم الواو وفتحها وكسرهما وجدة أيضا بالكسر أي استغنى (قوله بإعادة الجار) ظاهره أنه راجع للبيان والبدل وليس مناسبا لأن عطف البيان لم يعهد فيه تكرار العامل فالأولى رجوعه للبديهة (قوله لامادونها) أي لا المساكن التي دون أمكنة سمعتم لنفاستها وارتفاع سعرها وإعما تسكافيه بالائق بها على قدر سعته (قوله ولا تضاروهن لتضييقوا عليهن) أي بأن تفعلوا معهن فعلا يوجب خروجهن من المساكن (قوله فيفتدين) أي المطلقات حيث كن رجعيات فيأجنهن الأمر إلى كونها تفتدى منه لبيتها وتخلص منه (قوله وإن كن أولات حمل) أي وإن كن المطلقات الرجعيات أو البائعات ، وأما الحوامل المتوفى عنهن فلا نفقة لهن لاستغنائهن بالميراث (قوله فإن أرضعن لكم) هذا الحكم مفروض في المطلقات كما هو مقتضاه ، وأما الزوجة فعند مالك يلزمها الإرضاع بنفسها إن كان بها لبن وكان شأنها ذلك وأما مثل بنات المالك فلا يلزمهن الإرضاع وعند الشافعي لا يلزم الزوجة الإرضاع مطلقا (قوله واتمروا) أي ليأمر بعضكم بعضا بالمعروف .

(قوله على أجر معلوم) أى أجر معاومة على قدر وسعه وحالها (قوله فسترضع له أخرى) فيه معاتبة الأم على ترك الارضاع وللعن فان امتنع الأب من دفع الأجرة للأم وترك الأم الولد من غير إرضاع بنفسها فليطاب له الأب مرضعة أخرى ويجبر على ذلك لئلا يضيع الولد فقوله فسترضع الخ خبر بمعنى الأمر والضمير فى له للأب بدليل فان أرضعن لكم والمذلول محذوف للعلم به أى فسترضع الولد لوالده امرأة أخرى (قوله لينفق على المطلقات) أى اللاتى لم يرضعن وقوله والمرضعات أى المطلقات وهذا التقييد أخذه من السياق وإلا فالزوجة كذلك . واعلم أن الماطقة طلاقا رجعيا لها النفقة باجماع المذاهب وأما بائنا فلا نفقة لها عند مالك والشافعى وعند أبى حنيفة لها النفقة وكل هذا مالم تكن حاملا وإلا فلها النفقة باجماع والمرضع جرة الرضاع باجماع أيضا كما يقضى بالسكنى للجميع باجماع (قوله من سعتة) الكلام على حذف مضاف ومن بمعنى على أى على قدر سعتة والمعنى أنه يجب على الأزواج النفقة على المطلقات والمرضعات والأزواج بقدر طاقته فيلزم الزوج الموسر مدان والمتوسط مد ونصف والموسر مد هذا مذهب الشافعى ومذهب مالك يفرض لها قوت (٢٠٧) إدام وكسوة ومسكن بقدر وسعه وحالها (قوله على قدره) أى فلا يكلف فوق طاقته (قوله سيجعل الله بعد عسر يسرا) فى هذا بشارة للفقراء : أى فلا تقنطوا بل عن قريب يحول الله حالكم إلى الغنى وفى الحديث « لن يغاب عسر يسرين » (قوله وقد جعله بالفتوح) أى فقد صدق الله وعده حيث فتح عليهم جزيرة العرب وفارس والروم حتى صاروا أغنى الناس ، وإلا خصوصية للصحة بذلك بل العبرة بالعموم (قوله وكأين) مبتدأ ومن قرية تميز لها وقوله عنت خبر (قوله بمعنى كم) أى فصار

على أجر معلوم على لإرضاع (وإن تعامرتنم) تضايقتن فى الإرضاع فامتنع الأب من الأجرة والأم من فعله (فسترضع له) للأب (أخرى) ولا تكره الأم على إرضاعه (لينفق) على المطلقات والمرضعات (ذو سعة من سعتة ومن قدر) ضيق (عليه رزقه فلمينفق مما آتاه) أعطاه (الله) على قدره (لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاهما سيجعل الله بعد عسر يسرا) وقد جعله بالفتوح (وكأين) هى كاف الجر دخلت على أى بمعنى كم (من قرية) أى وكثير من القرى (عنت) عصت يعنى أهلها (عن أمر ربها ورسله فحاسبناها) فى الآخرة وإن لم تنجى لتحقق وقوعها (حسابا شديدا وعذابا نكرا) بسكون الكاف وضمها فظيما وهو عذاب النار (فذاقت وبال أمرها) عقوبته (وكان عاقبة أمرها خسرا) خساراً وهلاكاً (أعد الله لهم عذابا شديدا) تكرير الوعيد توكيد (فأتقوا الله يا أولي الألباب) أصحاب العقول (الذين آمنوا) نعمت للمنادى أو بيان له (قد أنزل الله إليكم ذكرا) هو القرآن (رسولا) أى محمداً صلى الله عليه وسلم منصوب بفعل مقدر : أى وأرسل (يتلوا عليكم آيات الله مبينات) بفتح الياء وكسرهما كما تقدم (ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات) بعد مجيء الذكر والرسول (من الظلمات) الكفر الذى كانوا عليه (إلى النور) الإيمان الذى قام بهم بعد الكفر (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يزدخله)

الجموع بمعنى كم (قوله عنت) ضمنه معنى أعرضت أو خرجت فعناء بعن (قوله يعنى أهلها) أى فأطلق لفظ القرية وأريد أهلها مجازاً من باب تسمية الحال باسم المحل (قوله لتحقق وقوعها) جواب عما يقال إن الحساب وما بعده إنما يحصل فى الآخرة فما وجه التعبير بالماضى فأجاب بأنه عبر بالماضى لتحقق وقوعه (قوله حسابا شديدا) أى بالمناقشة والاستقصاء (قوله فظيما) أى شنيعا قبيحا (قوله كسر الوعيد) أى المذكور فى الجمل الأربع ، وهى قوله : فحاسبناها وعذابناها فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا (قوله وبيان له) أى عطف بيان (قوله منصوب بفعل مقدر) هذا أحسن احتمالات تسع ذكرها للفسرون ، وقوله أى محمداً هو أحد أقوال ثلاثة فى تفسير الرسول وهو أحسنها ، وقيل هو جبريل ، وقيل هو القرآن نفسه (قوله يتلوا عليكم) نعت لرسولا (قوله مبينات) حال من آيات (قوله كما تقدم) أى فى قوله بناحشة مبينة من أن المفتوح من المتعدى والمكسور من اللازم : أى بينها الله أوهى بينة فى نفسها (قوله ليخرج) متعلق ببتلوا فالضمير راجع لمحمد صلى الله عليه وسلم أو متعلق بأنزل فالضمير عائداً على الله تعالى وكل صحيح .

(قوله وفي قراءة بالنون) أى وهى سبعة أيضا (قوله خالدين فيها) حال مقدرة أى مقدرين الخلود (قوله قد أحسن الله رزقا) أى عظميا عجيبا والجملة حال ثانية أو حال من الضمير فى خالدين فتكون متداخلة (قوله ومن الأرض مثلهن) عامة القراء على نصب مثلهن ووجهه أنه معطوف على سبع سموات أو مفعول محذوف تقديره وخلق مثلهن من الأرض وقرى شذوذا بالرفع على الابتداء والجار والمجرور خبره مقدم عليه (قوله يعنى سبع أرضين) اعلم أن العلماء أجمعوا على أن السموات سبع طباق بعضها فوق بعض. وأما الأرضون فالجمهور على أنها سبع كالسموات بعضها فوق بعض وفى كل أرض سكان من خلق الله وعليه فدعوة الاسلام مختصة بأهل الأرض العليا لأنه الثابت والمنقول ولم يثبت أنه صلى الله عليه وسلم ولا أحد ممن بعده نزل إلى الأرض الثانية ولا غيرها من باقى الأرضين وبلغهم الدعوة وهل جعل الله لما تحت الأرض العليا ضوءا آخر غير الشمس والقمر أو يستمدون الضوء منهما؟ قولان العلماء، وقيل إنها طباق ملزوقة بعضها ببعض وقيل ليست طباقا بل منبسطة تفرق بينها البحار ونظير الجميع السماء والأول هو الأصح (قوله ينزل به جبريل) أى بالوحي بمعنى التصريف، والمعنى أن أمر الله وقضاه يجرى وينزل من السماء السابعة إلى الأرض السابعة فهو سبحانه وتعالى متصرف فى كل ذرة منها، وأما إن أريد بالوحي وحى التكليف بالأحكام فالمراد بقوله بينهما: أى بين السموات السبع والأرض السبع فيكون فوق الأرض وتحت السموات (قوله متعلق بمحذوف) أى على أنه علة له (٢٠٨) والمعنى حكمة إعلانه لكم بهذا الخلق صيرورتكم علماء بأن الله على

وفى قراءة بالنون (جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا) هو رزق الجنة التى لا ينقطع نعيمها (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنْ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ) يعنى سبع أرضين (يَنْزِلُ الْأَمْرُ) الوحي (يُنْزِلُنَّ) بين السموات والأرض ينزل به جبريل من السماء السابعة إلى الأرض السابعة (لِتَعْلَمُوهُنَّ) متعلق بمحذوف أى أعلمكم بذلك الخلق والتنزيل (أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا)

(سورة التحريم)

مدنية، اثنتا عشرة آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ) من أمتك مارية القبطية لما واقعها فى بيت حفصة وكانت غائبة فجاءت وشق عليها كون ذلك فى بيتها وعلى فراشها

كل شىء قدبر الخ (قوله على كل شىء) أى من غير هذا العالم بحيث يمكن أن يخلق خلقا آخر أبدع من هذا العالم وهذا كله بالنظر لا يمكن العقل فلا يخالف ما نقل عن الغزالي من قوله ليس فى الامكان أبدع مما كان لأن معناه تعلق علم الله فى الأزل بأنه لا يخلق عالما غير هذا العالم فمن حيث تعلق العلم بعده صار غير ممكن

حيث

لأنه لو وقع لا نقاب العلم جهلا فهى استحالة عرضية وهناك أجوبة أخر ذكرناها فى كتابة الجوهرة

[سورة التحريم] وتسمى سورة النبى صلى الله عليه وسلم (قوله مدنية) أى كما هو قول الجميع (قوله يا أيها النبى لم تحرم الخ) هذا الخطاب مشعر بأنه صلى الله عليه وسلم على غاية من التفخيم والتعظيم حيث عاتبه على إتيان نفسه والتضييق عليها من أجل مرضاة أزواجه كأن الله تعالى يقول له لا تتعب نفسك فى مرضاة أزواجك بل أرح نفسك ولا تتعبها وأزواجك يسعين فى مرضاتك فان سعين فى مرضاتك سعدن وإلا فلا (قوله من أمتك مارية القبطية) هذا قول أكثر المفسرين . وعصاه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقسم بين نسائه ، فلما كان يوم حفصة استأذنت رسول الله فى زيارة أبيها فأذن لها فلما خرجت أرسل إلى جاريتها مارية القبطية التى أهداها له المقوقس ملك مصر ، فأدخلها بيت حفصة فوقع عليها ، فلما رجعت حفصة وجدت الباب مغلقا جلست عند الباب فخرج النبى ووجهه يقطر عرقا وحفصة تبكى ، فقال لها ما يبكيك فقالت إنما أذنت لى من أجل ذلك أدخلت أمتك يتي ثم وقعت عليها فى يومى على فراشى أمارأت لى حرمة وحقا فقال أليست هى جاريتى قد أحلها الله لى وهى حرام على التحس بذلك رضاك ولا تخبرى بهذا امرأة منهن ، فلما خرج قرعت حفصة الجدار الذى بينها وبين عائشة ، فقالت ألا أبشرك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حرم عليه أمة مارية وإن الله قد أراحنا منها وأخبرتها بما رأت وكاتنا متصافيتين متظاهرتين على سائر أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ، وقيل إن الذى حرمه

لي نفسه هو شرب العسل وهو ما في الصحيحين لما روى عن عائشة « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب الحلواء والعسل كان إذا صلى العصر دار على نسائه فيدنون من كل واحدة منهن ، فدخل على حفصة بنت عمر فاحتبس عندها أكثر مما كان يحتبس ، فسألت عن ذلك ، فقيل لي أهدت إليها امرأة من قومها عكة عسل ، فسقت رسول الله صلى الله عليه وسلم منه شربة ، فقلت والله لنحتالن له ، فذكرت ذلك لسودة وقلت لها إذا دخل عليك ودنا منك فقولي له يا رسول الله أكلت مغافير بين معجزة وكاف بعدها ياء وراء جمع مغفور بالضم كعصفور : أي صمنا حلواله رائحة كريهة ينضجها شجر يقال له العرط ثم العين المهملة والفاء يكون في الحجاز له رائحة كرائحة الخمر فانه سيقول لك لا ، فقولي له وما هذه الريح ؟ وكان صلى الله عليه وسلم يكره أن يوجد منه الريح السكرية ، فانه سيقول لك سقتني حفصة شربة عسل ، فقولي له أكلت نخله العرط حتى أرفيه : أي في العسل ذلك الريح السكرية ، وإذا دخل على فسأقول له ذلك وقولي أنت يا صفية ذلك ، فلما دخل على عائشة قالت له مثل لك ، فلما كان اليوم الآخر ودخل على حفصة قالت له يا رسول الله ألا أسقيك منه ؟ قال لا حاجة لي به ، قالت إن سودة تقول سبحان الله لقد حرمناه منه ، فقال لها اسكتي اه (قوله حيث قلت) ظرف لقوله لم تحرم أو تعليل له (قوله تبتغي مرضات أزواجك) حال من فاعل تحرم ، والمعنى لا ينبغي لك أن تشتغل بما رضى (٢٠٩) الخالق بل اللائق أن أزواجك

وسائر الخلق تسمى في مرضاتك (قوله أي رضاهن) مصدر مضاف لفاعله أو مفعوله (قوله شرع) أي فالمراد بالفرض الشرع والمعنى بين وأظهر وجعل لكم تحلة أيمانكم والضمير عائدة عليه وعلى أمته (قوله تحلة أيمانكم) مصدر حل ككرّم تكرمه فأصله تحللة فأدغم (قوله تحليلها بالكفارة

حيث قلت حرام على (تبتغي) بتحريمها (مريضات أزواجك) أي رضاهن (وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) غفر لك هذا التحريم (قد فرض الله) شرع (لكم تحلة أيمانكم) بتحليلها بالكفارة المذكورة في سورة المائدة ، ومن الأيمان تحريم الأمة وهل كره صلى الله عليه وسلم أو قال مقاتل : أعتق رقبة في تحريم مارية . وقال الحسن لم يكره لأنه صلى الله عليه وسلم مفعول له (وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ) ناصركم (وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) (و) اذكر (إِذْ أَمَرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ) هي حفصة (حَدِيثًا) هو تحريم مارية وقال لها لا نفسيه (فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ) عائشة ظننا منها أن لا حرج في ذلك (وَأُظْهِرَهُ اللَّهُ) أطلعه (عَلَيْهِ) على المنبأ به (عَرَفَ بَعْضُهُ) حفصة (وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ) تكرمًا منه (فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ) قالت مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ (أي الله (إِنْ تَتُوبَا) أي حفصة وعائشة (إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا) مالت إلى تحريم مارية ،

(الح) أشار إلى أن التحلة تحليل اليمين فكأنه عقد وتحمته بالكفارة (قوله ومن الأيمان تحريم الأمة) أي بقوله أنت على حرام فتجب به كفارة يمين عند الشافعي وعند مالك التحريم في غير الزوجة لغو لا يلزم به شيء ما لم يقصد به في الأمة عتقها وإلا فيلزمه عتقها ؟ وأما التحريم في الزوجة فعند الشافعي إن نوى به الطلاق وقع وإلا فيلزمه كفارة يمين وعند مالك يلزمه به الطلاق الثلاث إن كان مدخولا بها وواحدة في غير المدخول بها وإن لم ينو به حلّ العصمة (قوله قال مقاتل الخ) أي وبه أخذ الشافعي (قوله وقال الحسن لم يكفر الخ) أي وبه أخذ مالك والأصل عدم الخصوصية إلا للدليل (قوله والله مولاكم) أي متولى أموركم (قوله حديثا) أي ليس من الأحكام البلاغية (قوله وهو تحريم مارية) أي وأمر إليها أيضا أن أباهما عمر وأبا عائشة أبا بكر يكونان خليفتين على الأمة بعده (قوله فلما نبأت به عائشة) قدره إشارة إلى أنه يتعدى إلى مفعولين الأول بنفسه والثاني بحرف الجر وقد يحذف الجار تخفيفا وقد يحذف المفعول الأول للدلالة عليه (قوله ظننا منها) أي فهو باجتهاد منها فهي مأجورة فيه (قوله أطلعه عليه) أي على لسان جبريل فأخبره بأن الخبر قد أفشى (قوله على المنبأ به) أي وهو تحريم مارية ، والمناسب أن يقول هل أنها قد أنبأت به (قوله عرفت بعضه) أي وهو تحريم مارية أو العسل (قوله وأعرض عن بعض) أي وهو أن أباهما وأبا بكر يكونان خليفتين بعده ، وإنما أعرض عن ذلك البعض خوفا من أن ينتشر في الناس فربما أثاره بعض المتأولين حسدا (قوله تكرمًا منه) أي وحياء وحسن عشرة (قوله قالت من أنبأك هذا) أي وقد ظننت أن عائشة هي التي أخبرته .

(قوله أي سر كما ذلك مع كراهة النبي له) أي ومحبة الأمر الذي يكرهه النبي صلى الله عليه وسلم زيغ وميل عن الحق (قوله وجواب الشرط محذوف) أي فقوله فقد ضعفت قلوبكم كما تعليل للشرط ، والمعنى إن تتوبا إلى الله من أجل ميل قلوبكم كما تقدم (قوله ولم يعبر به) أي فيقول قلبا كما (قوله فيما هو كالكلمة الواحدة) أي لأن بين المضاف والمضاف إليه علة وارتباطا (قوله قراءة) أي وهي سبعة أيضا (قوله فإن الله هو مولاه) تعليل لجواب الشرط المحذوف تقديره فلا يعدم ناصرا فإن الله الخ (قوله فصل) أي ضمير فصل لا محل له من الاعراب (قوله وصالح المؤمنين) اسم جنس لاجمع ولذلك يكتب من غير واو بعد الحاء ويصح أن يكون جمعا بالواو والنون حذفت النون للإضافة وكتب بدون واو اعتبارا بلفظه لأن الواو ساقطة لالتقاء الساكنين نحو سندع الزبانية (قوله معطوف على محل اسم إن) أي قبل دخول الناسخ وهذا على بعض مذاهب النحويين ويجوز أن يكون جبريل مبتدأ وما بعده عطف عليه وظهير خبر الجميع (قوله والملائكة بعد ذلك ظهير) أخبر بالمفرد عن الجمع لأن الله يستوى فيه الواحد وغيره . إن قلت إن نصرة الله هي الكفاية العظمى وما الحكمة في ضم ما بعدها إليها . قلت تطييبا لقلوب المؤمنين وتوقيرا لجانب الرسول (قوله عسى ربه إن طلقكن الخ) سبب نزولها أنه صلى الله عليه وسلم لما أشاعت حفص ما أسرها به اغتم صلى الله عليه وسلم وحاف أن لا يدخل عليهن شهرا مؤاخذه لهن ، ومكث الشهر في بيت مارية ، فلما مضت تسع وعشرون ليلة بدأ بعائشة فدخل عليها ، فقالت له إنك أقسمت على شهر وإنك دخلت في تسع وعشرين ليلة ، فقال هذا الشهر تسع وعشرون ليلة (٢١٠) وما بلغ عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم اعتزل نساءه وشاع عند الناس

أي سر كما ذلك مع كراهة النبي صلى الله عليه وآله وسلم له وذلك ذنب ، وجواب الشرط محذوف أي تقبلا ، وأطلق قلوب على قلبين ولم يعبر به لاستثقال الجمع بين تثنيتين فيما هو كالكلمة الواحدة (وإن تظاهرا) يادغام التاء الثانية في الأصل في الظاء وفي قراءة بدونها : تتعاز (عليه) أي النبي فيما يكرهه (فإن الله هو) فصل (مؤ لاه) ناصره (وجبريل وصالح المؤمنين) أبو بكر وعمر رضي الله عنهما معطوف على محل اسم إن فيكونون ناصرين (والملائكة بعد ذلك) بعد نصر الله والمذكورين (ظهير) ظهراء : أعوان له في نصر عليهما (عسى ربه إن طلقكن) أي طلق النبي أزواجه (أن يبدلن) بالتشديد والتخفيف (أزواجهن خير منكن) خبر عسى ، والجملة جواب الشرط ،

أنه طلقهن أناه فوجده في مشربة . قال عمر : فدخلت على حفصة وهي تبكي ، فقالت أطلقكن رسول الله ؟ قالت لأدرى ها هوذا معتزل في هذه المشربة ، فاستأذنت عليه فأذن لي فدخلت فسلمت عليه فإدا هو متكئ على رمال حصير فدأثر في جنبه فقالت يا رسول الله أطلقت

نساءك ؟ فرفع رسه إلى وقال لا ، فقلت الله أكبر لو رأيتنا يا رسول الله وكنا معشر قریش نغلب النساء ، فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نساؤهم ، فما زال يلاطفه بالكلام حتى تبسم وقال له يا رسول الله لا يشق عليك من أمر النساء ، فإن كنت طاقتهن فإن الله معك والملائكة وجبريل وميكائيل وأنا وأبونا والمؤمنون معك . قال عمر وقلمنا تكلمت بكلام إلا رجوت الله يصدق قولي الذي أقوله ، فنزلت هذه الآية وآية - وإن نظم عليه - الخ فاستأذن عمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يخبر الناس أنه لم يطاق نساءه ، فأذن له فقام على باب المسجد وأدى بأصوته لم يطاق رسول الله نساءه . قالت عائشة ثم بعد هذه القضية نزلت آية التخيير فبدأ بي فاخترته ، ثم خيرهن فاخترته والتخيير هي قوله هالي - يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتم تردن الحياة الدنيا وزينتها إلى تولي - عظيما - (قوله إن طلقكن أي جميعا فلا ينافي أنه وقع منه طلاق لحفصة طلاقا واحدة وأمر برأيتها فطلاقها كالعالم فالتعليق إنما هو على تطبيق الجملة مع عدم الرجعة والتبديل لكل لكونه مرتبا على تطبيق الكل (قوله بالتشديد والتخفيف) أي فهما قراءتان سبعيتان (خيرا منكن) أي بأن يطردكن ويأتي له بنساء آخر خير منكن إذ قدرة الله صالحة لرفع أقوام ووضع آخرين فلا يقال كيف تكون المبدلات خيرا منهن مع أنه لم يكن على وجه الأرض نساء خيرا منهن لأننا نقول قدرة الله صالحة لذلك إن حصل المصلحة عليه وهو لم يحصل (قوله خبر عسى) أي جملة أن يبدله (قوله والجملة جواب الشرط) أي جملة عسى واسمها وخبرها . إن قلت إن هذه الجملة فعلها جامد والجملة إذا كانت كذلك وقعت جواب شرط وجب اقترانها بالفاء فالمناسب أن تجعل دليل جواب

ف (قوله ولم يقع التبديل) جواب عما يقال إن الترجي في كلام الله للتحقيق مع أنه لم يحصل هنا . فأجاب بأنه معلق على وهو التطبيق للكل ولم يطلقهن . وأجيب أيضاً بأن عسى هنا للتخويف (قوله ثابتات) أي راجعات عن الزلات والهفوات عابדות (أي خاضعات متذللات) (قوله صائمات) هذا قول ابن عباس وصحى الصائم سائحا لأن السائح لازاد معه فلا يزال إلى أن يجد ما يطعمه فكذلك الصائم يسلك إلى أن يجيء وقت إفطاره (قوله أو مهاجرات) هذا قول الحسن (قوله ثيبات) أي مضمهن كذا وبعضهن كذا ودخلت الواو بين الوصفين لتغايرهما دون سائر الصفات والثيب من ثاب يشوب : أي سميت بذلك لأنها راجعة إلى زجها إن أقام معها أو إلى غيره إن فارقها أولاً لأنها رجعت إلى بيت أبويها والآبكار جمع بكر لعذراء ، سميت بكراً لأنها على أول حالتها التي خلقت بها ، فمدح الثيبات من حيث إنها أكثر نجربة وعقلا وأسرع حبلا ، كر من حيث إنها أطهر وأطيب وأكثر مداعبة (قوله قوا أنفسكم) أي اجعلوا لها وقاية بفعل الطاعات واجتناب المعاصي أمر من الوقاية فوزنه عوا لأن فاءه حذفت لوقوعها في المضارع بين ياء وكسرة والأمر محمول عليه وحذفت اللام حملا له المجزوم فأصله أوقوا وحذفت الواو التي هي فاء الكلمة حملا على المضارع وحذفت همزة الوصل استغناء عنها لزوال الساكن جىء به لأجله واستثقات الضمة على الياء حذفت فالتقى ساكنان حذفت الياء وضمّ ما قبل الواو لتصح (قوله وأهليكم) هوهم بالخير ، انهوهم عن الشر وعلموهم وأدبوهم ، والمراد بالأهل النساء (٢١١) والأولاد وما ألحق بهما (قوله وقودها) أي ما توقد به (قوله كأصنامهم) مثال للحجارة التي توقد النار بها (قوله منها) حال من الأصنام والضمير للحجارة (قوله عليها ملائكة) أي يتولى أمرها وتعذيب أهلها (قوله من غلظ القلب) أي قسوته فلا يرحمون أحدا لأنهم خلقوا من الغضب وحبب إليهم عذاب الخلق كما حبب لبني آدم الطعام

وقع التبديل لعدم وقوع الشرط (مُسَلِّمَاتٍ) مقرات بالإسلام (وَثِيْبَاتٍ) مخاضات أنثات (ثَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ) صائمات أو مهاجرات (ثِيْبَاتٍ وَأَبْكَارًا . هَآ الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ) بالحمل على طاعة الله (نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ) كفار (وَالْحِجَارَةُ) كأصنامهم منها ، يعني أنها مفرطة الحرارة تنقد بما ذكر لا كفار الدنيا بالخطب ونحوه (عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ) خزنتها عدتهم تسعة عشر كما سيأتى في المدثر (غِلَظُ) غلظ القلب (شِدَادٌ) في البطش (لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ) بدل من لفظ الجلالة : أي معصون أمر الله (وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) تأكيد ، والآية تخويف للمؤمنين عن الارتداد منافقين المؤمنين بألسنتهم دون قلوبهم (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ) يقال ذلك عند دخولهم النار : أي لأنه لا ينفعكم (إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) أي جزاءه أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا) بفتح النون وضمها : صادقة ،

مراب ، وقيل علاظ الأبدان لما روى « ما بين منكبى أحدهم كما بين المشرق والمغرب » (قوله شداد في البطش) أي فقد روى من جملة قوة الواحد منهم أن يصرب بالمقمع فتدفع الضربة سبعين ألف إنسان في قعر جهنم (قوله بدل من لفظ الجلالة) بدل اشتغال كأنه قال لا يعصون أمره وفيه إشارة إلى أن ما مصدرية (قوله ويفعلون ما يؤمرون) أي بد (قوله تأكيد) جواب يقال إن الجملة الأولى هي عين الجملة الثانية فلم كررها ، فأجاب بأنه كررها للتأكيد . وأجيب أيضا بأن مفاد الجملة الأولى لا يقع منهم عصيان لأمر الله ولا مخالفة ومفاد الجملة الثانية أن قضاء الله نافذ على أيديهم لا يعوقهم عنه عائق بخلاف أهل طاعه في الدنيا قد يتخلف ما أمروا به لعجز أو نسيان مثلا فتغايرا بهذا الاعتبار (قوله والآية تخويف للمؤمنين) أي الخالصين جواب عما يقال : إن هذا خطاب للمشركين فلا شيء . خوطب به المؤمنون ؟ فأجاب بأنه على سبيل التخويف للمؤمنين صين وللمنافقين الذين هم مؤمنون ظاهرا (قوله يقال لهم ذلك) أي يا أيها الذين كفروا الخ (قوله أي لأنه لا ينفعكم) أي لأنه الجزاء لا يوم الاعتذار إذ قد فات زمنه (قوله أي جزاءه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف في قوله : ما كنتم تعملون (قوله يا أيها الذين آمنوا) أي اتصفوا بالإيمان (قوله بفتح النون) أي على أنه صيغة مبالغة كالشكور صفة لتوبة أي غاية في الخالص وقوله وضمها : أي فهو مصدر يقال نصح نصحا ونصوحا كشكر شكرا وشكورا وصفت به التوبة لغة على حد زيد عدل والقراءتان سبعيتان وقوله صادقة راجع لكل من القراءتين .

(قوله بأن لا يعاد إلى الذنب إلخ) هذا أحد ثلاثة وعشرين قولاً في تفسير التوبة النصوح كلها ترجع إلى التي استجمعت الشر وطهراً واعلم أن التوبة لا يتعاقب به حق لآدمي لها شروط ثلاثة : أن يقلع عن المعصية في الحال وأن يندم على ما فعله ، وأن يعزم على أنه لا يعود ، وإن كانت متعلقة بحق آدمي فيزاد على هذه الثلاثة رد المظالم إلى أهلها إن أمكن وإلا فيمكن استسماحهم وواجبة من كل ذنب كان كبيرة أو صغيرة بإجماع لما ورد « يا أيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب إليه في اليوم مائة مرة » وفي رواية « إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة » وورد « أن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها » إلى غير ذلك من الأحاديث الواردة في التوبة (قوله ترجية تقع) أشار بذلك إلى أن هذا الترجي واجب الوقوع على القاعدة المتقدمة أن كل ترج من الله في القرآن كواقعه السكون بمنزلة التحقيق وترجية كتركية (قوله يوم لا يخزي الله النبي) إمام منصوب بيد خلكم أو باذ كر مقتدرا (قوله والذين آمنوا إمام معطوف على النبي فالوقف على قوله معه و يكون قوله نورهم يسمى مستأنفاً أو حالاً أو مبتدأ خبره جملة نورهم يسمى (قوله) بآيمانهم قدره دفعا لما يتوهم من تسليط يسمى على الأيمان أنه وإن كان في جهتها إلا أنه بعيد عنها فأفاد أنه كما يكون في ج الأيمان يكون قريبا منها وتقدم ذلك في سورة الحديد (قوله والنافقون يطفأ نورهم) عطف سبب : أي أن سبب قول المؤمنين ما ذكر أنهم يرون المنافقين (٢١٢) يتقد لهم نور في نظير إقرارهم بكلمة التوحيد فإذا مشوا طي فيمشون في ظ

بأن لا يمد إلى الذنب ولا يرد العود إليه (عَمَى رَبُّكُمْ) ترجية تقع (أَنْ يُكْفَرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ) بسايتين (تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ بِادْخَالِ النَّارِ) النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ) أُمَامُهُمْ (وَ) يَكُونُ (بِأَيْمَانِهِمْ يَقْوَأُونَ) مستأنف (رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا) إلى الجنة ، والنافقون يطفأ نورهم (وَأَغْفِرْ لَنَا) ربنا (إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ) بالسيف (وَالْمُنَافِقِينَ) باللسان والحجة (وَأَغَاظْ عَائِيهِمْ) بالانتهاز والمقت (وَمَا أُولَئِهِمْ جَهَنَّمُ وَبَشِّرِ الْمَصِيرُ) هي (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدٍ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا) في الدين إذ كفرتا ، وكانت امرأة نوح - واسمها واهلة - تقوى لقومه إنه مجنون ، وامرأة لوط - واسمها واهلة - تدل قومه على أضيافه إذا نزلوا به ليلاً بإيقاد النار ونهاراً بالقدخين (فَلَمْ يَغْنِيَا) أي نوح ولوط (عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ) من عذابه (شَيْئًا ،

فيقعون في النار فاذا رأى المؤمنون هذه الحال سألو الله دوامها حتى يوصلهم إلى الجنة والجنة لا ظلام فيها. إن قلت كيف يخافون من طغى نورهم مع أنهم آمنون لا يخزئهم الفرع الأكبر أجيب بأن دعاءهم ليس من خوف ذلك بل للثدا وطلبها لما هو حاصل لهم من الرحمة (قوله والمنافقين باللسان والحجة) إنما خصهم بذلك لأنه صلى

الله عليه وسلم لم يؤمر بقتالهم بالسيف لأنهم مسلمون ظاهراً والإسلام يبقى من قتال السيف وإنما أمر بفضيحتهم وإخراجهم من مجلسه كما تقدم ذلك (قوله واغاظ عليهم) أي شدد عليهم في الخطاب ولانعام بالدين (قوله بالانتهاز) أي الزجر ، وقوله والمقت : أي البغض والطرده (قوله ضرب الله مثلاً) لما كان لبعض الكفار ق بالملحين وربما توهموا أنها تنفعهم وكان لبعض المسلمين قرابة بالكفار وربما توهموا أنها تضرهم ضرب الله لكل مناه وضرب بمعنى جعل مثلاً مفعول ثان مقدم ، وقوله امرأة نوح إلخ : أي حالهما مفعول أول أخر عنه ليتصل به ما هو تفسير وشام لهما ، والمعنى جعل الله حال هاتين المرأتين مشابهاً لحال هؤلاء الكفرة فالكفار اتصلوا بالنبي والمؤمنين ولم ينفعهم الاتصال بل الإيمان والمرأتان كذلك (قوله امرأت نوح) ترسم امرأة في هذه المواضع الثلاثة وابنت بالناء المجرورة وفي الوقف عليها خال بين اقراء فبعضهم يقف بالناء وبعضهم بالهاء (قوله كاتتا تحت عبدين) أظهر في مقام الإضمار لتشريفهما بهذه النسبة والوقوف بالصلاح (قوله غاقتاهما في الدين) أي لافي الزنا لما ورد عن ابن عباس أنه ما زنت امرأة نبي قط (قوله إذ كفرتا) تعليل لق غاقتاهما (قوله واسمها واهلة) بتقديم الهاء على اللام وقيل بالعكس ، وقوله واهلة بتقديم العين على اللام وقيل بالعكس (قوله فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً) أي لم يدفع نوح ولوط مع كرامتهما عند الله عن زوجتهما لما كفرتا من عذاب الله تنبيهاً بذلك على أن العذاب يدفع بالطاعة والامتنال لا بمجرد الصعبة (قوله شيئاً) أي من الاغناء فهو مفعول مطلق أو مفعول

قوله (وليل لهما) التعبير بالماضي لتحقق الوقوع والقائل خزنة النار (قوله امرأت فرعون) أى جعل حالها مثلاً بحال المؤمنين
 أن وصلة الكفرة لانصر مع الإيمان (قوله آمنت بموسى) أى لما غلب السحرة وتبين لها أنه على الحق فأبدلها الله بسبب
 لك لإيمان أن جمعها في الآخرة زوجة خير خلقه محمد صلى الله عليه وسلم وكذلك زوجة الله في الجنة مريم بنت عمران لما ورد
 أنه صلى الله عليه وسلم دخل على خديجة وهى فى الموت فقال لها : يا خديجة إذا لقيت ضراتك فأقرين منى السلام، فقالت يا رسول
 الله وهل تزوجت قبلى ؟ قال لا ولكن الله زوجنى مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون وكاثوم أخت موسى ،
 قالت يا رسول الله بالرفاء والبنين ، وفى الحديث « كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا أربع مريم بنت عمران وخديجة
 بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون » (قوله واسمها آسية) بالمد وكسر السين ، قيس إنها عمه موسى
 تكون إسرائيلية ، وقيل ابنت عم فرعون فتكون من العمالة (قوله بأن أوتد يديها الخ) أى دق لها أربعة أوتاد فى الأرض
 شبحها فيها كل عضو بحبل (قوله وألقى على صدرها رحي الخ) فى القصة أن فرعون أمر بصخرة عظيمة لتلقى عليها فلما أتوها
 لصخرة قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة فأبصرت البيت من مرمرة بيضاء (٢١٣) وانزعت روحها فأقيت

الصخرة على جسد لاروح
 فيه ولم نجد ألما (قوله
 واستقبل بها الشمس)
 أى جعلها مواجهة للشمس
 وهو معطوف على قوله
 أوتد يديها وليس متأخرا
 عن إلقاء الرحي لأن إلقاء
 الرحي كان فى آخر الأمر
 لما أيس من رجوعها عن
 الإيمان فلما لا تقتضى
 ترتيبا (قوله ابن لى عندك)
 أى قريبا من رحمتك
 فالعندية عندية مكانة
 لا مكان (قوله ونعذبه)
 عطف تفسير لعمله (قوله
 عطف على امرأت فرعون)
 أى فهى من جملة المثل

وَقِيلَ لَهَا (أَدْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاهِلِينَ) مِنْ كُفَّارِ قَوْمِ نُوحٍ وَقَوْمِ لُوطٍ (وَضَرَبَ اللَّهُ
 مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ) آمَنَتْ بِمُوسَى ، واسمها آسية ، فعذبها فرعون بأن أوتد
 يديها ورجليها وألقى على صدرها رحي عظيمة واستقبل بها الشمس فكانت إذا تفرق عنها
 من وكل بها ظللتها ثلاثكة (إِذْ قَالَتْ) فى حال التعذيب (رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي
 الْجَنَّةِ) فكشف لها فرأته فسهل عليها التعذيب (وَنَجَّيْنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ) وتعذبه
 (وَنَجَّيْنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) أهل دينه فقبض الله روحها. وقال ابن كيسان: رفعت إلى الجنة
 حية فهى تأكل وتشرب (وَمَرِيَمَ) عطف على امرأت فرعون (أُبَيَّنْتُ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ
 فَرْجَهَا) حفظته (فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا) أى جبريل حيث نفخ فى جيب درعها بخلق الله
 تعالى فعله الواصل إلى فرجها فحملت بعبسى (وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا) شرائعه (وَكُتِبَ لَهَا
 الْمِزْنُ) وكانت من القانتين (أى من القوم المطيعين .

(سورة الملك)

مكية ، ثلاثون آية

الثانى ، فمثل حال المؤمنين بامرأتين كمثل حال الكفار بامرأتين (قوله حفظته) أى عن الرجال فلم يصل اليها أحد بنكاح ولا بزنا
 (قوله أى جبريل) تفسير لروحنا (قوله حيث نفخ الخ) بين به أن الاسناد فى نفخنا من حيث إنه الخالق والموجد والاسناد
 لجبريل من حيث المباشرة (قوله بخلق الله) بيان لحقيقة الإسناد (قوله فعله) أى فعل جبريل وهو النفخ ، وقوله الواصل إلى
 فرجها : أى بواسطة كونه فى جيب القميص (قوله فحملت بعبسى) أى عقب النفخ فالنفخ والحمل والوضع فى ساعة واحدة كما
 تقدم فى سورة مريم (قوله وكتبه المنزلة) أى فى زمانها كالتوراة والانجيل وصحف إبراهيم (قوله وكانت من القانتين) أى
 معدودة منهم وفيه إشعار بأن طاعتها لم تقصر عن طاعة الرجال الكاملين (قوله أى من القوم المطيعين) أى وهم رهطها وعشيرتها
 لأنها من أهل بيت صالحين من أعقاب هارون أخى موسى عليهما السلام .

[سورة الملك] وتسمى أيضا الواقية والمنجية والمانعة لأنها تقي صاحبها وتنجيه من عذاب القبر والقيامة ، وتسمى أيضا المجادلة
 لأنها تجادل عن صاحبها فى القبر ، وورد فى فضلها أحاديث كثيرة : منها قوله صلى الله عليه وسلم « إن سورة من كتاب الله ما هى
 إلا ثلاثون آية شفعت لرجل يوم القيامة فأخرجته من النار وأدخلته الجنة وهى سورة تبارك » ومنها « إذا وضع الميت فى قبره
 يؤتى من قبل رجله فتقول رجلاه ليس لكم عليه سبيل لأنه كان يقوم بسورة الملك ثم يؤتى من قبل رأسه فيقول لسانه ليس

لكم عليه سبيل لأنه كان يقرأ في سورة الملك ، ثم قال هي السابعة من عذاب الله وهي في التوراة سورة الملك من قرأ بها في ليلة فقد أكثر وأطنّب « أي من الخير ، ومنها « وددت أن تبارك الملك في قلب كل مؤمن » (قوله تنزه عن صفات المحدثين) أي تعظم بجلاله وجماله عن أوصاف المخلوقات أزلاً وأبداً (قوله السلطان) أي الاستيلاء والتمسك التام من سائر الموجودات فيتصرف فيها كيف شاء ، والأوضح للفسر أن يفسر اليد بالقدرة والملك بالملوكات والإفقاء كلامه على ظاهره فيه ركة لا تخفى إذ يصير المعنى ببارك الذي يتصرفه التصرف ولا معنى له (قوله وهو على كل شيء قدير) تذييل لما قبله قصد به إفادة أن قدرته تعالى ليست قاصرة على تغيير الأحوال بل عامة تتعلق بها إيجاد الأعيان المتصرف فيها وتغييرها من حال إلى حال (قوله الذي خلق الموت والحياة) شروع في تفاصيل بعض آثار القدرة . واعلم أنه اختلف في الموت والحياة ، فحكى عن ابن عباس والسكبي ومقاتل أن الموت والحياة جسمان ، فالموت في هيئة كبش أملح لا يمر بشيء ولا يجد ريحه إلامات ، وخلق الحياة على صورة فرس أنقى بقاء وهي التي كان جبريل عليه السلام والأنبياء عليهم السلام يركبونها خطوتها مد البصر فوق الحمار ودون البغل لا تمر بشيء ولا يجد ريحها إلا حي ولا تظأ على شيء إلا حي وهي التي أخذ السامري من أثرها تراباً فألقاه على العجل فحي ، فعلى هذا الحياة والموت أمران وجوديان وتقابلهما من تقابل الضدين ، وقيل الموت عدم الحياة فتقابلهما من تقابل العدم والمالكة (قوله في الدنيا) أي وهو القاطع للحياة الدنيوية ، وقوله والحياة في الآخرة : أي وهي حياة البعث ، ولكن هذا القول لا يناسب ترتب الابتلاء عليه في قوله ليبلوكم لأن الابتلاء إنما يترتب على حياة الدنيا (قوله أوها في الدنيا) أي فالمراد بالموت عدم الحياة السابق على الوجود ، والمراد بالحياة الحياة (٢١٤) الدنيوية (قوله وهي مابه الإحساس) تفسير للحياة على كل من القولين ،

وقوله مابه الإحساس : أي فتكون صفة وجودية يلزمها الحس والحركة (قوله أوعدمها) أي عدم الحياة أعم من أن يكون سابقاً عليها أو متأخراً عنها (قوله قولان) أي في تعريف الموت (قوله

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . تَبَارَكَ) تنزه عن صفات المحدثين (الَّذِي بِيَدِهِ) في تصرفه (الْمَلِكُ) السلطان والقدرة (وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ) في الدنيا (وَالْحَيَاةَ) في الآخرة ، أوها في الدنيا . فالنطفة تعرض لها الحياة ، وهي مابه الإحساس والموت ضدها أو عدمها قولان والخلق على الثاني بمعنى التقدير (لِيَبْلُوَكُمْ) ليختبركم في الحياة (أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) أطوع لله (وَهُوَ الْعَزِيزُ) في انتقامه ممن عصاه (الْفَقْرُ) لمن تاب إليه (الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا) بعضها فوق بعض من غير مماسة (مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ) لهن أو لغيرهن

والخلق على الثاني) أي على القول الثاني في تعريف الموت وهو أنه عدم الحياة (قوله بمعنى التقدير) أي وهو يتعلق بالموجودات والمعدومات لأنه يتعلق بالإرادة والعلم الأزليان ، وأما على الأول فيتعلق به الخلق حقيقة لأنه أمر وجودي (قوله ليبلوكم) أي يعاملكم معاملة المبتلى والمختبر فاندفع ما قد يتوهم من ظاهر الآية أن علمه تعالى يتجدد بتجدد المعومات (قوله أيكم أحسن عملاً) أيكم مبتدأ وأحسن خبره وعملاً تمييز والجملة في محل نصب مفعول ثان ليبلوكم وإنما علق ببلو عن المفعول الثاني لما فيه من معنى العلم فأجرى مجراه (قوله أطوع لله) هذا أحد تفاسير في قوله أحسن عملاً ، وقيل أحسن عقلاً وأورع عن محارم الله وأصرع في طاعة الله ، وقيل أحسن عملاً أخلاه وأصوبه فالخالص إذا كان لله والصواب إذا كان على السنة ، وقيل غير ذلك (قوله الذي خلق سبع سموات) أي فالأولى من موج مكفوف ، والثانية من مرمره بيضاء ، والثالثة من حديد ، والرابعة من نحاس أصفر ، والخامسة من فضة ، والسادسة من ذهب ، والسابعة من ياقوتة حمراء ، وبين السابعة والحجب محاري من نور وهذا على بعض الروايات (قوله طباقاً) إما جمع طبقة أو طبق أو مصدر طابق ، فالوصف به على الأول ظاهر وعلى الثاني مبالغة (قوله بعضها فوق بعض من غير مماسة) وكلها علوية لا غير وهذا مذهب أهل السنة ، وقال أهل الهيئة : إن الأرض كروية والسماء الدنيا محيطة بها إحاطة قشر البيضة من جميع الجوانب والثانية محيطة بالجميع وهكذا فالعرش محيط بالكل والأرض بالنسبة لسماء الدنيا كحكمة ملقاة في فلاة ، وسماء الدنيا بالنسبة للثانية كحكمة ملقاة في فلاة وهكذا . واعتقاد مافاله أهل الهيئة لا يضر وليس في الشرع ما يخالفه (قوله ما ترى في خلق الرحمن) خطاب للنبي عليه السلام أو لسلك من يصلح للخطاب وإضافة خالق للرحمن من إضافة المصدر إلى فاعله والمفعول محذوف قدره المفسر بقوله لهن أو لغيرهن .

(قوله من تفاوت) بألف بين الفاء والواو وبدونها مع تشديد الواو قرأه نافع سبعيتان ولفغان بمعنى واحد (قوله وعدم تناسب) أى اختلاف يخالف ما علمت به القدرة والارادة بل خلقه تعالى مستقيم متناسب على حسب تهاق قدرته وإرادته بخلاف صنع العبد فقد يأتي على خلاف ما يريد (قوله فارجع البصر) أى إن أردت العيان بعد الاخبار فارجع مهر مرتب على قوله ما ترى (قوله هل ترى من فطور) بادغام لام هل فى التاء وإظهارها قرأه نافع سبعيتان هنا وفى الحاققة (قوله صدوع وشقوق) أى فلا يطرأ على السماء مادامت الدنيا صدوع ولا شقوق لعدم تعاق إرادته بذلك فليست كبيان الخلائق يتصدع ويتشقق بطول الزمان مع كون صانعه لا يريد ذلك (قوله كرة بعد كرة) أشار بذلك إلى أنه ليس المراد من قوله كرتين حقيقة التثنية بل التكثير بدليل قوله ينقلب إليك البصر الخ وانقلاب البصر خاسئاً حسيراً لا يتأتى بنظرين ولا ثلاث فهو كقولهم أليك وسعديك (قوله ينقلب) العامة على جزمه فى جواب الأمر وقرئ برفعه إما على أنه حال مقدرة أو مستأنف حذفت منه الفاء والأصل فينقلب (قوله ذليلاً) أى خاضعاً صاغراً متباعداً (قوله منقطع) أى باغ الغاية فى الاعياء والنصب (قوله ولقد زينا السماء الدنيا الخ) شروع فى ذكر أدلة أخرى على توحيد سبجانه وتعالى وتعالى قدرته وإرادته (قوله القربى إلى الأرض) أى التى هى أقرب إلى الأرض من باقى السموات فقربى صيغة تفضيل كما تقول هند فضلى النساء ولا يخاف ما تقدم من أن السكواكب ثابتة فى العرش (٢١٥) أو السكروى لأن السماء شفافة

لا تحجب ما وراءها فزرين السماء الدنيا بالسكواكب لا يقتضى أنها ثابتة فيها وهذا فى غير السكواكب السبعة التى أشار لها بعضهم بقوله :

زحل شرى مريخه من شمس

فتزاهرت لعطارد الأقار فانها مفرقة على السموات السبع فى كل مائة كوكب منها فزحل فى السابعة

(مِنْ تَفَاوُتٍ) تبين وعدم تناسب (فَارْجِعِ الْبَصَرَ) أعده إلى السماء (هَلْ تَرَى) فيها (مِنْ فُطُورٍ) صدوع وشقوق (نُفٍّ أَوْ جِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ) كرة بعد كرة (يَنْقَلِبُ) يرجع (إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا) دليلاً لعدم إدراك خلل (وَهُوَ خَيْرٌ) منقطع عن رؤية خلل (وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا) القربى إلى الأرض (بِمَصَابِيحٍ) بنجوم (وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا) مراجع (لِلشَّيَاطِينِ) إذا استرقوا السمع بأن ينفصل شهاب عن السكواكب كالقبس يؤخذ من النار فيقتل الجنى أو يخبله لأن السكواكب يزول عن مكانه (وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ) النار الموقدة (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) هى (إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا) صوتاً منكراً كصوت الحمار (وَهِيَ تَفُورُ) تغلى (تَكَادُ تَمَيَّزُ) وقرئ تميز على الأصل: تنقطع (مِنْ التَّمْيِظِ) غضباً على الكفار (كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ) جماعة منهم

والشترى فى السادسة والمريخ فى الخامسة والشمس فى الرابعة والزهرة فى الثالثة وعطارد فى الثانية والقمر فى مائة الدنيا (قوله بنجوم) أشار بذلك إلى أنه أطلق المصابيح وأراد النجوم فهو مجاز وإلا حقيقة المصباح السراج (قوله رجوماً) جمع رجم مصدر أطلق على المرجوم به ولذا قال المفسر مراجع أى أموراً يرجم بها (قوله إذا استرقوا السمع) أى أرادوا استراقه (قوله بأن ينفصل شهاب الخ) جواب عما يقال إن الله تعالى جعل السكواكب زينة للسماء وذلك يقتضى ثبوتها وبقائها فيها وجعلها رجوماً يقتضى زوالها وانفصالها عنها فكيف الجمع بين الحالتين فأجاب بأنه ليس المراد أنهم يرمون بأجرام السكواكب بل بما ينفصل منها من الشهب وذلك كمثل القبس الذى يؤخذ من النار وهى على حالها (قوله أو يخبله) من الخبل بسكون الباء وهو الفساد فى العقل أو فى البدن (قوله لأن السكواكب يزول عن مكانه) أى فى الكلام حذف مضاف والتقدير وجعلنا شهباً رجوماً الخ (قوله وأعتدنا) أى هيأنا وأحضرنا (قوله لهم) أى للشياطين (قوله عذاب السعير) أى فى الآخرة بعد الاحراق بالشهب فى الدنيا (قوله والذين كفروا) خبر مقدم وعذاب جهنم مبتدأ مؤخر . والمعنى لمن كفر من الانس والجن عذاب جهنم الخ (قوله إذا ألقوا فيها) معمول اسمعوا والجملة مستأنفة وقوله لها متعلق بمحذوف حال من شهباً لأنه أنت نكرة قدم عليها (قوله صوتاً منكراً) أى فتشقق جهنم عند إلقاء الكفار فيها كشبهة البغل للشعير وهذا ما عليه ابن عباس وقيل الشهباق من الكفار عند إلقاءهم فيها وعليه فالكلام على حذف مضاف أى سمعوا لأهلها (قوله وقرئ تميز) أى شذوذاً (قوله غضباً على الكفار) أى من أجل غضب سيدها وخالقها فتأتى يوم القيامة نقاد

إلى الحشر بألف زمام لكل زمام سبعون ألف ملك يتقودونها به وهي من شدة الفيض تقوى على الملائكة وتحمل على الناس فتقطع الأزيمة جميعها وتحطم على أهل الحشر فلا يردّها عنهم إلا النبي صلى الله عليه وسلم يقابلها بنوره فتراجع مع أن لكل ملك من القوة ما لو أمر أن يقاتل الأرض وما عليها من الجبال ويصعد بها في الجوف لفعل من غير كلفة (قوله سألهم) أي سأل الفوج والجمع باعتبار معناه (قوله ألم يأتكم نذير) مفعول ثان لسأل . والمعنى سألهم عن جواب هذا الاستفهام (قوله قالوا بل الخ) إنا جمعوا بين حرف الجواب والجملة المستفادة منه تأكيداً ونحسراً وندماً على تفریطهم (قوله قد جاءنا نذير) هذا من كلام الفوج ، ومن المعلوم أن كل فوج له نذير يخصه (قوله فكذبنا) أي فقتلنا عن مجيئه أننا كذبناه فيما جاء به من عند الله تعالى (قوله إلا في ضلال كبير) أي بعيد عن الحق (قوله يحتمل أن يكون) أي قوله إن أتم الخ (قوله من كلام الملائكة) أي وعليه فقوله: إن أتم إلا في ضلال كبير أي في الدنيا (قوله وأن يكون من كلام الكفار) أي من كلام الكفار للكفار للنذر وهذا الاحتمال استظهره جمهور المفسرين (قوله وقالوا لو كننا نسمع الخ) أي زيادة في توبيخ أنفسهم (قوله ما كننا في أصحاب السعير) أي في عدادهم وهم الشياطين (قوله فسحقاً) إمام مفعول به أي

(سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا) سؤال توبيخ (أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ) رسول ينذركم عذاب الله تعالى (قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ) ما (أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ) يحتمل أن يكون من كلام الملائكة للكفار حين أخبروا بالكذب وأن يكون من كلام الكفار للنذر (وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ) أي سماع تفهم (أَوْ نَعْقِلُ) أي عقل تفكر (مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ) فاعترفوا حيث لا ينفع الاعتراف (بِذُنُوبِهِمْ) وهو تكذيب النذر (فَسُحْقًا) بسكون الحاء وضمها (لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ) فبعداً لهم عن رحمة الله (إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ) يخافونه (بِالْغَيْبِ) في غيبهم عن أعين الناس فيطيعونه سرّاً فيكون علانية أولى (لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ) أي الجنة (وَأْمُرُوا) أيها الناس (قَوْلَكُمْ أَوْ أَجْمَرُوا بِهِ) إنه تعالى (عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) بما فيها فكيف بما نطقتم به ، وسبب نزول ذلك أن المشركين قال بعضهم لبعض أسروا قولكم لا يسمعون إليه محمد (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ) ما تسرون أي أينتنى علمه بذلك (وَهُوَ اللَّطِيفُ) في علمه (الْخَبِيرُ) فيه (أَلَا هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَٰلُولًا) سهلة للمشى فيها ،

أزهمهم الله سحقاً أو صدر عامله محذوف تقديره سحقهم الله سحقاً فتاب المصدر عن عامله والسحق البعد يقال سحق الشيء بالضم بوزن بعد فهو سحق أي بعيد وأسحته الله أبعد (قوله بسكون الحاء وضمها) أي فهم سبعين (قوله في غيبهم عن أعين الناس) أشار بذلك إلى أن قوله بالغيب حال من الواو في يخشون والباء بمعنى في والمعنى يخشى الله في حال غيبته عن الناس بحيث يطيع

ربه ولم يطلع عليه أحد وإذا كان ذلك في حال سره واختفائه عن الناس فعلايته أولى لأن العادة أن الإنسان يستتر في العصية عن أعين الناس وإن لم يخف الله (قوله لهم مغفرة) أي لذنوبهم (قوله وأجر كبير) أي لا يعلم قدره غير الله تعالى (قوله بما فيها) أي من الخواطر التي لا يتكلم بها (قوله فكيف بما نطقتم به) هذا من تمام الاستدلال على تساوي السر والجهل بالنسبة إلى علمه تعالى (قوله قال بعضهم لبعض) أي وذلك أنهم كانوا يتكلمون في شأن النبي بما لا يليق فأخبره جبريل بذلك فأخبرهم النبي به فقال بعضهم لبعض أسروا قولكم الخ (قوله لا يسمعونكم) مجزوم في جواب الأمر (قوله من خلق) من فاعل به وقوله ما تسرون تنازعه كل من يعلم وخلق والمعنى إذا كان خالفاً للسر الذي هو من جملة مخلوقاته لزم أن يكون عالماً به فكيف يدعون أنه لا علم له به (قوله أي أينتنى علمه الخ) أشار به إلى أن همزة الاستفهام داخلية على لا النافية (قوله وهو اللطيف الخبير) الجملة الحالية وقوله لا أشار به إلى أن الاستفهام إنكاري فهو نفي لاثني ، فالمراد إثبات إحاطة علمه بجميع الأشياء ظاهرها وخافيتها (قوله هو الذي جعل لكم الأرض الخ) هذا من جملة أدلة توحيده و باهر قدرته وامتنانه على عباده (قوله ذلولاً) أي مذلة منقاد لما تريدون منها من مشى عليها وزرع حبوب وغرس أشجار وغير ذلك (قوله سهلة للمشى فيها) أي بأن تذهب بها بالجبال وجعلها من طين إذ لو جعلها من حديد أو ذهب أو رصاص لكانت تسخن جداً في الصيف وتبرد جداً في الشتاء فلا يستطيع المشى عليها

(قوله فامشوا) أمر لإباحة (قوله جوا بها) هذا أحد تفاسير للتأكيب ، وقيل التأكيب الجبال ، وقيل الأطراف ، وقيل الفجاج ،
قاعدة : حكى قتادة عن أبي الجلود أن الأرض أربعة وعشرون ألف فرسخ للسويان اثنا عشر ألفا وللروم ثمانية آلاف
والأندلس ثلاثة آلاف والعرب ألف اه والظاهر أن المراد بها الأرض المعمورة بنى آدم غير يأجوج ومأجوج لما تقدم لنا أن
كورة الأرض خمسمائة عام (قوله المخلوق لأجلكم) أى لاتفأعكم به ، فحكمة خالق الأرزاق انتفاعهم بها (قوله وإليه
المنور) أى الإخراج من القبور (وله لأجزاء) أى على أعمالكم (قوله ودخل ألف بينها) أى بين الهمزة الثانية بقسميها
وهما تحت في والتسهيل في كلاً من التنبيه على خمس قراءات سبعيات اثنتان في التحقيق ومثاتها في التسهيل والخامسة الإبدال
(قوله من في السماء سلطانه) أشار بذلك لجواب ورد على ظاهر الآية وحاصله أن لآية توهم أن الله تعالى في مكان وهو السماء .
فأجاب رضى الله عنه بأن الكلام على حذف مضاف للضمير المستكن في الظرف ، والأصل من ثبت واستقر في السماء هو
أى ساطانه وقدرته أى محل سلطانه وهو العالم العلوى وخصه بالذكر وإن كان ساطانه في العالم السفلى أيضاً لأنه أعجب وأعجب
فالتعريف به أشد (قوله أن يخفف الخ) أى أسد أن جعلها ذلولاً (٢١٧) تمشون فيها وتأكولون من رزقه

(قوله بدل من من) أى
بدل اشتمال (قوله تحرك
بكم) أى فيقال مار
تحرك وجاء وذهب (قوله
أم أمنستم) إضراب
واقتال من تهديد إلى
آخر (قوله من في السماء)
أى ساطانه وقدرته (قوله
بدل من من) أى بدل
اشتمال أيضاً (قوله ربحاً
ترميكم الخ) هذا أحد
تفاسير للحاصب ، وقيل
هو الحجارة من السماء ،
وقيل سحاب فيها حجارة
(قوله عند معاينة
العذاب) أى في الآخرة

(فامشوا في مناكبها) جوائها (واكلوا من رزقه) المخلوق لأجلكم (وإليه المنور)
من القبور للجزاء (أممنتم) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينها وبين
الأخرى وتركه وإبدالها ألفاً (من في السماء) ساطانه وقدرته (أن يخفف) بدل من من
(بكم الأرض فإذا هي تمور) تحرك بكم وترتفع فوقكم (أم أمنتم من في السماء
أن يرسل) بدل من من (علميكم حصيباً) ربحاً ترميكم بالحصباء (فستعلمون) عند
معاينة العذاب (كيف نذير) إنذارى بالعذاب : أى أنه حق (ولقد كذب الذين من
قبلهم) من الأمم (فكيف كان تكبير) إنكارى عليهم بالكذب عند إهلاكهم : أى
إنه حق (أولم يروا) ينظروا (إلى الطير فوقهم) في الهواء (صافات) باسطات أجنحتهن
(ويقبضن) أجنحتهن بعد البسط : أى وقابضات (ما يمدكن) عن الوقوع في حال البسط
والقبض (إلا الرحمن) بقدرته (إنه بكل شئ بصير) المعنى ألم يستدلوا بثبوت الطير
في الهواء على قدرتنا أن نفعل بهم ما تقدم وغيره من العذاب ؟ (أم من) مبتدأ (هذا) خبره
(الذى) بدل من هذا (هو جند) :

أوه وخروج أرواحهم (قوله أى أنه حق) أى الانذار واقع ونافذ مقتضاه (قوله ولقد كذب الذين من قبلهم) هذا
تسوية له صلى الله عليه وسلم أى فلا تحزن على تكذيبهم لك فقد سبقهم غيرهم بالتكذيب لأنبيائهم (قوله عند إهلاكهم)
أى موتهم أو تعذيبهم في الآخرة (قوله أولم يروا) الهمزة داخلية على محذوف والواو عاطفة عليه ، والمعنى أغفلوا ولم يروا
(قوا إلى الطير) يجمع على طيور وطيور ، ومفرد الطير طائر فطيور وطيور جمع الجمع (قوله صافات) حال ومفعوله
محذوف فوه بقوله أجنحتهن وكذا قوله : ويقبضن (قوله أى وقابضات) أشار بذلك إلى أن أهل مؤول باسم الفاعل
مطوف على صافات والحكمة في تعبيره ثانياً بالفعل ولم يقل وقابضات أن الأصل في الطيران صف الأجنحة والقبض طوى
عليه فبعد عن الأصل اسم الفاعل وعن الطارىء بالفعل الذى شأنه الحدوث (قوله ما يسكنن إلا الرحمن) عبر الرحمن
إشارة إلى أنه من جلائل النعم وهذه جملة مستأنفة (قوله إنه بكل شئ بصير) أى فيعلم الأشياء الدقيقة القريبة فيدبرها
على مقتضى ما يريد (قوله أم من هذا الذى الخ) سبب نزول هذه الآية وما بعدها أن الكفار كانوا يمتنعون من الإيمان
وبعدون رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمدين على شيئين : قوتهم بالأموال والعدد ، واعتقادهم أن أصنامهم توصل لهم
[٢٨ - صاوى - رابع] الخبرات وتدفع عنهم المضرات فأبطل الله الأول بقوله : أم من هذا الذى هو

جند لكم الخ وأبطل الثاني بقوله : أمن هذا الذي يرزقكم الخ وأم هذا منقطعة فسر بيل وحدها لدخولها على من الاستفهامية ولا يصح تفسيرها بيل والهمزة لئلا يدخل الاستفهام على مثله (قوله أعوان) أشار بذلك إلى أن جند لفظ مفرد ومعناه جمع (قوله يدفع عنكم عذابه) تفسير لقوله : ينصركم (قوله إن الكافرون إلا في غرور) اعتراض مقرر لما قبله والانتفات عن الخطاب للغيبة إيذان بالاعراض عنهم والاطهار في موضع الاضرار لزمهم بالكفر (قوله أمن هذا الذي يرزقكم) تنكيب أم موصولة بمن فتكون ميا واحدة متصلة بالنون وكذا يقال فيما تقدم (قوله إن أمسك رزقه) أي أسباب رزقه التي ينشأ عنها (قوله نى المطر) أي والنبات وغير ذلك كباقي الأسباب (قوله بل لجوا الخ) إضراب انتقالي مبني على مقدر يستدعيه المقام كأنه قيل إنهم لم يتأثروا بتلك المواعظ ولم يدعوا بل لجوا الخ (قوله فمن يمشي مكبا الخ) هذا مثل ضربه الله للؤمن والكافر توضيحا لحالهما وتحقيقا لشأنهما (قوله مكبا) اسم فاعل من أكب اللزوم الطاوع لكسب فكسب من غير همز متعد يقال كبه الله ، وأما أكب فهو لازم يقال أكب أي سئط وهذا على خلاف القاعدة المشهورة من أن الهمزة إذا دخلت على اللزوم (٢١٨) نصيره متعديا وهذا دخل على التعدى فصيرته لازما (قوله واما على وجهه

أى لكونه أعمى ماشيا على غير طريق وهو معرض للهلاك (قوله هدى) أى متصف بالهدى فافعل التفضيل لبس على بابه كما يشبه له المسير بقوله أى أيهما على هدى (قوله وخبر من الثانية الخ) لاجته له بل من الثانية معطوفة على الأولى عطف مفردات والخبر قوله هدى وفرد لأن العطف بأم وهى لأحد الشئين (قوله والمثل في المؤمن والكافر) أى فلا يسوى لأعمى

أعوان (لكم) صلة الذي (ينصركم) صفة جند (من دون الرحمن) أى غيره يدفع عنكم عذابه : أى لناصر لكم (إن) ما (الكافرون إلا في غرور) غرهم الشيطان بأن العذاب لا ينزل بهم (أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك الرحمن رزقه) أى المطر عنكم ، وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله : أى فمن يرزقكم أى لارازق لكم غيره (بل لجوا) تمادوا (في عقر) تكبر (وتفور) تباعد عن الحق (أفمن يمشي مكبا) واقفا (على وجهه أهدى أمن يمشي سويا) معتدلا (على صراط) طريق (مستقيما) وخبر من الثانية محذوف دل عليه خبر الأولى أى أهدى والمثل في المؤمن والكافر : أى أيهما على هدى (قل هو الذي أنشأكم) خلقكم (وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة) القلوب (قليلًا ما تشكرون) مازيدة والجملة مستأنفة مخبرة بقلة شكرهم جدا على هذه النعم (قل هو الذي ذرأكم) خلقكم (في الأرض وإليه تحشرون) للحساب (ويقولون) للمؤمنين (مآ هذا الوعد) وعد الحشر (إن كنتم صادقين) فيه (قل إنما أعلم) بمجيئه (عند الله وإنا أنذير مبين) بين الإنذار ،

الماضى على غير طريق والبصير الماشي في الطريق المعتدلة (ولما لأن الأول معرض للهلاك والتاف بخلاف الثاني فتسوية الكفار لهما بخافة عقل وعدم تدبر وانذ كور في الآية هو المشبه والمثبه محذوف لدلالة السياق عليه (قوله قل هو الذي أنشأكم) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم بأن يذكرهم بنعم الله تعالى عليهم ليرجعوا إليه في أمورهم ولا يقولوا على غيره (قوله وجعل لكم السمع) أى لتسمعوا آيات الله وتمتعوا بها (قوله والأبصار) أى لتنظروا بها إلى مصنوعاته الدالة على انفراده بالخلق والتدبير (قوله والأفئدة) لتذكروا بها فيما تسامعون وتبصرونه من الآيات العظيمة (قوله قليلًا ما تشكرون) صفة صدر محذوف أى شكرا قليلا ، والشكر صرف العبادة جميع ما أنعم الله به عليه إلى ما خلق لأجله ، فصرف النعم في غير مصارفها كفر لها (قوله مازيدة) أى لتأكيد القول وهي على بابها بالنسبة للمؤمن ، أو بمعنى العدم بالنسبة للكافر (قوله قل هو الذي ذرأكم) أى أنشأكم وبشكم ونشركم (قوله وإليه تحشرون) أى تجمعون وتضمون للحساب (قوله ويقولون) أى استهزاء وتكديبا (قوله إن كنتم صادقين) صدقوا بهذا الخطاب النبي والمؤمنين لأنهم مشاركون له في الوعد واللاوة الآيات وجواب الشرط محذوف أى فبينوا وقتئذ (قوله بمجيئه) أى بوقت إتيانه (قوله بين الإنذار) أى بسبب إقامة الأدلة الواضحة والبراهين الفاطحة .

(قوله فلما رأوه زلفة) مراد على محذوف تقديره وقد أنام الموعود به فلما رأوه الخ (قوله أى العذاب بعد الحشر) أى وهو العذاب فى الآخرة وهذا قول جمهور المفسرين فى مرجع الضمير فى رأوه وقيل هو عذاب بدر وقيل هو عملهم السيئ (قوله زلفة) اسم مصدر لأزلاف ومصدره الازلاف (قوله قريبا) حال من مفعول رأوه (قوله سبئت) مبنى للمفعول والأصل ساء العذاب وجوههم، وأظهر فى مقام الاضمار تقييحا وتسجيلا بوصف الكفر (قوله أى قال الحزنة لهم) أى توبيخا وتقريرا (قوله تدعون) من الدعوى ومفعوله محذوف قدره المفسر بقوله أنكم لاتبعون والباء فى به سببية والمعنى فلما رأوا عذاب الآخرة قريبا منهم اسودت وجوههم وقال لهم الحزنة هذا العذاب الذى كنتم بسبب إنذاركم وتخويفكم به ادعيتم عدم البعث وأنكرتم البعث (قوله وهذه حكاية حال الخ) اسم لاشارة عائد على قوله : فلما رأوه (قوله قل أرأيتم إن أهلكنى الله الخ) أرأيتم بمعنى أخبرونى تنصب مفعولين سدت الجملة الشرطية مسددا والمعنى قل لهم يا محمد وكأنا يمتنون موته صلى الله عليه وسلم إن أماتنى الله ومن مئ من المؤمنين بعذابه أو رحمتنا إلا فائدة لكم فى ذلك ولا نفع يعود عليكم لأنه لا يجبر لكم من عذاب الله تعالى (قوله كما تقصدون) حذف منه إحدى التامين أى تنقصون (٢١٩) ومنتظرون قال تعالى حكاية عنهم

أم يقولون شاعر نثر بص
به ريب المنون (قوله
أى لا يجبر لهم منه)
أشار بذلك إلى أن
الاستفهام إنكارى بمعنى
الافى ووضع الظاهر
موضع الضمر تسجيلا
عليهم بالكفر (قوله قل
هو الرحمن) أى الذى
أدعواكم إلى عبادته
وطاعته (قوله آمنا به
وعليه توكلنا) الحكمة
فى تأخير مفعول آمنا
وتقديم مفعول توكلنا
أن الأول وقع فى معرض
الرد على الكافرين
فكانه قال آمنا ولم

(قوله فلما رأوه) أى العذاب بعد الحشر (زلفة) قريبا (سبئت) اسودت (وَجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا، وَقِيلَ) أى قال الحزنة لهم (هَذَا) أى العذاب (الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ) بإنذاره (تَدْعُونَ) أنكم لاتبعون، وهذه حكاية حال تاتى عبر عنها بطريق المضى لتحقيق وقوعها (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ) من المؤمنين ببقائه كما تقصدون (أَوْ رَحِمْنَا) فلم يعذبنا (فَنُجَبِّرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ) أى لا يجبر لهم منه (قُلْ هُوَ فِي الرَّحْمَنِ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ) بالتاء والياء عند معاينة العذاب (مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) بين أنحن أم أتم أم هم (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا) غاراً فى الأرض (فَنُيَاثِيكُم بِمَاءٍ مَّيِّنٍ) جار تناله الأيدى والدلاء كما أنكم : أى لا يأتىكم به إلا الله تعالى فكيف تنكرون أن يبعثكم ؟ ويستحب أن يقول القارى عقب معين : الله رب العالمين كما ورد فى الحديث، وتليت هذه الآية عند بعض المتجبرين فقال تاتى به الفؤوس والمعاول فذهب ماء عينه وعمى، فعوذ بالله من الجرامة على الله وعلى آياته .

نكفر كما كفرتم والثانى قدم مفعوله لافادة الحصر كأنه قال لا تتوكل على ما توكلتم عليه من أموال ورجال وغير ذلك بل نقصر توكلنا على خالقنا (قوله بالتاء والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله عند معاينة العذاب) أى فى الآخرة (قوله أنحن) أشار به إلى أن من استفهامية مبتدأ وهو ضمير فصل وجملة الظرف خبر المبتدأ والجملة بتمامها سدت مسد المفعولين لعلم العلاقة عن العمل بالاستفهام (قوله أم أتم) راجع لقراءة الخطاب، وقوله أم هم راجع لقراءة الغيبة فالكلام على التوزيع (قوله إن أصبح ماؤكم) أى السكائن فى أيديكم، وكان ماؤهم من يثر زمزم ويثر ميمون (قوله غاراً) أشار بذلك إلى أن المصدر مؤنول باسم الفاعل (قوله ميين) أصله معيون بوزن مفعول كمبيع نقلت ضمة الياء إلى العين قبلها فالتقى ما كينان الياء والواو وحذفت الواو وكسرت العين لتصح الياء (قوله أى لا يأتىكم به إلا الله) أى فلم تشركون به من لا يقدر على أن يأتىكم به (قوله أن يقول القارى) أى ولو فى الصلاة (قوله وعمى) عطف تفسير (قوله من الجرامة على الله) يقال اجترأ على القول بالهمزة أسرع بالهجوم عليه من غير توقف والاسم الجراءة بوزن غرفة وجراءة بوزن كراهة كما قال المفسر ويؤخذ منه أن الصبد يؤخذ بالكفر ولو على سبيل الزاح .

[سورة ن] وتسمى سورة القلم (قوله مكية) أى فى قول الجمهور والقول الآخر أن بعضها مكى وبعضها مدنى (قوله ن) يقرأ بفك الإدغام من واو القسم وبادغامه وهما قراءتان سبعيتان وهو يسكون النون عند السبعة وقرئ شذوذاً بالفتح والكسر والضم (قوله أحد حروف الهجاء) غرضه بهذه العبارة الرد على المخالف لأن منهم من قال إنه اسم مقتطع من اسمه الرحمن أو النصير أو الناصر أو النور فهو كسائر حروف الهجاء التى افتتح بها كثير من السور فهو من التشابه وقيل إنه الحوت الذى على ظهره الأرض وعنايه خرف القسم مقدر تقديره نون والقلم . قال أصحاب السير والأخبار : لما خلق الله الأرض وفتحها سبع أرضين بعث من تحت العرش ملكاً فهبط إلى الأرض حتى دخل الأرضين السبع حتى ضبطها فلم يكن إقدامه موضع قرار فأهبط الله تعالى من الفردوس نوراً له أربعون ألف قرن وأربعون ألف قائمة وجعل قرار قدم الملك على سنامه فلم تستقر قدمه فأخذ الله ياقوته خضراء من أعلى درجة الفردوس غلظها مسيرة خمسمائة سنة فوضعها بين سنان النور إلى أذنه فاستقرت عليها قدما الملك وقرون ذلك النور خارجة من أقطار الأرض ومنجاراته فى البحر فهو يتنفس كالنور نفساً فإذا تنفس مد البحر وإذا رد نفسه جزر البحر فلم يكن لتوائم النور قرار حتى خلق الله صخرة كغلظ سبع سموات وسبع أرضين فاستقرت قوائم النور عليها وهى الصخرة التى قال لقمان لابنه: فتكن فى صخرة فلم يكن للصخرة مستقر حتى أوحى تعالى نورا وهو الحوت العظيم فوضع الصخرة على ظهره وسائر جسده خال والحوت على البحر والبحر على متن الريح والريح على القدرة فقيل كل الدنيا بما عاينها (٢٢٠) حرفان قال لهما الجبار سبحانه وتعالى وتنزه وتقدس كوني فساكن

(سورة ن)

مكية ، اثنتان وخمسون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . ن) أحد حروف الهجاء ، الله أعلم بمراده به (وَالْقَلَمِ) الذى كتب به الكائنات فى اللوح المحفوظ (وَمَا يَسْطُرُونَ) أى الملائكة من الخير والصلاح (مَا أَنْتَ) يا محمد (بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ) أى انتفى الجنون عنك بسبب إنعام ربك عليك بالنبوة وغيرها ، وهذا رد لقولهم إنه مجنون (وَإِنَّ لَكَ لَأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ) متطوع (وَنَكَ لَعَلَى خُلُقٍ) دين (عَظِيمٍ)

(قوله الذى كتب به الكائنات الخ) هذا أحد قولين والآخر أن المراد به الجنس وهو واقع على كل قلم يكتب به فى السماء والأرض قال تعالى وربك الأكرم الذى علم بالقلم لأن القلم نعمة كاللسان ، عن ابن عباس : أول ما خلق الله القلم ثم قال له اكتب قال

فستبصر

ما أكتب قال اكتب ما كان وما يكون إلى يوم القيامة

من عمل أو أجل أو رزق أو أثر جفى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة قال ثم ختم فم القلم فلم ينطق ولا ينطق إلى يوم القيامة ، وهو من نور طوله كما بين السماء والأرض (قوله أى الملائكة) يصح أن يراد بهم الملائكة الذين ينسخون المقادير من اللوح المحفوظ وأن يراد بهم الحفظة الذين يكتبون عمل الإنسان فأقسم أولاً بالقلم ثم بسطر الملائكة على ثلاثة أشياء : الجنون عنه وثبوت الأجر له وكونه على خلق عظيم ، فالقسم به شيدان أو ثلاثة بزيادة نون على أن المراد به الحوت (قوله ما أنت بنعمة ربك الخ) جواب القسم والباء فى بنعمة ربك سببية وفى مجنون زائدة ومجنون خبر ما (قوله وهذا رد لقولهم مجنون أى كما حكاه الله عنهم فى قوله وقالوا يا أيها الذى نزل عليه الذكر إنك لمجنون) (قوله وإن لك لأجراً غير ممنون) أى بل هو دائم جار مستمر لا ينقطع فهو صلى الله عليه وسلم دائماً يترقى فى السموات فمقامه بعد وفاته أعظم منه فى حال حياته ومقامه فى الآخرة أعلى من مقامه فى الدنيا (قوله وإنك لعلى خلق عظيم) قال ابن عباس معناه على دين عظيم لادين أحب إلى الله وأرضى عنده منه وهو دين الإسلام ، وقال الحسن هو آداب القرآن بدليل أن عائشة لما سألت عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خافه القرآن ولذا قال قتادة هو ما كان يأمر به من أوامر الله وينهى عنه من نهى الله تعالى . والله إنك على الخلق الذى أمرك الله به فى القرآن وهذا أعظم مدح له صلى الله عليه وسلم ولذا قال العارف البوصيرى رضى الله عنه فهو الذى تم معناه وصورة

فهم اصطفاؤه حبیباً بارئاً القسم

(قوله فَيُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ) أى فستعلم ويعلمون في الدنيا بظهور عاقبة أمرك واستيلائك عليهم بالقتل والنهب ، ويوم القيامة حين يخرج الحق من الباطل (قوله بَأْيُكُمْ الْفِتُونَ) بَأْيُكُمْ خبر متقدم والفتون مبتدأ ، وآخر الجملة في محل نصب تذاذعا كل من يبصر ويبصرون أعمل الثاني وأضر في الأول وحذف لأنه فضلة وليس قوله بَأْيُكُمْ متعلقا بيبصرون لأنه معاق بالاستفهام عن العمل (قوله مصدر كالمفعول) أى جاء على صيغة مفعول كالمفعول والمبسور (قوله إِنْ رَبَّكَ الْخُ) تعليل لما قبله وتأكيد للردع والوعيد (قوله له) أى للسبيل (قوله وأعلم بمعنى عالم) أشار بذلك إلى أن اسم التفضيل ليس على بابهِ وإلا لاقتضى مشاركة الحادث للقديم وهو باطل (قوله فَلَا تَطْعُ الْمُكَذِّبِينَ) مرتب على ما تقدم من اهتدائه صلى الله عليه وسلم وضلالهم أو على جميع ما تقدم من أول السورة (قوله تَلِينَ لَهُمْ) أى يترك نهيمهم عن الشرك أو بأن توافقه فيهم فيه أحيانا وقوله يَلِينُونَ لَكَ أى يتركون ما هم عليه من الطعن ويوافقونك . والمعنى تمنوا لو ترك بعض ما أنت عليه مما لا يرضونه مصانعة لهم فيفعلوا مثل ذلك يتركوا بعض ما لا ترضى به فتاين لهم ويأينون لك (قوله وهو معطوف الخ) أى فهو من جملة المتعنى وحيثما فيكون المتعنى شبيهاً نائهما مسبب عن الأول (قوله قدر قبله بعد الفاء هم) أى فيكون الجواب جملة اسمية لا محل لها من الاعراب وهذا جواب عما يقال حيث جعل قوله فيدهنون جواب التمنى والفاء سببية فمقتضاه حذف النون للناصب . فأجاب بأن الفاء أخذت على مبتدأ مقدر وجملة تدهنون خبره والجملة جواب التمنى (قوله) (٢٢١) ولا تطع كل حلاف الخ) هذه

الأوصاف من هنا إلى قوله سنسمه على الخرطوم نزلت في الوليد بن المغيرة وعليه جمهور المفسرين واقتصر عليه الفسرو قيل في لأسود بن عبد يغوث وقيل في الأخنس بن شريق وقيل في أبي جهل ابن هشام (قوله كثير الحلف بالباطل) تفسير مراد أخذاله من قوله المكذبين ومن سياق

فَتَبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ بِأَيِّكُمْ الْفِتُونَ) مصدر كالمفعول : أى الفتون بمعنى الجنون : أى أبك أم بهم (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُتَدِينِ) له ، وأعلم بمعنى عالم (فَلَا تَطْعُ الْمُكَذِّبِينَ . وَذُوا) (أَوْ) مصدرية (تَذْهِنُ) تَلِينَ لَهُمْ (فَيَذْهِنُونَ) يَلِينُونَ لك وهو معطوف على تذهن وإن جعل جواب التمنى المفهوم من وذوا قدر قبله بعد الفاء هم (وَلَا تَطْعُ كُلَّ حَلَّافٍ) كثير الحلف بالباطل (مَهِينٍ) حقير (هَمَّازٍ) عياب : أى مفتاب (مَشَاهِدٍ يَمِينٍ) ساع بالكلام بين الناس على وجه الإنساد بينهم (مَنْعٍ لِلْخَيْرِ) بخيل بالمال عن الحقوق (مُعْتَدٍ) ظالم (أَنْتُمْ) (أَنْتُمْ) غليظ جاف (بِمَدِّ ذَلِكَ زَنْهِمْ) دعى في قریش ، وهو الوليد بن المغيرة ادعاء أبوه بعد ثمانى عشرة سنة ، قال ابن عباس : لا أعلم أن الله وصف أحداً بما وصف به ،

لهم ولا فالخلاف كثير الحلف بحق أو باطل (قوله حَمِيرٍ) أى في رأيه وتديره عند الله تعالى فلا ينافى أنه كان معظما في قومه (قوله عِيَابٍ) أى كثير العيب للناس بمعنى أنه يعيبهم في حضورهم وغيبتهم وقوله أى المفتاب المناسب كفى بعض النسخ أن يقول أو مفتاب فيكون تفسيراً ثانياً من الغيبة وهى ذكرك أخاك بما يكره وقيل الهماز الذى يهمز الناس بيده ويضربهم (قوله عِيمٍ) متعلق بمشاهد والنمى مصدر كالنميمة أو اسم جنس للنميمة (قوله مناع للخير) أى من نفسه وغيره (قوله عن الحقوق) أى الواجبة والمندوبة (قوله ظالمٍ) أى يتعدى الحق (قوله أنتم) أى فاجر يتعاطى الانتم (قوله غليظ) أى فى الطبع أو الجسم وقوله جاف أى قاسى القلب ، وقيل العتل الذى يعتل الناس أى يحملهم ويجرهم إلى ما يكرهون من حبس وضرب ومنه خذوه فاعتلوه (قوله بعد ذلك) أى ما ذكر من الأوصاف السابقة وهى ثمانية وبعدها كنم التى هى للتراخي فى الرتبة . والمعنى أن هذا الوصف وهو زنى متأخر فى الرتبة والشناعة عن الصفات السابقة أى هو أشنع منها وأقبح (قوله زَنِيمٍ) الزنعة فى الأصل هى المحرمات فى أزواجها فأتى على المستحق فى قوم ليس منهم فكانه فيهم زنة (قوله ادعاء أبوه) أى وهو المغيرة . والمعنى بناء ونسبه لنفسه بعد أن كان لا يعرف له أب (قوله بعد ثمانى عشرة سنة) أى من ولادته ولما نزلت الآية قال لأمه إن محمد أوصفنى بنسج صفات أعرفها غير التاسع منها فإن لم تصدقنى الخبر ضربت عنقك فقالت له إن أباك عني خفت على المال فحكنت الراعى من نفسى فانت منه فلم يعرف أنه ابن زنا حتى نزلت الآية وإنما ذم بذلك لأن الغالب أن النطفة إذا خفيت خبت الولد لما روى فى الحديث لا يدخل الجنة ولد زنا ولا ولد له ولا ولد له وورد أن أولاد الزنا يحشرون يوم القيامة

في صورة القردة والخنازير وورد «لا تزال أمة بخير ما لم يفسد فيهم ولد الزنا فإذا فشا فيهم ولد الزنا أو نكح أن يعصمهم الله بعذابه وقال عكرمة: إذا كثرت ولد الزنا قحط المطر (قوله من العيوب) بيان لما (قوله أن كان ذا مال الخ) سيأتي في المدثر الكلام ماله ونفيه (قوله وهو متعاقب بما دل عليه الخ) أي وقد بينه بقوله أي كذب بها ولا يصح أن يكون معمولاً لفعل الشرط لأن نضاف للجملة بعدها والمضاف إليه لا يعمل فيما قبل المضاف ولا يصح أن يكون معمولاً لجواب الشرط لأن ما بعد أداة الشرط لا يعمل فيما قبلها (قوله قال أساطير) جمع أسطورة كأكاذيب جمع أكذوبة وزنا ومعنى (قوله بما ذكر) أي من المال والبنين (قوله وفي قراءة) أي سبعة أن بهمزتين مفتوحتين الأولى همزة لاستفهام التوبيخ والذانية همزة أن المصدرية واللام مقصورة والمنى أكذب بها لأن كان ذا مال وبنين أي لا يذنب ولا يليق ذلك منه لأن المال والبنين من النعم فكان يذنب مقابلته بالشكر وقراءة الاستفهام فيها التحقيق من غير ألف والتسهيل مع إدخال ألف بينهما وتركه (قوله على الخرطوم) عبر به استهزأ بهذا للعين لأن الخرطوم أنف السباع وغالب ما يستعمل في أنف الفيل والخزير (قوله فإم أنفه) أي جرح أنف هذا اللعين يوم بدر فبقى أثر الجرح في أنفه (٢٢٢) بقية عمره (قوله إنا بلوناكم كما بلونا أصحاب الجنة) هي بستان بالبحر

قال له الصروان دون صنعاء بفرس بخين وكان صاحبه ينادي الفقراء وقت الجذاذ ويترك لهم ما أخطأ المنجل من الزرع أو ألتته الريح أو بعد عن المسط لذي يسط تحت النخل وكان يجتمع لهم من ذلك شيء كثير فلما مات ورثه بنوه وكانوا ثلاثة وشعروا بذلك وقالوا إن فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الأمر ونحن ذوو عيال خافوا على أن يجذوه قبل الشمس حتى لا نأتي الفقراء إلا بعد فراغهم وكانت قصتهم بعد عيسى ابن مريم بزمان يسير (قوله بالقحط) أي وهو اختباس المطر الذي دعا به صلى الله عليه وسلم عليهم حتى أكلوا الجيفة (قوله كما بلونا أصحاب الجنة) الكاف في موضع نصب نعت لمصدر محذوف وما مصدرية أو بمعنى الذي (قوله إذ أقسموا) إذ تعليلية متعلقة ببلونا والمراد معظمهم وإلا فالأوسط نهاهم عن ذلك وقال لهم اصنعوا من الإحسان ما كان يصنعه أبوكم (قوله يقطعون) أي فالصرم القطع والانصرام الانقطاع (قوله مصبحين) حال من فاعل يصرون من أوصافهم من أصبح التامة أي داخين في الصباح (قوله لا يعطونهم) معطوف على النفي ولذا رفع لا على المنفى لفساد المعنى (قوله ما كان أبوهم) أي القدر الذي كان أبوهم الخ وتقدم بيانه (قوله بمشيشة الله تعالى) أي لا يقولون في عيبتهم إن شاء الله وقيل لا يستثنون شيئاً للمساكين (قوله والجملة مستأنفة) أي وجوز بعضهم الحالية وهي أظهر في المعنى وإن أعيدل المفسر عنه لأن المضارع المنقح بلا كالمثبت في أنه لا يقع حالاً مذكوراً بالواو إلا باضمار مبتدأ وفيه كلفة (قوله وهم نائمون) الجملة عالية (قوله كالليل) هي الليل صريحا لا انصرامه وانفصاله من النهار كما يسمى النهار صريحا أيضا لانفصاله من الليل (قوله فتنادوا) معطوف على أقسموا وما بينهما اعتراض (قوله مصبحين) حال (قوله أن اغدوا) أي بكرؤا وقت الغدو وعداه يعلى لتضمنه معنى أقبلوا (قوله تفسير لتنادوا) أي فإن بمعنى أي (قوله دل عليه ما قبله) أي وتقديره فاغدوا (قوله فانطلقوا) معطوف على فتنادوا وقوله وهم يتخافتون حال

من العيوب فألحق به عاراً لا يفارقه أبداً وتعلق بزئيم الظرف قبله (أن كان ذا مال وبنين) أي لأن وهو متعلق بما دل عليه (إذا تولى عليه آياتنا) القرآن (قال) هي (أساطير الأولين) أي كذب بها لإنعامنا عليه بما ذكر، وفي قراءة أن بهمزتين مفتوحتين (سنسمة على الخرطوم) سنجعل على أنفه علامة يعبر بها ما عاش فخطم أنفه بالسيف يوم بدر (إننا بلوناكم) امتحنا أهل مكة بالقحط والجوع (كما بلونا أصحاب الجنة) البستان (إذا أقسموا ليعضلنهم) يقطعون ثمرتها (مصبحين) وقت الصباح كي لا يشعر بهم المساكين فلا يعطونهم منها ما كان أبوهم يتصدق به عليهم منها (ولا يستثنون) في عيبتهم بمشيشة الله تعالى والجملة مستأنفة: أي وشأنهم ذلك (فطاف عليهم طائفة من ربك) نار أحرقتها ليلا (وهم نائمون) فأصبحت كاهنهم (كالليل الشديدة الظلمة: أي سوداء) فتنادوا مصبحين أن اغدوا على حرككم غاتمكم تفسير لتنادوا، أو أن مصدرية أي بأن (إن كفتهم صارمين) مرادين القطع وجواب الشرط دل عليه ما قبله (فانطلقوا وهم يتخافتون) يتسارون ،

فراغهم وكانت قصتهم بعد عيسى ابن مريم بزمان يسير (قوله بالقحط) أي وهو اختباس المطر الذي دعا به صلى الله عليه وسلم عليهم حتى أكلوا الجيفة (قوله كما بلونا أصحاب الجنة) الكاف في موضع نصب نعت لمصدر محذوف وما مصدرية أو بمعنى الذي (قوله إذ أقسموا) إذ تعليلية متعلقة ببلونا والمراد معظمهم وإلا فالأوسط نهاهم عن ذلك وقال لهم اصنعوا من الإحسان ما كان يصنعه أبوكم (قوله يقطعون) أي فالصرم القطع والانصرام الانقطاع (قوله مصبحين) حال من فاعل يصرون من أوصافهم من أصبح التامة أي داخين في الصباح (قوله لا يعطونهم) معطوف على النفي ولذا رفع لا على المنفى لفساد المعنى (قوله ما كان أبوهم) أي القدر الذي كان أبوهم الخ وتقدم بيانه (قوله بمشيشة الله تعالى) أي لا يقولون في عيبتهم إن شاء الله وقيل لا يستثنون شيئاً للمساكين (قوله والجملة مستأنفة) أي وجوز بعضهم الحالية وهي أظهر في المعنى وإن أعيدل المفسر عنه لأن المضارع المنقح بلا كالمثبت في أنه لا يقع حالاً مذكوراً بالواو إلا باضمار مبتدأ وفيه كلفة (قوله وهم نائمون) الجملة عالية (قوله كالليل) هي الليل صريحا لا انصرامه وانفصاله من النهار كما يسمى النهار صريحا أيضا لانفصاله من الليل (قوله فتنادوا) معطوف على أقسموا وما بينهما اعتراض (قوله مصبحين) حال (قوله أن اغدوا) أي بكرؤا وقت الغدو وعداه يعلى لتضمنه معنى أقبلوا (قوله تفسير لتنادوا) أي فإن بمعنى أي (قوله دل عليه ما قبله) أي وتقديره فاغدوا (قوله فانطلقوا) معطوف على فتنادوا وقوله وهم يتخافتون حال

قوله (أن لا يدخلوها) أصل الكلام أن لا يدخلوها مسكيناً فأوقع النهي على دخول المساكين لأنه أبلغ لأن دخولهم أعم من أن يكون بادخلهم أو بدونه (قوله وغدوا) أي ساروا إليها غدوة وقوله قادرين خبر غدوا إن كان بمعنى أصبح الناقصة إن كانت تامة يكون منصوباً على الحال (قوله على حرد) الحرد فيه أقوال كثيرة أشهرها ما قاله المفسر. ومنها أن معناه مضرب ومنها السنة التي قل مطرها (قوله في ظهم) أي وأما في الواقع فليس كذلك لهلاك الثمر عليهم ليلاً (قوله قالوا إنا سألون) أي قالوا ذلك في بادي الرأي (قوله لما علموها) أي بعد التأمل والتفتيش (قوله بمنعنا) الباء سببية (قوله يريم) أي رأياً وعقلاً ونفساً أنكر عليهم بقوله ألم أقل لكم الح ومفعوله محذوف : أي ألم أقل لكم إن ما فعلتموه لا يرضى الله (قوله هلا تسبحرن الله) أي تستفرونه وتتوبون إليه من حيث عزمكم (قوله قالوا سبحان ربنا) أي فامتثلوا نأبوا (قوله يتلاومون) أي يلوم بعضهم بعضاً على ما صدر منهم سابقاً (قوله هلا كنا) أي إن لم يعرف عنا ربنا فقد ضر هلا كنا (قوله عسى ربنا) رجوع منهم إلى الرجاء في رحمة الله بعد التوبة (قوله بالتخفيف والتشديد) قراءتان يعبثان (قوله روى أنهم بدلوا الح) أي فأمر الله جبريل أن يقتلع تلك الجنة المحترقة فيجعلها بزغر بالزاي والغين المعجمتين مدة بالشام ، بها عين غور مأثراً علامة خروج الدجال و يأخذ من (٢٢٣) الشام جنة فيجعلها مكانها . قال

ابن مسعود إن القوم أخاصوا وعلم الله منهم الصدق فأبدلهم جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقوداً واحداً ، وقال الهمامي أبو خالد دخلت تلك الجنة فرأيت منها محل العنقود كالرجل القائم الأسود (قوله كذلك) خبر مقدم والعذاب مبتدأ مؤخر (قوله أي مثل العذاب لهؤلاء) أي الذي يلونا به أصحاب الجنة من إهلاك ما كان عندهم

(أَنْ لَا يَدْخُلْنَهَا الْيَوْمَ عَذَابُكُمْ مِنْكُمْ) تفسير لما قبله، أو أن مصدرية: أي بأن (وَعَدُوا عَلَى حَرْدٍ) منع للفقراء (قَادِرِينَ) عليه في ظهم (فَلَمَّا رَأَوْهَا) سوداء محترقة (قَالُوا إِنَّا سَأَلُونَ) عنها أي ليست هذه ثم قالوا لما علموها (بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ) ثمرتها بمنعنا الفقراء منها (قَالَ أَوْسَطُهُمْ) خيرهم (أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْ لَا) هلا (تَسْبَحُونَ) الله تائبين (قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ) بمنع الفقراء حقهم (فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَامَوْنَ) قالوا يا (لِلنَّبِيِّ) (وَيَلَنَّا) هلا كنا (إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ) عسى ربنا أن يبدلنا (بِالتَّشْدِيدِ) والتخفيف (خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ) ليقبل توبتنا ويرد علينا خيراً من جنتنا، روى أنهم أبدلوا خيراً منها (كَذَلِكَ) أي مثل العذاب لهؤلاء (الْعَذَابُ) لمن خالف أمرنا من كفار مكة وغيرهم (وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) عذابها ما خالفوا أمرنا . ونزل لما قالوا إن بعثنا نعطي أفضل منكم (إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ) أَفَنَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْمُجْرِمِينَ :

حصل لأهل مكة قول ابن عباس هذا مثل لأهل مكة حين خرجوا إلى بدر وحافوا ليقتلون محمداً وأصحابه ويرجعون إلى مكة يطوفون بالبيت ويشربون الخمر وتضرب القينات على رؤوسهم فأخلف الله ظنهم فقتلوا وأمسروا وهزموا كأهل هذه الجنة لما خرجوا عازمين على الصرام فخابوا وضاعت صفقتهم وفيه تلطف بأهل مكة حيث ضرب لهم المثل بأهل الجنة كما لا يخفى (قوله نزل لما قالوا الح) ظاهره أن قولهم سبب نزول إن للمتقين الح وليس كذلك بل الآية سبب لقولهم المذكور فلما صدر منهم ذلك قول أنزل رداً عليهم أفنجعل المسلمين الح. قال مقاتل لما نزل إن للمتقين الح قال كفار مكة للمسلمين إن الله فضلنا عليكم في الآخرة إن لم يحصل التفضيل فلا أقل من المساواة فأجابهم الله تعالى بقوله أفنجعل المسلمين الح (قوله جنات النعيم) أضيفت إلى النعيم أنه ليس فيها إلا النعيم الخالص الذي لا يشوبه كدر ولا نقص كجنات الدنيا (قوله أفنجعل المسلمين كالمجرمين) الهمة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير أن نحيف في الحكم فنجعل المسلمين ، وفي العبارة قلب والأصل أفنجعل المجرمين كالمسلمين أنهم جعلوا أنفسهم كالمسلمين بل أفضل فينبذ كون الانكار متوجهاً لجهلهم المذكور وقد وبخوا باستفهامات سبعة تنتهي بقوله أم لهم شركاء : أولها أفنجعل المسلمين ، ثانيها أم لكم ، ثالثها كيف تحكمون ، رابعها أم لكم كتاب الح ، خامسها أم لكم إيمان الح ، سادسها سلمهم أيهم الح ، سابعها أم لهم شركاء الح .

(قوله أي تابعين لهم في العطاء) المناسب أن يقول أي مساوين لهم في العطاء. بقي أن الآية إنما دللت على نفي المساواة مع أن المشركين ادعوا الأفضلية فلم تحصل الموافقة. أجيب بأنها دللت على نفي الأفضلية بالأولى لأنه إذا انتفت المساواة فالأفضلية أولى (قوله مالكم) مبتدأ وخبر. والمعنى: أي شيء ثبت واستقر لكم من هذه الأحكام البعيدة عن الصواب (قوله كيف تحكمون) جملة أخرى فالوقف على لكم استفيد من هذه الجملة السؤال عن كيفية الحكم هل هو عن عقل أولا (قوله أم لكم كتاب) أم منقطعة تفسر بيل والهمزة قبل للاضراب الانتقالي والهمزة للاستفهام التوبيخي التقريري وكذا يقال فيما يأتي (قوله إن لكم لتدروا) وكسرت همزة إن لوقوع اللام المعلقة لتفعل عن العمل بعدها قال ابن مالك:

وكسروا من بعد فعل علما باللام كاعلم إنه لدونقي

(قوله تختارون) أي تشتهون وتطلبون (قوله عهود) أي مؤكدة بالآيمان لأن العهد كلام مؤكد بالقسم (قوله بالغة) بالرفع في قراءة العامة نعت لأيمان وقرئ شذوذا بالنصب على الحال إيمان أو من الضمير في علينا (قوله متعاق معنى بعلينا) أي متصل به وليس المراد التعاق الصناعي فإنه مختص بالفعل أو مافيه رائحة الفعل أو بالمقدر في الطرف: أي هي ثابتة لكم علينا إلى يوم القيامة (٢٢٤) لا تخرج عن عهدتنا إلا يومئذ إذا حكمتكم (قوله وفي هذا الكلام) أي

قوله أم لكم آيمان الخ (قوله أي أقسمنا لكم) مفعوله محذوف أي أقسمنا لكم آيمانا موثقة (قوله -هم أيهم -م بذلك الخ) -هم م نصب مفعولين الأول الضمير المنصل والثاني جملة أيهم وأي مبتدأ وزعيم خبره ، وبذلك متعاق بزعيم (قوله أم لهم شركاء) لهم خبر مقدم وشركاء

مبتدأ ومؤخر وهذه الجملة معطوفة معى على جملة أيهم بذلك زعيم واختلاف في الشركاء فقليل المراد بهم أس غير يشاركونهم في القول المذكور وقيل المراد بها الأصنام وكلام المفسر محتمل لهما (قوله يكفلون لهم به) أي بصحته ونفوذه (قوله إن كانوا صادقين) بشرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه (قوله اذكر) أشار بذلك إلى أن يوم معمول المحذوف الجملة مستأنفة لاتعاق لها بما قبلها وهذا أحد قولين والآخر أن الطرف متعاق بآياتها والمعنى فليأتوا بشركائهم في ذلك اليوم تنفعهم وتنفع لهم (قوله هو عبارة الخ) أي هذا التركيب وهو يكشف عن ساق كناية عن الشدة فأصل هذا الكلام يقال لمن شمر عن ساقه عند العمل أشق ويقال إذا اشتد الأمر في الحرب كشفت الحرب عن ساق وسئل ابن عباس عن هذه الآية ، فقال إذا خفي عليكم شيء من القرآن فاتبعوه في الشعر فإنه ديوان العرب أما سمعتم قول الشاعر:

سن لنا قومك ضرب الأعناق وقامت الحرب بنا على ساق
الأرب - هي الطرف من آل مازن إذا شمرت عن ساقها الحرب شمرا

وقيل المراد الحقيقة وعليه فاختلف. فقليل يكشف عن ساق جهنم وقيل عن ساق العرش وقيل يكشف لهم الحجاب فيرون الله تعالى. ففي مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن ناسا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم. قال هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحوا ليس معها سحب؟ وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحب؟ قالوا لا يا رسول الله. قال فما تضارون في رؤية الله تعالى يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما، إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن لتتبع كل أمة ما كانت تعبد فلا يبقى أحد كان يعبد

الله من الأصنام والأنصاب إلا يساقطون في النار حتى لا يبقى إلا من كان يعبد الله من برّ وفاجر وغير أهل الكتاب ،
 على اليهود فيقال لهم : ما كنتم تعبدون ؟ قالوا كنا نعبد عزرا ابن الله ، فيقال كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد
 لا تبغون ؟ قالوا عطشنا ياربنا فاسقنا ، فيشار إليهم ألا تردّون فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضا
 يساقطون في النار ؟ ثم يدعى النصارى فيقال لهم : ما كنتم تعبدون ؟ قالوا كنا نعبد المسيح ابن الله ، فيقال لهم كذبتم
 اتخذ الله من صاحبة ولا ولد ، فيقال لهم ماذا تبغون ؟ فيقولون عطشنا ياربنا فاسقنا ، فيشار إليهم ألا تردّون فيحشرون إلى
 كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيساقطون في النار حتى لا يبقى إلا من كان يعبد الله من برّ وفاجر أ هم الله في أدنى
 رة من التي رأوه فيها . قال فماذا تنتظرون ؟ لتتبع كل أمة ما كانت تعبد . قالوا ياربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا
 ولم نصاحبهم ، فيقول أنا ربكم ، فيقولون نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئا مرتين أو ثلاثا حتى إن بعضهم ليكاد أن
 ب ، فيقول : هل ينسلكم وبينه آية فتعرفونه بها ؟ فيقولون نعم فيكشف عن ساق ، فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء
 إلا أذن الله له بالسجود ، ولا يبقى من كان يسجد انتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خرّ
 فاه ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحوّل في صورته التي رأوه فيها أول مرة ، فقال أنا ربكم ، فيقولون أنت ربنا ، ثم يضرب
 سر على جهنم وتحل الشاعرة ، ويقولون : اللهم سلم سلم ، قالوا يارسول الله ، وما الجسر ؟ قال دحض مراقبة فيه خطاطيف
 اليب وحسكة تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان ، فيمر المؤمنون كطرف العين وكابرق وكالريح وكالطير وكأجاويد
 ل والركاب فجاج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس في نار جهنم حتى إذا خاض المؤمنون من النار ، فوالذي نفسي بيده
 ن أحد منكم بأشد من شدة الله في استيفاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين هم في النار ، فيقولون : ربنا
 وا يصومون معنا ويصلون ويحجون ، فيقال لهم : أخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خالقا كثيرا
 أخذت النار إلى نصف ساقه وإلى ركبته ، ثم يقولون ربنا ما بقي فيها (٢٢٥) أحد من أمرتنا به ، فيقال لهم
 ارجعوا فمن وجدتم في قلبه

مثقّل دينار من خير
 مرجوه فيخرجون خالقا كثيرا ، ثم يقولون : ربنا لم نذر فيها أحدا من أمرتنا به ، ثم يقول : ارجعوا فمن وجدتم في قلبه
 ال نصف دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خالقا كثيرا ، ثم يقولون : ياربنا لم نذر فيها من أمرتنا به أحدا ، ثم يقول :
 عوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خالقا كثيرا ، ثم يقولون : ياربنا لم نذر فيها خيرا ، وكان
 سعيد يقول : إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقربوا إن شئتم - إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت
 لديه أجرا عظيما - فيقول الله : شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين ، فيقبض قبضة من
 ر فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقبهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج
 بة في حميل السيل ألا ترونها تكون إلى الحجر أو إلى الشجر ما يكون إلى الشمس أصفر أو أخضر وما يكون منها إلى
 ل يكون أبيض . قال فيخرجون كالؤلؤ في رقابهم الخواص يعرفهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة
 ير عمل عملوه ولا خير قتموه ، ثم يقول : ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم ، فيقولون ربنا أعطينا ما لم تعط أحدا من
 ملين ، فيقول لكم عندي ما هو أفضل من هذا ؟ فيقولون : ربنا أي شيء أفضل من هذا ؟ فيقول رضى فلا أسخط
 بكم بعده أبدا .

تنبيه : قوله في الحديث أنا هم الله في أدنى صورة رأوه فيها الخ هو من التشابه يجري فيه مذهب الساف والخلف ،
 ساف يقولون يجب علينا أن نؤمن بها ونعتقد أن لها معنى يليق بجلال الله تعالى مع اعتقادنا أن الله تعالى ليس كمثل
 ه ، والخلف يؤوّلون الإتيان إما بالرؤية لأن العادة أن من غاب عن غيره لا يمكنه رؤيته أو باتيان ملك فيقول أنا ربكم
 سبيل الامتحان وهذا آخر امتحان المؤمنين ومعنى الصورة الصفة بمعنى في أدنى صورة الخ في غير الصفة التي يعرفونه
 الدنيا بها وقولهم فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ، أي فارقنا الناس من أجل توحيدك حال كوننا مع الفارقة أفقر
 أنفسنا عند صحبتهم فهو إخبار منهم بزيادة صبرهم على الشاق لأجل الله ، وقولهم نعوذ بالله منك إنما استعاذوا منه

لكنهم رأوا سمات الخلق وقوله فيكشف عن ساق معناه كشف الحزن وإزالة الرعب عنهم وما كان غلب على عقول من الأهوال فتطمئن حينئذ نفوسهم عند ذلك ويتجلى لهم بالصفة التي يعرفونها فيخرون سجدا وهذه الرؤية غير الرؤى التي هي في الجنة لكرامة أوليائه وإنما هذه الرؤية امتحان لعباده ، وقوله وقد تحول في صورته التي رآوه فيها أول مرة مع أنه تحجب عنهم بالصفة التي رآوه فيها أول مرة وقوله ثم يضرب الجسر معناه الصراط وتحل الشفاعة بكسر الحاء وضمة معناه تقع ويؤذن فيها وقوله دحض مزلة أي طريق تزلق فيه الأقدام ولا تثبت وقوله فيه خطاطيف جمع خطاف وهو الذي يخطف الشيء والكلايب جمع كلوب وهو الحديد التي يعلق بها اللحم والحسك الذي يقال له السعدان نبت له شوك عظم من كل جانب ومعنى الخبر اليقين ومعنى قبض قبضة أي جمع جماعة وقوله قد عادوا حمما أي صاروا حمما وقوله في أفق الجنة جمع فوهة وهي أول النهر وقوله فيخرجون كاللؤلؤ أي في الصفاء وقوله في رقابهم الخواتيم قيل معناه أنهم يعلقون أشيا من ذهب أو غير ذلك مما يعرفون بها والله أعلم (قوله ويدعون) أي الكفار (قوله امتحانا لإيمانهم) أي لا تكف بالسجود لأنها ليست دار تكليف (قوله طبقا واحدا) أي عظما واحدا (قوله أبصارهم) فاعل بخاشعة ونسب الحشوة والذل إليها لأن مافي القاب يعرف في العين ، وفي ذلك المقام يسجد المؤمنون شكرا لله تعالى على ما أعطوه من النعيم فيرفعون رؤوسهم من السجود ووجوههم أضوا من الشمس ، ووجوه الكافرين والمنافقين سوداء مظلمة (قوله ترهقهم) حال آخر (قوله وقد كانوا يدعون) أي (٢٢٦) دعوة تكليف والجملة حالية وكذا قوله وهم سالمون (قوله بأن لا يصلوا)

أشار بذلك إلى أن المراد بالسجود الثاني هو الصلاة ، وانفق المفسرون على أن المراد بالسجود الأول حقيقته (قوله فذرني) تسلية له صلى الله عليه وسلم وتخويف للكافرين ، والمعنى اترك أمر المكذبين إلى أ كذبتك ذلك (قوله ومن يكذب) في محل

(وَيَدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ) امتحانا لإيمانهم (فَلَا يَسْتَطِيعُونَ) تصير ظهورهم طبقا واحدا (خاشعة) حال من ضمير يدعون : أي ذليلة (أَبْصَارُهُمْ) لا يرفعونها (تَرْهَقُهُمْ) تغشاها (ذَاتَهُ وَقَدْ كَانُوا يَدْعُونَ) في الدنيا (إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ) فلا يأتون به بأن لا يصلوا (فَذَرْنِي) دعني (وَمَنْ يُكَذِّبْ بِهَذَا الْحَدِيثِ) القرآن (سَنَسْتَدْرِجُهُمْ) نأخذهم قليلا قليلا (مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ . وَأُمْلِي لَهُمْ) أمهلهم (إِنْ كَيْدِي مَتِينٌ) شديد لا يطاق (أَمْ بَلْ أُنَسِّأُ لَهُمْ) على تبليغ الرسالة (أَجْزَأَ فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ) مما يعطونكم (مُتَّقِلُونَ) فلا يؤمنون لذلك (أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ) أي اللوح المحفوظ الذي فيه الغيب (فَهُمْ يَكْتُمُونَ) منه ما يقولون ،

نصب إما معطوف على الياء في ذرني و مفعول معه والاول أرجح . قال ابن مالك :

والعطف إن يمكن بلا ضعف أحق والنصب مختار لدى ضعف النسق

(قوله سنستدرجهم) استئناف مسوق لبيان كيفية التعذيب المستفاد إجمالا من قوله ذرني الخ (قوله نأخذهم قليلا) أي فالاستدرج الأخذ بالتدرج شيئا فشيئا ، والمعنى لما أنعمنا عليهم اعتقدوا أن ذلك الإنعام تفضيل لهم المؤمنين وهو في الحقيقة سبب لهلاكهم (قوله وأملي لهم) عطف على سنستدرجهم عطف نفسير (قوله إن كيدي متين) الكيد في الأصل الاحتيال وهو أن تفعل ما فيه نفع ظاهرا وتريد به الضرر وإنما سمي إنعامه عليهم استدراجا بالكيد لأنه في صورته لما وقع لهم من سعة الأرزاق وطول الأعمار وعافية الأبدان إحسان ونفع ظاهري فقط ، والمتصور به معاقبتهم وتعذيبهم على ذلك ووصف الكيد بالمثانة إشارة إلى أنه لا يتأتى إفلات المستدرجين مما أراد بهم بخلاف كيد الخلق فتبع وتارة لا يتمكن منه (قوله أم نسألهم أجرا) هو في المعنى مرتبط بقوله سابقا أم لهم شركاء الخ ، والمعنى أم تأخذ منهم ثوابا على ما ندعوهم إليه من الإيمان بالله تعالى (قوله مثقلون) أي مكافون حملا ثقيلا (قوله ألا يؤمنون لذلك) أي لسؤل الأجر المترتب عاياه الغرم وهو ثقل على النفس لأن شأن النفس أن تستقل ما يطالب منها (قوله أي اللوح الخ) هذا قول ابن عباس وقيل الغيب هو علم ما غاب عنهم (قوله ما يقولون) أي ما يحكمون به ويستفتون به عن علمك .

وله فاصبر لحكم ربك الخ) نزلت هذه الآية بأحد حين فرأى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم باغراء المنافقين فأراد
يدعو على الذين انهزموا ، وقيل نزلت حين طاق صدره من أهل مكة لخرج يدعو نفيها فأغروا به سفهاءهم وصاروا
يربونه بالحجارة حتى أدموا قدمه الشريف فأراد أن يدعو عليهم ، فعلى الأول تكون مدنية وعلى الثاني تكون مكية
وله (إذ نادى) منصوب بضاف محذوف والتقدير ولا يمكن حاله في وقت ندائه (قوله وهو مكظوم) الجملة حال
ضمير نادى (قوله يملؤ غما) أى من أجل خوفه من الله تعالى حيث خرج من غير إذن فظن أن الله آخذ به ،
ل معنى مكظوم محبوس ، ومنه قولهم فلان يكظم غيظه أى يحبس غضبه (قوله نعمة) اختلاف في المراد بها ف قيل الرحمة
ولدى اختاره المفسر ، وقيل هى العصمة ، وقيل نداؤه بقوله : لا إله إلا أنت - بحالك إني كنت من الظالمين (قوله
رض القضاء) أى الحالية من النيات والأشجار والجمال (قوله وهو مذموم) أى مؤاخذ بذنبه والجملة حال من نائب
ل تبد وهو محط فى الاستعداد من لولا (قوله لكنه رحم الخ) أشار بذلك إلى أن لولا حرف امتناع لوجود والامتناع الام
فى امتنع دمه سبق العصمة له فاجتباها ربه وحمله من الصالحين فيونس لم تحصل منه معصية أبدا لا صغيرة ولا كبيرة
لما خروجه من بطنهم باخذاد منه وعثابه من الله من باب حسام (٢٢٧) التبرار سيئات المقربين وتقدم
ذلك مفصلا (قوله

فاجتباها ربه) عطف على
مقدر ، والمعنى وأدركته
نعمة من ربه فاجتباها
(قوله بالنموة) هذا مبنى
على أنه وقت هذه الواقعة
لم يكن نبيا وإنما نبى
مدها وهو أحد قولين
ولا آخر أنه إن كان نبيا ،
ومعنى اجتباها اختارها
واصطفاها ورفاه مرتبة
أعلى من التي كان فيها
(قوله فجعله من الصالحين)
أى الكاملين فى الصلاح

فأصبر لحكم ربك) فيهم بما يشاء (وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ) فى الصجر والمجلة
موريس عليه السلام (إذ نادى) دعا ربه (وَهُوَ تَكْظُومٌ) يملؤ غما فى بطن الحوت
لولا أن تداركه (أدركه) (نعمة) (من ربه أنبذ) من بطن الحوت (بالعرَاء)
أرض القضاء (وَهُوَ مَذْمُومٌ) لكنه رحم فنبذ غير مذموم (فاجتباها ربه) بالنموة
فجعله من الصالحين) الأنبياء (وَأِنْ يَكْذِبُوا الَّذِينَ كَفَرُوا أَعْرِضْ عَنْهُمْ) بضم الياء وفتحها
بأبصارهم) أى ينظرون إليك نظراً شديداً يكاد أن يصرعك ويسقطك عن مكانك
لما سمعوا الذكرك) القرآن (وَبَقِيْلُون) حسداً (إِنَّ كَأْفُورُنْ) بسبب القرآن الذى جاء به
وما هو) أى القرآن (إلا ذكر) مرعطة (لَمَّا آمَنَ) الجن والإس لا يحدث بسببه
خون .

ابن عباس : رآه الله عليه الوحى وشعه فى نفسه رضى فومه وقيل بوجهه وجعله من الصالحين بأن أرسله إلى مائة ألف
يزيدون فهداهم الله بسبب صبره (قوله وان يكاد) إن مخافة من القبلة واسمها ضمير الشأن (قوله بضم الياء وفتحها)
فهما قراءتان سبعيتان فالضم من أراق والفتح من راق (قوله بأبصارهم) الياء إما للتعدي أو السببية (قوله أى ينظرون
لك نظرا شديدا) أى فليس المراد أنهم يصيدونه بأعينهم كما يصيب العائن بعينه ما يعجبه وإنما أراد أنهم ينظرون إليه
نظرا شديدا بالعداوة والبغضاء وهذا مامشى المفسر عليه ، وقيل أرادوا أن يصيدوه بالعين ، فنظر إليه قوم من قریش المجربة
سابتهم فعصمه الله وحماه من أعيانهم فلم تؤثر فيه فنزلت ، وذكر العلماء أن العين كانت فى بنى أسد من العرب وكان إذا
أحد منهم أن يصيب أحدا فى نفسه أو ماله جوع نفسه ثلاثة أيام متوالية ثم يتعرض للعيون أو ماله فيقول ما رأيت
رسول الله ولا أشجع ولا أكبر ولا أحسن ، فهلاك المعيون هو وماله ، وهذه الآية تنفع كتابة وقراءة للمؤمن فلا تضره
بين (قوله لما سمعوا الذكرك) ظرف انزاعك (قوله حسدا) أى وبغضا وتنفيرا عنه (قوله وما هو إلا ذكر للعالمين)
قوله الحالية من فاعل قولون مفيدة لبطالان أولهم وأعجب السامعين حيث جعلوا عظة العالمين وتذكيرهم سببا لجنون
من أتى به ، وهذا دليل على مخافة عقابهم ورواه راسم ، لأن هذا القرآن لا يدركه إلا من كان كالمعقل فكيف بن
ال على قلبه .

[سورة الحاقة مكية] أى بالإجماع (قوله الحاقة) صفة لموصوف محذوف قدره المفسر بقوله القيامة (قوله الذى يحق) من ضرب ورد أى ثبت ويتحقق فاستناد التحقيق للزمان مجاز عقلى على حد ليل قائم فالمراد بها الزمان الذى يتحقق فيه ما أنكر الدنيا من البعث وغيره فيصير محسوسا معينا (قوله أو المظهرة لذلك) أى لما أنكر فى الدنيا وأشار بهذا المعنى إلى أن الحاقة فاعل أى المحققة والمظهرة وهو إسناد مجازى أيضا وهذا معنيان للحاقة من جملة معان كثيرة كلها متلازمة (قوله تعظيم لشأنها) أى فالتصود من الاستفهام تنخيم شأنها وتعظيم قدرها كأنه قال أى شئ هو لا يحيط به العبارة ولا تحصره الإشارة فالمقام للاستفهام ووضع الظاهر موضعه لتأكيدها وتنفيعه كقوله : فغشبههم من اليم ما غشبههم (قوله وما مبتدأ وخبر الخ) أى أن الحاقة مبتدأ أول وما مبتدأ ثان والحاقة خبر الثانى وهو وخبره خبر الأول والرابط إعادة المبتدأ بلفظه (قوله وما أدراك الخ) ما استفهام وهو الإنكار أى إنك لا علم لك بكنهها وشدة عظمها (قوله زيادة تعظيم) أى أن حكمة تكرار الاستفهام زيادة تعظيم وترويل لشأنها (قوله وما بعدها) أى وهو جملة أدراك (قوله فى محل المفعول الثانى) المناسب أن يقول والثالث لأن أدرك يتعدى لثلاثة لأنه بمعنى أعلم (قوله (٢٢٨) كذبت ثمود) استئناف مسوق لبيان بعض أحوال الحاقة وثمود قوم

(سورة الحاقة)

مكية ، إحدى أو اثنتان وخمسون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . الْحَاقَّةُ) القيامة التى يحق فيها ما أنكر من الحساب والجزاء أو المظهرة لذلك (مَا الْحَاقَّةُ) تعظيم لشأنها، وهو مبتدأ وخبر خبر الحاقة (أَدْرَاكِ) أعلمك (مَا الْحَاقَّةُ) زيادة تعظيم لشأنها فما الألى مبتدأ وما بعدها خبره وما الثا وخبرها فى محل المفعول الثانى لأدرى (كَذَبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ) القيامة لأنها تفر القلوب بأهوالها (فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلَكُوا بِطَاغِيَةٍ) بالصيحة المجاوزة للحد فى الشدة (عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ) شديدة الصوت (عَاتِيَةٍ) قوية شديدة على عاد مع قوتهم (سَحَرَهَا) أرسلها بالقهر (عَاتِيَهُمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ) أولها من صبح الأرباء لثمان بقين من شوال وكانت فى عجز الشتاء (حُسُومًا) متتابعات شبهت بتتابع الحاسم فى إعادة السكى على الداء ككرة بعد أخرى حتى ينحسم ،

وكانت منازلهم بالحجر بين الشام والحجاز (قوله وعاد) هم قوم هود وكانت منازلهم بالأحاف وهورمل بن عتمان وحضر موت باليمن (قوله لأنها نقرع القلوب) أى تؤثر فيها خوفا وفزعا (قوله فأما ثمود) تفصيل لما حصل لهم فى الدنيا من العذاب بسبب تكذيبهم بالقيامة (قوله بالصيحة) أى صيحة جبريل . واعلم أن منازل بنمود يسمى فى القرآن بأربعة أسماء فى الأعراف بالرجفة وفى

هود بالصيحة وفى حم السجدة بالصاعقة وفى هذه السورة بالطاغية فالمراد بالرجفة الزلزلة لتزلزل الأرض بهم (عند صيحة جبريل عليهم والصاعقة أصعقهم أى موتهم بها والطاغية لخروجها عن الحد ، وما ذكره المفسر أحد تفاسير للوعايبه فالباء للآلة ، وقيل الطاغية مصدر كالكاذبة والعافية ، والمعنى أهلكوا بطغيانهم وكفرهم وعليه فالباء بعبية ، الطاغية عاقرة ناقة صالح ، والمعنى أهلكوا بسبب ما فعله طاغيته من عقرة الناقة ، وإنما أهلكوا جميعا وإن كان الله فعل واحدا علموا بفعله ورضوا به (قوله المجاوزة للحد) أى لحد الصيحات من الهول والشدة (قوله قوية شديدة على عاد الخ) هذا قولين فى تفسير عاتية والآخر أن أراد عنت على خزائنها فخرجت بلا كيل ولا وزن لما فى الحديث « ما أرسل الله سفة من إلا بمكيل ولا قطارة من ماء إلا بمكيل إلى يوم عاد و يوم نوح فان الماء يوم نوح طغى على الخزان فلم يكن لهم عليه سبيل الرجوع يوم عاد عنت على الخزان فلم يكن لهم عليها سبيل » (قوله أرسلها) أى سألها (قوله أولها من صبح يوم الأرباء) وآخرها غروب شمس يوم الأرباء التالى للأرباء الأول وكان الشهر كاملا فكان آخرها هو اليوم الأخير منه (قوله عنت سبع ليال وثمانية أيام أحوال من ، ففعل سخرها أى ذات حسوم والحسم فى الأصل تتابع السكى على الداء حتى تنقطع أطاق عن قيده وأريد منه مطلق تتابع عذاب فقول للمفسر متتابعات فيه إشارة إلى أنه مجاز مرسل علاقته التقييد ثم الإ

قوله فترى القوم) أى على فرض حضورك واقفهم (قوله صرعى) حال جمع صريع كقتلى وقتيل والضمير في فيها عائداً على أيام والليالي أو البيوت أو الريج (قوله أصول نخل) أى بلارءوس فكانت الريج تقطع رءوسهم كما تقطع رءوس النخل (قوله أرغة) أى من الحشو، لما روى من أن الريج كانت تدخل من أفواههم فخرج ما في أجوافهم من الحشو من أدبارهم (قوله من قية) من زائدة في المفعول (قوله لا) أشار به إلى أن الاستفهام إنكارى . قال ابن جرير مكثوا سبع ليال وثمانية أيام أحياء . العذاب بالريج فلما أمسوا في اليوم الثامن ، أتوا فاحتماهم الريج فألقتهم في البحر (قوله وفي قراءة) أى وهى سبعية أيضاً (قوله المؤتفكات) أى المنقلبات وهى التى اقتلها جبريل على جناحه ورفعها قرب السماء ثم قلبها (قوله أى أهالها) أشار بذلك إلى أنه على حذف مضاف على حد واسئل القرية (قوله وهى قرى قوم لوط) وكانت خمسة : صنعها وصعرة وعمره ودوما وسذوم وهى أعظمها (قوله ذات الخطأ) أشار بذلك إلى أن الخطئة صيغة نسب كتامر ولابن (قوله فعصوا) أى فرعون ومن به والمؤتفكات (قوله رسول ربهم) المراد بالرسول الجنس ، وقوله وغيره المراد بالغير خصوص موسى على قراءة كسر القاف موسى ومن قبله من الرسل على قراءة فتحها (قوله على غيرها) أى من عذاب الأمم (قوله علا فوق كل شئ من الجبال) أى فزاد على أعلى جبل خمسة عشر ذراعاً (قوله زمن الطوفان) (٢٢٩) المناسب أن يقول زمن نوح (قوله

يعنى آباءكم) جواب عما يقال إن المخاطبين لم يدركوا حمل السفينة فكيف يتبين الله عليهم به . فأجاب بأن الكلام على حذف مضاف أى آباءكم وقوله إذ أنتم الخ ظاهره أنه تعليل لما أجاب به وليس كذلك بل هو جواب آخر وحاصله أن الكلام باق على ظاهره ويراد حملناكم حال كونكم فى أصلاب آبائكم الذين حملوا وهم أولاد نوح سام وحام ويافث (قوله أى هذه

(فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى) مطروحين هالكين (كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ) أصول (نَخْلٍ خَاوِيَةٍ) ساقطة فارغة (فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ) صفة نفس مقدرة أو التاء للمبالغة أى باق ؟ لا (إِبَاءَ فِرْعَوْنَ وَمَنْ قَبْلَهُ) أتباعه وفى قراءة بفتح القاف وسكون الباء أى من تقدمه من الأمم الكافرة (وَالْمُؤْتَفِكَاتُ) أى أهالها وهى قرى قوم لوط (بِالْخَاطِئَةِ) بالفعلات ذات الخطأ (فَصَوَّرَ رَسُولَ رَبِّهِمْ) أى لوطاً وغيره (تَأْخُذَهُمْ أُخْذَةً رَابِيَةً) زائدة فى الشدة على غيرها (إِنَّا لَمَّا طَفَأْنَا الْمَاءَ) علا فوق كل شئ من الجبال وغيرها زمن الطوفان (حَمَلْنَاكُمْ) يعنى آباءكم إذ أنتم فى أصلابهم (فى الْجَارِيَةِ) السفينة التى عملها نوح ونجا هو ومن كان معه فيها وغرق الباقون (لِنَجِّى لَهَا) أى هذه الفعلة وهى إنجاء المؤمنين وإهلاك الكافرين (لَكُمْ تَذَكُّرَةٌ) عظة (وَتَهْمِيحٌ) ولتحفظها (أذُنٌ وَاعِيَةٌ) حافظة لما تسمع (فَإِذَا نُفِخَ فى الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ) للفصل بين الخلائق وهى الثانية (وَحُمَاتٍ) رفعت (الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا) دكنا (دَكَّةً وَاحِدَةً . فَيَوْمَ تَأْتِي السَّحَابُ وَاقِعَةٌ)

الفعلة) هذا أحد قولين فى مرجع الضمير فى نجعلها وقيل عائداً على السفينة ، والمعنى لنجعل السفينة تذكرة وعظة لهذه الأمة ، فبقيت منها بقية حتى أدركها أوائلهم (قوله وتعيها) بكسر العين باتفاق السبعة وهو منصوب عطفاً على نجعل وماضيه وعى وأصل التضارع يوعى حذف الواو لوقوعها بين عدوتيه (قوله حافظ لما تسمع) إسناد الحفظ للأذن مجاز وحقه أن يسند لصاحبها والمعنى شأنها أن تحفظ ما ينبغى حفظه من الأقوال والأفعال وتعمل بمقتضاه (قوله فإذا نفخ فى الصور الخ) لما ذكر الله تعالى القيامة وأهوالها إجمالاً بقوله : الحاقة الخ اشتاقت النفس لتفصيل ذلك ففصل الله تعالى بعضه بقوله : فإذا نفخ الخ وإذا شرطية وجوابها قوله : فيومئذ وقعت الواقعة وقيل قوله : يومئذ تعرضون (قوله نفخة) نائب الفاعل وواحدة نعت مؤكدة لأن نفخة مصدر مخص دال على الوحدة فيصح إقامته مقام الفاعل والممنوع إقامة المبهم نحو ضرب ضرب ولم يؤنث الفعل وهو نفخ لأن التأنيث مجازى ولوجود الفصل (قوله وهى الثانية) هذا هو الصحيح كما روى عن ابن عباس لأن الثانية هى التى يعقبها الحساب والجزاء وقيل هى الأولى (قوله وحملت الأرض والجبال) أى رفعها الملائكة أو الرياح أو القدرة بعد خروج الناس من القبور (قوله دكنا) أى فتنا وصارتا كشيبي مهيلاً وهباءً منشوراً (قوله دكة واحدة) بالنصب على المصدرية باتفاق السبعة وإنما لم يرفع بالنيابة لوجود الضمير بخلافه فى نفخ فلم يوجد ضمير فأنيب نفخة مناب الفاعل فرفع باتفاق السبعة (قوله فيومئذ) التنوين

عوض عن جاتين محدوتين وهما نفخ وحما (قوله قامت القيامة) أى حصلت ووجدت (قوله وانشقت السماء) أى انصدعت ونفطرت من هول ذلك اليوم (قوله ضعيفة) أى ليس فيها تماسك ولا صلابة ، فتصير بمنزلة الصوف المنفوش (قوله على أرجائها) أى أطرافها ليبتظروا أمر الله لهم لينزلوا فيحيطوا بالأرض ومن عليها (قوله فوقهم) حال من العرش والضمير عائد على الملائكة الواقفين على الأرجاء (قوله ثمانية من الملائكة أو من صفوفهم) هذان قولان من جملة أقوال خمسة . ثالثا ثمانية آلاف . رابعا ثمانية أجزاء من تسعة أجزاء من الملائكة . خامسا ثمانية أجزاء من عشرة أجزاء ورد في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام قال « إن حملة العرش اليوم أربعة فإذا كان يوم القيامة أمدهم الله تعالى بأربعة أخرى فكانوا ثمانية على صورة الأوعال » أى تيوس الجبل « من أظلافهم إلى ركبهم كما بين سماء إلى سماء » (قوله يومئذ تعرضون) أى تستألون وتحاسبون ، وعبر بذلك تشبيها له بعرض السلطان العسكر لينظر في أمرهم فيختار منهم المصلح للتقريب والاكرام والفسد للإبعاد والتعذيب . وروى أن في القيامة ثلاث عرضات عرضتان للاعتذار والتوبيخ والثالثة فيها تنتشر الكتب فيأخذ الناس كتابه بيده ويأخذ الهالك كتابه بشماله (قوله لا تخفى منكم خافية) حال من الواو في تعرضون ، والمعنى لا يخفى على الله من سرايركم التى كنتم تخفونها في الدنيا وتظنون أنه لا يطلع عليها بل يذكركم بجميعها حتى تعلموها علما ضروريا (قوله بالتاء والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان (٢٣٠) (قوله فأما من أوتى كتابه الخ) تفصيل لأحوال الناس عند العرض

قامت القيامة (وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ) ضعيفة (وَالْمَلَائِكَةُ) بنى الملائكة (عَلَى أَرْجَائِهَا) جوانب السماء (وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ) أى الملائكة المذكورين (يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ) من الملائكة أو من صفوفهم (يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ) للحساب (لَا تَخْفَى) بالتاء والياء (مِنْكُمْ خَافِيَةٌ) من السرائر (فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ) خطابا لجماعته لما سر به (هَآؤُمُ) خذوا (أَقْرَأُوا كِتَابِيهِ) تنازع فيه هاؤم واقروا (إِنِّي ظَنَنْتُ) تيقنت (أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيهِ) فهو في عيشة راضية (مرضية) (فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قُطُوفُهَا) ثمارها (ذَانِيَةٌ) قريبة يتناولها القائم والقاعد والمضطجع فيقال لهم (كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا) حال : أى متهمنين (بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ) الماضية في الدنيا (وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا) للتنبيه (لَيْتَنِي لَمْ أُوتِ كِتَابِيهِ) ولم أدر ما حسابه . (يَا لَيْتَنِي)

(قوله خطابا لجماعته) أى أهله وأقربائه ومن حوله وإنما أحب إظهار ذلك سرورا وفرحا لكونه من الناجين (قوله هاؤم) لما اسم عملان تكون اسم فعل وتكون بالفظ واحد للمثنى والجمع والمذكر والمؤنث وتكون فعلا وتلحقها العلامات ومعناها على كل من الاستعمالين خذ وانصه القرآن أنها

اسم فعل والهمزة بعدها بدل من كف الخطاب واليم علامة الجمع (قوله كتابيه) أى كتابه كتابي دخات هاء السكت تظهر فتحة الياء وكذا في الباقي (قوله تنازع فيه الخ) أى فاعمل الثاني عند البصريين والأول عند الكوفيين وأضر في الآخر وحذف لأنه فضلة (قوله إنى ظننت تيقنت) أى فالمراد بالظن اليقين وقال ذلك تحديدا بعمدة الله تعالى إشارة إلى أنه نجا بسبب خوفه من يوم الحساب وذلك أنه تيقن أن الله يحاسبه فعمل للآخرة فحقق الله رجاءه وأمن خوفه (قوله مرضية) أشار بذلك إلى أن صيغة فاعل بمعنى مفعول أى يرضى بها صاحبها ولا يسخطها ، لما ورد أنهم يعشون بلايتون أبدا ويصبحون فلا يرضون أبدا وينعمون فلا يرون بأسا أبدا (قوله في جنة عالية) أى مرتفعة المكان والدرجات والأبوية والأشجار (قوله قنوفها) جمع قنوف بكسر القاف أى المقطوف وهو ما يجتنيه الجاني من الثمار (قوله كلوا واشربوا) أى يقال لهم ذلك والأمر الامتنان (قوله أى متهمنين) أى بذلك الأكل الطيب اللذيذ الشهى البعيد عن كل أذى السالم من كل آفة وقدر فلا يبول ولا غائط ولا بصاق ولا مخاط ولا صداع ولا ثقل (قوله بما أسلفتم) الباء سببية وما مصدرية أو اسم موصول (قوله الماضية في الدنيا) وقيل هي أيام الصيام ، والمعنى كلوا واشربوا بدل ما أمسكنم عن الأكل والشرب لوجه الله (قوله وأما من أوتى كتابه الخ) جرت عادة الله تعالى في كتابه حيث ذكر أحوال السعداء يذكر أثر ذلك أحوال الأشقياء (قوله فيقول) أى لما يرى من سوء عاقبته التى رآها (قوله ولم أدر ما حسابه) ما استفهامية مبتدأ وحسابه خبرها والجملة سدت مسد مفعولى أدر والاستفهام للتعظيم والتحويل ، والمعنى ولم أدر عظم حسابه وشدة .

قوله أي الموت في الدنيا) المعنى ياليت الموت في الدنيا كانت القاطعة لحياي ولم أبعث بعد ذلك أصلاً (قوله ما أغنى عني) مانافية
المفعول محذوف، والمعنى لم يغن عني مالي شيئاً، أو استهفامية للتوبيخ: أي أي شيء أغنى ما كان لي من اليسار الذي منعت منه
حق الفقراء وتكبرت به على عباد الله (قوله ماليه) يحتمل أن ما اسم موصول فاعل أغنى والجار والمجرور صلة ما ويحتمل أن
بالي كلمة واحدة بمعنى المال فاعل أغنى مضاف لياء التكلم (قوله قوتي وحجتي) أشار المفسر بذلك إلى أن في السلطان تفسيرين
حدهما القوة التي كانت له في الدنيا والثاني الحجة التي كان يحتج بها على الناس (قوله وهاء كتابيه الخ) هاء مبتدأ ولاسكت
خبر أول وقوله ثبت خبر ثان (قوله ثبت وقفاً) أي على القاعدة في هاء السكت (قوله ووصلاً) هذا مخاف لقاعدة هاء السكت
لما كان مخالفاً أجاب بجوابين: الأول قوله إتباعاً للمصحف أي فلما كانت ثابتة فيه ثبتت في النطق ولو في الأصل إتباعاً للرسم.
لثاني قوله والنقل أي وإتباعاً للنقل عن النبي عليه الصلاة والسلام فقد ثبت عنه ثبوتها وصلاً فإيس لحنا لأن ماخرج عن القواعد
لا يكون لحناً إلا إذا لم يثبت وهذا قد ثبت عن النبي ونقل إلينا بالتواتر (قوله ومنهم) أي القراء السبعة وهو حمزة والعشرة وهو
يعقوب (قوله خذوه) معمول لقول مقدر جواب عن سؤال مقدر تقديره ما يفعل به بعد ذلك ف قيل يقال الخ (قوله خطاب لحزنة
جهنم) أي زبانيته وسيأتي في المدثر أن عدتهم تسعة عشر قيل ملكاً وقيل صفاً وقيل صنفاً (قوله ثم الجحيم) الترتيب في الزمان
الرتبة فإن إدخاله في النار بعد غله وكذا إدخاله في السلسلة بعد إدخاله النار (٢٣١) وكل واحد أشد من قبله (قوله
صاوه) أي كرروا غمسه
في النار كالشاة التي تصلى أي
تشوى على النار مرة بعد
مرة (قوله ذراعها سبعون
ذراعاً بذراع الملك) هذا قول
ابن عباس قال فتدخل
في دبره وتخرج من منخره
وقيل سبعون ذراعاً كل
ذراع سبعون باعاً كل باع
أبعد ما بين مكة والكوفة
وقيل سبعون ذراعاً كل
ذراع سبعون ذراعاً وقيل
ليس المراد بأحد حقيقته

أي الموت في الدنيا (كانت الفاضية) القاطعة لحياي بأن لا أبعث (ما أغنى عني ماليه).
ذلك عني سلطانية) قوتي وحجتي، وهاء كتابيه وحسابيه وماليه وسلطانيه للسكت ثبت
وقفاً ووصلاً إتباعاً للمصحف الإمام والنقل، ومنهم من حذفها وصلاً (خذوه) خطاب لحزنة
جهنم (فقلوه) اجمعوا يديه إلى عنقه في الغل (ثم الجحيم) النار المحرقة (صاوه) أدخلوه
(ثم في سلسلة ذراعها سبعون ذراعاً) بذراع الملك (فأسلكوه) أي أدخلوه فيها بعد
إدخاله النار ولم تمنع الفاء من تعلق الفعل بالظرف المتقدم (إنه كان لا يؤمن بالله العظيم).
ولا يحض على طعام المسكين. فلا من له اليوم ههنا حميم) قريب يفتنع به (ولا
طعام إلا من غيلين) صديد أهل النار أو شجر فيها (لا يأكله إلا الخاطئون)
الكافرون (فلاً) زائدة (أقسم بما تبصرون):

بل هو كناية عن عظمها وطولها. قال كعب: لو جمع حديد الدنيا ما وزن حلقة منها آجارتنا الله منها وأشار سبحانه إلى ضيقها
على ما تحيط به من بدنه بتفسيره بالسلك، فقال فأسلكوه: أي أدخلوه بحيث يكون كأنه السلك الذي يدخل في ثقب الخرز
لاحظتها بعنقه وبجميع أجزائه (قوله إنه كان لا يؤمن بالله العظيم) تعليل على طريق الاستئناف كأنه قيل ما باله يعذب هذا
العذاب الشديد. فأجيب بذلك وأهل وجه التخصيص لهذين الأمرين بالدكر أن الكفر أقبح الأشياء والبخل مع قسوة القلب
بليه (قوله ولا يحض) أي لا يبحث ولا يحرم من نفسه ولا غيره وقوله على طعام المسكين أي إطعامه (قوله فليس له اليوم ههنا
الخ) أي في الآخرة وحميم وما عطف عليه اسم ليس وخبرها الظرف قبله. فان قات ما التوفيق بين ما هنا وبين قوله في محل
آخر: إلا من ضريع، وفي موضع آخر: إن شجرة الزقوم طعام الأثيم، وفي موضع آخر: أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار.
قلنا لا منافاة إذ جميع ذلك طعام لهم، فالخصر إضافي والنفي بالخصر طعام فيه نفع (قوله صديد أهل النار) هو ما يجري من
الجراح إذا غسلت (قوله أو شجر فيها) أي إذا أكلوه يغسل بطونهم أي يخرج ما فيها من الحشو (قوله إلا الخاطئون)
العامية يهزون الخاطئون وهو اسم فاعل من خطى بخطاً إذا فعل غير الصواب متعمداً والخطى من فعله غير متعمد
(قوله زائدة) أي والمعنى أقسم لكم يا عبادي بما تشاهدون من الخاوقات وبما لا تشاهدون الخ وإنما أقسم بالخواوقات
لعظمها ومرفها بعظم خالقها وموجدتها فالقسم بالخواوقات لامن حيث ذاتها بل من حيث إنها آثار عظمتها ومظهر صفاته
سبحانه وتعالى والنهي عن القسم بغير الله خاص بالخواوقات أما هو سبحانه فله أن يقسم بما شاء على ما شاء وما ذكره المفسر أحد قولين

والآخر أنها أصلية ، والمعنى أن هذا الأمر اظهره ووضوحه غنى عن القسم والأول أوضح وأوجه (قوله من المخلوقات) بيان لما (قوله أى بكل مخلوق) تفسير لمجموع قوله بما تبصرون وما لاتبصرون (قوله إنه لقول رسول كريم) هذا هو الخلف عليه وكذا قوله وما هو بقول شاعر وما بعده ، والمراد بالرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم وكرمه اجتماع الكمالات فيه فهو أكرم الخلق على الإطلاق ، وقيل المراد به جبريل عليه السلام ، ويؤيده قوله في سورة التكوير إنه لقول رسول كريم وكرمه كونه رئيس العالم العلوى (قوله أى قاله رسالة الخ) جواب عما يقال إن القرآن قول الله تعالى وكلامه فكيف يقال إنه لقول رسول كريم فأجاب أنه قوله على سبيل التبايع . والحاصل أنه ينسب لله من حيث إيجاده ولجبريل من حيث تلقيه عن الله ولحمد من حيث تلقيه عن جبريل (قوله وما هو بقول شاعر الخ) إنما عبر بالایمان في جانب نفي الشعر والتذكر في جانب نفي الكهانة لأن عدم مشابهة القرآن للشعر أمر ظهري لا ينكره إلا معاند كافر بخلاف مغايرته للكهانة فإنها متوقفة على التذكر والتدبر في أحواله صلى الله عليه وسلم الدالة على أنه ليس بكاهن (قوله قليلا مانؤمنون) أى تؤمنون بشئ قليل مما جاء به مما يوافق طبعكم وهذا ما درج عليه (٢٣٢) المفسر ، وقيل أراد بالقلة نفي إيمانهم أصلا لأن الايمان بشئ دون شئ كالايمان

من المخلوقات (وَمَا لَا تَبْصِرُونَ) منها : أى بكل مخلوق (إِنَّهُ) أى القرآن (لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ) أى قاله رسالة عن الله تعالى (وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ . وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَاتَدَّ كُرُونُ) بالتاء والياء في الفعلين وما زائدة مؤكدة ، والمعنى أنهم آمنوا بأشياء يسيرة وتذكروها مما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم من الخير والصلة والعفاف فلم تغن عنهم شيئا ، بل هو (تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ . وَلَوْ تَقَوَّلَ) أى النبي (عَلَمِينَ) بعض الأقاويل (بَأَن قَال عَنَا مَا لَمْ نَقُلْهُ) (لَأَخَذْنَا) لنلنا (مِنْهُ) عقابا (بِالْيَمِينِ) بالقوة والقدرة (ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ) نياط القلب ، وهو عرق متصل به إذا انقطع مات صاحبه (فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ) هو اسم ما ، ومن زائدة لتأكيد النفي ، ومنكم حال من أحد (عَنْهُ حَاجِزِينَ) مانعين خبر ما وجمع لأن أحدا في سياق النفي بمعنى الجمع وضمير عنه للنبي صلى الله عليه وسلم : أى لا مانع لنا عنه من حيث العقاب (وَإِنَّهُ) أى القرآن (لَتَذَكُّرَةُ الْإِتْمَتِينَ . وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ) أيها الناس (مُكَذِّبِينَ) بالقرآن ومصدقين (وَإِنَّهُ) أى القرآن (لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ) إذا رأوا ثواب المصدقين وعقاب المكذبين به (وَإِنَّهُ) :

وذلك كقولك لمن لا يزورك قلما تأتينا وانت تريد لاتأتينا أصلا (قوله بالتاء والياء) أى فهما سبعيتان فالأولى لمناسبة تبصرون والثانية التفات عن الخطاب إلى الغيبة (قوله وما زائدة مؤكدة) أى معنى القلة وقليل صفة لصدر محذوف في الوضعين أى إيمانا قليلا وتذكرا قليلا (قوله مما أتى به النبي) من التبعض في محل الحال من أشياء ، والمعنى حال كون تلك الأشياء البسيرة بعض ما أتى به

النبي ، وقوله من الخير بيان للأشياء البسيرة التي هي بعض ما أتى به النبي فكان المناسب للمفسر أن يقدمه على قوله مما أتى به النبي والمراد بالخبر الصدقة وبالصلة صلة الأرحام وبالعفاف الكف عن الزنا وإنما آمنوا بهذه الأشياء لموافقتها طباعهم (قوله ولونقول علمينا) أى تكلف القول (قوله بعض الأقاويل) إجماع أقوال وهو جمع قول أو جمع أقواله كأعاجيب جمع أعجوبة فعلى الأول أقاويل جمع الجمع وعلى الثاني جمع فقط ، والمعنى لو نسب إلينا قولاً لم نقله أولم نأذن له في قوله لأخذنا الخ (قوله لنلنا) فسر الأخذ بالنيل لتمديته بالجار وعليه فمن الباء غير زائدتين ، والمعنى لنلنا منه بالقوة والقدرة فاليمين كناية عن القوة والغلبة وأل عوض عن المضاف إليه : أى يمين الله ويصح أن يراد باليمين الجارحة والباء زائدة ، والمعنى لأخذنا منه يمينه كما يفعل بالمقتول صبرا يؤخذ يمينه ويضرب بالسيف في عنقه مواجهة (قوله وهو عرق متصل به الخ) هذا قول ابن عباس والجمهور ، وقيل الوتين هو القاب ومراقه وما يليه ، وقيل هو عرق بين العنق والحلقوم ، وقيل هو كناية عن إيمانه ، والمعنى لو كذب علمينا لأمناه فكان كمن قطع وتينه (قوله عنه) أى عن عقابه فهو على حذف مضاف (قوله حاجزين) مفعوله محذوف : أى حاجزين لنا (قوله وإنه لتذكرة) هذا وما بعده معطوف على جواب القسم فهو من جملة القسم عليه (قوله للمتقين) خصهم بالذكر لأنهم المنتفعون به (قوله أن منكم مكذبين) أى فنعماهم ثم بعد عنهم نجازهم على تكذيبهم وقوله ومصدقين أشار

ك إلى أن في الآية حذف الواو مع ما عطف (قوله أي لليقين الحق) أشار بذلك إلى أنه من إضافة الصفة للموصوف ، والمعنى تمسك به وعمل بمقتضاه صار من أهل حق اليقين (قوله زائدة) أي لفظ باسم زائد ، والمعنى نزه ربك العظيم واشكر ما أعطاك من النعم العظيمة ولا تلتفت لهم ولا لكيدهم .

سورة المعارج [وتسمى سورة سأل سائل (قوله مكية) أي إجماعا (قوله سأل) بالهمزة والألف قراءتان سبعيتان فالهمز هو صل من السؤال وهو الدعاء وأما قراءة الألف فيحتمل أنها بمعنى قراءة الهمزة غير أنه خفف بقلب الهمزة ألفا والألف منقلبة عن واو تخاف ولو انقلبت عن الهمزة أو من السيلان فالألف منقلبة عن ياء ، والمعنى سأل سائل : أي واد في جهنم ما سأل فبالهمز لا غير لأن العين إذا علت في الفعل تعل في اسم الفاعل أيضا وقد أعادت بالقلب همزة كقائل وبائع وخائف . علم أن مادة السؤال تتمتع لمفعولين يجوز الاختصار على أحدهما ويجوز تعديته بحرف الجر . وحينئذ يكون التقدير هنا سأل نزل الله أو النبي عذابا واقعا (قوله دعا داع) أشار بذلك إلى أن سأل من السؤال وهو الدعاء ولما ضمن معناه تعدى تعديته بصح أن الباء زائدة للتوكيد كقوله تعالى - وهزى إليك بجذع النخلة - ويصح أن الباء بمعنى عن (قوله واقع للكافرين) سيقع وعبر بذلك إشارة لتحقيق وقوعه إما في الدنيا وهو عذاب يوم بدر فإن النضر قتل يوم بدر صبرا وإما في الآخرة وهو (قوله للكافرين) اللام للتعليل والتقدير نازل من أجل الكافرين أو بمعنى على : أي واقع على الكافرين (٢٣٣)

(قوله ليس له دافع) إما نعت آخر عذاب أو حال منه أو مستأنف (قوله هو النضر بن الحرث) هذا قول ابن عباس ، وقيل هو الحرث بن النعمان ، وذلك أنه لما بلغه قول النبي صلى الله عليه وسلم « يا علي من كنت مولاه فعلى مولاه ركب ناقته فجاء حتى أناخ راحلته بالأبطح ، ثم قال يا محمد

ي القرآن (لحق اليقين) أي لليقين الحق (فَسَبِّحْ) نزه (بِاسْمِ) زائدة (رَبِّكَ العظيم) سبحانه .

(سورة المعارج) مكية ، أربع وأربعون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - سَأَلَ سَائِلٌ) دعا داع (بِعَذَابٍ وَاقِعٍ . لِلْكَافِرِينَ) (سَأَلَ لَهُ دَافِعٌ) هو النضر بن الحرث قال اللهم إن كان هذا هو الحق الآية (مِنْ اللَّهِ) متصل بواقع (ذِي الْمَعَارِجِ) مصاعد الملائكة وهي السموات (تَعْرُجُ) بالتاء والياء (الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ) جبريل (إِلَيْهِ) إلى مهبط أمره من السماء (فِي يَوْمٍ) متعلق بمحذوف : أي يقع العذاب بهم في يوم القيامة (كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ) بالنسبة إلى الكافر لما يلقى فيه من الشدائد . وأما المؤمن فيكون عليه أخف من صلاة مكتوبة يصلها في الدنيا ،

مرتنا عن الله أن تشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله فقبلناه منك وأن نحج فقبلناه منك وأن نصوم شهر رمضان في كل عام فقبلناه منك ثم لم ترض حتى فضات ابن عمك علينا أفهذا شيء منك أم من الله تعالى ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي لا إله إلا هو ما هو إلا من الله ، فولى الحرث وهو يقول اللهم إن كان ما يقول محمد حقا فأمطر علينا حجارة من السماء فوالله ما وصل إلى ناقته حتى رماه الله بحجر فوق على دماغه فخرج من دبره فقتله فزلت « وقيل هو أبو جهل ، وقيل جماعة من كفار قريش وقيل هو نوح عليه السلام سأل العذاب على كفار قومه (قوله قال اللهم الخ) أي استهزاء وإيهاما أنه على بصيرة حيث جزم ببطلانه (قوله متصل بواقع) أي متعلق به وعليه جملة ليس له دافع معترضة بين العامل والمعمول إن جعلت مستأنفة وأما إن جعلت صفة لعذاب فليست اعتراضية (قوله ذي المعارج) أي صاحبها وخالقها فليس لغيره مدخل فيها (قوله مصاعد الملائكة) أشار بذلك إلى أن العروج بمعنى الصعود والمعارج جمع معراج بفتح الميم وهو موضع الصعود وما مشى عليه المفسر أخذ أقوال ، وقيل المراد معارج المؤمنين في دار الثواب وهي الجنة ، وقيل معارج الأعمال الصالحة فانها تتفاوت بحسب الإخلاص والآداب ونحو ذلك (قوله بالتاء والياء) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله جبريل) أشار بذلك إلى أن هطاف الروح على ما قبله عطف خاص على عام (قوله إلى مهبط أمره) بكسر الباء بوزن مسجد وهو جواب عن سؤال مقدر تقديره إن ظاهر الآية يقتضي أن الله تعالى في مكان والملائكة يصعدون إليه فأجاب بأن الكلام على حذف مضاف : أي إلى محل هبوط أمره وهو السماء (قوله متعلق بمحذوف) أي دل عليه واقع (قوله [٣٠ - صاوى - رابع] لما يلقى فيه من الشدائد) أشار بذلك إلى أن الكلام من باب التخييل والتخييل فليس المراد

حقيقة العدد بل المراد أنه يطول على الكافر لما يلحق فيه من الشدائد فتارة يمثل بالألف وبالحسين ألفا كناية عن عظم الشدائد أو يقال يمثل بالحسين ألفا في حق قوم من الكفار والألف في حق قوم آخرين منهم وحينئذ فلامنافاة بين ما هنا وآية السجدة ، وقيل خمسون ألفا حقيقة لما ورد «أن مواطن الحساب خمسون موطناً يحبس الكافر في كل موطن ألفاً» (قوله كما جاء في الحديث) أي وهو ما رواه أبو سعيد الخدري «أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فما أطول هذا اليوم فقال : والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصلها في الدنيا» (قوله فاصبر) مفرع على قوله سأل سائل لأنه سأل على سبيل الاستهزاء ، والمعنى اصبر على استهزاء قومك ولا تضجر منه فهو تسليته له صلى الله عليه وسلم (قوله هذا قبل أن يؤمر الخ) أي فهو منسوخ بآية القتال (قوله إنهم يرونه) أي يعتقدونه (قوله ونراه) أي نعلمه والنون للتكلم المعظم نفسه وهو الله تعالى (قوله متعلق بمحذوف) أي دال عليه واقع (قوله كذائب الفضة) وقيل المهل دردى الزيت (قوله كالصوف) أي مطلقاً ، وقيل بقيد كونه أحمر أو مصبوغاً ألواناً وهذه الأقوال في معنى العهن في اللغة (قوله ولا يسأل حميم الخ) القراء السبعة على بناء يسئل (٢٣٤) للفاعل وحميماً مفعول أول والثاني محذوف تقديره شفاعته ، وقرأ أبو جعفر

من العشرة ببنائه للمفعول وحميم نائب الفاعل وحميماً إمام مفعول ثان على حذف مضاف : أي إحضاره أو منصوب على زرع الخافض أي عن حميم (قوله يبصرونهم) جمع الضميرين نظراً للمعنى الجميعين لأنهما نكروتا في سياق النفي يعلمان سائر الأقارب (قوله والجملة مستأنفة) أي استئنافاً بياناً واقعاً في جواب سؤال مقدر نشأ من قوله ولا يسأل حميم حميماً تقديره إن عدم السؤال ربما يكون لعدم

كما جاء في الحديث (فَاصْبِرْ) هذا قبل أن يؤمر بالقتال (صَبْرًا جَمِيلًا) أي لاجزع فيه (إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ) أي العذاب (بَعِيدًا) غير واقع (وَنَرَاهُ قَرِيبًا) واقعاً لا محالة (يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ) متعلق بمحذوف : أي يقع (كَأَلْمُهْلِ) كذائب الفضة (وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ) كالصوف في الخفة والطيران بالريح (وَلَا يَسْئَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً) قريب قريبه لاشتغال كل بحاله (يُبْصِرُونَهُمْ) أي يبصر الأحباء بعضهم بعضاً ويتعارفون ولا يتكلمون والجملة مستأنفة (يَوْمَ الْمُجْرِمِ) يتمنى الكافر (لَوْ) بمعنى أن (يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ مُّثْلٍ) بكسر الميم وفتحها (بِذَنبِهِ وَصَاحِبَتِهِ) زوجته (وَأَخِيهِ وَفَصِيلَتِهِ) عشيرته لفصله منها (الَّتِي تَوَوَّبُوا) تضمه (وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ) ذلك الافتداء عطف على يفتدي (كَلَّا) رد لما يؤده (إِنَّهَا) أي النار (الظَّى) اسم لجهنم ، لأنها تتلظى : أي تتهلب على الكفار (زَّاعَةً لِّلشَّوَى) جمع شواة ، وهي جلدة الرأس (تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى) عن الإيمان بأن تقول إلى إلى (وَجَمَعَ) المال (فَأَوْعَى) أمسكه في وعائه ولم يؤد حق الله منه (إِنَّ الْإِنْسَانَ خَائِقٌ هَلُوعًا) حال مقدرة وتفسيره (إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا) :

رؤيته ، فأجاب بأنهم يعرفون بعضهم وينظرون إلى بعضهم غير أن كل أحد مشغول بحاله فلا يمكنه السؤال لذلك (قوله بمعنى أن) أي الصدرية فلا جواب لها بل ينسبك منها وما بعدها مصدر مفعول لبود : أي يود افتدائه (قوله بكسر الهمزة) أي على الأعراب ، وقوله وفتحها : أي على البناء والقراءتان سبعيتان والتنوين عوض عن جمل متعددة ، والمعنى يوم إذ تكون السماء كالمهل الخ (قوله لفصله منها) أي فهي فعيلة بمعنى مفعولة : أي مفصول منها والتفصيلا ، قيل الآباء الأقربون ، وقيل الفخذ ، وقيل العشرة (قوله تضمه) أي في النسب وعند الشدة (قوله كلاً) يحتمل أن تكون هنا بمعنى حقاً فالكلام ثم عند قوله ثم ينجيهِ ويحتمل أن تكون بمعنى لا النافية فالكلام ثم عليها (قوله أي النار) إنا أعاد الضمير عليها وإن لم يتقدم لها ذكر لدلالة لفظ العذاب عليها (قوله لظي) خبر إن وزاعة خبر ثان (قوله اسم لجهنم) أي منقول إذ هو في الأصل اللهب جعل علماً عليها ومنع من الصرف للعلمية والتأنيث (قوله جمع شواة) أي كنوى ونواة (قوله وهي جلدة الرأس) أي وقيل هو جلد الإنسان ومعناه قلاعة للجلد كما قلعت عادت (قوله بأن تقول إلى إلى) أي ثم تلاقطهم التقاط الطائر للحب (قوله إن الإنسان) أل فيه للجنس : أي حقيقة الإنسان وجنسه والأصل فيه وهمي بذلك إما لأنه بنفسه وجنسه أو لنسيانه حقوق ربه (قوله حال مقدرة) أي لأنه ليس متصفاً بذلك وقت خلقه ولا وقت ولادته (قوله وتفسره) أي الملوغ وهو مستند اللغويين في قولهم : الملع غش الجزع مع شدة الحرص وقلة الصبر والشع بالمال

(قوله وقت مس الشر) أشار بذلك إلى أن إذا معموله جزوعا وكذا ما بعده وسب جزوعا ومنوعا إما حالان من ضمير هلوها أو خبران لكان المحذوفة أي إذا مسه الشر كان جزوعا وإذا مسه الخير كان منوعا أو نعتان لهلوها (قوله أي المال) أي وغيره من جميع ما أنعم الله به عليه بأن لا يصرفه في طاعة ربه (قوله إلا المصلين) استثناء من الالسان وتقدم أن المراد به الجنس فلا استثناء متصل (قوله أي المؤمنين) فسر المصلين بالمؤمنين لأن الصلاة الشرعية تستلزم الإيمان وليكون لقوله الذين هم على صلاتهم دائمون معنى وإلا كان ضائعا . واعلم أنه ذكر الصلاة ثلاثا فأراد بها أولا الإيمان وثانيا المداومة عليها ولو قضاء وثالثا المحافظة عليها في خصوص أوقاتها (قوله مواظبون) أي لا يتركونها أداء ولا قضاء بل يفعلونها ولو خارج الوقت فهذا راجع للصلاة في نفسها وما يأتي راجع لوصفها (قوله فيحرم) أي لكونه يظن غنيا على حد يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف (قوله والذين يصدقون بيوم الدين) أي يؤمنون به ويجزمون بحصوله فيستعدون له بالأعمال الصالحة (قوله غير مأمون) أي لا ينبغي لأحد أن يأمنه وإن بلغ في الطاعة ما بلغ فالمطلوب من الشخص أن يغاب في حال صحته الخوف وفي حال مرضه الرجاء (قوله لفروجهم حافظون) أي (٢٣٥) عن المحرمات (قوله من الإماء)

بيان لما ولشبههن بغير العاقل عبر عنهم بما إلى لغير العاقل (قوله فمن ابتغى وراء ذلك) أي طلب الاستمتاع بغير النكاح وملك اليمين (قوله المتجاوزون الحلال إلى الحرام) دخل في هذا حرمة وطء الذكور والهائم والزنا (قوله وفي قراءة بالافراد) أي وهي سبعة أيضا (قوله المأخوذ عليهم في ذلك) أي فيما اتفقوا عليه من أمر الدين والدنيا فالعهد إمامن الله أو من الخلق فالواجب حفظه وعدم

وقت مس الشر (وإذا مسه الخير منوعا) وقت مس الخير أي المال لحق الله منه (إلا المصلين) أي المؤمنين (الذين هم على صلاتهم دائمون) مواظبون (والذين في أموالهم حق معلوم) هو الزكاة (للسائل والمخروم) المتعفف عن السؤال فيحرم (والذين يصدقون بيوم الدين) الجزاء (والذين هم من عذاب ربهم مشفون) خائفون (إن عذاب ربهم غير مأمون) زوله (والذين هم لفروجهم حافظون) إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم من الإماء (فإنهم غير مأمونين) فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم المتجاوزون الحلال إلى الحرام (والذين هم لأماناتهم وفي قراءة بالافراد ما اتفقوا عليه من أمر الدين والدنيا (وعهدهم) المأخوذ عليهم في ذلك (راعون) حافظون (والذين هم بشهادتهم) وفي قراءة بالجمع (قائمون) يقيمونها ولا يكتُمونها (والذين هم على صلاتهم يحافظون) بأدائها في أوقاتها (أولئك في جنات مكرمون) فعال الذين كفروا قبلك) نحوك (مطعين) حال أي مديمي النظر (عن اليمين وعن الشمال) منك (عزيز) حال أيضا : أي جماعات حلقا حلقا يقولون استهزاء بالمؤمنين لئن دخل هؤلاء الجنة لندخلها قبلهم ، قال تعالى (أبظعم كل أمري منهم أن يَدْخُلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ . كَلَّا) ردع لهم عن طمعهم في الجنة (إنا خلقناهم) كفيهم (مما يعلمون) .

ضديعه (قوله وفي قراءة بالجمع) أي وهي سبعة أيضا (قوله ولا يكتُمونها) أي وبل يؤدونها ولو كانت تنفع العدو وتضر الحبيب فلا يخافون في الله لومة لائم (قوله بأدائها في أوقاتها) أشار بذلك للفرق بين قوله فيما سبق دائمون وقوله هنا يحافظون وحكمة تكرار ذكر الصلاة الإشارة إلى أنها أعظم من غيرها لأنها عماد الدين من أقامها فقد أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين (قوله فعال الذين كفروا) ما مبتدأ والذين كفروا خبره ، والمعنى أي شيء ثبت لهم وحملهم على نظرهم إليك والتفرق (قوله قبلك) حال وكذا قوله مطعين وعن اليمين وعن الشمال ، فالأربعة أحوال من الموصول (قوله أي مديمي النظر) أي أو مسرعين فلا إبطاء لإدانة النظر أو الاسراع (قوله عزيز) جمع عزة وهي الجماعة ، واختافوا في لام عزة فقل هي واو من عزوته أعزوه أي نسبته وقيل هي ياء فيقال عزيته أعزيه وقيل هي هاء فأصله عزته رعي كل حذفت وعوض عنها تاء التأنيث وهو مما ألحق بجمع الذكر السالم في إعرابه لكونه اسما ثلاثيا حذفت لامه وعوض عنها هاء التأنيث (قوله قال تعالى) أي ردّا عليهم هذه المقالة (قوله جنة نعيم) أضفت له لأنه ليس ليها غيره .

(قوله من نطف) أى ثم من علق ثم من مضغ ، والمعنى المقصود من هذه الآية أنهم مخلوقون من نطفة وهى لاتناسب عالم القدس لاستقدارها فمن لم يستكمل بالإيمان والطاعة ولم يتخاى بالأخلاق اللسكية لم يستعد لدخولها ، ومن هذا المعنى قول الشاعر :

يا خادم الجسم كم تشقى بخدمته أنطلب الرجب مما فيه خسران
انهض إلى الروح واستكمل فضائلها فانت بالروح لا بالجسم إنسان

(قوله إنا لنآدرون) جواب القسم (قوله على أن نبدل خيرا منهم) أى بأن نخاق خيرا غيرهم أو نحول أوصافهم فيكونوا أشد بطشا فى الدنيا وأكثر أموالا وأولادا وأعلى قدرا وأكثر حشما وخداما رجاءا فيكونوا عندك على قلب واحد فى سماع قولك وتعظيمك والسمي فى مرضاتك بدل فعل هؤلاء من الاستهزاء والتصفيق وكل ما يفضبك وقد فعل سبحانه وتعالى ما ذكر من لأوصاف بالمهاجرين والأنصار والتأبين فأعطاهم أموال الجبارين وبلادهم وصاروا ملوك الدنيا والآخرة (قوله وما نحن بمسوقين) هذا من جملة القدم عليه (قوله فذرهم) مفرع على قوله وما نحن بمسوقين أى إذا تبين لك أننا غير عاجزين عنهم ندعهم فيأثم فيه من الأباطيل (٢٣٦) ولا تاتفت لهم ففيه تهديد لهم وتسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله

بلقوا) أشار بذلك إلى أن التفاعل ليس على باب (قوله يوم) م الذى يوعدون) هو يوم كشف الطاء وأوله عند الغرغرة وآخرة النفخة الثانية ودخول كل من الفريقين فى داره وهذه الآية منسوخة بآية السيف (قوله يوم يخرجون) بدل من يومهم بدل بعض من كل (قوله سراعا) حال من فاعل يخرجون (قوله إلى نصب) متعلق بوفضون (قوله وفى قراءة

من نطف فلا يطمع بذلك فى الجنة وإنما يطمع فيها بالتقوى (فلا) لازائدة (أقسم برَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ) للشمس والقمر وسائر الكواكب (إنا لنآدرون . على أن نبدل) نأتى بدلهم (خيرا منهم وما نحن بمسوقين) بعاجزين عن ذلك (فذرهم) اتركهم (يخوضوا) فى باطلهم (ويأعبوا) فى دنياهم (حتى يلاقوا) يلقوا (يومهم الذى يوعدون) فيه العذاب (يوم يخرجون من الأجداث) القبور (سراعا) إلى المحشر (كأنهم إلى نصب) وفى قراءة بضم الحرفين : شئ منصوب كعلم أو راية (يوفضون) يسرعون (خاشعة) ذليلة (أبصارهم ترهقهم) تغشاهم (ذلة ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون) ذلك مبتدأ وما بعده الخبر ، ومعناه يوم القيامة .

(سورة نوح)

مكية ، ثمان أو تسع وعشرون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . إنا أرسلنا نوحا

بضم الحرفين) أى وهى سبعية أيضا . لاولى مفرد بمعنى العلم المنسوب الذى يسرعه الشخص عند الشدائد ، وقيل هو شبكة الصائد يسرع إليها خوف انفلات الصيد والناية بمعنى الصنم المنسوب للعبادة وقرى شدوذا بفتحين و بضم وسكون (قوله يسرعون) أى يسعون ويستبقون (قوله خاشعة) حال لما من فاعل يوفضون أو يخرجون وأبصارهم فاعل بخاشعة (قوله ترهقهم ذلة) إما مستأنفة أو حال من فاعل يوفضون والمعنى يغشاهم الدل جزاء لتعزتهم فى الدنيا عن الحق (قوله الذى كانوا يوعدون) أى فى الدنيا أن لهم فيه العذاب وهذا هو العذاب الذى طلبوه أول السورة فقد ردت عجزها لصدورها (قوله وما بعده) أى الذى هو لفظ يوم وأما الوصول وصلاته فهو صفة للخبر .

[ورة نوح] (قوله ثمان) بكسر النون وضهها وأصله على كل ثمانى حذفت الياء إما اعتباطا كيدودم فهو بضم النون والاعراب عليها أولالة نصريفية كاض فهو بكسر النون والاعراب على الياء المحذوفة (قوله إنا أرسلنا نوحا) أى على رأس الأربعين كما قال ابن عباس ، وقيل أرسل وهو ابن ثمانمائة وخمسين ، وقيل أرسل وهو ابن خمسين سنة ، وعاش فى قومه ألف سنة إلا خمسين عاما هو أطول الناس عمرا ولا يرد شعيب لأن ما جاء فى عمره رواية آحاد . ونوح أول رسول أرسل بالنبى عن الشرك لأن الشرك إنما حدث فى زمنه وأما قبله فلم يعرفوا عبادة غير الله حتى يؤمروا بتركها .

قوله إلى قومه (المراد بهم جميع أهل الأرض) قوله أي بالإنذار) أشار بذلك إلى أن أن مصدرية ويصح جعلها تفسيرية
 ن الإرسال فيه معنى القول دون حروفه (قوله في الدنيا والآخرة) أي وهو الطوفان وعذاب النار (قوله بين الإنذار) أي
 ضعه (قوله أي بأن أقول لكم الخ) أشار بذلك إلى أن أن تفسيرية ويصح كونها مصدرية كالسابقة فيصح في كل
 مما الوجهان (قوله يغفر لكم) مجزوم في جواب الأوامر الثلاثة (قوله من زائدة) أي على رأى الأخفش القائل بأنه
 يشترط في زيادتها تقدم نفي وكون مدخولها نكرة (قوله فإن الإسلام الخ) تعليل لما قبله ، والمعنى أن الإسلام يغفر به
 تقدمه من الذنوب ولو حقوق العباد فلا وأخذ بها في الآخرة (قوله لإخراج حقوق العباد) أي فإنها لا تغفر بالإسلام أي
 طالب الكافر إذا أسلم بالحدود وبالأموال التي ظلم فيها والديون المستقرة في ذمته (قوله بلا عذاب) جواب عن سؤال
 نذر كيف قال - ويؤخركم إلى أجل مسمى - مع أنه قال في الآية الأخرى - ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها - فالجواب أن
 راد بالأجل هنا أولا وثانيا العذاب وهو معلق على ترك الإيمان وفي الآية الأخرى انتهاء العمر وهو لا يتقدم ولا يتأخر آمنوا
 لم يؤمنوا (قوله مسمى) أي معلوم عند الله لا يزيد ولا ينقص (قوله) (٢٣٧) إن أجل الله) أضف لأجل

له سبحانه لأنه هو الذي
 أنبته وقد يضاف إلى
 اليوم كما في قوله إذا جاء
 أجلهم لأنه مضروب لهم
 (قوله لآمنتهم) أشار
 بذلك إلى أن لو شرطية
 (قوله فلم يزدكم دعائي)
 بفتح الياء وسكونها
 قراءتان سبعينان (قوله
 لا فرارا) مفعول ثان
 ليزدكم وهو استثناء من
 محذوف والتقدير فلم
 يزدكم دعائي شيئا من
 أحوالهم التي كانوا عاينها
 لا فرارا أي بهدا وإعراضا
 عن الإيمان (قوله وإني

إلى قومه أن أنذركم) أي بالإنذار (قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ) إن لم يؤمنوا (عَذَابُ
 لَيْلٍ) مؤلم في الدنيا والآخرة (قَالَ يَا قَوْمِ إِنَّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ) بين الإنذار (أَنْ) أي بأن
 قول لكم (أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوا وَأَطِيعُوا يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ) من زائدة فإن
 للإسلام يغفر به ما قبله أو تبعضية لإخراج حقوق العباد (وَيُؤَخِّرْكُمْ) بلا عذاب (إِلَى
 أَجَلٍ مُّسَمًّى) أجل الموت (إِنْ أَجَلَ اللَّهِ) بعذابكم إن لم تؤمنوا (إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ
 وَكَفْتُمْ تَعْلَمُونَ) ذلك لآمنتهم (قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا) أي دائما متصلا
 (فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاوِي إِلَّا فِرَارًا) عن الإيمان (وَإِنِّي كُنْتُ دَعَوْتُهُمْ لِيَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا
 صَاحِبَهُمْ فِي آذَانِهِمْ) لئلا يسمعوا كلامي (وَأَسْتَفْشُوا ثِيَابَهُمْ) غطوا رؤوسهم بها لئلا ينظروني
 (وَأَصْرُوا) على كفرهم (وَأَسْتَكْبَرُوا) تكبروا عن الإيمان (أَسْتَكْبَرُوا) ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ
 (جَهَارًا) أي بإعلانه صوتي (ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ) صوتي (وَأَمْرَزْتُ لَهُمْ) الكلام (إِفْرَارًا
 قَلْتُمْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ) من الشرك (إِنَّهُ كَانَ غَنَّارًا . يُرْسِلُ السَّمَاءَ) المطر وكانوا قد
 منعوهم (عَلَيْهِمْ مَذَرَارًا) كثير الدور (وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ)

كل دعوتهم) كلما معمول لجمعوا والجملة خبر إن ومعمول دعوتهم محذوف والتقدير إلى الإيمان بك لأجل مغفرتك (قوله
 لئلا ينظروني) أي فكروها النظر إلى من فرط كراهتهم دعوتي فقد خالفوه باطنا بالاصرار والاستكبار وظاهرا بتعطيل
 لاسماع والأبصار ولا أقبح من هذه المخالفة (قوله جهارا) إما نعت مصدر محذوف أي دعا، جهارا أحوال على حد زيد
 عدل ، والمعنى أنه فعل عليه السلام كما يفعل الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ابتداء ولا بالأهون ثم ترقى للأشد فالأشد
 فافتتح بالسرفلما لم يفدني بالجهر فلما لم يفدني بالجمع بين السر والجهر ، ونم للدلالة على تباعد الأحوال (قوله استغفروا
 بكم) أي اطلبوا منه محو ذنوبكم بأن تؤمنوا به وتتقوه فليس المراد بالاستغفار مجرد قول استغفر الله فمن لازم الاستغفار
 جعل الله له من كل هم فرجا ، ومن كل ضيق مخرجا . عن الحسن أن رجلا شكوا إليه الجذب فقال : استغفر الله ، وشكوا إليه
 آخر الفقر ، وشكوا إليه آخر قلة النسل ، وآخر قلة ربيع أرضه فأمرهم كلهم بالاستغفار ، فقال له الربيع بن صبيح : أنك
 رجال يشكرون إليك أبوابا ويستلونك أنواعا فأمرتهم كلهم بالاستغفار فتلا الآية (قوله وكانوا قد منعوهم) أي لما كذبوا نوحا
 حبس الله عنهم المطر وأعتق أرحام نساءهم أربعين سنة ، فهلكت أموالهم ومواشيهم ، فقال لهم نوح استغفروا ربكم الخ
 (قوله مذرارا) حال من السماء ولم يؤث لأن مفعلا يستوى فيه الذكر والمؤنث .

(قوله بساتين) أشار بذلك إلى أن المراد جذات الدنيا وكرر فعل الجعل ولم يقل يجعل لكم جنات وأنهارا لتغاير القمر فإن الجنات مما لهم فيها مدخل بخلاف الأنهار ، ولذا قال - يمددكم بأموال وبنين - ولم يقل يجعل لكم أنهارا ول (قوله ما لكم) خبر ، والمعنى أى شئ ثبت لكم وقوله لا ترجون جملة حالية من الكاف وقوله وقاروا أى توقيرا من الله لكم واللام بمعنى والمعنى أى شئ ثبت لكم لا تؤملون الله فى كونه يوقركم ويعظمكم بل المطلوب منكم أن ترجو وقار الله إياكم بأن تؤمنوا بالمقصود الحث على الإيمان والطاعة الواجبين لرجاء ثواب الله لأن الرجاء تعلق القلب برغوب فيه يحصل فى المستقبل مع الأسباب فى الأسباب وهو لا يكون إلا بالإيمان والطاعة (قوله وقد خلقكم) الجملة حالية من فاعل ترجون وأطوارا حال مؤولة بمنشأ أى منتقايين من حال إلى حال (قوله والنظر) أى الأمل (قوله فى خلقه) أى الإنسان ، والمعنى أن التأمل فى أحوال الأناس من أسباب الإيمان بالله تعالى (قوله تنظروا) أى نظر اعتبار وتفكر (قوله كيف خلق الله الخ) هذه الجملة سدت مسددا معنويا تروا (قوله بعضها فوق بعض) أى من غير مماسة بل بين كل واحدة والأخرى خمسمائة عام وسمك الواحدة من خمسمائة عام (قوله أى فى مجموعهن) (٢٣٨) دفع بذلك ما يقال إن القمر لم يكن إلا فى خصوص سماء الدنيا

معنى إضافته إلى السكل فاجاب بما ذكر وفيه أن المجموع لا بد فيه من تعدد أفراد وهنا ليس كذلك فالأحسن الجواب بأن السموات شفاقة فيرى السكل كأنه سماء واحدة ومافى واحدة كأنه فى السكل (قوله وجعل الشمس) أى فى حق حذف من الثانى لدلالة الأول عليه . واعلم أن القمر فى سماء الدنيا اتفقا واختاف فى الشمس فقل فى السماء الرابعة ، وقيل فى الخامسة ، وقيل فى الشتاء

بساتين (وَيَجْعَلُ لَكُمْ أَنْهَارًا) جارية (مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا) أى تأملون وقار الله إياكم بأن تؤمنوا (وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا) جمع طور ، وهو الحال فطوراً نطفة وطوراً على إلى تمام خلق الإنسان والنظر فى خلقه يوجب الإيمان بخالقه (أَلَمْ تَرَ) تنظروا (كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا) بعضها فوق بعض (وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ) أى فى مجموعهن الصادق بالسماء الدنيا (نُورًا . وَجَعَلَ الشَّمْسَ صِرَاجًا) مصباحا مضيئاً وهو أقوى من نور القمر (وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ) خلقكم (مِنَ الْأَرْضِ) إذ خلق أباكم آدم منها (نَبَاتًا . ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا) مقبورين (وَيُخْرِجُكُمْ) للبعث (إِخْرَاجًا . وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا مَبْسُوطَةً) لتسألكوا منها سُبُلًا) طرقاً (فِجَاجًا) واسعة (قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا) أى السفلة والفقراء (مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ) وهم الرؤساء المنعم عليهم بذلك وولد بضم الواو وسكون اللام وفتحهما والأول قيل جمع ولد بفتحهما كخشب وخشب وقيل بمعناه كبخل وبخل (إِلَّا خَسَارًا) طغيانا وكفراً (وَمَكْرُوا) أى الرؤساء (مَكْرًا كِبَارًا) عظيمًا جداً بأن كذبوا نوحاً وآذوه ومن اتبعه ،

فى الرابعة ، وفى الصيف فى السابعة ووجهها مما يلي السماء وقفاها مما يلي الأرض (قوله سراجا) (وقالوا) أى مثل السراج فى كونها تزيل ظلمة الليل كما يزيلها السراج (قوله وهو أقوى من نور القمر) . إن قلت إن القمر أقوى من الصباح بالمشاهدة لعمومه بالمشارك والغارب وانتشاره . أجيب بأن الضمير عائد على الضوء المفهوم من مضئنا أو يقال إن الصباح فى محل انتشاره أقوى من القمر وإن كان أوسع امتدادا منه لأن الإنسان يمكنه قراءة الخط فى الصباح دون القمر فلا يقرؤه إلا القليل من الناس (قوله خلقكم) أى أنشأكم منها فالإنبات استعارة للخلق (قوله إذ خلق أباكم آدم منها) أى أو باعتبار النطفة فإن أصلها وهو الغذاء من الأرض (قوله نباتا) مصدر لأنبت على حذف الزوائد ويسمى اسم مصدر (قوله مقبورين) حال (قوله مبسوطة) أى لامسحة فتعب من عليها (قوله فجاءا) جمع فج وهو الطريق الراسع ، وقيل هو السلك بين الجابين (قوله قال نوح) أى بعد يأسه من إيمانهم وصبره المدة الطويلة عليهم وهذا مقدمة لدعائهم عليهم (قوله إنهم عصوني) أى وعصيانى عصيان لك يارب (قوله وفتحهما) أى وهما قراءتان سبعتان (قوله ومكروا) . عطوف على صلاته من كأنه قال واتبعوا من مكروا وجمع الضمير نظرا لمعنى من وأفرد فى قوله يزده باعتبار انظها (قوله كبارا) بضم الكاف وتشديد الباء وهى قراءة العامة وقرئ شذوذا بالضم والتخفيف وهى صيغة مبالغة أيضا بمعنى الشدد والكسر والتخفيف جمع كبير .

وقالوا) عطف على الصلة أيضا (قوله ولا تذرن ودا) عطف خاص على عام (قوله بفتح الواو وضمها) أي فهما قراءتان
 ان (قوله ولا يغوث ويعوق) بغير تنوين في قراءة العامة ومنع الصرف إن كانا عربيين للعلمية ووزن الفعل وإن كانا
 من فاعلية والعجمة وقرىء شذوذا بالصرف للتناسب لأن ما قبلهما مصروف وما بعدهما مصروف (قوله ويعوق ونسرا)
 كالتنقي مع هذين لكثرة التكرار وعدم اللبس (قوله هي أسماء أصنام) أي كانوا يعبدونها وكانت أكبر أصنامهم وأعظمها
 ولذا خصوها بالذكر . وأصلها كما قال عروة بن الزبير أنه كان لآدم خمس بنين ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر وكانوا
 مات رجل منهم فحزنوا عليه فقال الشيطان أنا أصور لكم مثله إذا نظرتم إليه ذكروا قالوا ففعل فصوره في المسجد
 بغير ورصاص ثم مات آخر فصوره حتى ماتوا كلهم وصورهم فلما تقادم الزمان تركت الناس عبادة الله فقال لهم الشيطان
 لا تعبدون شيئا قالوا وما نعبد قال آلهتكم وآلهة آبائكم ألا ترون أنها في مصلاكم فعبدوها من دون الله تعالى حتى بعث
 حا عليه السلام فقالوا لا تذرن آلهتكم الآية (قوله وقد أضلوا) معمول لقول مقدر أي وقال قد أضلوا فهو معطوف على
 نوح رب إنهم عصوني (قوله دعا عليهم لما أوحى إليه الخ) جواب عما يقال إنه مبعوث لهدايتهم فكيف ساغ له
 عليهم بالضلال . فأجاب بأنه لما يئس من إيمانهم باخبار الله له (٢٣٩) بأنه لن يؤمن من قومك إلا من

قد آمن ساغ له الدعاء
 عليهم (قوله ماضلة) أي
 ومن تعليلية (قوله وفي
 قراءة) أي وهي سبعة
 أيضا (قوله فأدخلوا نارا)
 أي في الدنيا عقب
 الاغراق فكانوا يفرقون
 من جانب ويحترقون
 في الماء من جانب بقدرة
 الله تعالى وهذا ما أفاده
 المفسر ويحتمل أن المراد
 بها نار الآخرة وهو من
 التعبير بالماضي عن
 المستقبل لتحقيق الوقوع

الوا) للسفلة (لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا) بفتح الواو وضمها (ولاسوآعا
 يغوث ويعوق ونسرا) هي أسماء أصنام (وقد أضلوا) بها (كثيرا) من الناس بأن
 هم بعبادتها (ولا تزد الظالمين إلا ضلالا) عطفًا على قد أضلوا ، دعا عليهم لما أوحى
 : أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن (ممّا) ماضلة (خطاياهم) وفي قراءة خطيئاتهم
 (أغرقوا) بالطوفان (فأدخلوا نارا) عوقبوا بها عقب الإغراق تحت الماء (فلم
 يأتهم من دون) أي غير (الله أنصارا) يمنعون عنهم العذاب (وقال نوح رب لا تذرن
 الأرض من الكافرين ديارا) أي نازل دار والمعنى أحدا (إنك إن تذرنهم يضلوا
 ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا) من يفجر ويكفر ، قال ذلك لما تقدم من الإيحاء
 (رب اغفر لي ولوالدي) وكانا مؤمنين (ولمن دخل بيتي) منزلي أو مسجدي
 مؤمنا والمؤمنين والمؤمنات) إلى يوم القيامة (ولا تزد الظالمين إلا تبارا)
 كاهلكوا .

وقال نوح رب الخ) عطف على قوله قال نوح رب وما بينهما اعتراض مبين لسبب استحقاتهم العذاب (قوله أي نازل
 هذا معنى الديار في اللغة والمراد صاحب دار سواء كان نازلا بها أم لا فهو مرادف لأحد فديار من الأسماء المستعملة في النفي
 يقال ما بالديار ديار (قوله من يفجر الخ) أشار بذلك إلى أن فيه مجاز الأول لأنهم لم يفجروا وقت الولادة بل بعدها
 قال كذلك) أي قوله لا تذرن الخ وأما قوله ولا يلدوا الخ فعلمه بالتجربة لكونه عاش فيهم زمنا طويلا فعرف طباعهم
 لهم فكان الرجل ينطاق إليه بآبائه ويقول له احذر هذا فإنه كذاب وإن أبي حذرتي منه فيموت الكبير وينشأ الصغير
 لك (قوله وكانا مؤمنين) أي واسم أبيه ملك بفتححتين أو بفتح فسكون ابن متوشلخ بضم الميم وفتح التاء والواو وسكون
 وكسر اللام ابن أخدوخ وهو إدريس واسم أمه شمخا بوزن سكري بنت أنوش (قوله منزلي أو مسجدي) أي أوسفنيق
 مؤمنا) حال (قوله إلى يوم القيامة) أي من مبدأ الدنيا إلى يوم القيامة (قوله إلا تبارا) مفعول ثان لزد والاستثناء
 وفعله تبر من باب قتل ونعب ويتعدى بالتضعيف فيقال تبره والاسم التبار (قوله فأهلكوا) أي وغرقت معهم صبيانهم
 قول بأنهم لم يعقموا ومواسيهم لكن لا على وجه العقاب لهم بل لتشديد عذاب المكافين قال عليه الصلاة والسلام «يهلكون
 كأواحدة» ويصدرون مصادر شتى ، وعن الحسن أنه سئل عن ذلك فقال علم الله برأيتهم فأهلكهم بغير عذاب ، وما قيل
 بيان قوم نوح يقال في صبيان كل أمة هلكت والله أعلم .

أى التى ذكرت فيها قصة إيمان الجن برسول الله صلى الله عليه وسلم لأن رسالته عامة للانس والجن والجن أجسام نارية هوائية لها قدرة على التشكلات بالصور الشريفة والحسيسة وتحكم عليهم الصورة ، وبهذا ظهر الفرق بين الملائكة ، لأن الملائكة أجسام نورانية لها قدرة على التشكلات بالصور غير الحسيسة ولا تحكم عليهم الصورة . واخبر الجن : فقيل هم ذرية إبليس غير أن المتمرد منهم يسمى شيطانا كأن الانس أولاد آدم ، وقيل إن الجن ولد الجن والشياطين ولد إبليس ، وتون مع إبليس عند النفخة والراجح الأول فمن آمن من الجن فقد انقطعت نسبته من أبيه والتحق بآدم كافر من الانس فقد انقطعت نسبته من أبيه والتحق بإبليس (قوله أى أخبرت بالوحى) أى أخبرنى جبريل وظاهر أن النبى لم يشعر بهم ولا باستماعهم وإنما اتفق حضورهم فى بعض أوقات قراءته وبه قيل ، والصحيح أنه رآهم وعلم بهم . وعن الآيات بأن مصاب الأحياء قصة الجن مع قومهم حين رجعوا إليهم بعد استماعهم القرآن من رسول الله صلى الله عليه (قوله أنه استمع) أن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر نائب فاعل أوحى والتقدير أوحى إلى استماع (قوله نقر من الجن) انفر الجماعة ما بين الثلاثة إلى (٢٤٠) العشرة . واختلاف فى عددهم ، فقيل كانوا تسعة ، وقيل سبعة (قوله جن نصيب قرية باليمن بالصرف

(سورة الجن)

مكية ، ثمان وعشرون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . قُلْ) يا محمد للناس (أُوحِيَ إِلَيَّ) أى أخبرت بالوحى الله تعالى (أَنَّهُ) الضمير للشأن (أَسْتَمِعُ) لقراءتى (نَقَرٌ مِنَ الْجِنِّ) جن نصيبين وذلك فى صلاة الصبح يبطن نخل موضع بين مكة والطائف وهم الذين ذكروا فى قوله تعالى : وإذ صرنا إليك نفرًا من الجن الآية (فَقَالُوا) لقومهم لما رجعوا إليهم (إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا) يتمعجب منه فى فصاحته وغزارة معانيه وغير ذلك (يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ) الإيمان والصواب (فَأَمَّا يَا وَيْلَتَا لِمَ لَاقَيْنَا شُرَكَاءَ) بعد اليوم (رَبَّنَا أَخَذْنَا) الضمير للشأن فيه وفى الموضوع بعده (تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا) تنزه جلاله وعظمته عما نسب إليه (مَا أَخَذَ صَاحِبَةُ) زوجه (وَلَا وَلَدًا . وَإِنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا) جاهلنا (عَلَى اللَّهِ شَطَطًا) غلوا فى الكذب يوم بالصاحبة والولد (وَإِنَّا ظَنَنَّاهُ أَنْ) ،

قرية باليمن بالصرف على الأصل وعدمه للعامة والعجمة (قوله فى صلاة الصبح) وذلك أنه سار النبى صلى الله عليه وسلم فى جملة من أصحابه قاصدين سوق عكاظ وهو سوق معروف بقرب مكة كانت العرب تقصده فى كل سنة مرة فى الجاهلية وأول الاسلام وكان فى ذلك الوقت قد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء فقال بعضهم لبعض ماذاك إلا من شئ حدث فاضربوا مشارق الأرض

ومغاربها لتنظروا ما الذى حال بيننا وبين السماء حتى منعنا بالشهب فانطلق جماعة منهم فمروا بالنبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهو يصلى الصبح يقرأ فيها سورة الرحمن وقيل اقرأ باسم ربك وكان يبطن قاصدين سوق عكاظ فلما سمعوا القرآن قالوا هذا الذى حال بيننا وبين خبر السماء فرجعوا إلى قومهم فقالوا يا قومنا إنا قرأنا عجباً الخ (قوله بين مكة والطائف) بينه وبين مكة مسيرة ليلة (قوله فى فصاحته) فى معنى من فهو يدل عما قبله أو هو (قوله وغزارة معانيه) أى كثرتها (قوله وغير ذلك) كالأخبار بالمغيبات (قوله ولن نشرك ربنا أحدا) هذا يدل على كانوا مشركين ، وروى أنهم كانوا يهودا ، وقيل إن منهم يهودا ونصارى ومجوسا ومشركين (قوله وفى الموضوعين بعده) أى وأنه كان يقول وأنه كان رجال واسم كان ضمير الشأن والجملة بعدها خبرها وهى واسمها وخبرها خبر أن (قوله جد ربنا) يطلق على معان منها العظمة وهى المرادة هنا ومنها الغنى والخط ومنه «ولا ينفع ذا الجدم منك الجد» ومنها أبوالأب وأما الجد بال فهو السرعة فى الشئ ضد التأني (قوله ما اتخذ صاحبة ولا ولدا) هذه الجملة مفسرة لما قبلها (قوله وإنا ظننا الخ) اعتذار هؤلاء انفر عما صدر منهم قبل الإيمان من الشرك وإيضاحه أنهم يقولون إنا ظننا واعتقدنا أن أحدا لا يكذب على الله ما قاله سفاهاً من نسبة صاحبة والولد إليه حق وصدق فلما سمعنا القرآن أسلمنا وعلمنا أنه كذب .

(قوله مخفية) أي واسمها ضمير الشأن مضمرة والجملة النفية خبرها (قوله كذبا) نعت مصدر محذوف أي قولا كذبا (قوله بوصفه بذلك) أي بالصاحبة والولد (قوله حتى تبيننا كذبهم) أي ظهر لنا (قوله قال تعالى) أشار بذلك إلى أن هذه المقالة والى بعدها من كلامه تعالى مذكورتان في خلال كلام الجن المحكي عنهم وهو أحد قولين وقيل إنهما أيضا من كلام الجن (قوله كان رجال) أي في الجاهلية (قوله حين ينزلون إلخ) أي وذلك أن العرب كانوا إذا نزلوا واديا عيبت بهم الجن في بعض الأحيان لأنهم كانوا لا يحصون بذكر الله وإليس لهم دين صحيح فمأهمل ذلك على أن يستجبروا بعظماهم فكان الرجل يقول عند نزوله أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه فبيدت في أمن وجوار منهم حتى يصبح فلا يرى إلا خبيرا وربما هدوه إلى الطريق وردوا عليه ضالته وأول من تعوذ بالجن قوم من اليمن من بني حنيفة ثم فشا في العرب فلما جاء الإسلام صار التعوذ بالله لا بالجن (قوله فزادهم) الواو عبارة عن رجال الانس والهاء عبارة عن رجال الجن (قوله فقالوا) أي الجن المستعاذ بهم (قوله سدا الجن) بضم السين أي حصات لنا السيادة على الجن غيرنا لقهرنا إياهم وسدنا الانس الذين استعاذوا بنا وهذه المقالة بسبب الطغيان (قوله أن لن يبعث الله أحدا) هذه الجملة سادة مسددة مفعولى الظن والمسئلة (٢٤١) من باب التنازع أعمل الثاني

وأضمر في الأول وحذف (قوله رمنا) أي قصدنا وطلبنا (قوله فوجدناها) مائت إلخ) الضمير مفعول أول لوجد وجملة مائت مفعول ثان لحسا وحرسا تمييز جمع حارس نخدم وخادم (قوله وشهبا) جمع شهاب ككتب وكتاب (قوله نجوما محرقة) المناسب أن يقول شهبا لأن الشهاب شعله من نار تنصل من السكواكب وتقدم ذلك عن المفسر (قوله وذلك) أي امتلاؤها

مخفية: أي أنه (لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) بوصفه بذلك حتى تبيننا كذبهم بذلك قال تعالى (وَإِنَّهُ كَانَ رَبَّالْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ) حين ينزلون في سفرهم بمخوف فيقول كل رجل أعوذ بسيد هذا المكان من شر سفهائه (فَزَادُوهُمْ) بعوذهم بهم (رَهَقًا) طغيانا فقالوا سدنا الجن والانس (وَإِنَّهُمْ) أي الجن (ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ) يا انس (أَنْ) مخفية: أي أنه (لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا) بعد موته قال الجن (وَإِنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ) رُمنا استراق السمع منها (فَوَجَدْنَاَهَا مَأْمُوتًا حَرَسًا) من اللانكسة (شَدِيدًا وَشُهُبًا) نجوما محرقة وذلك لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم (وَإِنَّا كُنَّا) أي قبل مبعثه (نَقُودُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ) أي نستمع (فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ) شِهَابًا رَصَدًا) أي أرصده ليرى به (وَإِنَّا لَأَنْذِرِي أُمَّتِي أُرِيدَ) بعدم استراق السمع (يَمْنًا فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا) خيرا (وَإِنَّا مِنَ الصَّالِحِينَ) بعد استماع القرآن (وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ) أي قوم غير صالحين (كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا) فرقا مختلفين مسلمين وكافرين ،

بالحرس وشهب (قوله مقاعد للسمع) أي لأجل الاستماع (قوله الآن) ظرف حال والمراد الاستقبال . والحاصل أن الشياطين كانوا ولا يسترقون السمع فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سموات بغير شهب فلما ولد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها بالشهب فلما بعث ازداد تساقط الشهب حتى ملأ الفضاء وصارت لا تخطئهم فمنعوا من الصعود بالسكابة لكن ما زالوا يتوجهون إلى الصعود فتعاجلهم الشهب (قوله رصدا) صفة لشهابا وهو بمعنى اسم المفعول أي مرصودا له (قوله أشر أريد إلخ) قيل القائل ذلك إبليس وقيل الجن فيما بينهم قبل أن يستمعوا قراءة النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى لا أندري أشر أريد بمن في الأرض بإرسال محمد صلى الله عليه وسلم إليهم فأنهم يكذبون ويهلكون بتكذيبه أم أراد أن يؤمنوا فبهتدوا فالشر والرشد على هذا الايمان والكفر (قوله ومنا دون ذلك) منا خبر مقدم ودون مبتدأ مؤخر إما بمعنى غير وفتح لاضاءه لفسير متمكن أو صفة المحذوف تقديره ومنا فريق دون ذلك وحذف الموصوف مع من التبعيضية كثير ومن ذلك قولهم منا ظعن ومنا أقام أي منا فريق ظعن إلخ (قوله أي قوم غير صالحين) أي غير مسلمين (قوله كنا طرائق) أي ذوي مذاهب مختلفة وأديان متفرقة (قوله قيدا) جمع قدة بالكسر وهي في الأصل الطريق والسيرة [٣١ - صاوي - رابع] فاستعملها في الفرق مجاز .

(قوله وأنا ظننا) أى علمنا وتيقنا (قوله فى الأرض) حال وكذا قوله : هربا (قوله بتقدير هو) أى بعد الفاء فهو اسمية ولولا ذلك لحذفت الفاء وجزم جوابا للشرط (قوله وأنا من السالون) أى وأنا بعد سماعنا القرآن مختلفون فما أسلم ومنا من كفر (قوله الجاثرون) أى فالقاسط الجائر ، وأما المقسط فهو من أقسط بمعنى عدل وأعاد هاتين الجملتين ذكرهما أولا ليصرح بمجازاة للسلم وضده (قوله فكانوا للجهنم خطبا) إن قلت الجن مخلوقون من النار فكيف يعذبون ؟ أجيب بأنهم وإن خلقوا منها لكن هم ضعاف والنار قوية وقوى النار يأكل ضعيفها (قوله وأنا وأنهم وأنه) مبني وقوله فى اثني عشر موضعا خبر أول وقوله بكسر الهمزة خبر ثان وقوله هى مبتدأ وأنه تعالى الخ خبر والجملة اعتراضية لبيان الاثنى عشر وقوله وأنا : أى فى ثمان مواضع ، وأناظننا وأنا لمسننا الخ وقوله وأنهم أى فى موضع واحد وأنهم ظنوا وقوله وأنه فى ثلاثة مواضع : وأنه تعالى ، وأنه كان يقول ، وأنه كان رجال ، فصح قوله فى اثني عشر موضعا وقوله وأنه تعالى أى هى أولها وآخر وأنا من السالون وما بينهما أى بين الأول والآخر وهو عشرة مواضع ، وقبل هذه الاثنى عشر موضعان : أحدهما بالفتح لا غير استمع نفر . وثانيهما بالكسر لا غير إنا سمعنا قرآنا عجبا وبعدهما موضعان أحدهما بالفتح لا غير : وأن المساجد لله . وثانيهما فى الوجهان : وأنه لما قام عبد الله (٢٤٢) فالجملة ستة عشر علم تفصيلا فتدبر (قوله بما يوجه به) أى بأن يؤيد

صدر أو يعطف على المصدر
(قوله قال تعالى فى كفار مكة) أشار بذلك إلى أن
وإن لو استقاموا إلى آخره
ليس متعلقا بالجن بل
هو من جملة الموحى به
(قوله وهو معطوف على
أنه استمع) أى والتقدير
أوحى إلى استماع نفر
وكونهم لو استقاموا الخ
(قوله لو استقاموا على
الطريقة) أى لو آمن
هؤلاء الكفار لسطنا لهم
الرزق ووسعنا عليهم
فى الدنيا زيادة على

(وإنا ظننا أن) مخففة : أى أنه (لأن نعوذ بالله فى الأرض ولن نمجزه هربا) أى لا تقوته كائنين فى الأرض أو هارين منها إلى السماء (وإنا لما سمعنا الهدى القرآن آمنا به فمن يؤمن بربّه فلا يخاف) بتقدير هو بعد الفاء (بخسا) قصا من حسناته (ولا رهما) ظلما بالزيادة فى سيئاته (وإنا منّا المسلمون ومنّا القاسطون) الجاثرون بكفرهم (فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا) قصدوا هداية (وإنا القاسطون فكانوا لجهنم خطبا) وقودا ، وإنا وإنهم وإنه فى اثني عشر موضعا هى : وأنه تعالى وأنا منّا المسلمون وما بينهما بكسر الهمزة استئنافا وفتحها بما يوجه به قال تعالى فى كفار مكة (وأن) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أى وأنهم وهو معطوف على أنه استمع (أو استقاموا على الطريقة) أى طريقة الإسلام (لأستقيناهم ماء غدقا) كثيرا من السماء ، وذلك بعد ما رفع المطر عنهم سبع سنين (انفتحهم فيه) لنختبرهم (فيه) فنعلم كيف شكرهم علم ظهور (ومن يمرض عن ذكر ربّه) القرآن (نساكهم) بالنون والياء ،

ما يحصل لهم فى الآخرة من النعيم الدائم فيحوزون عزّ الدنيا والآخرة والعامة على كسر داولو على الأصل ندخله
وقرى شدّذا بضمها تشبيها بواو الضمير (قوله أى طريقة الاسلام) أى بالعمل بها وهو امتثال الأمور واجتناب المنهيات (قوله لأستقيناهم الخ) ليس المراد خصوص السقيا بل المراد التوسعة عليهم فى الدنيا وبسط الرزق ، وإنما اقتصر على ذكر الماء لأن الخير وا زق كله فى الماء فهو أصل الأرزاق . قال عمر رضى الله عنه : أينما كان الماء كان المال وأينما كان المال كانت الفتنة (قوله غدقا) بفتحين فى السبع وقرى شدّذا بفتح العين وكسر الدال وهو مصدر غدق من باب تعب ، يقال غدقت عينه تغدق أى هطل دمعها وغدقت العين غدقا كثيرا وها (قوله وذلك) أهم الإشارة عائد على معلوم من السياق والتقدير ونزول الآية كان بعد ما رفع الخ (قوله لنفتحهم فيه) أى الماء وفى السببية (قوله علم ظهور) أى للخلائق وإلا فهو تعالى لا يخفى عليه شئ فالعلم ليعلمهم متعاق علمنا ، وفى الآية معنى إشارى للصوفية وهوان العباد لو حصلت منهم الاستقامة على الطريقة بالانهماك فى مرضات الله تعالى إلا الله قلوبهم بالأسرار والمعارف والحبة الشبيهة بالماء فى كونها حياة الأرواح كما أن الماء حياة الأجسام فيحصل لهم سبب ذلك الفتنة فيه بأن يسكروا ويطربوا ويدهشوا ويخرجوا عن الأهل والأوطان فلاستقامة سبب للرزق الظاهرى والباطنى (قوله بالنون والياء) أى فهما قرأتان سبعيتان .

(قوله قد خذ) أشار بذلك إلى أنه ضمن ذلك معنى تدخل فعلاه للقول الثاني بنفسه (قوله صعدا) مصدر صعد بكسر
 عين كفرح وصف به العذاب على تأويله باسم الماعل (قوله شاقا) هذا تفسير باللازم والإلغى الصدود العلو والارتفاع
 قوله وأن الساجد لله) هو من جملة الوحي به أى وأوحى إلى كرون الساجد محضه بالله . واختلاف في المراد بالمساجد
 بل هي جمع مسجد بكسر الجيم وهو موضع السجود فالمراد بها جميع البقاع ، لأن الأرض جعلت كلها مسجدا لهذه الأمة ،
 قيل هي مسجد بالفتح وهو الأعضاء الواردة في الحديث : الجبهة والأنف والركبتان واليدين والقدمان ، والمعنى أن هذه
 أعضاء نعم أنعم الله بها عليك فلا تسجد لغير الله فتجحد نعمة الله ، وقيل المراد بها الأما كن المبنية للعبادة وإضافة المساجد إلى
 تعالى للتشريف والتكريم وقد نسب لغيره على سبيل التعريف كما في الحديث « صلاة في مسجدي هذا خير من ألف
 صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام » (قوله فلا تدعوا مع الله أحدا) أى لا تعبدوا غير الله فهو تو بيبخ المشركين في عبادتهم
 أصنام ، وقيل المراد أفردوا المساجد بذكر الله تعالى ولا تجعلوا لغير الله فيها نصيبا لما في الحديث « من شذ ضالة في المسجد
 ولو لا إردتها الله عليك فإن المساجد لم تكن لهذا » ، وفي الحديث أيضا « كان إذا دخل المسجد قدم رجله اليمنى وقال وأن
 ساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا ، اللهم ناعبدك وزأرك وعلى كل (٢٤٣) مزور حق وأنت خير مزور فأسألك
 برحمتك أن تفك رقبتى

دخله (عذابا صعدا) شاقا (وأن المساجد) مواضع الصلاة (لله فلا تدعوا) فيها (مع
 الله أحدا) بأن تشركوا كما كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعتهم أشركوا
 (وأنه) بالفتح والكسر استثناء والضمير للشأن (لما قام عبد الله) محمد النبي صلى الله
 عليه وسلم (يدعوه) يعبد به بطن نخل (كادوا) أى الجن المستمعون لقراءته (يكونون
 عليه لبدا) بكسر اللام وضمها جمع لبدة كاللبد في ركوب بعضهم بعضا ازدحاما حرصا على
 جمع القرآن (قال) مجيبا للكفار في قولهم ارجع عما أنت فيه وفي قراءة قل (إنما أَدْعُوا
 رَبِّي) إلها (ولا أشرك به أحدا) قل إني لا أملك لكم ضرا) غيا (ولا رَشدا) خيرا
 (قل إني لن يُحْيِيَنِي مِنَ اللَّهِ) من عذابه إن عصيته (أحد وأن أحد من دونه) أى غيره
 (مُلْتَجَا) ملتجأ (إلا بلاغا) استثناء من مفعول أملك . أى لا أملك لكم إلا البلاغ إليكم
 (من الله) أى عنه (ورسلاته) ،

برحمتك أن تفك رقبتى
 من النار ، وإذا خرج
 من المسجد قدم رجله
 اليسرى وقال اللهم صب
 على الخبز صبا ولا تنزع
 عني صالح ما أعطيتني
 أبدا ولا تجعل مهبلي
 كذا واجعل لي في الأرض
 جـدا هـ أى غنى (قوله
 وأنه لما قام عبد الله الخ)
 سياق هذه الآية إنما
 يظهر في المرة الثانية
 وهي التي كانت في الحجون
 وكان معه فيها ابن
 مسعود وكان الجن إذ

ذلك نفي عشر ألفا ، وقيل سبعين ألفا وبيع جميعهم وفرغوا من بيعته عند انشقاق الفجر ، ووصفه الله
 بالعبودية زيادة في تشريفه وتكرمه (قوله بطن نخل) المناسب أن يقول يحجون مكة وهي المرة الثانية ، وأما الأولى التي
 هي بطن نخل فكانوا سبعة أو سبعة ثلاثين قوله : كادوا يكونون عليه لبدا (قوله بكسر اللام وضمها) أى فهم قراءت
 سبعيتان (قوله جمع لبدة) أى بكسر اللام كسدة وسدر على قراءة الكسر أو ضمها كغرفة وغرف على قراءة الضم (قوله
 قال إنما أَدْعُوا رَبِّي الخ) سبب نزولها أن كفار قريش قالوا له : إنك جئت بأمر عظيم وقد عادت الناس كلهم فارجع
 عن هذا ونحن نجبرك ونهضرك (قوله وفي قراءة قل) أى وهي سبعة أيضا وعابها في الكلام التفات من القيبة للخطاب
 (قوله إلها) قدره إشارة إلى أن أدعوا بمعنى أعتقد فتعدي لمفعولين ولو فسرهما بأعبد لاستغنى عن هذا التقدير (قوله
 ضيا) أشار بذلك إلى أن المراد بالضر التي فإطلق المسبب وأريد السبب فإن الضر سببة التي فهو مجاز مرسل وكذا يقال في
 نوحه : ولا رشدا (قوله قل إني لن يحْيِيَنِي مِنَ اللَّهِ الخ) بيان لعجزه عن شئون نفسه بعد بيان عجزه عن شئون غيره (قوله استثناء
 من مفعول أملك) أى من مجموع الأمرين وهما قوله ضرا ورشدا بعد تأويلهما شيئا كأنه قال لا أملك لكم شيئا
 إلا بلاغا فهو استثناء متصل ، وجملة : قل إني لن يحْيِيَنِي الخ معترضة بين المستثنى والمستثنى منه أتى بها لتأكيد نفي الاستطاعة

(قوله عطف على بلاغا) أى كأنه قال لا أملاك لكم إلا التبليغ والرسالة ، والمعنى إلا أن أباع عن الله فأقول قال الله كذا وأن أباع رسالته أى أحكامه التى أرساني بها من غير زيادة ولا نقصان (قوله فى التوحيد) أخذ ذلك من قوله : خالدين فيها أبدا ، لأن الخلود قرينة كون الراد بالعاصي الكافر (قوله فإن له نار جهنم) العامة على كسر ن لونها بعين فاء الجزاء وقرىء شذوذاً بفتحها على أنها مع ما فى خبرها فى تأويل مصدر خبر المحذوف والتقدير جزاؤه أن له نار جهنم (قوله فى له) أى حال من الهاء المجرورة باللام (قوله فسيهون) جواب إذا والسين لجرد التأكيذ للاستقبال لأن وقت رؤية العذاب يحصل العلم المذكور (قوله من أضعف ناصرا) من إما استفهامية مبتدأ وأضعف خبره أو موصولة وأضعف خبر المحذوف أى هو أضعف والجملة صلة الوصول وناصريا وعددا تمييزان محوّلان عن المبتدأ على حد : أنا أكثر منك مالا (قوله أو أنا) الضمير للنبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا التوزيع تكلف لاداعي له بل يصاح كل من المعنيين لكل من القولين (قوله فقال بعضهم) هو الضرب بن الحارث (٢٤٤) وقال هذا استهزاء به صلى الله عليه وسلم وإنكارا للعذاب (قوله

قريب) مبتدأ أو ما توعدون فاعل سدد مسد الخبر ومأموصولة وعاندها محذوف أو مصدرية (قوله من العذاب) بيان لما (قوله لا يعلمه إلا هو) صفة لأجلا (قوله عالم الغيب) بالرفع فى قراءة العامة على أنه بدل من ربى أو خبر المحذوف وقرىء شذوذاً بالنصب على المدح وقرىء شذوذاً علم الغيب فعلا ماضيا ناصبا للغيب (قوله ما غاب به) المناسب حذف قوله به (قوله فلا يظهر على غيبه أحدا) أى إظهارا تاما كاملا يستحيل

عطف على بلاغا ، وما بين المستثنى منه والاستثناء اعتراض لتأكيد فى الاستطاعة (وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) فى التوحيد فلم يؤمن (فإن له نار جهنم خالدين) حال من ضمير من فى له رعاية لعناها وهى حال مقدرة ، والمعنى يدخلونها متدرا خلودهم (فيها أبدا حتى إذا رأوا) حتى ابتدائية فيها معنى الغاية لمقدر قبلها أى لا يزالون على كفرهم إلى أن يروا (ما يوعدون) من العذاب (فسيهون) عند حلوله بهم يوم بدر أو يوم القيامة (من أضعف ناصرا وأقل عددا) أعوانا أم أم المؤمنين على القول الأول أو أنا أم هم على الثانى فقال بعضهم متى هذا الوعد فنزل (قل إن) أى ما (أدري أقرب ما توعدون) به من العذاب (أم يجعل له رزقا مددا) غاية وأجلا لا يعلمه إلا هو (عالم الغيب) ما غاب به عن العباد (فلا يظهر) يطالع (على غيبه أحدا) من الناس (إلا من أرتضى من رسول فإنه) مع اطلاعه على ما شاء منه معجزة له (يذلك) يجعل ويسير (من بين يديه) أى الرسول (ومن خلفه رصدا) ملائكة يحفظونه حتى يبلغه فى جملة الوحي (ليعلم) الله علم ظهور (أن) مخفة من الثقيلة أى أنه (قد أبلغوا) أى الرسل (رسالات ربهم) روعى بجمع الضمير معنى من ،

تخلّفه فليس فى الآية ما يدل على نفي كرامات الأولياء المتعلقة بالكشف ، ولكن اطلاع الأنبياء على الغيب أقوى من اطلاع الأولياء لأن اطلاع الأنبياء يكون بالوحي وهو معصوم من كل نقص بخلاف اطلاع الأولياء فعصمة الأنبياء واجبة وعصمة الأولياء جائزة (قوله إلا من ارتضى) أى إلا رسولا ارتضاه لإظهاره على بعض غيبه فإنه يظهره على ما يشاء من غيبه (قوله فإنه يسلك الخ) تقرير وتحقيق للاظهار المستفاد من الاستثناء كأنه قال إلا من ارتضى من رسول فإنه إذا أراد إظهاره على غيبه جعل له ملائكة من جميع جهاته يحرسونه من تعرض الشياطين له (قوله ملائكة يحفظونه) أى من الجن ، قال قتادة وغيره : كان الله سبحانه وتعالى إذا بعث رسولا أنه إبليس فى صورة ملك يحبره سبحانه من بين يديه ومن خلفه رصدا من الملائكة يحرسونه ويطردون الشياطين عنه فإذا جاءه شيطان فى صورة ملك أخبروه بأنه شيطان فيحذروه فإذا جاءه ملك قالوا له هذا رسول ربك (قوله ليعلم الله الخ) متعلق بيسلك غاية له وقوله فلم يظهر دفع به ما قد يتوهم من قوله يعلم أن العلم متجدد ، فأجاب بأن المعنى ليظهر متعاقب علمه (قوله رسالات ربهم) أى كما هى محفوظة من الزيادة والنقصان (قوله معنى من) أى فى قوله من ارتضى

قوله وأحاط بما لديهم) ضمير عائذ على الرسل والملائكة ، والمعنى أحاط علمه بما عند الرسل والملائكة (قوله وأحصى كل شيء) (ددا) أي من القطار والرمل وورق الأنجار وزبد البحار وجميع الأشياء جليلها وحقيقها وهذا كالتعليل لقوله وأحاط بما لديهم .
 [سورة المزمل مكية] أي وهو قول الجمهور لأنها أول ما نزل بعد آية اقرأ وقوله أو لإقوله الخ هذا قول النعابي وعليه فهو نسخ لأول السورة وليس في القرآن سورة نسخ آخرها أولها سواها ولم ينزل آخرها عقب أولها بل بينهما مدة أكثر ما قيل لها عشر سنين (قوله يأيتها المزمل) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم . واختلاف في معنى المزمل فقليل المتلفف بذيابه وهو مامشي عليه المفسر وقيل المزمل بالنسبة والمدثر بالرسالة وقيل المزمل بالقرآن وقيل معناه يأيتها الذي زمّل هذا الأمر أي حمّله . واعلم أن هذا الوصف أثبتته العلماء من جملة سماته صلى الله عليه وسلم وهو الصحيح وخالف في ذلك السهيلي محجاً بأنه اسم مشتق من له التي كان عليه حين الخطاب ، وردّ بأن هذا لا يضر في التسمية وأيضاً فأسماؤه صلى الله عليه وسلم توقيفية وقد ورد نداؤه به القرآن وحينئذ فيجوز لنا أن نطلقه عليه (قوله أدغمت التاء في الزاي) أي بعد قلبها زاي (قوله حين مجىء الوحي) أي جبريل ابتداء الرسالة بعد أن جاءه بأقرأ باسم ربك . وذلك أنه صلى الله عليه وسلم لما جاءه الوحي في غار حراء رجع إلى خديجة زوجته جف فؤاده فقال زمّلوني زمّلوني لقد خشيت على نفسي أي من عدم القيام بحقه لهيبته وجلاله فقالت له

(٢٤٥)

خديجة وكانت وزيرة صدق رضى الله عنها كلا والله ما يخزيك الله أبدا إنك تصل الرحم وتقرى الضيف وتبين على نواب الحق (قوله قم الليل) العامة على كسر الميم لالتقاء الساكنين وقرى شذوذا بضمها وفتحها والليل ظرف للقيام على طريقة البصريين أو مفعول به على طريقة الكوفيين والأمر للوجوب . واختلاف فيه ، فقليل كان واجبا عليه وعلى أمته ، وقيل كان

وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ) عطف على مقدر : أي فلم ذلك (وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا) تمييز هو محمول عن المفعول ، والأصل أحصى عدد كل شيء .

(سورة المزمل)

مكية ، أو لإقوله : إن ربك يعلم إلى آخرها فمدني ، تسع عشرة أو عشرون آية
 (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . بِأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ) النبي وأصله المزمل أدغمت التاء في الزاي : أي المتلفف بذيابه حين مجىء الوحي له خوفاً منه لهيبته (قُمِ اللَّيْلَ) صل (إِلَّا لَيْلًا . نِصْفَهُ) بدل من قليلاً وقلته بالنظر إلى الكل (أَوْ أُنْقُصْ مِنْهُ) من النصف (لَيْلًا) إلى الثالث (أَوْزِدْ عَلَيْهِ) إلى الثنتين ، وأول للتخيير (وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ) تثبت في تلاوته (تَرْتِيلًا . إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا) قرآنا (ثَقِيلًا) مهيبا ، أو شديدا لما فيه من التكاليف (إِنْ تَاشَأْ لَّيْلًا)

اجبا عليه وعلى جميع الأنبياء قبله ، وقيل خاص به صلى الله عليه وسلم ثم نسخ النعيين بآخر السورة ثم نسخ بالصوات الخمس قوله صل) أي فالمعنى قم للصلاة والعبادة (قوله وقلته الخ) جواب عما يقل إن النصف مساو للنصف الآخر لا قليل فأجاب أنه يوصف بالقلّة بالنظر لكل الليل لا بالنظر للنصف الآخر (قوله إلى الثالث) أي انقص من النصف الذي تنامه فمعناه قم ثلثي ليل وقوله إلى الثنتين : أي زد على النصف الذي تنامه حتى تباه اثنتين فمعناه قم ثلث الليل فتحصل أن المعنى قم نصف ليل أو ثلثيه أو ثلثه فهو من الواجب الخير (قوله ورتل القرآن) أي في أثناء قيامك . والمعنى اقرأه بترتيل وتؤدة وسكينة وقار (قوله إنا سنلقى الخ) هذه الجملة معترضة بين الأمر بقيام الليل وتعاليه بقوله إن ناشئة الليل وفي الحاشية هذه الجملة أيضا صاحب أن تكون علة الأمر بقيام الليل كأنه قال قم الليل انتهاء لتحمل القول الثقيل الذي سننزل عليك (قوله مهيبا) أي عظيما جليلا . واختلاف في معنى كونه ثقيلا ، فقال قتادة ثقيل والله فرائضه وحدوده وقال مجاهد حلاله وحرامه ، وقال محمد بن كعب ثقيل على المنافقين لأنه يهتك أسرارهم ويبطل أديانهم ، وقيل ثقيل بمعنى كريم ، وقيل ثقيل لا يحمله إلا قلب مؤيد لتوفيق ونفس مزينة بالتوحيد وأجمع من هذا أن معناه كثير الفوائد والمعاني لا يدركه عقل واحد فهو كالبحر المحيط الذي ينقص بالاختلاف لجميع العلماء المتقدمين والمتأخرين يفترون منه .

لها معان كروج البحر في مدد وفوق جوهرة في الحسن والقيم
فلا تعد ولا تحصى عجائبها ولا تنام من الاكثار بالسأم

ومأمى عليه الفسر من أن المراد بالقول القرآن هو أحد أقوال ، وقيل إن المراد به الوحي لما في الحديث وأنه صلى الله عليه وسلم كان إذا أوحى إليه وهو على ناقته وضعت صدرها على الأرض لما تستطيع أن تتحرك حتى يسرى عنه ، وقالت عائشة ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا ، وقيل القول الثقيل هو قول لا إله إلا الله لما ورد أنها خفيفة على اللسان ثقيلة في الميزان (قوله القيام بعد النوم) أشار بذلك إلى أن ناشئة مصدر نشأ إذا قام ونهض كالعاقبة والعافية ويصح أن تكون صفة لمحدوف : أي أن النفس الناشئة بالليل أي القائمة فيه أشد وطأ الخ (قوله وطأ) تمييز من جهة المواطأة أي الموافقة فيها (قوله موافقة السمع للقلب) أي أن هذا الوقت توافق الحواس القلب فكل ما وقع في الحواس وعاه القلب لحال القاب عن الشواغل فلا مفهوم لقول المفسر السمع ، وفي وطأ قراءتان سبعيتان كسر الواو وفتح الطاء بعدها ألف وفتح الواو وسكون الطاء بعدها همزة ومعناها ما قاله المفسر (قوله أبين قولا) أي أصوب قراءا وأصح قولا من النهار لسكون الأصوات (قوله سبحا طويلا) السبح مصدر استعبر من السباحة في الماء للتصرف في الأشغال (قوله لا تفرغ) فيه الخ (أي فعليك بها في الليل الذي هو محل الفراغ وفرغ من باب دخل

(قوله أي قل بسم الله الرحمن الرحيم الخ) تبع في ذلك السهيلي ، وقال جمهور المفسرين إن قوله وإن كرام ربك عام بعد خاص والمعنى دم عليه ليلا ونهارا على أي وجه كان من تسبيح وتحميد ونهايل ونحو ذلك (قوله انقطع إليه في العبادة) أي أخص العبادة لوجهه (قوله مصدر بتل)

القيام بعد النوم (هي أشد وطأ) موافقة السمع للقلب على تفهم القرآن (وأقوم قبيلا) أبين قولا (إن لك في النهار سبحا طويلا) تصرفا في أشغالك لا تفرغ فيه لتلاوة القرآن (وأذكر أمم ربك) أي قل بسم الله الرحمن الرحيم في ابتداء قراءتك (وتبتل) انقطع (إليه) في العبادة (تبتلا) مصدر بتل جى به رعاية للأواصل وهو ملزوم التبتل ، هو (رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا) موكولا له أمورك (وأصبر على ما يقراون) أي كفار مكة من أذاهم (وأهجرهم هجرأ جميلا) لاجزع فيه وهذا قبل الأمر بقتالهم (وذرنى) اتركنى (والمكذبين) عطف على المفعول أو مفعول معه ، والمعنى أنا كافيتهم وهم صناديد قريش (أولى النعمة) التمتع (ومم لهم قايلا) من الزمن فقتلوا بعد يدبر منه بيدر ،

أي كعلم عليها على حد قول ابن مالك :

(إن)

وغدير ذي ثلاثة مقيس مصدره كقدس التقديس

وهذا إشارة لسؤال حاصله أن هذا المصدر ليس لهذا الفعل وإنما هو مصدر لفعل آخر : أجاب عنه بجوابين الأول قوله جى به رعاية الفواصل والثاني قوله وهو ملزوم التبتل . وإيضاحه أن التبتل الذي هو مصدر بتل كقدس أطلق وأريد التبتل الذي هو مصدر بتل ككرم لكونه لازما له ومن مادته (قوله هو رب المشرق) أشار بذلك إلى أن قوله رب المشرق بالرفع خبر لمحدوف ويصح قراءته بالجر بدل من ربك والقراءتان سبعيتان (قوله فاتخذه وكيلا) نتيجة ما قبله والمعنى حيث علمت أنه مالك المشرق والمغرب ولا إله غيره فاعتمد عليه وفوض أمورك إليه (قوله وأصبر على ما يقولون) هذا شروع في بيان كيفية معاملته للخلق إثر بيان كيفية معاملته للخالق (قوله وأهجرهم هجرأ جميلا) أي بأن تذرهم ولا تكافهم بأفعالهم فاهجر الجليل هو الترك مع عدم الإيذاء (قوله وهذا قبل الأمر بقتالهم) أي فهو منسوخ بآية القتال (قوله وذرنى والمكذبين) أي فلا تشفع لهم ولا تجل بيني وبينهم بل اتركني أنتقم منهم وهذا من مزيد تعظيم الله له صلى الله عليه وسلم وإجلال قدره (قوله أولى النعمة) نعمت المكذبين والنعمة بالفتح التمتع والكسر الشئ المنعم به وبالضم السرور (قوله ومم لهم قايلا) أي بأنهم غي أنى عمل لهم زمنا قليلا وهو إلى خروجك من مكة فلما خرج صلى الله عليه وسلم منها سأل الله عليهم السنين المحمدة وهو العذاب العام ثم قل صناديدهم بيدر وهو العذاب الخاص .

قوله (إن لدينا أسكالا الخ) هذا وعيد لهم بعذاب الآخرة إثر الوعيد بعذاب الدنيا (قوله جمع نكل) أي وهو القيد ، وقيل
 قل (قوله وهو الزقوم) تقدم في الدخان أنه شجر مرة من أخبت الشجر (قوله أو الضريع) سيأتي للمسر في الغاشية أنه
 رخ من الشوك لا زعماء دابة لحبته (قوله أو الفسليين) تقدم في الحاقة أنه صديد أهل النار (قوله لا يخرج ولا ينزل) تفسير
 له ينص به فكان المناسب ذكره بلفظه (قوله يوم ترجف الخ) ظرف منصوب بما تعلق به قوله لدينا ، والتقدير استقر
 م عندما ماذ كر يوم ترجف الخ (قوله تزلزل) أصله تزلزل حذفت منه إحدى التاءين (قوله وكانت الجبال) أي وتكون
 بر الماضي لتحقق الحصول (قوله وحذفت الواو) أي عند سيبويه وإنما كانت أولى بالحذف لأنها زائدة ولذا اختاره المفسر
 قال السكاني : إن المحذوف الياء لأن القاعدة أن الذي يحذف لالتقاء الساكنين هو الأول (قوله يا أهل مكة) أي ففيه
 لغات من الغيبة إلى الخطاب (قوله كما أرسلنا إلى فرعون الخ) خص موسى (٢٤٧) وفرعون بالذكر لأن قصتهما
 مشهورة عند أهل مكة

(قوله فعصى فرعون
 الرسول) ال للعهد الذي كرى
 لأنه تقدم ذكره في قوله
 رسولا والقاعدة أن
 انكسرة إذا أعيدت معرفة
 كانت عين الأولى (قوله
 شديدا) هذا قول ابن
 عباس ومجاهد ومنه مطر
 وابل : أي شديد ، وقيل
 الويل الثقيل الغليظ ،
 وقيل الهلاك (قوله فكيف
 تتقون إن كفرتم) أي
 لاسبيل لكم إلى الوقاية
 من عذاب ذلك اليوم إن
 وقع الكفر منكم في الدنيا
 (قوله يجعل الولدان الخ)
 هذه الجملة صفة ليوما
 والضمير في يجعل إما عائد
 على الله أو على اليوم مبالغة

إِنْ لَدَيْنَا أَسْكَالًا (قيوداً ثقلاً) جمع نكل بكسر النون (وَجَحِيمًا) ناراً محرقة (وَطَعْمًا
 غَضَّةً) ينص به في المطلق ، وهو الزقوم أو الضريع ، أو الفسليين ، أو شوك من نار لا يخرج ولا
 ينزل (وَكَذِبًا أَيْمًا) مؤلفاً زيادة على ما ذكر لمن كذب النبي صلى الله عليه وسلم (يَوْمَ
 رَجْفٍ) تزلزل (الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا) رملاً مجتمعاً (مَهِيلاً) سائلاً
 مد اجتماعه وهو من هال مهيل وأصله مهول استثقلت الضمة على الياء فنقلت إلى الهاء
 حذفت الواو ثانی الساكنين لزيادتهما وقلت الضمة كسرة لمجانسة الياء (إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ)
 أَهْلَ مَكَّةَ (رَسُولًا) هو محمد صلى الله عليه وسلم (شَاهِدًا عَلَيْكُمْ) يوم القيامة بما يصدر
 منكم من العصيان (كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا) هو موسى عليه الصلاة والسلام
 فَقَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا) شديداً (فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ)
 فِي الدِّينِ (يَوْمَ) مفعول تتقون ، أي عذابه : أي بأي حصن تتحصنون من عذاب يوم (يَجْعَلُ
 الْوِلْدَانَ شِيبًا) جمع أشيب لشدة هوله وهو يوم القيامة والأصل في شين شيباً الضم وكسرت
 لمجانسة الياء ويقال في اليوم الشديد يوم يشيب نواصي الأطفال وهو مجاز ، ويجوز أن يكون
 المراد في الآية الحقيقة (السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ) ذات انقطاع : أي انشقاق (بِهِ) بذلك اليوم لشدة
 (كَانَ وَعْدُهُ) تعالى بمجيء ذلك اليوم (مَفْعُولًا) أي هو كائن لا محالة (إِنَّ هَذِهِ) الآيات
 الخوف (تَذَكُّرٌ) عظة للخلق (فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا) طريقاً .

أي أن نس اليوم يجعل الولدان شيباً (قوله وهو مجاز) أي لفظ الشيب مجاز : أي كناية عن شدة الهول (قوله ويجوز الخ)
 أي فيكون الشيب على حقيقته ولا مانع منه . ثم إن في كلام المفسر إجمالاً وإيضاحه أن يقال إن كون الشيب على حقيقته مبنى
 على أن المراد باليوم آخر أوقات الدنيا ، وهو عند زلزلة الساعة قبل خروجهم من الدنيا وكونه مجازاً مبنى على أن المراد باليوم النفخة
 الثانية لأن القيامة ليس فيها شيب (قوله السماء منفطر به) صفة ثانية ليوما (قوله ذات انقطاع) جواب عما يقال لم لم تؤت الصفة
 يقال منفطرة ؟ فأجاب بأن هذه صيغة نسبة : أي ذات انقطاع . ويجاب أيضاً بأن السماء تذكر باعتبار أنها سقف . قال تعالى
 - وجعلنا السماء سقفا محفوظا - (قوله به) الياء بمعنى في (قوله كان وعده تعالى) أشار به إلى أن إضافة وعد للضمير من إضافة
 المصدر أفعاله وهو الله تعالى (قوله إن هذه الآيات) أي القرآنية وهي قوله إن لدينا الخ ويصح أن يكون اسم الإشارة عائداً على
 السورة بتمامها (قوله فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً) من شرطية وشاء فعل الشرط ومفعوله محذوف أي النجاة وجملة اتخذ
 إلى ربه سبيلاً جواب الشرط ويصح أن يكون جملة شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً فعل الشرط وجوابه محذوف تقديره فليفعل .

(قوله بالإيمان والطاعة) أشار بذلك إلى أن المراد بأخذ السبيل التقرب إلى الله تعالى بامتنال مأموراته واجتناب منهياته (قوله إن ربك يعلم الخ) شروع في بيان الناسخ لقوله قم الليل الخ ومحل قوله فتأب عليكم وما قبله توطئة وتهديد له (قوله أقل من ثلثي الليل الخ) إن قات إن الأقلية باعتبار الثلثين والنصف ظاهرة ولا تظهر بالنسبة للثلث لأنهم غير مأمورين بالنقص عنه بل هم مخبرون كما تقدم بين قيام الثلثين والنصف والثلث وهذا على قراءة الجر وقد يجاب بأن معنى قوله أدنى التقريب : أي يعلم أنك تقوم كما أمرك أقرب من ثلثي الليل الخ وعبر بالأدنى لأنها أمور ظنية تخمينية لا تحقيقية وهم مكافون بالظن لا التحقق والتحرير بالدقيقة (قوله وبالنصب) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله عطف على أدنى) أي فهو معمول لتقوم ، والمعنى تقوم نصفه تارة وثلثه تارة أخرى (قوله وقيامه) مبتدأ ، وقوله نحو ما أمر به خبره أي مثله فقوله هنا أدنى من ثلثي الليل المراد به الثمان على سبيل التقريب وهو المذكور أولا بقوله - أو انقص منه قليلا ، وقوله ونصفه المراد به النصف تقريبا وهو المذكور أولا بقوله - قم الليل إلا قليلا نصفه - وقوله وثلثه المراد به الثلث تقريبا وهو المذكور أولا بقوله أو زد عليه ولا يحتاج لقولنا تقريبا إلا على قراءة الجر وأما قراءة النصب فظاهرة (قوله وجاز) أي العطف على ضمير الرفع المتصل من غير (٢٤٨) تأكيد بالضمير المنفصل ، وقوله للفصل : أي بغير الضمير على حد قول ابن

بالإيمان والطاعة (إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى) أقل (من ثلثي الليل ونصفه وثلثه) بالجر عطف على ثلثي وبالنصب عطف على أدنى ، وقيامه كذلك نحو ما أمر به أول السورة (وطائفة من الذين معك) عطف على ضمير تقوم وجاز من غير تأكيد للفصل ، وقيام طائفة من أصحابه كذلك للتأسي به ، ومنهم من كان لا يدرى كم صلى من الليل وكف بقى منه فكان يقوم الليل كله احتياطا فقاموا حتى انتفخت أقدامهم سنة أو أكثر فحفف عنهم ، قال تعالى (والله يقدر) يحصى (الليل والنهار علم أن) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف : أي أنه (أن مخصوصه) أي الليل لتقوموا فيما يجب القيام فيه إلا بقيام جميعه وذلك يشق عليكم (فتأب عليكم) رجع بكم إلى التخفيف (فاقرءوا ما تيسر من القرآن) في الصلاة ، بأن تصلوا ما تيسر (علم أن) مخففة من الثقيلة : أي أنه (سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض) يسافرون (يتبعون من فضل الله) يطلبون من رزقه بالتجارة وغيرها (وآخرون يقتلون في سبيل الله) وكل من الفرق الثلاثة يشق عليهم ما ذكر في قيام الليل فحفف عنهم بقيام ما تيسر منه ثم نسخ ذلك بالصلوات الخمس ،

مالك : أو فاصل ما (قوله وقيام طائفة) مبتدأ وقوله للتأسي به خبره ، وقوله كذلك : أي ثلثين ونصفا وثلثا (قوله ومنهم من كان لا يدرى الخ) بيان للطائفة الأخرى التي لم تناس به فافترقت الصحابة فرقتين فرقة ناست به في قيام الثمانين والنصف والثلث وفرقة شددوا على أنفسهم فأحبوا الجميع (قوله سنة) أي على القول بأن السورة كلها مكية ، وقوله أو أكثر : أي ستة عشر

شهر على القول بأنها مكية أيضا أرعشر سنين على القول بأن قوله إن ربك يعلم الخ مدني (قوله خفف عنهم) (فاقرءوا) أي عن الطائفتين من الصحابة (قوله أي الليل) أشار بذلك إلى أن الضمير عائد على الليل لأنه المحدث عنه من أول السورة (قوله رجع بكم إلى التخفيف) أي فالمراد التوبة اللغووية لا التوبة من الذنوب لكونهم لم يفعلوا ذنوبا (قوله فاقراءوا ما تيسر من القرآن) بيان للناسخ فنسخ التقدير بالأجزاء الثلاثة إلى جزء مطابق من الليل (قوله في الصلاة) بيان لمعنى القراءة في الأصل (قوله بأن تصلوا) أشار بذلك إلى أن المراد بالقراءة الصلاة من إطلاق الجزء على الكل (قوله ما تيسر) أي ولوركتين (قوله علم أن سيكون الخ) استئناف مبين للحكمة أخرى للترخيص والتخفيف (قوله مخففة من الثقيلة) أي واسمها ضمير الشأن وجمله سيكون خبرها ومرضى اسم يكون ومنكم خبرها (قوله وآخرون يضربون في الأرض الخ) سوى الله تعالى في هذه الآية بين درجة المجاهدين والكنسيتين للمال الحلال لتفقتة على نفسه وعياله إشارة إلى أن كسب المال بمنزلة الجهاد لما ورد في الحديث «ما من جالب بحاج طعاما من بلد إلى بلد فيبيعه بسعر يومه إلا كانت منزلته عند الله منزلة الشهداء ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم - وآخرون يضربون في الأرض يتبعون من فضل الله وآخرون يقتلون في سبيل الله » وقال ابن مسعود : أعمار رجل جالب شيئا من مدينة من مدائن الإسلام صابر محتسبا فباعه بسعر يومه كان له عند الله منزلة الشهداء وقرأ - وآخرون يضربون في الأرض - الآية (قوله وغيرها)

في كتاب العلم وصلة الرحم (قوله فأقرءوا ما ينسر منه) إنما كرره تأكيداً وليكون قرنه بحكم أخرى غير الأولى (قوله ثم نسخ
ك بالصلوات الخمس) أي في حق الأمة اتفاقاً. وأما هو صلى الله عليه وسلم فقال مالك لم ينسخ في حقه صلى الله عليه وسلم بل
في وجوب التهجيد عليه لكن في خصوص الحضر. وقال الشافعي: نسخ في حقه أيضاً. إن قلت إن وجوب الصلوات الخمس
ينافي وجوب قيام الليل وشرط النسخ أن يكون حكمه منافياً للحكم المنسوخ، فالجواب أن النسخ بالحديث وهو أنه صلى الله عليه
سلم أخبر أعرابياً بأن الله افترض عليه خمس صلوات في كل يوم وإيلة، فقال الأعرابي هل طي غيرهما يا رسول الله؟ قال صلى
الله عليه وسلم لا إلا أن تطوع. فقوله لا نفي وجوب أي صلاة كانت غير الخمس (قوله وما تقدموا لأنفسكم) ما شرطية وتجدره
بواب الشرط ومن خبر بيان لما وعند الله ظرف لتجدوه وخيراً مفعول ثان لتجدوه (قوله مما خلفتم) أي وراءكم. إن قلت
الذي خلفه وراءه ميراث لغيره فلا خير فيه له فالأحسن أن يقول مما أنفقتم على أنفسكم في العاجل (قوله وهو فصل) أي ضمير
سل (قوله وما بعده الخ) أشار بذلك لسؤال حاصله أن ضمير الفصل لا يقع إلا بين معرفتين وهما وقع بين معرفة ونكرة. فأجاب
قوله يشبهها، وقوله لامتناعه من التعريف: أي لأنه اسم تفضيل وهو لا يجوز دخول آل عليه إذا كان معه من لفظاً أو تقدير
فما من مقدرة كأنه قال هو معرفة لولا المانع وهو كونه مقروناً بمن (قوله) (٢٤٩) واستغفروا الله) أي اطأبوا

مغفرته في جميع أحوالكم
فإن الإنسان لا يخلو من
تفريط يوجب حجه عن
بركات الدنيا والآخرة
ولا يزيل ذلك الحجاب
إلا الاستغفار كما قال تعالى
- فقلت استغفروا ربكم -
الآيات، وكما قال تعالى
- ولو أن أهل القرى آمنوا
واتقوا لفتحنا عليهم بركات
من السماء والأرض -
وفي الحديث «إن العبد
ليحرم الخير بالدنب
يصبه».

فَأَقْرَهُوا مَا يَدْرُسُ مِنْهُ) كما تقدم (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ) المروضة (وَأَتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا
قُلُوبَكُمْ) بأن تنفقوا ماسوى المفروض من المال في سبيل الخير (قَرْضًا حَسَنًا) عن طيب قلب
وَمَا تَقْدَمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ نَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ) مما خلفتم وهو فصل وما بعده
إن لم يكن معرفة يشبهها لامتناعه من التعريف (وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ
غَفُورٌ رَحِيمٌ) للمؤمنين.

(سورة المدثر)

مكية، خمس وخمسون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . يَا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ) النبي صلى الله عليه وسلم وأصله المدثر
دغمت التاء في الدال: أي المتلف بثيابه عند نزول الوحي عليه (قُمْ فَأَنْذِرْ) خوف أهل
ككة النار إن لم يؤمنوا (وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ) عظم عن إشراك المشركين،

سورة المدثر مكية [أي بالاجماع (قوله يا أيها المدثر) وقع خلاف طويل في أول منازل من القرآن، والصحيح أن أول
نزل على الإطلاق اقرأ بسم ربك إلى ما لم يعلم، وأول منزل بعد فترة الوحي يا أيها المدثر إلى فاهجر. والحاصل أنه صلى الله
عليه وسلم كان يتعبد في غار حراء فنزل جبريل بآية اقرأ كما في حديث البخاري فذهب بها يرجف فؤاده فقال لخديجة زمّلوني
زل عليه - يا أيها الزمل ثم الليل إلا قليلاً - ثم فتر الوحي فحزن صلى الله عليه وسلم وجعل يعلو شواهد الجبال ويريد
أن يرمى بنفسه فنودى وهو بغار حراء يا محمد إنك رسول الله قال: فنظرت عن يميني ويساري فلم أر شيئاً فنظرت فوق فاذابه
عد على عرش بين السماء والأرض: يعني الملك الذي ناداه فرعبت ورجعت إلى خديجة فقلت دثروني دثروني فنزل جبريل
قال - يا أيها المدثر - والتدثر لبس الدثار وهو الثوب الذي فوق الشعار والشعار ما يلي الجسد (قوله أدغمت التاء) أي
أدغمتها دالا وتسكينها (قوله أي المتلف بثيابه) أي من الرعب الذي حصل له من رؤية الملك، وقيل التدثر بالنبوة
للعارف الإلهية (قوله قُمْ فَأَنْذِرْ) إنما اقتصر على الإنذار وإن كان مبعوثاً بالتبشير أيضاً لأنه في ذلك الوقت لم يكن أحد
ساح للتبشير إلا ما قل جداً فلما اتسع الإسلام نزل عليه - إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً - (قوله وربك فكبر) أي
نقص ربك بالتكبير والتعظيم ظاهراً وباطناً والفاء في هذا وما بعده لإفادة معنى الشرط كأنه قال مهما يكن من شيء فكبر،
والمعنى اعتقد أن ربك منزّه عن كل نقص متصف بكل كمال.

[٣٣ - صاوي - رابع]

(قوله وثيابك فطهر عن النجاسة) أي لأن طهارة الثياب شرط في صحة الصلاة لتصح إلا بها وهي الأولى والأحب في غير الصلاة لأن المؤمن طاهر طيب لا يليق منه أن يحمل خبيثا في هذاردة على المشركين فانهم كانوا لا يصونون ثيابهم عن النجاسات فأمر الله تعالى أن يخالفهم في ذلك (قوله أو قصرها) أي لأن تطويل الثياب شأنه إصابة النجاسة فعبر بالملزوم عن اللازم وتفسير الثياب المطلوب لما في الحديث «إزار المؤمن إلى أنصاف ساقيه ولا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين وما كان على أسفل من ذلك النار» فمن السفه أن يطيل الرجل ثيابه ثم يتكاف رفعها بيديه ، وورد «من جر إزاره خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة» قال أبو بكر يارسول الله إن أحد شقي إزاري يسترخي إلا أني أتعهد ذلك منه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لست بمن خيلاء فيؤخذ من ذلك أن تطويل الثياب بقصد الخيلاء حرام ، وأما من غير قصد بل لمجرد عادة أهل بلده مثلا فهو مكروه إن كان يتحفظ من النجاسة وما ذكره المفسر أحد أقوال في تفسير الآية ، وقيل أراد طهر نفسك من الصفات الذمومة كالعجز والكبر والرياء ونحو ذلك ، مأخوذ من قولهم فلان طاهر الثياب والذيل إذا أرادوا وصفه بالنقاء من أدناس الأخلاق ، ومن قول عكرمة : لا تلبسها على معصية ولا على غدر ، وقال الحسن : خلقت لحسن ، وقال سعيد بن جبير : قابلك وبيدك فطهر وقال مجاهد : عمالك فأصلح ، وقيل المراد بالثياب الأهل : أي طهرهم عن الخطايا بالوعظة والتأديب ، والعرب تسمى الأهل بلباسهم وإزارهم . قال تعالى - هن لباس لكم وأتم لباس لهن - والآية صالحة لجميع تلك المعاني (قوله والرجز) بضم الهمزة وكسر هاء سبعيتان والزاي (٢٥٠) منقلبة عن السين ومعناها واحد (قوله أي دم على هجره) دفع بذلك ما

ظاهر الآية يقتضي أنه كان متلبسا بعبادة الأوثان وليس كذلك (قوله ولا تمنن) المن هنا الإناعام ، والمعنى لا تمنن شيئا مستكثرا له ، وقوله حال أي من فاعل تمنن (قوله لا تمنن شيئا لتطلب أكثر منه) أي فلا تستكثره عبارة عن طاب العوض

(وِثْيَا بَكَ فَطَهَّرْ) عن النجاسة ، أو قصرها خلاف جر العرب ثيابهم خيلاء فربما أصابته نجاسة (وَالرُّجْزَ) فسرہ النبي صلى الله عليه وسلم بالأوثان (فَاهْجُرْ) أي دم على هجر (وَلَا تَمْنُنْ تَعْمَكُثِرُ) بالرفع حال : أي لا تمنن شيئا لتطلب أكثر منه ، وهذا خاص به صلى الله عليه وسلم لأنه مأمور بأجل الأخلاق وأشرف الآداب (وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ) على الأوامر والنواهي (فَإِذَا نَقَرَ فِي النَّاقُورِ) نفخ في الصور ، وهو القرن النفخة الثانية (تَذَايَكُ) أي وقت النقر (يَوْمَ مَثَدٍ) بدل مما قبله المبتدأ وفي لضافته إلى غير متمكن وخبر المبتدأ (يَوْمَ هَيَّيْرٍ) والمعنى في إذا مادلت عليه الجملة : أي اشتد الأمر ،

بأن يهب شيئا ويطمع أن عوض من الموهوب له أكثر من الشيء الموهوب (على) وقيل المعنى لا تمنن شيئا مستكثرا له : أي رائيما تمنع عليه كثيرا بل عده قليلا لقوله تعالى - قل متاع الدنيا قليل - وقال البوصير مستقل دنياك أن يناسب الإمساك منها إليه والإعطاء

وقوله أكثر منه : أي ولا مساويا ولا أقل فالمراد النهي عن طلب العوض مطلقا ليكون عطاؤه صلى الله عليه وسلم خاليا انتظار العوض والتفات النفس إليه ، وحكمة تخصيصه بذلك أنه عليه الصلاة والسلام خليفة الله الأعظم في خلقه دنيا وأخرى يتصل بهم من خزائن الله تعالى جميع ما بذله لعباده بالنسبة لما عند الله قليل فلا يليق أن يراه كثيرا ولأن يطلب عوضا من الفقير وهو خليفة عن الغنى المطلق فتدبر (قوله وهذا) أي النهي ، وقوله خاص به : أي وأما أمته فليس حراما في حقهم (قوله نقر في الناقور) من النقر وهو القرع الذي هو سبب الصوت فأطلق السبب وأريد المسبب وهو التصويت ، والمعنى إذا صرحت إسرائيل في الصور (قوله وهو القرن) أي وهو مستطيل سعة فيه كما بين السماء والأرض وفيه ثقب يمدد الأرواح كلها وتخرج في تلك الثقب فيخرج بالنفخة الثانية من كل ثقب روح إلى الجسد الذي نزعته منه فيعود الجسد حيا باذن الله تعالى (أي وقت النقر) أي الذي هو معنى إذا (قوله بدل مما قبله) أي وهو اسم الإشارة ، وقوله المبتدأ بيان لما وقوله وبن : لفظ يوم ، وقوله إلى غير متمكن : أي وهو إذ وتنوينا عوض عن الجملة : أي يوم إذ نقر في الناقور ، وقوله وخبر المبتدأ عسير : أي لفظ يوم ، وقوله عسير صفة أولى له وغير عسير صفة ثانية (قوله مادلت عليه الجملة) أي جملة الجزاء وهي فذلك يومئذ يوم عسير فقد دلت على جملة فعلية فعلها عامل في إذا فالناصب لها مدلول جوابها لا جوابها نفسه

قوله على الكافرين) متعلق بعسير وقوله فيه دلالة أى فى التقييد بهذا الجار والمجرور دلالة على أنه يسير على المؤمنين ويشار به إلى جواب ما فائدة قوله غير يسير وعسير مفعول عنه ففيه زيادة وعيد وغيظ للكافرين وبشرى ونسبية للمؤمنين (قوله ذرنى) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وفيه مزيد إجلال وتعظيم له وإشعار بأن رحمته صلى الله عليه وسلم غالبية على غضبه (قوله على فصول) أى وهو الباء فى ذرنى (قوله أو مفعول معه) أى فالوار للمعية (قوله أو من ضميره المحذوف) أى عائده المحذوف من خلقت أى خلقتة ويحتمل أنه حال من التاء فى خلقت أى خلقتة وحدى لم يشارك فى خلقه أحد والأول أقرب (قوله هو الوليد بن المغيرة المخزومي) أى الذى تقدمت بعض أوصافه فى سورة ن (قوله وجعلت له) عطفت على خلقت (قوله مالا ممدودا) يختلف فى مبلغه فقيل ألف دينار وقيل ستة آلاف وقيل تسعة آلاف مثقال فضة (قوله من الزروع) أى فكان له هستان لطائف لاتنقطع ثماره شتاء ولا صيفا (قوله والضروع) أى الواشى (قوله عشرة) أى من الذكور وقعد الخازن منهم بعة وهم الوليد وخاله وهماره وهشام والعاص وقيس وعبد شمس وقوله أو أكثر قيل اثنا عشر وقيل ثلاثة عشر وقيل سبعة عشر وعلى كل فقد أسلم منهم ثلاثة خاله وهشام والوليد (قوله شهودا) جمع شاهد بمعنى حاضر (قوله يشهدون المحافل) أى يأمع الناس لوجاهتهم بين الناس أو المراد الحضور مع أيهم لعدم احتياجهم للسفر فهو كناية عن كثرة النعم والخدم (قوله تسمع شهادتهم) أى كلامهم (قوله ومهدت له تمهيدا) التمهيد فى (٣٥١) الأصل التسوية والتهيئة أطاق وأريد

به بسط المال والجاه (قوله بسطت له فى العيش والعمر والولد) أى حتى لقب ربحانة قريش والوحيد (قوله ثم يطعم) عطفت على جعلت ومهدت (قوله لا أزيده) أى بل أنقصه فقد ورد أنه بعد نزول هذه الآية مازال فى نقصان ماله وولده حتى هلك فقيرا بخدشة سهم أصابته

عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ) فيه دلالة على أنه يسير على المؤمنين أى فى عسره (ذَرْنِي) تركنى (وَمَنْ خَلَقْتُ) عطفت على المفعول أو مفعول معه (وَحِيداً) حال من مَنْ أو من ضميره المحذوف من خلقت أى منفرداً بلا أهل ولا مال هو الوليد بن المغيرة المخزومي (وَجَعَلْتُ لَهُ) نالاً ممدوداً) واسعاً متصلاً من الزروع والضروع والتجارة (وَبَنِينَ) عشرة أو أكثر (شُهُوداً) يشهدون المحافل وتسمع شهادتهم (وَمَهَّدْتُ) بسطت (لَهُ) فى العيش والعمر والولد (تَمَهِّدًا) ثم يطعم (أَنْ أَزِيدَ كَلًّا) لا أزيده على ذلك (إِنَّهُ كَانَ لِأَيَاتِنَا) أى القرآن (عَنِيداً) حانداً (سَارَهُ قَهْ) أكلفه (صَعُودًا) مشقة من العذاب أو جبلا من نار يصعد فيه ثم يهوى بداً (إِنَّهُ فَكَّرَ) فما يقول فى القرآن الذى سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم (وَقَدَّرَ) فى نفسه ذلك ،

رجله كما قال البوصيرى : وأصاب الوليد خدشة سهم قصرت عنها الحياة الرقطاء

قوله إنه كان لا ياتنا عنيدا) تعليل للردع المستفاد من قوله كلا (قوله معاندا) العناد ينشأ من كبر فى النفس أو يفس فى الطبع شراسة فى الأخلاق أو خبل فى العقل (قوله يصعد فيه) أى سبعين عاما كلما وضع يده عليه ذابت فاذا رفعها عادت وإذا وضع يده ذابت وإذا رفعها عادت (قوله ثم يهوى) أى سبعين عاما (قوله أبدا) راجع لكل من الصعود والهوى (قوله إنه فكر) أى ردد فكره فيما يطعن به فى القرآن وذلك أنه صلى الله عليه وسلم لما نزل عليه حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم إلى ربه إليه المصير قام فى المسجد والوليد بن المغيرة قريب منه يسمع قراءته فلما فطن النبي صلى الله عليه وسلم لاستماعه لقراءته باد قراءة الآية فانطلق الوليد بن المغيرة حتى أتى مجلس قومه من بني مخزوم فقال والله لقد سمعت من محمد أنفا كلاما ماهو من كلام البشر ولا من كلام الجن إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وإنه يعلو ولا يعلى عليه ثم انصرف إلى منزله فقالت قريش صبا والله الوليد والله لتصبأ قريش كلهم فقام أبو جهل وقال أنا أكف يكوه فانطلق بعد إلى جنب الوليد حزينا فقال له الوليد مالى أراك حزينا يا ابن أخى قال وما يمنعنى أن لا أحزن وهذه قريش يجمعون لك قلة يعينونك بها على كبر سنك ويزعمون أنك زينت كلام محمد وأنت داخل على ابن أبي كبشة وابن أبي قحافة تسأل من قيل طعمهم ، فغضب الوليد وقال ألم تعلم أنى من أكثرهم مالا وولدا وهل شبع محمد وأصحابه من الطعام فيكون لهم فضل قام مع أبى جهل حتى أتى مجلس قومه فقال لهم تزعمون أن محمدا مجنون فهل رأيتموه يخفق قط قالوا اللهم لا قال تزعمون

أنه كاهن فهل رأيتموه قط تكهن ؟ فقالوا اللهم لا قال تزعمون أنه شاهر فهو رأيتموه يتعاطى شعرا قط ؟ قالوا اللهم لا قال تزعمون أنه كذاب فهل جرتم عليه شيئا من الكذب فقالوا اللهم لا ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى الأمين قبل النبوة من صدقه فقالت قریش للوليد فما هو فتفكر في نفسه وقدر ثم قال ما هذا إلا سحر يؤثر (قوله فقتل) أى فى الدنيا (قوله ثم قتل) أى فيما بعد الموت فى البرزخ والقيامة وثم للدلالة على أن الثانية أبلغ من الأولى فهى فى هذه الموضع للتراخي وكيف منصوبة على الحال من الضمير فى قدر وهى للاستفهام والمقصود منه توبيخه والتعجب من تقديره (قوله فى وجوه قومه) أى نظر بعين الغضب من أجل الأمر الذى قالوه فيه وقوله أوفيا يقدر به أى فى القرآن فالنظر على هذا بمعنى التأمل فيكون تأكيذا لقوله إنه فكر وقدر (قوله ثم عبس) يقال عبس عبسا وعبوسا أى قطب وجهه والعبس يطلق على مايس فى أذنان الأبل من البعر والبول ، وقوله وبسر يقال بسر يسر سرا وبسورا إذا قبض بين عينيه كراهية للشيء واسود وجهه منه يقال وجهه بصر : أى منقبض مسود ، فالبسور غاية فى العبوس (قوله والكلوح) مرادف للقبض (قوله واستكبر) عطف سبب (قوله إلا سحر) أى أمور تخيلية لاحقائق لها وهى لدقتها تخفى أسبابها ، وقوله ينقل عن السحرة أى كسبيلهم وأهل بابل (قوله إن هذا إلا قول البشر) نتيجة حصره فى السحر (قوله سأصليه سقر) بدل من قوله سأرهقه صعودا ثم إن كان المراد بالصعود الشقة فالبدل (٢٥٢) واضح وإن كان صعود الجبل والهبوط فهو بدل اشتغال فتدبر (قوله

ماسقر) ما مبتدأ وسقر خبره والجملة سدت مسد المفعول الثانى لأدرى (قوله تعظيم لشأنها) أى نظير ما تقدم فى سورة الحاقة (قوله لا تبقى ولا تذر) حال وفيها معنى التعظيم والجلتان بمعنى واحد والعطف للتوكيد هذا ما يقتضيه صنيع المفسر (قوله لواحة للبشر) خبر مبتدأ محذوف وقوله محرقة

(فَقَتَلَ) آمن وعذب (كَيْفَ قَدَّرَ) على أى حال كان تقديره (ثُمَّ قَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ) ثم (نَظَرَ) فى وجوه قومه أوفيا يقدر به فيه (ثُمَّ عَبَسَ) قبض وجهه وكلحه ضيقاً بما يقول (وَبَسَرَ) زاد فى القبض والكلوح (ثُمَّ أَذْبَرَ) عن الإيمان (وَأَشْتَكَبَرَ) تكبر عن اتباع النبي صلى الله عليه وسلم (فَقَالَ) فيما جاء به (إِنْ) ما (هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ) ينقل عن السحرة (إِنْ) ما (هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ) كما قالوا إنما يعلمه بشر (سَأُصْلِيهِ سَقَرَ) أذخله (سَقَرَ) جهنم (وَمَا أَذْرَاكَ مَا سَقَرُ) تعظيم لشأنها (لَا تَبْقَى وَلَا تَذَرُ) شيئاً من لحم ولا عصب إلا أهلكته ثم يعود كما كان (لَوْاحَةٌ لِلْبَشَرِ) محرقة لظاهر الجلد (عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ) ملكا خزنتها ، قال بعض الكفار وكان قويا شديدا البأس أنا أ كفيكم سبعة عشر وا كفونى أتم اثنين ، قال تعالى (وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً) أى فلا يطاقون كما يتوهمون (وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ) ذلك ،

لظاهر الجلد أى فالمراد بالبشر الجلد ويطاق البشر على الناس جميعا او معنى لواحة تظهر لهم وتلوح (إلا قبل أن يسقطوا فيها ولكن المعنى الأول أقرب (قوله عليها تسعة عشر ملكا) أى وهم مالك ومعه ثمانية عشر ، وقيل تسعة عشر نقيباً وقيل تسعة عشر ألف ملك والقول الثانى موافق لقوله تعالى وما يعلم جنود ربك إلا الله أن هؤلاء التسعة عشر هم الرؤساء والنقباء ، وأما جملتهم فالعبارة تعجز عنها كما قال تعالى وما يعلم جنود ربك هو وقد ثبت فى الصحيح عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجزونها» اه وقد ورد فى صفة الخزنة أن أعينهم كالبرق الخاطف وأنبياءهم كالصاوى قرون البقر وأشعارهم تمس أقدامهم يخرج لهب النار من أفواههم ما بين منكبى أحدهم مسيرة سنة تزع مناهم الرحمة يد أحدهم سبعين ألفا مرة واحدة فيرميهم حيث شاء من جهنم وفى رواية «إن لأحدهم مثل قوة الثقلين يسوق أحدهم الأمة وعرقبته جبل فيرى بهم فى النار ويرمى الجبل عليهم (قوله خزنتها) أى يتولون أمرها وينساقون على أهلها ولا يتألمون منها بل هم فى تكررة الجنة فى الجنة (قوله قال بعض الكفار) هو أبو الأشد بن كادة بن خلف الجهمي قال ابن عباس لما نزلت هذه الآية عليها ناس عشر قال أبو جهل أقرش نساككم أمهاتكم محمد يخبر أن خزنة النار تسعة عشر وأنتم الشجعان أبيعجز كل عشرة منكم يبطشوا بواحد منهم فقال أبو الأشد أنا أ كفيكم سبعة عشر عشرة على ظهري وسبعة على بطني أ كفونى أتم اثنين

والله ما الذي أراده الله
 بهذا حال كونه مثلاً
 للاحقيقته لغرابته لأن
 هذا العدد أمر غريب
 لم ندمه عقولنا (قوله أي
 مثل إضلال) أشار به إلى
 أن الكاف في محل نصب
 نعمت، مصدر محذوف: أي
 يضرب إضلالاً مثل ذلك
 (قوله وهدي مصدقه)
 بوزن رمي، بفتح أوله
 وسكون ثانيه أو بضم
 أوله وفتح ثانيه (قوله)
 وما يعلم جنود ربك إلا
 هو) هذا جواب لأنني
 جهل حين قال: ما للمحمد
 أعوان إلا تسعة عشر
 (قوله أي سقر) أعاد

الضمير على - قر ويجوز أن يعود على الآيات المذكورة فيها (قوله إلا ذكري للبشر) أي يتذكرون ويعلمون كمال قدرته تعالى (قوله استفتاح بمعنى ألا) أي فأتى بها تعظيماً للقسم عليه وخيفته فالوقوف على ما قبلها، وقيل إنها حرف ردع وزجر وعليه فيوقف عليها (قوله بفتح اللام) أي فإذا ظرف لما يستقبل ودبر فعل ماض بوزن ضرب وقوله وفي قراءة الخ أي فاذا ظرف لما مضى من الزمان وأدبر بوزن أكرم والقراءتان سبعيتان والرسم محتمل لكل منهما إذ الصورة الخطية لا تختلف وقرئ شذوذا إذا أدبر بالفين . واختلفوا هل دبر وأدبر بمعنى واحد أو دبر معناه جاء وأدبر بمعنى مضى وهو الذي مضى عليه المفسر (قوله إنها لاحدى الكبر) جواب القسم (قوله حال من إحدى) هذا أحد احتمالات كثيرة نحو أحد عشر وهو أظهرها (قوله من شاء منكم الخ) هذا وعيد وتهديد نظير قوله - فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر - (قوله كل نفس) أي مؤمنة أو كافرة عاصية أو غير عاصية فالاستثناء متصل (قوله رهينة) أي على الدوام بالنسبة للكفار وعلى وجه الانقطاع بالنسبة لعصاة المؤمنين (قوله مأخوذة بعملها) أشار بذلك إلى أن ما صدرية والكذب بمعنى العمل (قوله إلا أصحاب اليمين) قد علمت أن الاستثناء متصل وأهل اليمين هم العصاة وغيرهم لأن الكل ناجون من الرهينة إما ابتداء ودواماً وإما دواماً .

(قوله كائنون في جنات) أشار بذلك إلى أن قوله في جنات متعلق بمحذوف خبر عن مبتدأ مقدر : أي هم وهذه الجملة مستأنفة واقعة في جواب سؤال مقدر والتقدير ما شأنهم وحالهم (قوله يتساءلون) أي يسأل بعضهم بعضا ، وقوله عن المجرمين : أي الكافرين والكلام على حذف مضاف أي عن حالهم (قوله ويقولون لهم) أي للمجرمين وهذا القول خطاب أهل الجنة لأهل النار وهو غير السؤال المتقدم فيما بينهم . والحاصل أن أهل الجنة حين يستقرون فيها وينادي النادى بأهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت يسأل بعضهم بعضا عن معارفهم المجرمين الذين خلدوا في النار ثم يكشف لهم عنهم فيخاطبونهم بقولهم - ما سألكم في سقر - (قوله ما سألكم الخ) الاستفهام للتوبيخ والتعجب من حالهم (قوله ولم نك نطعم المسكين) أي نعطيه ما يجب علينا إعطاؤه كزكاة ونحوها (قوله وكنا نخوض مع الخائضين) أي في القرآن فنقول فيه : إنه لسحر وشعر وكهانة وغير ذلك من الأباطيل التي كانوا يخوضون فيها (قوله وكنا نكذب بيوم الدين) تخصيص بعد تعميم لأن الخوض في الأباطيل عام شامل لتكذيب يوم الدين وغيره ، وفي هذه الآية دليل على أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة فيعذبون عليها زيادة على عذاب الكفر (قوله حتى أتانا اليقين) غاية في الأمور الأربعة (قوله والمعنى لاشفاعة لهم) أي فالتى مسلط على القيد والقيد معا ، وهذا خلاف القاعدة (٢٥٤) من أن النفي إذا دخل على مقيد تسلط على القيد فقط فهنا ليس

المراد أنه توجد شفاعاة لكنها غير نافعة بل المراد لا توجد شفاعاة أصلا (قوله انتقل ضميره) أي الضمير الذي كان مستكنا في المحذوف وقوله إليه أي إلى هذا الخبر الذي هو الجار والمجرور لأن القاعدة أن الجار والمجرور إذا وقع خبرا حذف متعلقه وجوبا وانتقل ضميره إليه وصحى حينئذ ظرفا أو جارا ومجرورا مستقرا لاستقرار الضمير فيه (قوله حال من الضمير) أي المجرور باللام

كائنون (في جنات يتساءلون) بينهم (عن المجرمين) وحالهم ويقولون لهم بعد إخراج الموحدين من النار (ما سألكم) أدخلكم (في سقر) قالوا لم نك من المصلين . ولم نك نطعم المسكين . وكنا نخوض في الباطل (مع الخائضين) . وكنا نكذب بيوم الدين) البعث والجزاء (حتى أتانا اليقين) الموت (فما تدفعهم شفاعته الشافعين) من الملائكة والأنبياء والصالحين ، والمعنى لاشفاعة لهم (فما) مبتدأ (لهم) خبره متعلق بمحذوف انتقل ضميره إليه (عن التذكرة معرضين) حال من الضمير ، والمعنى أي شيء حصل لهم في إعراضهم عن الاعتناظ (كأنهم مخرجون مستنفرة) وحشية (فرت من قسورة) أسد : أي هربت منه أشد الهرب (بل يريد كل أمرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة) أي من الله تعالى باتباع النبي كما قالوا : لن تؤمن لك حتى تنزل عاينا كتابا نقرأه (كلأ) ردع عما أرادوه (بل لا يخافون الآخرة) أي عذابها (كلأ) استفتاح (إنه) أي القرآن (تذكرة) عظة (فمن شاء ذكره) قرأه فاتعظ به (وما يذكرون) بالياء والتاء (إلا أن يشاء الله) ،

(قوله كأنهم حمر) حال من الضمير في معرضين فهي حال متداخلة (قوله مستنفرة) بكسر الفاء وفتحها سبعيتان أي نافرة بنفسها من أجل الأسد أو نفرها الأسد فقوله وحشية ليس تفسيرها مستنفرة مكان المناسب لتقديمه عليه (قوله أسد) وقيل القسورة الجماعة الذين يسطادونها (قوله بل يريد كل أمرئ الخ) إضراب انتقالي عن محذوف كأنه قيل لاسبب لهم في الإعراض بل يريد الخ . وسبب نزول الآية أن أبا جهل وجماعة من قريش قالوا : يا محمد لن يؤمن بك - حتى تأتي كل واحد منا بكتاب من السماء عنوانه من رب العالمين إلى فلان بن فلان ونؤمن فيه باتباعك ؛ وكانوا يقولون إن كان محمد صادقا ليصبح عند رأس كل واحد منا صحيفة فيها براءته من النار (قوله منهم) أي من كفار قريش (قوله منشرة) أي طرية لم تطلو بل تأتينا وقت كتابتها يقرأها كل من رآها (قوله بل لا يخافون الآخرة) إضراب انتقالي لبيان سبب نعتهم واقتراحهم إذ لو خافوا الآخرة لما اعتنوا بل كانوا يكتفون بأى دليل ويؤمنون (قوله استفتاح) أي أو ردع وزجر (قوله فمن شاء ذكره) من شرطية وشاء شرطها وذكره جوابها (قوله بالياء والتاء) أي فهما سبعيتان (قوله إلا أن يشاء الله) أي لا يصل منكم ذكر إلا في حال مشيئة الله أي إرادته لأن ما أراد به يقع ولا بد وفيه نسبية للنفي حيث ينظر للحقيقة وأن توحيدهم ليس بحولهم وقوتهم . قال بعض العارفين عن لسان الحضرة :

أبها المعرض عنا إن إعراضك منا لو أردناك جعلنا كل ما فيك بردنا

(قوله هو أهل التقوى) أى حقيق بأن تمثل عباده أو امره وتجتنب نواهيه (قوله وأهل المغفرة) أى هو جدير بأن يغفر لمن اتقاه . ورد في الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال في هذه الآية « يقول الله تعالى أنا أهل أن أتق ، فمن اتقى أن يشرك بي غبى فأنما أهل أن أغفر له » .

[سورة القيامة مكية] أى بالاجماع وكذا قوله أربعون آية (قوله زائدة في الموضعين) أى لتأكيد القسم فبـه دليل على أن لا تزداد كثيرا في الكلام سواء كان في أوله أو وسطه خلافا لمن يقول إنها تزداد في وسط الكلام لافى أوله ، وقيل إن لانا في الكلام تقدمها أتى بها ردا على منكري البعث كأنه قال ليس الأمر كما زعموا أقسم الخ كقولك لا والله (قوله التي تلوم نفسها) أى في الدنيا لما شهدت من حقيقتها وهي العدم وعظيم حق الله عليها ، فالعبد وإن قطع نفسه إربا في عبادة الله وطاعته لا يفي بحق الله عليه لأن الفاني لا يقدر على القيام بحق الباقي . واعلم أن الصوفية (٢٥٥) قسموا النفس إلى سبعة أقسام

الأول الأمانة وهي نفوس الكفار ومن هذا حظهم لأنهم يخبر أصلا ومع ذلك راضية بأنفسها بحسنه لها .
الثاني اللوامة وهي التي تلوم صاحبها ولو كان مجتهدا في الطاعة وهذا مبدأ الخير وأصل الترقى . الثالث اللهمة وهي التي ألهمت فجورها وتقواها . الرابع المطمئنة وهي التي اطمأنت بالله وسكنت تحت مقاديره الخاضع راضية وهي التي رضى عن الله في جميع حالاتها . السادس الرضية وهي التي جوزيت بالرضا من الله لأن من رضى له الرضا . السابع الكاملة وهي

هو أهل التقوى) بأن يتقى (وأهل المغفرة) بأن يغفر لمن اتقاه .

(سورة القيامة)

مكية ، أربعون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . لَا) زائدة في الموضعين (أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ . وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ الْوَّامَةِ) التي تلوم نفسها وإن اجتهدت في الإحسان ، وجواب القسم محذوف : أى لتبعثن دل عليه (أَيَحْسِبُ الْإِنْسَانُ) أى الكافر (أَلَّنْ نَجْمَعُ عِظَامَهُ) للبعث والإحياء (بَلَى) نجمعها (قَادِرِينَ) مع جمعها (قَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ) وهو الأصابع : أى نعيد عظامها كما كانت مع صفرها فكيف بالكبيرة (بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُفْجَرَ) اللام زائدة ونصبه بأن مقدرة : أى أن يكذب (أَمَامَهُ) أى يوم القيامة دل عليه (يَسْأَلُ أَيَّانَ) متى (يَوْمُ الْقِيَامَةِ) سؤال استهزاء وتكذيب (فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ) بكسر الراء وفتحها دهش وتحير لما رأى مما كان يكذب به (وَحَافَ الْقَمَرُ) أظلم وذهب ضوءه (وُجِّعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ) فطلعا من المغرب ، أو ذهب ضوءهما ،

غاية الراتب وفي ذلك فلية نفس التنافسون وما أخذ الجميع من القرآن فالأمانة من قوله تعالى - إن النفس لأمانة بالسوء - واللوامة من هذه الآية ، واللهمة من قوله تعالى - فألهمها فجورها وتقواها - والمطمئنة وما بعدها من قوله تعالى - يأيها النفس المطمئنة .
الآية (قوله أَيْحْسِبُ الْإِنْسَانُ) استفهام توبيخ وتقريع (قوله أَلَّنْ نَجْمَعُ) أن محففة من النقيلة واسمها ضمير الشأن ولن وما في حيزها خبرها وجملة أن واسمها وخبرها سادة مستمفعولى حسب وليس بين الهمزة واللام نون في الرسم بل تكتب الهمزة موصولة باللام (قوله بَلَى) جواب لما بعد النفي (قوله قَادِرِينَ) حال من فاعل الفعل المقدر الذي دل عليه بلى والتقدير نجمعها حال كوننا قادرين (قوله بَنَانَهُ) اسم جمع أو جمع لبنانة (قوله وهو الأصابع) أى أطرافها فالبنان أطراف الأصابع (قوله كما كانت) أى في الدنيا (قوله بل يريد الإنسان) لإضراب انتقالي (قوله ونصبه بأن مقدرة) أى والمصدر المنسبك منه ومن أن مفعول يريد (قوله أمامه) منصوب على نزع الخافض أى بأمامه والمعنى يريد الإنسان دوام التكذيب بيوم القيامة (قوله يسأل أيان) هذه الجملة إما بدل من الجملة قبلها أو مستأنفة بيان لها وأيان خبر مقدم ويوم القيامة مبتدأ مؤخر (قوله بكسر الراء وفتحها) أى فهما قراءتان سبعيتان ولغتان معناهما التحير والدهشة ، وقيل برق بالكسر تحير وبالفتح لمع من شدة شخوصه فقوله دهش وتحير تفسير للقراءتين

(قوله وذلك في يوم القيامة) إن قلت إن طلوع الشمس والقمر من مغربهما ليس في يوم القيامة بل قبله بمائة وعشرين سنة
أجيب بأن المراد بيوم القيامة ما يشمل وقت مقدماته من الأمور العظام (قوله يقول الإنسان) جواب إذا (قوله يومئذ)
التنوين عوض عن جمل متعددة والتقدير يوم إذ برق البصر الخ (قوله أين المفر) أي من الله أو من النار احتمالان
(قوله إلى ربك يومئذ) أي يوم إذ كانت هذه الأمور المذكورة والجوار والمجرور خبر مقدم والمستقر مبتدأ مؤخر (قوله بل
الإنسان) مبتدأ وبصيرة خبر وعلى نفسه متعلق ببصيرة وتأنيت الخبر باعتبار أن المراد بالإنسان جوارحه أو أن الهاء للبالغة
كما قال المفسر، والمعنى أنه لا يحتاج إلى شاهد غير جوارحه بل هي تكفي في الشهادة عليه (قوله ولو ألقى معاذيره) الجملة حالية
من الضمير في بصيرة ولو شرطية قدر المفسر جوابها بقوله ما قبلت منه (قوله على غير قياس) أي وقياسه معاذير بدون ياء (قوله
أي لو جاء بكل معذرة الخ) أشار (٢٥٦) بذلك إلى أن في الكلام استعارة تبعية حيث شبه المجيء بالعدر بالقاء

وذلك في يوم القيامة (يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُ) الفرار (كَلَّا) ردع عن طلب
الفرار (لَا وَزَرَ) لا ملجأ يتحصن به (إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ) مستقر الخلائق فيحاسبون
ويجازون (يُنَبِّئُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ) بأول عمله وآخره (بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى
نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ) شهادة تنطق جوارحه بعمله والهاء للبالغة فلا بد من جزائه (وَلَوْ أَلْقَى
مَعَاذِيرَهُ) جمع معذرة على غير قياس: أي لو جاء بكل معذرة ما قبلت منه. قال تعالى لنبيه
(لَا تُخْرِكَ بِهِ) بالقرآن قبل فراغ جبريل منه (إِسَانُكَ لِنِعْمِ جَلِّ بِهِ) خوف أن يتفلسف منك
(إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ) في صدرك (وَقُرْآنَهُ) قراءتك إياه. أي جريانه على لسانك (فَإِذَا قَرَأْنَاهُ)
عليك بقراءة جبريل (فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ) استمع قراءته فكان صلى الله عليه وسلم يستمع ثم
يقروه (ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ) بالتفهيم لك، والمناسبة بين هذه الآية وما قبلها أن تلك تضمنت
الإعراض عن آيات الله وهذه تضمنت المبادرة إليها بحفظها (كَلَّا) استفتاح بمعنى ألا (بَلِ
يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ) الدنيا بالياء والتاء في الفعلين (وَيَذَرُونَ الْآخِرَةَ) فلا يعملون لها (وَجُوهُ
يَوْمَئِذٍ) أي في يوم القيامة (نَاضِرَةٌ) حسنة مضيئة (إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) أي يرون الله
سبحانه وتعالى في الآخرة (وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ) كالحة شديدة العبوس (تَظُنُّ) توقن
(أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ) داهية عظيمة تكسر قفار الظهر (كَلَّا) بمعنى ألا (إِذَا بَلَغَتِ
النَّفْسُ (التراقى) عظام الحلق (وَقِيلَ) قال من حوله:

أ لو في البسر للاستقاء
به واشتق من الإلقاء
ألقى بمعنى جاء (قوله قبل
فراغ جبريل منه) أي
من إلقاءه عليك (قوله
لتعجل به) أي بقراءته
وحفظه (قوله إن علينا)
تعجيل للنهي عن العجلة
(قوله قراءتك إياه)
أشار بذلك إلى أن قوله
قُرْآنَهُ مصدر مضاف
لفعله (قوله بقراءة
جبريل) أشار بذلك إلى
أن قوله فإذا قرأناه من
قيل إسناد ما هو للأمر
الآمر (قوله بالتفهيم)
أي تفهيم ما أشكل عليك
من معانيه (قوله
والمناسبة بين هذه الآية)
أي قوله: لا تحرك به

لسانك، والمراد بالآية الجنس إذ المذكور ثلاث آيات (قوله وما قبلها) (من)
أي وهو قوله: أحسب الإنسان إلى قوله معاذيره (قوله تضمنت الأعراض الخ) أي لأنها في منكر البعث وهو كافر معرض
عن القرآن، ومن المعلوم أن الضد أقرب خطورا بالبال (قوله بل يحبون العاجلة) الضمير للإنسان المذكور في قوله: أحسب
الإنسان وجمع الضمير لأن المراد بالإنسان الجنس (قوله بالياء والتاء) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله وجوه يومئذ ناضرة)
وجوه مبتدأ وناضرة خبره ويومئذ ظرف لناضرة وسوق الابتداء بالنكرة وقوعها في معرض التفصيل وناظرة خبرتان وإلى
ربها متعلق بناظرة (قوله أي في يوم القيامة) تفسير لمعنى الظرفية والتنوين في يومئذ عوض عن جملة أي يوم إذ تقوم
القيامة (قوله فقار الظهر) بفتح الفاء ما يتصل من عظام الصاب من الكاهل إلى العجب (قوله إذا بلغت النفس) أي مؤمنة
أو كافرة، والمعنى أخذت في النزع وقت الموت (قوله التراقى) جمع ترقوة (قوله عظام الحلق) أضافها إليه لقربها من
ولا فالتراقى العظام المكتنفة للثغرة النحرية وشمالا ولكل إنسان ترقوتان

(قوله من راق) مبتدأ وخبر والجملة فاعلة مقام الفاعل وراق اسم فاعل من رقى رقى بالفتح في الماضي وبالكسر في المضارع من الرقية وهي كلام يرقى به المريض ليشفي وهو مأشئ عليه المفسر، وقيل إنه من رقى رقى بالكسر في الماضي والفتح في المضارع من الرقى وهو الموت أي إن ملك الموت يخاطب أعوانه يقول من يصعد بهذه النفس ويحتمل أن أعوانه يقولون له من يرقى بهذه النفس أملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب (قوله أيقن) سمي اليقين ظنا لأن الإنسان مادامت روحه متعلقة ببدنه فإنه طمع في الحياة أشده حبه لها (قوله أنه) أي النازل به (قوله والتفت) أي التصقت ساق الإنسان عند موته بالأخرى . ل قتادة : أما رأيت إذا أشرف على الموت ضرب إحدى رجله بالأخرى . وقال سعيد بن المسيب : هما ساقا الإنسان إذا التفتا بالسكن . وقال زيد بن أسلم : انتفت ساق الميت بساق الكفن ، وكل صحيح (قوله أوالتفت شدة فراق الدنيا الخ) أي المراد بالساق الشدتان لأن الساق يطاق على الشدة ، وهذا المعنى ظاهر في الكافر لأنه يتقل من سكرات الموت إلى عذاب القبر قوله وهذا يدل على العامل في إذا) أي الذي هو جوابها وقد بينه بقوله تساق إلى حكم ربها (قوله فلا تدق) معطوف على قوله : أيحسب الإنسان أن إن نجتمع عظامه ، وصدق من التصديق كما (٢٥٧) يشير له المفسر أي فلا صدق بالقرآن

والنبي وقوله : ولا صلي أي الصلاة الشرعية فهو ذم بترك العقائد والفروع ولما كان عدم التصديق بصدق بالشك والسكوت والتكذيب استدرك على عمومته وبين أن المراد منه خصوص التكذيب فقال : ولكن كذب وتولى (قوله ثم ذهب إلى أهله) حكاية عما كان يتعلق به هذا الكافر في دنياه وجملة يمتطي حالية من فاعل ذهب ، وفي معناه قولان أحدهما : من المطا الذي هو الظاهر ، والمعنى يمد

(مَنْ رَاقٍ) يرقيه ليشفي (وَعَنَ) أيقن من بلغت نفسه ذلك (أَنَّهُ الْفِرَاقُ) فراق الدنيا (وَالْتَفَتَ السَّاقُ بِالسَّاقِ) أي إحدى ساقيه بالأخرى عند الموت أو التفت شدة فراق الدنيا بشدة إقبال الآخرة (إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَبَاقُ) أي السوق وهذا يدل على العامل في إذا ، المعنى إذا بلغت النفس الحلقوم تساق إلى حكم ربها (فَلَا صَدَقَ) الإنسان (وَلَا صَلَّى) أي لم يصدق ولم يصل (وَلَا كُنْ كَذَّابٌ) بالقرآن (وَتَوَلَّى) عن الإيمان (ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى) يتبختر في مشيته إعجابا (أُولَى لَكَ) فيه التفات عن الغيبة والكلمة اسم فعل واللام للتبيين أي وليك ماتكره (فَأُولَى) أي فهو أولى بك من غيرك (ثُمَّ أُولَى لَكَ فَأُولَى) تأكيد (أَيَحْسَبُ) يظن (إِلَّا أَنَّهُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى) هلا لا يكلف بالشرائع : أي لا يحسب ذلك (أَلَمْ يَكُ) أي كان (نُطْقَةً مِنْ نَفْسٍ يَمُنَّى) بالياء والتاء تصب في الرحم (ثُمَّ كَانَ) المنى (عَاقَةً فَخَاقَ) الله منها الإنسان (فَسَوَّى) عدل أعضاه (فَجَمَلَ مِنْهُ) من المنى الذي صار عاقلة : أي قطعة دم ، ثم مضغة : أي قطعة لحم (الزَّوْجَيْنِ) النوعين (الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى) يجتمعان تارة وينفرد كل منهما عن الآخر تارة (أَلَيْسَ ذَلِكَ) القمات لهذه الأشياء (بِقَادِرٍ عَلَيَّ أَنْ يُخَيَّرَ الْمَوْتَى) قال صلى الله عليه وسلم : بلى .

سطاه أي ظهره و يديه يتبختر في مشيه ، وإثاني أن أصله يمتشط من تخط أي تمدد ومعناه أنه يتمد في مشيته تبخترا والمعنجان استقراران (قوله والكلمة اسم فعل) أي مبنية على السكون لا محل لها من الاعراب والفاعل ضمير يعود على ما يفهم من السياق وهذه الكلمة تستعمل في الدعاء بالمكروه وقوله للتبيين أي تبيين المفعول فهي زائدة داخلة على المفعول على حد سقيا لك وقوله أي وليك بيان لمعنى الفعل الذي سمي (قوله فهو أولى بك) أي فالكلمة الثانية أفعل تفضيل فدللت الأولى على الدعاء عليه بقرب المكروه منه والثانية على الدعاء عليه بأن يكون أولى به من غيره ، هذا ماسلكه المفسر وهو حسن (قوله أي لا يحسب ذلك) أي لا ينبغي ولا يليق منه هذا الحساب (قوله ألم يك نطفة) استدلال على قوله : قادرين على أن نسوي بنانه ، والاستفهام للتقرير (قوله يمتنى) فائدته بعد قوله : منى الإشارة إلى حقارة حاله كأنه قيل إنه مخلوق من المنى الذي يجري مجرى البول (قوله النوعين) أي لا خصوص الفردين فقد تحمل المرأة بذكرين وأنثى أو بالعكس (قوله قال صلى الله عليه وسلم بلى) روى «أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأها قال سبحانك اللهم بلى» . وقال ابن عباس : من قرأ سبح اسم ربك الأعلى إماما كان أو غيره فليقل سبحان ربى [٣٣ - صاوى - رابع] الأعلى ، ومن قرأ لا أقسم بيوم القيامة إلى آخرها فليقل سبحانك اللهم بلى إماما كان أو غيره

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من قرأ منكم والتين والزيتون فاتتهى إلى آخرها أليس الله بالحاكين فليقل بلى وأما على ذلك من الشاهدين ، ومن قرأ والمرسلات فبلغ فبأى حديث بعده يؤمنون فليقل آمنا بالله [سورة الانسان] وتسمى سورة هل أتى وسورة الأمشاج وسورة النحر ومناسبة هذه السورة لما قبلها أن كلا من فيه دليل على البعث (قوله مكية) أى على قول جماعة وقوله أومدنية هو قول الجمهور (قوله قد أتى) أى فلم يست هل الاستدلال لأنه محال عليه تعالى ، وقيل إنها للاستفهام التقريرى ، والمعنى أتقرون بأنه أتى على الانسان حين من الدهر وجوابه نعم فالمقصود إلزام الخصم النكر للبعث كأنه قال القادر على إيجاد الانسان من العدم قادر على إعادته وهو بهذا المعنى صحيح أيضا ففى تقريران (قوله على الانسان) فصره هنا بآدم وفيما يأتى بالجنس وفيه أن المعرفة إذا أعيدت معرفة كانت عيننا إلا أن يجزى بأن القاعدة أغلبية أو يقدر مضاف فى قوله خلقنا الانسان : أى ذريته والاضافة تأتى لأدنى ملايسة (قوله أر بعون سنة) صرت عليه قبل أن تنفخ فيه الروح وهو ملقى بين مكة والطائف . روى أن آدم خلق من طين فأقام أر بعين سنة ثم من مسنون فأقام أر بعين سنة ثم من صلصال فأقام أر بعين سنة ثم خلقه بعد مائة وعشرين سنة ثم نفخ فيه الروح ، إذا علم ذلك فقول المفسر أر بعون سنة أى باعتبار كونه طينا وإلا فقد مر عليه مائة وعشرون سنة لم يكن شيئا مذكورا . إن كان مقتضى الآية أنه يسمى إنسانا فى حال كونه طينا مع أنه فى ذلك الوقت لم يكن شيئا مذكورا . (٢٥٨)

بأن التسمية باعتبار ما آل إليه نظير إني أراى أعصر خمرا (قوله أو المراد بالانسان الجنس) أى الصادق بآدم وأولاده وقوله وبالحن مدة الحمل أى ما يشمل مدة الحمل بالنسبة للذرية والماء والعشرين بالنسبة لآدم لأن الحين هو المدة المحدودة كثيرة أو قليلة (قوله من نطفة) هى فى الأصل الماء

(سورة الإنسان)

مكية أو مدنية ، إحدى وثلاثون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . هَلْ (أتى على الإنسان) آدم (حين من الدهر) أر بعون سنة (لم يكن) فيه (شيئا مذكورا) كان فيه مصورا من طين لا يذكر ، أو المراد بالإنسان الجنس وبالحن مدة الحمل (إنا خلقنا الإنسان) الجنس (من نطفة أمشاج) خلط : أى من ماء الرجل وماء المرأة المختلطين المتزجين (نبتلينه) نختبره بالتكليف ، والجنس مستأنفة أو حال مقدرة : أى مريدن ابتلاءه حين تأهله (فجعلناه) بسبب ذلك (سميه بصيرا) . إنا هديناه السبيل) يبين له طريق الهدى يبعث الرسل (إما شاكرًا) أى مؤمنا (وإما كفورا) حالان ،

القليل فى الوعاء ويطاق على الماء أنصافى قل أو أكثر ، سمي به منى الرجل والمرأة ليسارتهما ووضعهما فى الرحم (قوله أمشاج) جمع مشج بفتحين أو مشج بكسر فسكون أو مشج بفتح فكسر كشرىف ، والماء من نطفة قد امتزج فيها الماء آن وكل منهما مختلف الأجزاء متباين الأوصاف فى الرقة والرخن ، فماء الرجل غليظ أبيض وماء المرأة رقيق أصفر فأيهما علا كان الشبه له وإن سبق ماء الرجل كان الولد ذكرا وعكسه أنثى وإن استويا فأنثى مشكل وقال ابن عباس يختلط ماء الرجل بماء المرأة فيخلق منهما الولد لما كان من عصب وعظم وقوة فمن نطفة الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فمن ماء المرأة (قوله أخلاط) جمعه باعتبار تعدد الأوصاف فى المادتين كما علمت (قوله أى مريدن ابتلاءه) جواب عما يقال إن الابتلاء بمعنى الاختبار بالتكاليف إنما يكون بعد جعله سميعا بصيرا لاقبله . فأجاب بأنه حال مقدرة مؤثرا بقوله مريدن ابتلاءه وإرادة الابتلاء سبب لجعله سميعا بصيرا وجعله سميعا بصيرا سبب للابتلاء بالفعل فلم يكن فى الآية قدرا ولا تأخير (قوله فجعلناه بسبب ذلك) أى بسبب إرادتنا ابتلاءه (قوله سميعا بصيرا) أى عظيم السمع والبصر وخصهما بالذكور لأنهما أنعم الخواص وقدم السمع لأنه أنفع فى المخاطبات ولأن الآيات السموعة أبين من الآيات المرئية ولأن البصر يعم البصير وهى تتضمن الجميع فيكون من ذكر العلم بعد الخاص (قوله إنا هديناه السبيل) تعليل لقوله نبتلينه ، والمراد بالهداية الدلالة (قوله يبعث الرسل) أى جنسه الصادق بآدم وبين بعده من الرسل إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (قوله وإما كفورا) لم يقل كافرا مشاكلة لشاكر إماما مراعاة لروى الآى أولان الشاكر قليل والكافر كثير فعبر فى جانب الكفر بصيغة المبالغة

(قوله من: المنول) أى وهو الماء فى هديناه (قوله إنا أعتدنا للكافرين الخ) لف ونشر مشوش فهذه الآية راجعة لقوله إما كفورا ، وقوله إن الأبرار الخ راجع لقوله إما شاكرا (قوله سلاسل) إما بمنع الصرف كساجد أو بالصرف لمناسبة لقوله وأغلالا فهما قراءتان سبعيتان (قوله وأغلالا فى أعناقهم) أى فتجتمع أيديهم إلى أعناقهم (قوله إن الأبرار الخ) لما ذكر حال الكفار وجزاءهم فى الآخرة أتبعه بجزاء الشاكرين وأطنب فيه ترغيبا لهم (قوله جمع بر) أى كرب وأرباب وقوله وبار: أى كشاهد وأشهد (قوله وهم الطيعون) أى المؤمنون الصادقون فى إيمانهم وإن اقترفوا الذنوب فكل من كان يس مستوجبا للخلود فى النار فهو من الأبرار له كرم فى مقابلة الفجار فى قوله تعالى - إن الأبرار إني نعيم وإن الفجار إني عذاب عظيم - وهذا تعريف لمطلق الأبرار فلا ينافى قولهم البر هو الذى لا يؤذى الدر أو الذى يؤدى حق الله ويوفى بالنذر أو غير ذلك فانه تعريف للأبرار الكاملين كما هنا (قوله وهى فيه) أى فإن لم تكن فيه فهو إثناء (قوله والمراد من خمر) دفع ذلك ما يقال إن الضمير فى قوله مزاجها عائد على الكأس مع أن الكافور لا يمزج بالكأس بل بما فيه . فأجاب المفسر بأن المراد بالكأس الخمر نفسه من باب تسمية الحال باسم المحل (قوله كافورا) إن قلت إن الكافور غير لذيق وشربه مضر فما مزج شرابهم به . أجيب بأن المراد أنه كالكافور فى بياضه وطيب ريحه وبرودته (قوله بدل من كافورا) أى على حذف مضاف أى ماء عين لأن العين اسم لمنسج الماء وهو لا يبدل من الماء وما ذكره المفسر أحد احتمالات

(٢٥٩)

فى وجه نصب عينا ويصح أنه مفعول يشربون وقوله من كأس حال لأنه نعت نكرة قدم عليها والأصل يشربون عينا من كأس: أى خمر ممزوج بالكافور وهو سهاها (قوله يشرب بها عباد الله) الجملة صفة لعينا وقوله منها إشارة إلى أن الباء بمعنى من الابتدائية أى يتقنون الشرب من

من المنول: أى بيناه فى حال شكره أو كفره المقدرة ، وإما لتفصيل الأحوال (إنا أعتدنا) هيأنا (للكافرين سلاسل) يسحبون بها فى النار (وأغلالا) فى أعناقهم تشد فيها السلاسل (وسعيرا) نارا مسعرة: أى مهيجة يعذبون بها (إن الأبرار) جمع بر أو بار وهم الطيعون (يشربون من كأس) هو إثناء شرب الخمر وهى فيه ، والمراد من خمر تسمية للحال باسم المحل ومن للتبويض (كان مزاجها) ما تزج به (كافورا) عينا (بدل من كافورا) فيها رائحته (يشرب بها) منها (عباد الله) أولياؤه (يفجرونها تفجيرا) يقودونها حيث شاءوا من منازلهم (يوفون بالنذر) فى طاعة الله (ويخافون يوما كان شره مستطيرا) منتشرا (ويطعمون الطعام على حبه) أى الطعام وشهوتهم له (مسكينا) فقيرا (ويتينا) لا أب له (وأسيرا) ،

عين (قوله أولياؤه) أى وهم المؤمنون (قوله يقودونها) أى فهم سهلة لا تمتنع عليهم ، ورد أن الرجل منهم يمشى فى بيوته يصعد إلى قصوره وييده قضيب يشرب به إلى الماء فيجرى معه حيثما دار فى منازل على الأرض المستوية ويتبعه حيثما صعد إلى أعلى قصوره (قوله يوفون بالنذر) هذا بيان لأعمالهم التى استوجبوا بها هذا النعيم الدائم ، والمراد بالنذر العهد: أى وفون بالعهد الذى أوجبه الله عليهم أو الذى التزموه مع الله ومع عباده من صلاة وزكاة وأمر بمعروف ونهى عن منكر غير ذلك (قوله ويخافون يوما) أشار بذلك إلى أن حسن بواطنهم كظواهرهم (قوله كان شره) أى شدائده من تشق سموات وتناثر الكواكب وتكوير الشمس والقمر وغير ذلك من الأهوال والشدائد التى تقع فى ذلك اليوم (قوله منتشرا) أى ، وأما المستطيل باللام فمعناه الممتد ، ومن هنا يقال الفجر فجران مستطيل كذب السرحان وهو الكاذب ومستطير وهو صادق لانتشاره فى الأفق (قوله يطعمون الطعام الخ) نزلت فى على بن أبى طالب وأهل بيته وذلك أنه أجز نفسه ليلة سقى نخلا بشىء من شعير حتى أصبح وقبض الشعير وطحنوا ثلثه فجعلوا منه شيئا لياكلوه يقال له الحريرة فلما تم نضجه أتى مسكين فخرجوا إليه الطعام ، ثم صنع الثالث الثانى فلما تم نضجه أتى يتيم فأطعموه ، ثم الثالث فلما تم نضجه أتى أسير من شركين فسأل فأطعموه وطورا يومهم ذلك (قوله على حبه) مصدر مضاف للمفعول وعلى بمعنى مع: أى مع حبه وشهوته ففیه شار على النفس ويصح رجوع الضمير لله: أى على حب الله: أى لوجهه وابتغاء رضوانه والأول أبلغ فى المدح (قوله مسكينا) يتيما وأسيرا) خص الثلاثة لأنهم من العواجز المعدمين الكسب .

(قوله يعني المحبوس بحق) - أي وأولى المحبوس بباطل (قوله فيه علة الإطعام) أي بيان سببه (قوله وهل تكلموا بذلك) أي ليطمئن الفقير بذلك لأنه قد يقول في نفسه إنه يطعمني ويريد أن يخدمني مثلاً (قوله قولان) رجح سعيد بن جبير ومجاهد الثاني (قوله إنا نخاف من ربنا) أي فذلك نطعمكم ولا نريد منكم جزاء فهو تعليل لقوله إنما نطعمكم الخ (قوله عبوساً) إسناد العبوس لليوم مجاز عقلي والمراد أهله من إسناد الشيء إلى زمانه كنهاره صائم (قوله في ذلك) أي العبوس (قوله فوقاهم الله) الفاء سببية أي فبسبب خوفهم دفع الله عنهم شر ذلك اليوم وشدته ، وذكر القرطبي في تفه كثرته حديثاً عليه وسلم ذات يوم ونحن في مسجد المدينة فقال : إني رأيت البارحة عجبا رأيت رجلا من أمي جاءه ملك الموت ليقبض روحه فجاءه برؤسائه فودعه عنه ، ورأيت رجلا من أمي قد بسط عليه عذاب القبر فجاءه وضوءه فاستنقذه من ذلك ، ورأيت رجلا من أمي قد احتوشته الشياطين فجاءه ذكر الله تعالى فخلصه من بينهم ، ورأيت رجلا من أمي قد احتوشته ملائكة العذاب فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم ، ورأيت رجلا من أمي يلهث عطشا كلما ورد حوضا منع منه فجاءه صياحه فستق وأرواه ، ورأيت رجلا من أمي والنبیون يعودون حلقا حلقا كلما دنا حلقة طرد فجاءه اغتساله من الجنابة فأخذا بيده وأقعده إلى جنبي ، ورأيت رجلا من أمي بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة وعن يمينه ظلمة وعن شماله ظلمة ومن فوقه ظلمة ومن تحته ظلمة فهو متجبر فيها فجاءه حجه (٢٦٠) وعمرته فاستخرجاه من الظلمة وأدخلاه في النور ، ورأيت رجلا من أمي

القبول
الاستماع

يعني المحبوس بحق (إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوْجِهِ اللَّهِ) لطلب ثوابه (لَا نَزِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا) شكراً فيه علة الإطعام ، وهل تكلموا بذلك أو علمه الله منهم فأثني عليهم به قولان (إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا عَبُوسًا) تكليح الوجوه فيه : أي كرية المنظر لشدته (قَطَرٍ رِيًّا) شديداً في ذلك (فَوَقَّيْهِمُ اللَّهُ شُرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّيْهِمُ) أعطاهم (نَصْرَةً) حسناً وإضافاً في وجوههم (وَسُرُورًا) وَجَزَّيْهِمُ بِمَا صَبَرُوا) بصبرهم عن المعصية (جَنَّةً) أدخلوها (وَحَرِيرًا) ألبسوه (مُتَّكِئِينَ) ،

يكلم المؤمنين فلا يكلمونه فجاءته صلة الرحم فقالت : يا مشر المؤمنين كلوه فإنه كان واصلاً للرحم فكلوه وصاحوه ، ورأيت رجلا من أمي يتقي وهج النار وشررها بيده عن وجهه فجاءته صدوقه فصارت سترًا على وجهه وظلا على رأسه ،

ورأيت رجلا من أمي قد أخذته الزبانية من كل مكان فجاءه أمره بالمعروف ونهيهِ عن المنكر فاستنقذه من أيديهم وأدخله مع ملائكة الرحمة ، ورأيت رجلا من أمي جاثيا على ركبتيه بينه وبين حجاب فجاءه حسن خلقه فأخذ بيده وأدخله على الله ، ورأيت رجلا من أمي قد أهوت بحقيقة من قبل شماله فجاءه خوفه من فأخذ بحقيقة فجعلها في يمينه ، ورأيت رجلا من أمي قد خفت ميزانه فجاءته أفراطه فثقلوا ميزانه ، ورأيت رجلا من أمي قائما على شفير جهنم فجاءه وجهه من الله فاستنقذه من ذلك ومضى ، ورأيت رجلا من أمي هوى في النار فجاءته دموعه كان بكاء من خشية الله في الدنيا فاستخرجته من النار ، ورأيت رجلا من أمي قائما على الصراط يرعد كما ترعد السباع في ريح عاصف فجاءه حسن الظن بالله تعالى فسكن رعدته ومضى ، ورأيت رجلا من أمي على الصراط يزحف أحيانا ويأبى أحيانا ويتعلق أحيانا فجاءته صلاته على فأخذت بيده وأقامته ومضى على الصراط ، ورأيت رجلا من أمي انتهى إلى أبواب الجنة فأغلقت الأبواب دونه فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله ففتحت له الأبواب كلها وأدخلته الجنة . قلت : هذا حديث ذكر فيه أعمال خاصة تنجي من أهوال خاصة والله أعلم . وروى الطبراني عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من لقم أظما أقمة حلوة صرف الله عنه مرارة الوقف يوم القيامة » (قوله نصرة) أي العبوس (قوله وسرورا) أي فرحا في قلوبهم بدل الحزن (قوله بصبرهم عن المعصية) أي بترك فعلها ، وكذا على الصبر بها ، وعلى المعصية بالاسترجاع وعدم الشكوى فأقسام الصبر ثلاثة ، وإنما اقتصر المفسر على الصبر عن المعصية لأنه يستلزم الصبر الآخرين فمن صبر عن المعصية فقد أدام الطاعة ، لم يشك مولاه .

قوله حال من مرفوع أدخلوها (أى ويصح أن يكون حالا من مفعول جزاهم (قوله في الحجال) واحدة جملة بفتح حاء
 في السماء بالناموسية (قوله حال ثانية) أى من المقدر المذكور أو من المفعول (قوله أى لآخر ولا بردا) أى فهمي
 متدلة الهواء (قوله وقيل الزمهرير القمر) أى لأجل مقابلة قوله شمسا (قوله من غير شمس ولا قمر) أى بل بنور العرش
 هو أقوى من نور الشمس والقمر (قوله عطف على محل لا يرون) أى أو عطف على متكئين (قوله شجرها) أشار بذلك
 أن المراد بالظلال الشجر نفسه فدفع بذلك ما يقال إن الظل إنما يوجد حيث تقوم الشمس ولا شمس في الجنة (قوله وذات)
 عطف على دانية وجعلت فعلية إشارة إلى أن التذليل متجدد بخلاف التظليل فدائم ولذا أتى فيه بجملة اسمية (قوله أدنيت
 رها) أى سهل تنارها تسهلا عظيما لكل أحد (قوله ويضاف عليهم الخ) هذا من جملة بيان وصف مشاربهم وبنى الفعل
 مجهول هنا لأن المقصود بيان الطائف به لا بيان الطائف وفاعل الطواف ولدان المذكورون بعد في قوله ويطوف عليهم ولدان
 لما كان المقصود منها بيان وصف الطائف بناء للفاعل (قوله بآنية) أصله آنية بهزتين الأولى مفتوحة والثانية ساكنة
 بدأت الثانية ألفا والجار والمجرور نائب الفاعل (قوله من فضة) بيان للآنية (قوله وأكواب) عطف خاص على عام
 قوله أقداح بلا عرى) أى فيسهل الشرب منه من كل موضع فلا يحتاج لأدراته (قوله كانت قواريرا) جمع قارورة وهي
 أقر فيه الشراب ونحوه من كل إناء رقيق صاف ، وقيل هو خاص بالزجاج وكرر لفظ قوارير توطئة للذمت بقوله من فضة
 جمعت صفاء الزجاج وبريقه وبياض النضة ولينها . قال ابن عباس : (٢٦١) ليس في الدنيا شيء مما في الجنة

إلا الأسماء إذ الذي في
 الجنة أشرف وأعلى .
 واعلم أن القراء السبعة
 في هاتين السكامتين على
 خمس مراتب : إحداهما
 تنوينهما معا والوقف
 عليهما بالالف . الثانية عدم
 تنوينهما وعدم الوقف
 عليهما . الثالثة عدم
 تنوينهما والوقف عليهما
 بالالف . الرابعة تنوين
 الأول والوقف عليه
 بالالف والثاني بدون

حال من مرفوع أدخلوها المقدر (فيها على الأرائك) السرر في الحجال (لا يرون)
 لا يجدون حال ثانية (فيها شمس ولا زمهريرا) أى لآخر ولا بردا ، وقيل الزمهرير القمر
 فهي مضبوطة من غير شمس ولا قمر (ودانية) قريبة عطف على محل لا يرون أى غير راثنين
 (عليهم) منهم (ظلالها) شجرها (وذلات قطوفها تذليل) أدنيت ثمارها فينالها القائم
 والقاعد والمنطجع (ويضاف عليهم) فيها (بآنية من فضة وأكواب) أقداح بلا عرى
 (كانت قواريرا . قوارير من فضة) أى أنها من فضة يرى باطنها من ظاهرها كالزجاج
 (قدروها) أى الطائفون (تقديرا) على قدر رى الشاربين من غير زيادة ولا نقص وذلك
 آلة الشراب (ويستقون فيها كأسا) أى خرا (كأن مزاجها) مائزج به (زنجبيل)
 عينا (بدل من زنجبيل) فيها تسمى سلببيل) يعنى أن ماءها كالزنجبيل الذى تستلذ به
 العرب سهل المساغ في الحلق (ويطوف عليهم ولدان) بصفة الولدان ،

تنوين ولا يواف عليه بالالف . الخامسة عدم تنوينهما معا والوقف على الأول بالالف وعلى الثانى بدونها والتنوين للتناسب نظير
 ما تقدم في سلاسل وعدم التنوين لمجيئه على صيغة منتهى الجموع (قوله على قدر رى الشاربين) أى شهوتهم إذ لا عطش
 في الجنة والرى بكسر الراء وفتحها كفاية الشارب (قوله وذلك آلة الشراب) أى لكونه لا يزيد على الحاجة فيستقدر الزائد
 ولا ينقص فيحتاج للمثله ثانيا وهذا هو النعيم (قوله بدل من زنجبيل) أى ويصح أن يكون مفعول يستقون وقوله كأسا
 منصوب على نزع الخافض أى من كأس كما تقدم نظيره (قوله تسقى) أى تلك العين السهلة لإساعتها ولذة طعمها (قوله
 سلببيل) هو ما كان في غاية السلاسة وهي سهولة الانحدار في الحلق زادت الباء في السكامة حتى صارت خماسية وقال مقاتل
 وابن حبان سميت سلببيل لأنها تسيل عليهم في الطرق وفي منازلهم تنبع من أصل العرش من جنة عدن إلى أهل الجنان . قال
 البغوي : شراب الجنة في برد الكافور وطعم الزنجبيل وريح المسك من غير لذع (قوله يعنى أن ماءها كالزنجبيل) أى فهو
 مماثل له في الاسم فجميع ما في الجنة من الأشجار والقصور والمأكول والمشروب والملبوس والثمار لا يشبه ما في الدنيا إلا في مجرد
 الاسم لكن الله تعالى يرغب الناس بذكر أحسن شيء وألذ ما يعرفونه في الدنيا لأجل أن يسعوا فيما يوصلهم إلى هذا النعيم
 للقيم (قوله ولدان) بكسر الواو بانفاق السبعة وهم غلمان ينشئهم الله تعالى لخدمة المؤمنين على التحقيق ، وقيل هم أولاد المؤمنين
 الصغار ورد بأنهم ياحقون بآبائهم تأنسا وسرورا بهم ، وقيل هم أولاد الكفار .

(قوله لايشيرون) أى عدم وجود الشعر لهم (قوله وهو أحسن منه فى غير ذلك) جواب عما يقال ما الحكمة فى تشبيههم بالؤلؤ المنثور دون المنظوم . فأجاب بأنه لحسنهم وانتشارهم فى الخدمة شبههم بالؤلؤ المنثور (قوله وإذا رأيت) الخطار للنبي أو لكل من يدخل الجنة (قوله رأيت نعيما) أى ما ينتمى به من ما كل ومشرب وملبس ومركب وغير ذلك (قوله واسعا لا غاية له) أى فى الطول ولا فى العرض لما فى الحديث « أدنى أهل الجنة منزلة من ينظر فى ملكه مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أذناه ومن الملك الكبير تسليم الملائكة عليهم ولبس التيجان على رؤسهم كما تكون على رؤس الملوك وأعظمهم منزلة من ينظر إلى وجه ربه كل يوم » (قوله عليهم) بفتح الياء وضم الهاء وقوله وفى قراءة أى سبعية أيضا (قوله وهو خبر المبتدأ بعده) أى وهو ثياب ويصح العكس وهو كون عليهم مبتدأ وثياب خبره (قوله ثياب سندس) الإضافة على معنى من والسندس مارق من الحرير (قوله عكس ماذكر) أى وهو جر خضر ورفع استبرق فجر خضر على الوصفية لسندس لأنه اسم جنس ووصفه بالجمع جائز ورفع استبرق عطف على ثياب على حذف مضاف أى وثياب استبرق فإلقرأت أربع سبعيات رفع (٢٦٢) خضر واستبرق وجرهما ورفع الأول وجر الثانى وعكسه وأما سندس

فجرور لا غير لإضافة ثياب إليه (قوله وحلوا) عبر بالماضى إشارة لتحقيق وقوعه (قوله وفى موضع آخر الخ) أى فقال فى سورة الحج وفاطر - يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا - (قوله للايذان) أى للاعلام وقوله معا أى فيجمع فى يد أحدهم سواران من ذهب وسواران من فضة وسواران من لؤلؤ وقوله ومفرقا أى فتارة يلبسون الذهب فقط وتارة يلبسون

لايشيرون (إذا رأيتهم حسبهم) لحسنهم وانتشارهم فى الخدمة (لؤلؤا منثورا) من سلكه أو من صدقه وهو أحسن منه فى غير ذلك (وإذا رأيت ثم) أى وجدت الرؤية منك فى الجنة (رأيت) جواب إذا (نعيما) لا يوصف (وملكا كبيرا) واسعا لا غاية له (عليهم) فوقهم فنصبه على الظرفية وهو خبر المبتدأ بعده، وفى قراءة بسكون الياء مبتدأ وما بعده خبره والضمير المتصل به المعطوف عليهم (ثياب سندس) حرير (خضر) بالرفع (واستبرق) بالجر ما غلظ من الديباج فهو البطائن والسندس الظاهر وفى قراءة عكس ماذكر فيهما، وفى أخرى برفعهما، وفى أخرى بجرهما (وحلوا أساور من فضة) وفى موضع آخر من ذهب للايذان بأنهم يحلون من النوعين معا ومفرقا (وسقاهم شرابا طهورا) مبالغة فى طهارته ونظافته بخلاف خمر الدنيا (إن هذا) النعيم (كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا) إنا نحن) تأكيد لاسم إن أو فصل (نزلنا عليك القرآن تنزيلا) خبر إن أى فصلناه ولم ننزله جملة واحدة (فأصبر لحكم ربك) عليك بتبليغ رسالته (ولا تطع من) أى الكفار (آثما أو كفورا) أى عتبة بن ربيعة والوليد بن المغيرة ،

قالا

الفضة فقط وتارة يلبسون اللؤلؤ فقط على حسب ما يشتهون

(قوله وسقاهم ربه) أسند الاستاء لنفسه إشارة لعلو منزلتهم ورفعة قدرهم وإلى أن الشراب الطهور نوع آخر يفوق على ما تقدم (قوله شرابا طهورا) أى من الأقدار لم تمسه الأيدي ولم تدنسه الأرجل تحمر الدنيا (قوله إن هذا الخ) أى يقال لم ذلك بعد دخولهم فيها ومشاهدتهم نعيمها المزيّد الأنس والسرور (قوله مشكورا) أى مقبولا مرضيا (قوله تأكيد لاسم إن) أى ويصح أن يعرب مبتدأ ونزلنا خبره والجملة خبر إن (قوله خبر إن) أى - سواء جعلنا نحن تأكيد أو فصلا (قوله أى فصلناه الخ) أى لحكمة بالغة وهى كما فى الفرقان: لنثبت به فؤادك ورتلناه تنزيلا ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا، والمتنصود من ذلك تسايته صلى الله عليه وسلم وشرح صدره وأن ما أنزل عليه ليس بشعر ولا كماله (قوله فأصبر لحكم ربك) منى المسر على أن المراد بالحكم التكليف بتبليغ الرسالة وعليه فالآية محكمة، وقيل إن المراد بالحكم القضاء . والمعنى اصبر على أذى المشركين الذى حتمه الله فى الأزل فلا مفر لك منه حتى يفرج الله عنك وعليه فالآية منسوخة (قوله أى عتبة بن ربيعة الخ) أشار بذلك إلى أن المراد بالآثم عتبة لأنه كان متعاطيا لأنواع الفسوق متظاهرا بها، وأن المراد بالكفور الوليد فإنه كان متظاهرا بالكفر داعيا إليه وبهذا ظهر التخصيص لكل وإن كان كل منهما آثما وكفورا .

(قوله قال النبي صلى الله عليه وسلم إن كنت صنعت ما صنعت لأجل النساء والمال فأرجع عن هذا الأمر فقال عتبة أنا أزوجه ابني وأوقها إليك من غير مهر ، وقال الوليد أنا أعطيك من المال حتى ترضى وأرجع عن هذا الأمر فنزلت الآية (قوله أي لا تطع أحدهما الخ) أي والنهي عن طاعتها معا معلوم بالأولى فأو أبغ من الواو لأنها لتني الأحد الهائر (قوله في الصلاة) أشار بذلك إلى أن المراد بالذكر الصلاة ، والمعنى دم على الصلاة (قوله والظهر والعصر) إطلاق الأصيل على العصر ظاهر وعلى الظهر باعتبار آخر وقتها وإلا فالزوال وما يقرب منه لا يسمى أصيلا (قوله ومن الليل) من تبعية ، والمعنى صل له بعض الليل وقوله فاسجد له الفاء دالة على شرط مقدر تقديره مهما يكن من شيء فصل من الال الخ وفيه زيادة حث على صلاة الليل (قوله إن هؤلاء يحبون العاجلة الخ) علة لما قبله من النهي والأمر ، والمعنى لا تطعهم لتشتغل بما أمرك الله به من العبادة لأن هؤلاء تركوا الآخرة واشتغلوا بالدنيا فترك أنت الدنيا واشتغل بالآخرة (قوله وراءهم) حال من يوما مقدم عليه لأنه نعت نكرة قدم عليها ووراء إما باق على معناه نظير فنبتذوه وراء ظهورهم كناية عن كونهم لا يعباون به ولا يعملون له أو مستعار لقدام (قوله يوما ثقيلا) مفعول يذرون ووصفه بالثقل مجاز إذ الثقل من صفات الأعيان لا المعاني (قوله قوينا أمرهم) أي ربطنا أوصالهم بعضها إلى بعض بالعروق والأعصاب (قوله أمثالهم) مفعول أول والثاني محذوف بينه بقوله بدلا منهم (قوله ووقعت إذا الخ) جواب عما يقال إن إذا تفيد التحقيق مع أنه تعالى لم

قالا للنبي صلى الله عليه وسلم أرجع عن هذا الأمر ، ويجوز أن يراد كل آثم وكافر أي لا تطع أحدهما أيما كان فيما دعاك إليه من إثم أو كفر (وَأَذْكُرْ أَسْمَ رَبِّكَ) في الصلاة (بُكْرَةً وَأَصِيلًا) يعني الفجر والظهر والعصر (وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ) يعني المغرب والعشاء (وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا) صل التطوع فيه كما تقدم من ثلثيه أو نصفه أو ثلثه (إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ) الدنيا (وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا) شديداً أي يوم القيامة لا يعملون له (نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا قُوَّةَنَا) قوينا (أَمْرَهُمْ) أعضائهم ومفاصلهم (وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا) جعلنا (أَمْثَلَهُمْ) في الخلقة بدلاً ، نهم بأن نهلكهم (تَبْدِيلًا) تأكيد ووقعت إذا موقع إن نحو «إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ» لأنه تعالى لم يشأ ذلك ، وإذا لما يقع (إِنَّ هَذِهِ) السورة (تَذْكِرَةٌ) عظة للخلق (فَنُشَاءُ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا) طريقاً بالطاعة (وَمَا تَشَاءُونَ) بالتاء والياء اتخاذاً السبيل بالطاعة (إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ) ذلك (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا) بخلقه (حَكِيمًا) في فعله (يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ) جنته وهم المؤمنون (وَالظَّالِمِينَ) ناصبه فعل مقدر أي أوعده يفسره (أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) مؤلماً ، وهم الكافرون .

(سورة المرسلات)

مكية ، خمسون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا) :

بشأ ذلك فكان المقام لأن التي تفيد الاحتمال . فأجاب بأنه استعمل إذا موضع إن مجازاً (قوله عظة للخلق) أي لأن في تدبرها تركها تنبيهاً للغافلين وفوائد للطالبين المقبلين بكائهم على الله تعالى (قوله فمن شاء اتخذ الخ) أي فالطريق واضح والحق ظاهر فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر (قوله بالتاء والياء) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله إلا أن يشاء الله) منصوب على الظرفية ، والمعنى لا الوقت مشيئة الله تعالى ففيه تسلية بالرجوع إلى الحقيقة (قوله أوعده) وهذا المقدر يلاقى المذكور في المعنى فهو على حد زيدا مررت به . [سورة المرسلات] وفي نسخة سورة والمرسلات وهذه السورة نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن ، قال ابن مسعود ونحن معه فسبح حتى أوتينا إلى غار مني فنزلت فيبيننا نحن نتأقها منه وفاه رطب بها إذ وثبت حية فوثبنا عليها لنقتلها فذهبت فقال النبي صلى الله عليه وسلم وقيت شركم والغار المذكور مشهور في منى يسمى غار المرسلات (قوله والمرسلات عرفاً الخ) اعلم أن الله تعالى أقسم بصفات خمسة موصوفها محذوف فقدره بعضهم الرياح في الكل وبعضهم قدره الملائكة في الكل وبعضهم غيره .

لجعل تارة الرياح وتارة الملائكة وأما ما ذكره المفسر فلم يعرج عليه المفسرون وهو حسن. وحاصل صنيعه أنه جعل الصفات الثلاثة الأولى لموصوف واحد وهو الرياح والرابعة لموصوف ثان وهو الآيات والخامسة لموصوف ثالث وهو الملائكة (قوله أي الرياح) أي رياح العذاب ليغير قوله والناشرات (قوله ونصبه على الحال) أي من الضمير في المرسلات، والمعنى حال كونها مشابهة لعرف الفرس من حيث تتابعها وتلاحقها فالعرف بالضم شعر عنق الفرس والمعرفة كرملة موضع العرف من الفرس (قوله فالعاصفات) من العصف وهو الشدة فهو مرتب على قوله المرسلات الذي هو ريح العذاب (قوله تنشر المطر) أي تفرقه حيث شاء الله تعالى (قوله أو الرسل) هذا تفسير ثان للماقيات (قوله أي للاعذار الخ) أشار بذلك إلى أن عذرا أو نذرا مفعولان لأجله والمعال بهما هو الماقيات والمراد بالاعذار إزالة أعذار الخلائق وبالانذار التخويف (قوله وفي قراءة بضم ذال نذرا) أي وهما سبعيتان وقوله وقرئ هذه القراءة ليعقوب من العشرة. والحاصل أن الضم في عذرا ونذرا على أنهما جمعان أعذر بمعنى المعذرة ونذير بمعنى الانذار أو بمعنى العاذر أو المنذر والسكون على أنهما مصدران (قوله إنما توعدون الخ) جواب القسم وما بمعنى الذي والعائد محذوف أي إن الذي توعدون (قوله فاذا النجوم طمست) النجوم مرفوعة بفعل محذوف

(٢٦٤)

يفسره ما بعده من باب الاشتغال (قوله وسيرت) أي بعد التفتيت (قوله أقت) أي جعل لهم وقت لاقضاء بينهم وبين أمهم وهو يوم القيامة (قوله بالواو) أي على الأصل لأنه من الوقت وقوله وبالهمز أي لأن الواو لما ضمت قلبت همزة وهما سبعيتان (قوله لأي يوم) متعلق بأجات والجملة مستأنفة أو مقولة لقول محذوف أي يقال لأي يوم الخ والقول منصوب على الحال من مرفوع أقت

أي الرياح متتابعة كعرف الفرس يتلو بمضه بعضاً ونصبه على الحال (قوله أصفات عصفاً) الرياح الشديدة (وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا) الرياح تنشر المطر (قَالَ الْفَارِقَاتِ فَرَقًا) أي آيات القرآن تفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام (قَالَ الْمُلَقَّيَاتِ ذِكْرًا) أي الملائكة تنزل بالوحي إلى الأنبياء أو الرسل يلقون الوحي إلى الأمم (عُذْرًا أَوْ نَذْرًا) أي للاعذار والإنذار من الله تعالى وفي قراءة بضم ذال نذراً وقرئ بضم ذال عذراً (إِنَّمَا تُوعَدُونَ) أي كفار مكة من البعث والعذاب (أَوَاقِعُ) كائن لا محالة (فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ) محي نورها (وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ) شقت (وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ) فتت وسيرت (وَإِذَا الرُّسُلُ وُفَّتَتْ) بالواو والهمز بدلا منها: أي جمعت لوقت (لِأَيِّ يَوْمٍ) ليوم عظيم (أُجِّلَتْ) للشهادة على أمهم بالتبليغ (لِيَوْمِ الْفَصْلِ) بين الخلق ويؤخذ منه جواب إذا: أي وقع الفصل بين الخلائق (وَمَا أَدْرَاكَ) (لِيَوْمِ الْفَصْلِ) تهويل لشأنه (وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْكَذِبِينَ) هذا وعيد لهم (أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ الْآيَاتُ الْأَوَّلِينَ) بتكذيبهم: أي أهلكناهم (ثُمَّ نَدْبَعُهُمُ الْآخِرِينَ) ممن كذبوا ككفار مكة،

وقوله ليوم الفصل يدل من أي يوم باعادة العامل والاستفهام للتهويل والتعظيم (قوله ويؤخذ منه) أي من قوله ليوم الفصل وقوله جواب إذا أي المحذوف والتقدير وقع الفصل (قوله وما أدراك) ما استفهام مبتدأ وجملة أدراك خبرها والكاف مفعول أول وقوله ما يوم الفصل جملة من مبتدأ وخبر سادة مسد المفعول الثاني والاستفهام الأول للاستبعاد والانكار والثاني للتعظيم والتهويل (قوله ويل يومئذ للكذابين) ويل مبتدأ وسوغ الابتداء به كونه للكذابين خبره ويومئذ ظرف لويل وكررت هذه الجملة في هذه السورة عشر مرات لمزيد الترغيب والترهيب، والمراد بالويل العذاب والحزى وقيل واد في جهنم فيه ألوان العذاب لما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال «عرضت على جهنم فلم أرى واديا أعظم من الويل» وقيل إنه محج ما يسيل من قيح أهل النار وصديدهم (قوله ألم نهلك الأولين) الاستفهام تقريرى طلب الإقرار بما بعد النفي والمراد بالأولين الأمم السابقة من آدم إلى محمد صلى الله عليه وسلم كقوم نوح وعاد وثمود والمراد بالآخر كفار أمية محمد (قوله أي أهلكناهم) أفاد بذلك أن الاستفهام داخل على نفي ونفي النفي إثبات نظير ألم نشرح لك صدرك ثم ندبهم الآخرين) العامة على رفع العين استثناء أو معطوفا على جملة ألم نهلك الأولين وليس معطوفا على الفعل والاستفهام عليه لأنه يقتضي أن المعنى أهلكنا الأولين ثم أتبعناهم الآخرين في الهلاك وليس كذلك لأن هلاك الآخرين لم يحصل

وقرى شدودا بتكين العين إما تخفيفاً والجملة مستأنفة أو معطوفة على المهدوم ويكون المراد بالأولين قوم نوح وعاد وهود
وبالآخرين قوم شيب ولوط وموسى وحيداً فالمراد بالمجرمين كفار أمة محمد عليه الصلاة والسلام (قوله فمنهم منكم) أى فى الدنيا كوقعة
بدر (قوله ألم تخلقكم الخ) هذا تذكير من الله تعالى لكفار بعظيم إنعامه عليهم وبقدرته على ابتداء خلقهم والتأدير على الابتداء
قدرة على الاعادة ففيها رد على منكرى البعث (قوله حريز) أى يحفظ فيه الخ من الفساد (قوله إلى قدر معلوم) أى مقدار معلوم
من الوقت قدره تعالى للولادة (قوله فتدبرنا) بالتخفيف والتشديد قراءتان سبعيتان فالتشديد من التقدير والتخفيف من التذكرة
(قوله على ذلك) أى الخالق والصوير (قوله كفاتنا) مفعول ثان لنجعل (قوله مصدر كفت) المناسب أن يقول اسم مكان لأن كفت
من باب ضرب فصدره الكفت فالمعنى ألم نجعل الأرض موضع كفت أى جمع وضم (قوله أحياء وأمواتا) أى تضمينهم في دورهم
ومنازلهم في حال الحياة وتضمينهم في بطنها في قبورهم حال الموت ثم هي (٢٦٥) إما راضية عليه فتضمه ضمة الأم

الشفوق أو غير راضية
فتضمه ضمة تخالف بها
أضالعه (قوله جبلا
مرتفعات) أى لولائها
لتحركات بأهائها (قوله
ماء فرانا) أى من العيون
ولأنهار فتشربون منه
أنتم ودوابكم وتستقون
منه زرعكم (قوله من
العذاب) بيان لما (قوله
انطلقوا إلى ظل) يؤكد
لانطلقوا الأول (قوله
ذى ثلاث شعب) أى
فرق: شعبة فوق الكاف
وشعبة عن يمينه وشعبة
عن يساره ، ففيه إشارة
لعظم الدخان لأن شأن
الدخان العظيم إذا ارتفع
يصير ثلاث شعب ، وقيل
يخرج لسان من النار

فمنهم (كذلك) مثل فعلنا بالكاذبين (نفعل بالمجرمين) نكل من أجرم فيما يستقبل
فمنهم (ويل يومئذ المكذبين) تأكيد (ألم تخلفكم من ماء مهين) ضعيف
وهو الخ (فجاءناه في قرار مكين) حريز وهو الرحم (إلى قدر معلوم) وهو وقت
الولادة (فتدبرنا) على ذلك (فدعهم القادرون) نحن (ويل يومئذ المكذبين) ألم
نعمل الأرض كفاتنا) مصدر كفت بمعنى ضم . أى ضامة (أهيم) على ظهرها (وأمواتنا)
في بطنها (وجعلنا فيها رواسي شامخات) جبلا مرتفعات (وأستقيناكم ماء فرانا)
عذبا (ويل يومئذ المكذبين) ويقال للمكذبين يوم القيامة (انطلقوا إلى ما كنتم
يمر) من العذاب (تكدبون) انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب (هـ دخان جهنم إذا
ارتفع افرق ثلاث فرق لعظمتها (لا ظليل) كنين يظلمهم من حر ذلك اليوم (ولا يغني)
رد عنهم شيئا (من اللهب) النار (إنها) أى النار (ترمي بشرر) هو مانطير منها
(كأنقصر) من البناء في عظمه وارتفاعه (كأنه جمالات) جمع جمالة جمع جل وفي قراءة
جمالة (صفر) في هيأتها ولونها وفي الحديث «شرار النار أسود كالقير» والعرب تسمى سود
الإبل صفراً لشوب سوادها بصفرة فقيل صفر في الآية بمعنى سود لما ذكره وقيل لاوالشر جمع
شررة ، والشرار جمع شرارة ، والقير القار (ويل يومئذ المكذبين) هذا) أى يوم القيامة
(يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ) فيه بشيء (وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ) في العذر (فَيَمْتَدُّونَ) عطف على يؤذن ،

فيحيط بالكفار كالمرادق ويتشعب من دخانها ثلاث شعب فتظلمهم حتى يفرغ حسابهم والؤونون في ظل العرش (قوله لا ظليل)
صفة لظل ولا متوسطة بين الصفة والوصف لافادة النفي وهذا تركم بهم ورد لما أوهمه لفظ الظل من الراحة (قوله كنين)
أى سائر (قوله بشرر) هكذا برأين من غير ألف بينهما وهى قراءة العامة وقرى شدودا بألف بين الرأين مع كسر الشين
وفتحها فاشرر جمع شررة والشرار بكسر الشين جمع شررة أيضا كرقبة ورقاب وافتح الشين جمع شرارة وهى كل مانطير من
النار متفرقا (قوله كأنه) أى الشرر فشبهه أولا بالقصر في العظم والكبر وثانيا بالجمال في اللون والكثرة والتتابع (قوله وفي
قراءة) أى سبعية أيضا (قوله في هيأتها الخ) بيان لوجه الشبهة (قوله لشوب سوادها) أى اختلاطه (قوله فقيل الخ)
تفريع على الحديث وصنيع العرب (قوله وقيل لا) أى ليس صفر بمعنى سود بل هو باق على حقيقته (قوله القار)
أى الزيت (قوله أى يوم القيامة) أى الدلول عليه بقوله انطلقوا إلى ظل الخ (قوله لا ينطقون) أى فى بعض المواقف

وفي بعضها يتكلمون ويعتذرون ، فلما نفاة بين ما هنا وبين قوله يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ونحوه (قوله من غير تسبب عنه) جواب عما يقال إن العطف بالفاء أو الواو على النفي يقتضي نصب المعطوف فلم رفع في الآية ٢ وإيضاحه أن محل نصبه إذا كان متسببا عن النفي نحو : لا يقتضي عليهم فيموتوا ، وأما إذا لم يكن متسببا كما هنا لأن النفي متوجه للمعطوف والمعطوف عليه فإنه يرفع (قوله هذا يوم الفصل) أي بين الحق والباطل (قوله والأولين) إما عطف على الكاف في جمعناكم أو مفعول منه وهذه الجملة مقولة لقول محذوف أي يقال لهم هذا يوم الفصل (قوله حيلة) تسميتها كيداً تهكم بهم (قوله فكيدون) أي فاحتالوا لأنفسكم وقاؤوني فلم تجدوا مفراً (قوله إن المتقين الخ) ذكر في سورة هل أتى على الإنسان أحوال الكفار في الآخرة على سبيل الاختصار وأظن في أحوال المؤمنين عكس ما فعل هنا ليحصل التعادل بين السورتين (قوله أي تكاثف أشجار) من إضافة الصفة للموصوف (قوله وعيون نابغة من الماء) أي ومن العسل واللبن والحمر كافي آية القتال (قوله مما يشتهون) راجع للعيون والنواكه (قوله بحسب شهواتهم) أي فتي اشتهاوا فأكهه وجدوها حاضرة فلبست فأكهه الجنة مقيدة بوقت دون وقت كما في أنواع فاكهة الدنيا (٢٦٦) قال تعالى : أكلها دائم وظلتها (قوله وقل لهم) أي من قبل الله أو القائل

لهم الملائكة إكراماً لهم (قوله كما جزينا المتقين) أي بالظلال والعيون والفواكه تجزي المحسنين إن قلت لامغارة بين المتقين والمحسنين ففيه تشبيه الشيء بنفسه . والجواب أن يراد بالمتقين الكاملون في الطاعة وبالمحسنين من عندهم أصل الإيمان ويصير المعنى إن هذا الجزاء كما هو ثابت للكاملين في الطاعة ثابت لمن كان عنده أصل الإيمان فالعائلة في الأوصاف التي

من غير تسبب عنه فهو داخل في حيز النفي أي لا إذن فلا اعتذار (وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ . هَٰذَا يَوْمُ الْفُصْلِ جَمَعْنَاكُمْ) أيها المكذبون من هذه الأمة (والأولين) من المكذبين قبلكم فتحاربون وتعذبون جميعاً (فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ) حيلة في دفع العذاب عنكم (فكيدون) فافعلوها (وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ . إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ) أي تكاثف أشجار إذ لا شمس يظل من حرها (وَعُيُونٌ) نابغة من الماء (وَفَوَاكِهُ) مما يشتهون (فيه إعلام بأن المأكول والمشرب في الجنة بحسب شهواتهم بخلاف الدنيا فيحسب ما يجد الناس في الأغلب ، ويقال لهم (كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا) حال أي متهنئين (بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) من الطاعات (إِنَّا كَذٰلِكَ) كما جزينا المتقين (نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ . وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ . كُلُوا وَتَمَتَّعُوا) خطاب للكفار في الدنيا (قَلِيلًا) من الزمان وغايته إلى الموت وفي هذا تهديد لهم (إِنَّكُمْ مُّجْرِمُونَ . وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ . وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا) صلوا (لَا يَرَوْا كَعُونَ) لا يصلون (وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ) أي حديث بعده (أي القرآن) يؤمنون (أي لا يمكن إيمانهم بغيره من كتب الله بعد تكذيبهم به لاشتماله على الإعجاز الذي لم يشتمل عليه غيره

ذكرت في تلك الآية لافي المراتب والدرجات فتدبر (قوله من الزمان) أي قليلاً (سورة)

منصوب على الظرفية (قوله وغايته إلى الموت) أي فهو مدة العمر قال بعض العلماء : التمتع في الإيمان من أفعال الكافرين ، والسي لها من أفعال الظالمين ، والاطمئنان إليهم من أفعال الكاذبين والسكون فيها على حد الاذن والأخذ منها على قدر الحاجة من أفعال عوام المؤمنين ، والاعراض عنها من أفعال الزاهدين ، وأهل الحقيقة أجل خطراً من أن يؤثر فيهم حب الدنيا وبنفسها وجمعها وتركها (قوله وإذا قيل لهم) أي لهؤلاء المجرمين أي من أي قائل كان (قوله صلوا) أي فسميت الصلاة باسم جزئها وهو الركوع وخص هذا الجزء لأنه يقال على الخضوع والطاعة (قوله فبأي حديث) متعلق بيؤمنون قال الرازي : إنه تعالى لما بالغ في زجر الكفار من أول السورة إلى آخرها بهذه الوجوه العشرة المذكورة وحث على التمسك بالنظر والاستدلال والانقياد للدين الحق وختم السورة بالتعجب من الكفار وبين أنهم إذا لم يؤمنوا بهذه الدلائل العظيمة مع وضوحها لا يؤمنون بغيرها . قال البوصيري في هزئته : وإذا البيئات لم تغن شيئاً فالتماس الهدى بهن عناء

(قوله لاشتماله على الإعجاز) أي فقد ورد أن معجزات المصطفى مائة ألف وسبعون ألفاً في القرآن منها مائة ألف والسبعون من غيره وهذا التعليل لا ينتج ما قاله المفسر من عدم الامكان إذ يجوز أن يؤمنوا بغيره مع عدم إعجازه وبكذبوا بالقرآن المعجز فلا

في التعايل لأن القرآن مصدق للكتب القديمة ، ووافق لها في أصول الدين فيلزم من تكذيبه تكذيب غيره من الكتب
بما في غيره موجود فيه فلا يمكن الإيمان بغيره مع تكذيبه لكان أولى .

[التساؤل] وتسمى سورة النبأ العظيم وسورة عم وسورة عم يتساءلون (قوله عم) عن حرف جر وما استفهامية
لجر حذف ألفها للقاعدة المقررة التي أشار لها ابن مالك بقوله :

وما في الاستفهام إن جرت حذف ألفها وأولها لها إن تقف

بالبزى بهاء السكت جريا على القاعدة ، ونقل عن ابن كثير إثبات الهاء في الوصل أيضا لإجراء له مجرى الوقف وقرئ
إذا بآيات ألف والجار والمجرور متعلق بيتساءلون وقوله عن النبأ عطف بيان . وسبب نزولها أنه صلى الله عليه وسلم لما
جعل للمشركون يتساءلون بينهم فيقولون ما الذي أتى به ويتجادلون فيما بعث به ، ومناسبتها لما قبلها أنه لما قال فبأى
ث بده يؤمنون أي بعد القرآن فكانوا يتجادلون فيه ويتساءلون (٢٦٧) عنه فقال عم يتساءلون (قوله

بيان لذلك الشيء) أي

المعبر عنه بما الاستفهامية

والمراد بالبيان عطف

البيان (قوله والاستفهام

لتفخيمه) أي فليس

استفهاما حقيقيا بل هو

كناية عن تفخيم الأمر

وتعظيمه (قوله الذي)

صفة للنبأ وهم مبتدأ

ومختلفون خبره وفيه

متعلق بمختلفون والجملة

صلة الذي وقوله فالمؤمنون

الح أشار بذلك إلى أن

الضمير في هم عائد على

ما يشمل المؤمنين والكفار

وجعل الواو في يتساءلون

محمولة على الكفار ليس

بواضح لأنه يلزم عليه

تشيت الضائر فالمناسب

(سورة النبأ)

مكية ، إحدى وأربعون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . عَمَّ) عن أي شيء (يَتَسَاءَلُونَ) يسأل بعض قريش
نَا (عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ) بيان لذلك الشيء ، والاستفهام لتفخيمه وهو ما جاء به النبي
صلى الله عليه وسلم من القرآن المشتمل على البعث وغيره (الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ) فالمؤمنون
كفرون والكافرون ينكرونه (كَلَّا) ردع (سَيَعْلَمُونَ) ما يحل بهم على إنكارهم له (ثُمَّ
لَا سَيَعْلَمُونَ) تأكيد وحج . فيه بسم للأيذان بأن الوعيد الثاني أشد من الأول ، غم أو ما
إلى إلى القدرة على البعث فقال (أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا) فراشا كامها (وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا)
بث بها الأرض كما تثبت الخيام بالأوتاد والاستفهام للتقرير (وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا) ذكورا
إناثا (وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا) راحة لأبدانكم (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا) ساترا بسواده
وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا) وقتا للمعيش (وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا) سبع سموات (شِدَادًا)
قع شديدة : أي قوية محكمة لا يؤثر فيها مرور الزمان (وَجَعَلْنَا مَرَجًا) منهدا (وَهَاجًا)
قادا ،

يسوى بين الضميرين بأن يجعلهما عائدتين على الكفار واختلافهم فيه من حيث إن بعضهم يقول فيه شعروا بعضهم يقول فيه كراهة
غير ذلك (قوله ردع) أي فيه معنى الوعيد والتهديد (قوله ما يحل بهم) مفعول يعلمون ، والمعنى ما ينزل بهم عند النزاع أو في القيامة
لكشف الغطاء عنهم في ذلك الوقت وحل محل بالكسر والضم في الضارع بمعنى نزل (قوله تأكيد) أي نفطى وقيل عطف نسق
به معنى التأكيد (قوله للأيذان بأن الوعيد الثاني الح) أي فتغايروا بهذا الاعتبار ، ومن هنا قيل أن الأول عند النزاع والثاني في القيامة
قيل الأول للبعث والثاني للجزاء (قوله ثم أو ما تعالى) أي أشار إلى الأدلة الدالة عليها وذكر منها تسعة ووجه الدلالة أن يقال إنه تعالى
حيث كان قادر على هذه الأشياء فهو قادر على البعث (قوله لم نجعل الأرض مهادا) الأرض مفعول أول ومنها دام مفعول ثان إن جعلت بمعنى
تصوير وإن جعلت بمعنى الخلق ويكون مهادا حالاً وكذا يقال في قوله أوتادا وهو ما يفرش له لينام عليه
قوله للتقرير) أي بما بعد النبي (قوله سباتا) بالضم كغراب النوم الثقيل وأصله الراحة وفعله سبت كقتل (قوله ساترا بسواده) أي
ظلمته فيه تشبيه بانيغ يحذف الأداة أي كاللباس يجامع الستر في كل (قوله وقتا للمعيش) أي تنصرفون فيه في حوائجكم (قوله وهاجا)

أى مضينا (قوله يعنى الشمس) أى لأنها كوكب نهارى ينسخ ضوءه ظلمة الليل (قوله التى حان لها أن تمطر) أى جاء وقت إمطارها المقدر لها (قوله الجارية) المراد بها مطاق الأنثى (قوله صبابا) أى بشدة وقوة (قوله حبا ونباتا) أى فالمراد ما يقتات به وما يعاف به من التبن والحشيش (قوله جمع ليف) وقيل جمع لف بكسر اللام وقيل لاواحدله (قوله إن يوم الفصل الخ) كلام مستأنف واقع فى جواب سؤال مقدر تقديره ما وقت البعث الذى أثبت بالأدلة المتقدمة فقال إن يوم الفصل وأكده بأن لتردد الكفار فيه (قوله ميقانا) أى فى علمه وقضائه (قوله وقتا للثواب والعقاب) أشار بذلك إلى أن الميقات زمان مقيد بكونه وقت ظهور ما وعد الله به من الثواب والعقاب (قوله يوم ينفخ فى الصور) أى النفخة الثانية (قوله جماعات مختلفة) روى عن معاذ بن جبل قلت «يا رسول الله أرأيت قول الله تعالى: يوم ينفخ فى الصور فتأتون أفواجا فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا معاذ بن جبل لقد سألت عن أمر عظيم ثم أرسل عيبيه با كيا ثم قال: يحشر عشرة أصناف من أمتى أشتاتا قد ميزهم الله تعالى من جماعات المسلمين وبذل صورهم فبعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون أرجلهم فوق وجوههم ووجوههم يسحبون عليها وبعضهم عمى مترددون وبعضهم صم بكم عمى فهم لا يعقلون وبعضهم يمشون ألسنتهم فهى مدلاة على صدورهم بسيل ققيح من أفواههم لعابا يتقذرهم أهل الجمع وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من النار وبعضهم (٢٦٨) أشد نقما من الجيف وبعضهم يلبسون جلابيب سابعة من القطران

يعنى الشمس (وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ) السحابات التى حان لها أن تمطر كالمعصر الجارية التى دنت من الحيض (مَاءٌ تَجَاجَا) صبابا (لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا) كالحنطة (وَنَبَاتًا) كالنبتين (وَجَنَّتِ) بساتين (أَلْفَاكَ) ملتفة جمع ليف كشرىف وأشراف (إِنَّ يَوْمَ الْفُصْلِ) بين الخلائق (كَانَ مِيقَاتًا) وقتا للثواب والعقاب (يَوْمَ يَنْفَخُ فِي الصُّورِ) القرن بدل من يوم الفصل أو بيان له والنافخ إسرافيل (فَتَأْتُونَ) من قبوركم إلى الموقف (أَفْوَاجًا) جماعات مختلفة (وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ) بالتشديد والتخفيف شققت لنزول الملائكة (فَكَانَتْ أَبْوَابًا) ذات أبواب (وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ) ذهب بها عن أما كنها (فَكَانَتْ سَرَابًا) هباء أى مثله فى خفة سيرها (إِنْ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا) راصدة أو مرصدة (لِلطَّاغِينَ) الكافرين فلا يتجاوزونها (مَاءًا) مرجعا لهم فيدخلونها (لَا يَشِينُ) حال مقدرة أى مقدراً لبثهم (فِيهَا) أخيراً (دهوراً) لانهاية لها،

لاصقة بجلودهم، فأما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس يعنى النمام وأما الذين على صورة الخنازير فأهل السحت والحرام والمكس وأما المنكسون رؤسهم ووجوههم فأكلة الربا وأما العمى فهم من يجورون فى الحكم وأما الصم البكم فهم الذين يعجبون بأعمالهم وأما الذين يمشون ألسنتهم فاللهاء والقصاص الذين

يخالف قولهم فعلمهم ، وأما المقطعة أيديهم وأرجلهم فالذين يؤذون الجيران ، وأما المصلبون على جذوع من النار فالسعاة بالناس إلى السلطان ، وأما الذين هم أشد نقما من الجيف فالذين يتمتعون بالشهوات ويمنعون حق الله من أموالهم ، وأما الذين يلبسون الجلابيب فأهل الكبر والفخر والخيلاء (قوله وفتحت السماء) عطف على قوله فتأتون وعبر بالماضى لتحقق الوقوع (قوله بالتشديد والتخفيف) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله شققت) أشار بذلك إلى أنه ليس المراد بالفتح ما عرف من فتح الأبواب بل هو القشة لموافقة قوله: إذا السماء انشقت إذا السماء انفطرت . وخبر ما فسرته بالوارد (قوله لنزول الملائكة) أى لأنهم يوتون بالنفخة الأولى ويحيون بين النفختين وينزلون جميعا يحيطون بأطراف الأرض وجهاتها يسوقون الناس إلى المحشر (قوله وسيرت الجبال) أى فى الهواء بعد تفتيتها (قوله هباء) المناسب إبقاء السراب على ظاهره ويكون المعنى على التشبيه أى فكانت مثل السراب من حيث إن المرئى خلاف الواقع فكما يرى السراب كأنه ماء كذلك الجبال ترى كأنها جبال وليست كذلك فى الواقع لقوله تعالى: وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب وإلا فتفسر السراب بالهباء لم يوجد فى اللغة (قوله راصدة أو مرصدة) أشار بذلك إلى أن مرصدا من رصدت الشئ أرصده إذا تركته فهى راصدة للكفار مترقبة لهم أو مرصدة بمعنى معدة ومهابة لهم يقال أرصدت له أعددت له (قوله أحقابا) ظرف لابئين (قوله لانهاية لها) أى لعمومها وإن كان كل منها متناهيا وإنما قال لانهاية لها ليوافق قوله تعالى: خالدون فيها أبدا .

قوله بضم أوله) أى وسكون ثانيه هو ثمانون سنة كل سنة اثنا عشر شهرا كل شهر ثلاثون يوما كل يوم ألف سنة وعن الحسن قال : إن الله تعالى لم يجعل لأهل النار مدة بل قال - لا بشين فيها أحثابا - فوالله ما هو إلا أنه إذا مضى حطب دخل حطب على الأبد وليس للأحقاب عدة إلا الخلود ، وعن ابن مسعود قال : لو علم أهل النار أنهم يلبثون في النار عدد حصي الدنيا لفرحوا لو علم أهل الجنة أنهم يلبثون في الجنة عدد حصي الدنيا لحزنوا (قوله نوما) معنى النوم بردا لأنه يبرد صاحبه ، ألا ترى أن عطشان إذا نام سكن عطشه وهى لغة هذيل ، وقال ابن عباس : البرد برد الشراب ، وقال الزجاج : أى لا يذوقون فيها برد يح ولا ظل نوم فجعل البرد برد كل شئ له راحة ، فأما الزمهرير فهو برد عذاب لراحة فيه (قوله لكن حميا) قضية كلامه من الاستثناء منقطع ويجوز أن يكون متصلا من عموم قوله ولا شرابا ، والأحسن أنه بدل من شرابا لأن الاستثناء من كلامه مبرر موجب (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله جزاء وفاقا) منصوب على المصدرية المحذوف قدره فسر بقوله جوزوا بذلك الخ (قوله موافقا لعمامهم) أشار بذلك إلى أن وفاقا صفة لجزاء بتأويله باسم الفاعل (قوله إنهم كانوا) دليل لقوله جزاء وفاقا (قوله كذابا) بالتشديد بانفاق السبمة (قوله وكل (٢٦٩) شئ) منصوب على الاشتغال :

أى وأحصينا كل شئ*
أحصيناه (قوله كتبنا)
أشار بذلك إلى أن كتابا
مصدر من معنى الإحصاء
على حد جلست قودا بمعنى
كتابا لإحصاء (قوله في
اللوحة المحفوظ) وقيل في
صفحة الحفظ على بنى آدم
(قوله ومن ذلك) أى
كل شئ* (قوله فذوقوا)
أمر إهانة وتحقير والجملة
معمولة لمقدر كما أشار له
المفسر (قوله فلن يزيدكم
إلا عذابا) قيل هذه أشد
آية في القرآن على أهل
النار كلما استغاثوا بنوع
من العذاب أغيثوا بأشد

جمع حطب بضم أوله (لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا) نوما ، فإنهم لا يذوقونه (وَلَا شَرَابًا)
ما يشرب تلذذاً (إِلَّا) لكن (حَمِيًّا) ماء حاراً في غاية الحرارة (وَعَسَاقًا) بالتخفيف
والتشديد : ما يسيل من صديد أهل النار ، فإنهم يذوقونه ، جوزوا بذلك (جَزَاءً وَفَقًا)
موافقا لعمامهم ، فلا ذنب أعظم من الكفر ، ولا عذاب أعظم من النار (إِنَّهُمْ كَانُوا
لَا يَرْجُونَ) يخافون (حِسَابًا) لإنكارهم البعث (وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا) القرآن (كِذَابًا)
كذبيا (وَكُلُّ شَيْءٍ) من الأعمال (أُحْذِثْنَاهُ) ضبطناه (كِتَابًا) كتبنا في اللوح المحفوظ
نجازى عليه ومن ذلك تكذيبهم بالقرآن (نَذُوقُوا) أى فيقال لهم في الآخرة عند وقوع
لعذاب عليهم ذوقوا جزاءكم (فَلَنْ نَزِيدَ كُمْ إِلَّا عَذَابًا) فوق عذابكم (إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا)
مكان فوز في الجنة (حَدَائِقَ) بساتين بدل من مفازا ، أو بيان له (وَأَعْنَابًا) عطف على مفازا
(وَكُواعِبَ) جوارى تكعبت نديهن جمع كاعب (أُتْرَابًا) على سن واحد جمع ترب بكسر
لثاء وسكون الراء (وَكَأْسًا دِهَانًا) خرا مائة محالها ، وفي القتال وأنهار من خمر (لَا يَسْمَعُونَ
فِيهَا) أى الجنة عند شرب الخمر وغيرها من الأحوال (لَفُؤًا) باطلا من القول (وَلَا كِذَابًا)
التخفيف : أى كذابا ، وبالتشديد : أى تكذيبا من واحد لغيره ، بخلاف ما يقع في الدنيا عند شرب الخمر ،

نه (قوله إن للمتقين مفازا) مقابل قوله - إن للطاغين مآبا - والمراد بالمتقين من اتقى الشرك بأن لم يموتوا كفارا (قوله مكان
وز) أشار بذلك إلى أن مفازا مصدر ميهى بمعنى المكان ويصح أن يكون بمعنى الحدث : أى نجاة وظفرا بالمقصود (قوله بدل
ن مفازا) أى بدل بعض من كل (قوله عطف على مفازا) المناسب عطفه على حدائق عطف خاص على عام لمزيد شرف الأعناب
قوله تكعبت) أى استدارت مع ارتفاع يسير كالسكب (قوله نديهن) بضم المثناة وكسر الدال المهملة وتشديد الياء التحتية
مع ندى (قوله على سن واحد) أى فلا اختلاف يدهن في الشكل ولا في العمر لثلا يحصل الحزن إن وجد التخالف ولا حزن
الجنة (قوله خرا مائة محالها) فسر الكأس بالخمر والدهاق بالمتعائمة والمناسب إبقاء الكأس على ظاهرها وتفسير الدهاق بالمتعائمة
بأنى القاموس دهق الكأس ملاءها ، وفي المختار أدهق الكأس ملاءها وكأس دهاق : أى ممتلئة (قوله لا يسمعون) حال
ن المتقين (قوله وغيرها) الضمير عائد على الشرب واكتسب التأنيث من المضاف إليه وهو الخمر لأنها تذكر وتؤنث وفي بعض
نسخ وغيره وهى ظاهرة (قوله بالتخفيف) أى بوزن كتاب مصدر كذب ككتب ، وقوله وبالتشديد : أى فهو مصدر كذب
لشد قراءتان سبعيتان هنا لعدم التصريح بفعله ، وأما قوله وكذبوا بآياتنا كذابا فهو بالتشديد بانفاق السبمة لوجود التصريح

بالفعل المشدد (قوله جزاء من ربك) أى بمقتضى وعده الحسن لأهل الطاعة وهذا من مزيد الإكرام لأهل الجنة كما يقول الشخص الكريم إذا بالغ فى إكرام ضيفه هذا من فضلك وإحسانك مثلاً وإلا فأى حق للمخلوق على خالقه (قوله بدل من جزاء) أى بدل كل من كل (قوله حساباً) صفة لعطاء وهو إما مصدر أقيم مقام الوصف أو باق على مصدر يته مبالغة أو على حذف مضاف : أى ذو كفاءة على حد زيد عدل (قوله بالجر) أى جرب على أنه بدل من ربك ، وقوله والرفع : أى على أنه خبر مبتدأ محذوف : أى هو رب (قوله كذلك) أى بالجر والرفع فالجر على أنه بدل من رب الأول أو صفة للثانى والرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف والجملة مستأنفة ، وقوله وبرفعه أى الرحمن على أنه خبر لمحذوف فالقراءات ثلاث سبعيات رفعها وجرها ورفع الرحمن مع جر رب (قوله أى الخالق) أى من أهل السموات والأرض لغلبة الجلال فى ذلك اليوم فلا يقدر أحد على خطابه تعالى فى دفع بلاء ولا فى رفع عذاب (قوله منه) من ابتدائية متعلقة بلا يملكون أو بخطاباً (قوله أو جند الله) ذكر المفسر فى معنى الروح (٢٧٠) قولين من جملة أقوال ثمانية فقوله جند الله : أى جند من جنود الله ليسوا

ملائكة لهم رهوس وأيد وأرجل يأكلون الطعام على صورة بنى آدم كالناس ولبسوا بناس . نالها أنه ملك ليس بعد العرش أعظم منه فى السماء الرابعة يسبح الله تعالى كل يوم اثنتى عشرة ألف تسبيحة يخلق الله من كل تسبيحة ماسكا فيجىء يوم القيامة وحده صفا رابعها أنهم أشرف الملائكة . خامسها أنهم بنو آدم . سادسها أرواح بنى آدم تقوم صفا بين الناختين قبل أن ترد إلى الأجساد . سابعها القرآن لقوله تعالى - وكذلك أوحينا إليك روحا - .

(جَزَاءَ مِنْ رَبِّكَ) أى جزاء الله بذلك جزاء (عطاء) بدل من جزاء (حساباً) أى كثيراً ، من قولهم أعطاني فأحسبني : أى أكثر على حتى قلت حسبي (رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) بالجر والرفع (وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ) كذلك ورفعه مع جر رب (لَا يَمْلِكُونَ) أى الخالق (مِنْهُ) تعالى (خِطَاباً) أى لا يقدر أحد أن يخاطبه خوفاً منه (يَوْمَ) ظرف للاملكون (يَقُومُ الرُّوحُ) جبريل أو جند الله (وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا) حال : أى مصطفىين (لَا يَتَكَلَّمُونَ) أى الخالق (إِلَّا مَنْ أِذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ) فى الكلام (وَقَالَ) قولاً (صَوَاباً) من المؤمنين والملائكة ، كُنْ يَشْفَعُوا لِمَنْ ارْتَضَى (ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ) الثابت وقوعه وهو يوم القيامة (قَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَا بَا) مرجعاً أى رجع إلى الله بطاعته ليسلم من العذاب فيه (إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ) أى كفار مكة (عَذَاباً قَرِيباً) أى عذاب يوم القيامة الآتى ، وكل آت قريب (يَوْمَ) ظرف لعذابا بصفته (يَنْظُرُ الْمَرْءُ) كل امرئ (مَا قَدَّمَتْ يَدَا) من خير وشر (وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا) حرف تنبيه (لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً) يعنى فلا أعذب ، يقول ذلك عند ما يقول الله تعالى للبهائم بعد الافتصاص من بعضها لبعض : كونى تراباً .

(سورة) ثامنهم الحفظة على الملائكة (قوله لا يتكلمون الخ) تأكيد لقوله : لا يملكون ، والمعنى أن هؤلاء الذين هم أفضل الخلائق وأقربهم من الله إذا لم يقدرُوا أن يشفعوا إلا بآدبه فكيف يملك غيرهم (قوله فمن شاء) مفعوله محذوف دل عليه قوله - اتخذ إلى ربه ما بآ - ومن شرطية وجوابها قوله اتخذ الخ أو محذوف تقدير فعل (قوله إلى ربه) أى إلى ثوابه وهو متعلق بآبآ (قوله كل امرئ) أى مسلماً أو كافراً وأخذ العموم من آل الاستغراق والنظر بمعنى الرؤية ، والمعنى يرى كل ما قدمه من خير وشر ثابته فى صحيفته وخص اليدين بالكى لأن أكثر الأفعال تراول بهما (قوله يقول ذلك عند ما يقول الله للبهائم الخ) هذا أحد احتمالات ثلاث . ثانياً أن يمتنى أن لو كان تراباً فى الدنيا فلم يخلق إنساناً ولم يكلف . ثالثاً أن يمتنى أن لو كان تراباً فى يوم القيامة فلم يبعث ولم يحاسب (قوله بعد الافتصاص من بعضها لبعض) أى فيقتص من الجماء من القرناء إظهاراً للعدل ، وأما الجن فهم مكافون كالانس يشابون ويعاقبون فالمؤمن يدخل الجنة والساكن يدخل النار على الصحيح .

[سورة النازعات] وفي بعض النسخ سورة النازعات بغير واو (قوله والنازعات الخ) اعلم أن الله تعالى أقسم بخمسة أقسام موصوفها محذوف، فختلف المفسرون في تدبر الوصوف في الأربعة الأول فبعضهم قدره الملائكة وبعضهم قدره النجوم، وأما الخامس فالمراد بهم الملائكة بالاجماع والتأنيث في الأوصاف ظاهر إن كان المراد النجوم وإن كان الملائكة فالتأنيث باعتبار الطائفة كانه قال والطائفة النازعات، ومشي المفسر على أن المراد بها الملائكة وهو ظاهر (قوله الملائكة تنزع أرواح الكفار الخ) قال ابن مسعود: إن ملك الموت وأعوانه ينزعون روح الكافر كما ينزع السفود الكثير الشعب من الصوف المتبل (قوله غرقا) إما مصدر على حذف الزوائد بمعنى إغراقا فهو ملاق لعماله في المعنى كتمت وقوفاء أو حال: أي ذوات إغراق يقال أغرق في الشيء إذا بلغ أقصى غايته (قوله نزعاً بشدة) أي لما ورد أن كل نزع أعظم من سبعين ألف ضربة بالسيف ويرى أن السموات السبع انطبقت على الأرض وهو بينهما (قوله تنشط أرواح المؤمنين) بفتح أوله وكسر ثالثه من باب ضرب يقال نشط في عمله خف وأصرع فيه وأنشطت اليمير من عقله أطاقته ونشطا وما بعده مصادر مؤكدة لعمومها. والسبب في شدة نزع أرواح الكفار وسهولة نزع أرواح المؤمنين أن كلا يرى قبل الموت (٢٧١) مقعده الذي أعد له فالمؤمن يزاد فرحاً وشوقاً فلا يشاهد ألماً ولا يحس به والكافر تأني روحه الخروج لمزيد الحزن والكرب الذي تجده عند رؤية مقعدها في النار فتزعج كرها بشدة فيجدها الكافر (قوله والسابحات) أي الملائكة النازلات برفق واطافة كالساج في الماء وكالفرس الجواد إذا أسرع في جريه لقبض الأرواح فللائكة الرحمة تذهب للمؤمن وملائكة العذاب تذهب للكافر فقول المفسر بأمره تعالى محمول على أمر خاص وهو

(سورة النازعات)

مكية، ست وأربعون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . وَالْنازعاتِ) الملائكة تنزع أرواح الكفار (غرقاً) نزعاً بشدة (وَالنَّاطِطَاتِ نَشْطاً) الملائكة تنشط أرواح المؤمنين : أي تسليها برفق (وَالسَّابِحَاتِ سَبْحاً) الملائكة تسبح من السماء بأمره تعالى : أي تنزل (قَالَسَّابِقَاتِ سَبْعَ تَمَّ) الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة (قَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا) الملائكة تدبر أمر الدنيا : أي تنزل بتدبيره ، وجواب هذه الأقسام محذوف : أي لتبعثن يا كفار مكة ، وهو عامل في (يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ) النفخة الأولى ، بها يرجف كل شيء : أي يتزلزل ، فوصفت بما يحدث منها (تَتَّبِعُهُمُ الْرَاغِفَةُ) النفخة الثانية ، وبينهما أربعون سنة والجملة حال من الراجفة ، فالיום واسع للنفختين وغيرها فصح ظرفيته للبعث الواقع عقب الثانية (قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ) خائفة قلقة (أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ) ذليلة لهول ما ترى :

قبض الأرواح كما علمت لترتب قوله فالسابقات عليه وأما التدبير العام فيأتي في قوله فالمدبرات أمراً (قوله تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة : أي وبأرواح الكفار إلى النار في الكلام اكتفاء ، وحينئذ فتلك الأوصاف الأربعة للملائكة التي تقبض الأرواح (قوله الملائكة تدبر أمر الدنيا) أي وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل ، جبريل موكل بالرياح والجنود وميكائيل موكل بالقطر والنبات وعزرائيل موكل بقبض الأرواح وإسرافيل موكل بالصور (قوله أي تنزل بتدبيره) أشار بذلك إلى أن إسناد التدبير إلى الملائكة مجاز والمدبر حقيقة هو الله تعالى فهم أسباب عادية مظهر للتدبير (قوله لتبعثن يا كفار مكة) خصهم وإن كان البعث عاماً للمسلم والكافر لأن القسم إنما يكون للنكر والمسلم مصدق بمجرد الاخبار فلا يحتاج للأقسام (قوله بها يرجف كل شيء) أي فهذا وجه تسميتها راجفة (قوله تتبعها الرادفة) سميت بذلك لأنها تردفها وتأتي بعدها ولا شيء بينهما (قوله فالיום واسع الخ) جواب عما يقال إن وقت الراجفة موت لا بعث فكيف يجعل ظرفاً لتبعثن المقدّر . وإيضاح جوابه أن البعث يحصل في الوقت الذي يجمع النفختين إذ هو متسع فكأنه قال تبعثن وقت حصول النفخة الأولى المتبوعة بالنفخة الثانية (قوله للبعث) أي المقدّر جواباً للقسم (قوله قلوب) مبتدأ ويومئذ ظرف لواجفة وواجفة صفة لقلوب وهو المسوغ للابتداء بالنكرة (قوله أبصارها) مبتدأ ثان وخاشعة خبره والحالة خبر الأول (قوله أبصارها) أي أبصار أصحاب القلوب .

(قوله أدعوك الخ) هذا حل معى لأجل إعراب ، وإعرابه أن هل لك خبر مبتدأ محذوف وإلى أن تركى متعلق بذلك المبتدأ التقدير هل نبت لك سبيل وميل إلى التزكية (قوله وفي قراءة بتشديد الزاى) أى سبعة أيضا وقوله بادغام التاء الثانية : أى على تشديد وأما على التخفيف ففيه حذف إحدى التامين (قوله وأهديك) معطوف على تركى وقوله أدلك على معرفته بالبرهان الخ إشارة إلى أن الدلالة على المعرفة تحصل بعد التطهر من الشرك فهى واجبة وجوب الفروع ، وأما التطهر بالدخول فى الاسلام من وجوب الأصول (قوله فتخشى) جعل الحشية غاية للهدى لأنها ملاك الأمور إذ هى خوف مع تعظيم فمن خشى ربه أتى منه الخ خير فالحشية أعظم من الخوف . واعلم أن أوائل العلم بالله الحشية من الله ثم الاجلال ثم الهيبة ثم الفناء عما سواه (قوله راء الآية الكبرى) عطف على محذوف تقديره فذهب إليه وقال له ما ذكر قطاب منه آية فأراه الخ والضمير المستتر فيه عائذ موسى والبارز عائذ على فرعون وهو المفعول الأول والثانى قوله الآية والكبرى صفة للآية (قوله أو العاصا) هذا هو التحقيق فى كل ما فى اليد حاصل فى العاصا وتزيد أمورا آخر فغاية ما فى اليد انقلاب لونها ولاشك أن العاصا لما انقلبت حية لا بد وأن يتغير نواها وتزيد القوة الشديدة وابتلاءها أشياء كثيرة وكونها تصبح حيوانا ثم تصبح جمادا وغير ذلك إذ كل واحد من هذه الوجوه مجزئ ولا يصح أن يراد بالآية الكبرى مجموع معجزاته لأن ما ظهر على يده من بقية آيات إنما كان بعد ما غلبت السحرة قوله فكذب فرعون موسى) أى فى كون ما أتى به من عند الله (قوله) (٢٧٣) وعصى) أى بعد ما رأى الآيات

(قوله ثم أدبر) أى تولى وأعرض عن الإيمان (قوله يسمى) حال من الضمير فى أدبر (قوله جمع السحرة) أى للمعارضة وقوله وجنده أى للقتال وكان السحرة اثنين وسبعين اثنان من القبط والسبعون من بنى إسرائيل وتقدم فى الأعراف جملة أقوال فى عددهم وكانت عدة بنى إسرائيل ستمائة ألف وسبعين ألفا وعدة

دعوك (إلى أن تركى) وفى قراءة بتشديد الزاى بادغام التاء الثانية فى الأصل فيها : تطهر من شرك ، بأن تشهد أن لا إله إلا الله (وأهديك إلى ربك) أدلك على معرفته بالبرهان (فتخشى) تخافه (فأراه الآية الكبرى) من آياته التسع ، وهى اليد أو العاصا (فكذب) فرعون موسى وعصى) الله تعالى (ثم أدبر) عن الإيمان (يسمى) فى الأرض بالفساد (فتخشى) جمع سحرة وجنده (فنادى . فقال أنار بكم الأعلى) لارب فوقى (فأخذ الله) أهلكه بالفرق (نكال) عقوبة (الآخرة) أى هذه الكلمة (والأولى) أى قوله قبلها : ما علمت لكم من له غيرى ، وكان بينهما أربعون سنة (إن فى ذلك) المذكور (أعبرة لمن يخشى) الله تعالى (أنتم) بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفا وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى تركه : أى منكر والبعث (أشد خلقا أم السماء) أشد خلقا (بنائها) بيان لكيفية خلقها (رفع سمكها) تفسير لكيفية البناء أى جعل سمكها فى جهة العلو رفيعا ، وقيل سمكها سقفها (فسواها)

دعوى فرعون ألف وستائة ألف (قوله فنادى) أى بنفسه أو بمناديه (قوله فقال أنا ربكم الأعلى) أى بعد ما قال له موسى ربى سألنى إليك فان آمنت بربك تكون أربعين سنة فى النعيم والسرور ثم تموت فتدخل الجنة ، فقال حتى أُنشِرَ هامان ، فنشأه فقال أنصير عبدا بعد ما كنت ربا ؟ فعند ذلك جمع السحرة والجنود ، فلما اجتمعوا قام عدو الله على سريره فقال أنا ربكم الأعلى (قوله نكال) منصوب على أنه مصدر لأخذ ، والمعنى أخذه أخذ نكال أو مفعول لأجله : أى لأجل نكاله (قوله هذه الكلمة) أى وهى قوله : أنا ربكم الأعلى (قوله المذكور) أى من التكذيب والعصيان والادبار والخسر والنداء الواقع بن فرعون (قوله لمن يخشى) أى لمن كان من شأنه الحشية وخصم بالذكر لأنهم المنتفون بذلك (قوله أنتم) استفهام تقرير ويبيح لمنكرى البعث من أهل مكة (قوله بتحقيق الهمزتين) أى مع إدخال ألف وتركه فالقراءات خمس سبعيات التحقيق التسهيل إما مع الألف أو تركها والابدال (قوله أم السماء) أى فمن قدر على خلقها مع عظمها يقدر على الاعادة وهو عطف على أنتم فالوقف على السماء والابتداء بما بعدها (قوله أشد خلقا) أشار بذلك إلى أن قوله أم السماء تبدأ خبره محذوف من عليه ما قبله (قوله رفع سمكها) أى نحتها وغلظها وهو الارتفاع الذى بين سطح السفلى الأسفل وسطحها الأعلى وقدره سمكها عام (قوله أى جعل سمكها) أى مقدار ذهابها فى سمت العلو فالمراد بالسمك السمك (قوله وقيل سمكها سقفها) أى

[٣٥ - صاوى - رابع] معنى رفع سمكها على هذا جعلها مرفوعة عن الأرض

(قوله جعلها مستوية) أى ملساء ليس فيها ارتفاع ولا انخفاض (قوله أظلمه) أى جعله مظلماً بمغيب شمسها (قوله أبرز نور شمسها) المراد بنور الشمس النهار لوقوعه في مقابلة الليل فكفى بالنور عن النهار وعبر عن النهار بالضحي لأنه أكمل أجزائه (قوله لأنه ظلها) أى لأنه أول ما يظهر عند الغروب من أفق السماء (قوله لأنها سراجها) أى الشمس سراج السماء وفيه أنه يقتضى أن ضوء الشمس يظهر في السماء مع أن المقدم خلافه وهو أن نورها إنما يظهر في الأرض ونور السموات بنور العرش - ويحاج بأنه لا يلزم من كونها موضع سراج لها أن يكون نورها به (قوله والأرض) منصوب على الاشتغال (قوله بعد ذلك) أى بالتي عام وقوله : دحاها يقال دحايد حودحوا ودحيا كدعا بسط ومد فهو من ذوات الواو والياء (قوله وكانت مخلوقة الخ) أى فلا معارضة بين ما هنا وآية فصلت لأنه ابتداء خلق الأرض غير مدحوة ثم خلق السماء ثم دحا الأرض (قوله وإطلاق المرعى عليه) أى على ما يأكله الناس (قوله استعارة) أى مجاز فاستعمل المرعى في مطلق الماء كقول للانسان وغيره من استعمال القيد في المطلق أو هو استعارة تصریحية حيث شبه أكل الناس برعى الدواب (قوله مفعول له لمقدر) أى لفعل مقدر وقوله أو مصدر أى تميمًا كالسلام بمعنى التسليم وهو لفعل مقدر أيضاً تقديره متعناكم بها تميمًا (٢٧٤)

جعلها مستوية بلا عيب (وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا) أظلمه (وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا) أبرز نور شمسها وأضيف إليها الليل لأنه ظلها ، والشمس لأنها سراجها (وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا) بسطها ، وكانت مخلوقة قبل السماء من غير دحو (أَخْرَجَ) حال بإضمار قد : أى مخرجاً (مِنْهَا مَاءَهَا) بتفجيره عيونها (وَمَرَعَاهَا) مآرعه النعم من الشجر والعشب وما يأكله الناس من الأقوات والثمار وإطلاق المرعى عليه استعارة (وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا) أثبتها على وجه الأرض لتسكن (مَتَاعًا مَفْعُولٌ لَهُ لِمَقْدَرٍ : أى فعل ذلك متعة أو مصدر : أى تميمًا (أَكُمُ وَلَا نِعَامِكُمْ) جمع نعم ، وهم الإبل والبقر والغنم (فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى) النفخة الثانية (يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ) بدل من إذا (مَاسَعَى) في الدنيا من خير وشر (وَبُرُزَّتْ) أظهرت (الْجَحِيمِ) النار المحرقة (لِمَنْ بَرَى) لكل راء ، وجواب إذا (فَأَمَّا مَنْ طَغَى) كفر (وَأَثَرَ الْحَمِيمِ) الدنيا (بِاتِّبَاعِ الشَّهَوَاتِ) (فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى) مأواه (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ) قيامه بين يديه (وَنَهَى النَّفْسَ الْأَمَّارَةَ) (عَنِ الْهَوَى) المردي باتباع الشهوات (فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى) .

(قوله ولأنعامكم) خص الأنعام لشرفها وإلا فهو متاع لسائر دواب الأرض (قوله فإذا جاءت الطامة الكبرى) الفاء فاء الفصيحة أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره إذا علمت ما تقدم الخ وقوله : الطامة الكبرى أى الداهية التى تعلو على الدواهي فهي أعظم من كل عظيم ، وخص ما هنا بالطامة الكبرى موافقة لقوله قبل : فأراه الآية الكبرى بخلاف ما في عيس فانه لم يتقدمه شيء

من ذلك نفخت بالصاخة وهى الصوت الشديد الواقع بعد لداهية الكبرى فناسب جعل الظم للسابقة والصخ اللاحقة (قوله بدل من إذا) أى بدل كل أو بعض (قوله وبرزت) عطف على جاءت والعامه بناءً للمفعول مشدداً ولمن يرى بياء الغيبة مبذياً للفاعل ومعناه يبصر وهو مثل في الأمر المنكشف الذى لا يخفى على أحد (لكل راء) أى من كل من له عين وبصر من المؤمنين والكفار لكن الناجى لا ينصرف بصره إليها فلا يراها بالفعل والى هو مأواه (قوله وجواب إذا فأما من طغى الخ) فيه نوع تساهل لأن قوله : فأما من طغى الخ بيان لحال الناس في الدنيا وقوله فإذا جاءت الطامة الخ بيان لحالهم في الآخرة فالأولى ماسلكه غيره من أن الجواب محذوف يدل عليه التفصيل الذى كورقفاً دخل أهل النار النار وأهل الجنة الجنة (قوله باتباع الشهوات) أى المحرمات (قوله مأواه) أى فال عوض عن الضمير العائد من طغى (قوله وأما من خاف مقام ربه) مقابل قوله فأما من طغى الخ . واعلم أن الخوف من الله تعالى مرتبتان مرتبة العامة الخوف من العذاب ومرتبة الخاصة وهى الخوف من جلال الله تعالى والآية صادقة بهما وأضيف المقام لله تعالى وإن كان وصفاً من حيث كونه بين يديه ومقامه لحسابه (قوله الأمانة) قيد بها لأنها هى تكون مذمومة الهوى ، وأما غيرها فهو لها محمود الحديث « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تباعاً لما حثت به » (قوله المردي) أى المهالك وقوله باتباع الشهوات متعلق بالمردي والياء

(قوله وحاصل الجواب الخ) أشار بذلك إلى أن أما لجرد التأكيد وليست للتفصيل لعدم تقديم مقتضيه وصار المعنى فالعاصي في النار الخ وفيه أنه يحوج لتكافؤ الأحسن ما قدمناه من أن الجواب محذوف والآية دليل عليه (قوله أيان مرساها) تفسير سؤالهم (قوله فيم أنت) فيم خبر مقدم وأنت مبتدأ مؤخر وقوله : من ذكرها متعاقب بما تعاقب به الخبر والاستفهام إنكارى للمعنى ما أنت من ذكرها لهم وتبيين وقتها في شيء فليس لك علم بها حتى تجربهم به ، وهذا قبل إعلانه بوقتها ، فلا ينافي أنه صلى الله عليه وسلم لم يخرج من الدنيا حتى أعلمه الله بجميع مغيبات الدنيا والآخرة ، ولكن أمر بكنم أشياء منها كما تقدم لتنبية عليه غير مرة (قوله إنما أنت منذر من يخشاها) أى أنك مرسل بالإنذار لمن يخافها وهو لا يتوقف على علم المنذر وقت قيامها ، وخص من يخشى بالكثرة لأنه المنتفع بها وقد أشار له المفسر بقوله إنما ينفع إنذارك (قوله يخافها) أى يخاف بولها (قوله كأنهم) أى كفار قريش (قوله لا عشية) هى من الزوال إلى غروب الشمس وقوله : أوضحاها أى ضحى عشية من العشايا وهى البكرة إلى الزوال ، والمراد ساعة من نهار من أوله أو آخره لا عشية بتمامها أوضحة بتمامها (قوله أى عشية يوم الخ) أشار بذلك إلى أن التنوين عوض عن المضاف إليه (قوله (٢٧٥) وصح إضافة الضحى الخ) جواب

عن سؤال مقتر تقديره
العشية لاضحى لها وإنما
الضحى لليوم لها وجه
إضافة الضحى لضمير
العشية فأجاب بأنهما لما
كانتا من يوم واحد
كانت بينهما ملازمة
فصح إضافة إحداها
للأخرى (قوله وقوع
الكلمة فاصلة) أى رأس
آية تناسب رموس الآى
قبلها .

وحاصل الجواب فالعاصي في النار والمطيع في الجنة (يَسْأَلُونَكَ) أى كفار مكة (عَنِ السَّاعَةِ)
أَيَّانَ مَرْءُهَا) متى وفوعها وقيامها (فِيمَ) فى أى شيء (أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا) أى ليس عندك
علمها حتى تذكرها (إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهِيَا) منتهى علمها لا يعلمه غيره (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ) إنما
ينفع إنذارك (مَنْ يَخْشَاهَا) يخافها (كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا) فى قبورهم (إِلَّا عَشِيَّةً
أَوْ ضُحًى) أى عشية يوم أو بكرته وصح إضافة الضحى إلى العشية لما بينهما من الملازمة
إذا طرأ النهار ، وحسن الإضافة وقوع الكلمة فاصلة .

(سورة عبس)

مكية ، اثنان وأربعون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . عَبَسَ) النبى : كالج وجهه (وَتَوَلَّى) أعرض لأجل (أَنْ)
جاءه الأعمى) عبد الله بن أم مكتوم فقطعه عما هو مشغول به ممن يرجو إسلامه من أشرف
قريش الذى هو حريص على إسلامهم ، ولم يدر الأعمى أنه مشغول بذلك ،

[سورة عبس]
وتسمى سورة السفرة
وسورة الأعمى (قوله
عبس وتولى الخ) إنما
أتى بضمير الغيبة تلطفاً به

صلى الله عليه وسلم وإجلاله لما فى المشاهدة بناء الخطاب لا يخفى من الشدة والصعوبة ، وهذا نظير تقديم العفو على العتاب
قوله : عفا الله عنك لم أذنت لهم ، لولا كتاب من الله سبق لاسم الخ ، رناهلك بذلك محبة وشرفاً ، ومن ذلك قول عائشة
رضي الله عنها : ما أرى ربك إلا يسارع فى هواك فسيئات المحبوب حسنات . قال أبو الحسن الشاذلى : واجعل سيئاتنا سيئات
من أحببت (قوله كالج) بالتخفيف من باب خضع ووجهه فاعل (قوله أن جاءه الأعمى) تنازعه كل من عبس وتولى
حمل الأول على مذهب الكوفيين أو الثنائى على مذهب البصريين وأضمر فى الهمل وحذف (قوله عبد الله) أى ابن شريح
بن مالك بن ربيعة الأنهرى من بنى عامر بن لؤى اشتهر بأمر أبيه أم مكتوم واسمها عائكة بنت عامر الخزيمى أسلم قديماً بمكة
وكان ابن خالة خديجة بنت خويلد واستخلفه صلى الله عليه وسلم على المدينة ثلاث عشرة مرة فى غزواته قتل شهيداً بالقادسية
الأنس بن مالك رأيت يوم القادسية وعليه درع ومعه راية سوداء (قوله فقطعه عما هو مشغول به) ما واقعة على القول
بأنه لا دليل قوله ممن يرجو إسلامه من أشرف قريش ، فأنه إطلاق ماعلى العاقل وهو مذهب سيبويه (قوله الذى هو حريص
على إسلامهم) نعت لأشرف قريش وكان المناسب التعبير بالدين .

(قوله فناداه) أى وكرر ذلك وقوله مما علمك الله أى وهو القرآن والإسلام . وإيضاح ما قاله المفسر أن الأعمى جاءه وعند
صناديد فريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبوجهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وأمّية بن خلف والوليد بن المغيرة يدعونه
إلى الإسلام رجاء أن يسلم أولئك الأشراف الذين كان يخاطبهم فينادي بهم الإسلام ويسلم باسلامهم أتباعهم فتعالوا كلمة الله تعالى
فقال يا رسول الله أقرئني وعلمني مما علمك الله تعالى وكرر ذلك وهو لا يعلم فتشاغل النبي صلى الله عليه وسلم بالقوم ، فكرر
رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس وأعرض عنه وقال في نفسه يقول هؤلاء الصناديد إنما اتبعوه العميان
والعبيد والسفلة فعبس وجهه وأعرض عنه وأقبل على القوم الذين يكلمهم فأنزل الله هذه الآيات . إن قلت إن ابن أم مكتوم
أعطاه الله من السمع ما يغني عن البصر فهو وإن لم ير القوم لكنه لشدة ميمه كان يسمع مخاطبة النبي معهم وحينئذ فيكون
إقدامه على قطع كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم إيذاء له فيكون معصية فكيف يعاتب عليه صلى الله عليه وسلم وكيف
يقول المفسر ولم يدر الأعمى الخ . أجيب بأن عدم علمه لعله من أجل دهشته بقدمه عن رسول الله ولا شك أن جلالة صلى الله
عليه وسلم وجماله يدهش العقول ولا سيما بالحب المشتاق الراغب في التعليم ، وعتابه صلى الله عليه وسلم بالنظر لما علمه الله من
طردهم عن رحمته لا بالنظر لظاهر (٢٧٦) شرعه وإلا فهو صلى الله عليه وسلم لم يفعل مكروها ولا خلاف الأولى

فناداه علمني مما علمك الله ، فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم إلى بيته فعونب في ذلك بما
نزل في هذه السورة ، فكان بعد ذلك يقول له إذا جاء : مرحبا بن عاتبي فيه ربي ويبسط له
رداءه (وَمَا يُدْرِيكَ) يعلمك (لَعَلَّهُ يَزْكَى) فيه إدغام التاء في الأصل في الزاى : أى
يتطهر من الذنوب بما يسمع منك (أَوْ يَذَّكَّرُ) فيه إدغام التاء في الأصل في الذال : أى
يتنظ (فَتَنَفَعَهُ الْذِّكْرَى) العظة المسموعة منك ، وفي قراءة بنصب تنفعه جواب الترجي
(أَمَّا مَنْ أَسْتَفْنَى) بالمال (فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى) وفي قراءة بتشديد الصاد بإدغام التاء الثانية
في الأصل فيها : تقبل وتعرض (وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزْكَى) يؤمن (وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى)
حال من فاعل جاء (وَهُوَ يَخْشَى) الله حال من فاعل يسعى وهو الأعمى (فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى)
فيه حذف التاء الأخرى في الأصل : أى تتشاغل (كَلَّا) لا تفعل مثل ذلك (إِيَّاهُ) أى السورة
أو الآيات (تَذَكُّرَةً) عظة للخلق (فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرْهُ) حفظ ذلك فاتعظ به (فِي صُحُفٍ
خَبْرٌ ثَانٍ لِّهَا ،

إذ الأهم مقدّم على أنهم
وإنما ذلك من باب :
حسنات الأبرار صيئات
المقربين (قوله ويبسط
له ردائه) أى ويقول له
هل لك من حاجة (قوله
وما يدريك) فيه التفات
من الغيبة إلى الخطاب
وما استفهامية مبتدأ
وجملة يدريك خبره
والكاف مفعول أول
وجملة قوله : لعله يزكي
سادة مسد المفعول الثاني
(قوله أى يتطهر من
الذنوب) أى لامن الشرك

لأنه أسلم قديما بحكمة (قوله أويذكر) عطف على يزكي
(قوله فتشبهه) بالرفع عطف على : أويذكر (قوله وفي قراءة) أى وهي سبعة أيضا (قوله أما من استغنى) أى عما عند
من الإيمان والقرآن والعلوم (قوله فأنت له تصدى) الجار والمجرور متعلق بتصدى قدم عليه رعاية للفاصلة . وأصل تصدى تصد
أبدلت الدال الثانية حرف علة (قوله وفي قراءة) أى وهي سبعة أيضا (قوله تقبل) أى بالاصغاء إلى كلامه (قوله وما عليك الخ
مناقية وعليك خبر مبتدأ محذوف وقوله : ألا يزكي متعلق بالمبتدأ المحذوف والتقدير ليس عليك بأس في عدم تركيته (قوله
وأما من جاءك يسعى) أى يسرع ويخشى في طلب الخير (قوله وهو الأعمى) تفسير لمن (قوله أى تتشاغل) أى بدعاء قريبه
إلى الإسلام ، وهذا الشغل وإن كان واجبا عليه إلا أنه عوتب نظرا للحقيقة كما علمت (قوله لا تفعل مثل ذلك) روى « أ
ماعبس بعد ذلك في وجه فقير قط ولا تصدق لفتى » (قوله ذكره) أى التذكير لأن التذكير بمعنى التذكير
والوعظ (قوله في صحف) أى منبثبة في صحف مع الملائكة منقولة من اللوح المحفوظ . قال المفسرون : إن القرآن أنزل جم
واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في ليلة القدر أملاه جبريل على ملائكة السماء الدنيا فكتبوه كله وبقيت تلك الصفحة
عندهم صار جبريل ينزل منها بالآية والآيتين على النبي عليه الصلاة والسلام حتى استكمل أنزال القرآن في ثلاث وعشرين سنة

(قوله وما قبله اعتراض) أى بين الخبرين (قوله سفر) جمع سافر ككتبة وكتاب وزنا ومعنى (قوله كرام) أى مكرمين معظمين عند الله (قوله لعن الكافر) أى طرده عن رحمة الله وفيه إشارة إلى أن المراد بالإنسان الكافر لا كل إنسان وقوله ما أ كفره تعجب من إفراط كفره مع كثرة إحسان الله عليه ، وفي الآية إشكال من وجهين : الأول أن قوله قتل الإنسان يوم الدعاء وهو إنما يكون من العاجز فكيف يليق ذلك بالقادر على كل شيء . الثاني أن التعجب استعظام أمر خفى سببه ، وهذا المعنى محال على الله تعالى إذ هو العالم بالأشياء إجمالا وتفصيلا . أجيب بأن هذا الكلام جار على أسلوب العرب لبيان استحقاقه لأعظم العقاب حيث أتى بأعظم القبايح كقولهم إذا تعجبوا من شيء قاله الله ما أخبثه وأجيب أيضا بأن الأول ليس دعاء بل هو إخبار من الله بأنه طرده عن رحمته . والثاني أنه ليس تعجبا بل استفهام توبيخ وعليه درج المفسر فهما تقريران (قوله أى ما حمله على الكفر) أى أى شيء دعاه إليه (قوله استفهام تقرير) أى وتحقير لحقارة النطفة التي هي أصله ولذا قال بعضهم : ما لابن آدم والفخر أوله نطفة مذرة وآخره جيفة قدرة وهو بينهما حامل للعدرة (قوله ثم بينه) أى الشيء المخاوق هو منه (قوله فقدرة) أى قدر أطواره وهو تفصيل لما أجمل في قوله من نطفة خلقه (قوله ثم السبيل) منصوب على الاشتغال بفعل يفسره المذكور ولم يقل ثم سبيله بالإضافة إلى صمد . إشعارا بأنه سبيل عام (قوله أى) (٢٧٧) طريق خروجه من بطن أمه (

قال بعضهم : إن رأس المولود في بطن أمه من فوق ورجليه من تحت فهو في بطن أمه على الانتصاب فإذا جاء وقت خروجه انقلب بالهام من الله تعالى (قوله ثم أماته) الخ) عد الاماتة من النعم باعتبار أنها وصلة في الجملة للحياة الأبدية والنعيم الدائم (قوله فأقبره) أى أمر بقبره ، يقال قبرا الميت إذا دفنه بيده وأقبره إذا أمر غيره به فالقابر هو الدفن باليد والمقبر هو الله

وما قبله اعتراض (مكرمته) عند الله (مرفوعة) في السماء (مطهرة) منزهة عن مس الشياطين (بأيدي سفر) كتبه ينسخونها من اللوح المحفوظ (كرام بررة) مطيعين لله تعالى وهم الملائكة (قتل الإنسان) لعن الكافر (ما أ كفره) استفهام توبيخ : أى ما حمله على الكفر (من أى شيء خاقه) استفهام تقرير ، ثم بينه فقال (من نطفة خالقه فقدرة) علة ثم مضى إلى آخر خلقه (ثم السبيل) أى طريق خروجه من بطن أمه (يسره) ثم أماته فأقبره) جملة في قبر يسره (ثم إذا شاء أنشره) للبعث (كلاً) حقاً (لما يقض) لم يفعل (ما أمره) به ربه (فليمنظر الإنسان) نظر اعتبار (إلى طعامه) كيف قدر ودبر له (أناصبنا الماء) من السحاب (صباً . ثم شققنا الأرض) بالنبات (شتاً . فأنبتنا فيها حباً) كالحنطة والشعير (وعنباً وقضباً) هو القث الرطب (وزيتوناً ونخللاً . وحدائق غلباً) بساتين كثيرة الأشجار (وفاكهة وأباً) ما ترعاه البهائم ، وقيل التبن (متاعاً) متعة أو تمتعاً كما تقدم في السورة قبلها (إلكم ولأنعامكم) ،

تعالى لأمره به (قوله جملة في قبر يسره) أى ولم يجعل ممن يليق للطيور والسباع إكراماً له (قوله ثم إذا شاء) مفعول المشبهة محذوف والتقدير إذا شاء إنشائه أنشره (قوله حقاً) أى فتكون متعلقة بما بعدها أى حقاً لم يفعل ما أمره به ربه وحينئذ فلا يحسن الوقف على كلاً ويصح أن تكون حرف ردع وزجر للإنسان عما هو عليه من التكبر والتعجب وقوله لما يقض بيان لسبب الردع والزجر (قوله لما يقض) أى لم يفعل الإنسان من أول مدة تكليفه إلى حين إقباره ما فرضه الله عليه (قوله ما أمره به ربه) أشار بذلك إلى أن ما موصولة بمعنى الذى والعائد محذوف والضمير عائد على الإنسان المتقدم ذكره وهو الكافر (قوله فليمنظر الإنسان الخ) بيان لتعداد النعم المتعلقة بحياته في الدنيا إثر بيان النعم المتعلقة بإيجاده (قوله من السحاب) أى بعد نزوله من السماء (قوله ثم شققنا الأرض بالنبات) أى الذى هو أضعف الأشياء (قوله وعنباً) عطف على حباً (قوله هو القث الرطب) أى عاف لدواب الرطب وسمى قضباً لأنه يقضب أى يقطع مرة بعد أخرى (قوله غلباً) جمع أغلب وغلباء كأحمر وحمراء (قوله كثيرة الأشجار) أى فاستد الغلب لها مجاز إذ هو وصف للأشجار (قوله وفاكهة) إما عطف على عنباً من عطف العام على الخاص أو على حدائق فهو عطف خاص على عام (قوله وأباً) إماماً من أبه إذا أمه وقصده لأنه يقصد للرعى أو أباً لكذا إذا نهى لأنه منهي للرعى (قوله ما ترعاه البهائم) أى رطباً أو يابساً فهو أعم من القضب (قوله وقيل التبن) أى وعابه فالمغايرة بينه وبين القضب ظاهرة (قوله متعة أو تمتعاً) أشار

بذلك إلى أن يصح أن يكون مفعولا لأجله أو مفعولا مطلقا عامله محذوف تقديره فعل ذلك متاعا أو متعمك متبعا (قوله تقدم فيها أيضا) أي وهو تفسير النعم بأنها البقر والابل والغنم وتقدم لنا أنه خصها اشرفها (قوله فإذا جاءت الصاخة) شروع في بيان أحوال معادهم إثر بيان مبدأ خلقهم ومعاشهم والصاخة الداهية التي تصيح آذان الخلائق أي تصمها لشدة وقعها وصفت بذلك مجازا لأن الناس يصخون منها (قوله يوم يفر المرء من أخيه الخ) أي وسبب هروبه إما حذرا من مطالبتهم له بحقوقهم فالأخ يقول لم تواسني بمالك والأبوان يقولان قصرت في برنا والصاحبة تقول لم توفي حق والبنون يقولون ما علمتنا وما أرشدتنا أولما يتبين له من عجزهم وعدم نفعهم له أو لكثرة شغل الانسان بنفسه فيدهش عن غيره وكل واقع (قوله بدل من إذا) أي بدل كل أو بعض والعائد محذوف أي يفر فيه (قوله لكل امرئ) جملة مستأنفة لبيان سبب الفرار (قوله أي اشتغل الخ) بيان لجواب إذا المحذوفة (قوله وجوه) مبتدأ سوغ الابتداء به وقوعه في معرض التفصيل ومسفرة خبره ويومئذ متعلق به وهذا بيان لمآل الخلائق (٢٧٨) وانقسامهم إلى أشقياء وسعداء بعد وقوعهم في الداهية العظيمة (قوله مضئنة)

قدم فيها أيضا (فإذا جاءت الصاخة) النفخة الثانية (يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَزَوْجَتِهِ) (وَبَنِيهِ) يوم بدل من إذا وجوابها دل عليه (إِكْلالٌ أَمْرِي مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ) حال يشغله عن شأن غيره أي اشتغل كل واحد بنفسه (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ) مضئنة (ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ) فرحة وهم المؤمنون (وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ) غبار (تَرْتَفِفُهَا) تفشاها (قَتَرَةٌ) ظلمة وسواد (أُولَئِكَ) أهل هذه الحالة (هُمْ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ) أي الجامعون بين الكفر والفجور .

(سورة التكوير)

مكية، تسع وعشرون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ) لففت وذهب بنورها (وَإِذَا الْجُودُ أَنْكَدَرَتْ) انقضت وتساقطت على الأرض (وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ) ذهب بها عن وجه الأرض فصارت هباء منبثا (وَإِذَا الْمِشَارُ) النوق الحوامل (عُطِّاتٌ) :

إمام من قيام الليل أو من آثار الضوء أو من طول ما اغبرت في سبيل الله وكل صحيح (قوله فرحة) أي بما رآته من كرامة الله ورضوانه (قوله ظلمة وسواد) هذا قول ابن عباس وقيل القفرة والفجرة معناها واحد وهو الغبار لكن القفرة ما ارتفع منه إلى السماء والفجرة ما انحط إلى الأرض (قوله الكفرة الفجرة) جمع كافر وفاجر وهو الكاذب على الله تعالى فجمع الله تعالى إلى سواد وجوههم الفجرة كما جمعوا الكفر إلى الفجور .

[سورة التكوير] مناسبتها لما قبلها أن كلا فيه ذكر أحوال القيامة وفي الحديث «من سره أن ينظر إلى نركت يوم القيامة فليقرأ إذا الشمس كورت وإذا السماء انفطرت وإذا السماء انشقت» (قوله إذا الشمس كورت الخ) الأرجح عند جمهور النحاة أن الاسم المرفوع الواقع بعد إن الشرطية مرفوع بفعل محذوف يفسره الذكور ويمنع أن يكون مرفوعا بالابتداء لأن أدوات الشرط لا يابها إلا الأفعال لفظا أو تقديرا وأجاز الأخفش والكوفيون إيلاها الاسم فرفع الاسم مبتدأ وما بعده خبر وإذا في المواضع التي عشر شرطية جوابها قوله علمت نفس ولا يجوز الوقف اختيارا قبل الجواب (قوله لففت) المناسب أن يقول لففت والمعنى لف بعضها ببعض ورعى في البحر ثم رسل الله عليها ريحا دبورا فضر بها فتصير نارا (قوله بنورها) أي ضوئها (قوله سبرت) أي في الهواء بعد تفتيتها (قوله فصارت هباء) أي بعد صيرورتها كالصوف المندوف فأولانفتت ثم تصير كالصوف المندوف (قوله وإذا العشار) جمع عشار كالنفس جمع نفساء وهي التي أتى على حملها عشرة أشهر إلى أن تضع وخصها بالذكر لأنها أغلى ما يكون عند أهائها وأنفس أموالهم لما ورد أنه صلى الله عليه وسلم «مرفى أصحابه بعشار من النوق فنض بعصره فقبل له هذه أنفس أموالنا فلم لا ننظر إليها فقال قد نهاني الله عن ذلك ثم تلا ولا تمدن عينيك» الآية وإذا كان هذا حالهم مع أنفس أموالهم فما حالهم مع غيره أولى وإلى هذا يشير المفسر بقوله ولم يكن مال أعجب

منها (قوله تركت بلا راع) أي مهمله ، وقوله أو بلا حاب بفتح اللام مصدر حاب يحلب بالضم ويقال بالسكون من باب قتل (قوله الوحوش) أي دواب البر ، وقوله جمعت : أي من كل ناحية (قوله بالتخفيف والتشديد) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله فسارت نارا) هذا أحد أقوال في تفسير التفسير ، وقيل سجرت ملئت من الماء ، وقيل اختلط عذبتها بمالحها حتى صارت لواحدا ، وقيل يست ، ويمكن الجمع بين تلك الأقوال فأولا يفيض بعضها لبعض ثم تيبس ثم تغلب نارا ، ثم ماتت من الآيات ت يجوز أن يكون مقدمة للنفخة الأولى فالأحياء يشاهدون ذلك لما روى عن أبي بن كعب قال « ست آيات من قبل يوم يامة بينا الناس في أسواقهم ذهب ضوء الشمس وبدأت النجوم فتجبر وا ودهشوا فينهم كذا » إذ وقعت الجبال على وجه الأرض ركت واضطربت واحترقت فصارت هباء منثورا ففرع الإنس إلى الجن والجن إلى الإنس واختلطت الدواب والوحوش والهوام طير وماج بعضها في بعض فذلك قوله تعالى - وإذا الوحوش حشرت - ثم قالت الجن للإنس نحن فأنكم بالخبر فأنظروا البحار فإذا نار تتأجج فينهم كذا كذلك انصدعت الأرض صدعة واحدة إلى الأرض السابعة السفلى وإلى السماء السابعة العليا فينهم كذا ذلك إذ جاءتهم ريح فأماتهم ويجوز أن يكون في النفخة الثانية ويقال في تعطيل العشار يحتمل أنه كناية عن شدة الهول حتى لتفت الشخص إلى أنس أمواله أو تبعث معطلة بلا راع أو لا يلتفت لها صاحبها لأن البهائم تحشر للقصاص من بعضها لبعض ، ما است الباقية فتحصل بالنفخة الثانية اتفاقا (قوله قرنت بأجسادها) أي ردت الأرواح إلى أجسادها فالتزويج على هذا جعل في زوجا والنفوس بمعنى الأرواح ، وقبل قرن كل امرئ بشيعته فاللهودي (٢٧٩) يضم لليهود ، والنصراني

لنصراني وهكذا ، وقيل قرن الرجل الصالح بالرجل الصالح في الجنة والرجل السوء بالرجل السوء في النار ، وقيل زوجت نفوس المؤمنين بالخور العين وقرنت الكفار الشياطين وكذلك المنافقون وفي الحقيقة يحصل كل (قوله الجارية) المراد بهاء مطلق الأثني ، وقوله والحاجة : أي

ركت بلا راع ، أو بلا حلب لما دهم من الأمر ولم يكن مال أعجب إليهم منها (وإذا الوحوش شيرت) جمعت من بعد البعث ليقص بعض من بعض ثم نصير ترابا (وإذا البحار سجرت) بالتخفيف والتشديد : أوقدت فصارت نارا (وإذا النفوس زوجت) قرنت بأجسادها (وإذا الموءودة) الجارية تدفن حية خوف العار والحاجة (سئلت) تبكيها لقاتلها (بأي ذنب قتلت) وقرئ بكسر التاء حكاية لما تخاطب به ، وجوابها أن تقول قتلت بلا ذنب (وإذا الضعف) صحف الأعمال (نشرت) بالتخفيف والتشديد فتحت وبسطت (وإذا السماء كشطت) نزع عن أماكنها كما ينزع الجلد عن الشاة (وإذا الجحيم النار) سمرت ،

لفقر فكان الرجل في الجاهلية إذا ولدت له بنت فأراد أن يستحيها ألبسها حبة من صوف أو شعر ترعى له الإبل والغنم في البادية وإذا أراد قتلها تركها حتى إذا كانت بنت ست سنين يقول لأمها طيبتها وزينها حتى أذهب بها إلى أحماها وقد حفر لها بئرا في الصحراء فيذهب بها إلى البئر فيقول لها انظري فيها ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب حتى تستوى بالأرض وقال ابن عباس : كانت الحامل إذا قربت ولادتها حفر حفرة فتمخضت على رأس تلك الحفرة فإذا ولدت بقا رمت بها في الحفرة وإذا ولدت ولدا أبقتة (قوله تبكيها لقاتلها) جواب عما يقال ما معنى سؤال الموءودة مع أن مقتضى الظاهر سؤال القاتل عن قتله إياها ، فأجاب بأن سؤالها لاقتضاح القاتل وتبكيته ولا يلزم من السؤال تعذيب القاتل لأنه يقال إن كان القاتل من أهل الفترة فلا يعذب وإنما يرضى الله المقتولة بإحسانه وإن كان ممن باغته الدعوة فهو آثم يعذب على القتل إن لم يغفر له الله تعالى (قوله وقرئ بكسر التاء) أي الثانية على أنها تاء الوثنية المخاطبة والفعل مبني للفعول وهذه القراءة شاذة وقرئ شذوذا أيضا يناء سئل للفاصل مع قتلت بضم التاء للتسكيم وبسكونها على التأنيث فالقراءات الشاذة ثلاث (قوله صحف الأعمال) أي فأنها تطوى عند الموت وتنشر عند الحساب (قوله بالتخفيف والتشديد) سبعيتان (قوله فتحت وبسطت) أي بعد أن كانت مطوية (قوله نزع عن أماكنها) أي أزيلت عنه فالكشط القلع عن شدة التزاق والكشط لعة فيه وبها قرئ شذوذا فالسواء تنزع عن أماكنها كما ينزع الفطاء عن الشيء ، وقيل نظوى كما يطوى السجل .

(قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما سبعيتان (قوله أجبت) أى أوقدت للكفار (قوله قربت لأهلها ليدخلوها) أى هبئت وأحضرت لهم وسهل طريقها لأنها تزول عن موضعها (قوله أول السورة) أى الواقعة فى أولها ، وقوله وما عطف عليها : أى وهو أحد عشر (قوله علمت نفس) إن قات إن نفس نكرة فى سياق الإثبات وهى لانعم . أجيب بجوابين : الأول أن العموم استفيد من قرينة المقام والسياق . الثانى أن وقوعها فى سياق الشرط كوقوعها فى سياق التثنية فتعم أيضا ، ومعنى العلم بما أحضره أنها تشاهد أعمالها مكتوبة فى الصحف (قوله وهو) أى وقت حصول هذه الأمور (قوله هى النجوم الخ) أى السيارة غير الشمس والقمر (قوله أى ترجع فى مجراها) أى من آخر الفلك القهقري إلى أوله وخصها بالذكور لأنها تستقبل الشمس فتحبس بالنهار وتظهر بالليل وتختفى وقت غروبها عن البصر (قوله إذ كرر راجعا) هو العامل فى بينا ، وقوله إلى أوله : أى البرج (قوله فى كناسها) أى محل اختفائها من كنس الوحش إذا دخل كناسه وهو بيته الذى يتخذ من أغصان الشجر (قوله والصبح إذ تنفس) مناسبة لما قبله ظاهرة لأنه إن كان المراد إقباله فهو أول الليل وهذا أول النهى وإن كان المراد إدباره فهذا مجاور له (قوله إذا تنفس) التنفس (٢٨٠) فى الأصل خروج النفس من الجوف وصف به الصبح من حيث إنه إذا أقبل

ظهر روح ونسيم فجعل نفساله (قوله ذى قوة) أى فكان من قوته أنه قذاع قرى قوم لوط من السماء الأسود وحملها على جناحه فرفعها إلى السماء ثم قابها وأنه أبصر إبليس بكلمة عيسى عليه السلام فتدحرجه بجناحه نفحة ألقاه إلى أقصى جبل خلف الهند ، وأنه صاح صيحة ثمود فأصبحوا جاعين ، وأنه بسط من السماء إلى الأرض ثم بسط فى أسرع من ردة الطرف (قوله ذى مكانة) أى إكرام

بالتخفيف والتشديد : أجبت (وَإِذَا الْجَنَّةُ أُنزِلَتْ) قربت لأهلها ليدخلوها ، وجواب إذا أول السورة وما عطف عليها (عِلِمَتْ نَفْسٌ) أى كل نفس وقت هذه المذكورات وهو يوم القيامة (مَا أُخْضِرَتْ) من خير وشر (فَلَا أُقْسِمُ) لا زائدة (بِالْخُمْسِ . الْجَوَارِ الْكُنَّسِ) هى النجوم الخمسة : زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد تخمس بضم النون : أى ترجع فى مجراها وراءها بينما ترى النجم فى آخر البرج إذ كرر راجعا إلى أوله وتكنس بكسر النون تدخل فى كناسها : أى تغيب فى الموضع التى تغيب فيها (وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ) أقبل بظلامه أو أدبر (وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ) امتد حتى يصير نهارا بينما (إِنَّهُ) أى القرآن (لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ) على الله تعالى ، وهو جبريل أضيف إليه لنزوله به (ذِي قُوَّةٍ) أى شديد القوى (عِنْدَ ذِي الْمَرْثِ) أى الله تعالى (مَكِينٍ) ذى مكانة متعلق به عند (مُطَاعٍ ثُمَّ) أى تطيعه الملائكة فى السموات (أَمِينٍ) على الوحي (وَمَا صَاحِبُكُمْ) محمد صلى الله عليه وسلم عطف على إياه إلى آخر المقسم عليه (تَجْتَنُّونَ) كما زعمتم (وَلَقَدْ رَآهُ) رأى محمد صلى الله عليه وسلم جبريل على صورته التى خلق عليها (بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ) البين ، وهو الأعلى بناحية المشرق ،

وتشريف (قوله متعلق به عند) أى فهو حال من مكين وأصله وصف فلما قدم (وما) نصب حالا ، وقوله ثم ظرف مكان للبعيد والعامل فيه مطاع (قوله أى تطيعه الملائكة) تفسير لقوله مطاع ، وقوله فى السموات تفسير لقوله ثم (قوله عطف على إنه الخ) أى فهو من جملة المقسم عليه بالأقسام السابقة وفى الحقيقة ذكر جبريل بالأوصاف المذكورة توطئة لذكر محمد صلى الله عليه وسلم لأن المقصود منه رد قولهم : إنما يعلمه بشر ، أفترى على الله كذبا أم به جنة لا تعداد فضائل جبريل ومحمد خلافا لما يحشرون الزاعم أن تلك الآية تشهد بتفضيل جبريل على محمد بل إذا أمعنت النظر وجدت إجراء تلك الصفات على جبريل فى هذا المقام دالة على بلاغ الغاية فى تعظيم محمد حيث جعل السفير بينه وبين الله هذا الملك الوصوف بتلك الصفات ، وفضل المصطفى مصرح به فى هذا الكتاب وفى سائر الكتب السماوية كالشمس فى رابعة النهار هذا زبدة ما أفاده الأئمة فى هذا المقام (قوله ولقد رآه) معطوف على قوله - إنه لقول رسول كريم - أيضا فهو من جملة المقسم عليه ، وهذه الرؤية كانت فى غار حراء حين رآه على كرسيه بين السماء والأرض فى صورته الأصلية وكان قد سأل أن يريه نفسه على صورته التى خلق عليها فوعده بحراء ثم أنجز له الوعد ، وتقدم بسطه فى قوله تعالى - فاستوى وهو الأفق الأعلى - الخ .

(قوله على الغيب) متعلق بظنين (قوله وفي قراءة) أي وهو سبعة أيضا (قوله أي يخيل) أي فلا يدخل به عليكم بل يخبركم به على طبق ما أمر ولا يكتفه كما يكتف السكاهن ما عندهم حتى يأخذوا عليه حلوانا (قوله وما هو بقول شيطان الخ) نف لقولهم إنه كهاة وسحر (قوله فأن تذهبون) أين ظرف مكان مبهم منصوب بذهبون كما قال المفسر فأى طريق تسلكون حيث تسبتموه لاجنون أو السكاهة أو السحر أو الشعر وهو يرى من ذلك كله كما نقول لمن ترك الطريق الجادة بعد ظهورها هذا الطريق الواضح فأن تذهب (قوله أن يستقيم) أي فالطريق واضح فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر (قوله وما تشاءون) رجوع للحقيقة وإعلام بأن العبد محار في الظاهر مجبور في الباطن على ما يريد الله منه .

[سورة الانفطار] مناسبة لما قبلها وما بعدها ظاهرة لأن كلامه متعلق بيوم القيامة (قوله إذا السماء انفطرت الخ) اعلم أن المراد بهذه الآيات بيان تخريب العالم وفناء الدنيا . وذلك أن السماء كالسقف والأرض كالبناء ومن أراد تخريب دار فانه يبدأ أولا بتخريب السقف ثم يلزم من تخريب السماء انتشار الكواكب ثم بعد تخريب

السماء والكواكب يخرب

(٢٨١)

السماء والكواكب يخرب

كل ما على وجه الأرض

من البحار ثم بعد ذلك

تخرب الأرض التي فيها

الأموات (قوله انشقت)

أي لنزول الملائكة (قوله

انقضت وتساقطت) أي

فالانتشار استعارة لازالة

الكواكب فشبهت

بجواهر قطع سلكها

وطوى ذكر المشبه به ورمز

له بشيء من لوازمه وهو

الانتشار فإنباته تخييل على

طريق الاستعارة المكنية

(قوله فجرت) العامة على

قراءته مبنيًا للمفعول

مشدداً وقرىء شذوذاً

بالبناء للفاعل وللأفعول مع

التخفيف (قوله فتسح

بعضها في بعض) أي لزال

البرزخ الحاجز (قوله بعثت)

برادفه في معناه بحث بالحاء

فهما مركبان من البعث والبحث مضموماً إليهما راء (قوله قاب

تراها) أي الذي أهيل على الموتى وقت الدفن وصار ما كان في باطن الأرض ظاهراً على وجهها (قوله علمت نفس) أي

علمنا تفصيلاً وإلا فالعلم الإجمالي حصل لهم عند الموت حين يرى كل مقعده من الجنة أو النار . واعلم أن الإنسان يعلم

ما قدمه من خير وشر عند موته علماً إجمالياً فيعلم أنه من أهل السعادة أو الشقاوة فإذا بعث وقرأ صحيفته علم ذلك تفصيلاً

(قوله يا أيها الإنسان الكافر) هذا أحد قولين ، والآخر أن المراد بالإنسان ما يشمل الكافر والمؤمن المزمع في المعاصي

(قوله ما غرك ربك الكريم) ما استفهامية ، والمعنى أي شيء خدعك وجراك على عصيان الكريم الذي من حقه عليك

أن تقتل أوامر وتجتنب نواهيه ولا تغتر بحلمه وكرمه . إن قلت كونه كريماً يقتضى أنه يغتر الإنسان بكرمه لأنه جواد

وهو يستوى عنده طاعة المطيع وعصيان المذنب فهذا يقتضى الاغترار به فكيف جعله هنا مانعاً منه . أجيب بأن الآية واردة

(وَمَا هُوَ) أي محمد صلى الله عليه وسلم (عَلَى الْغَيْبِ) ما غاب من الوحي وخبر السماء (بِظَانٍ) بينهم ، وفي قراءة بالضاد، أي ببخيل فينقص شيئاً منه (وَمَا هُوَ) أي القرآن (بِقَوْلِ شَيْطَانٍ) مسترق السمع (رَجِيمٍ) مرجوم (فَأَن تَذَهَبُونَ) فأى طريق تسلكون في إنكاركم القرآن وإعراضكم عنه (إِنْ) ما (هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ) عظة (لِّالْمَآئِينَ) الإنس والجن (لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ) بدل من العالمين بإعادة الجار (أَنْ يَسْتَقِيمَ) باتباع الحق (وَمَا تَشَاءُونَ) الاستقامة على الحق (إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) الخلائق استقامتكم عليه .

(سورة الانفطار)

مكية ، تسع عشرة آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ) انشقت (وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَفَرَتْ) انقضت وتساقطت (وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ) فتح بعضها في بعض فصارت بحراً واحداً واختلط المذنب بالملح (وَإِذَا الْقُبُورُ بُمِثِرَتْ) قلب ترابها وبعث موتاهها ، وجواب إذا وما عطف عليها (عَلِمَتْ نَفْسٌ) أى كل نفس وقت هذه المذكورات وهو يوم القيامة (مَا قَدَّمَتْ) من الأعمال (و) ما (أَخَّرَتْ) منها فلم تعمله (يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ) الكافر (مَا غُرِكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ) ،

بتهديد الكافر والعاصي حيث أنعم عليه بتلك النعم وكلفه بشكرها وأوعده من كفر بالعذاب الدائم فلم يغم بشكرها فتضمنت مخالفته استغفاره بالنعمة وبأوامر النعم ونواهيها فليس في الآية ما يقتضي الاغترار كما زعمه الحشوية حيث يقولون : إنما قال بربك الكريم دون سائر صفاته ليلقن عبده الجواب حتى يقول غرتني كرم الكريم ، ففي الحديث « لما تلا هذه الآية قال غره جيله » ، وقال عمر غره حمقه وجهله ، وقال الحسن غره « والله شيطانه الحبيث » (قوله حتى عصيته) أي بالكفر وجحد الرسل وإنكار ما أتوا به (قوله الذي خلقك) أي أوجدك من العدم (قوله فسواك) أي جعل أعضائك سليمة مستوية تامة المنافع (قوله بالتخفيف والتشديد) أي فهما سبعيتان فالتسوية ترجع إلى عدم النقصان في الأعضاء والتعديل يرجع إلى نفي العوج والقبح (قوله في أي صورة) متعاقب بركبك وشاء صفة لصورة ، والمعنى ركبك في أي صورة من الصور التي اقتضتها مشيئته من طول وقصر وذكرورة وأنوثة (قوله بل تكذبون) إضراب انتقالي إلى بيان ماهو السبب الأصلي في اغترارهم كأنه قال : إنكم لا تستقيمون على ما توجبكم نعمي عليكم وإرشادي لكم بل تكذبون (قوله وإن عليكم لحافظين) الخطاب وإن كان مشافهة إلا أن الآية عامة بالاجماع لجميع المكافين والجملة حالية من الواو في تكذبون (قوله من الملائكة) أي فكل واحد من الآدميين له ملكان ملك بالليل واثان بالنهار ، واختلّفوا في الكفار ، فتيل ليس عليهم حفظة لأن أمرهم ظاهر وعملهم واحد ، وقيل عليهم حفظة لظاهر هذه الآية . إن فات فأتى شيء يكتب الذي على يمينه مع أنه لاحسنه له . أجيب بأن الذي عن شماله يكتب بإذن صاحب اليمين فيكون شاهدا على ذلك ، فالمراد بالحفظة هنا حفظة الأعمال الكاتبون لها وأما حفظة البدن فهم المذكورون

حتى عصيته (الَّذِي خَلَقَكَ) بعد أن لم تكن (فَسَوَّاكَ) جعلك مستوى الحلقة سالم الأعضاء (فَعَدَلَاكَ) بالتخفيف والتشديد : جعلك معتدل الخلق متناسب الأعضاء ليست يد أو رجل أطول من الأخرى (فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا) زائدة (شَاءَ رَبُّكَ) ردع عن الاغترار بكرم الله تعالى (بَلْ تُكَذِّبُونَ) أي كفار مكة (بِالَّذِينَ) بالجزاء على الأعمال (وَإِنْ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ) من الملائكة لأعمالكم (كِرَامًا) على الله (كَاتِبِينَ) لها (يَتْلُونَ مَا تَأْمُرُونَ) جميعه (إِنَّ الْأَبْرَارَ) المؤمنين الصادقين في إيمانهم (لَنِي نَعِيمٍ) جنة (وَإِنَّ الْفُجَّارَ) الكفار (لَنِي جَعِيمٍ) نار محرقة (يَصْلَوْنَهَا) يدخلونها ويقاسون حرها (يَوْمَ الدِّينِ) الجزاء (وَمَاهُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ) بمخرجين (وَمَا أَدْرَاكَ) أعلمك (مَا يَوْمُ الدِّينِ) ثمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ) تعظيم لشأنه (يَوْمٌ) بالرفع أي هو يوم (لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ أَنْفَسَ شَيْئًا) من النعمة (وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ) لا أمر لغيره فيه أي لم يمكن أحدا من التوسط فيه بخلاف الدنيا .

بالليل واثان بالنهار ، واختلّفوا في الكفار ، فتيل ليس عليهم حفظة لأن أمرهم ظاهر وعملهم واحد ، وقيل عليهم حفظة لظاهر هذه الآية . إن فات فأتى شيء يكتب الذي على يمينه مع أنه لاحسنه له . أجيب بأن الذي عن شماله يكتب بإذن صاحب اليمين فيكون شاهدا على ذلك ، فالمراد بالحفظة هنا حفظة الأعمال الكاتبون لها وأما حفظة البدن فهم المذكورون

في قوله تعالى - له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله -

(سورة)

وفي هذه الآية دليل على أن الشاهد لا يشهد إلا بعد العلم لوصف الملائكة بكونهم حافظين كراما كاتبين يعلمون ما تعملون (قوله إن الأبرار لني نعيم) شروع في بيان ما يكتبون لأجله كأنه قيل يكتبون الأعمال ليجازي الأبرار بالنعيم الخ (قوله وإن الفجار لني جحيم) أل في الفجار للعهد الذكري أي المتقدم ذكروا في قوله بل تكذبون بالدين (قوله يصلونها) الجملة مستأنفة أو حالية من الضمير في خبر إن (قوله الجزاء) أي الذي كانوا يكذبون به (قوله وما أدراك) ما اسم استفهام مبتدأ وجملة أدراك خبره والكاف مفعول أول وجملة ما يوم الدين من المبتدأ والخبر سادة مسد المفعول الثاني والاستفهام الأول للانكار والثاني للتعظيم والتهويل والمعنى وأي شيء أدراك عظم يوم الدين وشدة هوله أي لا علم لك به إلا بأعلام منا (قوله يوم) بالرفع والنصب قراءتان سبعيتان فالرفع على أنه خبر لمحدوف : أي هو يوم والنصب على أنه مفعول لفعل محذوف وقرئ شذوذا برفعه منونا لقطعه عن الإضافة والجملة بعده نعت له (قوله شيئا من النعمة) جواب عما يقال إن بعض الناس المقبولين يملكون الشفاعة لغيرهم فالجواب أن المنى ثبوت الملك بالاستقلال والشفاعة ليست كذلك بل لا تكون إلا بإذن خاص (قوله والأمر يومئذ لله) أي ظاهرا وباطنا فلا تصرف لغيره فيه أصلا (قوله بخلاف الدنيا) أي فالعبيد متصرفون فيها وينسب لهم الملك والأمر والنهي ظاهرا .

[سورة التطهيف] وتسمى سورة المطففين (قوله مكية أو مدنية) أو لحكاية الخلاف ، فالأول قول ابن مسعود والضحاك ومقاتل في أحد قوليه . والثاني قول الحسن وابن عباس وعكرمة ومقاتل في قوله الآخر ، وهذان قولان من أربعة أقوال :
 بأنها أنزلت بين مكة والمدينة . رابعها مكها مدنية لإقوله - إن الذين أجمعوا - إلى آخر السورة فمكي ، والشهور أنها مدنية لما روى عن ابن عباس قال : لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة كانوا من أخبث الناس كيلا ، فأنزل الله تعالى - ويل للمطففين - فأحسنوا الكيل بعد ذلك ، قال الفراء فهم أوفى الناس كيلا إلى يومهم هذا . وروى عنه أيضا قال : هي أول سورة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة نزل بالمدينة وكان هذا فيهم ، كانوا إذا اشتروا استوفوا بكيل راجع وإذا بعوا يخسوا الكيل والليزان ، فلما نزلت هذه السورة انتهوا فهم أوفى الناس كيلا إلى يومهم هذا . وقال جماعة نزلت في رجل يعرف بأبي جهينة واسمه عمرو وكان له صاعان يأخذ بواحد ويعطي الآخر . ومناسبة لما قبلها أنه لما ذكر حال السعداء والأشقياء لما قبلها ذكر هنا ما أعد لبعض العصاة ، وذكرهم بأخس ما يقع من المعصية وهي التطهيف الذي لا يكاد ينفى أحدهما ويفقر الآخر ، ثم ذكر فيها ما أعد للكفار عموما وللطغمة عموما (قوله ويل) مبتدأ سوغ الابتداء به كونه دعاء وللمطففين خبره وهذا على أنه كلمة عذاب وأما على أنه اسم للوادي فهو معرفة ويجوز نصبه في غير هذا الموضع ويختار فيما إذا كان مضافا أو مضافا (قوله كلمة عذاب) أي معاملة بشدة عذابهم في الآخرة فهو دعاء عليهم بالهلاك وقوله أو واد في جهنم : أي يهوى فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يباع قعره فهما قولان ويمكن الجمع بأن الويل له (٢٨٣) إطلاقان (قوله للمطففين) جمع مطفف وهو الذي يأخذ في كيل أو وزن شيئا قليلا ومنه قولهم دون الطهيف أي الشيء التافه لقلته وهذا الوعيد يباحق كل من يأخذ لنفسه زائدا ويدفع إلى غيره ناقصا قليلا أو كثيرا لكن إن لم يقب منه فإن ثوابات توبته ، ومن فعل ذلك

(سورة التطهيف)

مكية أو مدنية ، ست وثلاثون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . وَيْلٌ) كلمة عذاب ، أو واد في جهنم (الْمُطَفِّفِينَ . الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى) أي من (النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ) الكيل (وَإِذَا كَالُوهُمْ) أي كالوا لهم (أَوْ وَزَنُوهُمْ) أي وزنوا لهم (يُخْسِرُونَ) ينقصون الكيل أو الوزن (أَلَا) استفهام توبيخ (يَظُنُّ) يظن (أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ . لِيَوْمٍ عَظِيمٍ) أي فيه وهو يوم القيامة (يَوْمٍ) بدل من محل ليوم ،

وأصر عليه كان مصرا على كبيرة من الكبائر ، وذلك لأن عامة الخلق محتاجون إلى المعاملات وهي مبنية على أمر الكيل والوزن والدرع ، فلهذا السبب عظم الله أمر الكيل والوزن . قال نافع : كان ابن عمر يمر بالبائع فيقول : اتق الله وأوف الكيل والوزن فإن المطففين يوقفون يوم القيامة حتى يلجمهم العرق ، فيكون عرقهم على قدر تفاوتهم في التطهيف ، فمنهم من يكون إلى كعبيه ، ومنهم من يكون إلى ركبتيه ، ومنهم من يكون إلى حقويه ، ومنهم من يلجمه العرق إجماعا . وفي الحديث الصحيح « خمس بخمس : ما نض العهد قوم إلا سلط الله عليهم عدوهم ، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر ، وما ظهرت فيهم الفاحشة : أي الزنا إلا فشا فيهم الموت ، ولا طافوا الكيل إلا منعوا الثبات وأخذوا بالسنين من القحط ، ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر » (قوله على الناس) متعلق باكتالوا وعلى بمعنى من كما قال المفسر ؛ ويصح أن يكون متعلقا يستوفون قدم لافادة الاختصاص ، والمعنى يستوفون على الناس خاصة ، وأما لأنفسهم فيستوفون لها (قوله يستوفون) أي يزيدون على حقهم وليس المراد يستوفون حقهم فقط إذ ليس في ذلك نهى (قوله أي كالوا لهم) أشار بذلك إلى أن ضميرهم في محل نصب مفعول لكالوا تعدى إليه الفعل بنفسه بعد حذف اللام وایس ضمير رفع مؤكدا للواو (قوله أو وزنهم) حذفه مما تقدم لدلالة هذا عليه (قوله يخسرون) جواب إذا (قوله استفهام توبيخ) أي فلانافية دخل عليها همزة الاستفهام فالأ هنا ليست استفهامية بل هي همزة الاستفهام دخلت على لا النافية فأفادت التوبيخ والانكار (قوله ألا يظن أولئك الخ) أشار الناس إلى أن الظن بمعنى اليقين : أي لا يوقن أولئك إذ لو أيقنوا ما نقصوا في الكيل والوزن ، وقيل الظن بمعنى التردد والمعنى إن كانوا لا يستيقنون بالبعث فهلا ظنوه حتى يتدبروا ويأخذوا بالأحوط وأولئك إشارة للمطففين أتى بها نظرا إلى بعدهم

هن مرتبة الأبرار وعدم من الأشرار (قوله فخاصبه مبعوثون) أى مقتدرا لأن البدل على نية تكرار العامل (قوله حقا)
 أى فكلام مستأنف فالوقف على ما قبلها ، وقيل إنها كلمة ردع وزجر ، والمعنى ليس الأمر على ما هم عليه من بخس الكيل
 والميزان ، فعلى هذا يكون الوقف عايتها (قوله الفجار) أظهر فى مقام الإضمار تسجيلا عليهم بهذا الوصف الشنيع (قوله أى
 كتب أعمال الكفار) أشار بذلك إلى أن كتاب بمعنى كتب والكلام على حذف مضاف ، وبذلك اندفع ما يلزم من ظرفية
 الشيء فى نفسه (قوله أى سجين) اختاف فى نونه فقليل أصلية مشتق من السجن وهو الحبس وقيل بدل من اللام مشتق من
 السجل وهو الكتاب (قوله قيل هو كتاب جامع) أى دون الله فيه أعمال الشياطين والكفرة من الثقلين موضوع تحت
 الأرض السابعة فى مكان مظلم موحش هو مسكن إبليس وذريته يذهبون إليه ليستوفوا جزاء أعمالهم (قوله وقيل هو مكان
 الخ) أى فهو اسم موضع وعليه فقوله الآتى وما أدراك ما سجين على حذف مضاف والتقدير ما كتاب سجين كما ذكره المفسر
 والاضافة على معنى فى وقد يجمع بأن سجين اسم الكتاب والموضع معا (قوله وهو محل إبليس) أى وفيه أرواح الكفار (قوله
 وما أدراك) ما اسم استفهام مبتدأ (٢٨٤) وأدراك خبره وما سجين مبتدأ وخبر والجملة سادة مسد المفعول الثانى

والاستفهام الأول للانكار
 والثانى للتفخيم والتعظيم
 (قوله مرقوم) بيان
 للكتاب المذكور فى قوله
 إن كتاب الفجار ، والمعنى
 أن هذا الكتاب مكتوب
 فيه أعمالهم مثبتة كالرقم
 فى الثوب لا ينسى ولا
 يمحى وقيل الرقم الختم باغة
 حمير وعليه مشى المفسر ،
 والمعنى أن هذا الكتاب
 مرقوم بعلامة يعرف أنه
 كافر (قوله أو بيان) أى
 أوتعت (قوله ردع وزجر)
 أى للمعتدى الأثم عن
 ذلك القول الباطل فهى

فخاصبه مبعوثون (يَقُومُ النَّاسُ) من قبورهم (لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) الخلائق لأجل أمره وحسابه
 وجزائه (كَلَّا) حقا (إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ) أى كتب أعمال الكفار (لَفَى سِجِّينَ) قيل
 هو كتاب جامع لأعمال الشياطين والكفرة ، وقيل هو مكان أسفل الأرض السابعة ، وهو محل
 إبليس وجنوده (وَمَا أَذْرِيكَ مَا سِجِّينٌ) ما كتاب سجين (كِتَابٌ مَرْقُومٌ) مختوم (وَيْلٌ
 يَوْمَ يُنْفَخُ لِلْكَافِرِينَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بَيَّوْمَ الَّذِينَ) الجزء ، بدل أو بيان للكاذبين
 (وَمَا يُكْذَبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ) متجاوز الحد (أَثِمٍ) صيغة مبالغة (إِذْ أَتْتَنَالِي عَمَائِهِمْ آيَاتُنَا)
 القرآن (قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) الحكايات التى سطرت قديما جمع أسطورة بالضم أو إسطار
 بالكسر (كَلَّا) ردع وزجر لقولهم ذلك (بَلْ رَانَ) غاب (عَلَى قُلُوبِهِمْ) فغشيها (مَا كَانُوا
 يَكْسِبُونَ) من المعاصى فهو كالصدأ (كَلَّا) حقا (إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ) يوم القيامة
 (لَمَحْجُوبُونَ) فلا يرونه (نَمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ) لداخلوا النار المحرقة (نَمَّ يُقَالُ) لهم
 (هَذَا) أى العذاب (الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ . كَلَّا) حقا (إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ) أى
 كتب أعمال المؤمنين الصادقين فى إيمانهم (لَفَى عَلَيْهِمْ) ،

حرف ، وقال الحسن إن كلا بمعنى حقا (قوله بل ران) أى أحاط وغطى
 كتنطية النعم هساء ورد « أن المؤمن إذا أذنب ذنبا نكتت نكتة سوداء فى قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها وإذا
 زاد زادت حتى نعلو قلبه فذلكم الران الذى ذكره الله تعالى فى كتابه المبين » . وقال أبو معاذ الرين أن يسود القلب من الذنوب
 والطبع أن يطبع على القلب وهو أشد من الرين والاقفال أشد من الطبع وهو أن يقفل على القلب قال تعالى - أم على قلوب
 أقفها (قوله حقا) وقيل حرف ردع وزجر أى ليس الأمر كما يقولون بل إنهم عن ربهم الخ (قوله فلا يرونه) هذا هو الصحيح
 وقيل يرونه ثم يحجبون حسرة وندامة (قوله ثم إنهم لصالوا الجحيم) ثم للتراخي فى الرتبة فان صلى الجحيم أشد من الاهانة
 والحرمان من الرحمة والكرامة (قوله ثم يقال لهم) أى من طرف الحزنة على سبيل التقرير والتوبيخ (قوله الذى كنتم به
 تكذبون) أى فى الدنيا (قوله كلا إن كتاب الأبرار) بيان لحل كتاب الأبرار وما أعد لهم من النعيم الدائم إثر بيان محل
 كتاب الفجار وما أعد لهم من العذاب الدائم (قوله حقا) وقيل حرف ردع وزجر فتحصل أن فى كل واحدة من الأربعة الواقعة
 فى هذه السورة قولين (قوله أى عاينين) اسم مفرد على صيغة الجمع لا واحد له من لفظه ، مبنى بذلك إما لأنه سبب العلو
 إلى أعلى الدرجات فى الجنة وإما لأنه مرفوع فى السماء السابعة لما ورد مرفوعا « عاينين فى السماء السابعة تحت العرش » .

قوله قيل هو كتاب الخ (أى فهو علم على ديوان الخير الذى دون فيه كل عمل صالح للثقلين ، ورد إن الملائكة تصعد بعمل عبد يستقبلوه فإذا انتهوا به إلى ما شاء الله من سلطانه أوحى إليهم أتم حفظه على عبدي وأنا الرقيب على ما فى قلبه وإنه أخاص ملكه فأجملوه فى عليين وقد غفرت له وإنها تصعد بعمل العبد فتزكيه فإذا انتهوا به إلى ما شاء الله أوحى إليهم أتم الحفظه على عبدي وأنا الرقيب على قلبه وإنه لم يخاص لي عمله فأجملوه فى سبعين قال ابن عباس هو لوح من زبرجدة خضراء معاق تحت عرش أعمالهم مكتوبة فيه . وقال كعب وقتادة هو قائمة العرش البقي . وقال بعض أهل المعنى هو علو بعد علو وشرف بعد شرف . قوله من ملائكة (ظاهره أن الملائكة تكتب أعمالهم ويثابون عليها وانظر فى ذلك) قوله وقيل هو مكان الخ (قد يجمع ن عليين اسم لكل من الكتاب والسكان) قوله ما كتاب عليين (هذا التقدير إنما يحتاج له على القول الثانى فى تفسير السبعين لاطى الأول) قوله مختوم (وقيل الرقم الكتابة والمعنى مكتوب فيه إن فلانا آمن من النار) قوله يشهد المقر بون (أى يحصرونه ويحفظونه ويشهدون بما فيه) قوله إن الأبرار لى نعم (شروع فى بيان عاقبة نعمهم إثر بيان حال كتابهم على من مامر فى شأن الفجار) قوله السرر فى الحجال (جمع حجلة بفتح حاء من الثياب الفاخرة يرخى على السرر حتى فى العرف الناموسية) قوله ينظرون (الجملة حالية من الضمير فى خبر إن أو مستأنفة وقوله على الأرائك متعاقب ينظرون قوله تعرف فى وجوههم الخ) أى إنك إذا رأيتهم تعرف أنهم أهل النعمة (٢٨٥) لما زى فى وجوههم من

الحسن والبياض وفى قلوبهم من السرور والفرح والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أو لكل من تصح منه المعرفة وهذه قراءة العامة وقرأ أبو جعفر بالناء مبديا للمفعول ونضرة بالرفع نائب فاعل وقرى* بالياء مبديا للمفعول أيضا مع رفع نضرة نظرا إلى أن التانيث مجازى (قوله بهجة النعم الخ) أى لعدم ما يكدره

قيل هو كتاب جامع لأعمال الخير من الملائكة ومؤمنى الثقلين ، وقيل هو مكان فى السماء السابعة تحت العرش (وَمَا أَدْرَاكَ) أعلمك (مَا عَائِيُونَ) ما كتاب عليين ، هو (كِتَابٌ مَرْقُومٌ) مختوم (يَشْمَدُهُ الْمُرَبُّونَ) من الملائكة (إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ) جنة (عَلَى الْأَرَائِكِ) السرر فى الحجال (يَنْظُرُونَ) ما أعطوا من النعم (تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ) بهجة النعم وحسنه (يُقَوِّنَ مِنْ رَحِيقٍ) خمر خالصة من الدنس (مَخْتُومٍ) على إنائها لا يفك ختمه إلا هم (خَتَامُهُ مِسْكٌ) أى آخر شر به يفوح منه رائحة المسك (وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَزَّاهِ الْمُتَّقُونَ) فليرفعوا بالمبادرة إلى طاعة الله (وَمَزَاجُهُ) أى ما يمزج به (مِنْ تَنْزِيمٍ) فسر بقوله (عَيْنًا) فنصبه بأمدح مقدرا (يَشْرَبُ بِهَا الْمُرَبُّونَ) أى منها ، أو ضمن يشرب معنى يلتذ (إِنَّ الَّذِينَ أُجْرِمُوا) كآبى جهل ونحوه (كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آتَنُوا) كعمار وبلال ،

من الأمراض والعلل وخوف الزوال وغير ذلك (قوله خالصة من الدنس) أى الكدر قال تعالى : لافها غول ولا هم عنها ينزفون (قوله مختوم على إنائها) أى لشرفها ونفاستها إن قلت قد قال فى سورة محمد صلى الله عليه وسلم : وأنهار من خمر والنهر لا ختم فيه فكيف طريق الجمع بين الآيتين . أجيب بأن هذه الأواني غير خمر الأنهار (قوله ختامه مسك) صفة ثانية لرحيق وفى قراءة سبعة أيضا ختمه بناء مفتوحة بعد الألف بيان لجفس الخاتم وقرى* شذوذا بكسر التاء والمعنى خاتم رائحته مسك (قوله يفوح منه رائحة المسك) أى أن رائحة المسك تظهر فى آخر الشراب فوجه التخصيص أن فى العادة يمل آخر الشراب فى الدنيا فأفاد أن آخر الشراب يفوح منه رائحة المسك فلا يمل منه (قوله وفى ذلك) إشارة للرحيق وما بعده أو إلى ما ذكر من أحوال الأبرار (قوله للمتنافسون) أى الذين شأنهم المنافسة بكثرة الأعمال الصالحة والنيات الحاضرة لعلاؤهم بهم بطهارة نفوسهم . قال تعالى : لكل هذا فليعمل العاملون (قوله من تنعيم) اسم للعين سميت بذلك لما روى أنها تجرى فى الهواء سمة فتصب فى أواني أهل الجنة على مقدار الحاجة فإذا امتلأت أمسكت فالمر بون يشربونها صرفا وتمزج لسائر أهل الجنة (قوله أو ضمن الخ) أشار بذلك إلى أن التضمين إما فى الحرف أو فى الفعل (قوله إن الذين أجزموا الخ) لما ذكر الله تعالى كرامة الأبرار فى الآخرة ذكر بعد ذلك قبح معاملة الكفار معهم فى الدنيا نسبية للمؤمنين وتقوية لقلوبهم (قوله كآبى جهل ونحوه) أى وهو الوليد بن المغيرة والمعاوية بن وائل وأصحابهم من أهل مكة .

(قوله ونحوها) أى تخباب وصهيب وأصحابهم من فقراء المؤمنين (قوله رجعوا) أى من مجالسهم (قوله انقلبوا فأكهين) أى تلهذين برفعتهم ومكانتهم الموصلة إلى الاستسغار بغيرهم فى الحديث «إن الدين بدا غربا وسيعود غربا كما بدا يكون القابض على دينه كالة بض على الجمر» وفى رواية «يكون المؤمن فيهم أدل من الأمة» وفى أخرى «العالم فيهم أنتم من جيفة حمار» والله المستعان (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعة أيضا (قوله معجبين) راجع للقراءتين أى متلهذين بذكرهم المؤمنين وبالضحك (قوله وإذا رأوهم) الضمير المرفوع عائد على المجرمين والمنصوب عائد على المؤمنين أى إذا رأى المجرمون المؤمنين نسبوهم إلى الضلال (قوله لا يمانهم بمحمد الخ) أى فهم يرون أنهم على هدى والمؤمنون على ضلال حيث تركوا النعيم الحاضر بسبب شىء غائب لا يرونه (قوله وما أرسلوا عليهم حافظين) حال من الواو فى قالوا أى قالوا ذلك والحال أنهم ما أرسلوا من جهة الله موكلين بهم يحفظون عليهم أحوالهم وأعمالهم (قوله حتى يردوهم إلى مصالحهم) أى بل أصروا بالصالح أنفسهم لا بإصلاح المؤمنين (قوله فاليوم) منصوب بيضحكون الواقع خبرا عن المبتدأ ولا يضر تقدمه على المبتدأ لأن اللبس وذلك أن الظرف المبهم لا يصح وقوعه خبرا عن المبتدأ بخلاف (٢٨٦) فى الدار زيد قام فلا يجوز تقديم الجار والمجرور على المبتدأ لصلاحيته

للخبرية (قوله ينظرون) حال من ضمير يضحكون (قوله من منازلهم) قال كعب : لأهل الجنة كوى ينظرون منها إلى أهل النار، وقيل حصن شفاف يقيم يرون منه حالهم، وفى سبب هذا الضحك وجوه : منها أن الكفار كانوا فى تره ونعيم فيضحكون من المؤمنين بسبب أنهم فيه من البؤس والضرر فى الآخرة ينعكس لحل يكون المؤمنون فى النعيم والكفار فى الجحيم ، ومنها أنه يقال لأهل النار وهم فيها أخرجوا

ونحوها (يَضْحَكُونَ) استهزاء بهم (وَإِذَا مَرُّوا) أى المؤمنون (بِهِمْ يَتَفَامَزُونَ) أى يشير المجرمون إلى المؤمنين بالجفن والحاجب استهزاء (وَإِذَا انْقَلَبُوا) رجعوا (إِلَى أَهْلِهِمْ أَنْزَلُوا فَآكِهِينَ) وفى قراءة فكهين : معجبين بذكرهم المؤمنين (وَإِذَا رَأَوْهُمْ) رأوا المؤمنين (قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُونَ) لا يمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم، قال تعالى (وَمَا أَرْسَلُوا) أى الكفار (عَلَيْهِمْ) على المؤمنين (حَافِظِينَ) لهم أو لأعمالهم حتى يردوهم إلى مصالحهم (فَالْيَوْمَ) أى يوم القيامة (الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ عَلَى الْأَرَائِكِ) فى الجنة (يَنْظُرُونَ) من منازلهم إلى الكفار وهم يعذبون فيضحكون منهم كما ضحك الكفار منهم فى الدنيا (هَلْ تُرَبِّ) جوزى (الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) ؟ نعم .

(سورة الانشقاق)

مكية، ثلاث أو خمس وعشرون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ . وَأَذِنَتْ) سمعت وأطاعت فى الانشقاق (لِرَبِّهَا) ،

وتفتح لهم أبوابها فإذا رأوها وقد فتحت أبوابها أقبلوا إليها يريدون الخروج والمؤمنون ينظرون إليهم فإذا اتسها إلى أبوابها أغلقت دونهم يفعل ذلك بهم مرارا ، ومنها أنهم إذا دخلوا الجنة وأجلسوا على الأرائك ينظرون إلى الكفار كيف يعذبون فى النار ويرفعون أصواتهم بالويل والثبور ويلعن بعضهم بعضا فهذا سبب ضحكهم (قوله هل ثوب الكفار الخ) يحتمل أنه مقول قول محذوف والتقدير يقول الله لأهل الجنة أو يقول بعض المؤمنين لبعض هل ثوب الخ ويحتمل أنه متعلق ينظرون والمعنى ينظرون هل جوزى الكفار فحاجها نصب إما بالقول المحذوف أو ينظرون وقوله جوزى إشارة إلى أن التشويب بمعنى الجزاء وهو يكون فى الخير والشر والمراد هنا الثانى وقوله نعم جواب الاستفهام على كل .

[سورة الانشقاق] (قوله إذا السماء انشقت) أى انصدعت بفعام يخرج منها وهو البياض فى جوانب السماء لتنزل الملائكة قال تعالى : ويوم نشق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا (قوله وأذنت لربها) أى انقادت لأمره (قوله سمعت وأطاعت) أى مشبه حال السماء فى انقيادها بتأثير قدرة الله تعالى حيث أراد انشقاقها بانقياد المستمع المطيع لأمره وذلك أن السموات لما علقت

مراد الله وتعلق إرادته بأشئافها سمت وفوضت أمرها ولم تنارع في ذلك (قوله وحقت) بالبناء للمفعول والفاعل في الأصل محذوف وهو الله تعالى وكذا المفعول والأصل وحق الله عابها اسماعها لحذف الفاعل ثم المفعول وأستند الفعل إلى ضمير السموات . والمعنى وحق لها اسماعها لعلها بأن مراد الله نافذ فهي أهل لأن تسمع وتطيع قال تعالى : قالنا أينما طائعين (قوله وإذا الأرض مدت) أي بسطت ودكت جبالها (قوله كما يمد الأديم) أي وهو الجلد لأنه إذا مد زال كل انثناء فيسبه امتد واستوى (قوله ولم يبق عليها بناء ولا جبل) أي فزاد في سعتها لوقوف الخلائق عابها للحساب حتى لا يكون لأحد من البشر إلا موضع قدمه لكثرة الخلائق فيها وظاهر الآية أن الأرض تمتد مع بقائها وليس كذلك بل تبدل بأرض أخرى بدليل آية يوم تبدل الأرض غير الأرض (قوله من الموني) أي والكنوز والمعادن والزرع (قوله وتخلت) أي خلا جوفها فلم يبق لها بطنها شيء (قوله وأذنت لربها وحقت) ليس تكرارا لأن هذا في الأرض وما تقدم في السموات (قوله وأطاعت في ذلك) أي الالتقاء والتخلي (قوله دل عليه ما بعده) أي وهو قوله فملاقية (قوله تقديره لقي الإنسان الخ) قدره غيره علمت نفس وهو حسن لأنه تقدم في التكوير والانطوار . وخير ما فسرته بالوارد (قوله يأيها (٢٨٧) الإنسان الخ) يحتمل أن المراد به الجنس وبه قال سعيد

وقناعة ويحتمل أنه معين وهو الأسود بن عبد الأسد وقيل أنى بن خلف وقيل جميع الكفار (قوله إنك كادح) الكدح العمل والكسب والسعي (قوله إلى ربك) إلى حرف غاية والمعنى كدحك في الخبر أو الشريعة بلقاء ربك وهو الموت (قوله فملاقية) إمامه طوف على كادح أو خبر مبتدأ محذوف أي فأتى ملاقيه والجملة معطوفة على جملة إنك كادح (قوله أي ملاق عملك) أشار بذلك إلى أن الضمير في ملاقيه

وَحَقَّتْ) أَي حَقَّ لَهَا أَنْ تَسْمَعَ وَتَطِيعَ (وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ) زِيدَ فِي سَعَتِهَا كَمَا يَمْدُ الْأَدِيمُ وَلَمْ يَبْقَ عَلَيْهَا بِنَاءٌ وَلَا جَبَلٌ (وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا) مِنَ الْمُونِ إِلَى ظَاهِرِهَا (وَتَخَلَّتْ) عَنْهُ (وَأَذِنَتْ) سَمِعَتْ وَأَطَاعَتْ فِي ذَلِكَ (لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ) وَذَلِكَ كُلُّهُ يَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَجَوَابُ إِذَا وَمَا عَطَفَ عَلَيْهَا مُحذُوفٌ دَلَّ عَلَيْهِ مَا بَعْدَهُ تَقْدِيرُهُ لَقِيَ الْإِنْسَانَ عَمَلَهُ (يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ) إِنَّكَ كَادِحٌ) جَاهِدٌ فِي عَمَلِكَ (إِلَى) لِقَاءِ (رَبِّكَ) وَهُوَ الْمَوْتُ (كَذَحًا فَمَلَاqِيهِ) أَي مَلَاqِي عَمَلِكَ الْمَذْكُورِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ) كِتَابُ عَمَلِهِ (بِإِيمَانٍ) هُوَ الْمُؤْمِنُ (فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا) هُوَ عَرَضُ عَمَلِهِ كَمَا فُسِّرَ فِي حَدِيثِ الصَّحِيحِينَ وَفِيهِ «مَنْ نَوَقَشَ الْحَسَابَ هَلَكَ» وَبَعْدَ الْعَرَضِ يَتَجَاوَزُ عَنْهُ (وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ) فِي الْجَنَّةِ (مَسْرُورًا) بِذَلِكَ (وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ) هُوَ الْكَافِرُ تَغْلُ بِمَنَاهُ إِلَى عُنُقِهِ وَتَجْمَلُ بِسَرَاهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَيَأْخُذُ بِهَا كِتَابَهُ (فَسَوْفَ يَدْعُرَا) عِنْدَ رُؤْيَيْهِ مَا فِيهِ (ثُبُورًا) يَنَادِي هَلَاكُهُ بِقَوْلِهِ يَا ثُبُورَاهُ (رَبِّصْلِي سَمِيرًا) يَدْخُلُ النَّارَ الشَّدِيدَةَ فِي قِرَاءَةِ بَضْمِ الْيَاءِ وَفَتْحِ النَّصَادِ وَاللَّامِ الْمَشْدُودَةِ (إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ) عَشِيرَتُهُ فِي الدُّنْيَا (مَسْرُورًا) بِطَرَأَ بِاتِّبَاعِهِ لِهَوَاهُ (إِنَّهُ ظَنَّ أَنَّ) مَخْفَفَةً مِنَ الثَّقِيلَةِ وَاسْمُهَا مُحذُوفٌ : أَي أَنَّهُ (لَنْ يَحْجُورَ) :

عائد على الكدح الذي هو بمعنى العمل والكلام على حذف مضاف أي ملاق حسابه وجزاءه ويصح أن يكون عائداً على الله تعالى والمعنى ملاق ربه فلا مقر له منه (قوله هو المؤمن) أي ولو عاصياً مستحقاً للنار (قوله هو عرض عمله عليه) أي بأن تعرض أعماله ويعرف أن الطاعة منها هذه وأن المعصية هذه ثم شاب على الطاعة ويتجاوز عن المعصية فهذا هو الحساب اليسير لأنه لا شدة فيه على صاحبه ولا مناقشة ولا يقال لهم فعلت هذا ولا يطالب بالعتذار ولا بالحجة عليه (قوله كما فسر في حديث الصحيحين) أي وهو ما ورد عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من حوسب عذب قالت عائشة فقلت أو ليس يقول الله عز وجل فسوف يحاسب حساباً يسيراً؟ فقال إنما ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب هلك، وفي رواية : عذب» (قوله وينقلب) أي يرجع بنفسه (قوله إلى أهله) أي من آدميات والحوار العيين وأصوله وفروعه (قوله وراء ظهره) منصوب بنزع الخافض (قوله تغل بمناه الخ) قصد بذلك التوفيق بين هذه الآية وآية وأما من أوتي كتابه بشماله (قوله ينادى هلاكه) أي يحنأه إذ نداء ما لا يعقل هو تمنيه (قوله بطراً) أي غراً ورياء فأبدله الله بذلك حزناً وهماً لا يتقطع أبداً (قوله إنه ظن) أي تيقن وعلم (قوله مخففة من الثقيلة) أي ولا يصح أن تكون مصدرية لما يلزم عليه من دخول الناصب على مثله والجملة سادة مسند مفعولى ظن .

(قوله يرجع إلى ربه) أى فالخور الرجوع والتردد فى الأمر وبابه قال ودخل (قوله بلى) جواب التثنية وقوله : إن ربه الخ جواب قسم مقتر فهو بمنزلة التعليل للجملة الاستفادة من بلى (قوله فلا أقسم) الفاء واقعة فى جواب شرط مقتر أى إذا عرفت هذا فلا أقسم الخ (قوله بالشفق) أى وهو اختلاط ضوء النهار بسواد الليل عند غروب الشمس وهو الحمرة التى تكون عند ذلك ، متى شققا لرقته ومنه الشفقة على الانسان وهى رقة القلب عليه (قوله وما وسق) ماموصول اسمى أونكرة موصوفة أو مصدرية (قوله جمع ما دخل عايه) أى ضم ما كان منتشرا بالنهار من الخاق والدواب والهوام (قوله وغيرها) أى كالأشجار والبحار فانه إذا دخل الليل اضم وسكن (قوله وذلك فى الليالى انبىض) أى وهى ليلة الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من الشهر (قوله لتركن) جواب القسم بضم الباء خطاب للجمع و بفتحها خطاب للواحد قراءتان سبعيتان (قوله طبقا) مفعول به أحوال (قوله بعد حال) أشار بذلك إلى أن عن بمعنى بعد (٢٨٨) صفة لطبق (قوله وهو الموت ثم الحياة الخ) هذا قول ابن عباس وقال

عكرمة رضيع ثم فطيم
ثم غلام ثم شاب ثم
شيخ ، وقيل المعنى لتركن
سنن من قبلكم وأحوالهم
(قوله فمالهم) الفاء
لترتيب ما بعدها من
الانكار والتعجب على
ما قبلها من أحوال يوم
القيامة وأحواله الموجبة
للإيمان لظهور الحجة
لأن ما أقسم به من
التغيرات العالوية والسفالية
يدل على خالق عظيم
الندرة يبعد عن له عقل
عدم الإيمان به والانقياد
له (قوله وإذا قرئ عليهم
القرآن) أى من أى
قارى وهذا شرط وجوابه
لا يسجدون وهذه الجملة
الشرطية فى محل نصب

يرجع إلى ربه (بلى) يرجع إليه (إن ربه كان به بصيرا) عالما برجوعه إليه (فلا أقسم)
لا زائدة (بالشفق) هو الحمرة فى الأفق بعد غروب الشمس (والليل وما وسق) جمع ما
دخل عليه من الدواب وغيرها (والقمر إذا أنسق) اجتمع وتم نوره وذلك فى الليالى البيض
(لتركن) أيها الناس أصله تركبون حذف نون الرفع لتوالى الأمثال والواو للتقاء
الساكنين (طبقا عن طبق) حالا بعد حال وهو الموت ثم الحياة وما بعدها من أحوال القيامة
(فما لهم) أى الكفار (لا يؤمنون) أى أى مانع لهم من الإيمان أو أى حجة لهم
فى تركه مع وجود براهينه (و) ما لهم (إذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون) يخضعون بأن
يؤمنوا به لإعجازه (بل الذين كفروا يكذبون) بالبعث وغيره (والله أعلم بما يؤعون)
يجمعون فى صحتهم من الكفر والتكذيب وأعمال السوء (فبشرهم) أخبرهم (بغذاب أليم)
والم (إلا) لكن (الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون) غير مقطوع ولا
منقوص ولا يمن به عليهم .

(سورة البروج)

مكية ، ثنتان وعشرون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم . والسماء ذات البروج) الكواكب ، اثنا عشر برجا تقدمت
فى الفرقان ،

على الحال معطوفة على الحال السابقة وهى قوله لا يؤمنون (قوله يخضعون) أى فالمراد بالسجود (واليوم)
الغوى لا العرفى وهذا أحد قولين والآخر أن المراد به السجود الحقيقى الذى هو سجود التلاوة وقد اختلفت الأئمة فى ذلك (قوله
فى صحتهم) الأوضح أن يقول فى صحتهم لأن الوعى معناه لغة الحفظ (قوله لكن الذين آمنوا الخ) أشار بذلك إلى أن
الاستثناء منقطع لأن ما قبله إلا فى الكفار لا غير (قوله لهم أجر غير ممنون) استثناء مقرر لما أفاده الاستثناء .
[سورة البروج] حكمة نزول هذه السورة تثبت المؤمنين على إيمانهم وصبرهم على أذى الكفار بتذكيرهم بما جرى لمن
تقدمهم (قوله ذات البروج) أى صاحبة الطرق والمنازل التى تسير فيها الكواكب السبعة ، سميت بروجها لظهورها لأن البرج
فى الأصل الأمر الظاهر من التبرج ثم صار حقيقة حرفية لتصدر العالى لظهوره (قوله تقدمت فى الفرقان) نصه هناك : تبارك الذى
جعل فى السماء بروجاً اثني عشر : الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو
والحوت ، وهى منازل الكواكب السبعة السيارة : المريخ وله الحمل والعقرب ، والزهرة ولها الثور والميزان ، وعطارد وله الجوزاء

السنبلة ، والقمر وله السرطان ، والشمس ولها الأسد ، والمشمري وله القوس والحوت ، وزحل وله الجدى والمذنب اه (قوله واليوم
وعود) أى الموعد به فيه الحذف والإيصال (قوله يوم الجمعة) خص مع أن باقى الزمان يشهد كذلك لاختصاصه بزيادة
هى كونه فيه ساعة إجابة واجتماع الناس (قوله كذا فسرت الثلاثة فى الحديث) أى وهو ما روى به اليوم الموعد يوم القيامة
اليوم الشهود يوم عرفة والشاهد يوم الجمعة ، أخرجه الترمذى ، واختلف فى تفسير الشاهد والشهود حتى أقوال كثيرة : منها
أذكره فى الحديث ، ومنها الشاهد يوم التروية والشهود يوم عرفة ، ومنها الشاهد هو الله والشهود يوم القيامة ، ومنها الشاهد
الأنبياء والشهود عليهم هم الأمم ، ومنها الشاهد أعضاء الانسان والشهود عليه هوابن آدم ، ومنها غير ذلك . والأحسن أن
راد ما هو أعم ولذلك نكرها ليعلم كل شاهد ومشهود (قوله محذوف صدره) أى لأن المشهور عن النجاة أن الماضى الثابت
تصرف الذى لم يتقدم معموله إذا وقع جوابا للقسم تلزمه اللام وقد لا يجوز الاقتصار على أحدهما إلا بعد طول الكلام أوفى
سرورة (قوله تقديره لقد قتل الخ) أى وعليه فالجملة خبرية والأصل فيها الدعاء (قوله الشق فى الأرض) أى فالأخدود مفرد
جمعه أخاديد (قوله بدل اشتغال منه) أى لأن الأخدود مشتمل على النار (قوله ماتوقد به) أى فالوقود بالفتح الاسم وأما
بالضم فهو المصدر (قوله إذ هم عليها قعود) ظرف لقتل ، والمعنى حين حرقوا بالنار قاعدين عليها فى مكان مشرف عليها من
سافات الأخدود (قوله شهود) أى يشهد بعضهم لبعض عند الملك بأن أحدا لم يقصر فيما أمر به فهو من الشهادة بمعنى تأدية
الحج ، أو المراد شهود يشهدون بما فعلوا بالمؤمنين فهو من الشهادة بمعنى (٢٨٩) الحضور وعليه اقتصر المفسر

(قوله روى أن الله أنجى
المؤمنين الخ) أى وكانوا
سبعة وسبعين وهؤلاء
لم يرجعوا عن دينهم
والذين رجعوا عشرة
أواحد عشر وقوله إلى
من ثم : أى إلى من هم
قعود على الأخدود وهم
رد نص بعضهم وأعلم
أنه اختلف المفسرون فى
أصحاب الأخدود ، فروى

(وَالْيَوْمَ الْمَوْعُودِ) يوم القيامة (وَشَاهِدٍ) يوم الجمعة (وَشَهِودٍ) يوم عرفة كذا فسرت
الثلاثة فى الحديث فالأول موعد به والثانى شاهد بالعمل فيه والثالث تشهد الناس والملائكة
وجواب القسم محذوف صدره تقديره لقد (قُتِلَ) لمن (أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ) الشق فى
الأرض (النَّارِ) بدل اشتغال منه (ذَاتِ الْوُقُودِ) ماتوقد به (إِذْهُمْ عَلَيْهِمْ) أى حولها
على جانب الأخدود على الكراسى (قُعُودٌ) وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعُلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ) بالله من
تعذيبهم بالإلقاء فى النار إن لم يرجعوا عن إيمانهم (شُهُودٌ) حضور ، روى أن الله أنجى
المؤمنين الملقين فى النار بقبض أرواحهم قبل وقوعهم فيها وخرجت النار إلى من ثم
فأحرقتهم ،

عن صهيب « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فاما كبر قال للملك إنى قد كبرت
فابث إلى غلاما أعلمه السحر فبعث إليه غلاما يعلمه وكان فى طريقه إذا سلك إليه راهب فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه فكان
إذا أتى الساحر من الراهب وقعد إليه فإذا أتى الساحر ضربه وإذا رجع من الساحر قعد إلى الراهب وسمع كلامه فإذا أتى
أهله ضربوه فشكا ذلك إلى الراهب فقال إذا خشيت الساحر فقل حبسنى أهلى وإذا خشيت أهلك فقل حبسنى الساحر ، فبينما
هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال اليوم أعلم الراهب أفضل أم الساحر ، فأخذ حجرا ثم قال : اللهم
إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه حتى يمضى الناس فرماها فقتلها فمضى الناس فأتى الراهب فأخبره
فقال له الراهب أى بنى أنت اليوم أفضل منى قد بلغ من أمرى ما أرى وإنك ستبتلى فان ابتليت فلا تدل على فكان الغلام
يرى الأكمة والأبرص ويدأوى الناس بسائر الأدواء ، فسمع به جليس الملك وكان قد عمى فأتاه بهدايا كثيرة فقال ما ههنا
لك أجمع إن أنت شفيتنى قال نى لأشقى أحدا إنما يشقى الله عز وجل فان آمنت بالله دعوت الله عز وجل فشفاك فان آمن بالله
فشفاه الله عز وجل ، فأتى الملك نجاس إليه كما كان يجلس فقال له الملك من ردت عليك بصرك قال ربى قال ولك رب خيرى
قال الله ربى وربك ، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دله على الغلام ، فجاء بالغلام فقال له الملك أى بنى قد بلغ من سحرك ما تبرىء
الأكمة والأبرص وتفضل كذا وكذا فقال لى لأشقى أحدا إنما يشقى الله عز وجل ، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دله على الراهب
فجاء بالراهب فقبل له ارجع عن دينك فأبى فدعا بالمشارف فوضع المنشر فى مفرق رأسه [٣٧ - صاوى - رابع]

فُشِقَ به حق وقع شقاه ، ثم جرى بحابس الملك فقيل له ارجع عن دينك فأبى ، فدعا بالمنشار فوضع المنشار في مفرق رأسه فشق به حق وقع شقاه ، ثم جرى بالغلाम فقيل له ارجع عن دينك فأبى ، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال لهم اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فاذا بلغت ذروته فان رجع عن دينه وإلا فاطرحوه ، فذهبوا به فصعدوا به الجبل ، فقال اللهم اكفنيهم بما شئت ، فرجف بهم الجبل فسقطوا ، وجاء يمشي إلى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك ؟ قال كفانيهم الله ، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال اذهبوا به فاحملوه في قرقور فتوسطوا به البحر فان رجع عن دينه وإلا فاقذفوه ، فذهبوا به فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة ففرقوا وجاء يمشي إلى الملك ، فقال له الملك ما فعل أصحابك ؟ قال كفانيهم الله تعالى ، فقال للملك إنك لست بقاتلي حق تفعل ما أمرك به ، قال وما هو قال تجمع الناس في صعيد واحد ونصلي على جذع ثم تأخذ سهما من كنانتي ثم ضع السهم في كبد القوس ثم قل : بسم الله رب الغلام ثم ارمي فانك إذا فعلت ذلك قتلتني ، فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع ثم أخذ سهما من كنانته ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال بسم الله رب الغلام ثم رماه فوق السهم في صدغه فوضع يده على صدغه موضع السهم فمات فقال الناس آمنا برب الغلام ثلاثا ، فأبى الملك فقيل له أرأيت ما كنت تحذر فقد والله نزل بك حذر قد آمن الناس ، فأمر بالأخدود فحُفَّتْ بأفواه السكك وأضرم النيران وقال من لم يرجع عن دينه فأحمره ، فعملوا حتى جاءت امرأة معها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها ، فقال لها الغلام يا أماء اصبري فانك على الحق . وروى عن مقاتل : كانت الأخاديد ثلاثة واحدة بنجران باليمن وأخرى بالشام وأخرى بفارس حرق أصحابها بالنار ، أما (٢٩٠) التي بالشام والتي بفارس فلم ينزل الله فيهما قرآنا وأنزل في التي كانت

(وَلَا تَقْمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ) فِي مَلِكِهِ (الْمَعِيدِ) الْحَمْدُ (الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) أَي مَا أَنْكَرَ الْكُفَّارَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا إِيْمَانَهُمْ (إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) بِالْإِحْرَاقِ (نُفْمٌ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ) بِكُفْرِهِمْ (وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ) أَي عَذَابُ إِحْرَاقِهِمُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْآخِرَةِ ، وَقِيلَ فِي الدُّنْيَا بَأْنَ خَرَجْتَ النَّارَ فَأَحْرَقْتَهُمْ كَمَا تَقَدَّمَ (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ،

بنجران ، وذلك أن رجلا مسلما ممن يقرأ الانجيل آجر نفسه في عمل وجعل يقرأ الانجيل فرأت بنت المشاجر النور يعني من قراءة الانجيل فذكرت لأبيها فسأله فلم يخبره فلم يزل به حتى أخبره بالدين

ذلك

والاسلام فتابعه على دينه هو وسبعة وثمانون إنسانا ما بين رجل وامرأة وهذا بعد ما رفع عيسى عليه السلام إلى السماء وقبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بسبعين سنة فسمع ذلك رجل اسمه يوسف ابن دى نواس نخذ لهم في الأرض وأوقد لهم فيها فرفضهم على الكفر فمن أبى أن يكفر قذفه في النار ومن رجع عن دين عيسى لم يقذفه . وروى أن امرأة جاءت ومعه ولد صغير لا يتكلم فلما قامت على شفير الخندق نظرت إلى ابنها فرجعت عن النار فضربت حتى تقدمت فلم تنزل كذلك ثلاث مرات فلما كانت في الثالثة ذهبت ترجع فقال لها ابنها يا أماء إني أرى أمامك نارا لا تطفأ يعني نار جهنم إن لم تنمي في هذه النار ، فلما سمعت ذلك قذفا جميعا أنفسهما في النار فجعلهما الله في الجنة فقذف نارا لا تطفأ في يوم واحد سبعة وسبعين إنسانا ، وروى غير ذلك (قوله وما تقموا منهم إلخ) أي ما عابوا منهم إلا إيمانهم وإنما عابوا بالمستقبل مع أن الإيمان وقع منهم في الماضي لأن تعذيبهم والانكار ليس للإيمان الذي وجد منهم في الماضي بل لدوامهم عليه في المستقبل إذ لو كفروا في المستقبل لما عذبوا على ماضى فسكانه قال إلا أن يستعروا على إيمانهم (قوله الذي له ملك السموات والأرض) بيان لأكوان العزيز الحميد (قوله والله على كل شيء شهيد) فيه وعد ووعد (قوله إن الذين فتنوا المؤمنين إلخ) أي حرقهم بالنار يقال فتن فلانا إذا حرقته (قوله ثم لم يتوبوا) أي لم يرجعوا عما هم عليه من الكفر وفيه دليل على أنهم إن تابوا وآمنوا قبلهم وأخرجهم من هذا الوعد والتعذيب ثم إشارة إلى أن التوبة مقبولة ولو طال الزمان ما لم تحصل العرورة (قوله فلهم عذاب جهنم) هو خبر إن الذين فتنوا ودخات الفاء لما تضمنته المبتدأ من الشرط (قوله عذاب الحريق) من إضافة السبب للسبب أي عذاب سببه إحراق المؤمنين (قوله إن الذين آمنوا) لما ذكر وعيد الكفار أتبعه بذكر ما أعد للمؤمنين (قوله تجرى من تحتها) أي من تحت قصورها وأضرعها يلهذون يبردها في نظير الحر الذي صبروا وأعياه في الدنيا ويؤزل عنهم برؤية ذلك مع خضرة الجنان جميع المضار والأضرار

(قوله ذلك الفوز الكبير) اسم الإشارة عائذ على ما ذكر من حيازتهم للجنات وعبر بالإشارة المفيدة للبعد لعلو درجاتهم في الفضل والشرف (قوله إن بطش ربك لشديد) البطش الأخذ بعنف فاذا وصف بالشدة كان متضاعفا جدا وهو انتقامه وتعذيبه للكفرة (قوله بحسب إرادته) رد بذلك على الفلاسفة القائلين بأنه واجب بالذات كيف ، وقد قال تعالى فعال لما يريد (قوله إنه هو يبدى ويهيئ) أى ومن كان قادرا على ذلك كان بطشه في غاية الشدة (قوله وهو الغفور) أى الماسح لذنوب المؤمنين وإن لم يتوبوا لأن الآية مذكورة في معرض التمدح والتخديح بكونه غفورا مطلقا أنهم فالحمل عليه أولى (قوله المتوود) إلى أوليائه بالكرامة أشار بذلك إلى أن فعولا بمعنى فاعل ويصح أن يكون بمعنى مفعول أى يوده عباده ويحبونه (قوله المجيد بالرفع) أى وبالجر قراءتان سبعتان فالرفع على أنه نعت للغفور والجر على أنه نعت للعرش ومجده علوه وعظمه (قوله فعال لما يريد) أى بصيغة فعال إشارة للكثرة وختم به الصفات لكونه كالنتيجة لها والمعنى يفعل ما يريد ولا يعترض عليه ولا يغلبه غاب قيد دخل أوليائه الجنة لا يمنع مانع ويدخل أعداءه النار لا ينصرهم منه (٢٩١) ناصر ، وفي هذه الآية دلائل على أن

جميع أفعال العباد مخلوقة لله تعالى ولا يجب عليه شيء لأن أفعاله بحسب إرادته (قوله هل أناك الخ) يصح أن تكون هل بمعنى قد إن كان سبق له إتيان أو اطاب الاخبار إن لم يكن أثناء كما تقدم (قوله يدل من الجنود) أى على حذف مضاف أى جنود فرعون وهو يدل كل من كل أو المراد بفرعون هو وقومه واكتفى بذكره عنهم لأنهم أتباعه وعليه اقتصر المفسر وخص فرعون وعمود بالذكر لشهرتهما عند العرب (قوله وحديثهم الخ) أى فهو ما صدر

ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ . إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ بِالْكَفَّارِ (لَشَدِيدٌ) بِحَسَبِ إِرَادَتِهِ (إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُهِئُ الْخَلْقَ) (وَيُعِيدُ) فَلَا يَعْجِزُهُ مَا يَرِيدُ (وَهُوَ الْغَفُورُ) لِلْمُذْنِبِينَ الْمُؤْمِنِينَ (الْوُدُودُ) الْمُتَوَدِّدِينَ إِلَى أَوْلِيَائِهِ بِالْكَرَامَةِ (ذُو الْعَرْشِ) خَالِقُهُ وَمَالِكُهُ (الْمَجِيدُ) بِالرَّفْعِ الْمُسْتَحَقُّ لِكَمَالِ صِفَاتِ الْعُلُوِّ (فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ) لَا يَعْجِزُهُ شَيْءٌ (هَلْ أَتَيْكَ) يَا مُحَمَّدُ (حَدِيثُ الْجُنُودِ) فِرْعَوْنُ وَثَوْدٌ (بَدَلٌ مِنَ الْجُنُودِ) وَاسْتَفْنَى بِذِكْرِ فِرْعَوْنَ عَنْ أَتْبَاعِهِ ، وَحَدِيثُهُمْ أَنَّهُمْ أَهْلَكُوا بِكُفْرِهِمْ وَهَذَا تَنْبِيهُ لِمَنْ كَفَرَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْقُرْآنَ لِيَتَعَزَّوْا (بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ) بِمَا ذَكَرَ (وَاللَّهُ مِنْ وَرَأْسِهِمْ مُحِيطٌ) لَا عَاصِمَ لَهُمْ مِنْهُ (بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ) عَظِيمٌ (فِي لَوْحٍ) هُوَ فِي الْهَوَاءِ فَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ (مُخَوَّظٌ) بِالْجَرِّ مِنَ الشَّيَاطِينِ وَمَنْ تَغْيِيرُ شَيْءٍ مِنْهُ ، طَوْلُهُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَعَرْضُهُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، وَهُوَ مِنْ دُرَّةٍ بَيْضَاءَ قَالَه ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

(سورة الطارق)

مكية ، سبع عشرة آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . وَالسَّمَاءِ الطَّارِقِ) ،

عنهم من التماذى في الكفر والصلال وما حل بهم من العذاب (قوله بل الذين كفروا) أى من قومك وهو إضراب انتقالي للأشد كانه قيل ليس حال هؤلاء بأعجب من حال قومك فانهم مع علمهم بما حل بهم لم ينزعجوا (قوله في تكذيب بما ذكر) أى النبي والقرآن (قوله والله من ورأسهم محيط) أى هم في قبضة قدرته وتصريفه كالشيء المحاط به الذى لا يجد مخلصا ولا مفرأ فيجازيهم بأعمالهم (قوله بل هو قرآن مجيد) إضراب عن شدة تكذيبهم وعدم كفهم عنه إلى وصف القرآن بما ذكر إشارة إلى أنه لا ريب ولا شك فيه ولا يصل إليه تكذيب هؤلاء (قوله فوق السماء السابعة) أى معلق بالعرش (قوله بالجر) أى والرفع فهما سبعتان فالجر على أنه نعت للوح والرفع على أنه نعت للقرآن (قوله ما بين السماء والارض) أى وهو عن يمين العرش مكتوب في صدره لا إله إلا الله وحده دينة الاسلام ومحمد عبده ورسوله فمن آمن بالله وصدق بوعدده واتبع رسله أدخله جنته (قوله وهو من درة بيضاء) أى وحافته الدر والياقوت ودفتاه ياقوتة حمراء وقلمه النور وكتابته نور معتود بالعرش ، وأصله في حجر هلك . [سورة الطارق] (قوله والسماء والطارق الخ) قد كثر منه تعالى في كتابه المجيد ذكر السماء والشمس والقمر والنجوم لأن

أحوالها في أشكالها وسيرها ومطالعها ومغارها عجيبه دالة على انفراد صانعها بالكمالات لأن الصنعة تدل على الصانع قال بعضهم :
تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار

(قوله أصله كل آت ليلا) أي ثم توسع فيه فسمى به كل مظهر بالليل كأنما ما كان ثم توسع به فسمى به كل مظهر مطلقا ليلا أو نهارا ومنه حديث «أعوذ بك من شر طارق الليل والنهار إلا طارقا يطرق بخير يارحم» والطارق مأخوذ من الطرق وهو الدق سمي به الآتي ليلا لاحتياجه إلى طرق الباب غالبا ومنه المطرقة بالكسر وهي ما يطرق به الحديد (قوله وما أدراك) الاستفهام للإنكار وقوله ما الطارق الاستفهام للتعظيم والتفخيم (قوله النجم) خبر المحذوف قدره المفسر بقوله هو . واعلم أنه تعالى أقسم أولا بما يشترك فيه النجم وغيره وهو الطارق ثم أتى بالاستفهام عنه تفخيا وتعظيما ثم فسره بالنجم إزالة لذلك الإبهام الحاصل بالاستفهام (قوله الثريا أو كل نجم) هذان قولان من ثلاثة نالها أن المراد به زحل ومحل في السماء السابعة لا يسكنها غيره من النجوم فاذا أخذت النجوم أمكنتها من السماء هبط فكان معها ، ثم يرجع إلى مكانه من السماء السابعة فهو طارق حين ينزل وحين يصعد (قوله وجواب القسم الخ) أي وما بينهما اعتراض جيء به تفخيا للقسم به (قوله فهي مزيدة) أي وكل مبتدأ وعليها خبر مقدم وحافظ مبتدأ مؤخر والجملة خبر كل (قوله واسمها محذوف) فيه نظر بل هي مهملة لا عمل لها لأن لام الفرق يؤتى به عند (٢٩٢) الإهمال لا عند الأعمال كما قال ابن مالك :

وحففت إن فقل العمل وتلزم اللام إذا ما تهمل (قوله واللام فارقة) أي بين المحففة والنافية (قوله وبتشديدها) أي وهما قراءتان سبعيتان (قوله والحافظ من الملائكة الخ) يحتمل أن يراد الحظ من العاهات والآفات وهم عشرة بالليل وعشرة بالنهار لكل آدمي فإن كان مؤمنا وكل الله به مائة وستين ملكا

أصله كل آت ليلا ، ومنه النجوم لطلوعها ليلا (وَمَا أُدْرِيكَ) أعلمك (مَا الطَّارِقُ) مبتدأ وخبر في محل المفعول الثاني لأدري ، وما بعد ما الأولى خبرها ، وفيه تعظيم لشأن الطارق المفسر بما بعده هو (النَّجْمُ) أي الثريا ، أو كل نجم (الثَّاقِبُ) المضيء لتقبه الظلام بضوئه وجواب القسم (إِنْ كُنْ تَسِي كَلِمَا عَلَيْهِمَا حَافِظٌ) بتخفيف ما فهي مزيدة وإن محففة من الثقيلة واسمها محذوف أي إنه واللام فارقة وبتشديدها فإن نافية ولما بمعنى إلا ، والحافظ من الملائكة يحفظ عملها من خير وشر (فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ) نظر اعتبار (مِمَّ خُلِقَ) من أي شيء ؟ جوابه (خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ) ذي اندفاق من الرجل والمرأة في رحمها (يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ) للرجل (وَالْتَرَائِبِ) للمرأة وهي عظام الصدر (إِنَّهُ) تعالى (عَلَى رَجْعِهِ) بعث الإنسان بعد موته (إِنَّا نَقْدِرُ) إذا اعتبر أصله علم أن القادر على ذلك قادر على بعثه ،

يذبون عنه كما يذب عن قسعة العسل الباب ولو وكل العبد إلى فسه طرفة عين لا اختطفته الشياطين ، أو حفظ الأعمال وهما رقيب وعتيد وعليه درج المفسر ، وقيل المراد بالحافظ الله تعالى فتحصل أن الحافظ قيل الكتاب أو مطلق الملائكة لحفظه أو الله تعالى والأحسن أن يراد ما هو أعم (قوله فليتنظر الإنسان الخ) لما ذكر تعالى أن كل نفس عليها حافظ أتبع ذلك بوصية الإنسان بالنظر في أول نشأته والأمس للإيجاب (قوله مِمَّ خُلِقَ) الجار والمجرور متعلق بخلق والجملة في محل نصب بقوله فليتنظر المعلق عنها بالاستفهام (قوله ذي اندفاق) أي انصاب وأشار بذلك إلى أن دافق صيغة نسب كلابن وناصر فالعني خلق من ماء متدفق أو مدفوق (قوله في رحمها) متعلق بدافق (قوله من بين الصلب) أي وهو عظام الظهر وبين زائدة لأن بين إنما تضاف لمتعدد وهنا ليس كذلك إلا أن يقال المراد من بين أجزاء الصلب (قوله والترائب للراثة) وقال الحسن المعنى يخرج من صلب الرجل وترائب الرجل وصلب المرأة وترائب المرأة (قوله وهي عظام الصدر) أي وهي محل القلادة وهذا أحد أقوال ، وقيل الترائب ما بين ثدييها ، وقيل الترائب أربعة أضلاع من يمنة الصدر وأربعة من يسرة الصدر ، وقال القرطبي إن ماء الرجل ينزل من الدماغ ثم يتجمع في الأنثيين ولا يعارضه قوله تعالى : يخرج من الصلب والترائب لأنه ينزل من الدماغ إلى الصلب ثم يتجمع في الأنثيين (قوله إنه على رجعه لقادر) نتيجة النظر المذكور في الأمر بالنظر إنما هو لأجل التفكير في الميعاد والبعث (قوله بعث الإنسان الخ) هذا هو الصحيح اللائق بمعنى الآية بدليل ما بعده

وفي الآية تفاسير أخر منها أن الضمير يعود على الإنسان والذي إنه على رجوع الإنسان لحالة النطفية لقادر بأن يردده من الشبوخة
للمشوبة ومنها لصبار منه إلى كونه حملا إلى مضغة إلى علقة إلى نطفة ومنها أن الضمير عائد على الماء الدافق والذي إنه على رجوع
للماء للصلب والترائب بعد انفصاله للرحم وصبرورته ولذا لقادر (قوله يوم تبلى السرائر) ظرف لرجعه لا لقادر لأنه تعالى قادر
في جميع الأوقات لا يختص بمره بوقت دون وقت (قوله ضمائر القلوب) أى ما أخفى فيها وقيل السرائر غرائض الأعمال كالصلاة
والصوم والوضوء والغسل من الجنابة فانها سرائر بين الله وبين العبد ولو شاء العبد لقال صمت ولم يصم وصليت ولم يصل
واغتسلت من الجنابة ولم يغتسل فيختبر حتى يظهر من أذاها عن ضيعها فيبيض وجهه لاؤدى ويسود وجهه المضيع (قوله فما
له من قوة) أى في نفسه وقوله ولا ناصر أى من غيره (قوله المطر) هذا أحد أقوال ، وقيل الرجوع الأحوال التى تجبى وتذهب
كلاليل والنهار والأمطار والفصول من الشتاء وما فيه من برد ونحوه والصيف وما فيه من حر ونحوه ، وقيل المراد ذات النفع
وقيل ذات الملائكة لرجوعهم فيها بأعمال العباد (قوله الشق عن النبات) وقيل ذات الحرث لأنه يصدعها وقيل ذات الطريق
التي يصدعها المشاة ، وقيل غير ذلك . واعلم أنه تعالى كما جعل كيفية (٢٩٣) خالق الحيوان دليلا على معرفة المبدأ

والمعاد ذكر في هذا
القسم كيفية خلقه النبات
فقوله والسماء ذات الرجوع
أى هى كالأب والأرض
ذات الصدع هى كالأم
تولد من بينهما النعم
العظيمة التى ينتفع بها
مادامت الدنيا (قوله إنه
لقول فصل) جواب القسم
الذى هو والسماء الخ
والمراد بالفصل الحكم
الذى ينفصل به الحق من
الباطل (قوله وما هو
بالهزل) أى بل هو جد
كله فالواجب أن يكون
مهابا في الصدور معظما

(يَوْمَ تَبْلَى) تختبر وتكشف (السَّرَائِرُ) ضمائر القلوب فى العقائد والنيات (فَمَالَهُ)
لمنكر البعث (مِنْ قُوَّةٍ) يمتنع بها من العذاب (وَلَا نَاصِرٍ) يدفعه عنه (وَالسَّمَاءَ ذَاتِ
الرَّجْعِ) المطر لموده كل حين (وَالْأَرْضَ ذَاتِ الصَّدْعِ) الشق عن النبات (إِنَّهُ) أى
القرآن (لَقَوْلٍ فَضْلٍ) يفصل بين الحق والباطل (وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ) باللعب والباطل (إِنَّهُمْ)
أى الكفار (يَكِيدُونَ كَيْدًا) يعملون المكيدة للنبي صلى الله عليه وسلم (وَأَكِيدُ كَيْدًا)
أستدرجهم من حيث لا يعلمون (فَهَلْ) يا محمد (الْكَافِرِينَ أَهْمِلُكُمْ) تأكيد حسنه مخالفة
اللفظ أى أنظروهم (رَوَيْدًا) قليلا وهو مصدر مؤكد لمعنى العامل مصدر رودا أو إروادا على
الترخيم وقد أخذهم الله تعالى ببدر ونسخ الإمهال بآية السيف : أى بالأمر بالقتال والجهاد .

(سورة الأعلى)

مكية ، تسع عشرة آية

فى القلوب كيف وهو خطاب رب العالمين لعباده فالاصغاء إليه والاستماع له والانتباه بأوامره والانتباه بنواهيه فرض (قوله
إنهم يكيدون كيدا) اختاف فيها فقبل هى إلقاء الشبهات كقولهم : إن هى إلا حياتنا الدنيا ، من يحى العظام وهى رميم ونحو ذلك ، وقيل قصد
قتله صلى الله عليه وسلم والأحسن أن يراد ما هو أعم (قوله وأكيد كيدا) أى أجازيهم على كيدهم وصحى الجزاء كيدا مشاكلة
وقيل المعنى أعاماهم معاملة ذى الكيد بأن أمدهم ظاهرا بالنعم استدراجا لهم وعليه اقتصر المفسر (قوله فهل الكافرين) أى
لا تستعجلهم بالانتقام منهم ولا بالدعاء عليهم (قوله مخالفة اللفظ) أى من حيث إن الأول مسند للظاهر مع التضعيف والثانى مسند
لضمير مع الهمز (قوله على الترخيم) راجع لقوله أو إروادا أى تصغير ترخيم وهو حذف الزوائد . واعلم أن رويدها يستعمل مصدرا بدلا من
اللفظ بفعله فيضاف تارة كقوله فضرب الرقاب ولا يضاف أخرى نحو رويدها ويقع حالا نحو ساروا رويدها أى متمهين ونعتا لمصدر
معدوف نحو ساروا رويدها (قوله ونسخ الإمهال بآية السيف) أى على أن المعنى أترك الكافرين ولا تتعرض لهم وأصر على أذاهم
[سورة الأعلى مكية] أى فى قول الجمهور وقال الضحاك مدنية وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحبها لكثرة ما اشتملت عليه من
العلوم والخبرات وفى الحديث «سئلت عائشة بأى شئ كان يوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : كان يقرأ فى لأولى بسبح اسم ربك
الأعلى وفى الثانية بقل يا أيها الكافرون ، وفى الثالثة بقل هو الله أحد والمعوذتين» ومن جملة فوائد هذا أن الاكثار من تلاوتها يورث الحفظ

(قوله سبح اسم ربك) الأمر وإن كان لا يـ إلا أن أراد منه العموم لأن الأصل عدم الخصوصية إلا لدليل (قوله أي نزه ربك) أي اعتقد أنه منزّه عن كل ما لا يليق به في ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله وأحكامه فتزويه الذات اعتقاد أنها ليست كالدوات فلا توصف بالجوهرية ولا بالعرضية ولا بالكبر ولا بالصغر ولا بغير ذلك من أوصاف الحدوث ، وتزويه الصفات اعتقاد أنها ليست حادثة ولا متناهية ولا ناقصة ، وتزويه الأفعال اعتقاد أنه تعالى ليست أفعاله كأفعال المخلوقين ، وتزويه الأسماء عدم ذكره بالأسماء التي توهم نقصا بوجه من الوجوه ، وتزويه الأحكام عدم الأغراض فيها فتكليفنا لأنفسنا لا نفع يعود عليه (قوله ولفظ اسم زائد) ليس بمنعين بل كما نزه الذات ينزه الاسم أيضا عن أن يسعى به غيره ومن جملة تزويه الاسم أن لا يذكر في مواضع الأقدار بأن يذكر على وجه التعظيم والتنخيم في المواضع الطاهرة الفاخرة ومن جملة تزويه الاسم استحضارك عظيمة السمي عند ذكره (قوله الأعلى) من العلو وهو الارتفاع بمعنى القهر والغلبة والسلطنة فهو علو مكانة لا كان (قوله صفة لربك) أي فهو مجرور بكسرة مقدرة على الألف وهذه الصفة جارية مجرى التعليل كأنه قال : سبح اسم ربك لكونه مرتفع المكانة منزها عن النقائص أزلا وأبدا ولا يصح أن يكون صفة لاسم منصوب بالفتحة المقدرة مع جعل الذي خالق الخ صفة لربك لما يلزم عليه من الفصل بين الصفة والموصوف بصفة غيره نظير قولك جاءني غلام هند العاقل الحسنة وهو ممنوع فإن جعل الموصول نعتا مقطوعا جاز (قوله الذي خالق فسوى) جواب عن سؤال مقدر كأنه قيل الاشتغال بالتسبيح إنما يكون بعد معرفة المولى فما الدليل على وجوده فأجاب بما ذكر ومفعول خلق محذوف أي كل شيء (٢٩٤) (قوله متناسب الأجزاء الخ) أي فجعله معتدل القامة تام المذافع (قوله والذي

قدر) مفعوله محذوف قدره بقوله ما شاء : أي من أنواعها وأشخاصها ومدة دبرها وصفاتها وأفعالها وغير ذلك من أحوالها (قوله فهدي) أي أريد ما قدره لمصالحه فهمي الإنسان ودله على سبيل الخير والشر وهدي الأنعام لمراعيتها وجميع الدواب لمعاشها ومصالحها

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ) أي نزه ربك عما يليق به ولفظ اسم زائد (الأعلى) صفة لربك (الَّذِي خَاقَ فَسَوَّى) مخلوقه جعله متناسب الأجزاء غير متفاوت (وَالَّذِي قَدَّرَ) ما شاء (فَهَدَى) إلى ما قدره من خير وشر (وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى) أنبت العشب (فَجَعَلَهُ) بعد الخضرة (غُثَاءً) جافا هشيا (أُخْوَى) أسود يابسا (سَنَقَرْتُكَ) القرآن (فَلَا تَنسَى) ما تقرأه (إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ) أن تنساه بنسخ تلاوته وحكمه وكان صلى الله عليه وسلم يجهر بالقراءة مع قراءة جبريل خوف النسيان فكأنه قيل له لا تمجل بها إنك لا تنسى فلا تتعب نفسك بالجهر بها (إِنَّهُ) تعالى (يَعْلَمُ الْجَهْرَ) من القول والفعل (وَمَا يَخْفَى) منهما ،

(قوله والذي أخرج المرعى) أي مارعى كالخشب ونحوه (قوله غثاء) بضم الغين والمد من باب (ونبصرك) قعد وهذا مثل ضرب به الله للكفار بذهاب الدنيا بعد نضارتها (قوله أخوى) نعت لغثاء وهو ما يشبهه المفسر ، وقوله أسود بالياء أي بعد وصفه بالغثاء يكون أسود بالياء كالماء العادة في الزرع الجاف إذا انقادم ويطاق الأخوى على الأسود الذي يضرب إلى الخضرة أو الأخضر الذي يضرب إلى السواد وعليه فيكون حالا من المرعى والأصل أخرج المرعى أخوى فجعله غثاء والقاء للجراد الترتيب والمعنى قضت مدة فجعله الخ إذ لا يصبر غثاء عقب إخراجها بل بعده عدة (قوله سنقرتك فلا تنسى) بيان لهداية الله تعالى الخاص برسوله إثر بيان هدايته العامة لجميع الخلق ، وهذه الآية تدل على المعجزة من وجهين : الأول الأخبار من الله تعالى بما يحصل في المستقبل ، الثاني كونه يحفظ هذا الكتاب العظيم من غير دراسة ولا تكرار ولا ينساه أبدا (قوله فلا تنسى ما تقرأه) أي مذوخا أو غيره ليظهر كون الاستنساخ متصلا ، وقوله : إلا ما شاء الله استثناء مفرغ (قوله بنسخ تلاوته وحكمه) الباء سببية ، والمعنى أن نسخ تلاوته وحكمه ما سبب في جواز نسيانك له ، وأما ما نسخت تلاوته فقط أو حكمه فقط فلا ينساه للاحتياج إلى تبليغ حكمه أو تلاوته (قوله فكأنه قيل الخ) أي فهو نظير قوله - إن علينا جمعه وقرأناه - (قوله إنه يعلم الجهر الخ) تامل لما قبله جي به تسليته صلى الله عليه وسلم كأنه قيل لا تخش ضياع ما ألقى عليك فانه تعالى يعلم الجهر وما يخفى ومنه ما ألقى عليك فيثبت في قوادك ما ينفذ وصفه المفسر يقتضى أنه تعليل محذوف قدره بقوله فلا تتعب نفسك (قوله وما يخفى) ما اسم موصول وعائده محذوف ولا يصح أن تكون مصدرية لئلا يلزم خلو الفعل عن فاعل ولا يقال يجعل ضميرا لأننا نقول يمنع منه عدم وجود

ما يعود عليه (قوله ونيسرك اليسرى) عطف على نقرتك وما بينهما اعتراض جىء به للتعليل ، والمعنى ثوبتك ثوبيقا مستمرا للطريقة اليسرى في كل باب من أبواب الدين علما وتعلما واهتداء وهداية وغير ذلك ، وللاورد « ما خبر بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن مأثما » وورد « بعثت بالحنيفية السمحاء » وحكمة إسناد التيسير لدانته ولم يقل ونيسر اليسرى لك الإيذان بقوة تمكنه عليه الصلاة والسلام من اليسرى والتصرف فيها بحيث صار ذلك جبلة له صلى الله عليه وسلم فبين طبعه ودينه موافقة في اليسر والسهولة (قوله للشريعة السهلة) أى الطريقة اليسرى في حفظ الوحي والتدين (قوله إن نفعت لك كرى) إن قلت هر صلى الله عليه وسلم مأمور بأن يذكرهم سواء نفعهم الذكر أم لم تنفعهم ليكون حجة لهم أو عليهم. أجيب بأن في الآية اكتفاء : أى أولم تنفع على حد سراييل تقيكم الحر : أى والبرد ويؤيده قوله - سيدكر من يخشى ويتجنبها الأشقى - فتدبر (قوله سيدكر من يخشى) أى من خلق الله في قلبه الخشية وهذا وعد من الله تعالى بأن من يخشى يحصل له الانتعاض وينتفع به والوعد لا يتخاف (قوله هي نار الآخرة الخ) هذا قول الحسن وبدل له ماورد « ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم » وقيل يكون في الآخرة نيران ودركات متفاضلة فالكافر يصلى أعظم النيران ، وقيل النار الكبرى هي السفلى . قال تعالى - إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار - (قوله فيستريح) جواب عما يقال (٢٩٥) لا واسطة بين الحياة والموت فكيف وصف الله الأشقى بأنه لا يموت فيها ولا يحيا ، فأجاب بأن المعنى لا يموت مونا فيستريح به ولا يحيا حياة ينتفع بها (قوله مكبرا) أى تكبيرة الاحرام التي هي أحد أجزاء الصلاة (قوله وذلك من أمور الآخرة) تنهيد لارتباط هذه الآية بما بعدها فقوله بل تؤثرن الخ إضراب عن مقدر يستدعيه المقام (قوله بالتحنانية) أى وعليه فالضمير راجع للأشقى

(وَنَيْسَرُكَ لِالْيُسْرَى) للشريعة السهلة وهي الإسلام (فَذَكِّرْ) عطف بالقرآن (إِنْ نَفَعَتْ الذِّكْرَى) من تذكر المذكور في : سيدكر ، يعنى وإن لم تنفع ونفعها لبعض وعدم النفع لبعض آخر (سَيِّدُكَ) بها (مَنْ يَخْشَى) يخاف الله تعالى كآية فذكر بالقرآن من يخاف وعيد (وَيَتَجَنَّبُهَا) أى الذكر أى يتركها جانبا لا يلتفت إليها (الأشقى) بمعنى الشقى أى الكافر (الَّذِي يَصَلَّى النَّارَ الْكُبْرَى) هي نار الآخرة ، والصغرى هي نار الدنيا (ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا) فيستريح (وَلَا يَخْشَى) حياة هنيئة (قَدْ أَفْلَحَ) فاز (مَنْ تَزَكَّى) تطهر بالإيمان (وَذَكَرَ أَسْمَ رَبِّهِ) مكبرا (فَصَلَّى) الصلوات الخمس وذلك من أمور الآخرة ، وكفار مكة معرضون عنها (بَلْ يُؤْثِرُونَ) بالتحنانية والفوقانية (الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) على الآخرة (وَالْآخِرَةَ) المشتعلة على الجنة (خَيْرٌ وَأَبْقَى . إِنَّ هَذَا) أى إفلاح من تزكى وكون الآخرة خيرا (لَفِي السُّحُفِ الْأُولَى) أى المنزلة قبل القرآن (مُحْفٍ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى) وهي عشر صحف لإبراهيم ، والتوراة لموسى .

وقوله والفوقانية : وعليه فهو التفات والخطاب إما للكفار فقط أو لعموم الناس والقراءتان سبعيتان (قوله خير وأبقى) أى لاشتغالها على السعادة الجسمانية والروحانية ولذاتها غير مخلوطة بالآلام وهي دائمة باقية والدنيا ليست كذلك (قوله أى إفلاح من تزكى الخ) أى فالإشارة إلى قوله - قد أفلاح من تزكى - إلى قوله - وأبقى - وما ذكر في الصحف الأولى بالمعنى لابهذا اللفظ فالشرائع المتقدمة متفقة على مافى هذه الآيات ، ورد عن أبى ذر قال « دخلت المسجد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن للسجد تحية ، فقلت وما تحيته يا رسول الله ؟ قال ركعتان تركعهما ، قلت يا رسول الله هل أنزل الله عليك شيئا مما كان في صحف إبراهيم وموسى ؟ قال يا أبا ذر اقرأ - قد أفلاح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرن الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى إن هذا لأول الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى - قلت يا رسول الله فما كانت صحف موسى ؟ قال كانت عبرا كلها : عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح عجبت لمن أيقن بالنار كيف يضحك عجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها عجبت لمن أيقن بالقدر ثم يغضب عجبت لمن أيقن بالحساب ثم لا يعمل » وعن أبى ذر أيضا قال « قلت يا رسول الله فما كانت صحف إبراهيم قال كانت أمثالا كلها : أيها الملك المسلط المبلى الغرور إنى لم أبشك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ولكن بعثك لترد عنى دعوا للظلم فأنى لأردّها ولو كانت من فم كافر » وكان فيها أمثال : وعلى العاقل أن يكون له ساعة يناجى فيها ربه وساعة يفكر فيها

في صنع الله عز وجل وساعة يخلو فيها حاجته من المظم والشرب، وعلى العاقل أن لا يكون طامعا إلا في ثلاث: تزود لمعاد ومرة
لمعاش ولذة في غير محرم وعلى العاقل أن يكون بصيرا بزمانه مقبلا على شأنه حافظا للسانه ومن عدّ كلامه من عمله قل كلاما
إلا في ما يعبئه ، قال قلت فما كانت صحف موسى ؟ قال كانت عبرا ، إلى آخره ، وقوله ومرة لمعاش : أى إصلاح له .
[سورة الغاشية مكية] أى بالاجماع (قوله هل أتاك) أشار المفسر إلى أن هل بمعنى قد ، وقوله أتاك : أى في هذه السورة
والماضى إخبار عما وقع له في الحال ويصح أن يراد بالاستفهام التعجيب والتشويق إلى استماع حديثها المذكور بقوله - وجوه
يومئذ - الخ (قوله الغاشية) من الغشاء وهو الغطاء ومنه الغشاوة وهى شئ يغطي العين (قوله وجوه يومئذ الخ) استئناف
واقع في جواب سؤال مقدر تقديره وما حديث الغاشية ووجوه مبتدأ سوغ الابتداء به وقوعه في معرض التفصيل وخاتمة خبره
وعاملة ناصبة خبران آخران (قوله يومئذ) أى يوم إذ غشيت فالتنوين عوض عن جملة . إن قلت إنه لم يتقدمها جملة تصلح
أن يكون التنوين عوضا عنها . أجيب بأنه تقدمها لفظ الغاشية وهو في معنى الجملة لأن أل موصولة باسم الفاعل فكأنه قال التى
غشيت فالتنوين عوض عن هذه الجملة التى انحل لفظ الغاشية إليها (قوله عبر بها عن الذوات) أى فهو مجاز مرسل من التعبير
عن الكل بالجزء وخص الوجه لأنه أشرف الأعضاء ولأنه يظهر عليه ذلك أولا (قوله بالسلاسل والأغلال) أى بسبب جرّ
السلاسل وحمل الأغلال وكذلك (٢٩٦)

(سورة الغاشية)

مكية، ست وعشرون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . هَلْ) قد (أَتَيْكَ حَدِيثُ الْعَاشِيَةِ) القيامة لأنها تفتش
الخلائق بأهوالها (وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ) عبر بها عن الذوات في الموضعين (خَاشِعَةٌ) ذليلة (عَامِلَةٌ
نَاصِبَةٌ) ذات نصب وتعبد بالسلاسل والأغلال (أُخْطِئَ) بضم القاء وفتحها (نَارًا حَامِيَةً .
تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آتِيَةٍ) شديدة الحرارة (لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ) هو نوع من
الشوك لا ترعاه دابة نخبه (لَا يُسْمِنُ وَلَا يُرْمَى مِنْ جُوعٍ . وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ) حسنة
(لِسَعِيدٍ) في الدنيا بالطاعة (رَاضِيَةٌ) في الآخرة لما رأت ثوابه (فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ) حسنة

ومعنى ،

النار قال تعالى - إذا الأغلال
في أعناقهم والسلاسل
يسحبون في الحميم ثم
في النار يسجرون - وهذا
جزاء لما ارتكبوه من
إراقة أبدانهم في اللذات
والشهوات قال سعيد بن
جبير : تكبرت في الدنيا
عن طاعة الله تعالى فأعماها
الله تعالى وأنصبتها في النار
بحر السلاسل الثقيل وحر
الأغلال والوقوف حثاه

الأغلال والوقوف حذاء
عرة في العرصات في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة (قوله بضم التاء وفتحها)
أى فهما قراءتان سبعيتان والضمير للوجوه على كل (قوله نارا حامية) أى لأمته أوقد عليها مدة طويلة ، ففي الحديث « أحم
عليها ألف سنة حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة » (قوله
آنية) أى باتت أنها في الحرارة ، والمعنى اتى حرها (قوله ليس لهم طعام إلا من ضريع) قال أبو البرداء والحسن : إن
تعالى يرسل على أهل النار الجوع حتى يعدل عندهم ما هم فيه من العذاب فيستغيثون فيغاثون بالضريع وهو ذو غصة فيفصون
فيذكرون أنهم كانوا يجيزون القصص في الدنيا بالماء فيستسقون فيعطشهم ألف سنة ثم يسقون من عين آنية لاهنيئة ولامر
فاذا أدنوه من وجوههم ساخ جلود وجوههم وشواها فاذا وصل بطونهم قطعها فذلك قوله تعالى - وإن يستغيثوا يغاثوا
كالمهل يشوى الوجوه ، وقوله تعالى - وسقواما حميا فقطع أمعاءهم - إن قلت كيف حصر الطعام هنا في الضريع مع أنه في الح
قال - ولا طعام إلا من غسيلين - ٢. أجيب بأن العذاب ألوان والمعذبون أنواع فمنهم من يكون طعامه الزقوم ومنهم من يكون ط
الضريع ومنهم من يكون طعامه الغسيلين وهكذا (قوله لا يسمن ولا ينفى من جوع) كل منهما صفة لضريع ، والمعنى لا يحصل الس
لا كله ولا يدفع عنه جوعا (قوله حسنة) أى ذات بهجة وحسن ، وقيل متعة والجمع حاصل فهي حسنة ومتعة (قوله لا
راضية) اللام بمعنى الباء متعلقة براضية الواقعة خبرا ثانيا عن الوجوه والمعنى أنهم راضون بأعمالهم لما رأوا من الجزاء عليها (قوله
أى لأن الجنة درجات على عدد آي القرآن بعضها أعلى من بعض فبين الدرجتين مثل ما بين السماء والأرض ، وقوله ومعنى : أى

الشرف والرفعة (قوله بالياء والتاء) أى ولكن الفعل على الياء مبنى للفعول لا غير وعلى التاء فهو مبنى للفاعِل والمفعول فالقراءات ثلاث سبعيات (قوله لاغية) صفة للجماعة أى جماعة لاغية ويصح أن يكون مصدرا كالعاقبة والعافية كقوله: لا يسمعون فيها أموا ولا ناثجا (قوله فيها جارية) أى على وجه الأرض من غير حدود لا ينقطع جريها أبدا والمراد بالعين الجنس الصادق بالأنهار المتقدم ذكرها في سورة محمد عليه السلام (قوله فيها سرر مرفوعة) قال ابن عباس ألواحها من ذهب مكالة بالزبرجد والدر والياقوت مرفوعة في السماء ما لم يجي أهلها ، فإذا أراد أن يجلس عليها صاحبها تواضعت حتى يجلس عليها ثم ترتفع إلى مواضعها (قوله وأكواب) جمع كوب (قوله لاغرى لها) أى ولاخرطوم (قوله معدة لشربهم) أى فكأما أرادوا الشرب وجدوها مملوءة بالشراب ويصح أن المراد موضوعة بين أيديهم يتلذذون بالنظر إليها ويصح أن المراد موضوعة عن حد الكبر فهي متوسطة وحينئذ فيكون نظير قوله تعالى - قدروها تقديرا - (قوله ونمارق) جمع غرقة بضم النون والراء وكسرهما لغتان (قوله وسائد) جمع وسادة وهي المعروفة بالخذة (قوله مصفوفة) أى فوق الطنافس (قوله وزراي) جمع زربية بتثنية الزاي (قوله طنافس) جمع طنفسة بتثنية الفاء والطاء ففيه سبع لغات صفة لبسط وتسمى أيضا السجادة فلها ثلاثة أسماء - سجادة وطنفسة وزربية (قوله أفلا ينظرون إلى الأبل كيف خلقت) استئناف مقرر لما مضى من حديث الغاشية والهمزة داخلية على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير أعموا فلا ينظرون وهو استفهام إنكارى توبيخي (٢٩٧) وخست الأبل لكثرة منافعها

كأكل لحمها وشرب لبنها والحمل عليها وركوبها والتنقل عليها إلى البلاد البعيدة وعيشها بأى نبات أكلته كالشجر والشوك وصبرها على العطش عشرة أيام فأكثر وطواعيتها لكل من قادها ولو صغيرا ونهـ وضها وهي بركة بالأحمال الثقيلة ولا تؤذى من وطئته برجاءها وتناثر بالصوت الحسن مع غلظ أكبادها ولا شئ من

(لَا يُسْمَعُ) بالياء والتاء (فِيهَا لَاغِيَةٌ) أى نفس ذات لغو أى هذيان من الكلام (فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ) بالماء بمعنى عيون (فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ) ذاتا وقدرا ومحلا (وَأَكْوَابٌ) أقداح لاغرى لها (مَوْضُوعَةٌ) على حافات العيون معدة لشربهم (وَنَمَارِقُ) وسائد (مَصْفُوفَةٌ) بعضها بجانب بعض يستند إليها (وَزَرَائِي) بسط طنافس لها حمل (مَبْشُورَةٌ) مبسوطة (أَفَلَا يَنْظُرُونَ) أى كفار مكة نظر اعتبار (إِلَى الْأَبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ . وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ . وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ . وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ) أى بسطت فاستدلون بها على قدرة الله تعالى ووحدانيته ، وصدرت بالأبل لأنهم أشد ملابسة لها من غيرها وقوله سطحت ظاهر في أن الأرض سطح وعليه علماء الشرع ، لا كرة كما قاله أهل الهيئة وإن لم ينتقض ركننا من أركان الشرع (فَذَكَّرْ) هم نعم الله ودلائل توحيده (إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ .

الحيوانات جمع هذه الأشياء غيرها ولوكونها أفضل ما عند العرب جعلوها دية القتل والأبل اسم جمع لا واحد له من لفظه وإعماله واحد من معناه كبير وناقة وجمل (قوله كيف خلقت) كيف منصوب بخاقت على الحال والجملة بدل اشتمال من الأبل فهي في محل جر (قوله كيف رفعت) أى فوق الأرض من غير عمد (قوله كيف نصبت) أى على وجه الأرض نصبا ثابتا راسخا لا يتزلزل (قوله فيستدلون بها الخ) الحكمة في تخصيص هذه الأشياء بالدكر أن القرآن نزل على العرب وكانوا يسافرون كثيرا في الأودية والبراري منفردين عن الناس والانسان إذا انفرد أقبل على التفكير فأول ما يقع بصره على البعير الذى هو راكبه فيرى منظرا عجبا ، وإن نظر إلى فوق لم ير غير السماء ، وإن نظر يمينا وشمالا لم ير غير الجبال ، وإن نظر إلى تحت لم ير غير الأرض فكأنه تعالى أمره بالنظر وقت الخلوة والانفراد ولا يحمله الكبر على ترك النظر (قوله وصدرت) أى هذه الأربعة (قوله وإن لم ينتقض) أى ما قاله أهل الهيئة من قواعدهم التى ذكروها وقوله ركننا : أى قاعدة من قواعد الشرع فلا يضر في العقيدة لأن علماء الهيئة قالوا إن الأرض كرة بطبيعتها وحقيقتها كالبضعة فالسماوات السبع هيطة بالأرض من كل جانب ، والعرش محيط بالجميع لكن الله تعالى أخرج الأرض عن طبيعتها بفضله وكرمه بتسطيح بعضها لإقامة الحيوانات عليها رحمة بهم (قوله فذكر) مفرع على ما تقدم من ذكر دلائل التوحيد (قوله إنما أنت مذكر) تعليل للأمر بالتذكير . [٣٨ - صاوى - رابع]

(قوله وفي قراءة) أي وهي - بعبارة أيضا (قوله أي بمسائط) هذا تفسير للقراءتين (قوله وهذا قبل الأمر بالجهاد) أي فهو منسوخ بآية السيف (قوله لكن من تولى الخ) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع والاستدراك لدفع توهم أنهم متروكون في الآخرة كالدينا وذلك أنه أمر بعدم التعرض لهم في مبدأ الأمر فربما يتوهم أنهم في الآخرة كذلك فأفاد أنه وإن أمهلهم في الدنيا لا يفلتهم من العذاب في الآخرة (قوله إن إلينا إياهم) تعليل لتعذيبه تعالى بالعذاب الأكبر (قوله ثم إن علينا حسابهم) أي يقتضى وعيدنا لا وجوب علينا وثم للتراخي في الرتبة لافي الزمان فان الترتيب الزماني بين إياهم وحسابهم لا ينبغي كون إياهم إليه تعالى وحسابهم عليه تعالى فانهما أمران مستمران وجمع الضمير في إياهم وحسابهم باعتبار معنى من .

[سورة والفجر مكية] أي في قول الجمهور وقوله أو مدنية . أي في قول علي بن أبي طلحة (قوله أي فجر كل يوم) هذا أحد أقوال كثيرة في تفسير الفجر وهو قول علي وابن الزبير وابن عباس ، أو فجر أول يوم من المحرم منه تنفجر السنة أو فجر يوم النحر لأن فيه أكثر مناسك الحج وفيه القربات ، أو فجر ذي الحجة لأنه قرن به الليالي العشر (قوله أي عشر ذي الحجة) أي وإنما نكرت لأنها أفضل ليالي السنة وما ذكره المفسر أحد أقوال ، وقيل هي العشر الأواخر من رمضان ، وقيل العشر الأول من المحرم (قوله والشفع والوتر) قال مجاهد ومسروق الشفع الخاق كله قال تعالى

لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ (وفي قراءة بالصاد بدل السين أي بمسائط ، وهذا قبل الأمر بالجهاد) (إِلَّا) لكن (مَنْ تَوَلَّى) أعرض عن الإيمان (وَكَفَرَ) بالقرآن (فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ) عذاب الآخرة والأصغر عذاب الدنيا بالقتل والأسر (إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ) رجوعهم بعد الموت (ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ) جزاءهم لا نتركه أبدا .

(سورة والفجر)

مكية أو مدنية ، ثلاثون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . وَالْفَجْرِ) أي فجر كل يوم (وَالْيَالِ عَشْرٍ) أي عشر ذي الحجة (وَالشَّفْعِ) الزوج (وَالْوَتْرِ) بفتح الواو وكسرهما لغتان : الفرد (وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ) مقبلا ومدبرا (هَلْ فِي ذَلِكَ) القسم (قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ) عقل ، وجواب القسم محذوف أي لتعذب يا كفار مكة (أَلَمْ تَرَ) تعلم يا محمد (كَيْفَ قَوْمَ رَبِّكَ إِذَا يَدْعُونَ) ومن كل شيء خلقنا زوجين - الكفر والإيمان والهدى والضلال والسعادة والشقاوة والليل والنهار والسما والأرض والبحر والشمس والقمر والجن والإنس والوتر هو الله تعالى قل هو الله أحد وقيل الشفع تضاد صفات المخلوقين من العز والذل والقدرة والعجز والقوة والضعف والعلم والجهل والبصر والعمى والوتر انفراد صفات الله تعالى عز بلا ذل وقدرة بلا عجز وقوة بلا ضعف وعلم بلا جهل وحياة بلا موت ،

ومن كل شيء خلقنا زوجين - الكفر والإيمان والهدى والضلال والسعادة والشقاوة والليل والنهار والسما والأرض والبحر والشمس والقمر والجن والإنس والوتر هو الله تعالى قل هو الله أحد وقيل الشفع تضاد صفات المخلوقين من العز والذل والقدرة والعجز والقوة والضعف والعلم والجهل والبصر والعمى والوتر انفراد صفات الله تعالى عز بلا ذل وقدرة بلا عجز وقوة بلا ضعف وعلم بلا جهل وحياة بلا موت ،

(إرم)

وقيل الوتر يوم عرفة لأنه تاسع والشفع يوم النحر لأنه عاشر ، وقيل غير ذلك (قوله بفتح الواو وكسرهما) أي فهما قرأتان سبعيتان ولغتان جسدتان (قوله والليل) قسم خامس بعد ما أقسم بالليالي العشر على الخصوص أقسم بالليل على العموم ، وقيل ليلة الزدلفة خاصة ، وقيل ليلة القدر لسريان البركة فيها (قوله إذا يسر) إذا معمول المحذوف هو فعل القسم والمعنى أقسم بالليل وقت سراه (قوله مقبلا) أي بادبار النهار ، وقوله ومدبرا : أي بإقبال النهار وفيه إشارة إلى أن إسناد السرى لليل حقيقة ، وقال غيره إن إسناد السرى له مجاز عقلي من الإسناد للزمان والمعنى يسرى فيه وكل صحيح (قوله هل في ذلك الخ) استفهام تقريرى لفخامة شأن الأمور المقسم بها واسم الإشارة عائد على الأمور المقسم بها (قوله القسم) أي الحلف وأل جنسية صادقة بالمدكور من الأقسام وهي خمسة وكذا يقال في قوله وجواب القسم الخ (قوله عقل) سمي حجرا لأنه يحجر صاحبه ويمنعه عن القبائح (قوله وجواب القسم محذوف) وقيل هو قوله تعالى - إن ربك لبالمرصاد - وقيل غير ذلك (قوله ألم تر الخ) شروع في بيان أحوال الأمم الماضية وذكر منهم عاداً وثمود وفرعون لأن أخبارهم كانت معلومة عندهم والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولكنه عام لكل أحد .

(قوله إرم) هو في الأصل اسم جد عاد ، وهو عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام سميت القبيلة باسم جد هم عاد وعاش ألف سنة ومائتي سنة ورزق من صلبه أربعة آلاف ولد وتزوج ألف امرأة ومات كافرا (قوله أي الطول) هذا أحد أقوال ، وقيل إن المراد به الأبنية المرتفعة على العمدة فكانوا ينصبون الأعمدة فيبنون عليها القصور ، وقيل ذاب العماد ذات القوة والشدة قال تعالى - من أشد مناقرة - وقيل غير ذلك (قوله كان طول الطويل الخ) نحوه قول الكازروني طول الطويل منهم خمسمائة ذراع والقصير ثمانمائة ذراع بذراع نفسه ورد ذلك ابن العربي بقوله هو باطل لأن في الصحيح « إن الله خلق آدم طوله ستون ذراعا في الهواء فلم يزل الخاق ينقصون إلى الآن » اهـ . وقال قتادة إن طول الرجل منهم اثنا عشر ذراعا (قوله التي لم يخاق مثلها في البلاد) أي لم يخاق مثل تلك القبيلة في الطول والقوة وهم الذين قالوا من أشد مناقرة ، وقيل هي مدينة بناها شداد بن عاد . وحاصل قصتها أنه كان لعاد ابنان شداد وشديد فهاككا بعدهم وقهرا العباد والبلاد فمات شديد وخاص الملك لشداد فملك تلك الدنيا ودانت له ملوكها وكان يحب قراءة الكتب القديمة فسمع بذكر الجنة وصفها ودعته نفسه إلى بناء مثلها فتوا على الله وتجبرافروى وهب بن منبه عن عبد الله بن قلابة أنه خرج في طلب إبل له شردت فبينما هو يسير في صحارى عدن إذ وقع على مدينة في تلك القلوات عليها حصن وحول الحصن قصور كثيرة ، فلما دنا منها ظن أن فيها أحدا يسأله عن إبله فلم ير خارجا ولا داخلا فنزل عن دابته وعقلها وسل سيفه ودخل من باب المدينة فإذا هو ببابين عظيمين وهما مرصعان بالياقوت الأحمر ، فلما رأى ذلك دهش ففتح الباب ودخل فإذا هو بمدينة لم ير أحد مثلها وإذا فيها قصور في كل قصر منها غرف وفوق الغرف غرف مبنية بالذهب والفضة وأحجار اللؤلؤ والياقوت وإذا أبواب تلك القصور مثل مصاريع باب المدينة يقابل بعضها بعضا وهي مفروشة كلها باللؤلؤ وبنادق المسك والزعفران فلما عاين ذلك ولم ير أحدا هاله

(٢٩٩)

عابن ذلك ولم ير أحدا هاله

ذلك ثم نظر إلى الأزقة فإذا في تلك الأزقة أشجار مثمرة وتحت تلك الأشجار نهار يجرى ماؤها في قنوات من فضة فقال الرجل في نفسه هذه الجنة

إرم هي عاد الأولى فإرم عطف بيان أو بدل ومنع الصرف للعلمية والتأنيث (ذات العماد) أي الطول كان طول الطويل منهم أربعمائة ذراع (التي لم يخاق مثلها في البلاد) في بطشهم وقوتهم (وثمود الذين جابوا) قطعوا (الصخر) جمع صخرة واتخذوها بيوتا (بالواد) :

وحمل معه من لؤلؤها ومن بنادق مسكها وزعفرانها ورجع إلى اليمن وأظهر ما كان معه وحدث بما رأى فبلغ ذلك معاوية فأرسل إليه فقدم عليه فسأله عن ذلك فتص عليه ما رأى فأرسل معاوية إلى كعب الأحبار ، فلما أتاه قال له يا أبا اسحق هل في الدنيا مدينة من ذهب وفضة ؟ قال نعم هي إرم ذات العماد بناها شداد بن عاد قال فحدثني حديثها فقال لما أراد شداد بن عاد عمالها أمر عليها مائة قهرمان مع كل قهرمان ألف من الأعوان وكتب إلى ملوك الأرض أن يمدوهم بما في بلادهم من الجواهر فخرجت القهارة يسرون في الأرض ليجدوا أرضا موافقة فوقفوا على صحراء نقية من التلال وإذا فيها عيون ماء ومروج فقالوا هذه الأرض التي أمر الملك أن تبنى فيها فوضعوا أساسها من الجزع اليمني وأقاموا في بنائها ثمانمائة سنة وكان عمر شداد تسعمائة ، فلما آتوه وقد فرغوا منها قال انطلقوا فاجعلوا حصنا يعني سورا واجعلوا حوله ألف قصر وعند كل قصر ألف عليم ليكون في كل قصر وزير من وزرائي ففعلوا وأمر الملك وزرائه وهم ألف وزير أن يتهيئوا للنقلة إلى إرم ذات العماد ، وكان الملك وأهله في جهازهم عشر سنين ، ثم ساروا إليها ، فلما كانوا من المدينة على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليه وعلى من كان معه صيحة من السماء فأهلكهم جميعا ولم يبق منهم أحد ، ثم قال كعب وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك أحمر أشقر قصير على حاجبيه خال وعلى عنقه خال يخرج في طلب إبل له ، ثم التفت فأبصر عبد الله بن قلابة ، فقال هذا والله ذلك الرجل وهذه المدينة تزعم العامة أنها دائرة في الدنيا وهو من الخرافات بل هي في مكانها غير أن الله تعالى يعنى الخاق عنها فلم يهد لها إلامن وعنده بها (قوله في بطشهم) متعلق بمنها والضمير عائد على القبيلة باعتبار أهلها (قوله والذين جابوا الصخر) صفة لثمود والباء في بالوداي بمعنى في وثمود عطف على عاد وهي قبيلة مشهورة (قوله واتخذوها بيوتا) قيل أول من نحت من الجبال والصخور والرخام ثمود ، وروى أنهم بنوا ألفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة ، وقيل سبعة آلاف كلها من الحجارة .

(قوله وادى القرى) موضع بقرب المدينة من جهة الشام (قوله كان يتد أربعة أوتاد الخ) أى يدفعها للعذاب ويشده بها مطروحا على الأرض ثم يعذبه بما يريد من ضرب وإحراق وغيرها (قوله الذين طغوا) إما مجرور صفة للمذكورين أو منصوب أو مرفوع على الذم (قوله نوع عذاب) فسر به بذلك لقول الفراء سوط العذاب كلمة تقولها العرب لكل نوع من أنواع العذاب ، والمعنى أنزل على كل نوعا من العذاب فأهلكك عاد بالريح ونمود بالصيحة وفرعون بالفرق (قوله إن ربك لبالمرصاد) تعليل لما قبله إعلاما بأن كفار قومه عليه السلام سيصيبهم مثل ما أصاب المذكورين من العذاب (قوله يرصد أعمال العباد) أشار بذلك إلى أن فى السلام استعارة تمثيلية شبه حفظه تعالى لأعمال عباده ومجازاته عليها بحال من قعد على الطريق مترصدا لمن يسلكها ليأخذه فيوقع به ما يريد واستعير اسم المشبه به للمشبه (قوله فأما الإنسان) أما هنا لمجرد التأكيد لا للتأكيد مع التفصيل لعدم تقدم مقتضيه وهو مرتبط بقوله إن ربك لبالمرصاد فكأنه قيل إن الله لا يرضى من عباده إلا الطاعة والاخلاص لما فى الحديث «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» فأما الإنسان فلا ياتفت لذلك لكونه طموحا على خلافه وإنما ياتفت للعاجل وما قرّرناه سالم من الدسيسة الاعتزالية الواقعة فى كلام الرخصى حيث نفى عن الله إرادة المعاصى والقبائح، ونص عبارته : فإن قلت بم أصل قوله فأما الإنسان ؟ قلت بقوله إن ربك لبالمرصاد فكأنه قيل إن الله لا يريد من الإنسان إلا الطاعة (٣٠٠) فأما الإنسان فلا يريد ذلك ولا يهمله إلا العاجلة أه فتدبر (قوله إذا ما ابتلاه

وادى القرى (وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ) كان يتد أربعة أوتاد يشد إليها يدي ورجلي من يعذبه (الَّذِينَ طَغَوْا) تجبروا (فِي الْبِلَادِ) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (الْقَتْلَ وَغَيْرَهُ) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ . إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ (يرصد أعمال العباد فلا يفوته منها شيء ليجار بهم عليها) (فَأَمَّا الْإِنْسَانُ) الكافر (إِذَا مَا أُنْتَلِيَ) اختبره (رَبُّهُ فَأُكْرِمَهُ) بالمال وغيره (وَنِعْمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ . وَأَمَّا إِذَا مَا أُنْتَلِيَ فَقَدَرَ) ضيق (عَايَهُ رِزْقُهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ . كَلَّا) ردع : أى ليس الإكرام بالغنى والإهانة بالفقر وإنما هو بالطاعة والمعصية وكفار مكة لا يتذهبون لذلك (بَلْ لَا يُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ) لا يحسنون إليه مع غناهم أولا يعطونه حقه من الميراث (وَلَا يَحْضُونِ) أنفسهم ولا غيرهم (عَلَى طَعَامٍ) أى إطعام (الْمَسْكِينِ . وَيَا كُلُونَ الثَّرَاثَ) الميراث ،

ربه الخ) إنما صي كلام من بسط الرزق وتقتيره ابتلاء لأنه يختبر حال العبد فى الحالين فإذا بسط له الرزق فقد اختبر حاله أيشكر أم يكفر وإذا قدر عليه فقد اختبر حاله أيصبر أم يجزع فالحكمة فيهما واحدة (قوله اختبره) أى عامله معاملة المختبر (قوله المال وغيره) أى كالجاه والولد (قوله ونعمه) أى جعله

(أ كلا

متقدما بذلك النعم (قوله فيقول ربى أكرم من) أى اضأى وأحسن إلى

(قوله وأما إذا ما ابتلاه) مازائدة لوقوعها بعد إذا وكذا يقال فى الأولى (قوله فقدر) بالتخفيف والتشديد قراءتان سبعيتان . إن قات مقتضى المقابلة أن يقول فأهانته وقدر عليه ، لأنه كما قال فأكرمه ونعمه . أجيب بأن البسط لإكرام من الله لعبده وليس ضده إهانته بل ترك للكرامة ، فإذا أهذى لك إنسان هدية فقد أكرمك بها وإذا لم يهد إليك فلم يحصل منه إكرام ولا إهانته ، وأيضا فيه إشارة إلى أن تقتير الرزق لا يلزم منه أن يكون دليلا على إهانته بل قد يكون دليلا على المحبة والتكريم لما ورد «أشدكم بلاء الأنبياء ثم الأولياء ثم الأئمة فالأئمة» فقول العبد ربى أهاننى من قصوره وغفلته وإلا فالمطلوب منه أن يرضى ويسلم (قوله فيقول ربى أهاننى) أى لم يحسن إلى ولم يفضلنى وفى ياء أهاننى وأكرمى خلاف بين القراء في بعضهم يشدها وصلا ووقفا وبعضهم يحذفهما فى الحالين وبعضهم يثبتهما وصلا ويحذفهما وقفا (قوله ردع) أى عن الشقين بدليل قوله أى ليس الإكرام الخ (قوله وكفار مكة الخ) توطئة للدخول على قوله بل لا يكرمون الخ وقوله لذلك أى لكون الإكرام بالطاعة والإهانة بالكفر والمعاصى وكثير من جهالة المؤمنين يعتقدون هذا الاعتقاد وهو غلط وغرور (قوله بل لا يكرمون اليتيم) إضراب من قبيح إلى أقبح منه ترقيا فى ذمهم (قوله ولا يحضون) أى يحثون ومفعوله محذوف قدره بقوله أنفسهم ولا غيرهم (قوله أى إطعام) أشار بذلك إلى أن الطعام مصدر بمعنى الإطعام وفيه إيماء إلى أن إكرام اليتيم والحث على إطعام المساكين من أعظم الخصال فضيلة (قوله ويا كلون التراث) التاء فيه مبدلة من الواو لأنه من الوراثة كما فى تجام ونكامة .

(قوله أكلًا) أى جمعا ، قاله الجمع يقال لمت الشئ جمعه ومنه لم الله شئنه أى جمع مايفرق من أموره (قوله أى شديدا) صفة لموصوف محذوف أى جمعا شديدا (قوله اللهم نصيب النساء والصبيان) أى فانهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان ويأكلون أنفسهم أو يأكلون ما جمعه الورث من حلال وحرام عالمين بذلك . إن قلت إن السورة مكية وآية الموارث مدنية ولا يعلم الحل والحرم إلا من الشرع . أجيب بأن حكم الارث كان معلوما لهم من بقايا شريعة إسماعيل فهو ثابت عندهم بطريق عادتهم (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا وترى فى السبع أيضا تحاضون وأصله تتحاضون حذف إحدى التاءين : أى لا يعض بعضهم ، أى (قوله ردع لهم عن ذلك) أى عن جمع المال وحبه وعدم إكرام اليقيم (قوله إذا دكت الأرض) أى حصل رجها وزلزلها لتسويتها (قوله دكا دكا) ليس تأكيدا بل التكرار للدلالة على الاستيعاب كقولك ربته بابا بابا : أى بابا بدهاب ، وكذا يقال هنا دكا بعد دكا حتى تزول الجبال وتستوى الأرض (قوله أى أمره) دفع بذلك ما يقال إن المجىء يقتضى الانتقال وهو على الله محال . فأجاب بأن الكلام على حذف مضاف : أى حصل أمره وظهر سلطان قهره وتجاويه على عباده (قوله صفا صفا) أى صفا بعد صفا . لما ورد عن ابن عباس رضى الله عنهما أن الخلائق إذا جمعوا فى صعيد واحد الأولين والآخرين أمر الجليل جلّ جلاله بملائكة السماء الدنيا أن يتولمهم ؛ فيأخذ كل واحد منهم إنسانا وشخصا من المبعوثين إنسا وجنا ووحشا وطيرا وحولوم إلى الأرض الثانية : أى التى تبدل وهى أرض بيضاء من فضة نورانية ، وصارت الملائكة من وراء الخلق حلقة واحدة فإذا هم أكثر من أهل الأرض بعشر مرات ثم إن الله تعالى يأمر بملائكة السماء الثانية فيحرقون بهم حلقة واحدة وإذاهم مثلهم عشرين مرة ، ثم تنزل ملائكة (٣٠١) السماء الثالثة فيحرقون من وراء الكل حلقة واحدة

فإذا هم مثلهم ثلاثين ضعفا
ثم تنزل ملائكة السماء
الرابعة فيحرقون من
وراء الكل حلقة واحدة
فيكونون أكثر منهم
بأربعين ضعفا ثم تنزل
ملائكة السماء الخامسة
فيحرقون من وراءهم

(أكلًا) أى شديد اللهم نصيب النساء والصبيان من الميراث مع نصيبهم منه أو مع ما لهم (وَيُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا) أى كثيرا فلا ينفقونه وفى قراءة بالقوقانية فى الأفعال الأربعة (كَلًّا) ردع لهم عن ذلك (إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا) زلزلات حتى ينهدم كل بناء عابها وينعدم (وَجَاءَ رَبُّكَ) أى أمره (وَالْمَلَائِكَةُ) أى الملائكة (صَفًّا صَفًّا) حال : أى مصطفين أو ذوى صفوف كثيرة (وَجِئْ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ) تقاد بسبعين ألف زمام كل زمام بأيدى سبعين ألف ملك لها زفير وتغيظ (يَوْمَئِذٍ) بدل من إذا وجوابها (يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ) أى الكافر ما فرط فيه ،

حلقة واحدة فيكونون مثلهم خمسين مرة ، ثم تنزل ملائكة السماء السادسة فيحرقون من وراء الكل حلقة واحدة وهم مثلهم ستين مرة ، ثم تنزل ملائكة السماء السابعة فيحرقون من وراء الكل حلقة واحدة وهم مثلهم سبعين مرة ، والخلق تتداخل وتندمج حتى يعلو القدم ألف قدم لشدة الزحام ويخوض الناس فى العرق على أنواع مختلفة إلى الأذقان وإلى الصدور وإلى الحقون وإلى الركبتين ، ومنهم من يصيبه الرشح اليسير كالقاعد فى الحمام ، ومنهم من يصيبه البلة بكسر الموحدة وتشديد اللام كالعاطش إذا شرب الماء ، وكيف لا يكون القاق والعرق والأرق وقد قربت الشمس من رؤوسهم حتى لو مد أحدهم يده لناها وتضاعف حرها سبعين مرة . وقال بعض السلف : لو طلعت الشمس على الأرض كهيئة يوم القيامة لاحتقرت الأرض وذاب الصخر ونشفت الأنهار ، فبينما الخلائق يوجون فى تلك الأرض البيضاء التى ذكرها الله حيث يقول : يوم تبدل الأرض غير الأرض إدجى بجهنم الخ (قوله وجى يومئذ بجهنم) يومئذ منصوب بجىء وبجهنم قائم مقام الفاعل (قوله كل زمام بأيدى سبعين ألف ملك) أى يجرونها حتى تقف عن يسار العرش . قال أبو سعيد الخدرى : لما نزل وجىء يومئذ بجهنم تغير لون رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرف فى وجهه حتى اشتد على أصحابه ثم قال أقرأتى جبريل - كلا إذا دكت الأرض دكا دكا - الآية وجىء يومئذ بجهنم . قال على رضى الله عنه قلت يا رسول الله كيف يجاء بها ؟ قال يؤتى بها تقاد بسبعين ألف زمام يقود كل زمام - بهون ألف ملك فتشرد شرده لوزركت لأحرقت أهل الجمع ثم تعرض لى جهنم فتقول مالى ولك يا محمد إن الله قد حرم لملك على فلا يبقى أحد إلا قال نفسى نفسى إلا محمد صلى الله عليه وسلم فانه يقول يارب أمى أمى (قوله لها زفير) أى صوت شديد (قوله وتغيظ) أى غليان كغليان صدر الغضبان (قوله بدل من إذا) أى والعامل فيها يتذكر الذى هو الجواب وهذا مذهب

سبعويه ، وقال غيره البذل على نية تكرار العامل فالعامل في البذل محذوف نظير عامل البذل منه (قوله وآتى) اسم استفهام خبر مقدم والذكرى مبتدأ مؤخر وله متعلق بما تعلق به الظرف (قوله استفهام بمعنى النفي) أى فهو إنكارى (قوله للتنبيه) أى والتحسر (قوله الخير والایمان) أشار بذلك إلى أن مفعول قدمت محذوف (قوله لحياتى) اللام إما للتعليل أى لأجل حياتى هذه الكائنة فى الآخرة أو بمعنى وقت والمراد بالحياة الحياة الدنيوية وقد أشار لهما المفسر (قوله بكسر الذال) وقوله بكسر الثاء أى فأحد فاعل فيهما (قوله أى لا يكله إلى غيره) أى لا يأمر غيره بمباشرته والمراد بالغير غير الملائكة فلا ينافى أنه تعالى يكله إلى ملائكة العذاب لأنهم يباشرونه بأذن الله وأمره لهم ويحتمل أن المعنى لا يعذب أحد من خلق الله تعذيباً مثل تعذيب الله هذا الكافر ولا يوثق أحد من خلق الله إيثاقاً مثل إيثاق الله لهذا الكافر وكل صحيح (قوله ولا يوثق وثاقه أحد) أى لا يشد ولا يربط بالسلال والأغلال أحد مثل ربطه وشده (قوله وفى قراءة بفتح الذال والثناء) أى وهما سبعيتان وأحد على هذه القراءة نائب الفاعل فيهما الذى هو الله تعالى أو الزبانية المتولون العذاب بأمره تعالى (قوله مثل تعذيبه) مصدر مضاف للمفعول وهو الكافر (قوله يا أيها النفس المطمئنة) لما ذكر حال من كانت همته الدنيا ذكر حال من اطمأنت نفسه بالله فلم إليه أمره واتكل عليه (قوله الآمنة) أى التى لا يستفزها خوف ولا حزن (قوله وهى المؤمنة) هذا قول ابن عباس . وقال الحسن المؤمنة الوفية . وعن مجاهد أيضاً الراضية بتضاء الله التى علمت أن ما أخطأها لم يكن ليصيبها وأن ما أصابها لم يكن ليخطئها . وقال ابن عطاء: العارية التى لا تنصر عنه (٣٠٣) طرفه عين ، وقيل المطمئنة بذكر الله ، وقيل غير ذلك وفى الحقيقة كل من

(وَآتَى لَهُ الذِّكْرَى) استفهام بمعنى النفي : أى لا ينفعه تذكره ذلك (يَقُولُ) مع تذكره (يَا) للتنبيه (أَيْتَنِي قَدَمْتُ) الخير والإيمان (لِحَيَاتِي) الطيبة فى الآخرة أو وقت حياتى فى الدنيا (فَيَوْهِيهِ لَأَيُعَذَّبُ) بكسر الذال (عَذَابُهُ) أى الله (أَحَدٌ) الذى لا يكله إلى غيره (وَ) كذا (لَا يُوثِقُ) بكسر الثاء (وَثَاقَهُ أَحَدٌ) وفى قراءة بفتح الذال والثناء فضير عذابه ووثاقه للكافر ، والمعنى لا يعذب أحد مثل تعذيبه ولا يوثق مثل إيثاقه (يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ) الآمنة ، وهى المؤمنة (أَرْجِعِي إِلَى رَبِّكِ) يقال لها ذلك عند الموت : أى ارجعى إلى أمره وإرادته (رَاضِيَةً) بالثواب (مَرْضِيَّةً) عند الله بعملك : أى جامعة بين الوصفين وهما حالان ؛ ويقال لها فى القيامة (فَأَدْخُلِي فِي جَمَلَةِ عِبَادِي) الصالحين (أَدْخُلِي جَنَّتِي) مهمم :

تلك انعامى صحيح لأنه متى ثبت لها الإيمان عند الموت تحققت بذلك الحجاب فكلام المفسر من جوامع الكلام (قوله ارجعى إلى ربك) هو خبر فى المعنى وإن كان أمراً فى الظاهر (قوله عند الموت) قال عبد الله ابن عمر إذا توفى العبد المؤمن أرسل الله من وجلى

إليه ملكين وأرسل إليه بشفقة من الجنة فيقال اخرجى أيها النفس المطمئنة اخرجى إلى روح وريحان وربك عنك راض فتخرج كأطيب ريح مسك وجده أحد فى أنفه والملائكة على أرجاء السماء يقولون قد جاء من الأرض روح طيبة ونسمة طيبة فلا تتر بباب الإفتح لها ولا يملك إلا صلى عليها حتى يوثى بها الرحمن جل جلاله فتسجد له ثم يقال لميكائيل اذهب بهذه النفس فاجعلها مع أنفس المؤمنين ثم يؤمر فيوسع عليه قبره سبعون ذراعاً عرضه وسبعون ذراعاً طوله وينبذ فيه الروح والريحان ، فإن كان معه شئ من القرآن كفاه نوره وإن لم يكن جعل له نور مثل نور الشمس فى قبره ويكون مثله مثل العروس بنام فلا يوقظه إلا أحب أهله إليه ، وإذا توفى الكافر أرسل الله إليه ملكين وأرسل قطعة من كساء أنثى من كل نثن وأخشن من كل خشن ، فيقال أيها النفس الحبيثة اخرجى إلى جهنم وعذاب أليم وربك عليك غضبان اه وما ذكره المفسر من أن النداء عند الموت أحد قولين ، والآخرا أنه عند البعث ، وفى قوله ارجعى إلى ربك أى صاحبك وهو الجسد فبأمر الله تعالى الأرواح أن ترجع إلى الأجساد وبه قال عكرمة وعطاء والضحاك (قوله فأدخلى فى عبادى) الإضافة للتشريف والإعلاء (قوله وأدخلى جنتى مهمم) أى الصالحين لتفوزى بالنعيم المقيم ، ولأهل الاشارات تفاسير منها أن الله يناديها فى الدنيا بهذا النداء حيث انصفت تلك الصفات يقول لها : يا أيها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك بفنائك عما سواه راضية بأحكامه مرضية له بأوصائك ، فأدخلى فى عبادى الصالحين : أى فكونى معدودة فيهم ومحسوبة منهم وأدخلى جنة شهودى فى الدنيا مادمت فيها وهى الجنة المعجلة ، ويقال لها ذلك أيضاً عند البعث على التفسير المتقدم ويراد حينئذ بالجنة جنة الخلود

سروا بذلك أوله تعالى : ولم يخاف مقام ربه جنتان . أى جنة شهود في الدنيا التى قال فيها العارف ابن القارض رحمه الله
 أنلنا مع الأحباب رؤيتك التى إليها قلوب الأولياء تسارع
 منة الخلود فى العقبى وهذا النداء الواقع فى الدنيا يسمعه العارفون إما فى المنام أو بالإلهام وتقدم تقسيم النفس وما أخذ كل
 من فى سورة القيامة .

[سورة البلد مكية] أى بالإجماع (قوله زائدة) هذا أحد احتمالين والآخر أنها نافية لكلام تقدمها وتقدم ذلك (قوله
 كة) أى لأنها هبطت الرحمت بجبي إليها ثمرات كل شئ جعلها الله حرما آمنا ومثابة للناس وجعل فيها قبلة أهل الدنيا بأمرها
 حرّم فيها الصيد وجعل البيت العمور بإزائه وغير ذلك من فضائلها ، فلما استعجمت تلك المزايا والفضائل أقسم الله تعالى بها
 بقوله وأنت حلّ بهذا البلد) جملة حالية جىء بها تسمية له صلى الله عليه وسلم وتمجيلا لمسيرته حيث وعده فتح مكة فى المستقبل
 عبر عنه بالحال لتحقيق الوقوع على حد : إنك ميت وإنيهم ميتون ، وقد أنجز الله له ذلك فعند ما نزع الغفر عنه يوم الفتح جاء
 رجل فقال يا رسول الله ابن خطل متعلق بأستار الكعبة فقال اقتلوه فقتله الزبير ، وخصّ هذا الحال لأن مكة وإن كانت
 عظيمة فى نفسها إلا أنها فى تلك الحالة أعظم لا تتقال أهلها من الظلمات إلى النور ، وفيه إشارة إلى عظم قدر المصطفى وشرف
 ببقاع به فكة زادها الله تشريفاً بقدمه عابها وهو حلال (قوله فبالجملة اعتراض) أى لانعلق لها بما قبلها ولا بما بعدها قصد
 بها الاخبار عما سيكون والأحسن جعلها حالية كما علمت لأنه يستفاد منها (٣٠٣) شريف مكة فى تلك الحالة

المستأزم زيادة شريفه
 صلى الله عليه وسلم
 وإكرامه وتهظيمه حيث
 أحلّ له ما لم يحلّ لأحد
 قبله ولا بعده (قوله ووالد
 وما ولد) أقسم الله بهم
 لأنهم أعجب خلقه لما
 فهم من البيان والنطق
 والتدبير واستخراج العلوم
 وفيهم الأنبياء والصلحاء
 ولا سيما أمر الملائكة

(سورة البلد)

مكية ، عشرون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . لَا زَائِدَةَ) (أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ) مكة (وَأَنْتَ) يا محمد
 (يَلِّ) حلال (بِهَذَا الْبَلَدِ) بأن يحل لك فتقاتل فيه وقد أنجز الله له هذا الوعد يوم الفتح
 فبالجملة اعتراض بين القسم به وما عطف عليه (وَوَالِدِ) أى آدم (وَمَا وَلَدَ) أى ذريته ، وما
 بمعنى من (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ) أى الجنس (فِي كَبَدٍ) نصب وشدة يكابد مصائب الدنيا
 وشدائد الآخرة (أَيَحْسَبُ) أيظن (الْإِنْسَانُ) قوى قریش وهو أبو الأشد بن كلدة ،

بالجود لآدم وعليمه جميع الأسماء وما مشى عليه المفسر من أن المراد بما ولد ذريته يستفاد منه العموم للصالح والطالح ، وقيل
 هو قسم بآدم وأصحابه من ذريته ، وأما الطالحون فكأنهم ليسوا من أولاده (قوله لقد خلقنا الإنسان) هذا هو القسم عليه
 (قوله فى كبد) بفتحين المشقة من المكابدة للشئ وهى تحمل المشاق فى فعله ، وفى الآية إشارة إلى أنها قد أحاطت به إحاطة
 الظرف بالمظروف (قوله يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة) وذلك لأنه أول ما يكابد قطع سرته ثم إذا قط قساطا وشدة عليه
 يكابد الضيق والنعيب ، ثم يكابد الارتضاع ولو فاته لضاع ، ثم يكابد نبت أسنانه وتحريك لسانه ، ثم يكابد الفطام الذى هو أشد
 من اللطم ، ثم يكابد الحنان والأوجاع والأحزان ، ثم يكابد تأنيب المعلم وصوته والمؤدب وسياسته والأستاذ وهيبته ، ثم يكابد
 شغل التزويج والتعجيل فيه والتزويج ، ثم يكابد شغل الأولاد والخدم والأجناد وملاحظتهم ، ثم يكابد شغل الدور وبناء القصور
 ثم الكبر والحريم وضمف الركبة والقدم ومصائب يكفر تعدادها ونوائب يطول إيرادها من صداع الرأس ووجع الأضراس
 ورمه المين وغم الدين ، ويكابد مخنا فى المال والنفس مثل الضرب والحبس ، ولا يضى عليه يوم الإيقامى فيه شدة ويكابد
 مشقة ، ثم الموت بعد ذلك كله ، ثم سؤال الملكين وضغطة القبر وظلمته ، ثم البعث والعرض على الله تعالى إلى أن يستقر
 به القرار إما فى جنة وإما فى نار ، هكذا قرره العلماء (قوله وهو أبو الأشد) بفتح الهزة وضم الشين المعجمة وتشديد الدال
 المهمل وهو بالافراد فى كثير من النسخ نجا لكثير من المفسرين ، وفى بعض النسخ الأشدين بصيغة التثنية تبعاً لبعض
 المفسرين لينظر وجهها واسم أسيد بن كلدة .

(قوله بقوته) الباء سببية ومن قوته أنه كان يجعل الأديم العكاظي تحت قدميه ويقول من أزالني عنه فله كذا فيجذبه عشرة
حق تمزق ولا تزول قدماه (قوله أن لن يتدر عليه) أي على بعته ومجازاته (قوله يقول) أي افتخارا (قوله على عداوة محمد)
على بمعنى في (قوله لبدا) بضم اللام وكسرها مع فتح الباء قراءتان سبعيتان جمع أبدية وهو ما تلبد والمراد به الكثرة (قوله
أحسب أن لم يره أحد) استفهام إنكاري (قوله ليس مما يتكرر به) أي يفخر بكثرة لأنه أنفقه فيما ينضب الله (قوله ألم
نجعل له عينين) أي يبصر بهما المرئيات شققناهما له وهو في ظلمة الرحم وقد رنا بياضهما وسوادها وأودعناهما البصر على
كيفية يعجز الخلق عن إدراكها (قوله ولسانا) أي يترجم به عما في ضميره (قوله وشفقتين) أي يستر بهما فاه ويستعين بهما
على النطق والأكل والشرب والنفخ وغير ذلك ، وفي الحديث « يقول الله تعالى يا ابن آدم إن نازعك لسنتك فيما حرمت
عاك فقد أعنتك عليه بطبقتين فأطبق وإن نازعك بصرك إلى بعض ما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقتين فأطبق
وإن نازعك فرجك إلى بعض ما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقتين فأطبق » (قوله طريق الخير والشر) وصف مكان
الخير بالرفعة والتجديده ظاهر بخلاف الشر فإنه هبوط من ذروة الفطرة إلى حضيض الشقوة ففيه تغليب ، والمعنى بينا له أن
طريق الخير نجى وطريق الشر

(٣٠٤)

يردى ، وسلوك الأول روح والثاني مذموم ، وهذا قول ابن عباس

وإن مسعود وقال عكرمة
الجدان الشديان أي
لأنهما كالطريقين حياة
الولد ورزقه (قوله فهلا)
أشار بذلك إلى أن لا بمعنى
هلا للتحضيض وهو أحد
احتمالين والآخراها باقية
على أصلها للنفي أي لم
يشكر على تلك النعم الحيلة
الأعمال الصالحة . إن
قلت لم أفردت لا مع أنها
إذا دخلت على ماض
نكر كقوله تعالى : فلا
صدق ولا صلي . أجيب

قوته (أن) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي أنه (لن يتدر عليه أحد) والله قادر عليه
(يقول أهاكت) على عداوة محمد (مألا أبدا) كثيرا بعضه على بعض (أحسب أن)
أي أنه (لم يره أحد) فيما أنفقه فيعلم قدره والله عالم بقدره وأنه ليس مما يتكرر به
ومجازه على فعله السهي (ألم نجعل) استفهام تقرير أي جعلنا (له عينين . ولسانا وشفقتين .
وهذه ينأه النجدتين) بينا له طريق الخير والشر (فلا) فهلا (أقتحم العقبة) جاوزها
(وما أذريك) أعلمك (ما العقبة) التي يقتحمها تعظيم شأنها والجملة اعتراض وبين سبب
جوازها بقوله (فك رقبة) من الرق بأن أعتقها (أو أطعم في يوم ذي مشقة) مجاعة
(يسقيا ذا مقربة) قرابة (أو مسكينا ذا متربة) أي لصوق بالتراب لفقره وفي قراءة
بدل الفعلين مصدران مرفوعان مضاف الأول لرقبة وينون الثاني فيقدر قبل العقبة اقتحم
والقراءة المذكورة بيانه ،

بأنها مكررة في المعنى كأنه قال فلا فك رقبة ولا طعم مسكينا

(ثم)

(قوله اقتحم العقبة) هي في الأصل الطريق الصعب في الجبل واقتحامها مجاوزتها ثم أطلق على مجاهدة النفس في فعل الطاعات
وترك المحرمات ، والمراد باقتحامها فعلها وتحصيلها والتأبس بها ، إذا علمت ذلك فقول المفسر جاوزها تفسير لاقتحام العقبة
لكن باعتبار الأصل وليس مرادا هنا فلو قال أي تلبس بها ودخلها لكان واضحا ، أو يقال المراد بالعقبة الطريق التي توصل
إلى الجنة فإنه ورد أن بين العبد والجنة سبع عقبات ، والمراد باقتحامها مجاوزتها بفعل الطاعات في الدنيا ، فمعنى قول المفسر
جاوزها : أي فعل أسباب المجاوزة (قوله والجملة اعتراض) أي لبيان العقبة (قوله بأن أعتقها) أي مباشرة وهو ظاهر أو تسببا
كشراء القريب (قوله ذي مشقة) مصدر ميمي بوزن مفعلة من سغب يسغب من باب فرح : جاع ، وقيد الاطعام بذلك الوقت
لأن إخراج المال فيه أثقل على النفس (قوله ذا مقربة) قيد القيمة بكونه قريبا لأنه يجتمع حيث في الاطعام جهة الصلة
والصدقة (قوله أي لصوق بالتراب) أي فهو كناية عن الافتقار (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا (قوله مضاف الأول
لرقبة) أي من إضافة المصدر إلى مفعوله (قوله فيقدر قبل العقبة) إغما احتيج إلى تقدير هذا المضاف ليطلق المصدر المفسر
وذلك لأن المفسر بكسر السين مصدر والمفسر بفتحها وهو العقبة غير مصدر فلو لم يقدر المضاف لكان المصدر وهو فك مفسرا
لاسم العين وهي العقبة وذلك غير جائز ، وأما القراءة الأولى فالفعل فيها بدل من قوله : اقتحم فلا يحتاج إلى تقدير مضاف .

(قوله ثم كان من الذين آمنوا) أتى بضم إشارة لبعث رتبة الإيمان وعاقبها عن رتبة العتق والصدق (قوله ثم للترتيب الذكري) أي لأن الإيمان هو السابق ولا يصح عمل إلا به (قوله بالصبر على الطاعة الخ) أي وعلى ما أصابه من المحن والشدائد (قوله أو لك) مبتدأ وقوله أصحاب اليمين خبره وأتى باسم الإشارة تكميلاً لهم بأنهم حاضرون عنده في مقام قربه وكرامته وذكركم بما يشاء به للبعد تعظيماً لهم وإشارة لعل درجاتهم وارتفاعها (قوله أصحاب اليمين) أي الذين يؤتون كنهم أي بيمانهم أولاً من منزلهم عن بين العرش (قوله هم أصحاب الشأمة) ذكركم بضمير الغيبة إشارة إلى أنهم غائبون عن حضرة قدسه وكرامة أمه (قوله الشمال) أي لأنهم يأخذون كتبهم بشمالهم ، أولاً من منزلهم عن الشمال (قوله عليهم نار) خبر ثان أو مستأنف (قوله بالهمز والواو) أي فهما قراءتان سبعيتان ولما كان جيبان ، يقال آصت الباب وأوصدته إذا أعاقته وأطبقته (قوله مطبقة) أي عليهم تفسير لكل من القراءتين ، والمعنى لا يخرجون منها أبداً ولا يدخلها روح وربحان .

[سورة والشمس مكية] أقسم الله سبحانه وتعالى بسبعة أشياء إظهاراً لعظمة قدرته وانفراده بالألوهية وإشارة إلى كثرة مصالح تلك الأشياء وعموم نفعها (قوله وضحاها) أي وهو وقت ارتفاعها . (٣٠٥) والحاصل أن الضحوة ارتفاع النهار والضحى بالضم والقصر فوق لك والضحى بالفتح والدا إذا امتد النهار وكاد يتصف (قوله ضوئها) هو أحد أقوال الثلاثة وقيل هو النهار كله ، وثالثها هو حر الشمس وحكمة القسم بذلك أن العالم في وقت غيبة الشمس عنهم كالأموات فإذا ظهر أثر الصبح صارت الأموات أحياء ونكلمات الحياة وقت الضحوة ، وهذه الحالة تشبه أحوال القيامة ووفت الضحى يشبه استقرار أهل الجنة

(ثُمَّ كَانَ) عطف على افتتحهم وضم للترتيب الذكري والمعنى كان وقت الافتتاح (مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا) أوصى بعضهم بعضاً (بِالصَّبْرِ) على الطاعة وعن المصيبة (وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَةِ) الرحمة على الخلق (أُولَئِكَ) الموصوفون بهذه الصفات (أَصْحَابُ الْيَمِينِ) اليمين (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الشَّأْمَةِ) الشمال (عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّوَصَّدَةٌ) بالهمزة والواو بدله : مطبقة .

(سورة والشمس)

مكية ، خمس عشرة آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا) ضوئها (وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا) تبعها طامعاً عند غروبها (وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّاهَا) بارتفاعه (وَاللَّيْلُ إِذَا بَغَّشَاهَا) بغطائها بظلمته وإذا في الثلاثة لجود الظرفية والعامل فيها فعل القسم (وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا) والأرض وَمَا طَوَّاهَا) بسطها (وَنَفْسٍ) بمعنى نفوس (وَمَا سَوَّاهَا) في الخلقة ،

فيها (قوله تبعها) أي ظهر صوته وساطاته بعد غروبها وحدها في انبساط الصفاء فلا يبقى فيه قد يوحد مصاحباً لها كالليلة الخامسة من الشهر مثلاً (قوله طامعاً عند غروبها) حال من ضمير تبعها ، والمراد ظهوره بعد غيبتها في أي وقت من الليل فيشمل أول الشهر وأوسطه وآخره (قوله والنهار إذا جلاها) الضمير المستتر المرفوع إما عائد على النهار أو على الله تعالى والبارز المنصوب إما للشمس أو للظلمة ، والمعنى أظهرها وكشفها (قوله والليل إذا بغشها) أتى به مضارعاً ولم يقل ضميراً مراعاة للفواصل أو إشارة لدوام القسم بهذا الأمر واستمراره شيئاً بعد شيء فلم يلتزم فيه صيغة الماضي وأتى به متوسطاً لإشارة إلى أن ما قبله وما بعده محمول عليه (قوله يغطها بظلمته) أي فيزيل ضوءها فالنهار يحجبها ويظهرها والليل يغطها ويسترها (قوله لجود الظرفية) من إضافة الصفة للموصوف أي الظرفية المجردة عن الشرطية (قوله والعامل فيها فعل القسم) استشكل بأنه يلزم عليه اختلاف العامل والمعمول في الزمان وذلك لأن فعل القسم إنشاء وزمانه الحال وإذا للاستقبال ، وحينئذ فلا يصح عمله في إذا . أجيب بأن فعل القسم يدل على الحال ما لم يكن مقروناً بظرف يفيد الاستقبال كذا وإلا فيكون للاستقبال تبعاً لعمومه (قوله بسطها) أي على الماء (قوله نفس نفوس) أشار بذلك إلى أن التشكيك للتكثير (قوله وما سواها في الخلقة) أي عدلها على هذا القانون المحكم والتركيب المثلث .

[٣٩ - صاوي - رابع]

(قوله وما في الثلاثة مصدرية) أي وبناء السماء الخ وحينئذ قال الكلام إما على حذف مضاف : أي ورب البناء والطحو والنسوية أو القسم بتلك الأشياء لعظمتها وجلالة قدرها كما تقدم في القسم بالشمس ونحوه (قوله أو بمعنى من) أي ومن بناها الخ وبه استدلال من يجوز وقوعها على آحاد أولى العلم لأن المراد به الله تعالى (قوله فألهمها فجورها وتقواها) الإلهام في الأصل إلقاء شيء في القلب بطريق الفيض ينشرح له الصدر ويطمئن ثم أطاق هنا على مطلق التبیین (قوله طريق الخير والشر) لف ونشر مشوش (قوله حذفت منه اللام لطول الكلام) لأن الماضي المثبت المتصرف الذي لم يتقدم معموله عليه إذا وقع جواباً للقسم تلزمه اللام وقد ويجوز الاختصار على أحدها عند طول الكلام أو للضرورة (قوله من زكاهما الخ) الفاعل ضمير من في الموضعين ، وقيل ضمير عائذ على الله تعالى والتقدير من زكاهما الله بالطاعة وقد خاب من دساها الله بالمعصية (قوله وقد خاب من دساها) كرر قد إشارة لمزيد الاعتناء بمضمونها (قوله وأصله دسها) مأخوذ من الدسيس وهو الاخفاء والمعنى أخفها وأخفها بالكفر والمعصية لأن المعاصي تذل النواصي (قوله كذبت ثمود) مناسبة لما قبلها أنه لما أقسم بتلك الأنعام المذكورة على فلاح المطيع وخيبة العاصي ذكر في تلك القصة المطيع وهو صالح عليه السلام والمعاصي وهو قومه (قوله بسبب طغيانها) أشار بذلك إلى أن الباء سببية (قوله إذ أنبعث) مطاوع بعث تقول بعثت فلانا على الأمر فانبعث له والباءت لهم على ذلك التكذيب (٣٠٦) واطغیان (قوله واسمه قدار) أي بوزن غراب ابن سالف وهو أشقى

وما في الثلاثة مصدرية ، أو بمعنى من (فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا) بين لها طريق الخير والشر ، وآخر التقوى رعاية لرءوس الآي ، وجواب القسم (قَدْ أَفْلَحَ) حذفت منه اللام أطول الكلام (مَنْ زَكَّاهَا) طهرها من الذنوب (وَقَدْ خَابَ) خسر (مَنْ دَسَّاهَا) أخفها بالمعصية وأصله دسها أبدلت السين الثانية ألفاً تخفيفاً (كَذَّبَتْ ثَمُودُ) رسولها صالحاً (بِطَغْوَاهَا) بسبب طغيانها (إِذِ انْبَعَثَ) أصرع (أَشْقَاهَا) واسمه قدار إلى عقر الناقة برضام (فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ) صالح (نَاقَةَ اللَّهِ) أي ذروها (وَسُقِيَّاهَا) شربها في يومها وكان لها يوم ولهم يوم (فَكَذَّبُوهُ) في قوله ذلك عن الله المرتب عليه نزول العذاب بهم إن خالفوه (فَمَقَرُّوْهَا) قتلوها ليسلم لهم ماء شربها (فَدَمْدَمَ) أطبق (عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ) العذاب (بِأَنَّهُمْ قَسَوْاَهَا) أي الدمدمة عليهم ، أي همهم بها فلم يفلت منهم أحد ،

الأولين وكان رجلاً أشقى أزرق قصباً وفي الحديث «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعل بن أنى طالب : أتدرى من أشقى الأولين ؟ قلت الله ورسوله أعلم ، قال عافر الناقة ، قال أتدرى من أشقى الآخرين ؟ قلت الله ورسوله أعلم ، قال قالك» (قوله برضام) قال قتادة بلغنا أنه لم يعقرها حتى

تابعه صغيرهم وكبيرهم وذ كرم وأنثاهم (قوله فقال لهم) أي بسبب الانبعاث ، والمعنى أنه لما عرف منهم العزم على عقرها قال لهم ما ذكر (قوله ناقة الله) الإضافة للتشريف من حيث إنها دالة على توحيد الله بسبب ما فيها من الأمور الغريبة المخالفة للعادة التي لا يمكن من غيره تعالى (قوله أي ذروها) أشار بذلك إلى أن ناقة منصوب على التحذير والكلام على حذف مضاف : أي ذروا عقرها واحذروا سقياها (قوله شربها) بضم الشين وكسرهما إسمان وفتحها مصدر شرب ، والمعنى وشربوها (قوله ولهم يوم) أي يشربون فيه هم ومواسيهم (قوله فسكذبوه) أي استمروا على تكذيبه (قوله في قوله ذلك عن الله) دفع بذلك ما يقال إن تحذيرهم من الناقة وسقياها إنشاء والتكذيب من معارض الاخبار ، فأجاب المفسر بأن تكذيبه من حيث نقله عن الله فهو خبر (قوله المرتب عليه نزول العذاب بهم) وذلك أن صالحاً قال لهم ياتيكم العذاب بعد ثلاثة أيام ، قالوا وما العلامة على ذلك العذاب ؟ قال تصبحون في اليوم الأول وكان هو الأرباء وجوهكم مصفرة ، وفي اليوم الثاني وهو الخميس وجوهكم محمرة ، وفي الثالث وهو الجمعة وجوهكم مسودة ، وفي الرابع وهو السبت ياتيكم العذاب ، فحصل ذلك وتقدم بسطه (قوله فمقروها) أي عقرها قدار في رجلها فأوقعها فذبحوها واقتسموا لحمها (قوله ماء شربها) أي الماء الذي كانت تشربه (قوله فدمدم أطبق عليهم الخ) أي فهو مأخوذ من الدمدمة وهي إطباق الشيء على الشيء يقال دمدم عليه القبر أطبقه ، والمعنى أهلكهم (قوله فلم يفلت منهم أحد) أي إلا من آمن مع صالح وهم أربعة آلاف .

(قوله بالواو والقاه) أى فهماسميتان أما الواو فأما الحال أو مستأنفة والقاه التعقيب (قوله تبعها) أى عاقبة هاسكتهم كاتخاف فلوك عاقبة ما فعله فهو استعارة تمثيلية لإهانتهم وإذلالهم ويجوز عود الضمير على الرسول : أى أنه لا يخاف عاقبة إنذاره هم نصمته بالله تعالى ، وقيل الضمير يرجع للعاقبة فهو زيادة في التوبيخ عليه .

[سورة الليل مكية] هذه السورة نزلت في أنى بكر الصديق رضى الله عنه وفي أمية بن خلف ، فالصديق باع الغاية في الإيمان والصدق والكرم ، وأميه باع الغاية في الكفر والكذب والبخل والعبثة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (قوله والليل إذا ينشئ) أقسم به تعالى لسكونه جليلا عظيما تسكن الخلق فيه عن التحرك وينشأهم النوم الذى هو راحة لأبدانهم (قوله كل ما بين السماء والأرض) أشار به إلى أن مفعول ينشئ محذوف تقديره كل ما بين السماء والأرض ، وقيل تقديره النهار أو الشمس وكل صحيح (قوله والنهار إذا تجلى) أقسم به لأنه مظهر جمال الله إذ به ينكشف ما كان مستورا بظلمة الليل وفيه تحريك الناس لما يشعرون بالطور من أوكارها والهوام من مكانها فلو كان الدهر كله ليلا لتعذر المعاش ولو كان كله نهارا لعدمت الراحة فكانت المصاحبة في تعاقبهما (قوله لمجرد الظرفية) أى الظرفية المجردة عن الشرط (قوله والعامل فيها فعل القسم) أى المقدر ويأتى هنا ما تقدم من الاشكال والجواب (قوله بمعنى من) أى فهمى اسم موصول ويكون تعالى أقسم بنفسه : أى والقادر على خلق الذكر والأنثى (قوله أو مصدرية) أى وخلق الله الذكر والأنثى (قوله أى تعاقبت قدرته بخلقهما

(وَلَا) بِالْوَاوِ وَالْقَاهِ (يَخَافُ) تَعَالَى (تَعْقِبُهَا) تَبِعْتَهَا .

(سورة الليل)

مكية ، إحدى وعشرون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى) بظلمته كل ما بين السماء والأرض (وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَافَى) تنكشف وظهور وإذا في الموضعين لمجرد الظرفية والعامل فيها فعل القسم (وَمَا) بمعنى من أو مصدرية (خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى) آدم وحواء ، أو كل ذكر وكل أنثى والحنثى المشكل عندنا ذكر أو أنثى عند الله تعالى فيحدث بتكليمه من حلف لا يكلم ذكرا ولا أنثى (إِنَّ سَعْيَكُمْ) عملكم (شَتَّى) مختلف ، فعامل للجنة بالطاعة وعامل للنار بالمعصية (فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ) حق الله (وَأَنْتَى) الله (وَصَدَقَ بِالْحُسْنَى) أى بلا إله إلا الله فى الموضعين (فَسَفِيسَرُهُ لِلْيُسْرَى) للجنة (وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ) بحق الله ،

(قوله آدم وحواء) أى فتكون آل للعهد (قوله أو كل ذكر وكل أنثى) أى من جميع المخلوقات قال للاستغراق ، وقيل كل ذكر وكل أنثى من الآدميين فتكون آل استغراقية استغراقا عرقيا (قوله والحنثى المشكل) مبتدأ وقوله عندنا طرف لقوله المشكل ، وقوله ذكر الخ خبر وقوله عند الله ظرف لقوله ذكر الخ

وهو جواب عن سؤال مقدر تقديره لم يدخل الحنثى المشكل فى عموم لذكر ولا فى عموم الأنثى فأجاب بما ذكر (قوله فيحدث بتكليمه) أى لأن الله تعالى لم يخلق من ذوى الأرواح من ليس ذكرا ولا أنثى والحنثى إنما هو مشكلا بالنسبة إلينا خلافا لمن قال هو نوع ثالث ويرده قوله تعالى - يهب لمن يشاء إناثا - الآية (قوله إن سعيكم لشتى) جواب القسم وسعيكم مصدر مضاف بفيد العموم فهو جمع فى المعنى وإن كان لفظه مفردا ولذا أخبر عنه بالجمع وهو شتى فهو بمعنى مساعيكم (قوله مختلف) أى متباعد الأبعاد لأنه منقسم إلى ضلال وهدى والضلال أنواع والهدى أنواع ويصح أن المعنى مختلفا لجزاء فمنكم مثاب بالجنة ومعاقب بالنار (قوله فأما من أعطى) تفصيل لتلك المساعي المختلفة وتبيين لأحكامها (قوله حق الله الخ) أشار بذلك إلى أن مفعول أعطى واتقى محذوفان لإفادة العموم فيشمل إعطاء حقوق الله فى المال بانفاقه فى وجوه البر والنفس ببذلها فى طاعة الله تعالى وتقوى الله تعالى هى امتثال مأموراته واجتناب منهياته (قوله أى بلا إله إلا الله) أى مع محمد رسول الله ، وقيل المراد بالحسنى الجنة لقوله تعالى - للذين أحسنوا الحسنى - ومعنى تصديقه بها إيمانه بالبعث والجزاء (قوله فسفيسره لليسرى) التنفيس ليس مرادا لأن التيسير حاصل فى الحال وإنما الاتيان بالسين لتحسين الكلام وترقيقه (قوله الجنة) أى لما ورد «تامن نفس نفوسة إلا كتب الله مكانها من الجنة أو النار» فقال القوم يا رسول الله أفلا تتكل على كتابنا ؟ فقال صلى الله عليه وسلم بل أعمالوا فكل مبسر لما خلق له أما من كان من أهل السعادة فله مبسر لعمل أهل السعادة وأما من كان من أهل الشقاوة فله مبسر

لعمل أهل الشقاوة ثم قرأ - فأما من أعطى واتقى وصلى بالحسنى فسنيسره اليسرى - وقيل معنى اليسرى أسباب الخير والصالح (قوله واستغنى عن ثوابه) أى تكبرا وعنادا (قوله بالحسنى) أى بالتوحيد أو الجنة (قوله نهيمته) دفع بذلك ما يقال إن اليسرى لا تبسیر فيها . فأجاب بأن المراد بالتبسير التهيئة وهى كما تكون فى اليسر تكون فى العسر ، والمعنى نجري على يديه هملا يوصله إلى النار (قوله وما يغنى عنه ماله) متعلق بالشق الثانى ، والمعنى إذا هيأناه لعمل النار سقط فيها وهلك ولا ينفعه ماله لدى بخل به وتركه لورثته (قوله إذا تردى) أى سقط (قوله إن علينا للهدى) أى بمقتضى حكمنا وتعاقد قدرتنا وبلا فلا يجب على الله تعالى شئ (قوله لتبين طريق الهدى الخ) دفع بذلك ما يقال إن فى الآية اكتفاء والتقدير إن علينا للهدى والضلال أى تبين كل منهما وإيضاح جواب المفسر أن المراد بالهدى التبين ومعموله محذوف والتقدير إن علينا لتبين طريق الحق من طريق الباطل (قوله فمن طلبهما من غيرنا فقد أخطأ) أى فهذه الآية بمعنى قوله تعالى - من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة (قوله ناظى) مرفوع بضمه مقدرة على الألف للتعذر صفة لنا را (قوله وقرى) أى شذوذا (قوله لا يصلاها) مضارع على بكسر اللام والمصدر صليا بضم فكسر مع تشديد الياء (قوله وهذا الحصر مؤول) أى مصروف عن ظاهره وقصد المفسر بهذا الكلام الرد على المرجئة القائلين لا يضر مع الإيمان ذنب مستدلين بظاهر هذه الآية حيث حصر دخول النار فى الكفار فقطضاها (٣٠٨) أن المؤمن لا يدخلها ولو فعل الكبائر ، ووجه الرد أن الآية محمولة على

الدخول المؤبد فلا ينافى أن عصاة المؤمنين يدخلونها ثم يخرجون منها بالشفاعة ، إذا علمت ذلك تعلم أن كلام المفسر لا يلاقى كلام المرجئة فكان عليه أن يقول مؤول بحمل الصلى على التأييد والخلود وأما قوله لقوله تعالى - ويغفر مادون ذلك لمن يشاء - فلا مدخل له فى رد كلام المرجئة إلا أن يقال له

(وَأَسْتَغْنَى) عن ثوابه (وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى . فَسَنِيَعُ رُهُ) نهيمته (لِلْيسْرِى) للنار (وَمَا) نافية (يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى) فى النار (إِنَّ عَلَيْنَا لِلْهُدَى) لتبيين طريق الهدى من طريق الضلال ليمثل أمرنا بسلوك الأول ونهيمنا عن ارتكاب الثانى (وَأَنَّ لَنَا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَى) أى الدنيا فمن طلبهما من غيرنا فقد أخطأ (فَأَنْذَرْتُكُمْ) خوفكم يا أهل مكة (نَارًا تَآظَى) بجذف إحدى التاءين من الأصل ، وقرى بشبوتها : أى تتوقد (لَا يَصْلِيهَا) يدخلها (إِلَّا الْأَشْتَى) بمعنى الشقى (الَّذِى كَذَّبَ) النبى (وَتَوَلَّى) عن الإيمان وهذا الحصر مؤول لقوله تعالى : ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ، فيكون المراد الصلى المؤبد (وَسَيَجْزِيَنَّهُمْ) بعد عنها (الْآتَى) بمعنى التقى (الَّذِى يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى) متزكيا به عند الله تعالى ، بأن يخرج به لله تعالى لارياه ولا سمعة فيكون زاكيا عند الله تعالى . وهذا نزل فى الصديق رضى الله تعالى عنه لما اشترى لأل المعذب على إيمانه وأعتقه ،

مدخل من حيث مفهومه إذ مفهوم لمن يشاء أن من لم يشأ الغفران له لم يغفر له بل يدخله النار (قوله يتزكى) بدل من يؤتى أحوال من فاعله ومشى المفسر على الثانى حيث قال متزكيا (قوله وهذا نزل فى الصديق) الإشارة لقوله وسيجزيهم الآتى الذى يؤتى ماله يتزكى (قوله لما اشترى بلالا) أى من سيده وهو أمية بن خاف وكان الصديق رضى الله عنه يبتاع الضعفة فيعتقهم فقال له أبوه أى بنى لو كنت تبتاع من يمنع ظهرك فقال منع ظهري أر يد فزات الآية ورد أنه كان بلال لبعض بنى جمع وهو بلال بن رباح واسم أمه حمامة وكان صادق الاسلام طهر القلب وكان أمية بن خلف يخرج به إذا حميت شمس فيطرحه على ظهره ببطحاء مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول لا تزال هكذا حتى موت أو تكفر بمحمد فيقول وهو فى ذلك أحد أحد فخر النبى صلى الله عليه وسلم فقال : أحد ينجيك يعنى الله تعالى ، ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم لأبى بكر إن بلالا يعذب فى الله ، فعرف أبو بكر الذى يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنصرف إلى منزله فأخذ رطلا من ذهب ومضى إلى أمية بن خاف فقال له ألا تقبى الله فى هذا المسكين ؟ قال أنت أفسدته فأنقذه بما ترى ، فى رواية أنه قداه برطل من ذهب ، وفى رواية أنه قال له عندى غلام أسود أجلد منه وأقوى وهو على دينك فأعطاء له وأخذ بلالا فأعتقه وقال سعيد بن المسيب : بلغنى أن أمية بن خلف قال لأبى بكر فى بلال حين قال له أتبيعه ؟ قال نعم أبيعه بنسطة بن عبد الله بن بكر وكان نسطاس صاحب عشرة آلاف دينار وغلان وجوار ومواش وكان مشركا حمله أبو بكر على الاسلام على أن يكون ماله له

فأبى فأبضه أبو بكر فلما قال أمية أبيعك بسلامك نسطاس اغتنمه أبو بكر وباعه به ، وكان قد أعتق قبله ست رقاب : وهم عاصم
ابن مغيرة شهد بدرا وأحدًا وقتل يوم بئر معونة شهيدا وأعتق أم عبيس وزهرة فأصيب بصرها حين أعتقها ، فقالت قرين
ما أذهب بصرها إلا اللات والعزى ، فقالت كذبوا وبيت الله ما تضر اللات والعزى ، ما ينفعان فرد الله تعالى عليها بصرها ، وأعتق
الفهرية وابنتها وكاتنا لامرأة لبني عبد الدار فمروا بهما وقد بعثتهما سيدتهما يحتطبان لها وهي تقول لهما والله لأعتقكما أبدا ،
فقال أبو بكر كلا يا أم فلان ، فقالت كلا أنت أفسدتهما فأعتقتهما ، قال فيكم ؟ قالت بكذا وكذا . قال قد أخذتهما وهما حرتان ،
وصدَّ بجارية من بني الرسل وهي تعذب فابتاعها فأعتقها ، وفي ذلك يقول عمار بن ياسر :

جزى الله خيرا عن بلال وصحبه
عشية هما في بلال بسوءة
بتوحيده ربّ الأنعام وقوله
فان تقتلونى تقتلونى ولم أكن
فيارب إبراهيم والعبد يونس
لمن ظل يهوى النوى من آل غالب

(قوله فقال الكفار الخ) المناسب أن يقول ولما قال الكفار إنما فعل ذلك الخ (٣٠٩) نزل قوله تعالى - وما لأحد -

فقال الكفار إنما فعل ذلك ليد كانت له عنده فنزل (وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا) لكن فعل ذلك (أُتْقَانًا وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى) أى طلب ثواب الله (وَأَسَوفَ رَضَى) بما يعطاه من الثواب فى الجنة ، والآية تشمل من فعل مثل فعله رضى الله تعالى عنه فيبعد عن النار ويثاب .

(سورة والضحي)

مكية، إحدى عشرة آية

ولما نزلت كبر صلى الله عليه وسلم آخرها فسن التكبير آخرها ، وروى الأمر به
خاتمتها وخاتمة كل سورة بعدها ، وهو الله أكبر ،

بلال ولا غيره (قوله تجزى) صفة لنعمة : أى يحزى الإنسان بها وآتى به مضارعا مبذيا للمفعول غاية للأواصل (قوله لكن فعل ذلك الخ) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع لأن ابتغاء وجه ربه ليس من جنس النعمة وهو منصوب على أنه مفعول لأجله (قوله وسوف يرضى) جواب قسم مقتر : أى والله وسوف يرضى وهو وعد من الكريم تعالى لأبى بكر بنيل جميع ما يتمناه على أبلغ وجه وأجمله والعامية على بناء يرضى للفاعل وقرئ شذوذاً يبين أنه للمفعول أى يرضيه الله : أى يعطيه حتى يرضى . [سورة الضحى مكية] (قوله كبر) أى قال الله أ كبر وأولاه إلا الله والله أ كبر وأولاه إلا الله والله أ كبر والله الحمد وحكمة تكبيره تذكره عظمة نعمة الله تعالى عليه فشكر ربه على ذلك ولم تشغله النعم عن المنعم (قوله فسق التكبير آخرها) أى أخذ من فعله عليه الصلاة والسلام ومن أمره . واعلم أنه اختلاف هل التكبير لأول السورة أو لخاتمها فعلى الأول يكبر بين الليل والضحى وفى أول الناس ولا يكبر فى آخرها وعلى الثانى لا يكبر أول الضحى ويكبر آخر الناس ومفشأ الخلاف أنه كان تكبيره صلى الله عليه وسلم آخر قراءة جبريل وأول قراءته هو صلى الله عليه وسلم . واعلم أيضاً أنه يتأتى على القولين المذكورين حال وصل السورة بما بعدها ثمانية أوجه يمنع منها وجه واحد وهو وصل آخر السورة بالتكبير بالبسملة مع الوقف عليها لئلا يتوهم أن البسملة لآخر السورة والسبعة الباقية جائزة اثنان منها على تقدير أن يكون التكبير لآخر السورة وهما وصل التكبير بآخر السورة التى بعدها والوقف عليه مع وصل البسملة بأول السورة التى بعدها ووصل بآخر السورة والوقف عليه وعلى البسملة فيقف على كل منهما وقفا مستقلا واثنان منها على تقدير أن يكون لأولها وهما قطعه عن آخر السورة ووصله بالبسملة مع الوقف عليها ثم الابتداء بأول السورة وقطعه عن آخر السورة ووصله بالبسملة مع وصلها بأول

السورة ، ثلاثه محتملة للتقديرين وهي وصل التكبير بآخر السورة وبالبسملة وبأول السورة التي بعدها وقطعه عن آخر السورة وعن البسملة مع وصل البسملة بأول السورة وقطعه عن آخر السورة وعن البسملة وقطع البسملة عن أول السورة وهذه الأوجه السبعة تجرى من آخر الضحى إلى آخر الفاق . وأما بين الليل والضحى فيجوز خمسة أوجه فقط الاثنان على تقدير كونه لأول السورة والثلاثة المحتملة وبين الناس والفاحة يجوز خمسة أيضا الاثنان على تقدير كونه لآخر السور والثلاثة المحتملة (قوله أولا إله إلا الله) هذه هي النسخة الصحيحة وفي بعض النسخ ولا إله إلا الله بالواو وهي بمعنى أوفأفاد المفسر روايتين و بقيت رواية ثالثة وهي الجمع بين التهايل والتكبير والتحميد وعليها العمل (قوله والضحى الخ) قدم الضحى هنا على الليل وفي السورة التي قبلها قدم الليل وذلك لأن في كل مزية تقتضى تقديمه ، فقدم هذا تارة والآخر أخرى فالليل به السكون والهدوء وحل الخلوات والعطايا الربانية والنهار به النور والسمي في المصالح واجتماع الناس أو لأن السورة المتقدمة سورة أبي بكر وهو قد سبق له الكفر فقدم فيها الليل وهذه سورة محمد صلى الله عليه وسلم وهو محض نور فقدم فيها الضحى . إن قلت ما الحكمة في ذكر الضحى وهو ساعة وذكر الليل بجملته . أجيب بأن في ذلك إشارة إلى أن ساعة من النهار توازي جميع الليل كما أن محمدا يوازي جميع الخلق وأيضا الضحى وقت سرور والليل وقت وحشة ففيه إشارة إلى أن سرور الدنيا أقل من سرور الله (قوله أو كله) أى وعليه ففيه مجاز من إطلاق الجزء على الكل (قوله إذا سجدى) إذا لجرد الظرفية والعامل فيها فعل القسم المقدر كما تقدم نظيره (قوله غطى بظلامه) أى كل شئ (قوله أو سكن) إسناد السكون له مجاز عقلى والمعنى سكن أهله من من إسناد الشئ لزمانه (قوله ماودعك) بالتشديد في قراءة العامة من التوديع وهو في الأصل مفارقة المحبوب مع التألم أطلق وأريد منه مطلق الترك بدليل القراءة (٣١٠) الشاذة بالتخفيف من الودع وهو الترك (قوله وما فى) مضارعه من

أولا إله إلا الله والله أكبر (بسم الله الرحمن الرحيم . والضحى) أى أول النهار أو كله (والليل إذا سجدى) غطى بظلامه أو سكن (ماودعك) تركك يا محمد (ربك وما قلى) أبغضك ، نزل هذا لما قال الكفار عند تأخر الوحي عنه خمسة عشر يوما إن ربه ودعه وقلاه (والآخرة خير لك) لما فيها من الكرامات لك (من الأولى) الدنيا ،

باب ضرب وقتل (قوله نزل هذا الخ) اختلف في سبب نزول هذه الآية على أربعة أقوال : الأول ما روى أنه صلى الله عليه وسلم اشتكى ليلتين

أو ثلاثا فجاءت أم جميل امرأة أبي لهب وقالت يا محمد إنى لأرجو أن يكون شيطانك ركك (ولسوف لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاثا فنزلت. الثاني أنه أبطأ الوحي حتى شق عليه فجاءه وهو واضع جبهته على الكعبة يدعو وأنزل عليه الآية. الثالث ما روى أن خولة كانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم فقالت إن جروا دخل البيت فدخل تحت السرير فمات فمكث النبي صلى الله عليه وسلم أياما لا ينزل عليه الوحي فقال صلى الله عليه وسلم «يا خولة ما حدث في بيتي إن جبريل لا يأتينى قالت خولة فمكنت فأهويت بالمكينة تحت السرير فإذا جرو ميت فأخذته فألقيته خلف الجدار فجاء نبي الله صلى الله عليه وسلم ترعد لحياه وكان إذا نزل عليه الوحي استقبلته الرعدة فقال يا خولة دثرينى فلما نزل جبريل عليه سأل النبي عن التأخر فقال أما علمت أنا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة. الرابع ما روى أن اليهود سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن الروح وذى القرنين وأصحاب الكهف فقال صلى الله عليه وسلم سأخبركم غدا ولم يقل إن شاء الله فأحتبس عنه الوحي إلى أن نزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله وأخبره بما سأل عنه ونزلت هذه الآية (قوله خمسة عشر يوما) هذا قول ابن عباس وقال ابن جرير اثني عشر يوما وقال مقاتل أر بعون يوما روى أنه لما جاءه جبريل قال له ما جئت حتى اشتقت إليك فقال جبريل إنى كنت إليك أشوق ولكنى عبد مأثور وأنزل عليه وما تنزل إلا بأمر ربك (قوله والآخرة) اللام للابتداء مؤكدة لضمون الجملة (قوله خير لك) إنما قيد بقوله لك لأنها ليست خيرا لكل أحد بل للناس على أربعة أقسام : منهم من له الخير في الدارين وهم أهل الطاعة الأغنياء ، ومنهم من له الشر فيهما وهم الكفرة الفقراء ، ومنهم من له صورة خير في الدنيا وشر في الآخرة وهم الكفرة الأغنياء ، ومنهم من له صورة شر في الدنيا وخير في الآخرة وهم الفقراء المؤمنون . قال بعض أهل الإشارات في الآية إشارة إلى أنه صلى الله عليه وسلم دائما يترقى في الكمالات إلى غير نهاية فقامه في المستقبل أعلى منه في الماضي ، وهكذا وبدل لذلك أيضا قوله في الحديث لا إني إيمان على قلبى فأستغفر الله

في اليوم سبعين مرة ، فاستغفاره لكونه ارتقى مقاماً أعلى من الأول ، فرأى أن الذي انتقل منه بالنسبة للذي انتقل إليه ذنباً (قوله وسوف يعطيك ربك في الآخرة) المناسب أن تبقى الآية على عمومها لأن إعطاءه حتى يرضى ليس قاصراً على الآخرة بل عام في الدنيا والآخرة فهو وعد شامل لما أعطاه له من كمال النفس وظهور الأمر وإعلاء الدين ولما ادخله مما لا يعلم كنهه سواء تعالى وقيل عطاؤه هو الشفاعة وقيل يعطيك ألف قصر من لؤلؤ أبيض ترابها المسك وفيها ما يليق بها والحق التعميم بما لا يعلم كنهه إلا الله تعالى (قوله وواحد من أمي) أي الموحدين فالمراد أمة الاجابة وقد أشار لذلك بعض العارفين بقوله :

قرأنا في الضحى وسوف يعطى فسر قلوبنا ذاك العطاء

وحاشا يا رسول الله ترضى وفيما من يهذب أو يساء

(قوله ألم يجدك يتيماً الخ) التصد من هذا نسلته صلى الله عليه وسلم ليزداد شكراً وصبراً والوجود بمعنى العلم فيتيماً مفعول ثان والكاف مفعوله الأول (قوله استفهام تقريرى) أي بما بعد النقي (قوله بفقد أبيك) مصدر مضاف لمفعوله (قوله قبل ولادتك) أي بعد حملها شهرين وقيل قبل ولادته شهرين ، وقوله أو بعدها أي وعليه فقيل شهرين وقيل بسبعة وقيل بتسعة أشهر وقيل ثمانية وعشرين شهراً والمصحيح الأول وكانت وفاته بالمدينة الشريفة ودفن في دار التبابعة وقيل دفن بالأبواء قرية من أعمال الفرع وتوفيت أمه وهو ابن أربع سنين وقيل خمس وقيل ست وقيل سبع وقيل ثمان وقيل تسع وقيل اثني عشرة سنة وشهر وعشرة أيام وكانت وفاتها بالأبواء وقيل بالحجون ومات جده عبد المطلب وهو ابن ثمان سنين فكفله عمه أبو طالب لأنه كان شقيق أبيه ، « وورد أنه لما مات أبواء قالت الملائكة بئى نبيك يتيم فقال الله تعالى : أنا له كافل » وسئل بعض العلماء لم يتم صلى الله عليه وسلم فقال لئلا يكون الخلق (٣١١) عليه منة فيتمه صلى الله عليه وسلم

كأن ولذا قال البوصيرى :

كفاك بالعلم في الأمي

معجزة

في الجاهلية والتأديب

في اليتيم

(قوله فأوى) العامة

(وَلَوْ فَيَطِّعُكَ رَبُّكَ) في الآخرة من الخيرات عطاء جزيلاً (فَتَرْضَى) به ، فقال صلى الله عليه وسلم : إذن لأرضى وواحد من أمي في النار ، إلى هنا تم جواب القسم بمثبتين بعد « فَيُتَمِّينَ » (ألم يجدك) استفهام تقريرى أي وجدك (يَتِيماً) بفقد أبيك قبل ولادتك أو بعدها (فَأَوَى) بأن ضمك إلى عمك أبي طالب (وَوَجَدَكَ ضَالاً) عما أنت عليه الآن من الشريعة (فَهَدَى) أي هداك إليها (وَوَجَدَكَ

على قراءته بألف بعد الهمزة رباعياً من آواه يؤويه وأصله أوى بهمزين الأولى مفتوحة والثانية ساكنة أبدلت الثانية ألفاً ومصدره الإيواء كالأكرام وهو متعد باتفاق وقرئ شذوذاً بغير ألف ثلاثياً كرمي ومصدره إواء بوزن كتاب وأوى بوزن فقول بالضم وأوى بوزن ضرب وهو يستعمل لازماً ومتعدياً (قوله بأن ضمك إلى عمك أبي طالب) أي بعد وفاة جدك عبد المطلب وقيل هو من قولهم درة يقيمة ، والمعنى ألم يجدك واحداً في قريش عديم النظير فأواك إليه وشرفك بنبوته واصطفاك برسالته (قوله ووجدك ضالاً عما أنت عليه الآن من الشريعة) أي وجدك خالياً من الشريعة فهداك بانزالها إليك والمراد بخلاله كونه من صير شريعة وليس المراد به الانحراف عن الحق لكونه مستحيلاً عليه قبل النبوة وبعدها فهذا كقوله تعالى : ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان وما ذكره المفسر أحد أقوال في تفسير الآية وقيل الضلال بمعنى الغفلة قال تعالى وإن كنت من قبله لمن الغافلين وهو قريب من الأول وقيل وجدك ضالاً أي في قوم ضلال فهداهم الله تعالى بك وقيل وجدك ضالاً عن الهجرة فهداك إليها ، وقيل ناسياً شأن الاستثناء حين سئلت عن أصحاب الكهف وذى القرنين والروح فذكرت وقيل وجدك طالبا للقبلة فهداك إليها قال تعالى قد نرى قلب وجهك في السماء الآية فيكون الضلال بمعنى الطلب والحب قال تعالى إنك أنى ضلالك القديم أي محبتك ، وقيل إن حليمة لما قضت حق الرضاع جاءت برسول الله صلى الله عليه وسلم لترده على عبد المطلب فسمعت عند باب مكة هنيئاً لك يا بطحاء مكة اليوم يرد الله إليك النور والبهاء والجمال قالت فوضعت له لأصالح شأتى فسمعت هدة شديدة فالتفت فلم أره فقلت يا معشر الناس أين الصبي فقالوا لم نر شيئاً فصحت واحمداه فإذا شيخ فان يتوكأ على عصاه فتال اذهبي إلى الصنم الأعظم فان شاء أن يردك إليك فعل ثم طاف الشيخ بالصنم وقبل رأسه ، وقال يا رب لم تزل منتك على قريش وهذه السعدية تزعم أن ابنها قد ضل فردة إن شئت فانسكب على وجهه وتساقطت الأصنام وقالت إليك هذا أيها الشيخ فهلا كنا على يد محمد فالتى الشيخ عصاه وارعد وقال إن لابنك ربا لا يضيعه فاطلبه على مهل فانحشرت قريش

لى عبد المطالب وطاوه في جميع مكة فلم يجدوه فطاف عبد المطالب بالسكبة سبعا ونضرع إلى الله تعالى أن يردده فسمعوا مناديا ينادى من السماء معاشر الناس لانضجوا فان لمجدرا بالايضيه وإن محمدا بوادي تمامة عند شجرة السمرقसार عبد المطالب هو وورقة بن نوفل فاذا النبي صلى الله عليه وسلم قائم تحت شجرة يلعب بالأغصان وبالورق ، وفي رواية مازال عبد المطالب يردد البيت حق أتاه أبو جهل على ناقة ومحمد صلى الله عليه وسلم بين يديه وهو يقول ألا تدري ماذا جرى من ابنك يقال عبد المطالب ولم فقال إني أنحت الناقة وأركبته خافي فأبت الناقة أن تقوم فلما أركبته أمأى قامت الناقة قال ابن عباس رده الله تعالى إلى جده بيد عدوه كما فعل موسى عليه السلام حين حفظه عند فرعون وقيل إنه عليه السلام خرج مع عمه أبي طالب في قافلة يسيرة عنده خديجة ، فبينما هو راكب ذات ليلة مظلمة ناقة فجاء إبليس فأخذ بزمام الناقة فعدل بها عن الطريق فجاء جبريل عليه السلام فنفخ إبليس نفخة وقع منها إلى أرض الحبشة ورده إلى القافلة (قوله عاللا) هذه قراءة الإمامة يقال عال زيد أى افتقر وأعال كثرت عياله وقرى شذوذا عيلا بكسر الياء المشددة (قوله بما قنعك به) أى بما رضاءك به وقوله من الغنيمة أى وإن كانت لم تحصل إلا بعد نزول هذه السورة لكن لما كان الجهاد معلوم الوقوع كان كالواقع وقيل أغناك بمال خديجة وتربية أبي طالب ولما اختل ذلك أغناه بمال أبي بكر ولما اختل ذلك أمره بالجهاد وأغناه بالغنائم لما روى «جعل رزقي تحت ظل سفي ورمحي» (٣١٢) (قوله وغيرها) أى كمال خديجة ومال أبي بكر وباعانة الأنصار

حين الحجرة (قوله عن كثرة العرض) بفتحيتين المال وفي الحديث «قد نوح من أسلم ورزق كذا فافوقه الله بما أتاه» (قوله فاما اليتيم) منصوب بنقهر وهذا مفرع على قوله لم يجدك يتيما فأرى فالعنى اصنع من عبادى كما صنعت معك (قوله بأخذ ماله) أى كما كانت العرب تفعل في أموال اليتامى تأخذ أموالهم ونظامهم حقوقهم ، وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال «خير بيت في الساميين بيت فيه يتيم يساء إليه ، ثم قال بأصبعيه أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وهو يشير بأصبعيه» (قوله أو غير ذلك) أى كاذلاله واحتقاره (قوله وأما السائل) منصوب بنقهر والمعنى إما أن تطعمه أو ترده برفق ، وقيل المراد بالسائل ما يشمل طالب العلم فيسكرمه وينصفه ولا يمس في وجهه ولا يتلقاه بمكروه وهذا العموم أولى وهو مفرع على قوله ووجدك عائلا فأغنى ، والمعنى أغن عبادى وأعطاهم كما أغنيك وأعطيتك (قوله وأما بعممة ربك الخ) هذا عام وإنما أخر حق الله تعالى عن حق اليتيم والسائل لأنها محتاجان والله هو الغنى وتقديم المحتاج أولى ولأن اقصود من جميع الطاعات استغراق القاب في ذكر الله تعالى وشكره فتمت به للعموم (قوله فحدث) أى بالنعمة لأن التحدث بها هو شكرها والتحدث بالنعمة جائز لغيره صلى الله عليه وسلم إذا قصد به الشكر وأن يقتدى به غيره وأمن على نفسه الغرور والكبر قال الحسن ابن على رضى الله عنهما : إذا عمات خير فحدث به إخوانك ليقتدوا بك وورد «أن شخصا كان جالسا عنده صلى الله عليه وسلم فرآه رث الثياب فقال له ألك مال قل نعم فقال له إذا آتاك الله إلا فابرأ نره عايك» وورد «إن الله جميل يحب الجمال ويحب أن يرى أثر النعمة على عباده» وقوله بالنبوة وغيرها أى من العموم والقرآن وسائر عطاياه التي لا تنفاهى وقد فعل صلى الله عليه وسلم فحدث بما أعطاه ربه من النعم فيبلغ القرآن ونشر العموم وأعطى حقوقه به عز وجل (قوله في بعض الأفعال) أى وهو فآوى فهدى فأغنى والأصل فآواك فهذاك فأغناك [سورة ألم نشرح مكية] أى في قول الجمهور وقال ابن عباس إنها مدنية (قوله استفهام تقرير) أى وهو حمل الخطاب على

حين الحجرة (قوله عن كثرة العرض) بفتحيتين المال وفي الحديث «قد نوح من أسلم ورزق كذا فافوقه الله بما أتاه» (قوله فاما اليتيم) منصوب بنقهر وهذا مفرع على قوله لم يجدك يتيما فأرى فالعنى اصنع من عبادى كما صنعت معك (قوله بأخذ ماله) أى كما كانت العرب تفعل في أموال اليتامى تأخذ أموالهم ونظامهم حقوقهم ، وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال «خير بيت في الساميين بيت فيه يتيم يساء إليه ، ثم قال بأصبعيه أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وهو يشير بأصبعيه» (قوله أو غير ذلك) أى كاذلاله واحتقاره (قوله وأما السائل) منصوب بنقهر والمعنى إما أن تطعمه أو ترده برفق ، وقيل المراد بالسائل ما يشمل طالب العلم فيسكرمه وينصفه ولا يمس في وجهه ولا يتلقاه بمكروه وهذا العموم أولى وهو مفرع على قوله ووجدك عائلا فأغنى ، والمعنى أغن عبادى وأعطاهم كما أغنيك وأعطيتك (قوله وأما بعممة ربك الخ) هذا عام وإنما أخر حق الله تعالى عن حق اليتيم والسائل لأنها محتاجان والله هو الغنى وتقديم المحتاج أولى ولأن اقصود من جميع الطاعات استغراق القاب في ذكر الله تعالى وشكره فتمت به للعموم (قوله فحدث) أى بالنعمة لأن التحدث بها هو شكرها والتحدث بالنعمة جائز لغيره صلى الله عليه وسلم إذا قصد به الشكر وأن يقتدى به غيره وأمن على نفسه الغرور والكبر قال الحسن ابن على رضى الله عنهما : إذا عمات خير فحدث به إخوانك ليقتدوا بك وورد «أن شخصا كان جالسا عنده صلى الله عليه وسلم فرآه رث الثياب فقال له ألك مال قل نعم فقال له إذا آتاك الله إلا فابرأ نره عايك» وورد «إن الله جميل يحب الجمال ويحب أن يرى أثر النعمة على عباده» وقوله بالنبوة وغيرها أى من العموم والقرآن وسائر عطاياه التي لا تنفاهى وقد فعل صلى الله عليه وسلم فحدث بما أعطاه ربه من النعم فيبلغ القرآن ونشر العموم وأعطى حقوقه به عز وجل (قوله في بعض الأفعال) أى وهو فآوى فهدى فأغنى والأصل فآواك فهذاك فأغناك [سورة ألم نشرح مكية] أى في قول الجمهور وقال ابن عباس إنها مدنية (قوله استفهام تقرير) أى وهو حمل الخطاب على

(سورة ألم نشرح)

مكية ، ثمان آيات

(بسم الله الرحمن الرحيم ألم نشرح) استفهام تقرير ،

أى

قال «خير بيت في الساميين بيت فيه يتيم يحسن إليه ، وشري بيت في الساميين بيت فيه يتيم يساء إليه ، ثم قال بأصبعيه أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وهو يشير بأصبعيه» (قوله أو غير ذلك) أى كاذلاله واحتقاره (قوله وأما السائل) منصوب بنقهر والمعنى إما أن تطعمه أو ترده برفق ، وقيل المراد بالسائل ما يشمل طالب العلم فيسكرمه وينصفه ولا يمس في وجهه ولا يتلقاه بمكروه وهذا العموم أولى وهو مفرع على قوله ووجدك عائلا فأغنى ، والمعنى أغن عبادى وأعطاهم كما أغنيك وأعطيتك (قوله وأما بعممة ربك الخ) هذا عام وإنما أخر حق الله تعالى عن حق اليتيم والسائل لأنها محتاجان والله هو الغنى وتقديم المحتاج أولى ولأن اقصود من جميع الطاعات استغراق القاب في ذكر الله تعالى وشكره فتمت به للعموم (قوله فحدث) أى بالنعمة لأن التحدث بها هو شكرها والتحدث بالنعمة جائز لغيره صلى الله عليه وسلم إذا قصد به الشكر وأن يقتدى به غيره وأمن على نفسه الغرور والكبر قال الحسن ابن على رضى الله عنهما : إذا عمات خير فحدث به إخوانك ليقتدوا بك وورد «أن شخصا كان جالسا عنده صلى الله عليه وسلم فرآه رث الثياب فقال له ألك مال قل نعم فقال له إذا آتاك الله إلا فابرأ نره عايك» وورد «إن الله جميل يحب الجمال ويحب أن يرى أثر النعمة على عباده» وقوله بالنبوة وغيرها أى من العموم والقرآن وسائر عطاياه التي لا تنفاهى وقد فعل صلى الله عليه وسلم فحدث بما أعطاه ربه من النعم فيبلغ القرآن ونشر العموم وأعطى حقوقه به عز وجل (قوله في بعض الأفعال) أى وهو فآوى فهدى فأغنى والأصل فآواك فهذاك فأغناك [سورة ألم نشرح مكية] أى في قول الجمهور وقال ابن عباس إنها مدنية (قوله استفهام تقرير) أى وهو حمل الخطاب على

على الإقرار بما بعد التيقن لأن الاستفهام إذا دخل على متنى قرره فصار معناه قد شرحنا ولذلك عطف عليه الماضى وإيس معناه
 الانشأ. حق يقال يلزم عليه عطف الخبر على الانشاء فيما لا محل له من الاعراب وهو مردود أو ضعيف بل المراد لازمه وهو الاخبار
 بشرح الصدر وما بعده فهذه السورة من جملة النعم التي أمر بالتحدث بها في السورة قبلها (قوله أى شرحنا) الشرح في الأصل
 بسط اللحم ونحوه يقال شرحت اللحم بسطته وشققته والمراد هنا توسعة الصدر بالنور الإلهى لبسج مناجاة الحق ودعوة الخلق
 فصار مهبط الرحمت ومنبع البركات (قوله بالنبوة وغيرها) روى «أن جبريل عليه السلام أتاه وهو عند مرضعته حليلة وهو ابن
 ثلاث سنين أو أربع فشق صدره وأخرج قلبه وغسله ونقاه وملاؤه علما وإيمانا ثم رده في صدره» وحكمة ذلك لينشأ على
 أكمل حال ولا يعبت كالأطفال وشق أيضا عند بلوغه عشر سنين ليأتى عليه البلوغ وهو على أجهل الأخلاق وأطيبها وعند البعثة
 لينحمل القرآن والعاوم وليلة الاسراء لينتهي لملاقاة أهل اللأ الأعلى ومناجاة الحق جل جلاله ومث هديه وتلقيه عنه فمرات
 الشق أربع زيادة في تنظيفه وتطهيره ليكون كاملا مكلا لا يعلم قدره غير ربه والحكمة في قوله لك ولم يقل ألم نشرح صدرك
 التنبيه على أن نافع الرسالة عائدة عليه صلى الله عليه وسلم لا لفرض يعود عليه ، تعالى الله عن الأغراض والعلل (قوله ووضعنا
 عنك وزرك) معطوف على مدلول الجملة السابقة كأنه قال قد شرحنا لك صدرك ووضعنا ، وعنك متعلق بوضعنا وقدمه على
 لأفعول الصريح تعجيلا للسورة ونشويقا إلى المؤخر (قوله الذى أنقض ظهرك) الانقاض في الأصل الصوت الحق الذى يسمع
 من الرجل فوق البعير من شدة الحمل والمراد لازمه وهو الثقل (قوله وهذا كقوله تعالى ليغفر لك الخ) أى فهو مصروف عن
 ظاهره فيجانب عنه بأجوبة : منها أن المراد وضعنا عنك وزر أمتك وإنما أضافها إليه لاشتغال قلبه بها قال تعالى - عزيز
 عليه ما عنتم فأوزار أمته قبل إلامهم موضوعة عنهم بالاسلام فلا يؤاخذون (٣١٣) بها لأن الاسلام يجب ما قبله

و بعد الاسلام توضع عنهم
 بالتوبة أو بشفاعته
 صلى الله عليه وسلم لمن
 مات مصرا ، ومنها أن
 المراد وضعنا عنك أثقال
 النبوة والتبايغ وذلك أنه

أى شرحنا (لك) يا محمد (صدرك) بالنبوة وغيرها (ووضعنا) حططنا (عنك وزرك
 الذى أنقض) أى أثقل (ظهرك) وهذا كقوله تعالى : ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك (ورفعنا
 لك ذكرك) بأن تذكر مع ذكرى في الأذان والإقامة والتشهد والخطبة وغيرها (فإن
 مع العسر) الشدة (يسرا) سهولة ،

صلى الله عليه وسلم كان في ابتداء البعثة يشق عليه الأمر ويقول أخاف أن لا أقوم بحق الدعوة فوضع الله عنه ، ومنها أن
 المراد بالوزر خلاف الأولى فكان إذا ارتكبه وعاتبه الله عليه ثقل ذلك الأمر عليه وشق ، وتسميته وزرا بالنسبة لمقامه من باب
 حسنات الأبرار سيئات المقرين كاذنه للمنافقين في التخلف حين اعتذروا وأخذوا الفداء من أسارى بدر ونحو ذلك ، ومنها أن
 المراد بالوضع العصمة فالمنى عصمتك من الوزر ابتداء وانتهاء فلم تقدر عليك وزرا أصلا وكل من هذه الأجوبة صحيح ولا مانع
 من حمل الآية على الجميع (قوله ورفعنا لك ذكرك) أى أعلنناه فذكرناك في السكيب المنزلة على الأنبياء قبلك وأمرناهم بإشارة
 بك ولادين إلا ودينك يظهر عليه وأخذنا على الأنبياء العهد إن ظهرت وأحدهم حتى يؤمن بك ، لينصرك وهم يأخذون
 على أنهم ذلك العهد كما تقدم في قوله تعالى - وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة - الآية ، وفي
 هذا المعنى ، قال البوصيرى :

ما مضت فترة من الرسل إلا جرت قومها بك الأنبياء

والحكمة في زيادة لك ما سبق من أن رفع الذكر عائد عمرته عليه لا لفرض يعود عليه تعالى (قوله والخطبة) أى على المنابر
 وخطبة النكاح (قوله وغيرها) أى كيوم الفطر والأضحى ويوم عرفة وأيام التشريق وعند الجمار وعلى الصفا والمروة ومشارك
 الأرض ومغار بها ولو أن رجلا عبد الله تعالى وصدق بالجنة والنار وكل شئ* ولم يشهد أن محمدا رسول الله لم يفتفع بشئ* وكان كافرا
 (قوله فإن مع العسر يسرا) مع بمعنى بعد وعبر بها إشارة إلى أن اليسر يجيء عقب العسر بسرعة كأنه مقارنة له زيادة في التسلية
 وتقوية القلوب وأل في العسر الأول للجنس وفي الثانى للعهد الذى كرى ولذلك ورد في الحديث لما نزلت هذه الآية قال عليه الصلاة
 والسلام «أبشروا قد جاءكم اليسر لن يغلب عسر يسرين» وورد «لو كان العسر في جهر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه إنه لن يغاب
 [٤٠ - صاوى - رابع] عسر يسرين» (قوله الشدة) أى المشاق التى تحصل للشخص في الدنيا أو الآخرة

وقوله مهولة أى تحصل له في الدنيا أو الآخرة والتسكير في يسرا للتفخيم والتعظيم (قوله إن مع العسر يسرا) جرت عادة العرب أنها إذا ذكرت اسما معرفا ثم أعادته كان الثاني هو الأول وإذا ذكرت اسما نكرة ثم أعادته كان الثاني غير الأول فجاء القرآن على أسلوبهم ففيه إشارة إلى أن اليسر غالب على العسر ووجه ذلك أن العسر الذي يصيب المؤمن في الدنيا لا بد له من يسر في الدنيا ويسر في الآخرة فيسر الدنيا ماذ كره في الآية الأولى ويسر الآخرة ماذ كره في الآية الثانية ومعلوم أن يسر الآخرة دائم أبدا غير زائل فنفي غلبة العسر لليسرين إنما هو بالنسبة ليسر الدنيا وأما الآخرة فليس للمؤمن إلا اليسر فتدبر قال بعض الشعراء في هذا المعنى :

فلا تيأس إذا أعسرت يوما فقد أسرت في دهر طويل

فلا تظن بربك ظن سوء فان الله أولى بالجميل

فان العسر يتبعه يسار وقول الله أصدق كل قيل

(قوله فاذا فرغت من الصلاة الخ) ماذ كره المفسر أحدا أقوال ، وقيل إذا فرغت من دنياك فصل ، وقيل إذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام الليل ، وقيل إذا فرغت من التشهد فادع لدنياك وآخرتك ، وقيل إذا فرغت من تبليغ الرسالة فانصب استغفر لذنبك وللمؤمنين والمسلمين وأولى قال عمر بن الخطاب : إني أكره أن أرى أحداكم فارغا لافي عمل الدنيا ولا في عمل الآخرة وفي الحديث « إن الله يكره العبد البطال » (قوله وإلى ربك فارغب) أى اجعل رغبتك إلى ربك الذي أحسن إليك بفضائل النعم في جميع أحوالك لا إلى أحد أكبر همه الآخرة .

(٣١٤)

سواء فالملطوب من الشخص أن يرى ساعيا في حسنة لمعاده أدرهم لمعاشه ويكون

(إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) والنبي صلى الله عليه وسلم قاسى من الكفار شدة ثم حصل له اليسر بنصره عليهم (فَإِذَا فَرَغْتَ) من الصلاة (فَأَنْصَبْ) انصب في الدعاء (وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ) تضرع .

(سورة والتين)

مكية أو مدنية ، ثمان آيات

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ) أى المأكولين ، أو جبلين بالشام ينبتان المأكولين (وَطُورِ سِينِينَ) :

[فائدة] ذكر بعض الصالحين خواص لهذه السورة منها أن من كتبها في إناء من زجاج ومحاها بماء ورد وشربها يزول عنه الهم والحزن وضيق الصدر وتكتب في مطلق إناء ونمحي بماء وتشرب للحفظ والفهم ومن لازمها عقب الصلوات الخمس

الجبل

عشر مرات حصل له التيسير في الرزق ، التوفيق في العبادة ، ولقضاء ما أهم العبد يصلى ركعتين ويجلس مستقبلا على طهارة و يقرأها عدة حروفها مائة وثلاثة ثم يدعو بما أهمه يستجاب له إن شاء الله تعالى وهو مجرب صحيح .

[سورة والتين مكية] أى في قول الجمهور وقوله أو مدنية أى في قول ابن عباس وقتادة (قوله والتين والزيتون الخ) أقسم سبحانه وتعالى بأقسام أربعة على مقسم واحد تعظيما للمقسم به وغرابة المقسم عليه (قوله أى المأكولين) هو قول ابن عباس وخص التين لأنه فاكهة وغذاء ويشبه فواكه الجنة لكونه بلا عجم . ومن خواصه أنه طعام لطيف سريع الانهضام لا يكث في المعدة يخرج رشا ويلين الطبع ويقال الباهم ويطهر الكليتين ويزيل ما في المثانة من الرمل وهو مرض يستولى على مقر البول فيحجز الماء عن الخروج بأجزاء دقيقة كالرمل يعسر معها البول ويتأذى به الإنسان فاذا زاد صار حصة ويفتح سد السكبد والطحال ويسمن البدن ويقطع البواسير ويطول الشعر وهو أمان من الفالج ومن أسكلها منامان مال ورزقه الله أولادا وقد تستر آدم بورق التين حين خرج من الجنة وأما الزيتون فهو من شجرة مباركة فيه إدام ودهن يؤكل ويستصبح به وشجرته في أغاب البلاد ولا يحتاج إلى خدمة وتربية ويثبت في الأرض ألوقا من السنين ومن رأى ورق الزيتون في المنام استمسك بالعروة الوثقى (قوله أو جبلين بالشام) ماذ كره المفسر قولان من أقوال كثيرة في المراد بالتين والزيتون ، ومنها أن التين مسجد النوح عليه السلام الذي بنى على الجودي والزيتون مسجد بيت المقدس ، ومنها أن التين المسجد الحرام والزيتون المسجد الأقصى ، ومنها أن التين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس ومنها غير ذلك

(قوله الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى) أي وهو جبل عظيم فيه عيون وأشجار . إن قلت كيف ذلك مع قوله تعالى - فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا - لا يقتضي أنه دك ولم يبق له أثر . أجيب بأنه منسوع والذي دك منه قطعة منه ، وتخصيصه لكونه مباركا تحريف بتشكيل موسى ربه عليه (قوله ومعنى سينين المبارك) أي فهو من إضافة الموصوف لصفته وسينين يجوز أن يعرب بالحركات الثلاث على النون مع لزومه الياء في أحواله كلها ويكون ممنوعا من الصرف للعلمية والعجبة لأنه علم على البقعة أو الأرض وأن يعرب بجمع المذكر السالم بالواو رفعا وبالياء نصبا وجرا (قوله لأمن الناس فيها) أي فلا يضر صيده ولا يقطع شجره (قوله الجنس) أي الساهية من حيث هي الشاملة للمؤمن والكافر (قوله في أحسن تقويم) أي في أعدل قامة وأحسن صورة يتناول ما كوله بيده مزيئا بالعلم والفهم والعقل والتمييز والنطق والأدب (قوله في بعض أفراده) أشار بذلك إلى أن في الآية استخداما حيث ذكر الإنسان أولا بمعنى وهو الجنس ثم أعاد الضمير عليه بمعنى آخر وهو الإنسان بمعنى بعض أفراده (قوله أسفل سافلين) السافلون هم الصغار والزمن والأطفال فالشيخ الكبير أسفل من هؤلاء لأنه لا يستطيع حيلة ولا يهتدى سبيلا لضعف بدنه وصممه وبصره وعقله وثقله على أهله وحيرانه (قوله كناية عن (315) الحرم والضعف) أي فالعنى

ثم جعلناه ضعيفا هزما فهو بمعنى : ومنكم من يرد إلى أرذل العمر ، ومن تعمره تنكحه في الحاق ، وما ذكره المفسر أحد قولين في المراد بالرد إلى أسفل سافلين والآخر أن المراد رددناه إلى النار لأنها دركات بعضها أسفل من بعض (قوله إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) (الح) مشى المفسر على أن الاستثناء منقطع وحيد فيكون المعنى ثم رددناه أسفل سافلين فزال عقله وانقطع عمله فلا يكتب له

الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى ، ومعنى سينين المبارك أو الحسن بالأشجار المثمرة (وهذا البلد الأمين) مكة لأمن الناس فيها جاهلية وإسلاما (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ) الجنس (في أحسن تقويم) تعديل صورته (ثُمَّ رَدَدْنَاهُ) في بعض أفراده (أَسْفَلَ سَافِلِينَ) كناية عن الحرم والضعف فينتقص عمل المؤمن عن زمن الشباب ويكون له أجره لقوله تعالى (إِلَّا) أي لكن (الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) غير مقطوع وفي الحديث «إذا بلغ المؤمن من الكبر ما يعجز عن العمل كتب له ما كان يعمل» (فَمَا يَكْذِبُكَ) أيها الكافر (بَعْدُ) أي بعد ما ذكر من خلق الإنسان في صورة ثم رده إلى أرذل العمر الدال على القدرة على البعث (بِالَّذِينَ) بالجزء المسبوق بالبعث والحساب أي ما يملك مكذبا بذلك ولا جائل له (أَلَمْ يَأْمُرَ اللَّهُ بِأَحْسَنِ الْأَلْحَاكِيمِ) أي هو أقضى القاضين ، وحكمه بالجزء من ذلك وفي الحديث «من قرأ والتين إلى آخرها فليقل : بلى وأنا على ذلك من الشاهدين» .

حسنة لكن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ولازموا عابها إلى أيام الشيخوخة والحرم والضعف فانه يكتب لهم بعد الحرم والخرف مثل الذي كانوا يعملونه في حال الشباب والصحة وأما على القول الآخر فالاستثناء متصل ويكون المعنى رددناه أسفل من أسفل خلقا وتركيبا حسا ومعنى وهم أهل النار إلا الذين آمنوا الخ فيكون بمعنى قوله تعالى - إن الإنسان لني خسر إلا الذين آمنوا - (قوله غير مقطوع) أي ولا يمن به عليهم (قوله من الكبر ما يعجز) من تعليلية وما مفعول به واقعة على زمان ، والمعنى إذا بلغ المؤمن سبب الكبر زمانا يعجز فيه عن العمل ، وفي بعض النسخ ما يعجزه ، وحيفئذ فيكون من الكبر بيان لما مقدما عليه ، والمعنى إذا بلغ المؤمن كبرا يعجزه عن العمل (قوله فما يكذبك الخ) الاستفهام إنكارى والخطاب للإنسان الكافر بطريق الالتفات ، والمعنى لما الذي يملك أيها الإنسان على التكذيب بالبعث : أي أي سبب يملك على التكذيب في الكلام تعجب وتعجب ، وذلك أنه تعالى لما قرر أنه خالق الإنسان في أحسن تقويم ثم رده إلى أرذل العمر دل على كمال قدرته على الإنشاء والاعادة فسأل بعد ذلك عن تكذيب الإنسان بالجزء لأن ما يتعجب منه يخفى سببه وهذا ما مشى عليه المفسر ، وقيل إن ما بمعنى من والخطاب له صلى الله عليه وسلم ، والمعنى فمن يكذبك أيها الرسول الصادق المصدق بما جئت به من الحق بعد ظهور الدلائل القطعية على تصديك (قوله وحكمه بالجزء) مبتدأ وقوله من ذلك : أي من جملة قضائه خبره .

[سورة اقرأ] وفي نسخة سورة العلق وفي أخرى سورة القلم فأصحها ثلاثة (قوله أول ما نزل من القرآن) أي ثم بعده ن والقلم ثم المزمّل ثم المدثر هكذا قال الحازن ولكن المشهور عن غيره أن أول ما نزل بعد اقرأ سورة المدثر. واختلف السلف في ترتيب سور القرآن ، والصحيح أن اختلافهم كان قبل عرض القرآن على جبريل في المرة الأخيرة ومن يوم العرض المذكور رتب رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن على ما هو عليه الآن . عن ابن وهب قال سمعت أبا الكا يقول : إنما ألف القرآن على ما كانوا يسمعون من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وذكر ابن الأنباري في كتابه الرد أن الله تعالى أنزل القرآن جملة إلى صماء الدنيا ثم فرقه على النبي صلى الله عليه وسلم في عشرين سنة ، وكانت السورة تنزل في أمر يحدث والآية تنزل جوابا لمستخبر يسأل ويوقف جبريل النبي صلى الله عليه وسلم على موضع السورة والآية ، فانتظام السور كانتظام الآيات والحروف فكله عن رسول الله خاتم النبيين عن رب العالمين ، فمن آخر سورة مقدمة أو قدم أخرى مؤخرة كمن أفسد نظم الآيات وغير الحروف والكلمات ولا حجة على أهل الحق في تقديم البقرة على الأنعام ، والأنعام نزلت قبل البقرة لأن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ عنه هذا الترتيب وهو كان يقول ضعوا هذه السورة موضع كذا وكذا من القرآن ، وكان جبريل عليه السلام يوقفه على مكان الآيات انتهى . إن قات حيث كان الجمع والترتيب من رسول الله فما معنى قولهم إن عثمان بن عفان جامع القرآن ؟ فالجواب أن النبي صلى الله عليه وسلم روى عنه القرآن وترتيبه حفظا لأوضاعه في المصاحف وعثمان جمعه في المصحف على طبق الحفظ المروي عن رسول الله ، فإن المحفوظ كان مفترقا في صدور الرجال وفي صحائف غير كاملة فليفهم هذا المقام (قوله رواه البخاري) أي وعبارته عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت : أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح (٣١٦) ثم حبيب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء ويتحنث فيه الليالي ذوات العدد

ثم يرجع إلى خديجة ويتزوّد لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء ، فجاءه الملك فقال اقرأ قال ما أنا بقارىء فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ قات

(سورة اقرأ)

مكية ، تسع عشرة آية

صدرها إلى ما لم يعلم أول ما نزل من القرآن وذلك بغار حراء رواه البخاري ، (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . إقرأ) أوجد القراءة مبتدئا (بِاسْمِ رَبِّكَ)

ما أنا بقارىء ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق خالق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم - حتى بلغ ما لم يعلم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد فقال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروح ، فقال لخديجة وأخبرها الخبر لقد خشيت على نفسي ، فقالت له خديجة كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتصديق الحديث وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي وهو ابن عم خديجة ، وكان عن تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب وكان شيخا كبيرا عمي ، فقالت له خديجة يا ابن عم اسمع من ابن أخيك ، فقال له يا ابن أخي ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى ، فقال له ورقة هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى يا ليتني فيها جذعا ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يخرجني هم ؟ قال نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي وإن يدركني يومك حيا أنصرك نصرا مؤزرا ، ثم لم يلبث ورقة أن توفي وفتر الوحي فترة حتى حزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا إلى أن يتردى من رمس شواطئ الجبال فكما أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه تبدي له جبريل ، فقال يا محمد إنك رسول الله حه يسكن لذلك جأشه وقد رعينه فارجع ، فادأطالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك فإذا أوفى بذروة الجبل لياقي نفسه منه تبدي له جبريل فقال له مثل ذلك (قوله مبتدئا باسم ربك) أي قل باسم الله ثم اقرأ ما يوحى إليك فالباء متعلقة بمفعول اقرأ محذوف وقيل إن الباء مزيدة والتقدير اقرأ اسم ربك وعبر بالرب تلتطفا به صلى الله عليه وسلم وإشارة إلى أنه تعالى كما ربي جسمه يربي

أمنه وقرأه . قال البوصيري في هذا المعنى : سور منه أشهر صوراً منها ومثل النظائر النظراء

وإضافة رب إلى كاف الخطاب لشريف (قوله الذي خلق خلق الإنسان) يجوز أن يكون الثاني تأكيداً لفظياً نظير قام قام زيد ويجوز أن يكون تفسير الأول أبهمه ، ثم فسره تنجيها لخلق الإنسان ويجوز أن يكون حذف المفعول من الأول تقديره خلق الخلائق كما قال المفسر وقوله خلق الإنسان تخصيص له بالذكر لشرفه (قوله الجنس) أي الصادق بالذكر والأنثى (قوله جمع علقه) أي لأن كل واحد مأخوذ من علقه كما في الآية الأخرى وأطاق الجمع على العلق تسميها أو هو جمع أقوى وإلا فعلق اسم جنس جمعي (قوله من الدم الغليظ) أي الذي أصله القول الأطوار التي ثم العلقه وهو الدم الغليظ المتجمد ثم المضغ إلى آخر ما ذكر الله تعالى في آية المؤمنين (قوله تأكيد الأول) هذا أحد قولين والآخرا أنه تأسيس فالأول معناه اقرأ في نفسك والثاني معناه اقرأ لتبليغ وتعليم الأمة (قوله الذي لا يوازيه كريم) أي لا يساويه فضلا عن أن يزيد عليه لأنه تعالى يعطي الشيء من غير عوض ولا غرض وليس ذلك لأحد غيره (قوله حال من ضمير اقرأ) أي فالمعنى اقرأ ما يوحى إليك والحال أن ربك الأكرم لا ينتظر منك عوضاً ولا ينجز لك فهو نطمين له صلى الله عليه وسلم حيث خشي على نفسه أن لا يقوم بما أمره به ربه (قوله الذي علم) علم ينصب مفعولين وهما محذوفان هنا والتقدير علم الإنسان الخط بالقلم والمفسر قدر الثاني وسكت عن تقدير الأول انكلا على قوله بعد علم الإنسان (قوله الخط) أي الكتابة التي بها تعرف الأمور الغائبة وفيه تنبيه على فضل الكتابة لما فيها من النافع المظمنة لأن بها ضبطت العلوم ودونت الحكم وعرف أخبار الماضين وأحوالهم وسيرهم ومقالاتهم ولولا الكتابة ما استقام أمر الدين والدنيا ولو لم يكن على دقيق حكمة الله تعالى ولطيف تدبيره دليل إلا (قوله) القلم والخط الكافي فيه (قوله بالقلم) قال القرطبي الأقلام ثلاثة في الأصل القلم الأول الذي خاتمه الله تعالى بيده وأمره أن يكتب في اللوح المحفوظ والثاني قلم الملائكة الذين يكتبون به المقادير والكواثر من اللوح المحفوظ والثالث أقلام

الذي خلق الخلائق (خلق الإنسان) الجنس (من علق) جمع علقه وهي القطعة اليسيرة من الدم الغليظ (اقرأ) تأكيد الأول (وربك الأكرم) الذي لا يوازيه كريم حال من ضمير اقرأ (الذي علم) الخط (بالقلم) وأول من خط به إدريس عليه السلام (علم الإنسان) الجنس (ما لم يعلم) قبل تعليمه من الهدى والكتابة والصناعة وغيرها (كلاً) حقاً (إن الإنسان أعمى أن رآه) أي نفسه (استغنى) بالمبالغة . نزل في أبي جهل ورأى علمية واستغنى مفعول ثان وأن رآه مفعول له (إن إلى ربك) يا إنسان (الرجعي)

الذين يكتبون بها كلامهم ويصلون بها إلى ما يرغبون . وعن عمر قال خلق الله تعالى أربعة أشياء بيده : ثم قال تعالى لسائر الحيوان كن فكان وهي : التلم والعرش وجنة عدن وآدم عليه السلام (قوله إدريس) وقيل آدم (قوله الجنس) هذا أحد أقوال وقيل المراد به آدم ومصدق ما الأسماء كلها فهو نظير وعلم آدم الأسماء كلها ، وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم (قوله قبل تعليمه) متعلق بالذي الذي اتفق عليه به قبل أن يعلمه (قوله من الهدى) بيان لما والمراد به الرشد والصواب في القول والفعل (قوله حقاً) هذا مذهب الكسائي ومن تبعه وعليه فكلاً مرتبطة بما بعدها لأنه ليس قبلها شيء يقتضي الزجر والردع حتى تكون كلاً ردعاً له . وقال أبو حيان وصوبه ابن هشام إنها بمعنى ألا الاستفتاحية لوجود كسر همزة إن بعدها ولو كانت بمعنى حقاً لما كسرت إن بعدها لكونها واقعة موقع مفرد فتحصل أن كونها بمعنى حقاً صحيح من جهة المعنى إلا أنه يبعده كسر إن فكان المناسب للمفسر أن يجعلها بمعنى ألا الاستفتاحية (قوله أي نفسه) أشار بذلك إلى أن في رأي ضمير عائداً على الإنسان هو فاعل الرؤية والضمير البارز عائداً عليه أيضاً مفعوله ورأى هنا قلبية يجوز اتحاد الضميرين متصاين فيها فتقول رأيته وظننتني ، قوله استغنى مفعول ثان . والمعنى أن الإنسان ليتحقق بالطغيان والكفر من أجل رؤيته نفسه مستغنياً عن الله تعالى (قوله نزل في أبي جهل) أي والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، فكل من اعتقد أنه غني عن ربه طرفه عين فتدتحقق بالطغيان والكفر لأن كل مخلوق مفتقر لخالقه في حركاته وسكناته (قوله مفعول له) أي لأجله (قوله بالإنسان) أشار بذلك إلى أن الضمير في ربك عائداً على الإنسان المتقدم ذكره ففيه التفات من الغيبة للخطاب تهديداً له وتحذيراً من عاقبة الطغيان كأنه قال لا تغتر باستغنائك فإن مرجعك إلى خالقك فكما أغناك هو قادر على إفقارك فلا تعتقد أنك غني حقيقة ، فلو أعطى العبد الدنيا ومثلها معها وهو فقير إلى ربه في كل طرفه عين .

(قوله أي الرجوع) أي من الغنى للفقر ومن العزلة للعدل ومن القوة للعجز ومن الحياة للممات فلامفر من الله (قوله للتعجب) أي التعجب وهو إيقاع المخاطب في العجب والمخاطب قيل للنبي صلى الله عليه وسلم ، وقيل لكل من يأتي منه الخطاب واعلم أن رأيت هنا بمعنى أخبرني فتتعدى إلى مفعولين ثانيهما جملة استفهامية وقد ذكرت ثلاث مرات صرح بعد الثالثة بجملة استفهامية فهي في موضع المفعول الثاني لتلك الثالثة ومفعولها الأول محذوف وهو ضمير يعود على الذي ينهى عبداً وذكر مفعول الأول الأول وهو الاسم الموصول ومفعولها الثاني محذوف وهو جملة استفهامية كالواقعة بعد الثالثة حذف لدلالة المذكور عليه ، وأما الثانية فمفعولها محذوفان لدلالة المفعول الأول من الأول والمفعول الثاني من الثالثة عليه فتحصل أنه حذف المفعول الثاني من الأولى والمفعولان من الثانية والأول من الثالثة لدلالة المذكور وليس من باب التنارع لأنه يقتضي إضرار والجل لا تضمر وإنما الإضرار في المفردات وجواب الشرط الواقع في حيز الثانية والثالثة محذوف دل عليه الجملة الاستفهامية (قوله هو أبو جهل) وذلك أنه قال هل يعرف محمد وجهه بين أظهركم فقبل نعم فقال واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته ولأعفرن وجهه في التراب ، قال فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ليطأ على رقبته ، قال فما جئهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه (٣١٨) ويتقى بيديه فقبل له مالك ؟ قال ن بنى وبينه خندقاً من نار وهولاً

أي الرجوع تخويف له فيجازي الطاغى بما يستحقه (أرأيت) في مواضعها الثلاثة للتعجب (الذي ينهى) هو أبو جهل (عبداً) هو النبي صلى الله عليه وسلم (إذا صلى) أرأيت (إن كان) أي المنهى (على الهدى) أو (للتقسيم) أمر بالتقوى (أرأيت إن كذب) أي الناهي للنبي (وتولى) عن الإيمان (ألم يعلم بأن الله يرى) ماصدر منه أي يعلمه فيجازيه عليه ، أي عجب منه يا مخاطب من حيث نهيه عن الصلاة ومن حيث إن المنهى على الهدى أمر بالتقوى ومن حيث إن الناهي مكذب متول عن الإيمان (كلاً) ردع له (لئن) لام قسم (لم ينته) عما هو عليه من الكفر (انسفمًا بالناسية) لنجس بناسيته إلى النار (نافية) بدل نكرة من معرفة (كاذبة خاطئة) وصفها بذلك مجاز والمراد صاحبها (فأيدع نادية) أي أهل ناديه وهو المجلس ينتدى يتحدث فيه القوم وكان قال للنبي صلى الله عليه وسلم لما اتهره حيث نهاه عن الصلاة :

أجنحة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو دنا مني لأخطفته باللائكة عضوا عضوا (قوله عبداً) لم يقل يهاك تفخياً لشأنه وتعظيماً لقصره (قوله للتقسيم) المناسب أن يقول بمعنى الواو (قوله إن كذب وتولى) أي دام على التكذيب والتولى (قوله أي يعلمه) تفسير ليري (قوله ردع له) أي لأن جهل (قوله لنسفاً) يحتمل أن النون للأنكسار

المعظم نفسه وهو الله تعالى أوله ولائكة ، والسفع القبض على الشيء بشدة والنون في نسفاً للتوكيد الحفيفة فيوقف عليها بالآلف تشبيهاً لها بالتنوين وتكتب ألفاً اتباعاً للوقف وقرى شدوذا لنسفن بالنون الثقيلة (قوله بالناسية) هي في الأصل مقدم الرأس أو شعر المقدم أطلق وأريد هذا لشخص يتماه (قوله إلى النار) وقيل في الدنيا يوم بدر لما ورد : أنه جاءه عبد الله بن مسعود فوجده طريقاً بين الجرحى وبه رمق خاف أن يكون به قوة فؤذبه فوضع الرمح على منخريه من بعيد فطعنه ثم لم يقدر ابن مسعود على الرقى على صدره اضعه وقصره فارتقى إليه بحيلة فلما رآه أبو جهل قال يارويى الغنم لقد رقيت مرقى عالياً فقال ابن مسعود الاسلام يعلو ولا يعلو عليه ، ثم قال لابن مسعود انقطع رأسي بسيفي هذا لأنه أحد وأقطع ، فلما قطع رأسه به لم يقدر على حمله فشق أذنه وجعل فيه خيطاً وجره إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبرل بين يديه بضحك (قوله كاذبة) أي في قولها وقوله خاطئة أي في فعلها والخطأ ضد الصواب في الدين وغيره ، والمراد هنا ارتكاب خلاف الصواب عن قصد أقول بعضهم الخطأ المرتكب خلاف الصواب عن عمد والخطأ المرتكب خلاف الصواب لا عن عمد (قوله أي أهل ناديه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف ضاف لأن النادى هو المجلس الذي يتحدث فيه القوم والمجلس لا بدعى فاحتجج التقدير المضاف ، والمعنى فأيدع عشيرته ليستنصر بهم (قوله لما اتهره) أي اتهر النبي صلى الله عليه وسلم أبا جهل وقوله حيث نهاه أي نهى أبو جهل النبي صلى الله عليه وسلم .

قوله لقد علمت ما بها) أى بكفة (قوله خيلا - ردا) أى نصيرة الشعر وقوله مردا أى شبايا (قوله سندع الزبانية) واحدها
بنية تكسر أوله وسكون ثانيه وكسر ثالثه من الزين وهو الدفع (قوله الغلاظ الشداد) أى وهم خزنة جهنم أرجلهم فى الأرض
وموسمهم فى السماء ، وهو الزبانية لأنهم يزنبون الكفار أى يدفعونهم فى جهنم (قوله صل) أى دم على الصلاة وعبر عنها
سجود لأنه أفضل أركانها لما فى الحديث « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد » (قوله واقترّب منه) أى من الله
أشئ عليه المفسر من أن المراد بالسجود الصلاة هو المشهور عند جمهور الأئمة . وقال الشافعى : المراد بالسجود سجود التلاوة
ورد فى صحيح مسلم عن أبى هريرة « أنه قال سجدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى إذا السماء انشقت وفى اقرأ
بسم ربك سجدين » فى سجود عند الشافعى فى هذين الوضعين ، ومعنى اقترّب تقرب إلى ربك بطاعته وبالدعاء قال
لله عليه وسلم « أما الركوع فعظموا فيه الرب ، وأما السجود فاجتهدوا فى الدعاء فيه فقمن : أى حقيق أن يستجاب
لكم » وكان صلى الله عليه وسلم يكثر فى سجوده البكاء والتضرع .

[سورة القدر مكية] (قوله أومدنية) هذا هو الأرجح ، وحكى بعضهم أنها أول منازل بالمدينة ولعله تكرر نزولها فيها
على مزيد شرف ليلة القدر (قوله أوست آيات) أى بناء على أن قوله : تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم آية مستقلة
قوله إنا) يؤتى بان لتأكيد الحكم والرد على منكر أوشاك والمخاطبون فيهم ذلك فقد قالوا من تلقاء نفسه وقالوا أساطير الأولين
قالوا تنزلت به الشياطين ، فرد على جميع ذلك بذكر الانزال لأنه (٣١٩) مخلوق ولأمن أساطير الأولين .

إن قلت إن المؤمنين
يصدقون خبر المولى
بأنه نازل كيد والكافرون
يعاندون ولو تعدد
التأكيد . أجيب بجوابين
الأول بمنع أن الكافرين
ماندون مع التأكيد
فإن عادتهم الانقياد
للتأكيدات فربما حصل
لهم هداية بسبب ذلك .
الثانى على تسليم أنهم

قد علمت ما بهارجل أكثر ناديا منى لأملأن عليك هذا الوادى إن شئت خيلا جردا ورجالا مردا
سندع الزبانية) الملائكة الغلاظ الشداد لإهلاكه ، فى الحديث « لودعانا ديه لأخذته الزبانية عيانا »
(كلاً) ردع له (لا تطعه) يا محمد فى ترك الصلاة (وأسجد) صل لله (واقترّب)
بخطا .

(سورة القدر)

مكية أو مدنية ، خمس أوست آيات

(بسم الله الرحمن الرحيم . إنا أنزلناه) أى القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ

يعاندون مع التأكيد فلان سلم حصر إن فى التأكيد بل قد يؤتى بها ترغيبا فى تلقى الخبر والتنبيه بعظيم قدره وشرف حكمه
ونما يحتمل أنها للتكلم للمعظم نفسه وهو الله تعالى إشعارا بتعظيم المنزل والمنزل به ويحتمل أنها للتكلم ومعه غيره فان الله أنزله
والملائكة لهم مدخاية فى إفزاله ، والمعنى إنا وملائكة قدسنا أنزلناه على حد : ن الله وملائكته يصلون ، والاسناد لله حقيقة
إجماعا والملائكة قبل كذلك وقبل مجاز وعليه فلا مانع من الجمع بين الحقيقة والمجاز ، يقال بنى الأمير وعماته المدينة ولا يعترض
بالجمع بين القديم والحديث فى ضمير واحد فانه حاصل فى ضمير يصلون : أليس الله بأحكم الحاكمين ونحوه ، وأما قوله عليه
السلام للخطيب بلس الخطيب لما قال من يطع الله ورسوله فقد اهتدى ومن يعصهما فقد غوى فلأن الخطيب محل اطناب
وقبل وقف على قوله ومن يعصهما قبل الجواب (قوله أنزلناه) . إن قلت الانزال وصف للأجسام والقرآن عرض لأجسم
فكيف يوصف بالانزال ؟ . أجيب بجوابين : الأول أن الانزال بمعنى الإيحاء وفى الكلام استعارة تبعية حيث شبه الإيحاء
بالانزال واستعبر الإيحاء للانزال واشتق من الانزال أنزلنا بمعنى أوحينا . الثانى أن إسناد النزول إليه مجاز عقلى وحيثه أن
يسند لحامله فالتجوز إما فى الطرف أو الاسناد (قوله أى القرآن) أشار بذلك إلى أن الضمير فى أنزلناه عائد على القرآن . إن
قلت إنه لم يقدم له ذكر . أجيب بأنه اتكل على عظم قدره وشهرة أمره حتى لا يحتاج للتصريح (قوله جملة واحدة من اللوح
المحفوظ الخ) أى ثم نزل به جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم نجوما مفرقة فى مدة عشرين سنة أو ثلاث وعشرين سنة ،
ومعنى إنزاله جملة من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا أن جبريل أملاه على ملائكة سماء الدنيا فكتبوه فى صحف وكانت تلك

الصحيح في محل من تلك السماء يقال له بيت العزة (قوله إلى سماء الدنيا) أي إلى بيت العزة منها وما ذكره المفسر من أن المراد إنزال القرآن جملة إلى سماء الدنيا أحد أقوال في تفسير الآية ، وقيل المعنى ابتدأنا إنزاله على محمد صلى الله عليه وسلم في تلك الليلة . إن قلت إن البعثة على رأس الأربعين وميلاده كان في ربيع فكيف يكون مبدء الوحي في رمضان في ليلة القدر ؟ . أجيب بأنه ألقى السكر أو جبر أو ذلك بناء على أن ميلاده في رمضان وقد قيل به أو مبدء الوحي المنام في ربيع ومبدء إنزال القرآن في رمضان . وحكمة إنزاله من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا ثم إنزاله منها مفروقاً ولم ينزله مفروقاً من اللوح المحفوظ أن سماء الدنيا مشتركة بين العالم العلوي والسفلي فانزله إليها جملة فيه تعجيل لمسرته بنزول جميعه عليه وإنزاله منها مفروقاً فيه تأنيس للقلوب وترويح للنفوس وتلطيف به صلى الله عليه وسلم وبأتمته فلم يفته نزوله جملة ولا مفروقاً (قوله الشرف والعظم) هذا أحد أقوال ، وقيل القدر بمعنى تقدير الأمور أي إظهارها في دواوين الملائكة الأعلى ، سميت بذلك لأن الله تعالى يقتدر فيها ما يشاء من أمره إلى مثلها من السنة القابلة من أمر الموت والأجل والرزق وغير ذلك ويسلمه إلى مديرات الأمور وهم الأربعة الرؤساء جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل وقولنا أي إظهارها في دواوين الملائكة الأعلى يدفع ما أورد إن تقدير الأمور أزل . فإن قلت إن تقدير الأمور ليلة النصف من شعبان يجاب بأن ابتداء التقدير ليلة النصف من شعبان وتسليمه للملائكة ليلة القدر ، وقيل القدر بمعنى الضيق من قوله : فقد رزقه فظن أن لن نقدر عليه اضيق النضاء بازدهاموا كب الملائكة فيها (قوله مائة القدر) أي ما مقدار شرفها وليس المراد ما حقيقته فأنها مدة مخصوصة من الزمن (قوله تعظيم شأنها) أي تفخيم لأمرها . قال سفيان بن عيينة : إن كل ما في القرآن من قوله وما أدراك أعلم الله به نبيه صلى الله عليه وسلم وما فيه وما يدريك لم يعلمه به ، والمراد بإعلام الله تعالى في ذلك السياق نفسه فلا ينافي أنه عليه السلام لم يخرج من الدنيا حتى أعلمه الله بكل ما خفي عنه مما يمكن البشر عاينه ، وأما التسوية بين علم القديم والحادث فكفر (قوله خبر من ألف شهر) أي وهي ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر . واختلف في حكمة ذكر العدد فقل المقصود مطلق الكثرة ، وقيل إنه ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم (٣٢٠) رجل من بني إسرائيل حمل السلاح على عاتقه في سبيل الله عز وجل

إلى سماء الدنيا (في ليلة القدر) أي الشرف والعظم (وما أدراك) أعلمك يا محمد (ما ليلة القدر) تعظيم شأنها وتعجيب منه (ليلة القدر خير من ألف شهر)

ألف شهر فعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك وتعجب ذلك لأتمته فقال

يا رب جعلت أمي أقصر الأعمام وأقلها أعمالاً فأعطاء الله ليلة القدر فهي من خصائص هذه الأمة ليس
وهي باقية على الصحيح خلافاً لمن قال برفعها مستنداً بحديث « خرجت لأعلمكم بليلة القدر فتلاحي فلان وفلان فرفعت » ورد
بأن الذي رفع تعيينها بدليل أن في آخر الحديث نفسه : وعسى أن يكون خبراً لكم فالتمسوها في العشر الأواخر إذا رفعها بالمرة
لاخبرائه ولا يتأتى معه التماس . إن قلت الرفع بسبب الملاحة يقتضي أنه من شؤم الملاحة فكيف يكون خبراً ؟ . قلت هو
كالبلاء الحاصل بشؤم معصية بعض العصاة فإذا تلقى بالرضا والتسليم صار خبراً . إن قلت فما هو الذي فات بشؤم الملاحة وما هو
الخبر الذي حصل قلت الفات معرفة عينها حتى يحصل غاية الجهد والاجتهاد في خصوصها والخبر الذي حصل هو الحرص على
التماسها حتى يحجي ليالي كثيرة في الجملة . قالوا أخفى الرب أموراً في أمور الحكم : ليلة القدر في الليالي لتحيا جميعها وساعة الاجابة
في الجمعة ليدعهم في جميعها والصلاة الوسطى في الصلوات ليحافظ على السك والاسم الاعظم في أصنامهم ليدعوا بالجميع ورضاه
في طاعته ليجرص العبد على جميع الطاعات وغضبه في معاصيه لينزجر عن السك والولي في المؤمنين ليحسن الظن بكل
منهم ويحجي الساعة في الأوقات للخوف منها دائماً ، وأجل الإنسان عنه ليكون دائماً على أهبة ، فعلى هذا يحصل ثوابها
لمن قامها ولو لم يعلمها ، نعم العالم بها أكمل ، هذا هو الأظهر . واختلفت المذاهب فيها فقال مالك إنها دائرة في العالم كله والغالب
كونها في رمضان والغالب كونها في العشر الأواخر منه وقال أبو حنيفة والشافعي هي في رمضان لا تنتقل منه والغالب كونها في العشر
الأواخر واشتهر عن أبي كعب وابن عباس وكثير أنها ليلة السابع والعشرين وهي الليلة التي كانت صبيحتها وقمة بدر
التي أعز الله بها الدين وأنزل الله ملائكته فيها مدداً للمسلمين وأيده بعضهم بطريق الإشارة بأن عدد كلمات السورة ثلاثون
كأيام رمضان ، واتفق أن كلمة هي تمام سبعة وعشرين وطريق آخر في الإشارة أن حروف ليلة القدر تسعة وقد ذكرت
في السورة ثلاث مرات وثلاثة في تسعة بسبعة وعشرين . ونقل عن بعض أهل الكشف ضبطها بأول الشهر من أيام الأسبوع
فمن أبي الحسن الشاذلي إن كان أوله الأحد فليلة تسع وعشرين أو الاثنين فاحدى وعشرين أو الثلاثاء فسبع وعشرين

أولاً راء خمسة عشر أو الخمس عشر أو الجمعة فبعضة عشر أو السبت ثلاث وعشرين . ومنها ما قاله بعضهم :
يا حب الاثني والجمعة مواعيدك والحد والأرباع يا حب عيدك بكالي السبت هي يا خميس عيدك كابد ثلاثا ليا الى القدر مع سيدك
هذا كان أول الشهر ، الاثني أو الجمعة تكون ليلة إحدى وعشرين ورمزه يا حب بالجل أو الأحد أو الأرباع فبعض وعشرين
ورمزه طي أو السبت ثلاث وعشرين رمز بكا أو الخميس خميس وعشرين ورمزه هي أو الثلاثاء فبعض وعشرين ورمزه كابد
والشهور في السنة ثلثاء الحديث أن الغالب كونها في العشر الأواخر وأنها في الأوتار . قال سيدي أحمد زروق وغيره : لانفارق
ليلة جمعة من أوتار آخر الشهر ونحوه عن ابن العربي (قوله ليس فيها ليلة قدر) جواب عما يقال إن الألف شهر لا بد فيها
من ليلة قدر فيلزم عليه تفضيل الشيء على نفسه وغيره (قوله فالعمل الصالح فيها) أي من صلاة ودعاء ونسبيح وغير ذلك
(قوله تنزل للملائكة) أصله تنزل بتامين حذف إحداها تخفيفا كما قال المفسر على حد قول ابن مالك :

وما بتامين ابتدئ قد يقتصر فيه على تامين العبر

والثاء في ملائكة تثبت الجمع وإذا حذف امتنع صرفه لصيغة منتهى الجموع وبه يأنز فيقال كلمة إذا حذف من آخرها حرف
امتنع صرفها جمع ملك وأصله ملائكة ووزنه فعال فالهمزة زائدة ومادته تدل على الملك والقوة والسلطنة ، وقيل وزنه مفعول
فالهمزة زائدة ، وقيل هو مقلوب وأصله مائل من الألوكه وهي الرسالة قاب قلبا مكانيا فصار ملائكة وفي وزنه القولان اللذان
وعلى كل يقال سقطت الهمزة فصار ملك والملائكة أجسام نورانية لا يوصفون بكورة ولا بأنوثة أم قدرة على المشكلات
بالصور غير الحسية لا يصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وعبر بتنزل إشارة إلى أنهم ينزلون طائفة بعد طائفة فينزل فوج
ويصعد فوج ، روى أنه إذا كان ليلة القدر تنزل للملائكة وهم سكان سدره المنتهى وجبريل عليه السلام ومعه أربعة ألوية
فيصعد لواء على قبر النبي صلى الله عليه وسلم ولواء على ظهر بيت المقدس (٢٢١) ولواء على ظهر المسجد الحرام

ولواء على ظهر طور سيناء
ولا يدع يتأق فيه مؤمن
أو مؤمنة إلا دخله وسلم
عابه ويقول يا مؤمن أو
يا مؤمنة السلام يقرنكم

ليس فيها ليلة قدر ، فالعمل الصالح فيها خير منه في ألف شهر ليست فيها (تنزل الملائكة)
محذف إحدى التامين من الأصل (وَالرُّوحُ) أي جبريل (فيها) في الليلة (بِإِذْنِ رَبِّهِمْ)
بأمره (مِنْ كُلِّ أَمْرٍ) قضاء الله فيها لتلك السنة إلى قابل ومن سببية بمعنى الباء (سَلَامٌ هِيَ)

السلام بلا على مدين حمر وقاطع رحم وآكل لحم خنزير وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا كان ليلة القدر
نزل جبريل في كبكبة من الملائكة يصلون ويسلمون على كل عبد قائم أو قاعد يذكر الله تعالى » وروى « أن الملائكة في تلك
الليلة أكثر من عدد الحصى » (قوله والروح) إما مرفوع بالابتداء والجار بعده خبره أو بالفاعلية عطفا على الملائكة (قوله
جبريل) هذا أحد أقوال في تفسير الروح وعليه فعطف الروح على الملائكة عطف خاص لشرفه ، وقيل الروح نوع مخصوص
منهم ، وقيل خالق آخر غير الملائكة ، وقيل أرواح بني آدم ، وقيل عيسى مع الملائكة ، وقيل ملك عظيم الحاقة تحت "عرش
ورجلاء في تخوم الأرض السابعة وله ألف رأس كل رأس أعظم من الدنيا وفي كل رأس ألف وجه وفي كل ألف فم وفي كل
فم ألف لسان يسبح الله تعالى بكل لسان ألف نوع من التسبيح والتحميد والكل لسان لغة لا تشبه لغة الآخر فإذا
فتح أفواههم بالتسبيح خرت ملائكة السموات السبع سجدا مخافة أن يحرقهم نور أفواههم وإنما يسبح الله تعالى غدوة وعشية
فينزل في ليلة القدر لشرفها وعلو شأنها فيستغفر للصائمين والصائمات من أمة محمد صلى الله عليه وسلم بتلك الأفواه كلها إلى طلوع
الفجر (قوله فيها) إمامتعلق بتنزل أحوال من الملائكة والروح ، وقوله بإذن ربهم إمامتعلق بتنزل أو بمحذوف حال أيضا ،
والمنى تنزل الملائكة والروح فيها حال كونهم ملتبسين بإذن ربهم لامن تلقاء أنفسهم (قوله من كل أمر) يحتمل أن من بمعنى
باء السببية وعليه درج المنسرح ويصح أنها للتعليل متعلق بتنزل : أي تنزل من أجل كل أمر (قوله قضاء الله فيها) أي أراد
إظهاره للملائكة هذا هو المراد بالقضاء فيها لا القضاء الأزلي (قوله لتلك السنة) أي عما هو منسوب لتلك السنة من أجل أمر
للوت والأجل والرزق وغير ذلك (قوله إلى قابل) متعلق بمحذوف تقديره من تلك الليلة إلى مثلها من قابل (قوله سلام هي)
يصح أن يكون ضمير هي عائدا على الملائكة وسلام بمعنى التسليم ، والمعنى أن الملائكة يسلمون على المؤمنين ويصح أن يعود على
ليلة القدر وسلام أيضا بمعنى التسليم ، والمعنى أن الليلة ذات تسليم من الملائكة

على المؤمنين أو على بعضهم بضاً ويصح على هذا الوجه أن يجعل سلام بمعنى سلامة : أى ليلة القدر ذات سلامة من كل شر . قال القرطبي : ليلة القدر سلامة وخير كلها لا شر فيها حق مطلع الفجر . وقال الضحاك : لا يقدر الله في تلك الليلة إلا السلامة وفي سائر الليالي يقضى بالبلايا والسلامة ، وقيل هي ذات سلامة من أن يؤثر فيها شيطان في مؤمن أو مؤمنة (قوله خبر مقدم) أى فيفيد الحصر : أى ما هي إلا سلام وجعلت عين السلام مبالغة على حد زيد عدل وما ذكره المفسر هو المشهور وجوز الأخفش رفع سلام بالابتداء وهي بالفاعلية به لأنه لا يشترط عنده اعتماد الوصف على نفي أو استفهام (قوله حق مطلع الفجر) متعلق بتنزل وهو ظاهر أو بسلام وفيه أنه يلزم عليه الفصل بين المصدر ومعموله بأجنبي وهو المبتدأ على إعراب المفسر إلا أن يتوسع في الجار ، وأما على إعراب الأخفش فلا إشكال (قوله بفتح اللام وكسرها) أى وهما سبعيتان وهل هما مصدران أو المفتوح مصدر والكسور اسم مكان خلاف . [فائدة] ذكر العلماء ليلة القدر علامات منها قلة نبح الكلاب ونهيق الحمير وعذوبة الماء المالح ورؤية كل مخلوق ساجدا لله تعالى وسماع كل شيء يذكرك الله بلسان المقال وكونها ليلة بلجة مضيئة مشرقة بالأنوار وظاوع الشمس يومها صافية نقية لبست بين قرني الشيطان كيوم غيرها وأحسن ما يدعى به في تلك الليلة العفو والعافية كما ورد ، وينبغي لمن شق عليه طول القيام أن يتخير ما ورد في قراءته كثرة الثواب كآية الكرسي ، فقد ورد أنها أفضل آية في القرآن وكأواخر البقرة لما ورد من قام بهما في ليلة كفتاه ، وكسورة إذا زلزلت لما ورد أنها تعدل نصف القرآن ، وكسورة الكافرون لما ورد أنها تعدل ربع القرآن والإخلاص تعدل ثلثه ، ويس لما ورد أنها قلب القرآن وأنها لما قرئت له ويكثر من الاستغفار والتسبيح والتحميد والتهليل وأنواع الذكر والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ويدعو بما أحب لنفسه ولأحبابه أحياء وأمواتا ويتصدق بما

(٣٢٢)

والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
تيسر له ويحفظ جوارحه
عن المعاصي ويكفي في
قيامها صلاة العشاء
والصبح في جماعة ، وورد
« من صلى المغرب والعشاء
في جماعة فقد أخذ بحظ
وافر من ليلة القدر » وورد
« من صلى العشاء في

خبر مقدم ومبتدأ (حَقَّى مَطَاعَ الْفَجْرِ) بفتح اللام وكسرها إلى وقت طلوعه ، جعلت سلاما لكثرة السلام فيها من الملائكة لا تمر بمؤمن ولا مؤمنة إلا سلمت عليه .

(سورة لم يكن)

مكية ، أو مدنية ، تسع آيات

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ) للبيان (أَهْلِ الْكِتَابِ
وَاشْرِكِينَ) أى عبدة الأصنام عطف على أهل (مُنْفَكِّينَ) خبر يكن ،

أى

جماعة فكأنما قام شطرا الليل فاذا صلى الصبح في جماعة فكأنما قام شطره الآخر «

وقد ورد « من قال لا إله إلا الله الحليم الكريم سبحان الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم ثلاث مرات كان كمن أدرك ليلة القدر » فينبغي الاتيان بذلك كل ليلة .

[سورة البينة] ونسب سورة لم يكن وسورة المنفكين وسورة القيامة وسورة البرية (قوله مكية) هو قول ابن عباس وقوله أو مدنية هو قول الجمهور ومناسبتها لما قبلها أنه لما ثبت إنزال القرآن أخبر تعالى أن الكفار لم يكونوا منفكين عما هم عليه حتى يأتيهم الرسول يتلو عليهم الصحف المطهرة التي ثبت إنزالها عليه وفيها تسلية له صلى الله عليه وسلم كأن الله يقول له لا تحزن على تفرقهم وكفرهم بل نسل بما أوحى إليك ، روى أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي بن كعب « إن الله أمرني أن أقرأ عليك - لم يكن الذين كفروا - فقال أبي وسماني لك . قال النبي صلى الله عليه وسلم نعم فبكي أبي فقرأها صلى الله عليه وسلم واستفيد من الحديث آداب : منها قراءة الأهل على من دونه للتواضع ولا يأنف الكبير من قراءته على الصغير ، ومنها تخصيص صريح الحفظ . الاتقان بالعلم ، وفي ذلك فضيلة عظيمة لأبي حيث جعل موضع سر رسول الله وتظهر إشعاراً بأنه ثقة يصاح للتعليم والتعلم وأمر رسول الله من الله بأن يقرأ عليه (قوله من للبيان) أى فالذين كفروا هم أهل الكتاب والمشركون . إن قلت إن أهل الكتاب لم يكونوا جميعاً كفاراً قبل النبي بل بعضهم كان متمسكاً بنبيهم وكتابهم والبهض كفار كمن غير وبدل ومقتضى المفسر أن جميعهم كفار وليس كذلك فالأحسن جعل من للتبويض والواو في والمشركون للعية والمشركون مفعول معه والعامل فيه يكن (قوله منفكين) اسم فاعل من انفك الذي يعمل عمل كان ومنها ضمير مستكن فيها والخبر محذوف قدره المفسر بقوله عما هم عليه ويصح أن تكون تامة فلا تحتاج لتقدير خبر (قوله خبر يكن) أى واسمها الاسم الموصول فهي ناقصة ، وقوله من أهل

الكتاب حال من قاعل كفروا ، والمعنى أن أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى والمشركين وهم عبدة الأوثان من العرب كانوا يقولون قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم لا تنفك عما نحن فيه من ديننا حتى يبعث النبي صلى الله عليه وسلم الذي هو في التوراة والإنجيل فلما بعث تفرقوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر فحسبى الله تعالى ما كانوا يقولون أولا وما فعلوه آخر (قوله أى زائلين الخ) أشار بذلك إلى أن الانفكاك بمعنى الزوال ، والمعنى أنهم متعلقون بدينهم لا يتركونه إلا عند مجيئ محمد صلى الله عليه وسلم (قوله حتى تأتيهم البينة) غاية اهدم انفكاكهم عما هم عليه . والحاصل أن في الآية تفسيرين الأول حمل ما كانوا عليه قبل مجيئ النبي على شرعهم في حق أهل الكتاب وعلى عبادة الأصنام في حق المشركين ، فالمعنى لم يكن الفريقان منفكين عما كانوا عليه لم يفارقوه إلا وقت مجيئ محمد فلما ظهر محمد تفرقوا فمنهم من آمن به ومنهم من بقي على ما كان عليه ، وهذا المعنى ليس فيه مدح ولا ذم لهم . الثاني أن المراد بما كانوا عليه هو إيمانهم بمحمد إذا ظهر ، والمعنى لم يكونوا منفكين عن العزم على الإيمان بمحمد إذا ظهر : أى لم يفارقوه ولم يتركوه إلا بعد مجيئته صلى الله عليه وسلم ، وفي هذا المعنى توخيخ لهم إذ كيف يؤمنون في الغيب قبل مجيئته ويكفرون به لما جاء ورأوا أنواره ومعجزاته إذا علمت ذلك تعلم أن كلام المفسرأولا محتمل للعنيين وأخرامعرج على المعنى الثاني (قوله بدل من البينة) أى بدل اشتغالهم من الله متعلق بمحذوف صفة لرسول أوحال من محذوف لكونه نعت نكرة قدم عليها (قوله وهو النبي محمد) وقيل جبريل (قوله) (٣٢٣) مطهرة (أى مطهرا ما فيها وهو القرآن (قوله من الباطل) أى فتطهير الصحف كناية عن كونها لا يأتيناها الباطل أصلا (قوله فيها كتب) أى مكتوبات في قراطيس فالقرآن يجمع ثمة كتب الله تعالى المتقدمة عليه والرسول وإن كان أميا لكنه لما تلا مثل ما في الصحف كان كالتالي لها فصحت نسبة تلاوة الصحف إليه وهو أمي

أى زائلين عما هم عليه (حَتَّى تَأْتِيَهُمُ) أتتهم (الْبَيِّنَةُ) أى الحجة الواضحة ، وهى محمد صلى الله عليه وسلم (رَسُولُ اللَّهِ) بدل من البينة ، وهو النبي محمد صلى الله عليه وسلم (يَقْتُلُوا مُحَمَّدًا مَّطَهَّرَةً) من الباطل (فِيهَا كُتُبٌ) أحكام مكتوبة (نِيْمَةً) مستقيمة : أى يتلو مضمون ذلك وهو القرآن فمنهم من آمن به ومنهم من كفر (وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ) فى الإيمان به صلى الله عليه وسلم (إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ) أى هو صلى الله عليه وسلم أو القرآن الجائى به معجزة له ، وقبل مجيئته صلى الله عليه وسلم كانوا مجتمعين على الإيمان به إذا جاء فحسده من كفر به منهم (وَمَا أُمِرُوا) فى كتابيهم التوراة والإنجيل (إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ) أى أن يعبدوه فحذفت أن وزيدت اللام (مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) من الشرك (حُنَفَاءَ) مستقيمين على دين إبراهيم ودين محمد إذا جاء فكيف كفروا به ؟

لا يقرأ ولا يكتب (قوله أى يتلو مضمون ذلك) أى مضمون المكتوب فى الصحف وهو القرآن لأنفس المكتوب لأنه صلى الله عليه وسلم كان يتلو القرآن عن ظهر قلب ولم يكن يقرؤه من كتاب فتحصل أن المراد بالصحف القراطيس التى يكتب فيها القرآن والمراد بالكتب الأحكام المكتوبة فيها التى هى مدلول القرآن المكتوب لفظه ونقشه (قوله فمنهم من آمن) مفرع على محذوف والتقدير فلما أتتهم البينة فمنهم الخ (قوله وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الخ) تصریح بما أفادته الغاية قبله وأفرد أهل الكتاب بالكفر بعد الجمع بينهم وبين المشركين إشارة لبشاعة حالهم لأنهم أشد جرما ويعلم غيرهم بالطريق الأولى وذلك لأنهم لما تفرقوا مع علمهم كانوا أسوأ حالا من الذين تفرقوا مع الجهل (قوله وما أمروا الخ) الجملة حالية مفيدة لقبح ما فعلوا ، والمعنى تفرقوا بعد ما جاءتهم البينة والحال أنهم ما أمروا إلا بعبادة الله الخ (قوله وزيدت اللام) الأولى أن تجعل بمعنى الباء ، والمعنى وما أمروا إلا بأن يعبدوا الخ (قوله مخاصين) حال من ضمير يعبدوا والإخلاص هو صفاء القلب من الأغيار بأن يكون مقصوده بالعمل وجه الله تعالى (قوله حنفاء) حال ثانية ، والحنف فى الأصل الميل مطلقا ثم استعمل فى الميل إلى الخير ، وأما الميل إلى الشر فيسمى إلحادا ، والحنيف المطلق هو الذى يكون متبرئا عن أصول الملل الخمسة اليهود والنصارى والصابئين والمجوس والمشركين وعن فروعها من جميع الاعتقادات الباطلة وتوابع ذلك وهو مقام المتقين فاذا رقى العبد منه إلى ترك الشبهات خوف الوقوع فى المحرمات فهو مقام الورعين فاذا زاد حتى ترك بعض المباحات خوف الوقوع فى الشبهات فهو مقام الأورع والزاهد فالآية جامعة لذلك كله .

(قوله و يقيموا الصلاة) عطف على يعبدوا الله وخص الصلاة والزكاة لشرفهما (قوله وذلك) اسم الإشارة عائد على الأمور به من العبادة وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة (قوله الملة القيمة) قدره إشارة إلى أن دين مضاف لمحذوف والقيمة صفة لذلك المحذوف دفعا لما يقال إن إضافة دين إلى القيمة من إضافة الموصوف إلى صفته وهي بمنزلة إضافة الشيء إلى نفسه وفيها خلاف (قوله إن الذين كفروا) شروع في بيان جزاء كل فريق ومقره (قوله في نار جهنم) خبر إن . والمعنى أنهم مشتركون في جنس العذاب لافى نوعه عذاب الكفار مختلف على حسب كفرهم (قوله حال مقدرة) أى من الضمير المستكن في الخبر (قوله من الله تعالى) متعلق بخلودهم ، والمعنى نحن ننتظر خلودهم بسبب اعتقادنا أن يخلدوا فيها فالتقدير منا والخلود المقدر من الله تعالى (قوله شر البرية) أفعل تفضيل وذلك لأنهم أشر من قطاع الطريق لأنهم قطعوا طريق الحق على الحاق وأشر من الجهال لأن الكفر مع العلم أسوأ منه مع الجهل والبرية بالهمز في الموضعين وتشديد الياء سبعين (قوله جزاؤهم) مبتدأ وقوله عند ربهم حال وقوله جنات عدن خبره وهذا من مقابلة الجمع بالجمع فيقتضى القسمة على الآحاد فيكون لكل واحد جنة وأدنى جنة الواحد مثل الدنيا وما فيها عشر مرات كما أفاده بعض المفسرين (قوله تجري من تحتها الأنهار) أى الأربعة النهر والماء والعسل واللبن (قوله خالدين فيها) عادله (٣٢٤) محذوف : أى دخلوها وأعطوها وقوله أبدا ظرف زمان منصوب بخالدين

(وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ) الملة (الْقِيَمَةُ) المستقيمة (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا) حال مقدرة : أى مقدرا خلودهم فيها من الله تعالى (أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ . إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَصَلُّوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ) الخليفة (جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ) إقامة (تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ) بطاعته (وَرَضُوا عَنْهُ) بشوابه (ذَلِكَ لِمَنْ شِئَ رَبُّهُ) خاف عقابه فانتفى عن معصيته تعالى .

(سورة الزلزلة)

مكية ، أو مدنية ، تسع آيات

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . إِذَا زُلْزَلَتِ الْأَرْضُ) حركت لقيام الساعة (زِلْزَالَهَا) :

قدر قوة العلم والرسوخ في المعرفة ويصحب العبد في الدنيا والآخرة وليس كالخوف والرجاء والصبر والاشفاق وسائر الأحوال التي تزول عن العبد في الآخرة بل العبد يتنعم في الجنة بالرضا ويسأل الله تعالى حتى يقول لهم برضائي أحلكم داري : أى برضائي عنكم . وقال محمد بن الفضل الروح والراحة في الرضا والبقين والرضا باب الله الأعظم ومحل استرواح العابدين (قوله ذلك لمن خشى ربه) اسم الإشارة عائد على المذكور من تفصيل الجزاء الحسن . [سورة الزلزلة مكية] أى في قول ابن مسعود وعطاء وجابر وقوله أو مدنية أى في قول ابن عباس وقتادة (قوله إذا زلزلت الأرض الخ) إذا ظرف لما يستقبل من الزمان جوابه تحدث وهو عامل النصب في إذا ولذا يتولون خافض لشرطه منصوب بجوابه وهذا هو التحقيق عند الجمهور (قوله حركت لقيام الساعة) هذا أحد قولين وهو أن الزلزلة المذكورة تكون عند النفخة الأولى ويشهد له قوله تعالى - إن زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت - الآية وعليه جمهور المفسرين والثاني أنها عند النفخة الثانية ويؤيده قوله بعد : تحدث أخبارها فان شهدتها بما وقع عليها إنما هو بعد النفخة الثانية وكذلك انصراف الناس من القبور . وأما قوله وأخرجت الأرض أنقالها فمحتمل (قوله زلزالها) مصدر مضاف لفاعله وهو بالكسر في قراءة العامة وقرئ شذوذا بالفتح . هما مصدران بمعنى واحد وقيل للكسور مصدر والمفتوح اسم .

(قوله تحريكها الشديد الخ) أى فلان تكن سقى تلقى ماعلى ظهرها من جبل وشجر وبناء (قوله وأخرجت الأرض) إظهار في مقام الاضمار لزيادة التقرير (قوله أنقلها) جمع ثقل بالكسر كحمل وأحمل (قوله كنوزها وموتها) المناسب أن يعبر بأول لانهما قولان قيل المراد إخراج الأموات ، وقيل المراد إخراج الكنوز والأول بعد النفخة الثانية والثاني في زمن عيسى وما بعده وهما مفرعان على القولين المتقدمين فأعطى الله الأرض قوة على إخراج الأثقال كما أعطاهما القوة على إخراج النبات اللطيف الطرى الذى هو أنعم من الحرير (قوله الكافر بالبعث) أى بخلاف المؤمن فإنه يعترف بها ويقول هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون (قوله إنكاراً لتلك الحالة) المناسب أن يقول تعجباً من تلك الحالة لأنه وقت وقوع ذلك لا يسعه إنكار بل يتعجب من تلك الحالة الفظيعة (قوله بدل من إذا) أى والعامل فيه هو العامل في المبدل منه وقيل غيره والتنوين عوض عن الجمل الثلاث المذكورة بعد إذا (قوله تحدث أخبارها) اختلاف في هذا التحديث فقيل هو كلام حقيقى بأن يخلق الله فيها حياة وإدراكاً فتشهد بما عمل عليها من طاعة ومعصية وهو الظاهر وقيل هو مجاز عن إحداث الله فيها من الأحوال مائة يوم مقام التحديث باللسان وحدث يتعدى إلى مفعولين الأول محذوف تقديره الناس والثاني قوله أخبارها (قوله أوحى لها) عداها باللام لمراعاة القواصل والوحى إليها إما بالهام أو رسول من الملائكة (قوله بذلك) أى بالتحدث بأخبارها (قوله في الحديث الخ) أشار بذلك إلى حديث جرير قال «قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية - يومئذ تحدث أخبارها - فقال أتدرون ما أخبرها قالوا الله ورسوله أعلم قال فإن أخبرها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها - تقول عمل على كذا وكذا»

تحرريكها الشديد المناسب لعظمها (وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا) كنوزها وموتها فآلتها على ظهرها (وَقَالَ الْإِنْسَانُ) الكافر بالبعث (مَا لَهَا) إنكاراً لتلك الحالة (يَوْمَئِذٍ) بدل من إذا وجوابها (تُحَدَّثُ أَخْبَارَهَا) تخبر بما عمل عليها من خير وشر (بِأَنَّ) بسبب أن (رَبِّكَ أَوْحَى لَهَا) أى أمرها بذلك ، في الحديث «تشهد على كل عبد أو أمة بكل ما عمل على ظهرها» (يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ) ينصرفون من موقف الحساب (أَشْتَاتًا) متفرقين ، فأخذ ذات اليمين إلى الجنة ، وأخذ ذات الشمال إلى النار (لِيُرَوَّا أَعْمَالَهُمْ) أى جزاءها من الجنة أو النار (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ) زنة غلة صغيرة ،

رواه أحمد والترمذي وصححه الحاكم وغيره (قوله يومئذ) بدل من يومئذ قبله أو منصوب بيصدر (قوله من موقف الحساب) أى وقيل يرجعون من قبورهم إلى ربهم (قوله أشتاتاً) حال من الناس جمع شتيت وقوله متفرقين أى

تلى حسب وصفهم بالإيمان وضده وتفاوتهم في الأعمال فاهل الإيمان على حدة واهل الكفر على حدة فأخذ ذات اليمين إلى الجنة وأخذ ذات الشمال إلى النار (قوله ليروا أعمالهم) متعلق بيصدر وهو من الرؤية البصرية يتعدى بالهمز إلى اثنين أولهما الواو التي هي نائب الفاعل وثانيهما أعمالهم (قوله فمن يعمل مثقال ذرة الخ) تفصيل للواو في قوله ليروا أعمالهم قال مقاتل نزلت في رجلين أحدهما كان يأتيه السائل فيستقل أن يعطيه التمرة والكسرة والجوزة ، وكان الآخر يتهاون بالذنوب اليسير كالكذبة والغيبة والنظرة ويقول إنما وعد الله تعالى النار على الكبائر فنزلت هذه الآية لترغبهم في القليل من الخير يعطونه ولهذا قال عليه الصلاة والسلام «اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة» ولتحذرهم اليسير من الذنوب ، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم «لما تشه إياك ومحقرات الذنوب فإن لها من الله طالباً» وقال ابن مسعود: هذه الآية أحكم آية في القرآن وصدق . وقال كعب الأحبار: لقد أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم آيتان أحصتا ما في التوراة والإنجيل والزبور والصحف - فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره - إن قات كيف عهم مع أن حسنات الكافر محبطة بالكفر وسيئات المؤمن الصغار مغفورة باجتناب الكبائر . أجيب بأن المعنى يرى كل من المؤمن والكافر حسناته وسيئاته مكتوبة في الصحف ولا يلزم من رؤيتها جزاءه عليها لما ورد عن ابن عباس «ليس من مؤمن وكافر عمل خيراً كان أو شراً إلا أراه الله إياه فأما المؤمن فيغفر له سيئاته ويثيبه بحسناته وأما الكافر فتد حسناته تحسراً ويعذب بسيئاته» وهذا يساعد النظم الكريم (قوله زنة غلة صغيرة) أى وكل عائلتها وزن حبة شعير وأربع ذرات وزن خردلة ، وقال ابن عباس : إذا وضعت يدك على الأرض ورفعتها فكل واحدة مما لزم من التراب ذرة وفسر القصة بعضهم بالهباء التي ترى طائفة في الشعاع الداخل من الكوة . وقيل القصة جزء من ألف

وأربعة وعشرين جزءاً من الشجرة (قوله خيراً) تميز مثقال وكذا شراً ويصح أنهما بدلان من مثقال ويرى في الوضعين جواب الشرط مجزوم بحذف الألف وهي قراءة العامة وقرئ شذوذاً بآبائها ويكون مجزوماً بحذف الحركة المقدرة على حد قول الشاخص: إذا العجز غضبت فطلق ولا ترضاها ولا تملق

وفي الهاء قراءتان سبعيتان إحداهما سكونها وقفاً ووصلها في الحرفين والثانية بضمها وصلها وسكونها وقفاً. [فائدة] ورد أن من قرأ إذا زلزلت أربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله وورد عن ابن عباس عنه صلى الله عليه وسلم قال «إذا زلزلت تعدل نصف القرآن» وقل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن وقل يأيها الكافرون تعدل ربع القرآن.

[سورة والعاديات] وتسمى سورة العاديات بغير واو (قوله مكية) أي في قول ابن مسعود وغيره وقوله أومدنية أي في قول ابن عباس وغيره ويؤيده ما روي أنه عليه السلام بعث خيلاً فمضى شهر لم يأت منهم خبر فنزلت إعلاماً له بما حصل منهم (قوله والعاديات الخ) أقسم سبحانه وتعالى بأقسام ثلاثة على أمور ثلاثة تعظيماً للقسم به وتشديداً على القسم عليه والعاديات جمع عادية وهي الجارية بسرعة من العدو وهو الشيء بسرعة (قوله الخيل تعدو في الغزو) أي تسرع في الكر على العدو وهو كناية عن مدح العزة وتعظيمهم (قوله وتضبح ضبحاً) (٣٣٦) أشار بذلك إلى أن ضبحاً منصوب بفعل محذوف وهذا الفعل

حال من العاديات (قوله هو صوت أجوافها) أي صوت يسمع من صدور الخيل عند العدو وليس بصهيل ولا همهمة. وقال ابن عباس ليس شيء من الدواب يضبح غير الفرس والكلب والنعاب وإنما تضبح هذه الحيوانات إذا تغير حالها من نصب أو فرح (قوله قالموريات) عطفه وما بعده بالفاء لأنه مرتب على العدو (قوله توري النار) أي تخرجها من الحجارة

(خَيْرًا يَرَهُ) بِرُتَابِهِ (وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) بِرُجْزَاهُ .

(سورة والعاديات)

مكية أومدنية، إحدى عشرة آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . وَالْعَادِيَاتِ) الخيل تعدو في الغزو وتضبح (ضَبْحًا) هو صوت أجوافها إذا عدت (قَالْمُورِيَّاتِ) الخيل توري النار (قَدْحًا) بخوافرها إذا سارت في الأرض ذات الحجارة بالليل (قَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا) الخيل تغير على العدو وقت الصبح بإغارة أصحابها (فَأَثَرُنَ) هيجن (بِهِ) بمكان عدوهم أو بذلك الوقت (نَقْعًا) غباراً لشدة حركتهم (فَوْسَطُنَ بِهِ) بالنقع (جمعاً) من العدو، أي صرن وسطه،

وعطف

إذا ضربتها بخوافرها يقال وري الزندري وريا من باب وعد فهو لازم وأوريت رباعياً لازماً ومتعدياً وما في الآية من قبيل المتعدي بدليل تفسير المفسر (قوله قدحاً) مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره قدح ولم يذكره المفسر اتكالا على ما قاله في ضبحاً (قوله قالمغيرات) أسند الاغارة وهي مباغطة العدو للهرب أو القتل أو الأمر لتحيل مجازاً عقلياً لمجاورتها لأصحابها وحقه أن يسند لهم (قوله وقت الصبح) أشار بذلك إلى أن صبحاً منصوب على الظرفية والصبح هو الوقت المعتاد في الفرات يسبرون ليلاً لئلا يشعر بهم العدو ويهجمون عليهم صباحاً ليروا ما ياتون وما يذرون (قوله بمكان عدوهم الخ) أعاد الضمير على المكان وإن لم يتقدم له ذكر لأن العدو لابد له من مكان، وقوله أو بذلك الوقت أي وقت الصبح فهما تفسيران وعلى كل فالباء من به بمعنى في (قوله فوسطن) آتى بالفاء في هذا والذين قبله لترتيب كل على ما قبله فإن توسط الجمع مترتب على الاثارة المتقدمة على الاغارة المترتبة على العدو (قوله بالنقع) أشار بذلك إلى أن ضمير به عائد على النقع والباء للابسة والمعنى صرن وسط الجمع من الأعداء ملتبسات بالنقع (قوله أي صرن وسطه) أي الجمع ووسط يسكون السين إن صح حلول بين محله كاهنا وإلا فهو بالتحريك ويجوز على قلة إسمائها يقال جلست وسط القوم بالسكون ووسط الدار بالتحريك.

(قوله على الاسم) أى على كل من الأسماء الثلاثة بدليل قوله واللاتى عدون الخ وقوله لأنه أى الاسم وقوله فى تأويل الفعل أى لوقوعه صلة لآل وإلى ذلك أشار ابن مالك بقوله :

واعطف على اسم شبه فعل فعلا وعكسا استعمل تحده سهلا

(قوله إن الإنسان) هذا هو جواب القسم (قوله الكافر) هذا أحد وجهين والآخر أن المراد به الجنس ، والمعنى أن الإنسان مجبول على ذلك إلا من عصمه الله من تلك الحصال (قوله لكفور) أى فىقال كند النعمة أى كفرها وبابه دخل ، وفى الحدث «السكنود الذى يأكل وحده ويمنع رفقته أى عطاءه ويضرب عبده» وقال ذوالنون المصرى : الهلوع والسكنود هو الذى إذا مسه الشر جزوع وإذا مسه الخير منوع وقيل هو الجهول لقدره ، وفى الحكم : من جهل قدره هلك ستره ، وقيل هو الحقود الحسود (قوله وإنه على ذلك) الضمير عائد على الإنسان واسم الإشارة عائد على السكون . والمعنى وإن الإنسان على كنوده لشهيد والمراد شهادته فى الدنيا فإن حاله وعمله يدلان على كنوده (٣٢٧) كنوده وكفره وهذا مامشى عليه

المفسر وهو أحد احتمالين والآخر أن الضمير فى أنه عائد على الله تعالى ، والمعنى وإن الله تعالى شهيد على كنود الإنسان فىكون زيادة فى الوعيد (قوله بصنعه) أى بما صنعه وعمله فالباء صيدية (قوله لحب الخير) متعلق بشديد قدم كالذى قبله رعاية للفواصل واللام للتقوية وحبه للمال بحمله على البخل وقيل للتعليل ومعنى شديد بخيل (قوله أفلا يعلم) الهمزة داخلية على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير أيفعل مايفعل من القبائح فلا يعلم الخ والهمزة

وعطف الفعل على الاسم لأنه فى تأويل الفعل : أى واللاتى عدون فأوربن فأغرن (إن الإنسان) الكافر (لِرَبِّهِ أَكْفُودٌ) لكفور يجحد نعمته تعالى (وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ) أى كنوده (أَشَدُّ حِدًّا) يشهد على نفسه بصنعه (وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ) أى المال (أَشَدُّ حِدًّا) أى لشديد الحب له فيبخل به (أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ) أثير وأخرج (مَا فِي الْقُبُورِ) من الموتى ، أى بعثوا (وَحُصِّلَ) يَنُّ وأفرز (مَا فِي الصُّدُورِ) القلوب من الكفر والإيمان (إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ خَبِيرٌ) لعالم فيجازيهم على كفرهم أعيذ الضمير جمعاً نظراً لمعنى الإنسان ، وهذه الجملة دلت على مفعول يعلم : أى إنا نجازيه وقت ما ذكر ، وتعلق خبر بيومئذ ، وهو تعالى خير دائماً لأنه يوم المجازاة .

للاشكار وعلم بمعنى عرف فتعدى لمفعول واحد وهو محذوف تقديره إنا نجازيه دل عليه قوله إن ربهم بهم يومئذ خير ، وقوله إذا بعث ظرف للمفعول المحذوف ولا يصح أن يكون ظرفاً للعلم لأن الإنسان لا يقصد منه العلم فى ذلك الوقت وإنما يراد للعلم وهو فى الدنيا ولا بعث لأن المضاف إليه لا يعمل فى المضاف ولا لقوله خير لأن ما بعد أن لا يعمل فيما قبلها فتعين أن يكون ظرفاً للمفعول المحذوف تأمل (قوله إذا بعث ما فى القبور) البعثة بالعين والبعثرة بالحاء استخراج الشئ واستكشافه وعبر بما تظاير لغير العاقل (قوله نظراً لمعنى الإنسان) أى لأنه اسم جنس (قوله دلت على مفعول يعلم) أى المحذوف الذى هو عامل فى إذا والتنوين فى يومئذ عوض عن جملتين والتقدير يوم إذا بعث ما فى القبور وحصل فى الصدور وهو يوم القيامة (قوله وقت ما ذكر) أى من البعثة وتحصيل ما فى الصدور وأشار بذلك إلى أن إذا ظرفية بمعنى وقت لا شرطية فلا جواب لها (قوله وتعلق خبر بيومئذ الخ) جواب عما يقال كيف قال ذلك مع أنه تعالى خير بهم فى كل زمن فأجاب بأنه أطلق العلم وأراد المجازاة بمعنى قوله خير أنه يجازيهم ولا شك أن الجزاء مقيد بذلك اليوم نظير قوله تعالى - أولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم أى يجازيهم .

سورة القارعة [مناسبتها لما قبلها أنه تعالى لما ذكر بعثرة القبور وختم السورة للتقدمة بقوله إن ربهم يومئذ لمحير
بهم بأحوال القيامة كأنه قيل وما ذلك اليوم فليل هو القارعة (قوله ثمان آيات) هذا أحد أقوال وقيل عشر وقيل إحدى
عشرة آية (قوله القارعة) هي في الأصل الصوت الشديد سميت القيامة بذلك لأنها تقرر القلوب بالفرع والشدائد وعليه درج
المفسر وفيه لأن إمرأته يقرر الصور بالذبح ، فإذا نفخ النفخة الأولى مات جميع الخلائق ، وبالثانية يحيون (قوله التي تقرر
اللوب) أي تفرعها ولا مفهوم لللوب بل تؤثر في الأجرام العظيمة فتؤثر في السموات بالانشقاق وفي الأرض بالتبديل وفي
الجبال بالذبح وفي الكواكب بالانتثار وفي الشمس والقمر بالتكوير وغير ذلك (قوله تهويل لشأنها) أي وتما كيد
ظاعتها بكونها خارجة عن دائرة علم الخلائق وفي كلام المفسر إشارة إلى أن ما الاستفهامية فيها معنى التعظيم والتعجب (قوله
لها مبتدأ وخبر) المبتدأ هو ما الاستفهامية والخبر للقارعة وقوله القارعة أي الأولى الواقعة مبتدأ والرابط إعادة للمبتدأ بلفظه
قوله زيادة تهويل لها) أشار بذلك إلى أن الاستفهام الثاني وهو قوله ما القارعة للتهويل والتعظيم وأما الأول وهو وما أدراك
وإنكاري ، والمعنى أنت لا تعلم (٣٢٨) هول القارعة لشدة وفظاعته إلا يوحى منها فالتنقي علمه من غير وحى

(سورة القارعة)

مكية، ثمان آيات

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . الْقَارِعَةُ) أي القيامة التي تقرر القلوب بأهوالها
(مَا الْقَارِعَةُ) تهويل لشأنها وما مبتدأ وخبر خبر للقارعة (وَمَا أَذْرِيكَ) أعلمك (مَا الْقَارِعَةُ)
زيادة تهويل لها ، وما الأولى مبتدأ وما بعدها خبره وما الثانية وخبرها في محل المفعول الثاني
لأدري (يَوْمَ) ناصبه دل عليه القارعة : أي تقرر و (يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ)
كفوغاء الجراد المنتشر يوج بعضهم في بعض للحيرة إلى أن يدعوا للحساب (وَتَكُونُ الْجِبَالُ
كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ) كالصوف المندوف في خفة سيرها حتى تستوى مع الأرض (فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ
مَوَازِينُهُ) بأن رجحت حسناته على سيئاته (فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ) في الجنة : أي ذات
رضا بأن يرضاها أي مرضية له (وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ) ،

قوله في محل المفعول الثاني
(أدري) أي والكاف
مفعول أول (قوله دل
عليه القارعة) أي ولا
مع أن يكون العامل
له لفظ القارعة الأول
فصل بينهما بالخبر ولا
ثاني ولا الثالث له
شأنه معه في المعنى تعين
أن يكون عامه محذوفا
ل عليه لفظ القارعة
قوله كالفراش المبثوث
أي ووجه الشبه الكثرة
لانتثار والضعف والذلة
الاضطراب والتطابر إلى
النار والطيش الذي

لأدريهم وركوب بعضهم بعضا في هذا التشبيه مبالغات شتى (قوله كفوغاء
الجراد) كفوغاء الجراد الصغير بعد أن ينبت جناحه الذي ينتشر في الأرض ولا يدري أين يتوجه وقيل هو شيء يشبه البعوض
ولا بعض أضعفه ووجه الجمع بين ما هنا وبين آية كأنهم جراد منتشر أن أول حالهم كالفراش يقيمون من قبورهم متحيرين لا يدرون
ين يتوجهون ثم لما يدعوا للحساب يكونون كالجراد لأن لها وجهها تقصده (قوله كالصوف المندوف) أي بعد أن تفتت كالرمل السائل ثم
بعد كونها كالعن نصير هباء منبثا مراتب الجبال ثلاثة تفتتها ثم صيرورتها كالعن ثم صيرورتها هباء منبثا وقوله المندوف أي
الضروب بالندفة وهي الحشبة التي بطرق بها التور ليرق وإنما جمع بين حال الناس وحال الجبال تغييرا على أن تلك القارعة أثرت
في الجبال العظيمة الصلبة حتى نصير كالعن المنفوش مع كونها غير مكافة فكيف حال الإنسان الضعيف الذي هو مقصود بالتكليف
والحساب (قوله فأما من ثقلت موازينه) تفصيل لأحوال الناس في ذلك اليوم والراد بالموازن الموزونات أي الأحمال التي توزن (قوله بأن
رجحت حسناته الخ) أي وأولى إذا عذمت سيئاته ولم يوجد له لإحسانات (قوله فهو في عيشة راضية) أي حياة طيبة وقوله في الجنة
تفسير باللازم (قوله أي ذات رضا) أشار بذلك إلى أن المراد عيشة منسوبة للرضا كلابن وتامر ، ولذا فسرها بقوله : أي
مرضية وفي نسخة أو مرضية فهو إشارة إلى أن الاسناد مجازي أي راض صاحبها بها فهو مجاز عقلي أو أطلق اسم الفاعل

وأراد اسم للفعل فهو مجاز مرسل ، والمعنى أن من رجعت حسنة على سيئته فهو في حياة طيبة في الجنة ورضا من الله تعالى عليه وهو مع ذلك راض بما أعطاه له ربه فرضى الله عنهم ورضوا عنه (قوله بأن رجعت سيئاته على حسنة) أي وأولى إذا صحت حسنة رأساً . إن قلت إن ظاهر الآية يقتضي أن المؤمن العاصي إذا زادت سيئاته على حسنة تكون أمه هاوية . وأجيب بأن ذلك لا يدل على خلوه فيها بل إن عامله ربه بالعدل أدخله النار بقدر ذنوبه ثم يخرج منها إلى الجنة فقوله : فأمه هاوية يعني ابتداء إن عامله بالعدل وهذا ما درج عليه المفسر ، وقيل المراد بخفة الموازين خلوها من الحسنات بالسكينة وذلك موازين الكفار ، والمراد بثقل الموازين خلوها من السيئات بالسكينة أو وجود سيئات قايلة لا توازي الحسنات . وبقي قسم ثالث وهو من استوت حسنة وسيئاته وحكمه أنه يحاسب حساباً يسيراً ويدخل الجنة . والحاصل أن من وجدت له حسنات فقط أو زادت على سيئاته فهو في الجنة بغير حساب ، ومن استوت حسنة وسيئاته فهو يحاسب حساباً يسيراً ويدخل الجنة ، ومن زادت سيئاته على حسنة فهو تحت الشبهة إن شاء الله عفا عنه وإن شاء عذبه بقدر جرمه ثم يدخل الجنة ومن وجدت له سيئات فقط وهو الكافر فأواه النار خالداً فيها ، نسأل الله السلامة (قوله فسكنه) عبر عن السكن بالأم لأن أهله يأوون إليه كما يأوى الولد إلى أمه فتضمنهم إليها كما تضم الأم الأولاد إليها ، وقيل المراد أم رأسه يعني أنهم يهرون في النار على رؤسهم وبه قال قتادة (قوله هاوية) سميت بذلك لغاية عمقها وبعد مهواها ، روى «أن أهل النار يهرون فيها سبعين خريفاً» فتحصل أن المراد بالهاوية النار بجميع طباقها وتطابق على طبقة أسفل يعذب فيها المنافقون ثم لظي (٣٢٩) والحطمة والهاوية وجهنم وبقية

بأن رجعت سيئاته على حسنة (فأمه) فسكنه (هاوية) . وَمَا أَذْرِيكَ مَا هِيَ (أي ماهاوية هي) (نارٌ حامية) شديدة الحرارة ، وهاء هيمة للست تثبت وصلاً ووقفاً وفي قراءة تحذف وصلاً .

(سورة التكاثر)

مكية ، ثمان آيات

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . أَلَمْ نَكْمِ شَغْلَكُمْ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ (التَّكَاثُرُ) التَّفَاخُرُ بِالْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَالرِّجَالِ (حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ) بأن متم فدفنتم فيها أو عدتتم الموتى تكاثراً

(قوله هي نار) أشار بذلك إلى أن نار خير المحذوف (قوله وفي قراءة) أي وهما سبعيتان بقوله تحذف وصلاً أي وتثبت وقفاً . [سورة التكاثر] أي السورة التي ذكر فيها ذم التكاثر ومناسبتها لما قبلها أنه لما ذكر أهوال القيامة ذم اللاهين والشغافين عنها (قوله أَلَمْ نَكْمِ التَّكَاثُرُ) ألمى فعل ماضٍ رباعي والسكاف مفعول مقدم والتكاثر فاعل مؤخر فالهمزة من بنية السكامة تثبت ولو في الدرج ، والمعنى شغلكم التباهي بكثرة الأموال عن عبادة ربكم والتكاثر تفاعل كالتجاذب وهو يكون بين اثنين ، لأن أحد الشخصين المتفاخرين يقول لصاحبه : أنا أكثر منك مالا وأهن نفراً ، وأل في التكاثر لأنه هو التكاثر في الدنيا ولذاتها وعلائقها المشغل عن حقوق الله تعالى (قوله عن طاعة الله) هي شاملة للواجبة والمندوبة (قوله والرجال) أي الانتساب إليهم كالأقرباء والأحباب (قوله حتى زرتهم المقابر) حتى غاية اللهاة المذكور وهذا هو محط الدم وإلفان تاب من ذلك قبل موته قبل وكأ . لم يحصل منه تكاثر (قوله بأن متم فدفنتم فيها) أي فيقال زلر قبره إذا مات ودفن ، والمعنى أَلَمْ نَكْمِ حَرَصَكُمْ عَلَى تَكْثِيرِ أَمْوَالِكُمْ عَنْ طَاعَةِ رَبِّكُمْ حَتَّى أَتَاكُمْ الْمَوْتُ وَأَنْتُمْ عَلَى ذَلِكَ ، ولا يقال إن الزيارة تكون ساعة وتنفضي والميت يمكث في قبره ، لأننا نقول إن الموتى يرتحلون من القبور للحساب فكان مدة مكثه في قبره زيارة له والمقابر جمع مقبرة بتثنية الباء وهي المحل الذي تدفن فيه الأموات (قوله أو عدتتم الموتى) تفسير ثان للزيارة فمعبر عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة لمقابر تهكم بهم وعليه فزيارة المابر كناية عن الانتقال من ذكر الأحياء إلى ذكر الأموات تفاخراً ، وإنما كان تهكماً لأن زيارة القبور شرعت لتذكير الموت ورفض حب الدنيا وترك المباهاة والتفاخر وهؤلاء

كسوا حيث جعلوا زيارة القبور سببا لمزيد القساوة والاستفراق في حب الدنيا والتفاخر في الكثرة . فاصل الوجهين راجع
 إلى أن المراد بالزيارة إما الانتقال إلى الموت أو الانتقال من ذكر الأحياء إلى ذكر الأموات وتعدادهم والتفاخر بهم ومن ذلك
 إيفاء أهل زماننا من زخرفة نعوش والقبور وما يتبع ذلك مما هو مذموم شرعا وطبعيا . وأما ذكر مكارم الأخلاق والطاعات
 يجوز إن لم يكن على وجه العجب بل على سبيل التحدث بالنعم أو ليقترن به (قوله ردع) مشى الفسر على أن كل الأولى
 الثانية حرف ردع ، والثالثة بمعنى حقا ومشى غيره على التسوية بين الثلاثة فهي إما للردع أو بمعنى حقا ، وقيل إنها
 الثلاثة بمعنى ألا الاستفتاحية (قوله عند النزع ثم في القبر) لفظة ونشر مرتب فقوله عند النزع راجع لقوله سوف تعلمون
 لأول وقوله ثم في القبر راجع للثاني وثم على بابها من المهلة وهذا قول علي بن أبي طالب والحكمة في حذف متعلق العلم من
 لأفعال الثلاثة أن الغرض هو الفعل لا متعلقه والعلم بمعنى المعرفة فيتعدي لمفعول واحد أشار له المفسر بقوله سوء عاقبة تفاخركم
 (قوله أي علما يقينا) أشار بذلك إلى أن إضافة العلم إلى اليقين من إضافة الوصف إلى صفته ، والمعنى لو تعلمون ما بين أيديكم
 علما يقينا ما شغلكم التكاثر عن طاعة الله تعالى (قوله عاقبة التفاخر) بيان لمفعول العلم وقوله ما اشتغلتم به جواب لو (قوله
 جواب قسم محذوف) أي ولا يصح أن يكون جوابا للو لأنه محقق الوقوع فلا يصح تعليقه . والرؤية هنا بصرية تتعدى إلى
 مفعول واحد (قوله وحذف منه لام الفعل) أي وهي الباء وقوله وعينه : أي وهو الهمزة لأن أصله رأيون بوزن تفاعلون
 سقطت الهمزة وتحركت الباء وانفتح ما قبلها فقلت ألفا فالتقى سا كنان

(٣٣٠)

سقطت حركة الهمزة لاراء قبلها

(كَلَّا) ردع (سَوْفَ تَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ) سوء عاقبة تفاخركم عند
 النزع ثم في القبر (كَلَّا) حقا (أَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ) أي علما يقينا عاقبة التفاخر
 ما اشتغلتم به (لَتَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ) النار جواب قسم محذوف وحذف منه لام الفعل وعينه
 والتقى حركتها على الراء (ثُمَّ لَتَتَرَوُنَّهَا) تأكيد (عَيْنَ الْيَقِينِ) مصدر لأن رأى وعان
 بمعنى واحد (ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ) حذف منه نون الرفع لتوالي النونات وواو ضمير الجمع لالتقاء
 الساكنين (يَوْمَئِذٍ) يوم رؤيتها (عَنِ النَّعِيمِ) ما يتلذذ به في الدنيا : من الصحة ، والفراغ ،
 والأمن ، والمطعم ، والمشراب وغير ذلك .

حذفت الألف لالتقاء
 الساكنين ثم دخلت نون
 التوكيد الثقيلة لحذفت
 نون الرفع لتوالي الأمثال
 وحركت الواو بالضم
 لالتقاء الساكنين ولم
 تحذف لعدم الدليل الذي
 يدل عليها (قوله تأكيد)
 هذا أحد قولين والآخر
 أن الأول هو رؤية اللهب

(سورة)

والثاني هو رؤية ذاتها وما فيها من أنواع العذاب (قوله عين اليقين) صفة

لمصدر محذوف : أي لترونها رؤية هي عين اليقين ووصفت الرؤية التي هي سبب اليقين بكونها نفس اليقين مبالغة والفرق بين
 علم اليقين وعين اليقين أن علم اليقين هو إدراك الشيء من غير مشاهدة ، وعين اليقين هو العلم به مع المشاهدة . وأما حق اليقين
 فهو المشاهدة مع الملازمة والممازجة ، وقد أخبر الله هنا بالأولين وأخبر بالثالث في سورة الواقعة حيث قال - وأما إن كان من
 المكذبين الآية (قوله ثم تسألن) أظهر أن الخطاب للكفار لأنهم هم المشتغلون بالدنيا والتفاخر بقدراتها عن طاعة الله تعالى
 وقيل هو عام في حق المؤمنين والكافرين ، نعم أنس أنه قال : لما نزلت الآية قام رجل أعرابي محتاج فقال هل علي من النعم شيء ؟
 فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم الظل والنعلان والماء البارد . والأولى أن يقال السؤال يتم المؤمن والكافر لكان سؤال
 الكافر توخيح وتقريع لتركه الشكر وسؤال المؤمن تشريف وإظهار لفضله وتبشير بأن يجمع له بين نعيم الدنيا والآخرة وثم
 على بابها من الترتيب المعنوي لأنهم يرون النار في الموقف تحديق بهم ثم يذهبون للحساب فيسألون (قوله حذف منه نون
 الرفع) أي فاصلة تسألون حذف نون الرفع لتوالي النونات فالتقى سا كنان حذف الواو لالتقاءهما وبقيت الضمة فلا عليها
 (قوله عن النعيم) أي عن جميع أفراد وأنواعه فالاستفراق (قوله وغير ذلك) أي كظلال المسكن والأشجار والأخبية
 التي تنقي من الحر والبرد والماء البارد وكل العين ولبس الإنسان ثوب أخيه وشبع البطن ولذة النوم والعافية ونحو ذلك مما
 لا يحصى عددا . روى الحاكم والبيهقي : لا يستطيع أحدكم أن يقرأ ألف آية في كل يوم ؟ قالوا ومن يستطيع أن يقرأ ألف آية ؟
 قال أما يستطيع أحدكم أن يقرأ المساكم النكار .

[سورة العصر مكية] نى في قول ابن عباس والجمهور وقوله أو مدنية أى في قول قتادة ونقل عن ابن عباس أيضا (قوله ثلاث آيات) هذه السورة والكور أقصر سور القرآن وهما وإن كانتا من جهة الألفاظ قليلتين فمعناها كثير لا يقف عند حد (قوله والعصر) قسم من الله تعالى وجوابه قوله : إن الانسان لفي خسر (قوله الدهر الخ) هذا أحد الأقوال الثلاثة التي ذكرها المفسر في معنى العصر ووجه قسمه بالدهر أنه يحصل فيه السراء والضراء والصحة والسقم والغنى والفقر ونحو ذلك ، ولأن العصر لا يقاوم شيء فلو ضيعت ألف سنة فيما لا يعنى ثم ثبتت السعادة في اللحظة الأخيرة بقيت في الجنة أبد الآباد فكان أشرف الأشياء حياتك في تلك اللحظة ولأن الدهر والزمان من جملة أصول النعم ، وقوله أو مابعد الزوال إلى الغروب : أى ووجه القسم به أن فيه العجائب وأيضا يدرك للمعصر فيه ما فات أول النهار ، وقوله أو صلاة العصر : أى فأقسم بها لشرفها ولأنها الصلاة الوسطى في قول بدليل ما في مصحف عائشة وحفصة : حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى صلاة العصر ولما ورد « من فاته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله » وقيل العصر زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقسم بزمانه كما أقسم بمكاه في قوله : لا أقسم بهذا البلد وبعمره في قوله : لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون ، ففيه تنبيه على أن عصره أفضل العصور وبلده أفضل البلاد وحياته أفضل من حياة غيره ، وقيل العصر زمانه وزمان أمته لأنه ختام العصور وأفضلها وفيه ظهور الساعة وعجائبها (قوله إن الانسان لفي خسر) مثنى المفسر على أن المراد بالانسان الجنس الشامل للمسلم والكافر ، وذلك لأن الانسان لا ينفك عن خسران لأن الخسران هو تضييع العمر فإن كل ساعة تمر من عمر الانسان إيمان تكون (٣٣١) لك الساعة في طاعة أو معصية

فإن كانت في معصية فهو الخسران البين وإن كانت في طاعة فلعل غيرها أفضل وهو قادر عليه فكان فعل غير الأفضل تضييعا وخسرانا وأيضا ربح الانسان في طلب الآخرة وحبها والاعراض عن الدنيا فلما كانت الأسباب الداعية إلى

(سورة والعصر)

مكية أو مدنية ، ثلاث آيات

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . وَالْعَصْرِ . الدَّهْرِ ، أو ما بعد الزوال إلى الغروب ، أو صلاة العصر (إِنْ الْإِنْسَانُ) الجنس (لَفِي خُسْرٍ) في تجارته (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) فليسوا في خسران (وَتَوَّاصَوْا) أوصى بعضهم بعضاً (بِالْحَقِّ) أى الإيمان (وَتَوَّاصَوْا بِالصَّبْرِ) على الطاعة وعن المعصية .

الآخرة خفية والأسباب الداعية إلى حب الدنيا ظاهرة وأثر شغال الناس بحب الظاهر كانوا في خسران وبوار قد أهلكوا أنفسهم بتضييع أعمارهم فيما لم يخلقوا له وقوله : لفي خسر : أى غبن . وقيل هلكة . وقيل عقوبة . وقيل شر . وقيل نقص ، والى في متقارب ، وقيل المراد بالانسان الكافر بدليل استثناء المؤمنين بعد وخسرانه ظاهر (قوله إلا الذين آمنوا) الاستثناء متصل إن أريد بالانسان الجنس . وأما إن أريد به خصوص الكافر فهو منقطع لأن المؤمنين لم يدخلوا في عموم الخسران (قوله وعملوا الصالحات) أى امتثلوا للأمورات واجتنبوا المنهيات . واعلم أنه سبحانه وتعالى حكم بالخسران على جميع الناس إلا من أتى بهذه الأشياء الأربعة ، وهى الإيمان والعمل الصالح والتواصى بالحق والتواصى بالصبر . والحكمة في ذلك أن هذه الأمور اشتملت على ما يخص الانسان في نفسه وهو الإيمان والعمل الصالح وما يخص غيره وهو التواصى بالحق والتواصى بالصبر فاذا جمع ذلك فقد قام بحق الله وحق عباده (قوله أوصى بعضهم بعضاً) أشار بذلك إلى أن تواصوا فعل ماض لا فعل أمر (قوله أى الإيمان) أى وفروعه من الطاعات واتباع السالف الصالح والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة ونحو ذلك (قوله وتواصوا بالصبر) كرر الدهل لاختلاف المفعولين ، والصبر وإن كان داخلا في عموم الحق إلا أنه أفرد بالذكر اعتناء بشأنه لما فيه من زيادة حبس النفس والرضا بأحكام الربوبية (قوله على الطاعة وعن المعصية) أى وعلى البليات والمصائب وهذا ما ذكره المفسر . وقيل المعنى إن الانسان إذا عمر في الدنيا وهرم لفي نقص وتراجع حسا ومعنى إلا الذين آمنوا فإن الله يكتب أجورهم ومحاسن أعمالهم التي كانوا يعملونها في شبابهم ومهم فاتهم وإن ضمت أجسامهم لا ينقصون معنى وعلى هذا المعنى فتكون هذه الآية بمعنى قوله تعالى - لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون - .

أبرهة عند ذلك لبس رداء إلى الكعبة ثم يهدمها فكتب إلى النجاشي يخبره بذلك وسأله أن يبعث إليه بفيله وكان فيلًا يقال له
محمود وكان فيلًا لم ير مثله عظمًا وجسمًا وقوة فبعث به إليه ، فخرج أبرهة من الحبشة سائرًا إلى مكة وخرج معه بالفيل فسمعت
العرب بذلك فغضبوه ورأوا جهاده حقا عليهم ، فخرج ملك من ملوك اليمن يقال له ذو نفر بن أطماعه من قومه فقاتله فهزمه
أبرهة وأخذ ذا نفر ، فقال لأبرهة يا أيها الملك استبقني فإن بقائي خير لك من قتلي فاستحياء وأوثقه وكان أبرهة رجلا حليما ،
ثم سار حتى إذا دنا من بلاد خثعم خرج إليه نفيل بن حبيب الخثعمي في خثعم ، ومن اجتمع من قبائل اليمن فهزمهم وأخذ نفيلًا
فقال نفيل أيها الملك إني دليل بأرض العرب فاستبقاه وخرج معه يده له حتى إذا صر بالطائف خرج إليه مسعود بن مغيث في رجال
من ثقيف ، فقال أيها الملك نحن عبيدك ليس عندنا خلاف لك إنما تريد البيت الذي بكمة نحن نبعث معك من يدلك عليه
فبعثوا معه أبارغال مولى لهم فخرج حتى إذا كان بالمخمس مات أبو رغال وهو الذي يرجم قبره الآن وبعث أبرهة رجلا من الحاشية
يقال له الأسود بن مسعود مقدمة خيله وأمره بالفارة على نهم الناس فجمع الأسود إليه أموال أصحاب الحرم وأصاب لعبد المطلب
مائق بعير ، ثم إن أبرهة أرسل حناطة الحميري إلى أهل مكة وقال له سل عن شريفها ثم أبلغه ما أرسلك به إليه أخبره أنني لم آت
لقتال إنما جئت لأهدم هذا البيت ، فالتقى حتى دخل مكة فلقى عبد المطلب فقال له إن الملك أرسلني إليك لأخبرك أنه لم يأت
لقتال إلا أن تقاتلوه وإنما جاء لهدم هذا البيت ، ثم الانصرف عنكم ، فقال عبد المطلب ماله عندنا قتال ولا لنا يد أن ندفعه
عما جاء له فإن هذابيت الله الحرام وبيت إبراهيم خليله عليه السلام فإن يمنعه فهو يئته وحرمة وإن يخل بينه وبين ذلك فوالله
مالنا بدفعه قوة قل فانطلق معي إليه ، فزعم بعض العلماء أنه أردفه على بغلة كان عليها وركب معه بعض بنيه حتى قدم العسكر
وكان ذو نفر صديقا لعبد المطلب ، فقال يا ذا نفر هل عندك من غناء أي نفع فيما نزل بنا ؟ قال أنا رجل أسير لا آمن أن أقتل
بكرة أو عشية ولكن سأبعث إلى أنيس سائس الفيل فانه لي صديق فأسأله أن يصنع لك عند الملك ما استطاع من خير ويعظم
حظوتك ويزلتك عنده (٣٣٤) قل فأرسل إلى أنيس فأثاه فقال : إن هذا سيد قريش وصاحب عبر مكة

يطعم الناس في السهل
والوحوش في رؤوس

الجبال ، وقد أصاب الملك له مائق بعير فإن استطعت أن تنفعه عنده فانفعه فانه
صديق لي أحب ما وصل إليه من الخير ، فدخل أنيس على أبرهة فقال أيها الملك هذا سيد قريش وصاحب عبر مكة الذي يطعم
الناس في السهل والوحوش في رؤوس الجبال يستأذن عايك وأنا أحب أن تأذن له فيكاملتك فقد جاء غير ناصب لك ولا مخالف
عليك فأذن له وكان عبد المطلب رجلا جسيما وسيما فلما رآه أبرهة عظمه وأكرمه عن أن يجلس تحته وكره أن تراه الحبشة
يجلسه معه على سريرته فجلس على بساطه وأجلس عبد المطلب بجانبه . ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك إلى الملك فقال له الترجمان
ذلك ، فقال له عبد المطلب حاجتي إلى الملك أن يرد علي مائق بعير أصابها ، فقال أبرهة لترجمانه قل له قد كنت أعجبني حين
رأيتك واقعد زهدت الآن فيك . قال لم ؟ قال جئت إلى بيت هودينك ودين آباءك وهو شرفكم وعصمتكم لأهدمها لم تسلكني
فيه ونسكمني في مائق بعير غصبته لك . قال عبد المطلب أناربت هذه الإبل ولهذا البيت رب سيمعنه منك . قال ما كان ليمنعه
منى قال فأنت وذاك ، فأمر بإبله فردت عليه ، فلما ردت الإبل على عبد المطلب خرج فأخبر قريشا الخبر وأمرهم أن يتفرقوا في
الشعاب ويتحزروا في رؤوس الجبال خوفا عليهم من مرة الحبش ففعلوا وأتى عبد المطلب وأخذ حلقة الباب وجعل يدعو فلما
فرغ من دعوته توجه في بعض تلك الوجوه مع قومه وأصبح أبرهة بالمخمس قد تهيأ للدخول وهيأ جيشه وهيأ فيله وكان فيلًا
لم ير مثله في العظم والقوة . ويقال كانت الأفيال اثني عشر فيلًا فأقبل نفيل إلى الفيل الأعظم ثم أخذ بأذنه وقال له ابرك محمودا
وارجع رشيدا فانك بيلد الله الحرام فبرك فبعثوه فأبى فضربوه بالهول في رأسه فأدخل محاجنه تحت مراقه ومراقه ففرزوه
ليقوم فأبى فوجهوه راجعا إلى اليمن فقام يهرول ووجهوه إلى قدامه ففعل مثل ذلك ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك فصرفوه
إلى الحرم فبرك وأبى أن يقوم ، وخرج نفيل يشتد حتى صعد الجبل وأرسل الله عز وجل طيرا من البحر أمثال الخطاطيف مع
كل طائر منها ثلاثة أحجار حجران في رجلية وحجر في منقاره أكبر من العدسة وأقل من الحصة فلما غشيت القوم أرسلها عليهم
فلم تصب بتلك الحجارة أحدا إلا هلك وخرجوا هاربين لا يهتدون إلى الطريق الذي جاءوا منه وصرخ القوم وراح بعضهم في بعض
يتساقطون بكل طريق ربهاتون على كل منهل وبعث الله على أبرهة داء في حسده فغار تنساقط أنامله كلها سقطت أملة أتبعها

مدة من قبح ودم قاتمى إلى صنعاء وهو مثل فرخ الطير ومات حتى انصدع صدره عن قلبه ثم هلك ، وانفلت وزير أبرهة أبو يكسوم ومطاره فوق رأسه حتى وقف بين يدي النجاشي لما أخبره الحجر سقط عليه الحجر ثلث بين يديه . وأما محمود جيل النجاشي أرض ولم يشجع على الحرم فنجاء ، وأما القيلة الآخر فشجعوا فرموا بالحصباء (قوله كنيسة) أى وكان قد بناها بالرخام الأبيض والأحمر والأسود والأصفر وحلاها بالذهب والفضة وأنواع الجواهر وأذل أهل اليمن في بنائها ونقل فيها الرخام المجزع والحجارة المنقوشة بالذهب والفضة من قصر بلقيس وكان على فرسخ من موضعها ونصب فيها صلبانا من ذهب وفضة ومنابر من عاج وآبنوس وغير ذلك وكان بناؤها مرتفعا عاليا نستط قلنسوة الناظر عن رأسه عند نظره إليها (قوله ليصرف إليها الحجاج) أى وقد صرفهم بالفعل وأمرهم بحجها فحجوها سنين وكانوا يحجون البيت في هذه المدة أيضا كذا قيل (قوله فأحدث رجل) أى من العرب وهو مالك بن كنانة (قوله أرسل الله عليهم الخ) أى فرجهم وأمرهم ينساقطون بكل طريق وكان هلاكهم قرب عرفة قبل دخول أرض الحرم على الصحيح ، وقيل بوادي محسر بين مزدلفة ومنى وأصيب أبرهة في جسده بداء الجدري فتساقطت أنامله وأصابه وأعضاؤه وسال منه الصديد والقيح والدم ومات حتى انشق قلبه (قوله ألم يجعل كيدهم) أى مكرهم وصماه كيدا لأن سببه جسد سكان الحرم وقصد صرف شرفهم له وهو خفي فسمى كيدا لذلك (قوله أى جعل) أشار بذلك إلى أن المضارع لحكاية الحال الماضية (قوله وأرسل عليهم) عطف على قوله (٣٣٥) يجعل والاستفهام مساط عليه

فالغنى قد جعل وأرسل (قوله طيرا) الطير اسم جنس يذكر ويؤنث (قوله أبابيل) أى وكانت من جهة السماء لم يرقبها ولا بعد هامثلها ورد عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «إنها طير بين السماء والأرض تمشى وتفرخ» قال ابن عباس: كان لها خراطيم كخراطيم الطير

كنيسة ليصرف إليها الحجاج عن مكة ، فأحدث رجل من كنانة فيها ولطخ قبلتها بالعدرة احتقارا بها ، فخاف أبرهة إيهام الكعبة ، فجاء مكة بجيشه على أفيال مقدما محمود فحين توجهوا لهدم الكعبة أرسل الله عليهم ما قصه في قوله (ألم يجعل كيدهم) فى هدم الكعبة (فى تضليل) خسار وهلاك (وأرسل عليهم طيرا أبابيل) جماعات جماعات ، قيل لا واحد له كاساطير ، وقيل واحد أبول أو إبال أو إبيل كعجول ومفتاح وسكين (ترميهم بحجارة من سجيل) طين مطبوخ (فجاءهم كهصف ماء كؤل) كورق زرع أكلته الدواب وداسته وأفتته : أى أهلكهم الله تعالى كل واحد بحجره مكتوب عليه اسمه وهو أكبر من المدسة وأصغر من الحصة يخرق البيضة والرجل والفيل ويصل إلى الأرض . وكان هذا عام مولد النبي صلى الله عليه وسلم .

وأكف كأ كف الكلاب . وقال عكرمة : كانت طيرا خضرا خرجت من البحر لها رؤوس كرؤوس السباع ولم تر قبل ذلك ولا بعده ، وقالت عائشة : إنها أشبه شئ بالخطاطيف ، وقيل بل كانت أشباه الوطايط حمرا وسودا (قوله جماعات جماعات) أى بعضها إثر بعض (قوله قيل لا واحد له) أى من لفظه فيكون اسم جمع (قوله إبال) بكسر الهمزة وفتح الواو كسور (قوله طين مطبوخ) أى محرق كالآجر وكان طبخه بنار جهنم وهى من الحجارة التى أرسلت على قوم لوط وناسب إهلاكهم بالحجارة لأنهم أرادوا هدم الكعبة . قال ابن عباس : كان الحجر إذا وقع على أحد من نفط جلده وكان ذلك أول الجدري ولم يكن موجودا قبل ذلك اليوم ، وعنه أيضا أنه رأى من تلك الحجارة عند أم هانئ نحو قفيرة مخططة بحمرة كالجزع الظفاري (قوله كهصف) واحد عصفه وعصافة وعصيفة (قوله وداسته) صوابه وراثته : أى ألقته روثا ثم يبس وتفتت ولم يزل فجعلهم كروث استهجانا للفظ الروث (قوله مكتوب عليه اسمه) أى وإدراك الطائر أن هذا لفلان بخصوصه إما بمجرد إلهام أو بمعرفة ذلك من الكتابة والله أعلم بحقيقة الحال (قوله يخرق البيضة) أى التى فوق رأس الرجل من حديد ، وقوله والرجل : أى فيدخل من دماغه ويخرج من دبره ، وقوله والفيل : أى الذى هو رأسه وجميع الفيلة قد هلكت إلا كبيرها وهو محمود فانه نجا لما وقع منه من الفعل لجليل الذى لم يقع مثله من العقلاء ، ولذا قال البوصيرى :

كم رأينا مائيس يقتل قد أسهم مائيس يلهم العقلاء إذ أبى الفيل ما أتى صاحب الفيصل ولم ينفع الحجا والذكاء (قوله عام مولد النبي صلى الله عليه وسلم) أى قبل مولده بخمسين يوما على الصحيح وذلك ببركة النور الحمدي . إن قلت : إن

انتقل من عبد المطلب بل و بن عبد الله إلى أمه آمنة . أجيب بأنه وإن انتقل من جدّه وأبيه إلا أن بركته حاصلة وباقية في محله كوعاء المسك إذا فرغ منه فإن رائحته تبقى ، وقيل كان عام الفيل قبل ولادته صلى الله عليه وسلم بأربعين سنة ، وقيل بثلاث وعشرين ، وقيل غير ذلك .

[سورة قريش] أي السورة التي ذكر فيها الامتنان على قريش وتذكيرهم بنعم الله عليهم ليؤحدوه ويشكروه (قوله مكية) أي في قول الجمهور وهو الأصح ، وقوله أو مدنية : أي في قول الضحاك والسكاكي (قوله لإيلاف قريش) اختاف المفسرون في هذه اللام فقيل هي متعلقة بقوله - فجعلهم كعصف ما كول - في السورة قبلها كأنه قال أهلك أصحاب الفيل لتبقى قريش وما ألفوا من رحلت الشتاء والصيف . قال الزمخشري : وهو بمنزلة التضمين في الشعر وهو أن يعلق معنى البيت بالذي قبله تعلقاً لا يصح إلا به ، ولهذا جعل أبي بن كعب هذه السورة وسورة الفيل واحدة ولم يفصل بينهما في مصحفه بسملة ورد هذا القول بأن الصحابة أجمعت على أنهما سورتان منفصلتان بينهما بسملة ، وقيل متعلقة بمحذوف تقديره فعل ذلك : أي إهلاك أصحاب الفيل لإيلاف قريش ، وقيل تقديره اعجبوا ، والمعنى اعجبوا لإيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف وتركهم عبادة رب هذا البيت ، وقيل متعلقة بما بعدها تقديره فليعبدوا رب هذا البيت لإيلافهم رحلة الشتاء والصيف : أي ليجعلوا عبادتهم شكراً لهذه النعمة وإتماماً لدخلت الفاء لما في الكلام من معنى الشرط كأنه قال إن لم يعبدوه لسأرت نعمه فليعبدوه لإيلافهم فإنها أظهر نعمة عليهم وعليه درج المفسر ، وقريش مشتق إمامن القرش وهو التجمع سموا بذلك لاجتماعهم بعد افتراقهم . قال شاهرهم :

أبونا قريش كان يدعى مجعاً به جمع الله القبائل من فهر
أومن القرش ، يقال قرش (٣٣٦) يقرش بمعنى فقس لكونهم كانوا يفتشون على ذوى الحلات ليسدوا خللهم .

قال الشاعر :

أيها الشامت المقرش عنا
عند عمرو فهل له إبقاء
وقال ابن عباس : سميت
باسم دابة في البحر يقال
لها القرش تأكل ولا
تؤكل وتعالوا ولا تعلى .
قال الشاعر :

(سورة قريش)

مكية ، أو مدنية أربع آيات

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . لإِيلَافِ قُرَيْشٍ . لإِيلَافِهِمْ) تأكيد ، وهو مصدر
آلف بالمد ،

(رحلة)

وقريش هي التي تسكن البحر بها سميت قريش قريشا
سلطت بالعلو في لجة البحر على سائر البحور جيوشا
تأكل الفس والسمن ولا تترك فيه لدى الجناحين ريشا
هكذا في الكتاب حتى قريش يأكلون البلاداً كلا كشيشا
ولهم آخر الزمان نهي يكثر القتل فيهم والحوشا
بلا الأرض خيلة ورجالا يحشرون أنضى حشرا كيشا

وهو مصروف هنا إجماعاً لكونه مراداً به الحى إذ لو أريد به القبيلة لامتنع صرفه . قال سيبويه : في معد وثقيف وقريش
وكفانة هذه للأحياء أكثر وإن جعلتها اسماً للقبائل فهو جائز حسن . واختلف القراء في قوله لإيلاف فبعضهم قرأ لإيلاف
بإثبات الياء قبل اللام الثانية وبعضهم قرأ بمحذوها ، وأجمع الكل على إثبات الياء في الثاني وهو قوله : لإيلافهم ، ومن
غريب ما اتفق في هذين الحرفين أن القراء اختلفوا في سقوط الياء وثبوتها في الأول مع اتفاق الصحاف على إثباتها خطأ
واتفقوا على إثبات الياء في الثاني مع اتفاق الصحاف على سقوطها منه خطأ فهو أدل دليل على أن القراءة سنة متبعة
مأخوذة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اتباعاً لمجرد الخط (قوله تأكيد كيد) أي لفظي ورحلة مفعول للأول ، وقيل
بدل لأنه أطاق المبدل منه وقيد البديل بالمفعول وهو رحلة (قوله وهو مصدر آلف بالمد) أي أن إيلاف الثاني وكذا الأول
على قراءة إثبات الياء مصدر آلف بالمد كما كرم يقال آلفته أو ألقاه إيلافاً ، وأما على قراءة حذف الياء فهو مصدر لآلف
تلقياً ككتب كتاباً .

(قوله رحلة الشتاء) ، فعول به بالمصدر والمصدر مضاف لقاعله أى لأن القوارحة والأصل رحاق الشتاء والصيف ، وإعما
أورد لأمن اللبس . وأول من من لحم الرحلة هاشم بن عبد مناف وكانوا يقسمون ربحهم بين الغنى والفقر حتى كان فقيرهم
مكتفيهم ، وأتبع هاشم على ذلك إخوته فكان هاشم يؤلف إلى الشام وعبد شمس إلى الحبشة والطاب إلى اليمن ونوفل
إلى فارس وكانت تجار قریش يتنافون إلى هذه الأمصار بجاء هؤلاء الاخوة أى بأمانهم الذى أخذوه من ملك كل ناحية
من هذه النواحي ، والرحلة بالكسر اسم مصدر بمعنى الارتحال وهو الانتقال ، وأما بالنظم فهو الشئ الذى يرتحل إليه مكانا
أخصا (قوله وهم ولد النضر بن كنانة) أى فكل من ولد النضر فهو قرشى دون من لم يولد النضر وإن ولد النضر كنانة
وهذا هو الصحيح ، وقيل هم ولد فهر بن مالك بن النضر بن كنانة فمن لم يولد فهر فليس بقرشى وإن ولد النضر . قال العراقي :
أما قریش فالأصح فهر جماعها والأكثر النضر

فالخاص أن نبي فهر قرشيون اتفاقا وبنو كنانة الذين لم يولد لهم النضر ليسوا بقرشيين . واختلاف في بني النضر وبنو مالك
وفهر هو الجد الحادى عشر من أجداده صلى الله عليه وسلم والنضر هو الثالث عشر وذلك أنه صلى الله عليه وسلم محمد
ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك
ابن النضر بن كنانة إلى آخر النسب الشريف (قوله والفاء زائدة) (٣٣٧) أى ولهذا جاز تقديم معمول
مابعدا عليها وقيل
إنها ليست زائدة بل هي
واقعة في جواب شرط
قدّر تقديره إن لم
يعبدوه لساّر نعمه
فليعبدوه لإيلافهم فإنها
أظهر نعمه عليهم (قوله
أى من أجله) أشار
بذلك إلى أن من تمليلية
والكلام على حذف
مضاف والتقدير أطعمهم
من أجل إزالة الجوع

(رَحْلَةُ الشَّاءِ) إِلَى الْيَمَنِ (وَ) رَحْلَةُ (الصَّيْفِ) إِلَى الشَّامِ فِي كُلِّ عَامٍ يَسْتَعِينُونَ بِالرَّحْلَتَيْنِ لِلتَّجَارَةِ
عَلَى الْقَامِ بِمَكَّةَ لخدمة البيت الذى هو فخرهم ، وهم ولد النضر بن كنانة (فَلْيَعْبُدُوا) تعلق به
لإيلاف والفاء زائدة (رَبُّ هَذَا الْبَيْتِ . الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ) أى من أجله (وَأَمَنَهُمْ
مِنْ خَوْفٍ) أى من أجله ، وكان يصيبهم الجوع لعدم الزرع بمكة وخافوا جيش الفيل .

(سورة الماعون)

مكية ، أو مدنية أو نصفها ونصفها ، ست أو سبع آيات

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ) بالجزء والحساب ،

عنهم وآمنهم من أجل إزالة الخوف عنهم ، وقيل إن من بمعنى بدل ولا يحتاج لتقدير مضاف ، والمعنى فأطعمهم بدل الجوع
وآمنهم بدل الخوف نظير قوله تعالى : أرضيتهم بالحياة الدنيا من الآخرة ، وقيل من بمعنى بعد ، وقيل في معنى الآية أنهم لما
كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال « اللهم اجعلها عليهم سنيئا كسنى يوسف » فاشتد عليهم القحط وأصابهم
الجهد والجوع فقالوا يا محمد ادع الله لنا فانا مؤمنون فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخصبت البلاد وأخصب أهل مكة
بعد القحط والجهد وهذا حجة من يقول إن السورة مدنية (قوله وخافوا جيش الفيل) أى وهذا وجه مناسب لما قبلها
وذلك أنه بعد أن ذكر لهم أسباب خوفهم آمنهم عليهم بإزالتها كأنه قال قد أزلنا عنكم ما تكرهون من الخوف والجوع
فالواجب عليكم أن تشكروا تلك النعم وتصرفوها في مصارفها . وقيل آمنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدهم الجذام . وقيل
آمنهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالإسلام وكل حاصل .

[سورة الماعون] وتسمى سورة الدين (قوله أو نصفها ونصفها) أى نصفها الأول نزل بمكة في العاص بن وائل والثاني بالمدينة
في عبد الله بن أبي بن سؤل المنافق ، وعلى القول بأن جميعها مكى تكون تو بيخا لكفار مكة كالعاص بن وائل وأضرابه ،
وتسميهم مصلين باعتبار أنها مفروضة عليهم ، وعلى القول بأنه مدنى يكون تو بيخا للمنافقين الكاذبين في المدينة . كعبد الله
ابن أبي وأضرابه وتكذيبهم بالدين باعتبار باطنهم والعبارة على كل معوم اللفظ لا بخصوص السبب فالو بيخ المذكور لمن
[٤٣ - صاوى - رابع] انصف بتلك الأوصاف .

له (أى هل عرفته) أشار بذلك إلى أن الرؤية بمعنى المعرفة فتتصّب مفعولا واحدا وهو الاسم الموصول . وقيل إن الرؤية
رؤية فتتعدى لمفعول واحد أيضا . وقيل إنها بمعنى أخبرنى فتتعدى لاثنيين الأول الموصول والثانى محذوف تقديره من هو
له بتقدير هو بعد الفاء (أى فاسم الإشارة خبر لمحذوف تقديره هو والذي يدل أو عطف بيان على اسم الإشارة والجملة
ب شرط مقدر قدره المفسر بقوله إن لم تعرفه وقرنت بالفاء لأن الجملة اسمية (قوله الذى يدع اليتيم) كأنى جهل كان
بالأعلى يقيم غناه عريانا يسأله من مال نفسه فدفعه ويصح حمل الحق على الميراث لأنهم كانوا لا يورثون النساء ولا الصبيان
ولون : إنما يحوز المال من يطعن بالسنان ويضرب بالحسام ، ودع بالشديد من باب ردّ وقرى شذوذا بالتخفيف أى
نحوه ليستخدمه قهرا (قوله أى طعامه) أشار بذلك إلى أن الحظ يتعلق بالمصدر الذى هو فعل الفاعل لا بالشئ المطعوم
قوله نزلت في العاص بن وائل (قوله نزلت في أبى جهل وقيل في عمرو بن عائذ المخزومي وقيل في عبد الله بن أبى
سأول وتقدم ذلك (قوله فويل للمصلين) ويل مبتدأ والمصلين خبره والفاء سببية ، والمعنى أن الدعاء عليهم بالويل
سبب عن هذه الصفات الذميمة ووضع الظاهر وهو المصلين موضع المضمرة لأنهم مع التكذيب وما أضيف إليه ساهون عن
صلاة غير أكثرين بها ، وهذا على أن السورة كلها إما مكى أو مدنى وعلى القول بالتنصيف فالويل متعلق بالمصلين الموصوفين
ونهم عن صلاتهم ساهون وما بعده فلا ارتباط له بما قبله والفاء واقعة في جواب شرط مقدر تقديره إن أردت معرفة جزاء
ل النفاق في الصلاة وغيرها فويل الخ (قوله الذين) نعت المصلين أو بدل أو بيان وكذا الموصول بعده (قوله عن
صلاتهم) إنما عبر عن دون في (٣٣٨) لأن صلاة المؤمن لا تخلو عن السهو فيها فالمدموم السهو عنها بمعنى

أى هل عرفته إن لم تعرفه (فذلك) بتقدير هو بعد الفاء (الذى يدع اليتيم) أى يدفعه بعنف
عن حقه (ولا يحض) نفسه ولا غيره (على طعام الميسكين) أى إطعامه ، نزلت في العاص
ابن وائل أو الوليد بن المغيرة (فويل للمصلين) الذين هم عن صلاتهم ساهون غافلون
يؤخرونها عن أوقاتها (الذين هم يراءون) في الصلاة وغيرها (ويمنعون الماعون) كالإبرة
والفأس والقدر والقصة .

كها والتفريط فيها
السهو فيها لوقوعه
ن الأنبياء (قوله
يؤخرونها عن أوقاتها)
ولا يفعلونها بعد ذلك
وجه تسميتهم مصابين
مع أنهم تاركون لها
نها مفروضة عليهم

(سورة)

كانت جذيرة بأن تضاف لهم فتحصل أن معنى ساهون تاركون لها رأسا
أو إن حصلت منهم تكون رياء وسمة . قال ابن عباس : هم المنافقون يتركون الصلاة إذا غابوا عن الناس ويصلونها في العلانية
إذا حضروا ، وأما من ترك الصلاة وهو مؤمن موحد فهو عاص عليه أن يتوب ويقضيها فإن مات وهو مصرّ على تركها فهو
تحت المشبهة ، وأما إن تاب وشرع في القضاء فمات قبل تمامه فانه مغفور له (قوله الذين هم يراءون) أصله يرائون
كيقابلون استنقذت الضمة على الياء حذفت فالتقى سا كنان حذفت الياء لالتقاءهما وضمت الهمزة لمناسبة الواو والمفاعلة
باعتبار أن المرائى يرى الناس عمله وهم يروونه الثناء عليه ، والفرق بين المنافق والمرائى أن المنافق يبطن الكفر ويظهر الإيمان
والمرائى يظهر الأفعال مع زيادة الخشوع ليعتقد فيه من يراه أنه من أهل الدين والصالح ، أما من يظهر النوافل ليعتدى به
وقلبه خالص مع الله فليس بمدموم (قوله في الصلاة وغيرها) أى كالصدقة ونحوها من أنواع البرّ (قوله ويمنعون الماعون)
منع يتعدى لمفعولين ثانيهما قوله الماعون وأولهما محذوف تقديره الناس حذف للعلم به والماعون فاعول من المعن وهو الشئ
القابل بقال مال معن أى قليل أو اسم مفعول من أعان يعين فأصله معون دخله القلب المكاني فصار موعون تحركت الواو
الأولى وانفتح ما قبلها قلبت ألفا وهو اسم جامع لمنافع البيت كالقدر والفأس ونحوها وعليه درج المفسر لما روى عن ابن عباس
قال «كنا نعد الماعون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عارية الدلو والقدر» ، وهذا أحد تفاسير الماعون ، وقيل هو
الزكاة ، وقيل هو ما لا يحل منعه مثل الماء والملح والنار ، ويلحق بذلك البئر والتنور . وقيل هو المعروف كله الذى يتعاطاه
الناس فيما بينهم فى هذه الآية زجر عن البخل بهذه الأشياء القليلة الحقيرة فإن البخل بها نهاية البخل . قال العلماء :
ويستحب أن يستكثر الرجل في بيته مما يحتاج إليه الجيران فيعبرهم ويتفضل عليهم ولا يقتصر على الواجب .

[سورة الكوثر] وتسمى سورة النحر (قوله مكية) أى فى قول ابن عباس والسكبي ومقاتل والجمهور وقوله أومدنية
 أى فى قول الحسن وعكرمة ومجاهد وقتادة والشهور الأول ويؤيده سبب النزول وهو أن العاص بن وائل السهمي تلاقى مع
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السجد عند باب بنى سهم فتحدثا وناس من صناديد قريش جاوس فى المسجد ، فلما دخل
 العاص قالوا له من الذى كنت تتحدث معه فقال ذلك الأبريى به النبي صلى الله عليه وسلم وكان قد توفى بده القاسم (قوله
 إنا أعطيناك) أى إنا بجلالنا وعظمة قدسنا فالإتيان بأن ونون العظمة للتأكيد ولزيادة تشریفه صلى الله عليه وسلم ، والمعنى
 قضينا به لك وخصصناك به وأنجزناه لك فى علمنا وتقديرنا الأزلى وإن لم تستول عليه وتتصرف فيه إلا فى القيامة فالعطاء ناجز
 والتمكن والاستيلاء مستقبل . إن قلت إنه عبر هنا بالماضى وفى الضحى بالمضارع حيث قال -ولسوف يعطيك ربك- فكيف
 الجمع بينهما . أجيب بأن ما فى الضحى باعتبار التمکن والاستيلاء وذلك يحصل فى المستقبل فى يوم القيامة وما هنا باعتبار
 التقدير الأزلى (قوله الكوثر) فوعل من الكثرة وصف صابغة فى البالغ الغاية فى الكثرة (قوله هو نهر فى الجنة) ويؤيده
 قوله صلى الله عليه وسلم « الكوثر نهر فى الجنة حافتاه من الذهب ومجرأه على الدر والياقوت تربته أطيب من المسك وماؤه أحلى
 من العسل وأبيض من الثلج » وقوله هو حوضه الصواب أن يقول أوهو حوضه لأنهما قولان مذكوران فى التفسير من جملة
 ستة عشر قولاً وبدل لهذا الثانى قول أنس « بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع
 رأسه متبسماً فقلنا ما أضحكك يا رسول الله ؟ قال أنزلت على آفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم إنا أعطيناك الكوثر فصل
 لربك وانحر إن شأنك هو الأبريى ثم قال أندرون ما الكوثر ؟ قلنا الله ورسوله (٣٣٩) أعلم قال فانه نهر وعدنيه

ربى عز وجل عليه
 خير كثير وهو حوض
 ترد عليه أمتى يوم القيامة
 آيته عدد نجوم السماء
 فيحتاج العبد منهم فأقول
 يارب إنه من أمتى فيقول
 ماتدرى ما أحدث بك ؟
 وورد فى صفة الحوض
 أحاديث منها قوله صلى الله

(سورة الكوثر)
مكية ، أومدنية ، ثلاث آيات
(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . إنا أعطيناك) يا محمد (الكوثر) هو نهر فى الجنة ،
هو حوضه ترد عليه أمته ، أو الكوثر الخير الكثير من النبوة والقرآن والشفاعة ونحوها
(فصل لربك) :

عليه وسلم « حوضى مسيرة شهر ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب منه لم يظمأ
 أبدا » زاد فى رواية « وزواياه سواء » ومنها غير ذلك الثالث أنه النبوة الرابع القرآن الخامس الاسلام السادس تفسير القرآن
 وتخفيف الشريعة السابع كثرة الأصحاب والأمة والأتباع الثامن رفعة الذكر التاسع نور فى قلبك ذلك على وقطعتك عما
 سواى العاشر الشفاعة الحادى عشر العجرات الثانى عشر لا إله إلا الله محمد رسول الله الثالث عشر الفقه فى الدين الرابع عشر
 الصاوات الخمس الخامس عشر العظيم من الأمر السادس عشر الخير الكثير الدنيوى والأخروى وكل من هذه الأقوال تحقق به
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وفوق ذلك مما لا يعلم غايته إلا الله تعالى ، وزاد بعضهم فوق تلك الأقوال أنه الذرية الكثيرة المباركة
 وقد حث الله ذلك فلا تجد ذرية لأحد من الخلق مثل ذرية المصطفى فى الكثرة ولا فى البركة إلى يوم القيامة ، واختلف
 فى الحوض هل هو بعد الصراط أو قبله وهل هو بعد الميزان أو قبله والصحيح أنه قبلهما لأن الناس يخرجون من قبورهم عطاشا
 فيشربون منه شربة لا يظمأون بعدها أبدا ، روى عن ابن عباس « أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوقوف بين
 يدي رب العالمين هل فيه ماء ؟ قال : أى والذى نفسى بيده إن فيه لماء وإن أولياء الله ليردون حياض الأنبياء ويبعث الله
 تعالى سبعين ألف ملك بأيديهم عصي من نار يذودون الكفار عن حياض الأنبياء وهذا الطرد لا يكون بعد الصراط
 لأنه لا يسلم من الصراط إلا المؤمنون فلا وجود للكفار هناك حتى يذادوا لسقوطهم فى جهنم قبل ذلك (قوله ونحوها) أى
 من الحكمة وكثرة الأتباع والأمة وغير ذلك (قوله فصل لربك) كان مقتضى الظاهر أن يقول فصل لنا فانتقل إلى الاسم
 الظاهر لأنه يوجب عظمة ومهابة .

وله صلاة عيد النحر) هو قول عكرمة وعطاء وقادة وهو يؤيد كون السورة مدنية . وقال سعيد بن جبير ومجاهد
 ل الصلاة المفروضة بجمع مزدلفة وانحر البدن بفتح ، وقيل هو أمر بكل صلاة مفروضة أو نافلة وهو يؤيد كونها مكية
 وله وانحر نسكك) أى هداياك وضحاياك وهو فى الأبل بمنزلة الذبح فى البقر والغنم ، فقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم
 رمن خالص ماله فى حجة الوداع صبيحة منى مائة بدنة سبعين بيده الكريمة وثلاثين بيد عليّ وخص الصلاة والنحر بالله كرتان
 صلاة بجمع العبادات وعماد الدين والنحر فيه إطعام الطعام ولا شك أنه قيام بحقوق العباد فى تلك الحصلتين الصام بحقوق الله
 توق عباد (قوله إن شئت) اسم فاعل شئ من بابي سمع ومنع شئاً بفتح النون وسكونها (قوله هو الأبر) يصح
 يكون هو مبتدأ والأبر خبره والجملة خبر إن ويصح أن يكون ضمير فصل والأبر خبر إن والأبر فى الأصل الشئ المقطوع
 بتره قطعه وجمار أبر لا ذنب له (قوله أو المنقطع العقب) أى النسل (قوله سمى النبي صلى الله عليه وسلم أبر) أى
 قال أبر محمد فلاس له من يقوم بأمره من بعده ، فلما قال تلك المقالة نزلت السورة تسلياً وتبشيراً له صلى الله عليه وسلم
 قوله عند موت ابنه القاسم) هو أول أولاده صلى الله عليه وسلم عاش سنتين ، وقيل سبعة عشر شهراً ، وقيل بلغ
 كعب الدابة ومات قبل البعثة ، وقيل بعدها وهو أول من مات من أولاده وهم سبعة القاسم وعبد الله الملقب بالطيب والطاهر
 إبراهيم وزينب ورقية وفاطمة وأم كلثوم وكلهم من خديجة إلا إبراهيم فمن مارية القبطية وماتوا جميعاً فى حياته إلا فاطمة
 عاشت بعده زمناً يسيراً وماتت (٣٤٠) رضوان الله عليهم أجمعين وذريته صلى الله عليه وسلم الباقية إلى يوم

يامة من نسلها .

[سورة الكافرون]

سمى سورة المعادة

فى المخالفة فى العبادة

للمعادة فيها وسورة

لا خلاص لأنها دالة على

لا خلاص فى العبادة

الدين كما أن قل هو الله

حسب تسمى سورة

لا خلاص لكن هذه دالة

على الاخلاص فى الظاهر

صلاة عيد النحر (وَأَنْحَرْ) نسكك (إِنْ شِئْتَ) أى مفضلتك (هُوَ الْأَبْرُ) المنقطع
 عن كل خير أو المنقطع العقب ، نزلت فى العاص بن وائل سمى النبي صلى الله عليه وسلم أبر
 عند موت ابنه القاسم .

(سورة الكافرون)

مكية ، أو مدنية ست آيات

نزلت لما قال رهط من المشركين لرسول الله صلى الله عليه وسلم تعبد آلهتنا سنة وتعبد

إلهك سنة

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ .

لا تعبد)

والباطن والسمعية دالة على إخلاص القلب من الشرك فمن عمل

بهما واعتقدهما برى ظاهره وباطنه من الكفر والنفاق ولذلك لا يجتمعان فى منافق ولا كافر ويقال لها وللإخلاص المقشقستان

أى المبرئتان . وورد فى فضائها أحاديث منها « أنها تعدل ثلث القرآن » ومنها قوله صلى الله عليه وسلم « قل يا أيها الكافرون

تعدّل ربع القرآن » ومنها « أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم أوصنى فقال اقرأ عند منامك قل يا أيها الكافرون فإنها

براءة من الشرك » ومنها قول ابن عباس « ليس فى القرآن أشد غيظاً لابليس منها لأنها توحيد وبراءة من الشرك » وإنما

زادت الإخلاص فى الثواب عنها لأنها مشتملة على صفات الرب تعالى صريحاً مع دلالتها على الإخلاص فى التوحيد (قوله

مكية) أى فى قول ابن مسعود والحسن ، عكرمة وقوله أو مدنية : أى فى قول قتادة والضحاك (قوله نزلت لما قال رهط

من المشركين الخ) حاصله كما قال ابن عباس أن سبب نزولها أن الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والأسود بن مطاب وأمّية

ابن خاتم وهوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد هلم فلتعبد ما نعبد وتعبد ما نعبد ونشركك نحن وأنت فى أمرنا كله

فإن كان الذى جئت به خيراً مما بأيدينا كما قد أشركناك فيه وأخذنا بحظنا منه وإن كان الذى بأيدينا خيراً مما بيدك كنت

قد أشركنا فى أمرنا وأخذت بحظك منه فانزل الله عز وجل - قل يا أيها الكافرون - إلى آخرها والرهط بسكون الهاء

أصبح من فتحها جمع لا واحد له من لفظه يقال على مادون العشرة من الرجال ، وقيل مافوق العشرة إلى الأربعين (قوله

الكافرون) هم جماعة من الكفار مخدعون علم الله تعالى عدم إيمانهم أصلاً .

(قوله لا أعبد ما تعبدون) اعلم أنه اختلف المفسرون في هذه السورة هل فيها تكرار أولا فعلى الأول هو للتأكيد وقيل قطع أطماع الكفار وتحقيق الأخبار بأنهم لا يسلّمون أبداً وعلى الثاني فكل جملة مقيدة بزمان غير الزمن الذي قيدت به الأخرى فدرج للمفسر على أن النفي الأول محمول على الحال والثاني على الاستقبال ودرج غيره على العكس وما يصح أن تكون موصولة بمعنى الذي فإن كان المراد بها الأصنام كما في الأولى والثالثة فالأمر واضح لأنهم غير عقلاء وما لغير العاقل وأما الثانية والرابعة فاما أن تكون واقعة على الله تعالى وتكون دليلاً لمن يجوز وقوعها على العالم أو تجعل مصدرية والتقدير ولا أنتم عابدون عبادتي : أي مثل عبادتي ويصح أن يكون جميعها مصدرية أو موصولة أو الأوليان موصولتان والأخريان مصدريتان فتحصل أن ما في هذه السورة فيها أربعة أقوال : الأول أنها كلها بمعنى الذي . الثاني أنها كلها مصدرية . الثالث أن الأولين بمعنى الذي والأخريتين مصدريتان . الرابع أن الأولى والثالثة بمعنى الذي والثانية والرابعة مصدرية . إن قامت ما الحكمة في التعبير في جانبه صلى الله عليه وسلم بافظ أعبد وفي جانبهم بلفظ عبدتم . أجيب بأنه صلى الله عليه وسلم وإن كان يعبد الله تعالى قبل البعثة إلا أنه لم يدع الناس إلا بعدها فلم يشهر بها إلا حين الدعوة وأما هم فكانوا متابعين قديماً بعبادة الأصنام متظاهرين بها (قوله علم الله منهم أنهم لا يؤمنون) جواب عن سؤال مقدر حاصله كيف يقنطهم من الإيمان مع أنه مبعوث لهدايتهم وقد كان حريصاً على إيمانهم . وحاصل الجواب أن هذا في قوم (٣٤١) علم الله أنهم لا يؤمنون أبداً

لا أعبدُ) في الحال (ما تعبدون) من الأصنام (ولا أنتم عابدون) في الحال (ما أعبدُ) وهو الله تعالى وحده (ولا أنا عابدُ) في الاستقبال (ما عبدتم) . ولا أنتم عابدون (في الاستقبال) (ما أعبدُ) علم الله منهم أنهم لا يؤمنون ، وإطلاق ما على الله على وجه المقابلة (لكم دينكم) (ولى دين) الإسلام ، وهذا قبل أن يؤمر بالحرب وحذف ياء الإضافة السبعة وتقا ووصلا وأثبتها يعقوب في الحاليين .

(سورة النصر)

مدنية ، ثلاث آيات

للمفسر أن يقول وإطلاق ما على العالم تصبح وحسنه المشاكلة (قوله لكم دينكم الخ) أتى بهاتين الجملتين المبتدئتين بعد جمل منفية لأنه لما كان الأمم تباعده عليه السلام عن دينهم بدأ بالنفي سابقاً ، فلما تحقق النفي رجع إلى خطابهم مهادنة لهم فهاتان الجملتان مؤكدتان لمجموع الجمل الأربعة (قوله ولى دين) بفتح الياء من لى وإسكانها سبعين (قوله وهذا قبل أن يؤمر بالحرب) الإشارة راجعة إلى الآية الأخيرة ، وقيل إلى جميع السورة وهذا مبنى على أن المراد بالدين العبادة والتدين ، وقيل إن المراد بالدين الجزاء أى لكم جزاء أعمالكم ولى جزاء أعمالكم وعليه فلا نسخ (قوله وقفا ووصلا) أى لأنها من ياءات الزوائد فيراعى فيه رسم المصحف وهي غير ثابتة فيه اكتفاء بالكسرة (قوله وأثبتها يعقوب) أى وهو من العشرة .

[سورة النصر مدنية] أى بالإجماع وتسمى سورة التوديع لما فيها من الدلالة على توديع الدنيا واتفق الصحابة على أن هذه السورة دلت على نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك لوجوه منها أنهم عرفوا ذلك حين خطب وقال : إن عبداً خيره الله تعالى بين الدنيا وبين لقاءه فاختار لقاء الله ، فقال أبو بكر فدينناك بأنفسنا وأموالنا وآبائنا وأولادنا ، ومنها أنه لما ذكر حصول النصر والفتح ودخول الناس في الدين أفواجا دل على حصول الكمال والتمام . قال الشاعر :

إذا تم أمر بدا نقصه
توقع زوالاً إذا قيل تم

ومنها أنه تعالى أمره بالتسبيح والحمد والاستغفار واشتغاله بذلك يمنعه من اشتغاله بأمر الأمة فكان هذا كالنذبة على أن أمر التبليغ قد تم وكل ذلك يقتضى انقضاء الأهل إذ لو بقي بعد ذلك لكان كالمعزول من الرسالة وذلك غير جائز .

(قوله إذا جاء نصر الله) المجيء في الأصل اسم للوجود الغائب إذا حضر والراد حصل وتحقق ففيه استعارة تبعية حيث شبه حصول النصر عند حضور وقته بالمجيء ثم اشتق منه لفظ جاء بمعنى حصل وعبر بالمجيء إشعاراً بأن الأمور متوجهة من الأزل إلى أوقاتها المعينة لها وأن ما قدر الله حصوله فهو كالحاصل بالفعل كأنه موجود حضر من غيبته وإذا ظرف لما يستقبل من الزمان منصوب بسبح الواقع جوابها وهي على بابها إن كانت السورة نزلت قبل الفتح فإن كان النزول بعد الفتح فإذا بمعنى إذ متعلقة بمحذوف تقديره أكمل الله الأمر وأتم النعمة على العباد إذا جاء نصر الله ونصر الله مصدر مضاف لفاعله ومفعوله محذوف قدره المفسر بقوله نبيه (قوله والفتح) أل فيه عوض عن المضاف إليه عند الكوفيين : أي وقته أو العائد محذوف عند البصريين أي والفتح منه وعطفه على النصر عطف خاص على عام (قوله فتح مكة) أي التي حصل به أعظم فتوح الإسلام وأمر الله به دينه ورسوله وجنده وحرمة واستبشر به أهل السماء ودخل الناس في دين الله أفواجا . وسببها أنه وقع الصلح بالحديبية على أنه صلى الله عليه وسلم لا يتعرض لمن دخل في عقده قریش وأنهم لا يتعرضون لمن دخل في عقده وكان ممن دخل في عقده خزاعة وفي عقدهم بنو بكر وكانا متعادين ، فخرج بهض بن بكر وبنو خزاعة فاقتتلوا فأمد قریش بنو بكر فخرج أربعون من خزاعة إليه صلى الله عليه وسلم يخبرونه ويستنصرونه ، فقام وهو يجر رداءه ويقول لانصرت إن لم أنصركم بما أنصرت به نفسي ولما أحسن أبو سفيان جاء إلى المدينة ليجدد العهد ويزيد في المدة ، فأبى صلى الله عليه وسلم فرجع فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالجهاز وأمر أهله أن يجهزوه وأعلم الناس أنه سائر إلى مكة وقال : اللهم خذ العيون والأخبار عن قریش حتى نبغتها في بلادها ، فتجهز الناس ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم عامدا إلى مكة عشر ماضين من رمضان وقيل لليلتين مضتا منه سنة ثمان من الهجرة فصام رسول الله والناس معه حتى إذا كان بالكديد أفطر وعقد الألوية والرايات ودفعها إلى القبائل ، ثم مضى حتى نزل من الظهران المسمى الآن بوادي فاطمة في عشرة آلاف ، وقيل اثني عشر ألفا من المسلمين ، ولم يتخلف من المهاجرين والأنصار عنه (٣٤٣) أحد ، فلما نزل به أمرهم أن يوقدوا عشرة آلاف نار كل نار على

حده ، فخرج أبو سفيان ابن حرب وحكيم بن حزام بدليل بن ورقاء يتجسسون الأخبار ، وكان العباس بن عبد المطلب لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض الطريق مهاجرا بعياله ، فلما رأى ذلك الأمر قال : والله لئن دخل رسول الله مكة عنوة قبل أن يستأمنوه له لسلكت قريش إلى آخر الدهر . قال العباس فركبت بغلة رسول الله البيضاء وخرجت لأجد خطابا أو ذا حاجة يدخل مكة فيخبرهم بمكان رسول الله ليخرجوا إليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عليهم عنوة وإذا أنا بأبي سفيان فعرفت صوته فقلت يا أبا حنظلة فعرف صوتي فقال أبو الفضل ؟ فقلت نعم قال مالك فذاك أبي وأمي ؟ قلت ويحك يا أبا سفيان هذا رسول الله قد جاءكم بما لا قبل لكم به بعشرة آلاف من المسلمين . قال وما الحيلة ؟ قلت والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك فأركب عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله فاستأمنه لك ؟ أردفته ، ورجع أصحابه ، فخرجت أركض به بغلة رسول الله كلما مررت بنار من نيران المسلمين نظروا وقالوا : عم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة رسول الله حتى مررت بنار عمر بن الخطاب ، فقال من هذا ؟ وقام إلى ، فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال : يا أبا سفيان عدو الله الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد ، ثم خرج يشتد نحو رسول الله ، وركضت البغلة فسبقتهم ، فلما وصلت النبي صلى الله عليه وسلم دخلت عليه ودخل عليه عمر . فقال يا رسول الله هذا أبو سفيان عدو الله قد أمكن الله منه بغير عهد ولا عقد فدعني أضرب عنقه . قال فقات يا رسول الله إنني قد أجرته ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب به يا عباس إلى رحلك فإذا أصبحت فأتني به . قال فذهبت به إلى رحلي فبات عندي ، فلما أصبح غدوت به إلى رسول الله ، فلما رآه قال ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله ، قال بآبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك فما زال به حتى أسلم . قال العباس يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئا . قال نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن أغلق بابا عليه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ، فلما ذهب لينصرف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احبسه بمضيق الوادي حتى تمر به جنود الله . قال ففعلت ومررت به القبائل على راياتها كلما مررت به قبيلة قال من هؤلاء ، يا عباس ؟ فاقول سليم ، فيقول مالي وسليم ، ثم تمر القبيلة فيقول من هؤلاء ، فاقول زينة ، فيقول مالي ولزينة ، فلا تمر قبيلة إلا سألتني عنها حتى مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتبته الخضراء

(بسم الله الرحمن الرحيم . إذا جاء نصر الله) نبيه صلى الله عليه وسلم على أعدائه (والفتح) فتح مكة ، (ورأيت)

ولها المهاجرون والأنصار لا يرى منهم إلا الحدي من الحديد ، فقال سبحانه الله من هؤلاء يا عباس ؟ قالت هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المهاجرين والأنصار ، فقال ما لأحد بهؤلاء من قبل ولا طاقة والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً قلت وبذلك إنها النبوة قال نعم إذا ، فقلت الحق الآن بقومك فذرهم يخرج صريحا حتى أتى مكة فصرخ في المسجد بأعلى صوته يامعشر قريش هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به ؟ قالوا وكيف السبيل قال من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، قالوا ويحك وما ننتي عنا دارك ، قال ومن دخل المسجد فهو آمن ومن أغلق عليه داره فهو آمن ، فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد وجاء حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلحا وبايعاه ثم بعثهما رسول الله بين يديه إلى قريش يدعوهم إلى الإسلام ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة وضرب قبته بأعلى مكة ، وأمر خالد بن الوليد فيمن أسلم من خزاعة ونبي سليم أن يدخلوا من أسفل مكة ، وقال لهم لا تقنلوا إلا من قاتلكم ؟ وأمر سعد بن عباد أن يدخل في بعض الناس فقال سعد يا أبا سفيان اليوم يوم المحمة : أي الحرب اليوم تستحل الحرمه ، فبايع النبي صلى الله عليه وسلم ذلك ، فأمره على لسان علي كرم الله وجهه أن يدفع الراية لابنه قيس وأخبر أبا سفيان أنه لم يأمر بقتل قريش وأن اليوم يوم الرحمة وأن الله يمز قريشا ، وخشى سعد أن ابنه يقع منه شيء أيضا فذكر للنبي ذلك صلى الله عليه وسلم فدفعها للزبير وكافتراية النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرين مع الزبير أيضا فبعثه ومعه المهاجرون وخيلهم وأمره أن يدخل من أعلى مكة وأن يغرز رايته بالحجون ولا يخرج حتى يأتيه ، وأما خالد بن الوليد فقدم على قريش وبنو بكر والأحباش بأسفل مكة فقاتلواهم فهزمهم الله ولم يكن بمكة قتال غير ذلك ، فقتل من المشركين اثنا عشر رجلا أو ثلاثة عشر رجلا ولم يقتل من المسلمين إلا ثلاثة وكان قد أمرهم النبي أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم إلا نفرًا منهم أمر بقتلهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة منهم عبد الله بن سعد وعبد الله بن خطل كانا قد أسلما ثم ارتدوا ، ومنهم قيتان كانتا تغنيان بهجاء النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله (٣٤٣) بن خطل ، ومنهم الحويرث

ابن وهب ومقيس بن صبابه وأناس آخر ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج لما اطمأن بالناس

(وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ) أي الإسلام (أَفْوَاجًا) جماعات بعد ما كان يدخل فيه واحد واحد ، وذلك بعد فتح مكة جاء العرب من أقطار الأرض طائفين (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ) أي متابعا بحمده (وَأَسْتَغْفِرْهُ) ،

حتى جاء البيت فطاق به سبعا على راحلته يستلم الركن بمحجن في يده ، فلما قضى طوانه دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له فدخلها ثم وقف على باب الكعبة وقد استكن له الناس في المسجد ، فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ، ثم قال : يامعشر قريش ما ترون آتي فاعل فيكم ؟ قالوا خبرنا أخ كريم وابن أخ كريم ، ثم قال اذهبوا فأنتم الطلقاء ، فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان الله أمكن منهم عنوة فبذلك سمى أهل مكة الطلقاء ، ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام إليه علي بن أبي طالب ومفتاح الكعبة في يده ، فقال يا رسول الله اجمع لنا بين الحجابة والسقاية ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد أين عثمان بن طلحة فدعى له ، فقال هاك مفتاحك يا عثمان اليوم يوم وفاء وبر واجتمع الناس للبيعة ، فجلس إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا وعمر بن الخطاب أسفل منه يأخذ على الناس ، فبايعوه على السمع والطاعة فيما استطاعوا المهاجرين من بيعة الرجال بايع النساء وقد أهدت به الأنصار فقاتلوا فيما بينهم : آثرون رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم به ، فقال ماذا قلتم . قالوا لا شيء يا رسول الله فلم يزل بهم حتى أخبروه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم معاذ الله المحيا محياكم والممات ممانكم وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة ، ثم خرج إلى هوازن وثقيف (قوله يدخلون) نصب على الحل إن كانت رأى بصرية أو مفعول فإن كانت علمية (قوله أفواجا) حال من فاعل يدخلون وهو جمع فوج . والمعنى يدخلون زمرا زمرا من غير قتال وقوله جاءه العرب لا مفهوم له بل وغيرهم (قوله فسبح بحمد ربك) أي قل سبحانه الله والحمد لله تعجبا مما رأيت من عجيب إنعامه عليك (قوله واستغفره) أي سل الله الغفران وإنعاما من الله تعالى نبيه بالاستغفار مع أنه معصوم من جميع الذنوب صغيرها وكبيرها ليترقى ويرجع إلى حضرة الحق فانه وإن كان مشغولا بهداية الخلق إلا أن مقام الصفوة والحضور والأنس أعلى وأجل . ومن باب حسنات الأبرار سيئات المقرين ليزداد في التواضع والافتقار وليكون ختام عمله التنزيه والاستغفار وفيه تشريع للأمة إذا طعن أحدهم في الدين فالغالب قرب أجله فليكثر من ذلك ليختم عمله به .

(قوله إنه كان نوابا) أى ولم يزل فكان للدلالة على ثبوت خبرها لاسمها ومعنى كونه نوابا أنه يكثر قبول التوبة وبهنا يدفع ما يقال إن كان للدلالة على ثبوت خبرها لاسمها فى الماضى وإذا كان كذلك فلا يصح أن يكون علة للاستغفار فى الحال أو المستقبل (قوله وعلم بها أنه قد اقترب أجله) أى لقول مقاتل لما نزلت قرأها النبي صلى الله عليه وسلم على أصحابه وفيهم أبو بكر وعمر وسعد بن أبى وقاص والعباس ففرحوا واستبشروا وبكى العباس فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عم قال نعت إليك نفسك قال إنه كملت فعاش بعدها ستين يوما مارؤى فيها ضاحكا وقيل نزلت فى منى بعد أيام التشريق فى حجة الوداع فبكى عمر والعباس فقيل لهما هذا يوم فرح فقالا بل فيه نهي النبي صلى الله عليه وسلم أى لإخبار بموته وعن ابن عمر نزلت هذه السورة فى منى فى حجة الوداع ثم نزل اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى فاعلموا النبي صلى الله عليه وسلم بعدها ثمانين يوما ثم نزلت آية الكلاله فعاش بعدها خمسين يوما ثم نزل واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله فعاش بعدها إحدى وعشرين يوما وقيل سبعة أيام وقيل غير ذلك (قوله وتوفى صلى الله عليه وسلم سنة عشر) إن قلت إن سنة عشر حجج فيها ونوفى فيها ولده إبراهيم فالصواب سنة إحدى عشرة . وأجيب بأن المراد على تمام عشر من الهجرة إلى المدينة وذلك لأن الهجرة كانت لاثنتى عشرة خلت من شهر ربيع الأول وكانت وفاته لاثنتى عشرة خلت من ربيع الأول فكانت وفاته صلى الله عليه وسلم على رأس العاشرة بالنظر لجعل التاريخ من الهجرة (٣٤٤) وإن كانت لشهرين وشئ مضت من الحادية عشرة إذا اعتبر

إنه كان نوابا) وكان صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه السورة يكثر من قول سبحان الله وبحمده استغفر الله وأتوب إليه وعلم بها أنه قد اقترب أجله ، وكان فتح مكة فى رمضان سنة ثمان ، وتوفى صلى الله عليه وسلم فى ربيع الأول سنة عشر .

(سورة نبت) مكية، خمس آيات

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) لما دعا النبي صلى الله عليه وسلم قومه وقال إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال عنه أبو لهب تبأ لك هذا دعوتنا ، نزل

التاريخ من أول السنة الشرعية وهو المحرم فيصح أن يقال توفى سنة إحدى عشرة بالنظر لجعل التاريخ من المحرم وتوفى سنة عشر بالنظر لجعل التاريخ من يوم دخوله المدينة . [سورة نبت] وتسمى سورة أبى لهب (قوله مكية) أى بالاجماع (قوله لما دعا النبي) أى نادى بقوله قومه أى المؤمنين

(نبت)

والكافرين وذلك أنه لما نزلت وانذر عشيرتک الأقربين خرج صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا فهتف بأصحابه فقالوا من هذا الذى يهتف قالوا محمد فاجتمعوا إليه فقال يا بنى فلان يا بنى عبد مناف يا بنى عبد المطلب فاجتمعوا إليه فقال أرايتم لو أخبرتكم أن خيلا تخرج بسفع هذا الجبل أكنتم مصدقي قالوا ما جر بنا عليك كذبا قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تبأ لك ما جمعنا إلا لهذا ثم قام فنزلت هذه السورة فلما سمعت امرأته مائزلة فى زوجها وفيها من القرآن أنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى المسجد عند الكعبة ومعه أبو بكر رضى الله عنه وفى يدها فهر من حجارة فلما وقفت عليه أخذ الله بصرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم تر إلا أبا بكر فقالت يا أبا بكر إن صاحبك قد بلغنى أنه يهجونى والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه والله إني لقائلة: مذهما عصينا وأمره أينما ودينه قلينا ثم انصرفت ، فقال أبو بكر يا رسول الله أما تراها رأتك قال مارأيتى لقد أخذ الله بصرها عنى وكانت قريش تسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم مذهما ثم يسبونه أى ذو ذمة وعهد صادق ، وقال صاحب الممزية فى هذا المعنى :

وأهلت حمالة الخطب الفهر وجاءت كأنها الورقاء يوم جاءت غضبي تقول أفى مشـ

لى من أحمد يقال المهجاء فتوت وما رآته ومن أبى نرى الشمس معلقة عبياء

وقيل إن سبب نزولها ما حكاه عبد الرحمن بن زيد أن أبا لهب أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ماذا أعطى إن آمنت بك يا محمد فقال كما يعطى المسلمون قال ما لى عليهم فضل قال وأى شئ نبي قال نبي لهذا من دين إن أكن وهؤلاء سواء .

(قوله نبت بدأ أي لهب) بفتح الهاء وسكونها سبعتان ولتتان جيدتان واتفق القراء على فتح الهاء في قوله ذات لهب والفرق أنها فصلة فلو سكنت زال التشاك (قوله وهذه خبر) أي إخبار بحصول الثياب له الذي دعا به عليه في الجملة الأولى، وهذا أحد قولين وقيل إن كلا الجملتين دعاء وصرح بكنيته لقبح اسمه فإن اسمه عبد العزى أو لأن الله تعالى أراد أن يحرق نسبه بأن يدخله النار (قوله ما أغنى عنه ماله) يصح أن تكون مانافية أو استفهامية وعلى الثاني فهو في محل نصب بأغنى والتقدير أي شيء أغنى قدم لكونه له صدر الكلام (قوله ماله) أي الوروث من آبائه (قوله وكسبه) أشار بذلك إلى أن مامصدرية وصرح أن تكون اسم موصول بمعنى الذي والعائد محذوف أي والذي كسبه (قوله أي ولده) وهو عتبية بالتصغير وأما عتبية ومعتب فقد أسما قال بعضهم :

كرهت عتبية إذ أجرمها وأحييت عتبية إذ أسما

كذا معتب مسلم فاحترز وخف أن نسب في مسلم

ومات أبو لهب بداء بمعنى العدة بعد وقعة بدر لسبع ليال. والعدة (٣٤٥) قرحة تخرج بالبدن فتقتل صاحبها

(نبت) خسرت (بدأ أي لهب) أي جملته، وعبر عنها باليدين مجازاً لأن أكثر الأفعال تراول بهما وهذه الجملة دعاء (وتب) خسره هو؛ وهذه خبر كقولهم: أهلكه الله وقد هلك، ولما خوفه النبي صلى الله عليه وسلم بالمداب فقال إن كان ما يقول ابن أخي حقاً فاني أفقدى منه بمالي وولدي نزل (ما أغنى عنه ماله وما كسب) وكسبه أي ولده وأغنى بمعنى يغني (سب على ناراً ذات لهب) أي تلهب وتوقد فهي مال تكنيته لتلهب وجهه إشراقاً وحرارة (وأمرأته) عطف على ضمير يصلى سوغه الفصل بالمفعول وصفته وهي أم جميل (حمالة) بالرفع والنصب (الخطب) الشوك والسعدان تلقيه في طريق النبي صلى الله عليه وسلم (في جيدها) عنقها (حبل من مسد) أي ليف، وهذه الجملة حال من حمالة الخطب الذي هو نبت لامرأته، أو خبر مبتدأ مقدر.

عوراء وماتت مخدومة بحبالها (قوله حمالة الخطب) إن قات لها كانت من بيت العز والشرف فكيف يابق بها حمل الخطب قت أنها لشدة عداوتها للنبي صلى الله عليه وسلم لاستعين في ذلك بأحد بل تفعله بنفسها (قوله بالرفع) أي على أنه نبت لامرأته وقرأ عاصم حمالة بالنصب على الدم أو الحال من امرأته. والمعنى أنها تصلى النار حال كونها حمالة الخطب لما ورد أنها تحمل يوم القيامة حزمة من حطب النار كما كانت تحمل الحطب في الدنيا (قوله والسعدان) هو نبت له شوك يشبه به حامة الثدي وهو بوزن سرحان (قوله تلقيه) أي بالليل اقصد أذية النبي صلى الله عليه وسلم (قوله في جيدها حبل من مسد) قيل إنها في الدنيا كانت تحتطب في حبل من ليف تجعله في عنقها فبينما هي ذات يوم حاملة للحزمة فقعدت على حجر لتستر بح إذ أنها ملك فجربها من خلفها فأهلكها اختقاً بحبالها. وقيل هذا في الآخرة: قال ابن عباس. هو سلسلة من حديد ذرعها سبعون ذراعاً تدخل من فيها وتخرج من دبرها ويكون ساورها في عنقها فتلت من حديد فتلا محكما. ويكون المراد بالسد الحديد فإنه يطلق عليه أيضاً كما يؤخذ من القاموس ولا مانع من الجمع (قوله أي ليف) قيل هو ليف القل وهو شجر الدوم أبيض مشهور. وقيل مطاق الليف (قوله وهذه الجملة) أي المركبة من [٤٤ - صاوى - رابع]

البتدأ الذي هو حبل ومن الخبر الذي هو في جيدها (قوله أو خبر مبتدأ مقدر)

وتقديره المنة المذكورة في جودها حبلى من مفسد .

سورة الاخلاص [مناسبة لما قبلها أنه لما تقدم في القى قبلها د كعداوة المشركين له صلى الله عليه وسلم ولا سيما أقرب الناس به وهو عمه أبو لهب جاءت هذه السورة مصدرة بالتوحيد رادة على عبدة الأوثان تسليية له صلى الله عليه وسلم وإشعاراً بأن تعاقب الله لا يكله إلى غيره ولا يعتريه حزن . ولهذا السورة أسماء كثيرة وزيادة الأسماء تدل على شرف المسمى أنها باعدهم عشرين اسماً . أولها الاخلاص . ثانياً التنزيل . ثالثاً التجريد لأن من تعلق بها تجرد عن الأغيار . رابعاً التوحيد لأنها له عليه . خامساً النجاة لنجاة قارئها من النار . سادساً الولاية لأن من تعاقب بها أعطاه الله الولاية . سابعاً النسبة لقولهم السؤال انسب لنار بك . ثامناً المعرفة لأن من فهمها عرف الله تعالى . تاسعاً الجلال لدلالاتها على جمال الله أى اتصافه بالكمالات تزييه عن النقائص . عاشرها المقشقة أى المبرئة من الشرك والنفاق . الحادى عشر المعوذة أى الحصنة لقارئها من فتن الدنيا والآخرة . الثانى عشر الصمد الذى كره فيها . الثالث عشر الأساس لأنها أصل الدين ، والحديث «أسست السموات السبع والأرضون سبع على قل هو الله أحد» . الرابع عشر المانة لأنها تمنع فتنة القبر وعذاب النار . الخامس عشر سورة المحتضر لأن الملائكة تضرع لاستماعها إذا قرئت . السادس عشر المنفرة لأن الشياطين تنفر عند قراءتها . السابع عشر سورة البراءة لأنها براءة من الشرك . ثامن عشر المنة المذكورة لأنها تذكر العبد خالص التوحيد . التاسع عشر النور لأنها تنور القلب . العشرون سورة الانسان لأنه لا غنى له بها . وقد ورد فى فضلها أحاديث كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم «من أراد أن ينام على فراشه فنام على يمينه ثم قرأ قل هو الله أحد مائة مرة ، فإذا كان يوم القيامة يقول له الرب عز وجل يا عبدى ادخل بيمينك الجنة» ومنها قوله صلى الله عليه وسلم «من قرأ قل هو الله أحد خمسين مرة غفرت له ذنوب خمسين سنة» ومنها قوله صلى الله عليه وسلم «من قرأ قل هو الله أحد عشر

(سورة الإخلاص)

مكية، أو مدنية، أربع أو خمس آيات

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) سئل صلى الله عليه وسلم عن ربه فنزل (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) ،

رات بنى له قصر فى الجنة
من قرأها عشرين مرة
فى له قصران فى الجنة ،
من قرأها ثلاثين مرة بنى
ثلاثة قصور فى الجنة .
الصحريين الخطاب رضى
الله عنه يارسول الله إذن

كثير قصورنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أوسع من ذلك . ومنها قوله صلى الله عليه وسلم «من قاله فانه رأى قل هو الله أحد فى مرضه الذى يموت فيه لم يمتن فى قبره وأمن من ضغطة القبر وحملته الملائكة يوم القيامة بأ كفها حتى تجيزه من الصراط إلى الجنة» ومنها قوله صلى الله عليه وسلم «من قرأ قل هو الله أحد حين يدخل منزله نفت الفقر عن أهل ذلك المنزل وعن الجيران» ومنها قوله صلى الله عليه وسلم «من قرأ قل هو الله أحد مرة بورك عليه ومن قرأها مرتين بورك عليه وعلى أهله ومن قرأها ثلاث مرات بورك عليه وعلى جميع جيرانه ومن قرأها ثلث عشرة مرة بنى الله له اثني عشر قصر فى الجنة فان قرأها مائة مرة كفر الله عنه ذنوب خمسين سنة ما خلا الدماء والأموال فان قرأها مائة مرة كفر الله عنه ذنوب سنة فالف مرة لم يمت حتى يرى مكانه فى الجنة أو يرى له» . ومنها أنه شكا رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الفقر وضيق المعيشة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا دخلت البيت فسلم إن كان فيه أحد فان لم يكن فيه أحد فسلم على واقرا قل هو الله أحد مرة واحدة ففعل الرجل ذلك فأدركه الله عليه الرزق حتى أقاض على جيرانه» . ومنها أن من قرأها مائة ألف مرة فقد اشترى نفسه من الله ونادى مناد من قبل الله تعالى فى سمواته وفى أرضه ألا إن فلانا عتيق الله فمن كان له قبله بضاعة فليأخذها من الله عز وجل . فهى صانعة من النار لكن بشرط أن لا يكون عليه حقوق للعباد أصلاً أو عليه وهو عاجز عن أنائها . أما من قدر عليها فهو كالمنتهز . بربه لما ورد فى الحديث : يا داود قل لظلمة لا يذكرونى فأنهم إن ذكرونى ذكرونى وذكرونى ذكرونى فأنهم (قوله سئل صلى الله عليه وسلم) أى والسائل له قرىش أو أخبار اليهود أو النصارى حيث قالوا إن آلهتنا ثلثمائة وستون ولم تقص حوائجنا فكيف بواحد . أو صورة السؤال وما صفة ربك هل هو من نحاس أو من ذهب أو زبرجد أو كيف هو قولان فى كيفية السؤال . وورد «أن ابن سلام لما سمع يخرج النبي صلى الله عليه وسلم بمكة ذهب إليه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : أنت ابن سلام عالم بغير

قال ثم قال أشهدك الله الذي أنزل التوراة على موسى أتجدي في التوراة قال السب ربك فأرني النبي صلى الله عليه وسلم فقال له جبريل عليه السلام : قل هو الله أحد إلى آخرها فقرأها فقال ابن سلام أشهد أنك رسول الله وأن الله يظهر دينك على الأديان وإني لأجد صفتك في كتاب الله التوراة : يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، أنت عبيدي ورسولي صيبتك المتوكل لست بفظ ولا غايظ ولا سخاب في الأسواق ولا تجزي بالسببة مثلها ولكن تعفو وتصفح وإن يقبضه الله حتى تستقيم به الملة الموجهة حتى يقولوا لا إله إلا الله يفتح بها أعينا عميا وآذا صما وقلوبا غلظا (قوله فآله خبر هو الخ) هذا مبني على أن ضمير هو عائد على المسئول عنه في كلام الكفار وقيل إنه ضمير الشأن يفسره الجملة بعده فآله مبتدأ وأحد خبره والجملة خبره وهزة أحد بدل من واو لأنه من الوحدة أولست بمبدلة من شيء قولان وإثبات لفظ قل مع تنوين أحد هو قراءة العامة وقرئ شذوذا بحذف قل وقرئ أيضا قل هو الله الواحد وقرئ أيضا بحذف التنوين لالتقاء الساكنين ، وأعلم أن هذه الآية يؤخذ منها عقائد التوحيد وذلك لأن الله تعالى علم على الذات الواجب الوجود المستحق لجميع الحمد ومن كان وجوده واجبا لم اتصافه بسائر الكمالات كالقدرة والارادة والعلم والحياة وقوله أحد يدل على الصفات السالبة وهي القدم والبقاء والغنى للطاقي والتزهد عن الشبيه والنظير والمثيل في الذات والصفات والأفعال وبذلك اتفتت الكموم الخمسة وهي الحكم المتصل والمتصل في الذات والصفات والمنفصل في الأفعال فالمتصل في الذات والصفات هو التركيب والمتصل فيها هو الشبيه والنظير والمتصل في الأفعال هو الشبيه فيها وكل هذه منفية ومستحيلة عليه تعالى ، وأما المتصل في الأفعال فهو ثابت لأن أعمال الله تعالى متعددة لانهاية لها بقي شيء آخر وهو أن أحد يستعمل في النبي ، وأما واحد فيستعمل في الإثبات فلا ذكره في الإثبات ؟ . أجيب بأن ذلك أغاي وقد يستعمل كل في كل (٣٤٧) والقرآن وارد بذلك في غير آية

وآثر الأحد على الواحد لمراعاة الفواصل (قوله وأحد بدل) أي بدل نكرة من معرفة وهو حائر (قوله الله الصمد) نتيجة ما قبله ولذا ترك

فآله خبر هو وأحد بدل منه ، أو خبر ثان (الله الصمد) مبتدأ وخبر ، أي المقصود في الحوائج على الدوام (لم يلد) لانتفاء مجانسته (ولم يولد) لانتفاء الحدوث عنه (ولم يكن له كفوا أحد) أي مكافئا ومماثلا فله متعلق بكفوا ، وقدم عليه لأنه محط القصد بالنبي ، وآخر أحد وهو اسم يكن هن خبرها رعاية للفاصلة .

العطف وذلك لأنه حيث ثبت أنه متصف بالكمالات منزّه عن النقائص فلا يقصد غيره ولا يقول إلا عابه (قوله أي المقصود في الحوائج) هذا أحد أقوال في معنى الصمد وهو المشهور ، وقيل هو الذي لا جوف له ، وقيل هو الدائم الباقي بعد فناء خلقه ، وقيل هو الذي ليس فوقه أحد ، وقيل غير ذلك ، وإنما عرف الصمد لهم به ومعرفتهم إياه بخلاف أحديته وكرّر لفظ الله إشعارا بأن من لم يتصف به لا يستحق الألوهية (قوله لم يلد ولم يولد) ردّ على مشركي العرب القائلين باللائكة بنات الله واليهود القائلين عزير ابن الله والنصارى القائلين المسيح ابن الله وهذه الجملة نتيجة ما قبلها لأنه حيث ثبت أنه متصف بالكمالات منزّه عن النقائص مقصود في جميع الأمور لم يكن علة في غيره ولا غيره علة فيه وأتى بالعطف في الجملتين الأخيرتين دون ما عداهما لأنهما سيقتا لمعنى وهو نفي المماثلة عنه تعالى بوجوهها لأن المماثلة إما ولد أو والد أو نظير فلتغاير الأقسام أتى بالعطف لأنه يقتضي المغايرة وترك العطف في لم يلد لأنه مؤكد للصمدية لأن النفي عن كل شيء المحتاج إليه كل ما سواه لا يكون والدا ولا مولودا ، فهذه الجمل الثلاث في معنى جملة واحدة (قوله لانتفاء مجانسته) أي لغيره لأن الولد من جنس أبيه والله سبحانه وتعالى لا يجانسه أحد لأنه واجب وغيره ممكن ولأن الولد يطاب إما لاعانة والده أو لتخلفه بعده والله تعالى غني عن كل شيء ولا يفتقر (قوله لانتفاء الحدوث عنه) أي لأن كل مولود جسم ومحدث والله تعالى ليس كذلك (قوله ومماثلا) عطف تفسير . وأعلم أن الكف يعنى الشبيه والنظير والمثيل ، فالمثيل هو المشارك لك في جميع صفاتك والشبيه هو المشارك في غالبيتها والنظير هو المشارك في أقالها والله سبحانه وتعالى منزّه عن ذلك كله (قوله وقدم عليه) أي وكان الأصل أن يؤخر الطرف لكن قدم لأهميته اهتمام بنفي السكافة عنه تعالى لأنه المقصود (قوله لأنه محط القصد بالنبي) أي قاله قصد نفي السكافة عن ذات الله تعالى فكان تقديمه أولى ، وهذه السورة الشريفة نعت أصول الكفر الثمانية : التركيب والعدد والنقص بمعنى الاحتياج والقلة بمعنى البساطة والعلة والمعلول والشبيه والنظير ، أما الكثرة والعدد فانتفاؤها بقوله تعالى :

قل هو الله أحد - والنقص والقلّة بقوله - الله الصمد - والعلة والمعلول بقوله - لم يك ولم يولد - والشبيه والنظير بقوله ولم يكن له كفوا أحد - .

[سورة الفلق] مناسبها لما قبلها أنه تعالى لما بين أمر الألوهية في السورة قبلها بين هنا ما يستعاض منه بالله تعالى لأنه ملجأ سواء (قوله مكية) أي في قول الحسن وعطاء وعكرمة وقوله أومدنية أي في قول ابن عباس وقتادة وجماعة وهو صحيح . ويؤيده سبب النزول فإنه كان بالمدينة ولم يظهر للقول بأنها مكية وجه . وورد في فضل هذه السورة والى بعدها ما يثبت منها قوله صلى الله عليه وسلم « لقد أنزلت على سورتان ما أنزل مثلهما وإنه لن يقرأ أحد سورتين أحبّ ولا أرضى عند الله منهما يعني المعوذتين » وقوله : ما أنزل مثلهما أي في التحصن والتعوذ ، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم « يا ابن عاص أخبرك بأفضل مما تعوذ به للمعوذون ؟ قلت بلى يا رسول الله ، قال قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس » ومنها أنه كان صلى الله عليه وسلم يتعوذ من عين الجان ومن عين الإنس لما نزلت سورتا المعوذتين أخذ بهما وترك ما سواهما » فيها قوله صلى الله عليه وسلم لبعض أصحابه : « اقرأ قل هو الله أحد والمعوذتين ثلاثا يكفك من كل شيء » وفي رواية « من أقرأ قل هو الله أحد والمعوذتين ثلاث مرات إذا أخذ مضجعه فإذا قبض قبض شهيدا وإن عاش عاش مغفورا له » (قوله في هذه السورة والى بعدها الخ) أي باجماع الصحابة (قوله لما سحر لبيد) أي ابن الأعصم . وحاصله أنه لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية في ذي الحجة ودخل المحرم سنة سبع وفرغ من وقعة خيبر جاءت رؤساء اليهود ، لبيد بن الأعصم وكان حليفا في بني زريق وكان ساحرا فقالوا أنت أسحرنا : أي أعلمنا بالسحر وتد سحرنا محمدا فلم يؤثر سحرنا شيئا ونحن نجعل لك (٣٤٨) جعلنا على أن نسحره لنا سحرا يؤثر فيه فجعلوا له ثلاثة دنابر فأتى غلاما

يديا كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فلم يبه حتى أخذ مشاطة من النبي صلى الله عليه وسلم وعدة أسنان من طه وأعطاه ففسح

(سورة الفلق)

مكية ، أومدنية ، خمس آيات

نزلت هذه السورة والى بعدها لما سحر لبيد اليهودي النبي صلى الله عليه وسلم

وكان من جملة السحر صورة من فجع على صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءوا في تلك الدورة إبراهيم مغرورة إحدى عشرة ووتر فيه إحدى عشرة عقدة وكان النبي صلى الله عليه وسلم كلما قرأ آية دانت عقدة وكلما نزع إبرة وجد لها ألما في بدنه ثم يجد بعدها راحة ، وكانت مدة سحره صلى الله عليه وسلم أربعين يوما ، بل ستة أشهر ، وقبل عام . قال ابن جرير وهو المعتقد . إن قلت كيف يؤثر السحر فيه صلى الله عليه وسلم مع أنه معصوم من الآفة : والله يصحك من الناس ؟ أجيب بأن المعصوم منه ما أدى لحبل في عقلة أو لضياع شرعه أولوته ، وأما ما عدا ذلك فهو من الأعراض البشرية الجائزة في حقه كما أن جرحه وكسر ربا عيته لا يقدح في عصمته ، وأنكر بعض المتبدعة حديث جرير زاعمين أنه يحط منصب النبوة ويشكك فيها وما أدى لذلك فهو باطل وزعموا أيضا أن تجويز السحر على الأنبياء يؤدي لعدم قلة بما أتوا به من الشرائع إذ يحتمل أن يخيل إليه أن يرى جبريل يكلمه وليس هو ثم وهذا كله مردود لقيام الدليل على ثبوت سحر باجماع الأمة وعظمته صلى الله عليه وسلم وجميع الأنبياء وصدقهم فيما يبايعونه عن الله ، وأما ما كان متعلقا بأمور الدنيا من كسائر البشر تعد جرم الأعراض كالصحة والسقم والنوم واليقظة والتألم بالسحر ونحو ذلك ، وأما ما ورد في قصة السحر من أنه كان يل إليه أنه يأتي أهله ولم يأت فعنه أنه يظهر له من نشاطه وسابق عاداته الاقتدار على الوطء فإذا دنا من المرأة فصرخ ذلك كما هو أن للمعقود ونسجه العامة المربوط لما ورد : أنه حبس عن عائشة سنة ، وعن ابن عباس أنه مرض وحبس عن النساء لطعام والشراب في ذلك دليل على أن السحر إنما تسلط على ظاهر جسده لا على عقله . ثم اعلم أن مذهب أهل السنة ، السحر حق وله حقيقة ويكون بالقول والفعل ، ومن جملة أنواعه السحبات وهي حيل صناعية يتوصل إليها بالاكتمال بر أنها لدقتها لا يتوصل إليها إلا آحاد الناس ومادته الوطوف على خواص الأشياء والعلم بوجوه تركيبها وأوقاتها وأكثرها بيلات فيعظم عند من لا يعرف ذلك ، والحق أنه من الأسباب العادية التي توجد الأشياء عندها لا بها فيؤثر في القلوب

كالحب والبغض وإلقاء الحجر والشر في الأبدان بالأم والسقم ، وأما قلب الجود حيوانا وعكسه فباطل لا يحصى .
 إذ لو قدر الساحر على هذا لقد أن يرد نفسه إلى الشباب بعد الهرم وأن يمنع نفسه من الموت ، وهو حرام إن لم يكن بما يحظ به
 غير الله أو يعتقد تأثيره بنفسه وإلا فهو كفر (قوله في وتر) بفتحين : أى وتر القوس (قوله فأحضر بين يديه) روى أنه
 صلى الله عليه وسلم كان نائما ذات يوم إذ أتاه ملكان فقام أحدهما عند رأسه والآخر عند رجله ، فقال الذى عند رأسه
 ما بال الرجل ؟ فقال الذى عند رجله طيب : أى سحر . قال ومن سحره ؟ قال لبيد بن الأعصم اليهودى . قال وبهم طيبه ؟ قال
 بمشط ومشاطة . قاله وابن هو ؟ قال فى جف طلعة تحت راعوفة فى بئر ذروان . فأنابه النبي صلى الله عليه وسلم ثم أمر عليا والزبير
 وعمار بن ياسر فزحوا ماء تلك البئر كأنه نقاعة الحناء ، ثم رفعوا الصخرة وأخرجوا الجف فاذا فيه مشاطة رأسه وأسنان مشطه
 وإذا وتر معمود فيه إحدى عشرة عقدة وإذا تمثال من شمع على صورته صلى الله عليه وسلم مفروز فيه إحدى عشرة إبرة وكانت
 هذه الذكورات كلها موضوعة فى الجف وهو بضم الجيم وتشديد الفاء وعاء طلع النخل ، والراعوفة حجر أسفل البئر يقوم عليه
 المائج (قوله كأنما نشط من عقال) أى كأنما حل وأطلق منه (قوله الصبح) هذا أحد أقوال فى معنى الهاق وآثره إشارة إلى
 التفاؤل الحسن فإن مقصود المثلث من الاستعاذة أن يتغير حاله بالخروج من الحرف إلى الأمن ومن الوحشة إلى السرور والصبح
 أدل على هذا لما فيه من زوال الظلمة بإشراق أنواره وتغير وحشة الليل ونقله بسرور لصبح وخفته ، وقيل الفلق جن فى جهنم وقيل بيت
 فى جهنم إذا فتح صاح أهل جهنم من حره ، وقيل هو اسم من أسماء جهنم ، وقيل وادى جهنم ، وقيل شجرة فى النار ، وقيل الرحم لا تفلقه
 عن الولد ، وقيل كل ما انطلق عن جميع ما خلق من الحيوان والحب والنوى (٣٤٩) وكل نبات ، وقيل غير ذلك

فى وتر به إحدى عشر عقدة فأعلم الله بذلك وبمجله فأحضر بين يديه صلى الله عليه وسلم
 وأمر بالتعوذ بالسورتين فكان كلما قرأ آية منهما انحلت عقدة ووجد خفة حتى انحلت العقد كلها
 وقام كأنما نشط من عقال .
 (بسم الله الرحمن الرحيم . قل أعوذ برب الفلق) الصبح (من شر ما خلق)
 من حيوان مكلف وغير مكلف وحمار كالسم وغير ذلك (ومن شر غاسق إذا وقب) أى
 الليل إذا أظلم ، أو القمر إذا غاب (ومن شر النفاثات) السواحر تفت (فى العقد) أى
 تعقدها فى الحيط تنفخ فيها بنى . قوله من غير ريق . وقال الزمخشري : معه ،
 لأن الضرر قد يتخاف فيهما وتعرف النفاثات لأنهن معهودات فليل بنات لبيد وقيل أخواته (قوله أى الليل إذا ظلم) سمي الليل غاسقا لما انصباب
 ظلامه واستعبد من الليل لشدة الآفات فيه وإذا منصوبة بشر : أى أعوذ بالله من الشر فى وقت كذا (قوله أو اقمر) سمي غاسقا لذهاب ضوئه
 بالكسوف أو الحاق فى آخر الشهر واسوداده ، وقوله إذا غاب : أى استتر بالكسوف أو أخذ فى المحاق أو النقص وذلك آخر الشهر
 وفيه تتوفر أسباب السحر الصحيحة له ويسميه النجمون إذا ذاك نحسا وهو أنسب بسبب النزول ، وهذان قولان من جملة أقوال
 كثيرة ، وقيل الثريا وذلك لأنها إذا سقطت كثرت الأسقام والطواعين وإذا طامت ارتفع ذلك ، وقيل هو الشمس إذا غربت ،
 وقيل هو الحية إذا لاذت ، وقيل كل هاجم يضر كائنا ما كان (قوله السواحر) صفة لموصوف محذوف : أى النساء السواحر
 وخص النساء بالذكر لأن سحرهن أشد من سحر الرجال لما ورد : أنه بعد إغراق فرعون وقومه وتوجه موسى وقومه لقتل الجبارين
 ملك نساء القبط مصر وأقرن فيها ستمائة امرأة كلما قصدهن عسكر صورن صورته وفطن بالصورة ما شئن من قاع الأعين وتطلع لأعضاء
 فيتفق نظيره للعسكر القادم لهن فتخافهن العسكر (قوله بنى) أى مع شئ : أى قول تقوله ، وقوله من غير ريق متعلق
 بنفخ ، واختلف فى النفث عند الرقية والمسح باليد فمنه قوم لما فيه من التشبه بالسحر وأجازوه آخرون وهو الصحيح لما ورد
 عن عائشة كان النبي صلى الله عليه وسلم ينفث فى الرقية ، وورد عنها أيضا أنها رقت ونفثت ، وقال على كرم الله وجهه : شكيت
 فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم وأنا أقول اللهم إن كان أجلى قد حضر فأرحني وإن كان متأخرا فاشفني وعافني وإن كان بلاء
 فصبرني فقال صلى الله عليه وسلم كيف قلت ؟ فقلت له لمسحني بيده ثم قال : اللهم أشنه فما عاد ذلك أوجع بيده اه (قوله وقال
 الزمخشري معه) أى الريق فى النفث قولان .

فى وتر به إحدى عشر عقدة فأعلم الله بذلك وبمجله فأحضر بين يديه صلى الله عليه وسلم
 وأمر بالتعوذ بالسورتين فكان كلما قرأ آية منهما انحلت عقدة ووجد خفة حتى انحلت العقد كلها
 وقام كأنما نشط من عقال .

(بسم الله الرحمن الرحيم . قل أعوذ برب الفلق) الصبح (من شر ما خلق)
 من حيوان مكلف وغير مكلف وحمار كالسم وغير ذلك (ومن شر غاسق إذا وقب) أى
 الليل إذا أظلم ، أو القمر إذا غاب (ومن شر النفاثات) السواحر تفت (فى العقد) أى
 تعقدها فى الحيط تنفخ فيها بنى . قوله من غير ريق . وقال الزمخشري : معه ،
 لأن الضرر قد يتخاف فيهما وتعرف النفاثات لأنهن معهودات فليل بنات لبيد وقيل أخواته (قوله أى الليل إذا ظلم) سمي الليل غاسقا لما انصباب
 ظلامه واستعبد من الليل لشدة الآفات فيه وإذا منصوبة بشر : أى أعوذ بالله من الشر فى وقت كذا (قوله أو اقمر) سمي غاسقا لذهاب ضوئه
 بالكسوف أو الحاق فى آخر الشهر واسوداده ، وقوله إذا غاب : أى استتر بالكسوف أو أخذ فى المحاق أو النقص وذلك آخر الشهر
 وفيه تتوفر أسباب السحر الصحيحة له ويسميه النجمون إذا ذاك نحسا وهو أنسب بسبب النزول ، وهذان قولان من جملة أقوال
 كثيرة ، وقيل الثريا وذلك لأنها إذا سقطت كثرت الأسقام والطواعين وإذا طامت ارتفع ذلك ، وقيل هو الشمس إذا غربت ،
 وقيل هو الحية إذا لاذت ، وقيل كل هاجم يضر كائنا ما كان (قوله السواحر) صفة لموصوف محذوف : أى النساء السواحر
 وخص النساء بالذكر لأن سحرهن أشد من سحر الرجال لما ورد : أنه بعد إغراق فرعون وقومه وتوجه موسى وقومه لقتل الجبارين
 ملك نساء القبط مصر وأقرن فيها ستمائة امرأة كلما قصدهن عسكر صورن صورته وفطن بالصورة ما شئن من قاع الأعين وتطلع لأعضاء
 فيتفق نظيره للعسكر القادم لهن فتخافهن العسكر (قوله بنى) أى مع شئ : أى قول تقوله ، وقوله من غير ريق متعلق
 بنفخ ، واختلف فى النفث عند الرقية والمسح باليد فمنه قوم لما فيه من التشبه بالسحر وأجازوه آخرون وهو الصحيح لما ورد
 عن عائشة كان النبي صلى الله عليه وسلم ينفث فى الرقية ، وورد عنها أيضا أنها رقت ونفثت ، وقال على كرم الله وجهه : شكيت
 فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم وأنا أقول اللهم إن كان أجلى قد حضر فأرحني وإن كان متأخرا فاشفني وعافني وإن كان بلاء
 فصبرني فقال صلى الله عليه وسلم كيف قلت ؟ فقلت له لمسحني بيده ثم قال : اللهم أشنه فما عاد ذلك أوجع بيده اه (قوله وقال
 الزمخشري معه) أى الريق فى النفث قولان .

(قوله ومن شر حاسد إذا حسد) الحسد تنى زوال نعمة المحسود عنه وإن لم يصير الحاسد مثلها، والقبطة تنى مثلها، فالحسد مذموم دون القبطة وعليها حمل حديث «لا حسد إلا في اثنتين» والحسد أول ذنب عصي الله به في السماء وأول ذنب عصي به في الأرض لحسد إبليس آدم، وقابيل هابيل. والحاسد ممقوت مبغوض ومطرود وملعون. قال بعض الحكماء: بارز الحاسد ربه من خمسة أوجه: أولها أنه أبغض كل نعمة ظهرت على غيره. ثانيها أنه ساخط لقسمة ربه كأنه يقول لم قسمت لي هذه القسمة. ثالثها أنه يعازد فعل الله تعالى. رابعها أنه يريد خذلان أولياء الله. خامسها أنه أعان عدو الله إبليس، وقال بعضهم: الحاسد لا ينال في المجالس إلا ندامة ولا ينال عند الملائكة إلا لعنة وبغضا ولا ينال في الخلوة إلا جزعا وغما ولا ينال في الآخرة إلا حزنا واحتراقا ولا ينال من الله إلا بعدا ومقتا، وفي الحديث «في الإنسان ثلاثة الطيرة والظن والحسد فيخرج من الطيرة أن لا يرجع ويخرج من الظن أن لا يحقق ويخرج من الحسد أن لا يبغى» (قوله أظهر حسده) أي حمله الحسد على إظهاره لأنه إذا لم يظهر الحسد لا يتأذى به إلا الحاسد وحده لاغتمامه بنعمة غيره، وفي هذا المعنى قال بعض العارفين:

ألا قل لمن بات لي حاسدا أتدرى على من أسأت الأدب
أسأت على الله في فعله لأنك لم ترض لي ما وهب
فكان جزاؤك أن خصني وصد عليك طريق الطلب
اصبر على حسد الحسود فان صبرك قاتله

(٣٥٠)

وقال بعضهم:

فالنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله
[قائدة] كرر لفظ شر مع كل جملة لثلاث
وهم أنه شر واحد مضاف
لجميع.

[سورة الناس مكية]
(قوله أو مدنية) أي
وهو الصحيح لما تقدم
من أن سبب النزول واقعة
السحر وهي بالمدينة سنة

كبنات لبيد المذكور (ومن شر حاسد إذا حسد) أظهره حسده وعمل بمقتضاه كلبيد المذكور من اليهود الحاسدين للنبي صلى الله عليه وسلم، وذكر الثلاثة الشامل لها ما خلق بعده لشدة شرها.

(سورة الناس)

مكية أو مدنية، ست آيات

(بسم الله الرحمن الرحيم. قل أعوذ برب الناس) خالقهم ومالكهم خصوا بالذكر تشريفا لهم ومناسبة الاستمادة من شر الموسوس في صدورهم (مالك الناس) أي لئس بدلان أو صفتان أو عظما بيان، وأظهر المضاف إليه فيهما زيادة للبيان،

سبع (قوله ست آيات) أي والسورة التي قبلها خمس فتكون الجملة إحدى عشرة

آية عدة العقد والابر الحاصلين في السحر (قوله قل أعوذ) أي أتحصن والأمر للنبي صلى الله عليه وسلم ويتناول غيره من أمته لأن أوامر القرآن ونواهيها لا تخص فردا دون فرد (قوله الناس) أصله إما إناس حذفت الهمزة أونوس مأخوذ إما من ناس إذا تحرك خص بالبشر لأنه المتحرك الحركة المعتد بها الناشئة عن روية وتدبر تحركت الواو وانفتح ما قبلها قلبت ألفا أو من الانس ضد الوحشة لأنه يؤنس به أو من النسيان لكونه شأنه وطبعه (قوله خالقهم) أي موجودهم من العدم (قوله خصوا بالذكر) أي وأمد لهم بالعقل والعلم وكافهم بخدمته فإن قاموا بتلك الوظيفة كان لهم العز دنيا وأخرى وإن لم يقوموا بها رذوا للأسفل السافلين فلم يساواوا كليا ولا خزيروا وإذا علمت بذلك أنه رب الناس فهو رب غيرهم بالأولى (قوله ومناسبة للاستعاذة الخ) أي فكأنه قال أعوذ من شر الموسوس إلى الناس برهم المالك لهم (قوله مالك الناس) باسقاط الألف هنا باتفاق القراء بخلاف الفاتحة ففيها قراءتان سبعيتان نبوت الألف وحذفها ومعنى الملك التصرف فيهم بأنواع التصرفات من إعزاز وإذلال وإغناء وإفقار وغير ذلك (قوله رب الناس) هذا القريب بديع وذلك أن الإنسان أولا يصرف أن له ربا لما شاهده من أنواع التربية ثم إذا تأمل عرف أن هذا الرب منصرف في خلقه غنى عن غيره فهو الملك، ثم إذا تأمل أنه عرف أنه يستحق أن يعبد لأنه لا يعبد إلا الله عن كل ما سواه للفتقر إليه كل ما عداه (قوله زيادة للبيان) حاصله أنه ورد إشكال وهو لم كرر لفظ الناس ثانيا وثالثا ولم يكتب بعضهم

أن اتحاد اللفظين في اللفظ والمعنى معيب كالإبطاء في الشعر فأجاب بتفسير بقوله زيادة للبيان وهو جواب خفي ، وأحسن منه
يقال إن التكرار لإظهار شرف الناس وتعظيمهم والاعتناء بشأنهم كما أنه حسن التكرار للتأنيذ وإظهار فضل التكرار في قول
محمد ساد الناس كهلا وبانعا وساد على الأملاك أيضا محمد
محمد كل الحسن من بعض حسنه وما حسن كل الحسن إلا محمد
محمد ما أحلى شمله وما ألد حديثا راح فيه محمد

لذا على تسليم أن المراد بالناس في الجميع شيء واحد، وأما إن أريد بالناس الأول الصغار وأضيفوا للرب لاحتياجهم إلى التربيته
كثير من غيرهم ، وبالثاني الشباب وأضيفوا للرب لأن شأنهم الطغيان والطيش فهم محتاجون للرب يسومهم ويكسر هيجان
بؤسهم ، وبالثالث الشيوخ وأضيفوا للإله لأن شأنهم كثرة العبادة لقرب ارتباطهم وقدومهم على ربهم وفناء شهواتهم فهم
رب من غيرهم للتعليق بالإله فلا اتحاد في المعنى (قوله من شر الوسواس) متعلق بأعوذ . إن قلت ما الحكمة في وصف الله
بالي في هذه السورة نفسه بثلاثة أوصاف وجعل الاستعاذ منه شيئا واحدا وفي السورة قبلها بعكس ذلك لأنه وصف نفسه بوصف
أحد وجعل الاستعاذ منه أربعة أشياء . أجيب بأنه في السورة المتقدمة الاستعاذ منه أمور تضر في ظاهر البدن وهنا وإن كان
مراوا واحدا إلا أنه يضر الروح وما كان يضر الروح بهم بالاستعاذة منه . إن قلت كان مقتضى الظاهر تقديم ما به الاهتمام وهو
لاستعاذة من شر الوسواس إذ سلامة الروح مقدمة على البدن . أجيب بأن تقديم سلامة البدن وسيلة للمقصود بالذات وهو
سلامة الروح (قوله معي بالحدث) أي المصدر ، وقوله لكثرة ملاسته له : أي ملازمته للوسوسة فهو على حد زيد عدل وما ذكره
المفسر ليس بمتعين فإن الوسواس بالفتح كما يستعمل اسم مصدر بمعنى الحدث (٣٥١) يطلق على نفس الشيطان

الوسوس ويطلق أيضا على
ما يخطر بالقلب من الشر .
واعلم أن خواطر القلب
أربعة رحمانى ومملكى
ونفسى وشيطانى فالرحمانى
ما يلزم طاعة بعينها والمملكى

(مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ) أي الشيطان ، سمي بالحدث لكثرة ملاسته له (الْخَنَّاسِ)
لأنه يخفى ، ويتأخر عن القلب كلما ذكر الله (الَّذِي يُؤْشِرُ فِي صُدُورِ النَّاسِ)
قلوبهم إذا غفلوا عن ذكر الله (مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ) بيان للشيطان الوسوس أنه جنى
وإنسى ،

ما يلزم طاعة لا بعينها والنفسى ما يلزم معصية بعينها والشيطاني ما يلزم معصية لا بعينها فتمسك بهذا الميزان (قوله لأنه يخفى)
من باب دخل : أي يتوارى ويختفي بعد ظهوره للمرة بعد المرة (قوله كلما ذكر الله) أي فالدكر له كالتقاع الذي يجمع الفساد
فهو شديد النفور منه ولهذا كان شيطان المؤمن هزيعا ، وعن بعض الساف أن المؤمن يفنى شيطانه كما يفنى الرجل بعيره في السفر .
قل فتادة : الخناس له خرطوم نخرطوم الكلب ، وقيل نخرطوم الخنزير في صدر الإنسان فاذا ذكر العبد ربه خفس ، ويقال
رأسه كرأس الحية واضع رأسه على ثمرة القلب يمسه ويحدثه فاذا ذكر الله خفس وتأخر وإذا غفل رجع ، وهل المراد الحقيقة ،
أو خرطوم الكلب والخنزير كناية عن قبحه وخبثه ونجاسته ورأس الحية كناية عن شدة الأذية ووضعه على الفؤاد كناية عن
شدة التمكن ؟ كل محتمل (قوله إذا غفلوا عن ذكر الله) أي بقلوبهم ولو كانوا ذا كرين بألسنتهم وذلك لأن الوسوسة حالة
في القلب فلا يطردها إلا الله كالحال في القلب فمن كان من أهل الله كره فلا تسلط للشيطان عليه . قال تعالى - إن عبادي
ليس لك عليهم سلطان - ولا يترك الإنسان الله كوالسائي إذا وجد الغفلة والوسواس في قلبه بل يكثر الله كره ويديه فلعنه
يستيقظ قلبه ويتنور . قال العارفون : الله كوالسائي كقدح الزناد فاذا تكرر أصاب . قال بعضهم في ذلك .

اطلب ولا تضجر من مطلب فأفة الطالب أن يضجرا
أما ترى الحبل لتكراره في الصخرة الصماء قد أثرا

(قوله من الجنة) اسم جنس جمي يفرق بينه وبين واحده بالياء فيقال جن جنى كزنج وزنجى وغالبا يفرق بالهاء كتمر
وقمرة وزيدت التاء في الجنة لتأنيث الجماعة ، وهو بذلك لا جنتانهم : أي استقارهم عن العيون ، وهم أجسام نارية هوائية يتشكلون
بالصور الشريفة والحسنة وتحكم عليهم الصورة وتقدم ما فيهم (قوله بيان للشيطان الوسوس) أي المذكور بقوله : من شر
الوسواس فمن بيانية مشوبة بتعريض : أي بعض الجنة وبعض الناس ،

(قوله كفواه تعالى الخ) أي ويشهد له حديث «نمودوا بالله من شياطين الجن والانس» (قوله والناس عطف على الوسواس) أي ولفظ شر مسلط عايه كأنه قال من شر الوسواس الذي يوسوس وهو الجنة ومن شر الناس وعليه فالناس لا يصحرو منهم وسوسة (قوله وعلى كل) أي من الاحتمالين وقوله يشمل أي الشر المستعاذ منه شر لبيد الخ (قوله المذكورين) أي في السورة السابقة وفيه تغليب المذكور وهو لبيد على المؤنث وهو بناته (قوله واعترض الأول) أي وهو أنه بيان للشيطان الوسوس (قوله لا يوسوس في صدورهم الناس) كذا في بعض النسخ والمناسب كما في بعضها لا يوسوسون في صدور الناس (قوله يلق بهم) أي كالنميمة ويخفون إذا زجروا (قوله المؤدى) أي الموصل إلى ثبوتها في القلب (قوله والله أعلم) أشار بذلك إلى تمام القرآن . وفي ختم القرآن بهذه السورة إشارة حسنة كأنه قيل ما أنزلناه كاف ما فرطنا في الكتاب من شيء فلا تطلب بعده شيئاً بل اقتصر على العمل به واستعذ بالله من الشيطان والحاسد لأن العبد إذا تمت نعمة الله عليه كثرت حساده إنساناً وجناً، قيل عدد حروف هذه السورة غير المكرر ثلاث وعشرون حرفاً وكذا عدد الفاتحة بعدد السنين التي أنزل فيها القرآن وهو سربديع وأول القرآن بآء البسملة وآخره سين والناس كأنه قال بس أي تم وكل . ثم اعلم أن الجلال المحلى رضى الله عنه بعد أن ختم هذا النصف الأخير وابتدأه من سورة الكهف شرع في تفسير النصف الأول وأوله سورة الفاتحة فقال في شروعه في سورة الفاتحة الخ ولم يفتتحه بخطبة على عادة المؤلفين مشتملة على حمد وصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وغير ذلك قصدا للاختصار وروما للاقتصار على محط الفائدة . ثم إنه لما فرغ من تفسير سورة الفاتحة توفى إلى رحمة الله (٣٥٢)

كقوله تعالى : شياطين الإنس والجن ، أو من الجنة بيان له والناس عطف على الوسواس ، وعلى كل يشمل شر لبيد وبناته المذكورين ، واعترض الأول بأن الناس لا يوسوس في صدورهم الناس إنما يوسوس في صدورهم الجن . وأجيب بأن الناس يوسوسون أيضاً بمعنى يلق بهم في الظاهر ثم تصل وسوستهم إلى القلب وتثبت فيه بالطريق المؤدى إلى ذلك ، والله تعالى أعلم .

(سورة الفاتحة)

مكية ، سبع آيات بالبسملة

تعالى فقيض الله تعالى
لهذه الجلال السيوطي
تتميم تفسيره فابتدأ بأول
سورة البقرة وختم بالأمراء
ما ذكر في خطبته فصار
تفسير الفاتحة في نسخ
الجلال مضموماً لتفسير
آخر القرآن لأوله ليكون
تفسير المحلى مضموماً به
رضي الله عن الجميع
نعمنا بهم .

[سورة الفاتحة مكية] وهو قول الأكثر وقيل مدنية وجمع

بعضهم بين التواين فقال نزلت مرتين مرة بمكة حين فرضت الصلاة ومرة بالمدينة حين حولت القبلة ولذلك سميت مثنى . وقيل نزل نصفها بمكة ونصفها بالمدينة والأول هو الصحيح لقوله تعالى - ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم - والحجر مكية باجماع وأيضاً فرض الصلاة كان بمكة ولم يثبت أنه وقع في الإسلام صلاة بغيرها يدل على هذا قوله صلى الله عليه وسلم «لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب» بل هي من أوائل القرآن نزولاً وسميت فاتحة لأنها مفتاح الكتاب العزيز ، وهذا اسم من جملة عشرين اسماً . ثانياً فاتحة الكتاب . ثالثاً أم القرآن لأنه مفتوح بها فكانها أصله وأساسه . رابعاً سورة الكثر لأنها نزلت من كثر تحت العرش . خامساً الكافية . سادساً الوافية لأنها وافيه كافية في صحة الصلاة عن غيرها عند القدرة عليها . سابعاً الشافية . ثامناً الشفاء لما ورد في شفاء من كل داء . تاسعاً السبع المثاني لأنها سبع آيات على الصحيح سواء قلنا أن البسملة منها أولاً . عاشراً النور . الحادى عشر الرقية . الثاني عشر سورة الحمد والشكر . الثالث عشر الدعاء . الرابع عشر تعليم المسألة لاشتمالها على ذلك . الخامس عشر سورة المناجاة . السادس عشر سورة التفويض . السابع عشر سورة السؤال . الثامن عشر سورة أم الكتاب . التاسع عشر فاتحة القرآن . العشرون الصلاة الخبر «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل يقول العبد الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدني عبدي يقول العبد الرحمن الرحيم يتول الرب أنني على عبدي يقول العبد مالك يوم الدين يقول الله حمدني عبدي يقول العبد إياك نعبد وإياك نستعين يقول الله عز وجل هذه الآية بيني وبين عبدي

ولم يردى ما سأل يقول المبد - وهذا الصراط المستقيم صراط الذين أجمع عليهم غير المضروب عليهم ولا الضالين - يقول الله
فهؤلاء لم يردى ولم يردى ما سأل - وورد في فضلها أحاديث كثيرة منها ما هو مسلسل بالحلف بالله العظيم . عن ابن العربي قال : إذا
قرئت الفاتحة فصل بسم الله الرحمن الرحيم بالحمد لله في نفس واحد من غير قطع فاني أقول بالله العظيم لقد حدثني أبو الحسن
على أبو الفتح الطيب بمدينة الموصل سنة إحدى وستمائة وقال بالله العظيم لقد سمعت من أبي بكر من لفظه وهو أبو الفضل
ابن محمد الكاتب المروزي وقال بالله العظيم لقد حدثنا أبو بكر الشافعي الشافعي من لفظه وقال بالله العظيم لقد حدثني عبد الله
المعروف بأبي نصر السرخسي وقال بالله العظيم لقد حدثنا محمد بن الفضل وقال بالله العظيم لقد حدثنا محمد بن يحيى الوراق
الفقيه وقال بالله العظيم لقد حدثني محمد بن الحسن العلوي الزاهد وقال بالله العظيم لقد حدثني موسى بن عيسى وقال بالله العظيم
لقد حدثني أبو بكر الرازي وقال بالله العظيم لقد حدثني أنس بن مالك وقال بالله العظيم لقد حدثني محمد المصطفى وقال بالله
العظيم لقد حدثني جبريل وقال بالله العظيم لقد حدثني إسماعيل وقال قال ته لي يا إسماعيل بعزتي وجلالي وجودي وكرمي من قرأ
بسم الله الرحمن الرحيم مرة بفاتحة الكتاب مرة واحدة شهدوا أني غفرت له وقيمت منه الحسنات وتجاوزت عنه السيئات
ولا أحرق لسانه في النار وأجيره من عذاب القبر وعذاب النار والفرج الأكبر ويلقاني قبل الأنبياء والأولياء أجمعين ه ه
من النواوي على الجامع الصغير (قوله إن كانت منها الح) هذا التعبير يوم في بادي الرأي أنها إن لم تكن منها فليست سبعا مع
أنه يخالف ما بعده فالتناسب أن يقول سبع آيات فإن كانت البسملة منها فالسابعة صراط الذين إلى آخرها وإن لم تكن منها
فالسابعة غير المضروب عليهم إلى آخرها وبعضهم جعل البسملة منها وجعل غير المضروب عليهم الح ثامنة وبعضهم جعلها ست
آيات والبسملة ليست منها وهذا القولان مرجوحان . واعلم أنه اختاف (٣٥٣) في البسملة قليل ليست آية من

الفاتحة بل ولا من كل
سورة سوى سورة الفاتحة
وإنما يندب لابتداء بها
كلاستعادة وعليه قراء
المدنية والبصرة والشام
وفقهائوها والأوزاعي ومالك

إن كانت منها ، والسابعة صراط الذين إلى آخرها

وإن لم تكن منها فالسابعة غير المضروب إلى آخرها ، ويقدر في أولها .

قولوا ؛ ليكون ما قبل إياك تعبد مناسباً له بكونها من مقول العباد .

مستدين بما روى عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي أنه كان يفتح أحدهم بالفاتحة في صلاته بما من غير أن يقول بسم الله
الرحمن الرحيم وعمل أهل المدينة حجة ، وقيل آية من الفاتحة ومن كل سورة وعليه قراء مكة والكوفة وفقهائوها وإن
البارك والشافعي مستدين بما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال إذا قرأتم الحمد لله فاقروا بسم الله الرحمن الرحيم إنها أم
القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني وبسم الله الرحمن الرحيم إحدى آياتها . والحاصل أن البسملة من كلام الله قطعاً لمن
أنكرها كفر وكونها آية من كل سورة أولاً خلاف بين الأئمة (قوله فالسابعة غير المضروب الح) إن قلت إن لفظ غير صفة
لما قبلها والصفة مع الموصوف كالشيء الواحد فكيف تكون آية مستقلة . أجيب بأن الرحمن الرحيم مالك يوم الدين صفتان لله
مع أنه مجمع على أنهما آيتان فكذلك يقال هنا . ونوقش بأن لفظ غير أشد افتقاراً إلى ما قبله من غيره لأنه لا يتم معناه إلا بما قبله
فكان معه كالشيء الواحد وأما الرحمن الرحيم ونحوه إذا أعرب نعتاً فليس بهذه المثابة بدليل القراءة الشاذة برفعها أو نصبها
فإنهما يخرجان عن الارتباط . أجيب بأن الآية لا يشترط فيها عدم ارتباطها بما قبلها وقد تخلص المفسر من هذا الإشكال
بإعرابه بدلاً كما يأتي (قوله ويقدر في أولها) أي الفاتحة قبل البسملة على القول بأنها منها أو بعدها وقبل الحمد على القول
بأنها ليست منها (قوله بكونها) الباء بمعنى في : أي في كون الفاتحة كلها من مقول العباد وفي نسخة بكونه وهي أوضح
والضمير عائد على ما قبل إياك ، ومحصله أن إياك تعبد لما كان من مقول العباد احتيج إلى تقدير قولوا فيما قبله ليكون ما قبله
من مقول العباد أيضاً فتكون الفاتحة كلها من مقول العباد ولو ترك هذا التقدير لاحتمال أن قوله الحمد لله رب العالمين إلى
آخر الآيات الأربع ثناء على الله فيكون بعضها لأول من مقول الله . بعضها الثاني من مقول المبد ثناء من الله على نفسه
فيكون من مقوله هو وذلك صحيح في حد ذاته [٤٥ - صاوي - رابع]

لضارعة مضموماً فإن ضم كسر حرف الضارعة ثقل الانتقال من الكسر إلى الضم وبشرط أن يكون الضارع
ن ماض مكسور العين نحو علم أو في أوله همزة وصل نحو استعان أو تاء مطاوعة نحو تعلم (قوله من توحيد الخ) بيان للعبادة
هو إشارة إلى العبادات الأصلية الاعتقادية وقوله وغيره إشارة إلى العبادات العملية من صلاة وصوم وزكاة ونحو ذلك (قوله
بطاب المعونة) بالباء عطف على بالعباد ولا يجوز أن يكون بالنون عطفاً على نخصك لخروجه عن إفادة التخصيص (قوله
غيرها) أي من مهمات الدنيا والآخرة (قوله اهدنا) أي زدنا هداية وأدمننا عليها والهداية تطلق على الدلالة والتبيين
إن لم يحصل وصول نحو: وأما ثمود فهديناهم: أي بينا لهم وتطابق عليهما مع الوصول للخير وهو المراد هنا، ومادة الهداية
تهدي للمفعولين الأول بنفسها والثاني بكذلك كما هنا وإما باللام أو إلى قال تعالى - يهدي للتي هي أقوم، وإنك تهدي
لي صراط مستقيم - (قوله الصراط) هو في الأصل الطريق الحسي، والمراد به هنا دين الإسلام فقيه استعارة تصريحية
صلية حيث شبه دين الإسلام بالطريق الحسي بجامع أن كلاهما وصل لا صود واستعير اسم المشبه به للمشبه وأصل صراط بالصاد
صراط بالسین وبها قرأ قنبل حيث ورد أبدلت صاداً لأجل حرف الاستعلاء وقد تشعب الصاد زايًا وبه قرأ خلف وكلها سببي
لكن لم ترسم في الصحف إلا بالصاد والصراط يذكروا ويؤثرون، فالتذكير لغة تميم والتأنيث لغة الحجاز وجمعه صراط ككتاب
يكتب (قوله المستقيم) اسم فاعل من استقام: أي استوى من غير اعوجاج وأصله مستقيم أعل كاعلال نستعين (قوله
ويبدل منه) أي بدل كل من كل أتى به زيادة في مدح الصراط (قوله الذين أنعمت عليهم) الإيثار إيصال الإحسان إلى
الغير بشرط أن يكون ذلك الغير من العقلاء فلا يقال أنعم فلان على فرسه ولا حمارة (قوله بالهداية) أشار بذلك إلى أن المراد
بالنعم عليهم المؤمنون وهو أحد أقوال المفسرين، وقيل هم المذكورون في قوله تعالى - فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من
الطيبين والصدّيقين والشهداء (٣٥٦) والصالحين - وقيل هم الأنبياء خاصة، وقيل المراد بهم أصحاب موسى وعيسى

أي نخصك بالعبادة من توحيد وغيره وبطلب المعونة على العبادة وغيرها (اهدنا الصراط
المستقيم) أي أرشدنا إليه، ويبدل منه (صراط الذين أنعمت عليهم) بالهداية، ويبدل
من الذين بصلته (غير المفضوب عليهم)،

قبل التحريف والنسخ
وحذف متعلق أنعمت
ليؤذن بالعموم فيشمل
كل نعمة ونعم الله تعالى
لا تحصى باعتبار أفرادها

قال تعالى - وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها - وأما باعتبار جماعتها

وهي لأنها قسمان دنيوية وأخروية. والأول إما وهي أو كسبي، والوحي إما روحاني كنفخ الروح والتزيين بالعقل والهمم
والعكر والنطق أو جسماني كتخاق البدن والقوى الحالة فيه والصحة وكال الأعضاء والكسبي كتزكية النفس وتخليتها عن
الردائل وتخليتها بالأخلاق السنية والفضائل. والثاني وهو الآخر ذي أنه يغفر ما فرط منه وينزله أعلى عاينين مع الملائكة
المقرّين أبد لا بدّين ودهر الداهرين (قوله عليهم) لفظ عليهم الأول في محل نصب على المفعولية والثاني في محل رفع نائب
المفعول وفيه عشر لغات ست مرويات عن القراء الثلاثة الأول منها سبعيات وهي كسر الهاء وضمها مع إسكان الميم فيها وكسر
الهاء وضم الميم بواو بعد الضمة وكسر الهاء والميم بياء بعد الكسرة للاشباع وضم الهاء والميم بواو بعد الضمة وبدونها وأربع
لم يقرأ بها وهي ضم الهاء مع كسر الميم وإدخال ياء بعدها وضم الهاء وكسر الميم من غير ياء وكسر الهاء مع ضم الميم وكسر الهاء
والميم من غير ياء (قوله ويبدل من الذين بصحته) أي بدل كل من كل ولا يضر إبدال النكرة من المعرفة، وقيل نعت للذين
واستشكل بأنه يلزم نعت المعرفة بالنكرة وهو لا يصح لأن غير متوغلّة في الإبهام لا تعرف بالإضافة كمثل وشبهه وشبيهه.
وأجيب بجوابين: الأول أن غير إنما تكون نكرة إذا لم تقع بين ضدين فأما إذا وقعت بين ضدين فتتعرف حينئذ بالإضافة
تقول هاتيك بالحركة غير السكون والآية من هذا القبيل. والثاني أن الموصول أشبه النكرات في الإبهام الذي فيه فعمول
معاملة النكرات، وغير من الألفاظ اللازمة للإضافة لفظاً أو تقديرًا فإدخال ال عاينها خطأ وقد يستثنى بها حملاً على الإكثار بوصف
بالاحتمال عليها (قوله غير المفضوب) بكسر الراء بدل كإقال المفسر أو نعت وتقدم ما فيه وهذه قراءة العامة وقرئ شذوذاً بالنصب
على الحال أو الاستثناء والغضب ثوران دم القلب لإرادة الانتقام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا اتقوا الغضب فإنه حجرة تنوقد في
قلب ابن آدم ألم تروا إلى انتفاخ أوداجه وحجرة يئبه، فإذا وصف به الله تعالى فالمراد به الانتقام أو إرادة الانتقام فهو صفة فعل

أو صفة ذات و بنى النصب للجهول ولم يقل غير الدين غضبت عليهم تعالما لعباده الأدب حيث أسد الخبر لنفسه وأبهم في الشر
نظير قوله تعالى : فأردت أن أعيبها ، فأراد ريك أن يبلغا أشدها ، وإذا مرضت فهو يشفين (قوله وهم اليهود) أي لقوله
تعالى فيهم : من لعنه الله وغضب عليه الآية والحديث « إن المفضوب عليهم هم اليهود وإن الضالين النصارى » (قوله وغير
الضالين) أشار بذلك إلى أن لا بمعنى غير فهي صفة ظهر إعرابها فيما بعدها ويؤيدها قراءة عمر بن الخطاب وأبي بن كعب وغير
الضالين بدل لا و أتى بلا تانيا لتأكيد معنى الذي المفهوم من غير ولئلا يتوهم عطف الضالين على غير فيكون من وصف الدين
أنعمت عليهم ، والاضلال يطلق على الحقاء والغيبة ومنه قولهم : ضل الماء في الدين والهلاك ومنه قوله تعالى : أنذا ضلانا في
الأرض موالين ومنه قوله تعالى : أن ضل إحداها فتذكر إحداها الأخرى ، والعدول عن الطريق المستقيم وهو المراد هنا
وفي الضالين مدان مد لازم على لاف بعد الضاد وقبل اللام المشددة وعارض على الياء قبل النون لاوقف (قوله وهم النصارى)
أي لقوله تعالى : وضلوا كثيرا ، وضلوا عن سواء السبيل (قوله لإفادة أن المهتدين) أي المذكورين بقوله : الذين أنعمت
عليهم لمصدق الدين أنعمت عليهم هو صدوق غير المفضوب عليهم وغير الضالين فصدوق العبارات الثلاث هم المؤمنون
لكن سلك كل أن تفسير الدين أنعمت عليهم بالترق الأربعة المذكورة في سورة النساء لايشمل بقية المؤمنين وتفسير المفضوب
عليهم والضالين باليهود والنصارى لايشمل بقية طوائف الكفار لمقتضى ذلك أن بقية المؤمنين ليسوا بمن أنعم الله عليهم
وسائر طوائف الكفار خارجون من وصف النصب والاضلال فالمبدل منه يخرجهم والبديل يدخلهم في المبدل منه والمخلص من
هذا الاشكال أن ينسب المنعم عليهم بجميع المؤمنين كما درج عليه (٣٥٧) المفسر في قوله أنعمت عليهم بالهداية

ويراد من المفضوب
عليهم والضالين عموم
الكفار اعتبارا بعموم
اللفظ لا بخصوص السبب
إن قلت ما فائدة الانيان
بغير المفضوب عليهم الخ
بمعنى قوله الدين أنعمت
عليهم ؟ أجيب بأن
الانيان إنما يكمل بالرجاء

وهم اليهود (ولا) وغير (الضالين) وهم النصارى ، ونكتة البديل إفادة أن المهتدين ليسوا
يهودا ولا نصارى ، والله أعلم بالصواب ، وإليه المرجع والمآب .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما أبدا ، وحسبنا الله ونعم
الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

الخوف قوله : الذين أنعمت عليهم بوجوب الرجاء الكامل وقوله : غير المفضوب عليهم الخ بوجوب الخوف الكامل فيتهقوى
الاييمان بالرجاء والخوف .

فائدة — لفظ آمين ليس من الفاتحة بل ولا من القرآن قطعا بل يسبق الانيان بها لقارىء الفاتحة مفصولة منها بسكتة
ليتميز وهو قرآن عما ليس بقرآن ولكل داع وهو اسم فعل على الصحيح بمعنى استجب مبنى على الفتح ويجوز فيه مد الهمة
وتصغيرها . وقيل هو اسم من أسماء الله تعالى والتقدير يا آمين ، ورد بوجهين : الأول أنه لو كان كذلك لكان ينبغي أن يبنى
على الضم لأنه منادى مفرد معرفة . الثاني أن أسماء الله تعالى توقيفية وهو من خصوصيات هذه الأمة لم يعط لأحد قبلهم
إلا ما كان من موسى وهارون لما ورد في الحديث « إن الله أعطى أمي ثلاثا لم تعط أحدا قبلهم : السلام وهو تحية أهل الجنة
وصفوف الملائكة وآمين إلا ما كان من موسى وهرون » ومعناه أن موسى دعا على فرعون وأمن هرون فقال الله تعالى عند
ما ذكر دعاء موسى : قد أجيب دعوتكما ولم يذكروا دعاء هرون فسماه داعيا . وقال على رضى الله عنه آمين خاتم رب العالمين
ختم بها دعاء عباده ، وفي الخبر « إن آمين كالطابع الذي يطبع به على الكتاب » وفي حديث آخر « آمين درجة في الجنة »
قل أبو بكر : إنه حرف يكتب به لقائله درجة في الجنة . وقال وهب بن منبه : آمين أربعة أحرف يخلق الله من كل حرف ملكا يقول
اللهم اغفر لكل من قال آمين » (قوله والله أعلم بالصواب الخ) هذه العبارة من وضع تلامذة الحلبي لما عرفت أنه قد شرع في
تفسير النصف الأول فكمل الفاتحة وارتحل إلى رضوان الله تعالى ، فيبعد أن يأتى بعبارة تشهر بالانتهاء والمصواب ضد الخطأ
والمرجع الرجوع والمآب مرادف وقوله وحسبنا الله أي كافينا وقوله ثم الوكيل أي الموقض إليه الأمر .

خاتمة نسال الله حسنہا

في آداب تتعلق بالقرآن

منها أن لا يمسه إلا طاهرا قال تعالى : لا يمسه إلا المطهرون ، ومنها أن التالي يتطيب له ويستاك لقول يزيد بن أبي مالك :
 أن أفواهكم من طرق القرآن فطهروها ونظفوها ما استطعتم ، ومنها أن يستوى له قاعدا ولا يكون متسكنا ، ومنها أن يلبس
 بآداب اتجمل كما يلبسها للدخول على الملوك لأنه مناج ربه ، ومنها أن يستقبل القبلة لأنها أشرف المجالس ، ومنها أنه إذا
 شأب يسك عن القراءة حتى يذهب تشاؤبه لأنه من الشيطان ، ومنها أن يستعيز بالله من الشيطان الرجيم عند ابتداء
 قراءة وإن لم يكن في أول سورة ويسمى إن كان في أول سورة وإلا فيخير ، ومنها أنه إذا أخذ في القراءة لم يقطعها لمكاملة
 أحد من غير ضرورة ، ومنها أن يقرأ على تودة وترتيل وتدبر حتى يعقل ما يخاطبه به ربه فيرغب في الوعد ويخاف عند
 وعيد ، ومنها أنه إذا انتهت قراءته يقول صدق الله العظيم وبلغ رسوله الكريم وأنا على ذلك من الشاهدين ، ومنها أن يقرأ
 القرآن على الترتيب ولا ينكس ، ومنها أن يضع المصحف على مكان طاهر مرتفع أو في حجره ، ومنها أن لا يمحو القرآن من
 لوح بالبصاق ولكن يغسله بالماء ويشرب الغسالة بقصد الاستشفاء أو يدفنها في مكان طاهر بعيد عن عمر الأقدام ، ومنها
 أن لا يتخذ الصحيفة (١) إذا بايت بل يمحوها بالماء ويفعل بها ما تقدم ، ومنها أن يعطي عينيه حقهما من النظر في المصحف في
 الحديث قال صلى الله عليه وسلم « أعطوا أعينكم حظها من العبادة قالوا يا رسول الله وما حظها من العبادة ؟ قال النظر في المصحف
 والتفكير فيه والاعتبار عند عجائبه » وقال صلى الله عليه وسلم « أفضل عبادة أمي قراءة القرآن نظرا » ، ومنها أن لا يتناول
 القرآن بشيء من أمور الدنيا يعرض له كقول الرجل إذا جاءه أحد : جئت على قدر يا موسى وكقوله اضيقه مثلاً : كلوا
 شربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية ، ومنها أن لا يقرأ القرآن بألحان الغناء كلكون أهل الفسق ، ومنها أن
 يوقف خطه إذا كتبه ، ومنها أن لا يقرأ في الأسواق أو في مواطن اللغو ومجمع السفهاء والتعرض بتلاوته لسؤال الخاق
 منها أن لا يصغر المصحف فانه ورد النهي عن تصغير المسجد والمصحف ، ومنها أن لا يكتب على الأرض ولا على حائط كما يفعل
 المساجد في الحديث « مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتاب في أرض فقال اشأب من هذيل ما هذا ؟ قال من كتاب
 كتبه يهودي فقال لعن الله من فعل هذا لاتضعوا كتاب الله إلا موضعه » ، ورأى عمر بن عبد العزيز ولده يكتب القرآن
 على حائط فضربه ، ومنها أن يفتحه كلما ختمه حتى لا يكون كهيئة المهجور فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ختم
 رآن يقرأ من أوله قدر خمس آيات . وقال صلى الله عليه وسلم لرجل سأل عن أفضل العمل فقال عليك بالحال المرتحل قال
 ما الحال المرتحل قال صاحب القرآن يضرب من أوله حتى يبلغ آخره ثم يضرب في أوله كلما حل ارتحل ، ومنها إذا ختم
 رآن أن يجمع أهله ويدعو بخير الدارين كما كان السلف الصالح يفعلونه لإجابة الدعاء عند ختمه كما هو مذكور في الأحاديث
 الصحيحة ، ومنها إذا كتبه وشربه ينوي به الشفاء من كل داء وبلوغ الآمال من كل خير فإن الله يؤتيه على قدر نيته ،
 منها إذا كتبه حرزا فليجعله في غمد يحفظه من كل أذى يجلد محيط به ونحوه اه ملخصا من القرطبي .

وهذا آخر ما قدر الله تعالى من هذا التعاليق الشريف ، ولم يكن في ظني أن يحى على هذا المنوال المنيف لقصور باعي
 ورهمني وضعف ذهني ، ولكن فضل الله تعالى حصل بواسطة نور الظلام حبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم وأشياخنا السكرام ،
 ذلك التعاليق منضمنا ما في أصله وقائقا ، صغير الحجم سهل الأنظار رائقا ، كافيا للمقتصر عليه شافيا للناظر فيه بعين الرضا
 فيا بالمطالع كلها معقولا ومنقولا شريعة وطريقة وحقيقة ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على سيد
 الملوقات ، وعلى آله وأصحابه انساات ، وعلى أشياخنا ولا سيما أبو البركات .

تم بحمد الله تعالى وعونه يوم الثلاثاء المبارك لأربع بقين من شهر ربيع الثاني سنة ثمان وعشرين بعد المائتين والألف
 هجرته عليه الصلاة والسلام .

(١) قوله : ومنها أن لا يتخذ الصحيفة الخ عبارة العلامة الجمل : أن لا يتخذ الصحيفة إذا بايت ودرست وقاية للكتاب
 من ذلك جفاء ولكن يمحوها بالماء اه .

فهرس الجزء الرابع

من حاشية الشيخ الصاوي على تفسير الجلالين

| صفحة | صفحة |
|--------------------|----------------|
| ١٩٧ سورة المنافقون | ٢ سورة غافر |
| ٢٠٠ د التغابن | ١٦ د فصلت |
| ٢٠٣ د الطلاق | ٢٩ د الشورى |
| ٢٠٨ د التحريم | ٤٣ د الزخرف |
| ٢١٣ د الملك | ٥٦ د البخان |
| ٢٢٠ د ن | ٦٣ د الجاثية |
| ٢٢٨ د الحاقة | ٧٠ د الأحقاف |
| ٢٣٣ د المعارج | ٨٠ د القتال |
| ٢٣٦ د نوح | ٩٠ د القشع |
| ٢٤٠ د الجن | ١٠١ د الحجرات |
| ٢٤٥ د الزمل | ١٠٩ د ق |
| ٢٤٩ د الدثر | ١١٧ د الداربات |
| ٢٥٥ د القيامة | ١٢٣ د الطور |
| ٢٥٨ د الانسان | ١٢٨ د النجم |
| ٢٦٣ د المرسلات | ١٣٧ د القمر |
| ٢٦٧ د القساؤل | ١٤٥ د الرحمن |
| ٢٧١ د والنازعات | ١٥٢ د الواقعة |
| ٢٧٥ د عبس | ١٥٩ د الحديد |
| ٢٧٨ د التكمور | ١٦٩ د المجادلة |
| ٢٨١ د الانفطار | ١٧٦ د الحشر |
| ٢٨٣ د الدطيف | ١٨٤ د المنتحة |
| ٢٨٦ د الانشقاق | ١٩٠ د انف |
| ٢٨٨ د البروج | ١٩٤ د الجمعة |

| صحيفة | صحيفة |
|------------------|-----------------|
| ٣٢٨ سورة القارعة | ٢٩١ سورة الطارق |
| ٣٢٩ » التكاثر | ٢٩٣ » الأعلى |
| ٣٣١ » والمصر | ٢٩٦ » الفاشية |
| ٣٣٢ » الحمزة | ٢٩٨ » والفجر |
| ٣٣٣ » الفيل | ٣٠٣ » البلد |
| ٣٣٦ » قريش | ٣٠٥ » والشمس |
| ٣٣٧ » الساعون | ٣٠٧ » والليل |
| ٣٣٩ » الكوثر | ٣٠٩ » والضحى |
| ٣٤٠ » الكافرون | ٣١٢ » ألم نشرح |
| ٣٤١ » النصر | ٣١٤ » والتين |
| ٣٤٤ » تبت | ٣١٦ » اقرأ |
| ٣٤٦ » الاخلاص | ٣١٩ » القدر |
| ٣٤٨ » الفلق | ٣٢٢ » البينة |
| ٣٥٠ » الناس | ٣٢٤ » الزلزلة |
| ٣٥٢ » الفاتحة | ٣٢٦ » والعاديات |

بحمد الله تعالى وحسن توفيقه تم طبع كتاب حاشية العارف بالله تعالى الشيخ «أحمد بن محمد الصاوي» على تفسير الجلالين ، بعد مراجعة تصحيحه ، بعرفة الأستاذ : الشيخ علي محمد الضباع شيخ المقاري بالديار المصرية ٩
رئيس التصحيح

أحمد سعد علي
من علماء الأزهر الشريف

{ ٦ ربيع الأول سنة ١٣٦٠ هـ
٣ ربيع الأول سنة ١٩٤١ م }

القاهرة في يوم الخميس

مدير المطبعة

رستم مصطفى الحلبي

ملاحظ المطبعة

محمد أمين عمران

